صحيفة

صحيفة

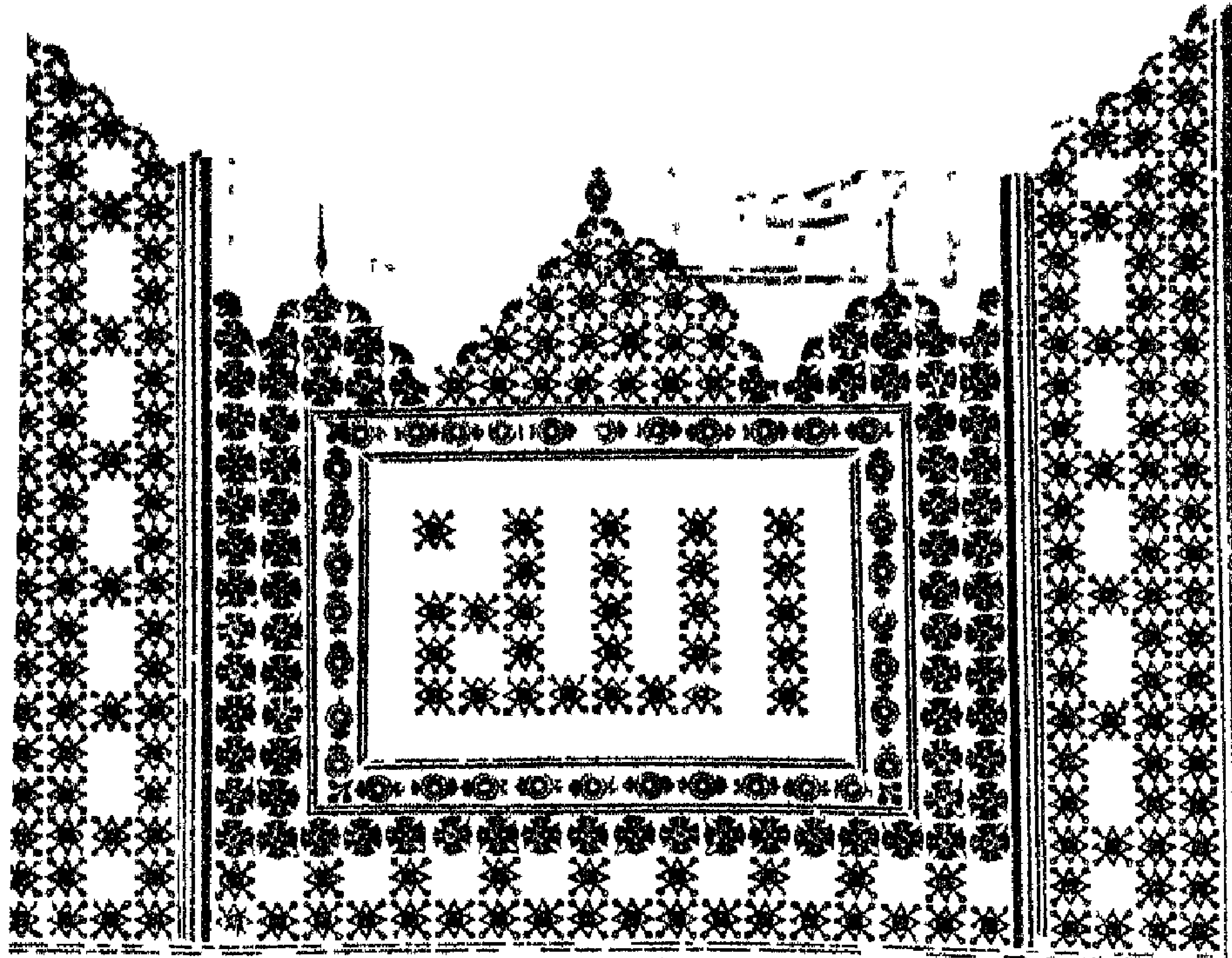
صحيفة

صحيفة

﴿ كتاب قصص الانبياء المسمى ﴾
﴿ بالعرائس تأليف الامام العالم العلامة ﴾
﴿ أبي اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم ﴾
﴿ الثعلبي تغمده الله برحمته وأسكنه ﴾
﴿ فسيح جنته آمين ﴾

﴿ وبهامشه مختصر روض الرياحين ﴾
﴿ في مناقب الصالحين للعلامة اليافعي ﴾
﴿ نفع الله تعالى به ومتعه في الفردوس ﴾
﴿ مع أهل قربه ﴾

﴿ طبع ﴾
﴿ بالمطبعة الخيرية ﴾



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله حق حمده والصلاة على محمد وآله (قال) الاستاذ أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي رحمه الله تعالى هذا كتاب يشتمل على قصص الانبياء المذكورة في القرآن بما شرح الله المستعان وعليه التكلان

﴿باب في ذكر بعض سر الحكمة في قصيصه تعالى أخبار الماضين على سيد المرسلين﴾

قال الله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك قالت الحكماء ان الله تعالى قص على المصطفى صلى الله عليه وسلم أخبار الماضين من الانبياء والامم الخالية لجملة أمور أي حكم (الحكمة الاولى منها) أنه اظهار لنبوته صلى الله عليه وسلم ودلالة على رسالته وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أميا لم يختلف الى مؤدب ولا الى معلم ولم يفارق وطنه مدة يمكنه فيها الانقطاع الى عالم فأخذ عنه علم الاخبار ولم يعرف له طلب شيء من العلوم الى ان كان من أمره ما كان فنزل عليه جبريل عليه السلام بتتمة ذلك فأخذ يحدث الناس بأخبار من مضى من القرون وسير الانبياء الماضين والملوك المتقدمين فمن كان من قومه عاقلا موفقا صدق بما أوحى الله اليه واخباره اياه بذلك فآمن به وصدقه وكان ذلك معجزة له ودليلا على صحة نبوته ومن كان منهم عدوا له معاندا حسده وجحده وأنكر ما جاء به وقال كما أخبر الله تعالى وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قال الله تعالى تكذيبا لهم وتصديقا للنبي عليه السلام قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض (والحكمة الثانية) انه انما قص عليه القصص ليكون له أسوة وقدوة بمكارم أخلاق الرسل والانبياء المتقدمين والاولياء والصالحين فيما أخبر الله تعالى عنهم وأثنى عليهم ولتتأسى أمته في أمور عوقبت أمم الانبياء بمخالفتها عليها لئلا يستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب فتمم الله له بذلك معالي الاخلاق فلما امتثل أمر الله تعالى واستعمل أدب الانبياء أثنى الله عليه فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولذلك قالت عائشة رضي الله تعالى عنها حين سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن (والحكمة الثالثة) أنه انما قص عليه القصص تثبيتا له واعلاما بشرفه وشرف أمته وعلو أقدارهم وذلك أنه لما نظر الى أخبار الامم قبله علم أنه عوفي هو وأمته من كثير

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الحمد) لله العظيم المنان الرحيم الرحمن الذي خلق الانسان وزينه بنطق اللسان وفضل من شاء من عباده وهداه الى طريق الايمان وشرف هذه الامة بالصلاة والصيام وتلاوة القرآن وجعل منهم الاولياء والاصفياء والشهداء والصالحين أهل العرفان وأولي الفضل والايمان شرح لهم صدورهم وغفر لهم ذنوبهم وهداهم الى صراط مستقيم صراط الله العزيز المنان أنعم عليهم بانعامه وجاد عليهم باكرامه وسقاهم من كؤوس محبته فانتعشت من شرابه قربه القلوب والابدان ووعدهم بالنظر الى وجهه الكريم فتوجهم تاج الوقار وألبسهم من حلل رضاه ألوان فسبحان من فضله عميم وجوده عظيم وانعامه قديم وهو الباقي وكل من عليها

مما امتن الله به الانبياء والاولياء وخفف عنهم فى الشرائع ورفع عنهم الاثقال والاغلال التى كانت على الامم الماضية كما قال بعض المتأولين فى تفسير قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ان النعمة الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع قال تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وقال تعالى يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا فلما قص الله تعالى هذه القصص على نبيه رأى فضل نفسه وفضل أمته وعلم أن الله خصه هو وأمته بكرامات لم يخص بها أحدا من الانبياء والامم فوصل قيام ليله بنهاره وصيامه بقيامه لا يفتر عن عبادة ربه أداء لشكره حتى تورمت قدماه فقيل يا رسول الله أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ثم افتخر عليه السلام فقال بعثت بالحنيفية السمحة (والحكمة الرابعة) أنه انما قص الله تعالى عليه القصص تأديبا وتهذيبا لامته وذلك أنه ذكر الانبياء وثوابهم والاعداء وعقابهم ثم ذكر فى غير موضع تحذيره اياهم عن صنع الاعداء وحثهم على صنع الاولياء فقال تعالى لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين وقال لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب وقال وهدى وموعظة للمتقين ونحوها من الآيات وكان الشبلى رحمه الله تعالى يقول فى هذه الآيات اشتغل العام بذكر القصص واشتغل الخاص لاعتبار من القصص (والحكمة الخامسة) أنه قص عليه أخبار الانبياء والاولياء الماضين احياء لذكرهم وآثارهم ليكون الحسن منهم فى ابقائه ذكره مثاله تعجيل جزاء فى الدنيا حتى يبقى ذكره وآثاره الحسنة الى قيام الساعة كما رغب خليل الله ابراهيم عليه السلام فى ابقاء الثناء الحسن فقال واجعل لى لسان صدق فى الآخرين والناس أحاديث يقال ما مات ميت والذكر يحييه وقيل ما أنفق الملوك والاغنياء الاموال على المصانع والحصون والقصور الا لبقاء الذكر * وأنشدنا ناصر بن محمد المروزى قال أنشدنى الدريدى

واعما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

﴿مجلس فى صفة خلق الارض﴾

قال الله تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء الآية ونظائرها كثيرة فى القرآن ﴿واعلم﴾ ان الكلام فى نعت خلق الارض على سبعة أبواب

﴿الباب الاول فى بدء خلق الارض وكيفيتها﴾

روت الرواة بألفاظ مختلفة ومعان متفقة أن الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق جوهرة خضراء أضعاف طباق السموات والارض ثم نظر اليها نظر هيبة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فغلا وارتفع منه زبد ودخان وبخار وأرعد من خشية الله فمن ذلك اليوم يرعد الى يوم القيامة وخلق الله من ذلك الدخان السماء فذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان أى قصد وعمد الى خلق السماء وهى بخار وخلق من ذلك الزبد الارض فأول ما ظهر من الارض على وجه الماء مكة فدحا الله الارض من تحتها فلذلك سميت أم القرى يعنى أصلها وهو قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما خلق الله الارض كانت طبقا واحدا ففتقها وصيرها سبعا وذلك قوله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ثم بعث الله تعالى من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه احدى يديه فى المشرق والاخرى فى المغرب باسطتين قابضتين على قرار الارضين السبع حتى ضبطها ولم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله تعالى من أعلى الفردوس ثورا له سبعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدمى الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فأحدر الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة من الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور الى أذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الارض وهى كالحسكة تحت العرش ومنخر ذلك الثور فى البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة خضراء غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه

فان (أحمده) على طول الازمان وأتوب اليه وأستغفره استغفارا يوجب الغفران وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الرحيم الرحمن وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله خير الخلائق من انس وجان اللهم فصل وسلم على هذا النبى الكريم والرسول العظيم صلاة وسلاما دائمين متلازمين على طول الزمان (أما بعد) فهذه فوائد جليلة عظيمة نقلت من كتاب روض الرياحين فى مناقب بعض الصالحين أعاد الله علينا من بركاتهم فى الدارين فبذكرهم تنزل الرحمات وتحصل البركات وقد أوردت فيها من أخبار السادات ومناقب القادات ومحاسن أهل السعادات بروايات صحيحات ليزول عن مطالعها الهموم والفكر ويطرب سامعها لمحاسن تلك السير فسماعها ينعش الابدان ومطالعتها تزيل الاحزان وهذا أوان الشروع فى ذلك ونسأل الله تعالى أن ينفعنا بأوليائه وان يحشرنا فى زمرة أهل ولايته (فمنها) ما حكى عن سيدى ذى النون المصرى رضى

يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله الآية ❊ روى أن لقمان لما قال له هذه الكلمة انفطرت من هيبتها مرارته ومات وكانت آخر موعظته فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم اسمه لوتيا وكنيته بلهوت ولقبه بهموت فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال قال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة وثقل الدنيا وما عليها حرفان من كتاب الله تعالى قال لها الجبار كوني فكانت فذلك قوله عز وجل انما أمرنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ولذلك قال بعض حكماء الشعراء

لا تخضعن لمخلوق على طمع ❊ فان ذلك نقص منك في الدين

واسترزق الله مما في خزائنه ❊ فان رزقك بين الكاف والنون

واستغن بالله عن دنيا الملوك كما ❊ استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

(وقال) كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارض فوسوس اليه وقال له أتدرى ما على ظهرك يا لوتيا من الامم والدواب والشجر والجبال وغيرها لو نفضتها ألقيتهم عن ظهرك أجمع لكان ذلك أريح لك قال فهم لوتيا أن يفعل ذلك فبعث الله تعالى اليه دابة قد خلت في منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فاذن الله تعالى لها فخرجت قال كعب الاحبار فو الذي نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشيء من ذلك عادت كما كانت وهذا الحوت الذي أقسم الله تعالى به فقال ن والقلم وما يسطرون ثم قال ان الارض كانت تتكفأ على الماء كما تتكفأ السفينة على الماء فأرساها الله تعالى بالجبال وذلك قوله تعالى والجبال أرساها وقوله تعالى والجبال أوتادا وقوله تعالى وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم يعني لكي لا تحرك بكم ❊ قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أول ما خلق الله الارض عجت وقالت يارب تجعل على بني آدم يعملون على الخطايا ويلقون على الخبائث واضطربت فأرساها الله تعالى بالجبال فأقرها وخلق الله تعالى جبلا عظيما من زبرجدة خضراء خضرة السماء منه يقال له جبل قاف فأحاط بها كلها وهو الذي أقسم الله به فقال ق والقرآن المجيد وقال وهب ان ذا القرنين أتى على جبل قاف فرأى حوله جبالا صغارا فقال له من أنت قال أنا قاف قال فاخبرني ما هذه الجبال التي حولك فقال هي عروقي فاذا أراد الله أن يزلزل أرضا أمرني فحركت عرقا من عروقي فتزلزل الارض المتصلة به فقال يا قاف أخبرني بشيء من عظمة الله تعالى فقال ان شأن ربنا العظيم تقصر عنه الصفات وتنقضي دونه الاوهام قال فأخبرني بأدنى ما يوصف منها قال ان وراءي أرضا مسيرة خمسمائة عام من جبال الثلج يحطم بعضها بعضا ومن وراء ذلك جبال من البرد مثلها ولولا ذلك الثلج والبرد لاحترقت الدنيا من حر جهنم قال زدني فقال ان جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله تعالى ترعد فرائصه فيخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك وهم صفوف بين يدي الله تعالى منكسو رؤسهم لا يؤذن لهم في الكلام الى يوم القيامة فاذا أذن الله تعالى لهم في الكلام قالوا لا اله الا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا يعني لا اله الا الله ❊ وروى يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما خلق الله تعالى الارض جعلت تميد فخلق الجبال وألقاها عليها فاستقامت فعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال نعم الحديد فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الحديد قال نعم النار فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من النار قال نعم الماء فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الماء قال نعم الريح فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الريح قال نعم الانسان يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله

((الباب الثاني في حدود الارض ومسافتها وأطباقها وسكانها))

(روى) عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بين كل أرض الى التي تليها مسيرة خمسمائة

عام

الله عنه) قال ركبت البحر مرة وركب معي شاب صبيح الوجه فلما توسطنا البحر فقد صاحب المركب كيسا فيه مال ففتش كل من كان في المركب فلما وصل الى الشاب ليفتشه وثب من المركب حتى جلس في البحر فقام له الموج على مثال السرير ونحن ننظر اليه من المركب ثم قال يا مولاي ان هؤلاء اتهموني واني أقسم عليك يا حبيب قلبي ان تأمر كل دابة من هذا البحر ان تخرج رأسها وفي فم كل واحدة منهن جوهرة قال ذو النون فما أتم الشاب كلامه حتى رأينا دواب البحر قد أخرجت رؤسها وفي فم كل واحدة منهن جوهرة تتلألأ وتلمع كالبرق ثم وثب الشاب ثانيا من البحر في الموج وصار يمشي ولم تبتل قدماه وهو يقول اياك نعبد واياك نستعين حتى غاب عن بصري قال ذو النون حملني ذلك على السياحة وتذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال في أمتي ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات واحد أبدل الله مكانه واحدا ((وحكى عن سيدي ابراهيم الخواص رضي الله تعالى

عام وهي سبعة أطباق الارض الاولى هذه فيها سكانها والارض الثانية مسكن الريح ومنها تخرج الرياح المختلفة كما قال تعالى وتصريف الرياح وفي الارض الثالثة خلق وجوههم مثل وجوه بني آدم وأفواههم مثل أفواه الكلاب وأيديهم كايدي الانس وأرجلهم كارجل البقر وآذانهم كآذان المعز وأشعارهم كاصواف الضأن لا يعصون الله طرفة عين ليس لهم أثواب ليلنا نهارهم ونهارهم ليلنا والارض الرابعة فيها حجارة الكبريت التي أعدها الله لاهل النار تسجر بها جهنم قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فيها الاودية من كبريت لو أرسلت فيها الجبال الرواسي لانماعت قال وهب بن منبه هي مثل الكبريت الاحمر الصخرة منها مثل الجبل العظيم وهي التي قال الله تعالى فيها وقودها الناس والحجارة * أخبرنا أبو بكر بن عبدوس بن المزكي قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يونس المقري قال حدثنا محمد بن منصور قال حدثنا أحمد بن الليث قال حدثنا أبو حفص عمر بن حفص القشيري قال حدثنا علي بن الحسين قال سمعت منصور بن عمار يقول بينما أنا أردت الحج اذ دفعت الى الكوفة ليلا وكانت ليلة مدلهمة فانفردت من أصحابي ثم دنوت الى زقاق باب دار فسمعت بكاء رجل وهو يقول في بكائه الهي وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك ولكني عصيتك اذ عصيتك بجهالتي وخالفتك اذ خالفتك لشقوتي فالآن من عذابك من ينقذني وبحبل من اتصل اذا انقطع حبلك عني واذنوباه واغوثاه بالله قال منصور فابكاني والله فوضعت فمي على شق الباب وقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية قال فسمعت عند ذلك اضطرابا شديدا ثم خمد الصوت فوضعت حجرا على الباب لاعرف الموضع فلما أصبحت غدوت اليه فاذا باكفان أصلحت وعجوز تدخل الدار باكية وتخرج باكية فقلت لها يا هذه ما هذا الميت لك فقالت اليك عني يا عبد الله لا تجدد علي أحزاني فقلت اني أريد هذا الوجه الله الكريم اعلمك تستودعيني دعوة فاني منصور بن عمار واعظ أهل العراق قالت يا منصور هذا ولدي قلت فما كانت صفته قالت كان من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتسب ما يكتسب فيجعله أثلاثا ثلثا لي وثلثا للمساكين وثلثا يفطر عليه وكان يصوم النهار ويقوم الليل حتى اذا كان آخر ليلة أخذ في بكائه وتضرعه فمر رجل في هذه الليلة وتلا آية من كتاب الله تعالى فلم يزل حبيبي يضطرب حتى أصبح وقد فارق الدنيا رحمه الله تعالى ﴿وقال﴾ منصور بن عمار دخلت يوما مدينة فوجدت شابا يصلي صلاة الخائفين فقلت لنفسي ان لهذا الفتى لشأنا لعله من أولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من صلاته فلما سلم سلمت عليه فرد علي فقلت له ألم تعلم أن في جهنم واديا يسمى لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال زدني فقلت يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية فخر ميتا فلما كشفت ثيابه عن صدره رأيت عليه مكتوبا بقلم القدرة فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية فلما كانت الليلة الثانية نمت فرأيته في المنام جالسا على سرير وعلى رأسه تاج فقلت له ما فعل الله بك فقال آتاني ثواب أهل بدر وزادني فقلت له لم قال لانهم قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بسيف الملك الجبار * والارض الخامسة فيها عقارب أهل النار كامثال البغال لها أذناب كامثال الرماح لكل ذنب منها ثلثمائة وستون فقارا في كل فقار ثلثمائة وستون فرقا من السم كل فرق منها ثلثمائة وستون قلة من سم لو وضعت قلة من ذلك السم في وسط الارض لمات جميع أهل الدنيا من نتنه وفسد منه كل شئ وفيها أيضا حيات أهل النار كامثال الاودية لكل حية منها ثمانية عشر ألف ناب كل ناب منها كالنخلة الطويلة في أصل كل ناب ثمانية عشر ألف قلة من السم لو أمر الله حية منها أن تضرب بناب من أنيابها أعظم جبل في الارض لهدته حتى يعود رميما وانها لتلقى الكافر فتسمه فتقطع مفاصله * والارض السادسة فيها دواوين أهل النار وأعمالهم وأرواحهم الخبيثة واسمها سجين قول الله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين * والارض السابعة جعلها الله مسكن الابليس وجنوده وفيها شده في أحد جانبيه سموم وفي الآخر زمهرير وقد استوشته جنوده

عنه) أنه قال طالبتني نفسي في وقت من الاوقات بالخروج الى بلاد الروم فخوفت نفسي ان تكفيني ذلك فصرت على نفي الخاطر فلم تلتفت الى ذلك فخرجت اخترق ديارهم وأجول أقطارهم والعناية تكفني والرعاية تحفني لا ألقى نصرانيا الا غض بصره عني وتباعد مني الى أن أتيت مدينة من المدائن فرأيت على بابها رجالا لابسين السلاح وبأيديهم آلات الكفاح فلما رأوني أتوا الي وقالوا أطبيب أنت قلت نعم فقالوا أجب الملك فحملت اليه فلما رآني قال أنت الطبيب قلت نعم فقال الملك احملوه اليها وعرفوه بالشرط قبل الدخول عليها قال ابراهيم فأخبروني وقالوا ان للملك ابنة قد أصابها اعتلال شديد وقد أعيا الاطباء علاجها وما من طبيب دخل عليها وعالجها ولم تبرأ الا قتله الملك فانظر الى نفسك قبل الدخول اليها قال ابراهيم فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قلت ان الملك ساقني اليها فأدخلوني عليها فأخذوني ومضوا بي اليها فلما وصلت الى باب القصر اذا هي تنادي من داخل الباب

من المردة وعتاة الجن ومنها يبث سراياه وجنوده فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة لبني آدم * وروى سلمة بن كهيل عن أبي الزرقاء عن عبد الله قال الجنة اليوم في السماء السابعة فاذا كان غدا جعلها الله حيث يشاء والنار اليوم في الارض السفلى فاذا كان غدا جعلها الله حيث يشاء وأما بعد قعر الارض فكافيك منه حديث قارون حيث خسف الله به الارض وبداره وبأمواله ففي الخبر انه يخسف به كل يوم مقدار قامة فلا يبلغ قعرها الى يوم القيامة وقال النبي عليه الصلاة والسلام بينما رجل يتبختر في برديه وينظر في عطفيه وقد أعجبته نفسه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة

﴿الباب الثالث في ذكر الايام التي خلق الله تعالى فيها الارض﴾

قال الله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الآية قال أبو اسحق حدثني أبو بكر محمد بن أحمد القطان قال حدثني أحمد بن الحسين بن شاذان قال حدثني ابراهيم بن يحيى قال حدثني صفوان بن سليم قال حدثني أيوب بن خالد الانصاري قال حدثني عبد الله بن أبي رافع قال حدثني أبو هريرة قال حدثني أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم فقال خلق الله الارض يوم السبت والجبال يوم الاحد والاشجار يوم الاثنين والظلمات يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة

﴿الباب الرابع في ذكر أسمائها وألقابها﴾

(قال) وهب بن منبه الاولى من الارض تسمى أديما والثانية بسيطا والثالثة ثقيلا والرابعة بطحا والخامسة متاقلة والسادسة ماسكة والسابعة ثرى ﴿وأما أسماؤها المذكورة في القرآن﴾ فهي سبعة أيضا سماها الله فراشا فقال الذي جعل لكم الارض فراشا وسماها قرارا فقال أمن جعل الارض قرارا وسماها رتقا فقال أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا وسماها بساطا فقال والله جعل لكم الارض بساطا وسماها مهادا فقال ألم نجعل الارض مهادا وسماها ذات الصدع فقال والارض ذات الصدع يعني بالنبات وسماها كفاتا فقال ألم نجعل الارض كفاتا * قال خالد بن سعيد كنت أمشي مع الشعبي بظاهر الكوفة فنظر الى بيوت الكوفة فقال هذه كفات الاحياء ثم نظر الى المقبرة فقال هذه كفات الاموات ﴿ويحكى﴾ أن عبد الله بن طاهر لما قدم نيسابور صحبه من أولاد المجوس شاب متطبب يدعي تحقيق الكلام وأظهر مسئلة تحريق الانفس بالنار وكان يزعم ان الجسد كثيف متى في حال الحياة فاذا مات فلا حكمة في دفنه والنسب الى زيادة نتنه وان الواجب احراقه بالنار رماده فقيل لبعض الفقهاء ان الناس قد افتتنوا بمقالة هذا المجوسي فكتب الفقيه الى عبد الله بن طاهر ان اجمع بيننا وبين هذا المجوسي لنسمع منه فاجتمعوا عند عبد الله فلما تكلم المجوسي بمقالته تلك قال له الفقيه أخبرنا عن صبي تدعيه أمه وحاضنته أيهما أولى به فقال له الام فقال ان هذه الارض هي الام منها خلق الخلق فهي أولى بأولادها أن يردوا اليها فأفحم المجوسي وأنشد في معناه لامية بن أبي الصلت

والارض معقلنا وكانت أمنا * فيها مقابرنا وفيها نولد

﴿وسئل﴾ يحيى بن معاذ الرازي ان ابن آدم يدري ان الدنيا ليست بدار قرار فلم يطمئن اليها قال لانه منها خلق فهي أمه وفيها نشأ فهي عشه ومنها رزق فهي عيشه واليها يعود فهي كفاته وهي ممر الصالحين الى الجنة

﴿الباب الخامس في ذكر ما زين الله به الارض﴾

وهي سبعة أشياء الازمنة وزين الازمنة بأربعة أشهر قال الله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم والاربعة الاشهر الحرم منها ثلاثة سرد وواحد فرد والثلاثة السرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والفرد رجب والامكنة وزينها بأربعة أشياء مكة والمدينة وبيت المقدس ومسجد العشار وزينها أيضا بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وزين الانبياء بأربعة ابراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى الوجيه ومحمد الحبيب صلوات الله عليهم أجمعين وهم أهل الكتب وأصحاب

الشرائع

ادنوا بالطبيب فلز وله سر عجب فبينما أنا كذلك اذا شيخ كبير قد فتح الباب مسرعا وقال ادخل فدخلت فاذا بيت مبسوط مفروش بأنواع الفرش وستر موضوع ومن خلفه أنين ضعيف يخرج من جسد نحيف قال ابراهيم فقعدت من داخل الباب متفكرا وأردت أن أسلم فتذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام فأمسكت عن السلام فنادت من داخل الستر أين سلام التوحيد والاخلاص يا أبا اسحق يا خواص قال فتعجبت من اجابتها بما في الضمائر ثم قالت يا ابراهيم سألت ربي العزة البارحة أن يرسل الى وليا من أوليائه يكون على يديه الخلاص فنوديت سيقدم عليك ابراهيم الخواص قال ابراهيم فقلت لها من أين خطر عليك هذا الامر فقالت منذ أربع سنين وقد لاح لي الحق المبين فهو المحدث الانيس والمقرب والجليس فلما رأوا حالي رمقوني بالعيون ورموني بالجنون فادخل على طبيب الا أوحشني ولا زائر الا أدهشني قال ابراهيم فقلت لها سأرما الذي

الشرائع وأولوا العزم وزينها أيضا بآل محمد صلى الله عليه وسلم وزينهم أيضا بأربعة علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم (وروى) يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر فلما انفتل من الصلاة أقبل علينا بوجهه الكريم فقال معاشر المسلمين من افتقد الشمس فليستمسك بالقمر ومن افتقد القمر فليستمسك بالزهرة ومن افتقد الزهرة فليستمسك بالفرقدين فقيل يارسول الله ما الشمس وما القمر وما الزهرة وما الفرقدان فقال أنا الشمس وعلي القمر وفاطمة الزهرة والحسن والحسين الفرقدان في كتاب الله تعالى لا يفترقان حتى يردا على الحوض وزينها أيضا بالصحابة وزينهم أيضا بأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وهم الخلفاء الراشدون والائمة المرضيون رضي الله عنهم أجمعين (وروى) عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يجتمع حب هؤلاء الاربعة الا في قلب مؤمن قال أنس قد اجتمع حبهم في قلبي والحمد لله وزينها أيضا بالمؤمنين وزينهم بأربعة العلماء والقراء والغزاة والعباد وزينها أيضا بأنواع الحيوانات والنباتات والجمادات

﴿الباب السادس في فنائها وما آلها وآخر حالها﴾

﴿اعلم﴾ ان الله تعالى وعدها بسبعة أشياء * أحدها التبديل وهو قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وفي الخبر يؤتى بأرض بيضاء من فضة كالسبائك البيض الحوارى لم يعص عليها قط طرفة عين ولا وصم فيها ولا قصم مستوية كالصلب المهند * والثاني الزلزلة قال الله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل وتظهر الفتن ويكثر الهرج قيل وما الهرج يارسول الله قال القتل واذا أكلت أمتي الربا كانت الزلزلة واذا جاروا في الحكم اجترأ عليهم العدو واذا ظهرت الفاحشة كان الوباء والموت واذا منعوا الزكاة قحطوا ولولا البهائم لم يمطروا وفي الحديث ان الارض تزلزلت على عهد عمر رضي الله عنه فأخذ بعضادتي منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أهل المدينة انكم رجفتم وان الرجف من كثرة الربا والزنا ونقصان الثمر من قلة الصدقة وانكم أحدثتم أشياء حتى أعجلتم فهل أنتم منتهون أو يفرعه من بين أظهركم * والثالث البروز قال الله تعالى وترى الارض بارزة يعني لفصل القضاء * والرابع الرج قال الله تعالى اذا رجت الارض رجا قال المفسرون كما يرج الصبي في المهد حتى ينكسر كل شيء عليها من قصور وغيرها * والخامس الرجف قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال * والسادس المد حتى تخلى وتلقي ما في بطنها قال تعالى واذا الارض مدت وألقت ما فيها وتخلت * والسابع الدك قال تعالى اذا دكت الارض دكا دكا وقال تعالى فدكتا دكة واحدة ويحكى ان الربيع بن خثيم كان اذا قرأ هذه الآية أخذ بجلد ذراعيه ويقول يا جلداه ويا دماه أين أنتما يومئذ

﴿الباب السابع في وجوه الارض المذكورة في القرآن﴾

وهي سبعة أولها أرض مكة خاصة قال الله تعالى في الرعد والانبياء أولم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها يعني أرض مكة والوجه الثاني أرض المدينة قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها يعني أرض المدينة وقال تعالى ان أرضي واسعة وقال تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها والثالث أرض الشام وذلك قوله تعالى ادخلوا الارض المقدسة الآية يعني بلاد الشام وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين والوجه الرابع أرض مصر قال تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض أي أرض مصر وقوله تعالى اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وقوله فلن أبرح الارض أي أرض مصر وقوله تعالى ان فرعون علا في الارض وقال ويستخلفكم في الارض أي أرض مصر والخامس أرض المشرق ذلك قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض والسادس الارضون كلها وذلك قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم يعني بالامم في التصاوير أمثالكم في التسخير وقال تعالى ولو أن ما في الارض

أوصلك اليه وأنت براهينه الواضحة وآياته اللائحة فاذا وضح لك السبيل شاهدت المدلول والدليل قال ابراهيم فبينما أنا كلمها اذا الشيخ الموكل بها قد دخل عليها وقال لها ما فعل طبيبك هذا قالت عرف العلة وأصاب الدواء وظهر على يديه السرور وقابلني بالبرور قال ابراهيم فسار الشيخ للملك وأخبره فقالت فصرت أتردد عليها مدة سبعة أيام فقالت يا أبا اسحق أريد الهجرة معك الى بلاد الاسلام فقلت وكيف يكون ذلك ومن يتجاسر على الخروج من تلك العساكر والجنود فقالت يا ابراهيم لا تخف ان الذي أدخلك علي وساقك الي هو الذي يخرجني معك ولم يشعر بنا أحد فقلت نعم انه على كل شيء قدير فلما كان الغد خرجنا من باب من الابواب فحجبت عنا العيون بارادة من يقول للشيء كن فيكون فهو الذي وفقها وهداها ما رأيت أصبر منها على الصيام والقيام وحرمت على عينها لذيذ المنام وجاورت بيت الله الحرام مدة سبعة أعوام ثم قضت نحبها وطفقت بربها وصار أسباب المعالي قبرها رحمة الله

من شجرة أقلام وقال تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا والسابع أرض الجنة فذلك قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وقوله تعالى وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين

((مجلس في ذكر خلق السموات وما يتصل به))

وترتيب الكلام في هذا المجلس أيضا على سبعة أبواب قال وهب بن منبه كادت الاشياء أن تكون سبعا فالسموات سبع والارضون سبع والجبال سبع والبحار سبع وعمر الدنيا سبعة آلاف والايام سبعة والكواكب سبعة وهي السيارة والطواف بالبيت سبعة أشواط والسعي بين الصفا والمروة سبعة ورمي الجمار سبعة وأبواب جهنم سبعة ودركاتها سبعة وامتحان يوسف عليه السلام سبع سنين قال تعالى فلبث في السجن بضع سنين وايتاؤه ملك مصر سبع سنين وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان وكرامة الله للمصطفى صلى الله عليه وسلم سبع قال الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم والقرآن سبعة أسباع وتركيب ابن آدم على سبعة أعضاء وخلقه من سبعة أشياء قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله فتبارك الله أحسن الخالقين ورزق الانسان وغذاؤه من سبعة أشياء قال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الى قوله متاعا لكم ولانعامكم وأمر بالسجود على سبعة أعضاء

((الباب الاول في بدء خلق السموات))

(يروى) في الاخبار المشهورة المأثورة أن الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق جوهرة مثل السموات السبع والارضين السبع ثم نظر اليها نظر هيبة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فعلى وارتفع وعلاه زبد ودخان فخلق من الزبد الارض ومن الدخان السماء فذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان أي قصد ثم فتقها بعد ان كانت طبقة واحدة فصيرها سبع سموات قال الله تعالى أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما

((الباب الثاني في جواهرها وأجناسها))

(قال) الربيع بن أنس سماء الدنيا موج مكفوف والثانية من صخرة والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة بيضاء

((الباب الثالث في هيئتها وحدودها))

قال الله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال ابن عباس رحمه الله تعالى خلق الله السموات مثل القباب سماء الدنيا قد شدت أقطارها بالثانية والثانية بالثالثة وكذلك الى السابعة والسابعة بالعرش فذلك قوله تعالى بغير عمد ترونها وعمادها من فوقها (وعن أبي هريرة) رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يتفكرون فقال فيم أنتم تتفكرون قالوا نتفكر في الخالق فقال لهم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فانه لا تحيط به الفكرة تفكروا في أن الله خلق السموات سبعا والارضين سبعا وتحت كل أرض خمسمائة عام وبين السماء والارض خمسمائة عام وتحت كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماء من خمسمائة عام وفوق السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يجاوز الماء كعبه

((الباب الرابع في أسمائها وألقابها))

(قال) وهب بن منبه أولها سماء الدنيا ديباج والثانية ديقا والثالثة رقيع والرابعة فيلون والخامسة طقطين والسادسة سماق والسابعة ابحاقائل وأما أسماؤها المذكورة في القرآن فسبعة أولها البناء قال الله تعالى والسماء بناء والسقف قال الله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا والطرائق قال الله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق والطباق قال الله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا والشداد قال الله تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا والرتق والفتق قال الله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما والدخان قال الله تعالى ثم

تعالى علينا ونفعنا بها في الدنيا والآخرة آمين ((وحكي عنه أيضا رضي الله تعالى عنه)) انه قال خرجت من بلادي على قدمي الى السياحة طالبا مكة من غير ركب ولا قافلة فتهت عن الطريق فبينما أنا متحير اذا أنا براهب نصراني قد أقبل علي واعترضني في الطريق ثم قال لي يا راهب المسلمين هل الى من اقتبلك سبيل فقلت له لا أمنعك عن مرادك فمشينا ثلاثة أيام لم نطعم فيها بطعام فقال الراهب لابراهيم يا راهب المسلمين ما تحتاج فأمرنا خبزا وقد مضنا الجوع فهات ما عندك قال ابراهيم فتوجهت الى الله عز وجل وقلت الهي وسيدي ومولاي لا تفضحني بين يدي عدوي وعدوك قال فما أتممت دعائي حتى نزل لنا من الله عز وجل خوان من خبز وماء فأكلنا وسرنا ومضت ثلاثة أيام أخرى لم نأكل فيها شيئا فلما أصبحنا ابتدرت الراهب وقلت له يا راهب النصارى هات ما عندك قال فتوجه الراهب الى الله عز وجل واذا بخوانين عليهما كما كان على الاولى من الخبز والسمن والتمر والماء قال ابراهيم فلما رأيت ذلك

السماوي الى السماء وهي دخان (وروي) ان الملائكة قالت يارب لو أن السماء والارض خلق أمرتهما بعصيانك ما كنت صانعا بهما قال كنت آمر دابة من دوابي فتبتلعهما قالت يارب فأين تلك الدابة قال في مرج من مروجي قالت يارب فأين ذلك المرج قال في علم من علمي قالت الملائكة سبحان ذي البسط القوي (وقد) ورد عن الضحاك بن مزاحم الهلالي حديث غريب حسن جامع لما تقدم من الابواب في صفة السموات وحدودها وهيئتها وما فيها وأهلها وسكانها وأسمائها وألقابها وهو ما أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين العدل حدثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا الحسن بن علويه قال حدثنا اسمعيل بن عيسى قال حدثنا اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك ومقاتل قالا خلق الله عز وجل سماء الدنيا وزينها وهي ماء ودخان وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين الارض مسيرة خمسمائة عام ولونها كلون الحديد الجلي واسمها برقيعا وبينها وبين السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة خلقوا من نار وريح وعليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقول سبحان ذي الملك والملكوت وخلق السماء الثانية على لون النحاس وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة على ألوان شتى صفوف لو قيست شعرة بين مناكبهم لما انقاست رافعون أصواتهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت واسمها قيدوم وخلق الله فيها ملكا يقال له حبيب نصفه من نار ونصفه من ثلج وبينهما رتق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو يقول يامن ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك ومنها الى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ولون السماء الثالثة كلون الشبه وغلظها مسيرة خمسمائة عام واسمها الماعون وفيها ملائكة ذوو أجنحة الملك منهم له جناحان وله أربعة أجنحة وله ستة أجنحة ووجوه شتى رافعون أصواتهم بالتسبيح ويقولون سبحان الحي الذي لا يموت أبدا صفوف قيام كأنهم بنيان مرصوص لو قيست شعرة بين مناكبهم ما انقاست لا يعرف أحد منهم لون صاحبه من خشية الله تعالى وخلق الله السماء الرابعة وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وغلظها خمسمائة عام ولونها كلون الفضة البيضاء واسمها فيلون وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة السماء الثالثة وكذلك أهل كل سماء أكثر عددا من السماء التي تليها الى الضعف وفي السماء الرابعة ملائكة لا يحصى عددهم الا الله تعالى وهم كل يوم في زيادة وذلك قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال وهم قيام وركوع وسجود على ألوان شتى من العبادة يبعث الله تعالى الملك منهم في أمر من أموره فينطلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذي الى جانبه من شدة العبادة وهم يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن الذي لا اله الا هو قال وخلق الله السماء الخامسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ولونها على لون الذهب واسمها الاحفوق ومنها الى السماء السادسة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة الاربع سموات وهم ركوع وسجود لم يرفعوا أبصارهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة قالوا ربنا لم نعبدك حق عبادتك وخلق الله السماء السادسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ومنها الى السماء السابعة مسيرة خمسمائة عام وفيها جند الله الاعظم الاكبر الكروبيون لا يحصي عددهم الا الله تعالى وعليهم ملك جند سبعون ألف ملك وكل ملك منهم جنوده سبعون ألف ملك وهم الذين يبعثهم الله في أموره الى أهل الدنيا رافعون أصواتهم بالتهليل والتسبيح واسمها عاروس وهي من ياقوتة حمراء ثم خلق الله السماء السابعة غلظها مسيرة خمسمائة عام فيها جنود الله تعالى من الملائكة وعليهم ملك رهو على سبعمائة ألف ملك كل ملك منهم له من الجنود مثل قطر السماء وتراب الثرى والسهل والرمل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق في سبع سموات وسبع أرضين ويخلق الله سبحانه وتعالى في كل يوم ما يشاء واسمها الرقيع وهي من درة بيضاء ومن السماء السابعة الى مكان يقال له مرهوثا مسيرة خمسمائة عام وعليه جنود الله من الملائكة وهم رؤساء الملائكة وهم أعظمهم سوى الروح وحملة العرش الملك منهم له وجوه شتى وأجنحة شتى وأنوار شتى في جسده لا يشبه بعضهم بعضا رافعون أصواتهم بالتهليل ناظرون الى العرش لا يطوفون لو أن الملك منهم نشر جناحه لطبق الدنيا بريشة من جناحه ولا

لا آكل من ذلك ما لم تخبرني فقال الراهب يا ابراهيم لما جئتني حسل تطرك على فعرفت ان الذي عليه نفسي محال وقد ضيعت زمني في اتباع الضلال فتوسلت الى الله واقسمت عليه بكرامتك لديه أن لا يفضحني منك فكان ما رأيت وقد أقول كما تقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله قال ابراهيم ففرحت بذلك فرحا شديدا وسرنا حتى دخلنا مكة شرفها الله تعالى فلما قضينا ما كان علينا من فرائض الحج أقمنا أياما فلا نلي فلما كان بعض الايام فقدته فمضيت الى الحرم فوجدته قائما يصلي فما أحس بي أسرع في صلاته فلما سلم من الصلاة التفت الي وقال يا ابراهيم قد آن لقاء الله تعالى فاحفظ حق مرافقتي لك وصحبتي معك ثم شهق شهقة فمات رحمة الله عليه قال ابراهيم فتأسفت عليه أسفا شديدا ثم جهزته ودفنته فلما كان الليل رأيته في المنام وهو في أحسن صورة وعليه ثياب من السندس والاستبرق فقلت له ألست صاحبي بالامس قال نعم ففرحت بذلك فرحا شديدا ثم قلت له ماذا فعل الله بك قال يا ابراهيم أتيته بذنوب كثيرة فمحاها

يعلم عددهم الا الله تعالى ومن فوق ذلك ثمانية غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين ومن السماء السابعة اليها كما بين سبع سموات وسبع أرضين والعرش فوق ذلك في عليين لا يعلم منتهاه الا الله تعالى

((الباب الخامس في ذكر الايام التي خلق الله الاشياء فيها))

روت الرواة ان الله تعالى ابتدأ خلق الاشياء يوم الاحد الى يوم الخميس وخلق في يوم الخميس ثلاثة أشياء السموات والملائكة والجنة الى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعة فخلق في الساعة الاولى الاوقات والآجال وفي الثانية الارزاق وفي الثالثة آدم عليه الصلاة والسلام وذلك قوله عز وجل فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها الآية

((الباب السادس في ذكر ما زين الله به السموات))

وهي عشرة أشياء * الشمس قال الله تعالى وجعل الشمس سراجا وقال تعالى سراجا وهاجا * والقمر قال الله تعالى وجعل القمر فيهن نورا * والكواكب قال الله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وهي على ضربين منها معلق كتعليق القناديل في المساجد ومنها مركب كتركيب الفص في الخاتم وهي مع كثرتها مختلفة الصور وما خلق الله تعالى منها كوكبا على مثال كوكب (وفي بعض الاخبار) ما يكون من حيوان في الارض ولا دابة تدب دون العرش الا وقد خلق الكواكب مثلها * والعرش قال الله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش (روى) جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله تعالى في البر والبحر وقال هذا تأويل قوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وان ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية لخفقات الطير المسرع ثمانين ألف عام والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها في العرش كحلقة ملقاة في فلاة وان لله ملكا يسمى حزقيائيل له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام فخطر له خاطر هل يقدر أن ينظر الى العرش فزاده الله تعالى في الاجنحة مثلها فكان له ستة وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام ثم أوحى الله تعالى اليه أيها الملك طر فطار مقدار عشرين ألف سنة فلم يبلغ قائمة من قوائم العرش ثم ضاعف الله تعالى له في الاجنحة والقوة وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين ألف سنة فلم يبلغ رأس قائمة من قوائم العرش فأوحى الله تعالى اليه أيها الملك لو طرت الى أن ينفخ في الصور مع أجنحتك وقوتك ما بلغت ساق عرشي فقال الملك سبحان ربي الاعلى فأنزل الله سبحانه وتعالى سبح اسم ربك الاعلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم (وقال) كعب الاحبار لما خلق الله تعالى العرش قال لم يخلق الله تعالى شيأ أعظم مني فاهتز فطوقه الله بحية لها سبعون ألف جناح في كل جناح سبعون ألف ريشة في كل ريشة سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف فم في كل فم سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وورق الشجر وعدد الحصى والثرى وعدد أيام الدنيا والملائكة أجمع فالتفت الحية بالعرش فالعرش الى نصف الحية وهي ملتوية به * والكرسي قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض (وروى) علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الكرسي لؤلؤة طولها حيث لا يعلمه العالمون وقد جعل الله آية الكرسي أمانا لاهل الايمان من شر الشيطان (وروى) اسمعيل بن مسلم عن أبي المتوكل الناجي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوما ففتح الباب فاذا التمر قد أخذ منه ملء الكف ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد أخذ منه مثل ذلك ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد أخذ منه مثل ذلك فذكر ذلك أبو هريرة رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام أيسرك أن تأخذه قال نعم قال اذا فتحت الباب فقل سبحان من سخرك لمحمد فذهب ففتح الباب وقال ذلك فاذا هو قائم بين يديه فقال له يا عدو الله أنت صاحب الفعل قال نعم ثم قال لا أعود ما كنت آخذ منه الا لاهل بيت فقراء من الجن فتركه ثم عاد

عن حسن خلق به وحيائي كما صحبتك في الدنيا جارك في الآخرة رضي الله تعالى عنه ونفعنا به (وروى) ان غلاما كان لجعفر الصادق رضي الله عنه صب الماء على يدي سيده يوما من الايام فسقط الاناء من يده في الطست فطار الماء على ثوبه فنظر اليه نظرة منكرة فقال الغلام يا مولاي والكاظمين الغيظ قال جعفر كظمت غيظي فقال الغلام والعافين عن الناس قال جعفر عفوت عنك فقال الغلام والله يحب المحسنين قال جعفر اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى ولك ألف دينار من مالي وهذا من بعض كراماتهم وحسن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم (وحكي عن بعضهم رضي الله عنه ونفعنا به) قال رأيت بعض المذنبين في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله لك قال وزنت حسناتي وسيآتي فرجحت سيآتي على حسناتي فدمرت متحيرا فبينما أنا كذلك اذ وقعت صرة من السماء فسقطت في كفة الميزان فرجحت الميزان ثم سمعت قائلا يقول وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين قال ثم حللت الصرة فاذا فيها كف من تراب كنت ألقيته في

فذكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال أيسرك أن تأخذه قال نعم قال فاذا فتحت الباب فقل مثل ذلك أيضا ففتح الباب وقال سبحان من سخرك لمحمد فاذا هو قائم بين يديه فقال له يا عدو الله أليس قد عاهدتني أن لا تعود فقال دعني هذه المرة فانى لا أعود فتركه ثم عاد فأخذه الثالثة فقال أليس قد عاهدتني أن لا تعود لا أدعك اليوم حتى أذهب بك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فانك ان تدعنى علمتك كلمة اذا قلتها لم يقربك أحد من الجن لا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا انثى قال له لتفعلن ان تركتك قال نعم قال فما هي قال الله لا اله الا هو الحى القيوم حتى ختمها فتركه فذهب فلم يعد بعد ذلك فذكر ذلك أبو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له أما علمت يا أبا هريرة هذه انه كذلك صدق الخبيث

* واللوح والقلم قال الله تعالى وكل شئ أحصيناه فى امام مبين وقال تعالى ن والقلم وما يسطرون (وقال) ابن عباس ان مما خلق الله تعالى لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء كتابته نور وقلمه نور عرضه كما بين السماء والارض ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة منها يخلق ويرزق ويحيى ويميت ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو فى شأن (وروى) ان أول ما خلق الله القلم فنظر اليه نظرة هيبة وكان طوله كما بين السماء والارض فانشق نصفين وقال اكتب فقال يا رب وما أكتب قال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة (ويحكى) ان ابن الزيات دخل على بعض الخلفاء فوجده مغموما فقال له روح عنى يا ابن الزيات فأنشأ يقول

الهم فضل والقضا غالب * وكائن ما خط فى اللوح
فالتمس الروح وأسبابه * آيأس ما كنت من الروح

والبيت المعمور (وروى) الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى سماء الدنيا بيتا يقال له البيت المعمور بحيال الكعبة وان فى السماء السابعة بحرا من نور يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل عليه السلام كل غداة فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة فيخرج منه سبعون ألف قطرة من نور فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا فيؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيأتونه فيدخلونه ويصلون فيه ثم يخرجون فلا يعودون اليه الى يوم القيامة

* وسدرة المنتهى قال الله تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى (قال) كعب وغيره دخل حديث بعضهم فى بعض هى شجرة فى السماء السابعة مما يلى الجنة أصلها ثابت فى الجنة وعروقها تحت الكرسى وأغصانها تحت العرش اليها ينتهى علم الخلائق كل ورقة منها تظل أمة من الامم يغشاها ملائكة كأنهم فراش من ذهب وعليها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى ومقام جبريل عليه السلام وسطها والله أعلم

والجنة قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة كيف هى قال من يدخل الجنة حى لا يموت ومنعم لا ييأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه قيل يا رسول الله كيف بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة بلاطها مسك أذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران (وروى) مجاهد عن مسروق عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السماء أطت وحق لها ان تئط ليس منها موضع أربع أصابع الا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم أو قاعد يذكر الله تعالى لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصحراء تجأرون الى الله تعالى

((الباب السابع فى ذكر مآلها وآخر حالها))

اعلم ان الله تعالى وعد السماء بسبعة أشياء أحدها المور قال الله تعالى يوم تمور السماء مورا يعنى تدور كدوران الرحا من هول يوم القيامة والثانى أخبر انها تصير كالمهل فقال تعالى يوم تكون السماء كالمهل يعنى دردى الزيت والثالث أخبر أنها تصير وردة كالدهان قال الله تعالى واذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان والرابع الانشقاق قال الله تعالى اذا السماء انشقت والخامس الانفطار قال الله تعالى اذا السماء انفطرت والسماء منفطر به والانفطار أكثر من الانشقاق والسادس الانفراج قال الله تعالى واذا السماء

ثم سلم فغفر الله لى ربى ذلك وأدخلنى الجنة فانظر الى كرم الله تعالى وحسن لطفه بعباده ((ويحكى عن بعض الصالحين رضى الله تعالى عنه)) ان ملكا بنى دارا وأحسن بناءها وزينها وصنع فيها طعاما ودعا الناس اليها وأجلس على بابها العبيد والغلمان يسألون كل من خرج ويقولون هل رأيتم عيبا فيقولون لا وهم لا يمنعون أحدا من الدخول حتى جاء أناس فى آخر الناس عليهم مرقعات فلما دخلوا وأكلوا من تلك الوليمة تلقتهم العبيد والغلمان ثم سألوهم هل رأيتم عيبا فقالوا نعم رأينا عيبين اثنين قال فحبسوهم ورجعوا للملك فأخبروه بما قال هؤلاء فقال الملك ما كنت أرضى بعيب واحد فكيف أرضى بعيبين ثم قال ائتونى بهم فأحضروهم بين يديه فسألهم عن العيبين ما هما فقالوا تخرب الدار ويموت صاحبها فقال الملك هل تعرفون دارا لا تخرب ولا يموت صاحبها فقالوا نعم فقال الملك فأين هى فذكروا له الجنة ونعيمها وشوقوه اليها وذكروا له النار وخوفوه منها ودعوه الى عبادة الله تعالى فأجابهم الى ذلك وخرج من ملكه هاربا تائبا الى الله تعالى

فرجت والسابع الكشط قال الله تعالى وإذا السماء كشطت أي نزعت من مكانها وطويت طيا قال الله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب الآية وأحسن الشاعر حيث قال

اذا قيل من رب هذي السما * فليس سواه له مضطرب
ولو قيل رب سوى ربنا * لقال العباد جميعا كذب

﴿مجلس في ذكر خلق الشمس والقمر وصفة سيرهما وبدء أمرهما ومعادهما﴾

وهو ما أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون الثقة الأمين بقراءتي عليه في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة قال أخبرني أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الشرقي الحافظ قال حدثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمي قال حدثنا أبو عصمة يحيى بن أبي مريم الخراساني قال أنبأنا مقاتل عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينما هو جالس ذات يوم من الايام اذ أتاه رجل فقال يا ابن عباس اني سمعت العجب من كعب الاحبار يذكر في الشمس والقمر وكان ابن عباس متكئا فاستوى ثم قال وماذا قال قال زعم كعب الاحبار أنه يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان في النار قال عكرمة فطارت من ابن عباس شظية ووقعت أخرى غضبا ثم قال كذب كعب الاخبار قالها ثلاثا بل هذه يهودية يريد ادخالها في الاسلام والله تعالى أكرم وأجل من أن يعذب أهل طاعته ألم تر الى قوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يعني دأبهما في طاعته فكيف يعذب عبدين أثنى عليهما انهما دائبان في طاعته قاتل الله هذا الحبر وقبح حبرته ما أجرأه على الله وأعظم فريته على هذين العبدين المطيعين لله تعالى ثم استرجع مرارا ثم أخذ عودا من الارض فجعل ينكت به في الارض وظل كذلك ما شاء الله ثم انه رفع رأسه ورمى بالعود وقال ألا أحدثكم بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما فقلنا بلى يرحمك الله تعالى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال ان الله تعالى لما أتقن خلقه احكاما ولم يبق الا آدم خلق شمسين من نور عرشه فأما ما كان من سابق علم الله تعالى أن يدعها شمسا فانه خلقها مثل الدنيا من مشارقها ومغاربها وأما ما كان من سابق علم الله أن يطمسها ويحولها قمرا فانه خلقها دون الشمس في العظم ولكن انما يرى صغرها من شدة ارتفاع السماء وبعدها عن الارض ولو ترك الله تعالى الشمس كما كان في بدء الامر لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ولا يدري الاجير متى يعمل ولا متى يأخذ أجرته ولا يدري الصائم الى متى يصوم والى متى يفطر ولا تدري المرأة كيف تعتد ولا يدري المسلمون متى وقت صلاتهم ومتى وقت حجهم ولا يدري المدينون متى يحل دينهم ولا يدري الناس متى يزرعون ومتى يسكنون راحة لابدانهم وكان الله أنظر لعباده وأرحم بهم فأرسل جبريل عليه السلام فأمر جناحه على وجه القمر وهو يومئذ مثل الشمس ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور فذلك قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فالسواد الذي في جوف القمر مثل الخطوط فيه انما هو أثر المحو ثم خلق الله تعالى الشمس من نوره نوره ثم خلق الله تعالى للشمس عجلة فيها ثلثمائة وستون عروة ووكل بالشمس وعجلتها ثلثمائة وستين ملكا من الملائكة من أهل سماء الدنيا قد تعلق كل منهم بعروة من تلك العرا وخلق الله تعالى مشارق ومغارب في أقطار الارض وكنفي السماء ثمانين ومائة عين في المشرق من طينة سوداء وثمانين ومائة عين في المغرب مثل ذلك من طينة سوداء يفور غليانها كغلي القدر اذا ما اشتد غليانها وذلك قوله تعالى وجدها تغرب في عين حمئة ومعنى حمئة سوداء من طين فكل يوم وليلة لها مطلع جديد ومغرب جديد ما بين أولها مطلعا وأولها مغربا أطول ما يكون النهار في الصيف وآخرها مطلعا مشرقا ومغربا أقصر ما يكون النهار في الشتاء فذلك قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين يعني آخرها ههنا وأولها ههنا وترك ما بين ذلك من المشارق والمغارب ثم جمعها بعد ذلك فقال رب المشارق والمغارب فذلك عدة تلك العيون كلها ثم خلق الله تعالى بحرا دون

نسأله تعالى التوبة والمغفرة ﴿ويحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنه ونفعنا به﴾ قال كان لي أخ في الله تعالى وكان من الاولياء وكان رجلا جميلا حسن الخلق طيب الحيا وكان له زوجة من أهل الخير والصلاح وكانت على قدمه فكانا يشتغلان في صنعة المراوح والاطباق فكنت أوده وأزوره وألتمس منه الدعاء فكنت كلما دخلت بيته وجدت عنده ريشا من ريش الطيور العالية مثل العنقاء والنسر والعقاب والطاوس وسائر الطيور العجيبة يشتغل بذلك الريش صنعة المراوح وكنت أتعجب من ذلك فقلت له يا أخي من أين لك بهذا الريش مع قلته ووحشة الجبال والاودية فقال يا أخي ان الله سبحانه وتعالى سخر لي ملكا من الملائكة يأتيني بذلك في كل جمعة لاجل المعونة على القوت فلما كان في بعض الايام فقدته فمشيت اليه في بعض الاسواق التي كان يبيع فيها المراوح فلم أجده فذهبت الى داره وطرقت الباب فخرجت زوجته وقالت من بالباب فقلت لها فلان أخو زوجك يريد السؤال عنه هل هو غائب أم ضعيف فقالت

سماء الدنيا بمقدار ثلاث فراسخ فهو موج مكفوف قائم في الهواء بإذن الله تعالى لا يقطر منه قطرة والنجوم كلها سابحة في ذلك البحر وهو جار في سرعة السهم وانطلاقه في الهواء مستو كأنه حبل ممدود ما بين المشرق والمغرب وتجري الشمس والقمر والخنس في سرعة دوران الرحا من أهوال يوم القيامة وزلازلها في ذلك البحر فذلك قوله تعالى وكل في فلك يسبحون والفلك هو دوران العجلة في لجة غمرة ماء ذلك البحر والذي نفسي بيده لو بدت الشمس من دون ذلك البحر لأحرقت كل شيء على وجه الارض حتى الصخور والحجارة ولو بدا القمر من دون ذلك البحر لافتتن به أهل الارض حتى يعبدونه من دون الله تعالى الا ما شاء الله أن يعصمه من أوليائه وأهل طاعته (قال) ابن عباس رضي الله عنه قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأبي أنت وأمي يارسول الله ذكرت مجرى الخنس مع الشمس والقمر وقد أقسم الله تعالى بالخنس في القرآن مثل ما كان ذكرك اليوم فما الخنس فقال عليه السلام يا علي هن الكواكب الخمسة البرجيس وهو المشتري وزحل وعطارد وبهرام والزهرة فهذه الكواكب الخمسة الطالعات الجاريات مع الشمس والقمر في الفلك وأما سائر الكواكب فكلها معلقات في السماء كتعليق القناديل في المساجد وهي تدور مع السماء دورانا بالتسبيح والتقديس والصلاة لله تعالى ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم وان أحببتم أن تستبينوا ذلك فانظروا دوران الفلك مرة من ههنا ومرة من ههنا وان لم تستبينوا الفلك فالحمرة وبياضها مرة من ههنا ومرة من ههنا فذلك دوران الشمس والقمر ودوران الكواكب معا كلها سوى هذه الخمسة ودورانها اليوم كما ترون فذلك صلاتها ودورانها يوم القيامة في سرعة دوران الرحا من أهوال يوم القيامة فذلك قوله تعالى يوم تمور السماء مورا يعني تدور دورانا وتسير الجبال سيرا فاذا طلعت الشمس فانها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلثمائة وستون ملكا ناشري أجنحتهم يجرونها في الفلك بالتسبيح والتقديس لله تعالى على قدر ساعات النهار والقمر كذلك على قدر ساعات الليل ما بين الطول والقصر في الشتاء كان ذلك أو في الصيف أو ما بينهما من الخريف والربيع فاذا أحب الله أن يبتلي القمر والشمس ويري العباد آية من الآيات يستعتبهم رجوعا عن معاصيه واقبالا على طاعته تحركت الشمس عن العجلة وقال مرة خرت الشمس عن العجلة فتقع في غمر ماء ذلك البحر وهو الفلك فاذا أراد الله تعالى أن يعظم تلك الآية اشتد خوف العباد وقعت الشمس كلها فلا يبقى على العجلة شيء منها فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم وذلك هو المنتهى من كسوفها فاذا أراد الله أن يجعل آية دون آية وقع النصف منها أو الثلث أو الثلثان في الماء ويبقى سائر ذلك على العجلة وهو كسوف دون كسوف ابتلاء الشمس والقمر وذلك تخويف للعباد واستعتاب من الله تعالى فأي ذلك كان صارت الملائكة الموكلة بعجلتها فرقتين فرقة منهم يقبلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة والفرقة الاخرى تقبل على العجلة فتجرها الى الشمس وهم في ذلك يقودونها في الفلك على مقادير ساعات النهار أو ساعات الليل ليلا كان أو نهارا لكيلا يزيد في طولها شيء وقد ألهمهم الله تعالى علم ذلك وجعل لهم تلك القوة فالذي ترون من خروج الشمس والقمر بعد الكسوف قليلا قليلا من ذلك السواد الذي يعلوه فهو من غمر ماء ذلك البحر وهو خروجهما من ذلك الماء فاذا أخرجوها كلها اجتمعت الملائكة كلها فاحتملوها حتى يضعوها على العجلة وذلك حين تجلى للعالم حتى يحمدوا الله تعالى على ما قواهم لذلك ويتعلقون بعرا العجلة حتى يجروها باذن الله تعالى في لجة ذلك البحر حتى اذا بلغوا بها المغرب أدخلوها من بعض تلك العيون فتسقط من أفق السماء في العين ثم قال صلى الله عليه وسلم عجبت من خلق الله وما بين من القدرة فيما لم يخلق أعجب منه ومن ذلك قول جبريل عليه السلام لسارة أتعجبين من أمر الله وذلك ان الله تعالى خلق مدينتين احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب على كل مدينة منها عشرة آلاف باب ما بين كل باب الى الآخر مسيرة فرسخ فأهل المدينة التي بالمشرق من بقايا عاد من نسل مؤمنيهم الذين كانوا آمنوا بهود عليه السلام واسمها بالسريانية مرقيشا وبالعبرانية جابلق واسم المدينة التي بالمغرب بالسريانية

مشغول بذكر ربه عز وجل فقلت لها اني أحب أن أراه فاني مشتاق اليه فمضت وعادت الي وقالت ادخل فدخلت اليه فرأيته في بيت مبني له للعبادة وعليه أنوار السعادة فلما رآني قام الي واعتنقني وسلم علي سلام المحبين ثم جلسنا وتحدثنا ساعة فبينما نحن في الحديث اذا عائدة قد وضعت بين أيدينا فيها من جميع الالوان فأكلنا من تلك المائدة فلما رفعت اذا بقدح من ماء قد وضع بين أيدينا فشربنا منه فما كان أحسن من ذلك الطعام ولا أحلى من ذلك الماء فعرفت ان ذلك الطعام والماء من الجنة ثم سألته بعد ذلك عن سبب امتناعه عن الخروج الى تسبيبه فتبسم وقال يا أخي وقع لي حكاية عظيمة فقلت وما هي فقال خرجت يوما لبيع المراوح على عادتي فمضيت الى أسواق بغداد فلم يقع على شيء ولم يكن عندنا شيء من القوت فخرجت ومضيت الى بعض الحارات حتى انتهيت الى حارة لبعض الوزراء فبينما أنا مار بها اذا بامرأة جالسة في قصر عال مشيد الاركان فلما رأتني أرسلت الى جارية من بعض جواريها كلم ما قطعة دون جبل فلما

برجيسا وبالعبرانية جابرسا تيوت على كل باب من هاتين المدينتين كل يوم عشرة آلاف رجل في الحراسة عليهم السلاح ومعهم الكراع لا تنوبهم تلك الحراسة بعد ذلك اليوم الى يوم ينفخ في الصور والذي نفس محمد بيده لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج أصواتهم لسمع أهل الدنيا وقع هذه الشمس حين تطلع وحين تغرب ومن ورائهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم الا الله تعالى وهم منسك وتارس وتاويل ومن ورائهم يأجوج ومأجوج وان جبريل عليه السلام انطلق بي اليهم ليلة أسري بي الى السماء فدعوت يأجوج ومأجوج الى الله تعالى والى دينه وعبادته فأبوا أن يجيبوني فهم في النار مع من عصى الله من ولد آدم وولد ابليس ثم انطلق بي الى هاتين المدينتين فدعوتهم الى الله تعالى والى دينه وعبادته فأجابوا وأنابوا فهم اخواننا في الدين من أحسن منهم فهو مع المحسنين ومن أساء فهو مع المشركين ثم انطلق بي الى الامم الثلاث فدعوتهم الى دين الله وعبادته فأبوا علي وكفروا بالله وكذبوا برسله فهم مع يأجوج ومأجوج وسائر من عصى الله تعالى في النار فاذا ما غربت الشمس رفع بها الى السماء السابعة في سرعة طيران الملائكة وتحبس تحت العرش وتستأذن من أين تؤمر بالطلوع من مغربها أم من مطلعها وتكسى ضوأ وان كان القمر فنورا على قدر ساعات الليل والنهار ثم ينطلق بها الى ما بين السماء السابعة وما بين أسفل درجات الجنان في سرعة طيران الملائكة فتنحدر حيال المشرق من سماء الى سماء فاذا وصلت الى هذه السماء فذلك حين ينفجر الفجر عن الصبح فاذا انحدرت من بعض تلك العيون فذلك حين يضيء الصبح فاذا وصلت الى هذا الوجه من السماء فذلك حين يضيء النهار فتلك مطالعها ومغاربها ما بين أولها عينا الى آخرها عينا في الطلوع والغروب فذلك تمام ستة أشهر ثم اذا رجعت كذلك من عين الى عين في الطلوع والغروب الى آخرها عينا فذلك تمام السنة فعدة أيامها ولياليها ثلثمائة وستون ليلة وخلق الله تعالى عند المشرق حجابا من الظلمة فوضعه على البحر السابع مقدار عدة الليالي في الدنيا مذ خلقها الله تعالى الى يوم تنصرف فاذا كان عند غروب الشمس أقبل ملك من الملائكة الذين قد وكلوا بالليل فيقبض قبضة من ظلمة ذلك الحجاب ثم يستقبل المغرب فلا تزال تلك الظلمة تخرج من خلال أصابعه قليلا قليلا وهو يراعي الشفق فاذا غاب الشفق أرسل الظلمة جميعا ثم ينشر جناحيه فيبلغان أقطار الارض وكنف السماء ويجاوزان ما شاء الله خارجا في الهواء فيسوق ظلمة الليل بجناحيه بالتسبيح والتقديس حتى يبلغ المغرب على قدر ساعات الليل فاذا بلغ المغرب أسفر الصبح من المشرق فضم جناحيه ثم يضم الظلمة كلها بعضها الى بعض فيقبضها بكفيه ثم يقبض عليها بكف واحد نحو قبضته التي تناولها من الحجاب بالمشرق ثم يضعها عند المغرب على البحر السابع فمن هنالك ظلمة الليل اذا ما نقل ذلك الحجاب الى المشرق والى المغرب فاذا نفخ في الصور انقضت أيام الدنيا فنور النهار من ضوء الشمس وظلمة الليل من قبل ذلك الحجاب فلا تزال الشمس والقمر كذلك من مطالعهما الى مغربهما الى ارتفاعهما الى السماء السابعة الى محبسهما تحت العرش حتى يأتي الوقت الذي وقته الله تعالى لتوبة العباد وتكثر المعاصي في الارض ويذهب المعروف ولا يأمر به أحد ويفشو المنكر فلا ينهى عنه أحد فاذا فعلوا ذلك حبست الشمس مقدار ليلة تحت العرش وكلما سجدت واستأذنت ربها من أين تطلع فلا يؤذن لها ولا يرد لها جواب حتى يوافيها القمر فيسجد معها ويستأذن من أين يطلع فلا يؤذن لهما ولا يرد لهما جواب حتى يحبسا مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر ولا يعرف طول تلك الليلة الا المتهجدون في الارض وهم يومئذ عصابة قليلة في الارض في كل بلد من بلاد المسلمين في هوان بين الناس وذلة في أنفسهم فينام أحدهم تلك الليلة مقدار ما كان ينام قبلها من الليل ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاه فيصلي ورده ولا يصبح نحو ما كان يصبح كل ليلة قبل ذلك فينكر ذلك ويخرج فينظر الى السماء فاذا هو بالليل مكانه والنجوم قد استدارت في السماء وصارت في أماكنها من أول الليل فينكر ذلك ويظن فيها الظنون ويقول أخففت قراءتي أم قصرت صلاتي أم قمت قبل حيني قال ثم يقوم فيعود الى مصلاه فيصلي نحو صلاته ثم ينظر ولا يرى الصبح فيخرج أيضا فاذا هو بالليل مكانه فيزيده ذلك انكارا ويخالطه الخوف

ويظن

أقبلت على لم تمهلني دون ان احملتني فلم أشعر بنفسي الا وأنا في وسط الدار فاحملتني الجواري ثانيا الى ذلك القصر فاغشي علي فلما أفقت نظرت الى سرير من عاج مرصع باليواقيت مزين بأنواع الذهب والفضة فدهشت من ذلك واذا بامرأة قد أقبلت على كامل من الحور العين وعليها من الحلي والحلل ما لا أقدر أن أصفه فلما دنت مني أغمضت بصري عنها فقالت مرحبا لك ضيافة ثلاثة أيام فصرت عندها ثلاثة أيام مهانا حيرة شديدة اذ لم أجد لي خلاصا أتخلص به منها فقلت لها لا بد من ذلك فقالت نعم فقلت لها يكون ذلك بعد أن اصعد الى أعلى ذلك القصر وأرجع فقالت أنا أدلك على بيت الماء اقضاء حاجتك وآخذه لك بنفسي فقلت لا يمكن ذلك الا أن أتوصل الى أعلى ذلك القصر ثم عليها اباطيل فقامت وأرشدتني الى باب معلق يتوصل منه الى أعلاه ثم فتحته وقالت امض ولا تبطئ علي فصعدت مسرعا الى أعلاه ونظرت الى الارض فرأيتها بعيدة فرفعت بصري الى السماء وقلت سيدي لا يخفى عليك أمري الموت ولا معصيتك ثم هان علي الوقوع من

ويطيل في ذلك التطوع من السور ثم يقول لعلي قصرت صلاتي أو خففت قراءتي أو نمت في أول الليل ثم يعود وهو وجل خائف مشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة فيقوم فيصلي أيضا مثل ورده كل ليلة قبل ذلك ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج الثالثة فينظر الى السماء فاذا هو بالنجوم قد استدارت مع السماء فصارت في أماكنها أول الليل فيشفق عند ذلك شفقة المؤمن العارف لما كان يحذر فيلحقه الخوف وتلحقه الندامة ثم ينادي بعضهم بعضا وهم قبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون فيجتمع المتهجدون من أهل كل بلدة في تلك الليلة في مسجد من مساجدهم يجأرون الى الله تعالى بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة فاذا ما تم لهما مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام اليهما فيقول لهما ان الرب تعالى يأمركما أن ترجعا الى مغربكما فتطلعا منه انه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فيبكيان عند ذلك وجلا من الله تعالى وخوف يوم القيامة بكاء يسمعه أهل السبع سموات ومن دونها وأهل سرادقات العرش ومن فوقها فيبكون جميعا لبكائهما لما خالطهم من خوف الموت وخوف يوم القيامة فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما قال فبينما المتهجدون يبكون ويتضرعون الى الله تعالى والغافلون في غفلتهم اذ نادى مناد ألا ان الشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر الناس فاذا هم بهما أسودان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما في كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى وجمع الشمس والقمر وقوله تعالى اذا الشمس كورت فيرتفعان كذلك مثل البعيرين القرينين ينازع كل واحد منهما صاحبه استباقا ويتصارخ أهل الدنيا وتذهل الامهات عن أولادها والاحبة عن ثمرات فؤادها فتشتغل كل نفس بما كسبت فأما الصالحون والابرار فانه ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم ذلك عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم ويكتب عليهم حسرة فاذا ما بلغ الشمس والقمر سرة السماء وهي منتصفها جاءهما جبريل عليه السلام فيأخذ بقرونهما ويردهما الى المغرب فلا يغربهما من مغاربهما من تلك العيون ولكن يغربهما من باب التوبة فقال عمر بأبي أنت وأمي يا رسول الله وما باب التوبة فقال يا عمر خلق الله تعالى بابا للتوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب مكللان بالدر والجوهر ما بين المصراع الى المصراع أربعون سنة للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله تعالى (١) الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما ولم يتب عبد من عباد الله تعالى توبة نصوحا منذ خلق الدنيا الى ذلك اليوم الا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب ثم ترفع الى الله تعالى فقال معاذ بن جبل بأبي أنت وأمي يا رسول الله وما التوبة النصوح قال أن يندم العبد على الذنب الذي أصاب فيعتذر الى الله تعالى ثم لا يعود اليه كما لا يعود اللبن الى الضرع قال فيغربهما جبريل عليه السلام من ذلك الباب ثم يرد المصراعين ثم يلتئم ما بينهما فيصير كأنه لم يكن فيما بينهما صدع قط واذا أغلق باب التوبة لم يقبل للعبد بعد ذلك توبة ولا تنفعه حسنة يعملها في الاسلام الا من كان قبل ذلك محسنا فانه يجري عليه ما كان يجري عليه قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا فقال أبي بن كعب بأبي أنت وأمي يا رسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا فقال يا أبي ان الشمس والقمر يكسيان النور والضوء بعد ذلك ثم يطلعان ويغربان كما كانا قبل ذلك وأما الناس فانهم مع ما رأوا من فظاعة تلك الآية وعظمتها يلحون على الدنيا ويجرون فيها الانهار ويغرسون فيها الاشجار ويبنون فيها البنيان وأما الدنيا فلو نتج للرجل منهم فيها مهر لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من مغربها الى أن ينفخ في الصور فقال حذيفة جعلني الله فداك يا رسول الله فكيف بهم عند النفخ في الصور قال يا حذيفة والذي نفسي بيده لينفخن في الصور ولتقومن الساعة والرجل قد لاط حوضه فلا يشرع فيه الماء ولتقومن الساعة وقد أخذ لبن لقحته من تحتها فلا يشربه ولتقومن الساعة والثوب بين الرجلين فلا يشترانه ولا يطويانه ولا يبيعانه ولتقومن الساعة والرجل قد رفع لقمته الى فيه فلا يطعمها ثم تلا هذه الآية ولتأتينهم بغتة وهم لا يشعرون فاذا قامت الساعة قضى الله تعالى بين أهل الدارين وميز بين الفريقين أهل الجنة والنار وقبل أن يدخلوهما يدعو الله تعالى بالشمس والقمر فيجاء بهما أسودين لا نور

أغلق ذلك القصر فالقيت نفسي الى الارض فأرسل الله تعالى الي ملكا من الملائكة فاحتملني على جناحه فلم أشعر بنفسي الا وأنا على باب داري فحمدت الله تعالى على ذلك وأخبرت زوجتي فسجدت شكرا لله تعالى ثم عاهدت الله أن لا أخرج من بيتي حتى أموت فهذا حديثي يا أخي قال فخرجت من عنده متعجبا وقرأت هذه الآية ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فصار على ذلك الحال حتى مات رحمه الله تعالى ونفعنا به ((وحكي عن الامام أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه أنه قال)) حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في الطريق اذ سمعت صوتا موزونا يخرج من كبد محزون قال الجنيد فبادرت الى ذلك الصوت حتى أوقفني بغلام كالقمر فلما رآني قال مرحبا بك يا أبا القاسم قال فعجبت منه عجبا شديدا وقلت له حبيبي ومن أعلمك باسمي ولم ترني قبل ذلك فقال التفت روحي وروحك في الملكوت فأعلمني باسمك الحي الذي

(١) قوله منذ خلق الله تعالى الخ هكذا بالاصل ولعله الدنيا فليحرر اه مصححه

لهما أكثر من ذلك وقال الاول [illegible] أصحابنا [illegible] من قولهم [illegible] من ذلك الى يوم [illegible]
[illegible] الرحمن تعالى واذا كان [illegible] العرش [illegible] الله تعالى [illegible] فاذا [illegible]
[illegible] وعرفت [illegible] أمر [illegible] الله [illegible] كنا [illegible]
[illegible] من عباد الله فيقول الله تعالى [illegible] قد قضيت على نفسي أن أبدي
وأعيد [illegible] خلقتكما
من نور عرشي فارجعا اليه فيسقط من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الابصار نورا فيختلطان بنور العرش
فذلك قوله تعالى يبدي ويعيد قال عكرمة فقمت مع النفر الذين حدثوا عن كعب فأخبروا به من أمر الشمس
والقمر حتى أتيناه فأخبرناه فغضب ابن عباس ووثب من مجلسه [illegible] عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيهما [illegible] الى معاذ فقال كعب الاحبار انى حدثت عن كتاب دارس منسوخ قد
تداولته الايدي وابن عباس حدث عن كتاب حديث العهد بالرحمن جل جلاله ناسخ للكتب وعن سيد
الانبياء والمرسلين خير البشر ثم قام فمشى الى ابن عباس فقال بلغني ما كان من وجدك من حديثي وما
حدثت به من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وانى أستغفر الله من ذلك مع انى لم
أقوله من تلقاء نفسي ولكن حدثت عن كتاب دارس فلا أدري ما كان فيه من تبديل الكفار واليهود
وانت حدثت ما حدثت عن كتاب حديث العهد بالرحمن ناسخ للكتب وعن سيد المرسلين وأنا أحب أن
تحدثني بما حدثت به أصحابك من حديث الشمس والقمر فأحفظ عنك الحديث واذا حدثت بشئ من أمر
الشمس والقمر فيما بعد هذا اليوم كان هذا الحديث الذي تحدثني به مكان حديثي الاول قال عكرمة فوالله
لقد أعاده عليه ابن عباس الحديث وانى لاستقريه في قلبي بابا بابا فما زاد شيأ ولا نقص شيأ ولا قدم ولا أخر
فزادني ذلك في ابن عباس رغبة وللحديث حفظا والله أعلم

((مجلس في قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة))

(الباب الاول في ذكر وجوه من الحكمة وخلق آدم عليه الصلاة والسلام) قال الحكماء خلق الله تعالى الخلق ليظهر وجوده ولو لم يخلق لما عرف أنه موجود وليظهر كمال علمه وقدرته بظهور أفعاله المتقنة المحكمة لانها لا تتأتى الا من قادر حكيم وليعبد فانه يحب عبادة العابدين ويثيبهم عليها على قدر فضله لا على قدر أفعالهم وان كان غنيا عن عبادة خلقه لا يزيد في ملكه طاعة المطيعين ولا ينقص من ملكه معصية العاصين قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وليظهر احسانه لانه محسن فأوجدهم ليحسن اليهم وليتفضل عليهم فيعامل بعضا بالعدل وبعضا بالفضل وخلق المؤمنين خاصة للرحمة كما قال عز وجل وكان بالمؤمنين رحيما وقال تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال جعفر بن محمد الصادق والضحاك بن مزاحم أي للرحمة خلقهم وليحمدوه لانه يحب الحمد (ويروى) ان آدم عليه السلام لما خلقه الله تعالى وعرض عليه ذريته وجد فيهم الصحيح والسقيم والحسن والقبيح والاسود والابيض فقال يارب هلا سويت بينهم فقال الله تعالى انى أحب أن أشكر (قال) أبو الحسن الفتال خلق الله تعالى الملائكة للقدرة وخلق الاشياء للعبرة وخلقك للمحنة قال الله تعالى الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم (قال العلماء) خلقكم لاظهار القدرة ثم رزقكم لاظهار الكرم ثم يميتكم لاظهار القهر والجبروت ثم يحييكم لاظهار العدل والفضل والثواب والعقاب ومنهم من قال خلق الخلق جميعهم لاجل محمد صلى الله عليه وسلم (عن) قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ياعيسى آمن بمحمد وأمر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن وقيل خلقهم لامر عظيم غيبه عنهم لا يجليه حتى يحل بهم ما خلقهم له قال الله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون (وقال) علي بن أبي طالب رضي الله عنه يا أيها الناس اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثا فيلهو ولا أهمل سدى فيلغو

[illegible]
[illegible]
وكفني في ثيابي هذه واطلع
على هذه الرابية وناد
الصلاة على هذا الغريب
يرحمكم الله قال الجنيد ثم
ان الشاب عرق جبينه
واشتد به الانين ثم قال بالله
عليك يا جنيد اذا فصلت
عني ورجعت وقصدت بغداد
واسأل عن درب الزعفراني
واسأل عن والدي وعمي
والدي وقل لهما ان الغريب
يقرئكما السلام ثم شهق
شهقة فمات رحمة الله تعالى
عليه قال الجنيد فتأسفت
عليه أسفا شديدا ثم غسلته
وكفنته وطلعت على الرابية
كما قال وناديت الصلاة على
الغريب يرحمكم الله قال
الجنيد واذا بجماعة قد
أقبلوا من كل فج عميق كأنهم
البدور فصلينا عليه ودفناه
وانصرفت متحسرا عليه فلما
قضيت حجي رجعت الى بغداد
ثم سألت عن ذلك الدرب
فأرشدت اليه فلما دخلت
الدرب نظرت فاذا بصبيان
يلعبون في الزقاق فنهض
من بينهم غلام صغير السن
حسن الوجه فصيح اللسان
فقال يا أبا القاسم لعلك جئت
تخبرني بموت والدي قال
الجنيد فعجبت من كلام
الغلام على صغر سنه
ومكاشفته ثم سلم علي وأخذ
بيدي وأتى الى باب دار وطرق

(وقال) الاوزاعي بلغني أن في السماء ملكا ينادي كل يوم الا ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا عرفوا ما خلقوا له (وقال بعضهم) ليتهم اذ لم يعلموا لم خلقوا عملوا لما خلقوا له وليتهم اذ لم يعملوا تذاكروا ما عملوا وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول في مناجاته الهي غيبتني عني أجلي وأصحب علي عملي ولا أدري الى أي الدارين منقلبي لقد أوقفني وقفة أحزنني أبدا ما أبقيتني (وقال) أبو القاسم الحكيم ان الله تعالى جعل ابن آدم بين الشوق والقلق فما دام الروح في جسده فهو في البلوى فاذا فارق الروح ابنه فهو في البلى فأين له السرور وهو بين البلوى والبلى (وقال) بعض الحكماء يا ابن آدم انظر الى خطر مقامك في الدنيا ان ربك حلف فقال لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وان ابليس حلف فقال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين وأنت يا مسكين بين الله تعالى وبين ابليس مطروح سالاه والله أعلم

((الباب الثاني في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته))

قال المفسرون بألفاظ مختلفة ومعان متفقة ان الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه الصلاة والسلام أوحى الله الى الارض اني خالق منك خلقا منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني منهم أدخلته الجنة ومن عصاني أدخلته النار ثم بعث اليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من ترابها فلما أتاها جبريل ليقبض منها القبضة قالت له الارض اني أعوذ بعزة الله الذي أرسلك ان تأخذ مني شيأ يكون فيه غدا للنار نصيب فرجع جبريل عليه السلام الى ربه ولم يأخذ منها شيأ وقال يا رب استعاذت بك فكرهت أن أقدم عليها فأمر الله عز وجل ميكائيل عليه السلام فأتى الارض فاستعاذت بالله ان يأخذ منها شيأ فرجع الى ربه ولم يأخذ منها شيأ فبعث الله تعالى ملك الموت فأتى الارض فاستعاذت بالله أن يأخذ منها شيأ فقال ملك الموت واني أعوذ بالله أن أعصي له أمرا فقبض قبضة من زواياها الاربع من أديمها الاعلى ومن سبختها وطينها وأحمرها وأسودها وأبيضها وسهلها وحزنها فكذلك كان في ذرية آدم الطيب والخبيث والصالح والطالح والجميل والقبيح ولذلك اختلفت صورهم وألوانهم قال الله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ثم صعد بها ملك الموت الى الله تعالى فأمره أن يجعلها طينا ويخمرها فعجنها بالماء المر والعذب والملح حتى جعلها طينا وخمرها فلذلك اختلفت أخلاقهم ثم أمر جبريل عليه السلام ان يأتيه بالقبضة البيضاء التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها ليخلق منها محمدا صلى الله عليه وسلم فهبط جبريل عليه السلام في ملائكة الفردوس المقربين الكروبيين وملائكة الصفح الاعلى فقبض قبضة من موضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهي يومئذ بيضاء نقية فعجنت بماء التسنيم ورعرعت حتى صارت كالدرة البيضاء ثم غمست في أنهار الجنة كلها فلما خرجت من الانهار نظر الحق سبحانه وتعالى الى تلك الدرة الطاهرة فانتفضت من خشية الله تعالى فقطر منها مائة ألف قطرة وأربعة وعشرون ألف قطرة فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبيا فكل الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم من نوره خلقوا صلى الله عليه وسلم ثم طيف بها في السموات والارض فعرفت الملائكة حينئذ محمدا صلى الله عليه وسلم قبل ان تعرف آدم ثم عجنها بطينة آدم عليه الصلاة والسلام ثم تركها أربعين سنة حتى صارت طينا لازبا ليناثم تركها أربعين عاما حتى صارت صلصالا كالفخار وهو الطين اليابس الذي اذا ضربته بيدك صلصل أي صوت ليعلم أن أمره بالصنع والقدرة لا بالطبع والحيلة فان الطين اليابس لا ينقاد ولا يتأتى تصويره ثم جعله جسدا وألقاه على طريق الملائكة التي تهبط الى السماء وتصعد منه أربعين سنة فذلك قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر الآية قال ابن عباس الانسان آدم والحين أربعون سنة كان آدم جسدا ملقى على باب الجنة وفي صحيح الترمذي بالاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير أول البقرة ان الله خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الارض من السهل والجبل والاسود والابيض والاحمر فجاءت الاولاد على ألوان الارض وسأل عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف خلق الله آدم عليه السلام فقال خلق رأس آدم وجبهته من تراب الكعبة وصدره وظهره من بيت

[illegible] [illegible] تحت [illegible]
عليها [illegible] [illegible]
فمات [illegible] على وجهها كئيبة
الصبي [illegible] القلب ثم
قالت يا حبيبي أين [illegible] ولدي
وقرة عيني فقلت مات ابنك
فقالت لها الا قالت [illegible]
مات عطشى فقالت لها لا
فقالت ابنه مات بالمزدلفة
فقالت لها لا فقالت ابنه
مات بالبادية تحت شجرة
غيلان فقلت لها نعم قال
فصاحت صيحة عظيمة
وقالت يا ولداه لا اني بقيت
أونس له ولا مشارك ثم
شهقت شهقة فارقت
روحها الدنيا رحمة الله عليها
قال الجنيد فنظر الغلام
الى السماء وقال الهي
وسيدي ومولاي لا مع
أبي أخذتني ولا مع جدتي
خلفتني اللهم بهما الحقني
ثم شهق شهقة فمات رحمة
الله تعالى عليهم أجمعين
قال الجنيد فاخذت في
غسلهما وتجهيزهما
ودفنهما رحمة الله عليهما
والمسلمين (وحكي عن السري
السقطي رحمه الله ونفعنا
به) قال كنت جالسا ببيت
المقدس سنة من السنين عند
الصخرة وكان ذلك في أيام
العشر وأنا متحسر حزين
على التخلف عن الحج في
تلك السنة وقلت في نفسي
ان الناس قد توجهوا الى
مكة ولم يبق الا أيام قلائل
وأنا ههنا مقيم قال السري
فبكيت على فواتي وتخلفي

المقدس ونفخه من أرض الهند وساقيه من أرض مصر وقدميه من أرض الطائف والذي من أرض المشرق وبعد السري من أرض المغرب ثم ألقاه على باب الجنة فكلما مر عليه ملأ من الملائكة تعجبوا من حسن صورته وطول قامته ولم يكونوا قبل رأوا شيئا يشبهه من الصور فمر به إبليس فرآه فقال لأمر ما خلقت ثم ضربه بيده فإذا هو أجوف فدخل في فيه وخرج من دبره وقال لأصحابه الذين معه من الملائكة هذا خلق أجوف لا يثبت ولا يتماسك ثم قال لهم أرأيتم إن فضل هذا عليكم فما أنتم فاعلون قالوا نطيع ربنا فقال إبليس في نفسه والله لئن فضل هذا علي لأعصينه ولئن فضلت عليه لأهلكنه فذلك قوله تعالى وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون يعني ما أظهرت الملائكة من الطاعة وأسر إبليس من المعصية وقوله تعالى إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين (وفي الخبر) أن جسد آدم عليه الصلاة والسلام كان ملقى أربعين سنة تمطر عليه مطر الحزن ثم أمطر عليه السرور سنة واحدة فلذلك كثرت الهموم في أولاده وتصير عاقبتها إلى الفرح والراحة * وأنشدنا في هذا المعنى أبو عوانة المهرجاني

يقولون إن الدهر يومان كله * فيوم محبات ويوم مكاره
وما صدقوا فالدهر يوم محبة * وأيام مكروه كثير البدائه

وأنشدني ابن الأعرابي فقال

محن الزمان كثيرة لا تنقضي * وسروره يأتيك بالفلتات

وأنشدني أبو بكر الصولي لابن المعتز

أي شيء يكون أعجب من ذا * لو تفكرت في صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا * والبلايا تكال بالقفزان

((الباب الثالث في صفة نفخ الروح))

قال العلماء فلما أراد الله أن ينفخ في آدم عليه السلام الروح أمرها أن تدخل في فيه فقالت الروح مدخل بعيد القعر مظلم المدخل فقال للروح ثانية فقالت مثل ذلك وكذلك ثالثة إلى أن قال في الرابعة ادخلي كرها واخرجي كرها فلما أمرها الله تعالى بذلك دخلت في فيه فأول ما نفخ فيه الروح دخلت دماغه فاستدارت فيه مقدار مائتي عام ثم نزلت في عينيه * والحكمة في ذلك أن الله تعالى أراد أن يري آدم بدء خلقه وأصله حتى إذا تتابعت عليه الكرامات لا يدخله الزهو ولا العجب بنفسه ثم نزلت في خياشيمه فعطس ففي فراغه من عطاسه نزلت الروح إلى فيه ولسانه فلقنه الله تعالى أن قال الحمد لله رب العالمين فكان ذلك أول ما جرى على لسانه فأجابه ربه عز وجل فقال يرحمك ربك يا آدم للرحمة خلقتك قال تعالى سبقت رحمتي غضبي ثم نزلت الروح إلى صدره وشراسيفه فأخذ يعالج القيام فلم يمكنه ذلك وذلك قوله تعالى وكان الإنسان عجولا وقوله تعالى خلق الإنسان من عجل فلما وصلت الروح إلى جوفه اشتهى الطعام فهو أول حرص دخل جوف آدم عليه الصلاة والسلام (وفي) بعض الأخبار أن آدم عليه السلام لما قال له ربه يرحمك ربك يا آدم مد يده ووضعها على أم رأسه وقال أوه فقال الله ما لك يا آدم فقال إني أذنبت ذنبا فقال من أين علمت ذلك فقال لأن الرحمة للمذنبين فصارت تلك سنة في أولاده إذا أصاب أحدهم مصيبة أو محنة وضع يده على رأسه وتأوه ثم انتشرت الروح في جسده كله فصار لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا ثم كساه الله تعالى لباسا من ظفر وجعل يزداد كل يوم حسنا فلما قارف الذنب بدل بهذا الجلد وبقيت منه بقية في أنامله ليتذكر به أول حاله (قال عبد الله بن الحرث) كانت الدواب تتكلم قبل خلق الله تعالى آدم عليه السلام وكان النسر يأتي الحوت في البحر فيخبره بما في البر ويخبره الحوت بما في البحر فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام جاء النسر إلى الحوت وقال لقد خلق الله اليوم خلقا ورأيت اليوم شيئا لينزلني من وكري وليخرجنك من البحر فلما أتم الله خلق آدم عليه الصلاة والسلام ونفخ فيه الروح قرطه وشنفه وصوره وختمه ومنطقه وألبسه من لباس الجنة وزينه بأنواع الزينة يخرج من ثناياه نور كشعاع الشمس

الشوق ... صمت ... السري لأجل ... الله سبحانه وتعالى بعث لك من يوصلك إلى الحج في هذه الساعة قال السري فقلت كيف يكون ذلك وقد بقي أيام قلائل وأنا مقيم ببيت المقدس بعيد عن مكة فقال الهاتف ثانيا لا تخف فإن الملك القدير يسهل عليك العسير قال السري فسجدت شكرا لله عز وجل ثم جلست أرتقب صدق الهاتف فبينما أنا كذلك إذا أنا بأربعة شبان قد دخلوا من باب المسجد كأن الشمس تشرق من وجوههم والنور يلمع من من جباههم يقدمهم شاب عليه هيبة وجلالة وهم يمشون خلفه وعليهم لباس الشعر وفي أرجلهم نعال الخوص فدنوا من الصخرة ودعوا الله عز وجل فامتلأ المسجد من أنوارهم نورا قال السري فقمت إليهم وقلت لعل هؤلاء يكونون هم الذين وعدني ربي بهم ورزقني صحبتهم قال السري فدخلوا القبة والشاب قائم يناجي ربه ثم صلى كل منهم ركعتين قال فدنوت من الشاب لأسمع كلامه ومناجاته فبكى وكبر وصلى صلاة سلبت فؤادي فلما فرغ من صلاته جلس وجلست الثلاثة بين يديه قال السري

وروينا ان محمدا صلى الله عليه وسلم فى سيدة كانحس ليلة القدر ثم رفعه على سرير وحمله على اكتاف
الملائكة وقال لهم طوفوا به فى السموات لترى عجائبها ولتعلموا فضله بما قالت الملائكة سبحانك لا علم لنا
وأطعنا فحملته الملائكة على أعناقهم وطافت به السموات مقدار مائة عام حتى وقف على كل شئ من آياتها
وعجائبها ثم خلق الله فرسا من المسك الاذفر يقال له الميمون له جناحان من الدر والجوهر فركبه آدم عليه
الصلاة والسلام وجبريل آخذ بلجامه وميكائيل عن يمينه واسرافيل عن شماله فطافوا به السموات كلها
وهو يقول السلام عليكم يا ملائكة الله فيقولون وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال الله تعالى يا آدم
هذه تحيتك وتحية المؤمنين من ذريتك فيما بينهم الى يوم القيامة ثم علمه الله تعالى الاسماء كلها (واختلف)
العلماء فى هذه الاسماء فقال الربيع بن أنس أسماء الملائكة كلهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أسماء
ذريته وقال ابن عباس وأكثر الناس علمه اسم كل شئ حتى القصعة والقصيعة ثم أمر الله الملائكة
بالسجود له كما قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وأكثر العلماء على ان
الامر بالسجود لآدم انما توجه على الملائكة الذين كانوا مع ابليس خاصة دون سائر الملائكة وكان ذلك
سجود تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة فلما أمرهم بالسجود سجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من
الكافرين

((الباب الرابع فى صفة خلق حواء عليها السلام))

قال المفسرون لما أسكن الله تعالى آدم الجنة كان يمشى فيها وحشا لم يكن له من يجالسه ويؤانسه فألقى
الله تعالى عليه النوم فنام فأخذ الله ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر يقال له القصيرى فخلق منه حواء
من غير ان أحس آدم بذلك ولا وجد له ألما ولو ألم آدم من ذلك لما عطف رجل على امرأة ثم ألبسها من
لباس الجنة وزينها بأنواع الزينة وأجلسها عند رأسه فلما هب آدم من نومه رآها قاعدة عند رأسه
فقالت الملائكة لآدم يمتحنون علمه ما هذه يا آدم قال امرأة قالوا وما اسمها قال حواء قالوا صدقت ولم
سميت حواء بذلك قال لانها خلقت من شئ حى قالوا ولماذا خلقها الله تعالى قال لتسكن الى وأسكن اليها
وذلك قوله تعالى هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها قال النبى صلى الله
عليه وسلم خلقت المرأة من ضلع أعوج فان تقمها تكسرها وان تتركها تستمتع بها على عوجها (وقيل)
الحكمة فى أن الرجال يزيدون على مرور الايام والاعوام حسنا وجمالا لانهم خلقوا من التراب والطين
يزداد كل يوم جدة وجمالا والنساء يزددن على مرور الايام قبحا لانهن خلقن من اللحم واللحم يزداد على
مرور الايام فسادا (وفى) بعض الاخبار ان آدم عليه السلام لما رأى حواء مد يده اليها فقالت الملائكة
مه يا آدم فقال ولم وقد خلقها الله تعالى لى فقالت الملائكة حتى تؤدى مهرها قال وما مهرها قالوا ان تصلى
على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال ومن محمد قالوا آخر الانبياء من ولدك ولولا محمد ما خلقت
(وروى) سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله أن يخلق
جارية بعث اليها ملكين أصفرين مكللين بالدر والياقوت فيضع أحدهما يده على رأسها ويضع الآخر
يده على رجلها ويقولان بسم ربنا وربك الله ضعيفة خلقت من ضعيفة المنفق عليها معان الى يوم القيامة

((الباب الخامس فى ذكر امتحان الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام وما كان منه فى ذلك))

قال أهل التاريخ لما أسكن الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام الجنة أباح لهما نعيم الجنة كلها الا شجرة
واحدة وذلك قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة الى قوله فتكونا من الظالمين (واختلفوا)
فى هذه الشجرة التى هى شجرة المحنة ما هى فقال على رضى الله عنه هى شجرة الكافور وقال قتادة هى
شجرة العلم وفيها من كل شئ علامة وقال محمد بن كعب ومقاتل هى السنبلة وقيل هى الحنطة وقيل هى
الكرمة فوسوس لهما الشيطان حتى زين لهما الشجرة فأكلا منها فهما رجماء عن أكله من ثمرة تلك
الشجرة وحسن لهما معصية الله تعالى فى ذلك حتى أكلا منها وكان وصول عدو الله ابليس اليهما وتزيينه
ذلك لهما على ما ذكره أصحاب الاخبار أن ابليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فمنعه

ذو ... وطلب ... فقال الشاب وعليك السلام يا سرى يا أخا الجنيد الهاتف الذى هتف بك البارحة وبشرك أن لا يفوتك الحج فى هذه السنة قال السرى فكدت أن أصعق وامتلأ قلبى فرحا وسرورا ثم قلت نعم يا سيدى هتف بى الهاتف قبل ورودكم بساعة فقال الشاب يا سرى كنا قبل أن يهتف بك الهاتف فى بلاد خراسان قاصدين بغداد فقضينا حوائجنا وعزمنا على التوجه الى بيت الله الحرام فأحببنا زيارة قبور الانبياء بالشام ثم بعد ذلك نقصد مكة شرفها الله تعالى وعظمها وقد قضينا حقوقهم وزيارتهم وأتينا الى هنا نزور بيت المقدس قال السرى فقلت له يا سيدى وما كنت تصنع بخراسان قال لاجل الاجتماع بابراهيم بن أدهم ومعروف الكرخى اخواننا فخرجنا جميعا نقصد مكة فجئت الى بيت المقدس وذهبا هما من طريق البادية الى مكة قال السرى فقلت يرحمك الله ان من خراسان الى بيت المقدس مسيرة سنة فقال يا سرى لو كانت الطريق ألف سنة العبيد عبيده والارض أرضه والزيارة لبيته والقصد اليه والبلاغ عليه والقوة والقدرة له

الطريق من ذلك فأتى الحية وكانت من أحسن الدواب التي خلقها الله تعالى لها أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة وكانت لابليس صديقة فسألها أن تدخله الجنة في فمها فأدخلته على [illegible] على الخزنة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة وكان قد دخل مع آدم الجنة لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم والكرامة فقال طيب لو كان خلدا فاغتنم ذلك الشيطان منه فأتاه من قبل الخلد وقيل ان ابليس لما سمع بدخول آدم الجنة حسده وقال يا ويلاه أنا أعبد الله منذ كذا وكذا ألف سنة ولم يدخلني الجنة وهذا خلق خلقه الله تعالى الآن فأدخله الجنة فاحتال في اخراج آدم عليه السلام من الجنة فوقف على باب الجنة وبعد ثلثمائة سنة هنالك حتى اشتهر بالعبادة وعرفوه بها وهو في كل ذلك ينتظر خروج خارج من الجنة يتوصل به الى آدم فمكث على باب الجنة ثلثمائة سنة لا يأذن الله تعالى في خروج خلق منها فبينما هو كذلك اذ خرج اليه الطاوس وكان سيد طيور الجنة فلما رآه ابليس قال له أيها الخلق الكريم من أنت وما اسمك فما رأيت من خلق الله أحسن منك قال أنا طائر من طيور الجنة اسمي طاوس فبكى ابليس فقال له الطاوس من أنت وما يبكيك فقال له ابليس أنا ملك من الملائكة الكروبيين وانما بكيت تأسفا على ما يفوتك من حسنك وكمال خلقتك فقال له الطاوس أيفوتني ما أنا فيه قال بلى وانك تفنى وتبيد وكل الخلائق يبيدون الا من تناول من شجرة الخلد فانهم الخالدون من تلك الخلائق فقال الطاوس وأين تلك الشجرة قال ابليس هي في الجنة قال الطاوس ومن يدلنا بمكانها قال ابليس أنا أدلك عليها بأن أدخلتني الجنة قال الطاوس كيف لي بادخالك الجنة ولا سبيل الى ذلك لمكان رضوان فانه لا يدخل الجنة أحد ولا يخرج منها أحد الا باذنه ولكني سأدلك على خلق من خلق الله تعالى يدخلكها فانه ان قدر على ذلك أحد فهو هو دون غيره فانه خادم خليفة الله تعالى آدم قال ومن هو قال الحية قال له ابليس فبادر اليها فان لها فيه سعادة الابد لعلها تقدر على ذلك فجاء الطاوس الى الحية وأخبرها بمكان ابليس وما سمع منه وقال اني رأيت بباب الجنة ملكا من الكروبيين من صفته كيت وكيت فهل لك أن تدخليه الجنة ليدلنا على شجرة الخلد فأسرعت الحية نحوه فلما جاءته قال لها ابليس نحوا من مقالته للطاوس فقالت كيف لي بادخالك الجنة ورضوان اذا رآك لم يمكنك من دخولها فقال لها أتحول ريحا فتجعليني بين أنيابك قالت نعم فتحول ابليس لعنه الله ريحا ودخل في فم الحية فأدخلته الجنة فلما دخل ابليس الجنة أراها الشجرة التي نهى الله تعالى عنها آدم وجاء حتى وقف بين يدي آدم وحواء عليهما السلام وهما لا يعلمان أنه ابليس فناح عليهما نياحة أحزنتهما فبكيا وكان أول من ناح فقالا له ما يبكيك فقال أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعيم والكرامة فوقع ذلك في أنفسهما واغتما لذلك وبكى ابليس ومضى ثم ان ابليس أتاهما بعد ذلك وقد أثر قوله فيهما فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى قال نعم قال كل من هذه الشجرة شجرة الحنطة فقال نهاني ربي عنها فقال ابليس ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فأبى أن يقبل منه فأقسم لهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاغترا بذلك وما كانا يظنان أن أحدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم زينت لآدم حتى أكلها (روى) محمد بن اسحق عن يزيد ابن عبد الله بن قسيط قال سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت أبي يقول سمعت جدي يقول سمعت سعيد بن المسيب يحلف بالله ولا يستثني ان آدم ما أكل من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى اذا سكر قادته اليها فأكل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر مجمع الخبائث وأم الذنوب ويقال لما قال الله تعالى لآدم وحواء لا تقربا هذه الشجرة قالا نعم لا نقربها ولا نأكل منها ولم يستثنيا في قولهما بمشيئة الله تعالى فوكلهما الله تعالى الى أنفسهما حتى أكلا المنهي عنها * وقال سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت ابراهيم بن الاشعث يقول سمعت ابراهيم بن أدهم يقول لقد أورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا (وقال) الشبلي أول لمن دردي هذا أبونا آدم باع ربه بكف من حنطة فلما أكل من الشجرة المنهي عنها ابتلاه الله بعشرة أشياء (الاولى) معاتبته اياهما على ذلك بقوله ألم أنهكما عن تلكما الشجرة

واقل

[illegible] والاذ وارادته وأنا كانت الشمس وهي جماد لا ثواب عليها ولا عقاب تقطع من المشرق الى المغرب في يوم واحد فليس ببعيد أن يبلغ عبد من عبيده من خراسان الى بيت المقدس في ساعة واحدة فان الله تعالى له القدرة وخرق العوائد لمن يحب ويختار ثم قال يا سري عليك بعز الدنيا والآخرة واياك أن تصل الى ذل الدنيا والآخرة فقلت له ياسيدي أرشدني الى عز الدنيا والآخرة يرحمك الله تعالى فقال من أراد غنى بلا مال وعلما بلا تعلم وعزا بلا عشيرة فليخرج حب الدنيا من قلبه ولا يركن اليها ولا يطمئن قلبه لها قال السري فقلت له ياسيدي بالذي خصك بأنواره وأطلعك على أسراره أين تقصد قال الحج الى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام فقلت له والله لا أفارقكم فان فراقكم على أشد من فراق الروح للجسد فقال بسم الله وخرج فخرجت معهم من بيت المقدس فلم نزل نسير حتى قال ياسري هذا وقت الظهر فما تصلي فقلت بلى

وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين (والثانية) [illegible]
ثم انه [illegible] كان عليهما من اللباس [illegible] آدم [illegible] في الجنة [illegible]
[illegible] يا آدم قال لي يارب ولكن [illegible] بذلك [illegible] بالقصر [illegible] يوم
القيامة (ويروى) ان آدم لما بدت سوأته وظهرت عورته طاف باشجار الجنة يسأل منها ورقة يغطي
بها عورته فزجرته أشجار الجنة حتى رحمته شجرة التين فاعطته ورقة فطفقا يعني آدم وحواء يخصفان
عليهما من ورق الجنة فكافأ الله التين بأن سوى ظاهره وباطنه في الحلاوة والمنفعة وأطعمه الله ثمرتين
في كل عام (والثالثة) أوهن جلده وصيره مظلما بعد ان كان جلده كله كالظفر وأبقى عليه من ذلك قدرا
يسيرا على أنامله ليتذكر بذلك أول حاله (والرابعة) أخرجه من جواره ونودى انه لا ينبغي أن يجاورني
من عصاني فذلك قوله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر الآية يعني آدم وحواء
وابليس والحية والطاوس فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند وقيل على جبل من أرض الهند يقال له
نود وقيل بواسم وحواء بجدة بلد من أرض الحجاز وابليس بالابلة من أرض العراق وهي بالبصرة وقيل ميشان
والحية باصبهان والطاوس بأرض بابل * ويقال ان الحكمة في اخراج آدم من الجنة أنه كان في صلبه من
لا يستحق الولاية ولا يصلح لحظيرة القدس فاذا أخرجهم من صلبه أعاده الله اليها خالدا فيها ويقال ان الله
تعالى أخرج آدم من الجنة قبل ان يدخله فيها وذلك قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة ولم يقل في الجنة
* أخبرني نافل بن أدهم بن أحمد باسناده عن عثمان بن عليه قال سمعت الوضين بن عطاء يذكر ان آدم
قال كنا نسلا من نسل الجنة فسبانا ابليس بالخطيئة الى الارض فلا ينبغي لنا الفرح في الدنيا ولكن الحزن
والبكاء ما دمنا في دار السبا حتى نرد الى الدار التي سبينا منها وقال الشاعر

يا ناظرا يرنو بعيني راقد * ومشاهد الايام غير مشاهد
منتك نفسك ضلة فأجبتها * سبل الرجاء وهن غير قواصد
تصل الذنوب الى الذنوب وترتجي * درج الجنان بها وفوز العابد
ونسيت ان الله أخرج آدما * منها الى الدنيا بذنب واحد

(والخامسة) الفرقة فرق بينه وبين حواء مائة سنة هذا بالهند وهذه بجدة فجاء كل واحد منهما يطلب
صاحبه حتى قرب أحدهما من صاحبه فازدلفا فسميت المزدلفة واجتمعا بجمع فسمي جمعا وتعارفا بعرفة
في يوم عرفة فسمي الموضع عرفات واليوم عرفة (السادسة) العداوة التي بينهم العداوة والبغضاء كما قال
الله تعالى بعضكم لبعض عدو فالانسان عدو الحية يشدخ رأسها حيث رآها والطاوس عدوه والحية
عدوته تلدغه اذا أمكنها وابليس عدولهم جميعا وفيه اشارة الى ان الاحباب اذا اجتمعوا وتعاونوا على
معصية أعقبت معصيتهم عداوة كما قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
(والسابعة) النداء عليهم باسم العصيان فقال تعالى وعصى آدم ربه فغوى (وروى) ان ابراهيم عليه
السلام تفكر ذات ليلة من الليالي في أمر آدم فقال يارب خلقت آدم بيدك ونفخت فيه من روحك
وأسجدت له ملائكتك وأسكنته جنتك بلا عمل ثم بزلة واحدة ناديت عليه بالمعصية وأخرجته من
جوارك من الجنة فأوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب أمر شديد
(والثامنة) تسليط العدو على أولاده وهو قوله تعالى وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم الآية
(والتاسعة) جعل الدنيا سجنا له ولأولاده وابتلاهم بهواء الدنيا ومقاساة البرد والحر فيها ولم يكن له بهما
عهد لتعود هواء الجنة وهو كما قال الله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الجنة سجسج لا حر فيها ولا قر (العاشرة) التعب والشقاء وذلك قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك
فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فهو أول خلق عرق جبينه من التعب والنصب
((فصل)) وابتليت حواء وبناتها بهذه الخصال وبخمس عشرة خصلة سواهن الاولى الحيض روى أنها

لما تناولت الشجرة دميت الشجرة قال الله تعالى ان لك على أن أدميك أنت وبناتك في كل شهر مرة كما أدميت هذه الشجرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحيض ان هذا شئ كتبه الله تعالى على بنات آدم (الثانية) ثقل الحمل (الثالثة) الطلق وألم الوضع قال الله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها وفي الخبر لولا الزلة التي أصابت حواء كان النساء لم يحضن ولكن حليمات وكن يحملن يسرا ويضعن يسرا (الرابعة) نقصان دينها (الخامسة) نقصان عقلها عن أبي سعيد في حديث ذكره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم من احداكن فقلن له وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله قال أليس شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل فذلك نقصان عقلها أوليس اذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم قلن بلى قال فذلك نقصان دينها (السادسة) أن ميراثها على النصف من ميراث الرجل قال الله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين (السابعة) تخصيصهن بالعدة (الثامنة) جعلهن تحت أيدي الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم (التاسعة) ليس لهن من الطلاق شئ ولا عليكن ذلك وانما هو للرجال (العاشرة) حرمن الجهاد (الحادية عشر) ليس منهن نبي (الثانية عشرة) ليس منهن سلطان ولا حاكم (الثالثة عشرة) لا تسافر احداهن الا مع ذي رحم محرم (الرابعة عشرة) لا تنعقد بهن الجمعة (الخامسة عشرة) لا يسلم عليهن وعاقب ابليس لعنه الله تعالى بعشرة أشياء (أولها) عزله عن الولاية وكان له ملك الارض وملك سماء الدنيا وكان خازن الجنة (الثانية) أخرجه من جواره وأهبطه الى الارض (الثالثة) مسخ الله صورته فصيره شيطانا بعدما كان ملكا (الرابعة) غير اسمه وكان اسمه عزازيل فسماه ابليس لانه أبلس من رحمة الله تعالى (الخامسة) جعله امام الاشقياء (السادسة) لعنه الله (السابعة) نزع منه المعرفة (الثامنة) أغلق عنه باب التوبة (التاسعة) جعله مريدا أي خاليا من الخير والرحمة (العاشرة) جعله خطيب أهل النار وعاقب الحية بخمسة أشياء قطع قوائمها وأمشاها على بطنها ومسخ صورتها بعد ان كانت أحسن الدواب وجعل غذاءها التراب وجعلها تموت كل سنة بالشتاء وجعلها عدوة بني آدم وهم أعداؤها حيثما رأوها يقتلونها وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها في الصلاة وفي حال الاحرام * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سالمناهن منذ حاربناهن من ترك شيأ منهن خيفة منه فليس مني يعني الحيات أخبرنا ابن (١) قال حدثنا عبد الله بن يونس قال أخبرنا داود عن محمد عن أبي الاعين العبدي عن أبي الاحوص الحسني قال بينما ابن مسعود يخطب ذات يوم فاذا هو بحية تمشي على الجدار فقطع خطبته ثم ضربها بقضيب حتى قتلها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قتل حية فكانما قتل رجلا مشركا قد حل دمه

《الباب السادس في حال آدم بعد هبوطه الى الارض وما كان منه》

قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أهبط آدم الى الارض على جبل سرنديب ويذكر أن ذروته أقرب من ذرا جبال الارض الى السماء وكانت رجل آدم على الجبل ورأسه في السماء يسمع دعاء الملائكة وتسبيحهم وكان آدم يأنس بذلك فهابته الملائكة واشتكت الى ربها فحطت قامته الى ستين ذراعا وكان قبل ذلك يمس رأسه السحاب فصلع وأحد أولاده الصلع فلما نقص من قامته ذلك قال رب كنت جارك في دارك ليس لي رب غيرك ولا رقيب دونك آكل فيها رغدا وأسكن حيث أحببت فأهبطتني الى هذا الجبل وكنت أسمع أصوات الملائكة وأراهم كيف يحفون بعرشك وأجد ريح الجنة وطيبها ثم أهبطتني الى الارض وحططتني الى ستين ذراعا فقد انقطع عني الصوت والنظر وذهبت عني رائحة الجنة فأجابه الله تعالى بمعصيتك يا آدم فعل ذلك بك فقال آدم ذلك بك يا رب * وقال وهب بن منبه لما أهبط الله آدم من الجنة واستقر جالسا على الارض عطس عطسة فسال أنفه دما فلما رأى سيلان الدم من أنفه ولم يكن رأى قبل ذلك دما هاله ما رأى ولم تشرب الارض الدم فاسود على وجهها كالحمم ففزع آدم من ذلك فزعا شديدا فذكر الجنة وما كان من الراحة فخر مغشيا عليه وبكى أربعين عاما فبعث الله اليه ملكا فمسح ظهره وبطنه وجعل يده على

على الخلفاء أجمعين رضي الله عنهم أجمعين 《وحكي عن عثمان الجرجاني رضي الله عنه》 قال خرجت يوما من الكوفة أريد البصرة فرأيت في الطريق امرأة عجوزا عليها جبة من صوف وخمار من شعر وهي تمشي وتقول الهي ما أبعد الطريق على من لم تكن له دليلا وما أوحش الطريق على من لم تكن له أنيسا قال عثمان فدنوت منها وسلمت عليها فردت علي السلام وقالت من أنت يرحمك الله فقلت لها عثمان الجرجاني فقالت حياك الله يا عثمان أين تريد فقلت أريد البصرة لحاجة فقالت يا عثمان هلا أعلمت صاحب الحاجة بحاجتك لا يتعبك فقلت لست بيني وبينه تلك المعرفة فقالت وما الذي قطعك عن معرفته قلت كثرة الذنوب فقالت والله لئن ما صحبت أمر الله لو وصلت حبلك بحبله لتمسكت منه بأقوى سبب ولقضى حوائجك من غير تعب قال عثمان فلما سمعت قولها بكيت وقلت لها أريد منك الدعاء فقالت أعانك الله على طاعته وجنبك معصيته قال فلما عزمت على الانصراف أخرجت من جيبي دراهم كانت معي فقدمتها اليها

فؤادي فذهب عنه الحزن والغشي فاسترابح مما كان يجده من الغم * وقال شهر بن حوشب بلغني ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى * وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بكى آدم وحواء على مافاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين سنة ولم يقرب آدم حواء مائة سنة فلما أراد الله تعالى أن يرحم عبده آدم لقنه كلمات كانت سبب قبول توبته كما قال تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه الآية * واختلفوا في تلك الكلمات ماهي فقال ابن عباس هي أن آدم عليه السلام قال يارب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال ألم تنفخ في من روحك قال بلى قال ألم تسبق لي رحمتك قبل غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال فلم أخرجتني منها قال لشؤم معصيتك قال أي رب أرأيت ان أنا تبت وأصلحت ترجعني الى الجنة فهي الكلمات * وقال عبد الله بن عمر ان آدم قال يارب أرأيت ما أتيته شئ ابتدعته من تلقاء نفسي أو شئ قدرته على قبل أن تخلقني بيدك قال لا بل شئ قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته علي فاغفر لي * وقال محمد بن كعب القرظي هي قول لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسي فتب على انك أنت التواب الرحيم لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي انك أنت الغفور الرحيم لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي فارحمني انك أنت أرحم الراحمين * وقال سعيد بن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة هي قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية ثم أنزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة ووضعها موضع البيت على قدر الكعبة لها بابان باب شرقي وباب غربي وفيها قناديل من نور ثم أوحى الله تعالى الى آدم ان لي حرما بحيال عرشي فأته فطف به كما يطاف حول عرشي وصل عنده كما يصلى عند عرشي فهنالك أستجيب دعاءك فانطلق آدم من أرض الهند الى أرض مكة لزيارة البيت وقيض الله له ملكا يرشده فكان كل موضع يضع عليه قدمه عمرانا وما تعداه مفاوز وقفارا فلما وقف بعرفات وكانت حواء طلبته وقصدته من جدة فالتقيا بعرفات يوم عرفة فسمي ذلك الموضع عرفات فلما انصرفا الى منى قيل لآدم تمن فقال أتمنى المغفرة والرحمة فسمي ذلك الموضع منى وغفر ذنبهما وقبل توبتهما ثم انصرفا الى أرض الهند قال مجاهد حدثني ابن عباس أن آدم حج من أرض الهند أربعين حجة على رجليه فقيل لمجاهد يا أبا الحجاج الا كان يركب قال وأي شئ كان يحمله فوالله ان خطوته لمسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عمر لما حج آدم عليه السلام البيت وقضى المناسك كلها تلقته الملائكة يهنؤنه بالحج وقبول التوبة فقالوا برحجك يا آدم فداخله من ذلك شئ فلما رأت الملائكة منه ذلك قالوا يا آدم انا قد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام فتقاصرت الى آدم نفسه (وقال) أبو العالية خرج آدم من الجنة ومعه عصا من شجرة الجنة وعلى رأسه تاج من شجر الجنة فلما صار الى الارض يبس ذلك الاكليل وتحات الورق فنبت منه أنواع الطيب فلذلك كان أصل كل طيب بالهند (وقال) ابن عباس رضي الله عنهما نزل آدم من الجنة ومعه طيب فزرع آدم شجر الهند في أوديتها وكان أصله من الجنة فامتلأ ماهنالك طيبا فمن ثم يؤتى بالطيب من الهند وأصله من ريح آدم عليه السلام وريحه من ريح الجنة وأنزل الله معه الحجر الاسود وكان أشد بياضا من الثلج وعصا موسى عليه السلام وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى وقيل كانت من اللبان (وروى) سفيان عن منصور بن معمر عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما أهبط آدم من الجنة الى أرض الهند وعليه ذلك الورق الذي كان لباسه من الجنة فيبس وتطاير بأرض الهند فعبق شجر العود والصندل والمسك والعنبر والكافور من ذلك الورق فقالوا يارسول الله المسك هو من الدواب أم من الشجر قال أجل انما هي دابة تشبه الغزال رعت من ذلك الشجر فصير الله المسك في سرتها فاذا رعت الربيع جعله الله مسكا وتساقط وينتفع به الآدميون قالوا يارسول الله فأين يقع قال قال لي جبريل في ثلاث كور لا يكون في شئ من الارض الا فيها أرض الهند وأرض السعدي وأرض التبت قالوا يارسول الله العنبر انما هي دابة في البحر قال أجل كانت هذه الدابة بأرض الهند ترعى في البر فبعث الله اليها جبريل عليه السلام فساقها وما معها فقذفها

وبينها وقلت خذي هذه النفقة لتستعيني بها على حالك فقالت ياعثمان من أين لك هذه الدراهم فقلت لها اني رجل أصعد الى الجبل واحتطب منه حطبا وأحمله على رأسي وأبيعه في أسواق المسلمين وأنفق ثمنه فقالت نعم الكسب الحلال أحل ما أكل المرء من كسب يمينه ولكن ياعثمان لو صححت معاملة ذي الجلال واتكلت عليه حق الاتكال لكفاك حمل الاحطاب من رؤس الجبال ثم قالت ياعثمان أريد أن أريك كيف صححت معاملتي مع سيدي وصدق التوكل عليه فقلت بلى فبسطت يديها وهمهمت بشفتيها فاذا يداها مملوءتان دنانير فقالت خذ هذه أنت ياعثمان فوالله ماطبع عليها اسم ملك ولا سلطان واعلم أنك لو أحببت مولاك لاغناك عن الخلق وكفاك ثم غابت عني فلم أرها نفعنا الله تعالى بها آمين (وحكي عن بعض الصالحين رضي الله تعالى عنه أنه قال) * كنت ملاحا بنيل مصر أعدي من الجانب الشرقي الى الجانب الغربي فبينما أنا يوما من الايام جالس في الزورق اذا أنا بشيخ ذي وجه مشرق قد أقبل علي وسلم علي وقال

في البحر وهي أعظم ما تكون من الدواب غلظها ألف ذراع وأنما ترى كأنها في البحر أخشاب فاقربها يخرج من جوفها العنبرة وزنها ألف رطل وخمسمائة رطل ونحو ذلك ثم ان آدم وجد ضربانا في رأسه وجسده فشكا ذلك الى الله تعالى فنزل عليه جبريل بشجرة الزيتون فأمره أن يأخذ ثمرها ويعصره فقال ان في هذه الشجرة شفاء من كل داء الا السام ونزل جبريل عليه السلام على شجرة الاهليلج الابيض والاسود والاصفر فقال له ان ربك يقرئك السلام ويقول لك كل من هذه فانك لن تتداوى أنت وذريتك بدواء أفضل منها فيها شفاء من كل داء ان بقي في جوفك لم تخف منه وان خرج أخرج الداء كله وأبرأه فأكله آدم فبرئ (قال) أهل الاخبار ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض وأصاب جسده أذى الهواء وأحس به شكى وحشة بجسده وكان قد اعتاد هواء الجنة فشكا ذلك الى جبريل فقال انك تشكو العرى فأنزل الله عليه ثمانية أزواج المذكورة في سورة الانعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ثم أمره أن يذبح كبشا منها فذبحه ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه آدم فجعل منه جبة لنفسه وجعل لحواء درعا وخمارا فلبساه وبكيا على ما فاتهما من لباس الجنة فحواء أول من غزلت وآدم أول من نسج ولبس الصوف (عن) ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما تقول في حرفتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما حرفتك فقال أنا رجل حائك قال حرفتك حرفة أبينا آدم عليه السلام وكان أول من نسج آدم وكان جبريل يعلمه وآدم تلميذه ثلاثة أيام وان الله عز وجل يحب حرفتك فانها حرفة يحتاج اليها الاحياء والاموات فمن قال منكم القبيح فأبونا آدم خصمه ومن أنف منكم فقد أنف من آدم ومن لعنكم فقد لعن آدم ومن آذاكم فقد آذى آدم وهو خصمه يوم القيامة ولا تخافوا وأبشروا فان حرفتكم حرفة مباركة ويكون آدم قائدكم الى الجنة (وعن) أبي أمامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بلباس الصوف تجدون قلة الاكل عليكم بلباس الصوف تعرفون به في الآخرة وان النظر في الصوف ليورث القلب التفكر والتفكر يورث الحكمة والحكمة تجري في الجوف مجرى الدم فمن كثر تفكره قل طعمه وكل من قل تفكره كثر طعمه وعظم بدنه وقسا قلبه والقلب القاسي بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار قالوا ثم ان آدم عليه الصلاة والسلام بعد ستر عورته اشتكى فقال له جبريل ما الذي أصابك فقال أجد في نفسي قلقا واضطرابا لا أجد الى العبادة منه سبيلا وانى أجد بين جلدي ولحمي دبيبا كدبيب النمل فقال له جبريل ذلك يسمى الجوع قال وكيف الخلاص من ذلك قال سوف أهديك الى ذلك فغاب عنه ثم جاءه بثورين أحمرين والعلاة يعني السندان والمطرقة والمنفخة والكلبتين ثم جاءه بشرر من جهنم فوقع في يد آدم فطارت منه شرارة ووقعت في البحر فحمل جبريل الجمرة التي بها وغمسها الى آدم فطارت منه أيضا حتى فعل ذلك سبع مرات فذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ان ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم بعد ان غسلت بالماء سبع مرات فلما جاء بها في الثامنة نطقت النار وقالت يا آدم اني لا أطيعك واني منتقمة من عصاة أولادك يوم القيامة فقال جبريل يا آدم انها لن تطيعك ولكني أسخرها لك ولا أولادك ليكون لك ولأولادك فيها المنافع فسخرها في الحجر والحديد فذلك قوله تعالى أفرأيتم النار التي تورون أأنتم الآية ويروى ان آدم لما أخذ الجمرة امتدت يده فخلى عنها فقال لجبريل ما لها تحرق يدي ولا تحرق يدك قال لانك عصيت الله واني لم أعصه ثم أمره جبريل باتخاذ آلة الحرث فهو أول من عمل الحديد ثم أتاه بصرة من حنطة فيها ثلاث حبات من الحنطة فقال يا آدم لك حبتان ولحواء حبة فلذلك صار للذكر مثل حظ الانثيين وكان وزن الحبة مائة ألف درهم وثمانين ألف درهم فقال آدم ما أصنع بهذا كله فقال يا آدم خذها فانها سبب سد جوعتك وهي أخرجت من الجنة وبها تحيا في الدنيا وبها تلقى الفتنة أنت وأولادك الى أن تقوم الساعة ثم أمره أن يشد الثورين ويكسر من الخشب ويصعد عليهما ففعل ذلك وجعل يحرث الارض عليهما فهو أول من حرث الارض وبكى الثوران على ما فاتهما من راحات الجنة فقطرت دموعهما على الارض فنبت

فصلي فقلت ثم قال ثانيا وأطعمني فقلت ثم قطع الرزق فسددته الى الجانب الغربي وكان عليه مرقعة وبيده عصا وركوة فلما نزل قال أريد أن أحملك أمانة قلت وما هي فقال اذا كان في غد عند الظهر تجدني ميتا تحت تلك الشجرة فغسلني وكفني في الكفن الذي تجده تحت رأسي وصل علي وادفني تحت تلك الشجرة فان قبري بها فاذا فرغت من أمري خذ هذه المرقعة والركوة والعصا فاذا جاءك من يطلبهم فادفعهم اليه قال فتعجبت منه ثم تركني ومضى فبت تلك الليلة متفكرا فلما أصبحت انتظرت الوقت الذي قال عليه الشيخ فلما جاء وقت الظهر نسيت فما ألهمت الا قريب العصر فسرت اليه مسرعا فوجدته تحت الشجرة ميتا ووجدت كفنا تحت رأسه تفوح منه رائحة المسك فقال فغسلته وكفنته فيه وصليت عليه وحفرت تحت الشجرة فوجدت قبرا مبنيا فجعلته فيه ثم عدت الى موضعي ليلا والمرقعة والركوة والعصا معي فلما طلع الفجر وبان الجو اذا أنا بشاب قد أقبل فحددت النظر اليه فعرفته وكان من

منها الماء ودرى وبالاقليم منه الحمص ووراء فأنبتت منه العدس ثم كسر جبريل تلك الحبوب حتى كسرها ثم
بذرها فنبتت من ساعته فقال آدم عليه الصلاة والسلام آكله فقال لا اصبر حتى يدرك فلما استنبل وأدرك
قال آكله قال لا وعليه الحصاد فلما حصد قال آكله قال لا وعليه الدياس فلما داس قال آكله قال لا وعليه
التنقية فلما نقاه قال آكله قال لا وعليه الطحن بحجرين وعليه الطحن فلما طحنه قال آكله قال لا وعليه العجن
ويقال ان آدم عليه الصلاة والسلام لما نخل دقيقه وأمره جبريل ان يبث النخالة في الارض المستحصدة
فنبت فيها الشعير فلما عجن قال آكله قال لا فأمره أن يحفر حفيرة ويضع الحطب فيها ويوقد عليها نارا ففعل
ذلك ثم وضع عجينه عليه فخبز حتى جعله خبزة فهو أول من خبز فلما أخرجه قال آكله قال لا حتى يبرد فلما
برد أكله فلما أكله دمعت عينا آدم عليه السلام وقال ما هذا التعب والنصب قال له هذا وعد الله الذي
وعدك فذلك قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى أما آن لك ان تأكل من
كد عينك وعرق جبينك أنت وذريتك فلما استوفى آدم من الطعام شكا من عطشه ولم يدر ما هو فشكا ذلك
الى جبريل عليه السلام فقال ذلك العطش قال فما أسكنه فغاب عنه ثم عاد اليه ومعه المعول وقال له
احفر الارض فما زال يحفر حتى بلغ الى ركبتيه فنبع الماء من تحت رجليه ماء زلالا أبرد من الثلج وأحلى
من العسل وقال يا آدم اشرب منه فشربه فشربها واطمأن ثم انه بعد ذلك وجد ثقلا أشد من الاول
والثاني فقال لجبريل ما هذا الذي أجده قال لا أدري فبعث الله اليه ملكا ففتق قبله ودبره ولم يكن قبل ذلك
للطعام مخرج فلما خرج منه ما آذاه ووجد ريحه بكى على ذلك سبعين سنة (قالوا) لما أنزل الله الى آدم
الحديد نظر الى قضيب من حديد نابت على الجبل فقال هذا من هذا الجنس فجعل يكسر أشجارا قد عتقت
ويبست فأوقد على ذلك الحديد حتى ذاب وكان أول شيء ضرب منه مدية فكان يعمل بها ثم ضرب التنور
الذي ورثه نوح عليه الصلاة والسلام وهو الذي فار بالعذاب بالهند (قالوا) لما أهبط الله تعالى آدم عليه
الصلاة والسلام أخرج معه من الجنة قطعة من ذهب فلذلك يبقى الذهب لا يبلى بالثرى ولا يصدأ من
الندى ولا تنقصه الارض ولا تأكله النار لانه من الجنة حل (وقيل) ان الله تعالى زود آدم حين أهبطه الى
الارض من الثمار ثلاثين نوعا عشرة منها في القشور وعشرة لها نوى وعشرة لا قشور لها ولا نوى فأما التي
هي في القشور فالجوز واللوز والفستق والبندق والخشخاش والبلوط والشاهبلوط والنارنج والرمان والموز
وأما التي لها نوى فالخوخ والمشمش والاجاص والعناب والفرسك والرطب والغبيراء والنبق والزعرور
والمقل وأما التي لا قشر لها ولا نوى فالتفاح والسفرجل والكمثرى والعنب والتوت والتين والاترج
والخرنوب والخيار والبطيخ (وقال) ابن جريج أهبط الله تعالى آدم عليه السلام ومعه آنية فيها بزر
عريشة من عنب وريحانة فغرس آدم العريش فلما اطلعت جاء ابليس فسرق ثمرها فقال له آدم ويلك
أخرجتني من الجنة ولا تريد أن تجعل لي رزقا فقال له ان لي فيها حقا قال وما حقك قال نشوها ولكم سائرها
(وقال) ابن عباس هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء الآسة وهي سيدة رياحين الدنيا والسنبلة وهي
سيدة طعام أهل الدنيا والعجوة وهي سيدة ثمار الدنيا (وروى) ابن عباس وعائشة وأبو هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال ان العجوة من غراس الجنة وفيها شفاء وانها ترياق أول البكرة وعليكم بالتمر
البرني فكلوه فانه يسبح في شجره ويستغفر لآكله (وقال) ابن عباس لما أهبط آدم الى الارض كان أول
شيء أكله من الثمار التين وقال كعب أول من ضرب الدينار والدرهم آدم وقال لا تصلح المعيشة الا بهما وقال
وهب بن منبه ان آدم لما أهبط الى الارض ورأى سعتها ولم ير فيها أحدا غيره فقال يا رب أما لارضك هذه من
عامر يسبحك ويحمدك ويقدسك غيري قال الله تعالى سأجعل فيها من ولدك من يسبحني ويحمدني
ويقدسني وسأجعل فيها بيوتا ترفع لذكري ويسبح فيها خلقي ويذكر فيها اسمي وسأجعل من ولدك يا آدم
من يعبدني حق عبادتي وسأجعل من تلك البيوت بيتا أخصه بكرامتي وأوثره باسمي فاسميه بيتي وأنطقه
بعظمتي وعليه وضعت جلالي وأجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمته ما حوله وما فوقه وما تحته 24

بعض صبيان الملاهي يرقص ويغني وعليه ثياب رقاق وهو مخضوب الكفين وطاره تحت ابطه فدنا مني وسلم علي وقال لي أنت فلان بن فلان قلت نعم فقال هات الامانة التي عندك وديعة لي فقلت وما هي فقال مرقعة وعصا وركوة فقلت ومن أين لك هذا فقال لا أدري الا اني كنت في عرس فلان بالامس وأنا أرقص وأغني الى ان أذن المؤذن فذهبت لاستريح فبينما أنا نائم اذا رجل قد أيقظني وقال لي قم ان الله سبحانه وتعالى قد قبض روح فلان الولي وجعلك مكانه فمر الى فلان ابن فلان فان الشيخ أودع لك عنده وديعة وهي مرقعة وعصا وركوة قال فأخرجتهم اليه فخلع ثيابه واغتسل في البحر ولبسها وأعطاني أثوابه وقال تصدق بهذه الثياب ثم سار وتركني فلم أدر أين ذهب فأقمت يومي أبكي الى الليل فلما نمت رأيت رب العزة في المنام وهو يقول يا فلان أثقل عليك أن مننت على عبد من عبادي كان عاصيا وقبلته انما ذلك فضلي أوتيه من شئت ورحمتي وسعت كل شيء (وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى عنه) انه قال كنت سائحا ببغداد وكانت لي دويرة خراب

حرمه بحرمتي استوجب بذلك كرامتي ومن أخاف أهله فيه فقد خفر ذمتي وأباح حرمتي واستوجب بذلك عذابي وعقابي وسأجعل هذا البيت أول بيت وضع للناس ببطن مكة مباركا يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يرجون بالتلبية رجيجا ويضجون بالبكاء ضجيجا ويعجون بالتكبير عجيجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد وفد الي وزارني واستضافني فحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وأن يسعف كلا بحاجته يا آدم تعمره ما دمت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن ثم ان الله تعالى مسح ظهر آدم بيده وأخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة كالذر بنعمان من عرفة قريبة بمكة ثم أخذ عليهم الميثاق وكلمهم وقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وسئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق آدم ومسح ظهره فاستخرج منه ذرية وقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج ذرية وقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على ذلك فهو من أهل النار (وقال) وهب بن منبه رحمه الله أوحى الله الى آدم بعد ما تاب عليه يا آدم اني أجمع لك العلم كله في أربع كلمات واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة فيما بينك وبين الناس فأما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيأ وأما التي لك فأجزيك بعملك أحوج ما تكون اليه وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء ومني الاجابة وأما التي بينك وبين الناس فان ترضى لهم ما ترضى لنفسك فقال آدم يا رب شغلت بطلب المعيشة والرزق عن التسبيح والعبادة ولست أعرف ساعات التسبيح في أيام الدنيا فأهبط الله تعالى اليه ديكا فأسمعه أصوات الملائكة بالتسبيح فهو أول داجن اتخذه آدم من الخلق فكان الديك اذا سمع التسبيح في السماء سبح في الارض فيسبح آدم بتسبيحه (ويروى) أن الله تعالى أوحى الى آدم لما أراد أن يهبطه الى الارض يا آدم اني منزلك أنت وذريتك دارا مبنية على أربع قواعد أما الاولى فاني أقطع ما تصلون وأما الثانية فاني أفرق ما تجمعون وأما الثالثة فاني أخرب ما تبنون والرابعة أميت ما تلدون ولذلك قيل

لدوا للموت وابنوا للخراب * وكلكمو يصير الى ذهاب

(الباب السابع في ذكر هبوط ابليس لعنه الله الى الارض وحاله فيها بعد اللعنة)

قال الله تعالى قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو الآية (قال الشعبي) أنزل ابليس من السماء عليه عمامة ليس تحت ذقنه منها شيء أعور في احدى رجليه نعل (وروى) ابن المبارك عن خالد عن حميد بن هلال انما كره أن يتخصر في الصلاة لان ابليس هبط متخصرا (وروى) حماد عن ثابت وحميد عن عبد الله بن عبيد ابن عمير أن ابليس قال يا رب أخرجتني من الجنة من أجل آدم واني لا أستطيعه الا بسلطانك قال فأنت مسلط عليه قال يا رب زدني قال لا يولد له ولد الا ولد لك مثله قال يا رب زدني قال صدورهم مساكن لك وتجري منهم مجرى الدم قال يا رب زدني قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا قال آدم يا رب قد سلطته علي واني لا أمتنع منه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يا رب زدني قال الحسنة بعشرة أمثالها وأزيدها والسيئة بمثلها واحدة وأمحوها قال يا رب زدني قال قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية قال يا رب زدني قال التوبة لا أنزعها من ولدك ما كانت الروح فيهم قال يا رب زدني قال أغفر ولا أبالي قال حسبي (وروى) ان ابليس قال يا رب لعنتني وأخرجتني من الجنة وجعلتني شيطانا رجيما مذموما مدحورا وبعثت في بني آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فارسلي قال الكهنة قال فما كتبي قال الوشم قال فما حديثي قال حديثك الكذب قال فما قراءتي قال قراءتك الشعر قال فما مؤذني قال مؤذنك المزمار قال فما مسجدي قال مسجدك السوق قال فما بيتي قال بيتك الحمام قال فما طعامي قال طعامك ما لم يذكر اسمي عليه

فاحتجت بنا حائط سقطت منها فخرجت الى موقف البنائين لاطلب رجلا للبناء الحائط فنظرت الى شاب نحيف ذي وجه نظيف فجئت اليه ووقفت بين يديه ثم قلت له حبيبي أتريد الخدمة فقال نعم فقلت سر على بركة الله تعالى فقال بشرط أشترطه عليك فقلت وما هو قال الاجرة درهم ودانق فقلت نعم قال واذا أذن المؤذن تدعني أصلي مع الجماعة فقلت نعم فسار معي الى منزلي فخدم خدمة لم أر مثلها ولا أحسن منها وذكرت له الغداء فقال لا فعرفت انه صائم فلما جاء وقت صلاة الظهر وسمع الاذان قال الشرط يا سيدي فقلت نعم فحل حزامه وتوضأ وضوءا ما رأيت أحسن منه ثم خرج الى الصلاة مع الجماعة في المسجد ثم عاد الى خدمته الى ان سمع أذان العصر فقال الشرط يا سيدي فقلت له نعم فخرج وصلى العصر مع الجماعة وعاد الى خدمته فأتيت اليه وقلت له حبيبي ان خدمة البنائين الى العصر فاسترح فقال سبحان الله انما كانت خدمتي الى الليل قال فلما جاء الليل أخرجت له درهمين فلما رآهما قال ما هذا فقلت والله يا سيدي هما من بعض أجرتك لاجتهادك في خدمتك فرماهما الى

قال

قال فما شرابك قال شرابك كل مسكر قال فما مصايدك قال مصايدك النساء (وروى) مقاتل وجويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان ابليس لما خرج من الجنة ألقى الله عليه الحرقة والغلمة فنكح نفسه فباض أربع بيضات فنها ذريته (وروى) اسحق بن بشر عن محمد بن اسحق قال بلغني ان ابليس تزوج الحية التى دخل فى فيها حين كلم آدم عليه السلام بعد ما أخرج من الجنة فنها ذريته

﴿الباب الثامن فى ذكر ما روى من الاخبار فيمن تراءى له ابليس فرآه عيانا وكلمه شفاها﴾

يروى ان آدم التقى بابليس فى أرض فلاة فلامه على صنيعه وقال له يا ملعون أى شئ هذا الذى أحللت بى غررتنى وأخرجتنى من الجنة وفعلت بى ما فعلت قال فبكى ابليس وقال يا آدم انى فعلت بك ما تقول وأزللتك هذه المنزلة فن فعل بى ما أنا فيه وأحلنى هذه المنزلة (وروى) ان ابليس تصور لفرعون فى صورة الانس عصر فى الحمام فانكره فرعون فقال له ابليس ويحك أما تعرفنى فقال لا قال فكيف وأنت خلقتنى ألست القائل أنا ربكم الاعلى (وروى) ان سليمان عليه الصلاة والسلام سأل ابليس فقال أى الاعمال أحب اليك وأبغض الى الله تعالى فقال لولا منزلتك عند الله تعالى ما أخبرتك انى لست أعلم شيأ أحب الى وأبغض الى الله تعالى من استغناء الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة (وروى) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من آدمى الا وقد عمل خطيئة أوهم بها الا يحيى بن زكريا فانه ما عمل خطيئة ولا هم بها ولقد قال رب أرنى ابليس كما هو وأعزم عليه أن لا يكتمنى شيأ سألته عنه فأوحى الله تعالى الى ابليس أن ائت عبدى يحيى بن زكريا كما هبطت الى الارض ولا تكتمه شيأ يسألك عنه فأتاه وقال يا يحيى انا ابليس أمرنى ربى أن آتيك كما هبطت الى الارض فنظر اليه يحيى فاذا على رأسه خطاطيف تطير وحقواه محتزمان بأكوار كورها هنا وكورها هنا وفى رجليه خلاخيل فقال ما هذه الخطاطيف التى تطير على رأسك قال بها أختطف عقول بنى آدم قال فما هذه الخلاخيل التى فى رجليك قال أحركها لبنى آدم حتى يغنى أو يغنى له قال فأى ساعة أنت على ابن آدم أقدر قال حين يتأنى شهاور يا قال فهل وجدت فى نفسى شيأ قال لا قال ولا على حال قال نعم قدم اليك طعام منذ ذات ليلة وكنت قد صمت فشهيته اليك حتى أكلت أكثر من عادتك فتثاقلت عن وردك وعادتك فقال يحيى لا جرم لا أشبع أبدا فقال ابليس لا جرم لا أنصح آدميا أبدا * وقيل لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا فى جهازه وخرج الناس وخلا الموضع قال ابن عباس قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لما وضعته صلى الله عليه وسلم على المغتسل اذا هاتف يهتف من زاوية البيت يا على لا تغسلوا محمدا فانه طاهر مطهر قال فوقع فى قلبى من ذلك شئ وقلت ويلك من أنت فان النبى صلى الله عليه وسلم أمرنا بهذا وهذه سنته واذا بهاتف آخر يهتف بأعلى صوته غسله يا على فان الهاتف الاول كان الشيطان حسد محمدا صلى الله عليه وسلم أن يدخل قبره مغسلا قال على جزاك الله خيرا قد أخبرتنى أن ذلك ابليس فمن أنت قال أنا الخضر حضرت جنازة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ويحكى﴾ ان قوما من بنى اسرائيل تراءى لهم ابليس فقالوا له قف موقفا كنت تقفه بين يدى الله تعالى حينما كنت تقف قبل أن عصيت ربك فقال انكم لا تطيقون رؤية ذلك فالحوا عليه فوقف وقفة فلما نظروا اليه والى خشوعه وخضوعه ماتوا عن آخرهم (وروى) ان رجلا كان يلعن ابليس كل يوم ألف مرة فبينما هو ذات يوم نائم اذ أتاه شخص وأيقظه وقال قم فان الجدار هاهو يسقط فقال له من أنت الذى أشفقت على هذه الشفقة فقال له أنا ابليس فقال كيف هذا وأنا ألعنك كل يوم ألف مرة فقال هذا لما علمت من محل الشهداء عند الله تعالى فخشيت أن تكون منهم فتنال معهم ما ينالون

﴿الباب التاسع فى قصة قابيل وهابيل﴾

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا الى آخر القصة قال أهل العلم بقصص النبيين وأخبار الماضين ان حواء كانت تلد لآدم توأمين فى كل بطن غلاما وجارية الا شيثا فانها ولدته مفردا وكان جميع من ولدته حواء أربعين من ذكر وأنثى فى عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمته اقليما وآخرهم

وقال والله لا أزيد على ما بينى وبينك شيأ فرغبته فلم أقدر عليه فأخذ الدرهم والدانق وتوجه فلما كان الغد أتيت الى الموقف فلم أجده فسألت عنه فقيل لى انه لم يأت هنا الا من السبت الى السبت فلما جاء السبت جئت اليه فوجدته فلما رآنى تبسم فقلت له باسم الله على الشرط الذى تعلمه فقال نعم وسار معى فخدم يومه كما تقدم وزاد على ذلك فدفعت اليه الاجرة فأخذها وسار فلما كان السبت الثالث أتيت الموقف فلم أجده فسألت عنه فقيل لى انه ضعيف فى خيمة فلانة وكانت امرأة عجوز الها خيمة فى الجبانة وكانت مشهورة بالصلاح والعبادة قال فسرت اليها فوجدت الشاب بها وهو مضطجع على الارض وليس تحته شئ وتحت رأسه لبنة ووجهه يتهلل نورا قال فسلمت عليه فرد على السلام فقعدت عند رأسه أبكى على صغر سنه وغربته ثم قلت له حبيبى ألك من حاجة فقال نعم اذا كان فى غد تأتى ههنا عند الضحى تجدنى ميتا فغسلنى وكفنى فى هذه الجبة واحفر قبرى بها ولا تعلم بذلك أحدا وافتق جيب هذه الجبة وأخرج ما فيها وأمسكه عندك واذا دفنتنى وفرغت من أمرى

عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ثم كثر الله في نسل آدم كما قال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة الآية (قال ابن عباس) لم يمت آدم حتى رأى من ولده وولد ولده أربعين ألفا ورأى آدم فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد واختلف العلماء في وقت مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي آدم حواء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما في بطن ثم هابيل وتوأمته لبودا في بطن واحد (وقال) محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشي حواء في الجنة قبل أن تهبط الى الارض فحملت له بقابيل وتوأمته فلم تجد عليهما وحما ولا نصبا ولا طلقا حين ولدتهما ولم تر معهما دما لطهارة الجنة فلما هبطا الى الارض واطمأنا بها تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته لبودا فوجدت فيهما الوحم والنصب والطلق والدم حتى اذا شب أولاده زوج غلام هذا البطن جارية البطن الآخر وزوج جارية هذا البطن غلام البطن الآخر وكان الرجل منهم يتزوج أي اخواته شاء الا توأمته التي ولدت معه فانها لا تحل له وذلك انه لم يكن نساء يومئذ الا أخواتهم وأمهم حواء فلما ولد قابيل وتوأمته اقليما في بطن واحد وهابيل وتوأمته لبودا في بطن واحد وكان بينهما سنتان في قول الكلبي وأدركوا أمر الله تعالى آدم أن ينكح لبودا أخت هابيل قابيل وينكح هابيل اقليما أخت قابيل وكانت أخت قابيل من أجمل النساء وأحسنهن خلقا فذكر آدم ذلك لولده فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي أختي ولدت معي في بطن وهي أحسن من أخت هابيل وأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الارض فأنا أحق بأختي فقال له أبوه انها لا تحل لك فأبى أن يقبل ذلك منه وقال ان الله تعالى لم يأمر بذلك وانما هو من رأيه فقال لهما آدم قربا قربانا فأيكما يقبل قربانه فهو أحق بها (وقال معاوية بن عمار) سألت جعفرا الصادق أكان آدم زوج ابنته من ابنه فقال معاذ الله لو فعل ذلك آدم لما رغب عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كان دين آدم الا دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أهبط آدم وحواء الى الارض وجمع بينهما وولد له بنت فسماها عناق فبغت وهي أول من بغى في الارض فسلط الله عليها من قتلها وولد لآدم على أثرها قابيل ثم ولد له هابيل فلما أدرك قابيل أظهر الله تعالى جنية من الجن يقال لها جمالة في صورة انسية وخلق لها رحما وأوحى الله الى آدم ان زوجها من قابيل فزوجها منه فلما أدرك هابيل أهبط الله الى آدم حوراء في صورة انسية وخلق الله لها رحما وكان اسمها تركة فلما نظر اليها هابيل ورمقها أوحى الله الى آدم ان زوجها من هابيل ففعل فقال قابيل يا أبت ألست أكبر من أخي وأحق بما فعلت به منه فقال يا بني ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فقال لا ولكنك آثرته علي بهواك فقال له ان كنت تريد أن تعلم ذلك فقربا قربانا فأيكما يقبل قربانه فهو أولى بها من صاحبه قالوا وكانت القرابين حينئذ اذا قبلت نزلت نار من السماء فأكلتها واذا لم تقبل لم تنزل نار لا كلها وتأكلها السباع فخرجا ليقربا وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من الطعام من أردا زرعه وأضمر في نفسه ما أبالي أيقبل مني أم لا لا يتزوج أختي أبدا وكان هابيل راعيا صاحب ماشية فقرب كبشا سمينا من خيار ماشيته ولبنا وزبدا وأضمر في نفسه الرضا بالله والتسليم لأمره وقال اسمعيل بن رافع ان هابيل نتج له كبش في غنمه فأحبه حتى لم يكن له مال أحب اليه منه وكان يحمله على ظهره فلما أمر بالقربان قربه قال فوضعا قربانهما على الجبل فنزلت نار من السماء فأكلت الكبش والزبد واللبن ولم تأكل من قربان قابيل حبة لانه لم يكن زاكي القلب وقبل قربان هابيل لانه كان زاكي القلب فما زال الكبش يرتع في الجنة حتى فدى به ابن ابراهيم فذلك قوله تعالى فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر الى قوله من المتقين فنزلوا عن الجبل وتفرقوا وقد غضب قابيل لما رد الله قربانه وظهر فيه الحسد والبغي وكان يضمرهما قبل ذلك في نفسه الى أن أتى آدم مكة ليزور البيت فلما أراد أن يأتي مكة قال للسماء احفظي ولدي بالامانة فأبت فقال ذلك للارض والجبال فأبتا فقال ذلك لقابيل فقال نعم ترجع وتراه كما يسرك فرجع آدم وقد قتل قابيل هابيل فذلك قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا يعني قابيل حين حمل أمانة أبيه ثم خانه قالوا فلما

فصل الى هرون الرشيد وادفعها له ما تجده في الجيب وأقرئه مني السلام قال فلما كان الغد وصلت الى تلك الخيمة فوجدته قد مات رحمة الله تعالى عليه قال فتأسفت عليه أسفا شديدا ثم أخذت في غسله وتجهيزه وكفنته وصليت عليه في الخيمة وحفرت قبره بها كما قال ثم فتقت جيبه فرأيت فيه ياقوتة تساوي ألف دينار قال فتعجبت من ذلك وقلت والله لقد زهد في الدنيا كل الزهد قال فلما فرغت من أمره وانصرفت من عنده انتظرت خروج هرون الرشيد فلما خرج في موكبه تعرضت له في بعض الطريق ودفعت اليه الياقوتة فلما رآها خر مغشيا عليه فاحتوشتني الخدمة والدراري فلما أفاق قال خلوا عنه ثم أخذ بيدي ومضى بي الى مجلسه وقال يا أخي ما فعل الله بصاحب هذه الياقوتة فقلت له مات الى رحمة الله تعالى ثم وصفت له كل ما كان منه قال فجعل الرشيد يبكي ويقول انتفع الولد وخاب الوالد ثم نادى يا فلانة فقامت امرأة كأنها حورية فلما رأتني أرادت أن ترجع فقال لها الرشيد ادخلي فدخلت وسلمت فرمى لها الياقوتة فلما رأتها صاحت صيحة ومشي عليها فلما أفاقت قالت يا أمير

غاب آدم أتى قابيل الى هابيل وهو في غنمه فقال لأقتلنك قال ولم قال لان الله قبل قربانك ولم يقبل قرباني وتنكح أختي الحسناء وأنكح أختك الدميمة فيتحدث الناس انك خير مني وأفضل ويفتخر ولدك على ولدي فقال له هابيل وما ذنبي انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك اني أخاف الله رب العالمين (قال) عبد الله بن عمر ان المقتول كان أشد ولكنه منعه التحرج أن يبسط الى أخيه يده وقال الله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله الآية أي طاوعته وساعدته فقتله قال السدي لما قصد قابيل قتل هابيل راغ هابيل في رؤس الجبال ثم أتاه يوما من الايام وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات وقال ابن جريج لم يدر قابيل كيف يقتل أخاه فتمثل له ابليس وأخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم شدخه بحجر آخر وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا في مصرعه وموضع قتله فقال ابن عباس على جبل نود وقال بعضهم على عقبة حراء وحكى محمد بن جرير الطبري قال جعفر الصادق بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فلما قتله تركه ولم يدر ما يصنع به لانه كان أول ميت على وجه الارض من بني آدم فقصدته السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى تروح وعكفت عليه الطير والسباع ينظرون أين يرمي به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ورجليه حتى مكن له في الارض ثم ألقاه في الحفرة وواراه وقابيل ينظر اليه فلما رأى ذلك قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين يعني على حمله لا على قتله وروى عن الاوزاعي قال حدثني المطلب بن عبد الله المخزومي لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الارض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الارض دمه كما تشرب الماء فناداه الله أين أخوك هابيل قال ما أدري ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم أخيك ليناديني من الارض فلم قتلت أخاك قال فأين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ ان تشرب دما بعده أبدا (وعن) الضحاك عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل وآدم بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه ومر الماء واغبرت الارض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فأتى الهند واذا قابيل قد قتل هابيل فانشأ يقول وهو أول شعر قيل

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح

(وروى) عن ابن عباس أنه قال من قال ان آدم قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمى آدم بالمأثم وان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم في النهي عن الشعر سواء قال الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سرياني وانما يقول الشعر من تكلم بالعربية فلما قال آدم مرثيته في ابنه هابيل وهو أول شهيد على وجه الارض قال آدم لشيث يا بني انك وصيي فاحفظ هذا الكلام ليتوارثه الناس فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام وكان يتكلم بالسريانية والعربية وهو أول من ركب الخيل وتكلم بالعربية وقال الشعر فنظر في المرثية فاذا هو سجع فقال ان هذا ليقوم شعرا ان رد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا فما زاد فيه ولا نقص حرفا من ذلك فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح
وقابيل أذاق الموت هابيل * فواحزنا لقد فقد المليح
ومالي لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
وجاءت شعلة ولها رنين * لهابيلها وقابلها يصيح
لقتل ابن النبي بغير جرم * فقلبي عند قتلته جريح
وجاورنا لعين ليس يفنى * عدو لا يموت فنستريح

(وقالت حواء) دع الشكوى فقد هلكا جميعا * بموت ليس بالثمن الربيح

المؤمنين ما فعل ولدي صاحب هذه الياقوتة فقال لي صف لها قصته وقص عليها قصته قال فقصصت عليها ما كان منه فجعلت تبكي وتقول ما أشوقني اليك يا قرة عيني ليتني كنت أستقبلك اذ لم تجد ساقيا وأنيسك اذ لم تجد مؤنسا ثم بكت بكاء شديدا فقال لي أمير المؤمنين يا أخي هذا ولدي كان معي قبل ولايتي هذا الامر فكان يتردد على العلماء ويجالس الصلحاء فلما وليت هذا الامر نفر عني وتباعد مني فقلت لامه هذا ان ولدك انقطع الى الله سبحانه وتعالى فلا بد أن تصيبه الشدائد ومكابدة الاحزان فادفعي اليه هذه الياقوتة لينتفع بها عند الاحتياج اليها فدفعتها له فعزمت عليه أن يمسكها فمساب عنا حديثه الى أن رمى لما دنيا نا ولقي الله تعالى تقيا نقيا ثم قال يا أخي أرني قبره قال فخرجت به الى قبره فبكى بكاء طويلا وسألني الصحبة فقلت له يا أمير المؤمنين ان لي في ولدك عظة وعبرة ثم مضيت من عنده حزينا على ذلك الشاب رحمه الله تعالى ورضي عنه ﴿وحكى﴾ عن الاصمعي رضي الله تعالى عنه ﴿انه قال حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه أفضل الصلاة

وما يغني البكاء عن البواكي * اذا ما المرء غيب في الضريح
فأبك النفس وازل عن هواها * فلست مخلدا بعد الذبيح

فأجابهما ابليس لعنه الله شامتا بهما

تنح عن البلاد وساكنيها * فبي الجنات ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في رخاء * وقلبك من أذى الدنيا مريح
فما زالت مكايدتي ومكري * الى ان فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الجبار أضحى * بكفك من جنان الخلد ريح

(وقال) سالم بن أبي الجعد لما قتل قابيل هابيل مكث آدم مائة سنة لا يضحك ثم أتى فقيل له حياك الله وأضحكك ولا أبكاك قال ولما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد ما قتل قابيل هابيل بخمس سنين ولد له شيث وتفسيره هبة الله يعني أنه خلف الله من هابيل وعلمه الله ساعات الليل والنهار وعبادة الخلائق في كل ساعة منها وأنزل الله عليه خمسين صحيفة وكان وصي آدم وولي عهده وأما قابيل فقيل له اذهب فذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا يأمن من رآه فأخذ بيد أخته اقليما وذهب بها الى عدن من أرض اليمن فأتى اليه ابليس وقال له انما أكلت النار قربان أخيك لانه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أيضا أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من نصب النار وعبدها قال وكان لا يمر به أحد من ولده الا رماه وكان لقابيل ولد أعمى ومعه ابن له فقال ابن الاعمى لابيه هذا أبوك قابيل فرمى الاعمى أباه قابيل فقتله قال فقال ابن الاعمى انه أبوك فرفع يده فلطمه فمات فقال الاعمى ويل لي قتلت أبي برميتي وقتلت ابني بلطمتي قال مجاهد فعلقت احدى يدي قابيل الى فخذها وساقها وعلقت من يومئذ الى يوم القيامة ووجهت الى الشمس حيثما دارت وعليه في الصيف حظيرة نار وفي الشتاء حظيرة ثلج قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من أنواع الطبول والمزامير والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر والزنا وعبادة النار والاوثان والفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان في زمن نوح عليه السلام وبقي نسل شيث عليه السلام والله أعلم

﴿الباب العاشر في ذكر وفاة آدم عليه السلام﴾

ذكر أهل التاريخ وأصحاب الاخبار أن آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوما وأوصى الى ابنه شيث وكتب وصيته ودفعها الى شيث وأمره أن يخفي ذلك من ولد قابيل لان قابيل كان قد قتل هابيل حسدا منه له حين خصه آدم بتزويج أخته اقليما فخاف عليه أيضا أن يقتله حين خصه آدم بالعلم فأخفى شيث وولده ما عندهم من الوصية فلم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به (وروى) أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما أخرج الله ذرية آدم من ظهره فجعل يعرضهم على آدم فاذا قوم عليهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين عليهم النور قال هؤلاء الانبياء والرسل واذا فيهم رجل يزهو وهو أضوؤهم نورا فقال يارب من هذا فقال ذلك داود فقال يارب كم عمره قال ستون سنة قال يارب زده في عمره قال لا الا أن تزيده أنت من عمرك فقد جف القلم باعمار بني آدم وكان عمر آدم ألف سنة فوهب له من عمره أربعين سنة وكتب الله عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة فلما مضى من عمره تسعمائة وستون سنة جاء اليه ملك الموت ليقبضه فقال آدم عجلت علي يا ملك الموت قال ما فعلت بل أنت استوفيت أجلك قال آدم قد بقي من عمري أربعون سنة قال انك قد وهبتها لابنك داود قال ما فعلت ولا وهبت له شيأ فانزل الله الكتاب وأقام الملائكة شهودا ثم ان الله تعالى أكمل لآدم ألف سنة وأكمل لداود مائة سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نسي آدم فنسيت ذريته وجحد فجحدت ذريته فأمر الله بالكتاب والشهود من يومئذ (قال) ابن اسحق وغيره ثم ان آدم مات واجتمعت عليه الملائكة لانه صفي الرحمن فدفنته الملائكة وشيث واخوته في مشارق الفردوس عند قرية هي أول قرية كانت في الارض وكسفت عليه الشمس والقمر سبعة أيام بلياليهن فلما اجتمعت عليه الملائكة بعث الله اليه بحنوط وكفن من الجنة ووليت الملائكة غسله ودفنه

والسلام فبينما أنا في الطريق اذا رجل أعرابي بيده سيف عريض ورمح طويل كان يقطع بهما الطريق لاخذ أسباب المسلمين وأموالهم فلما دنا مني أراد أن يأخذ أسبابي فاسرعت نحوه وسلمت عليه فرد علي السلام ثم قال من أين الرجل فقلت له فقير وعابر سبيل فقال ما صناعتك فقلت اقرأ القرآن وأعلمه لاطفال المسلمين فقال وما يكون القرآن فقلت كلام الله عز وجل فقال أو لله كلام فقلت له نعم فقال الاعرابي فانشدني من كلامه بيتا قال الاصمعي فقرأت بسم الله الرحمن الرحيم وفي السماء رزقكم وما توعدون فرمى الاعرابي سيفه ورمحه وقال بالقاطع طريق ونافى سبيل رزقه في السماء ويطلبه في الارض ثم تاب الى الله تعالى وعاهده أن لا يعود الى ما كان فيه قال الاصمعي ففرحت بذلك فرحا شديدا فلما كان العام الثاني خرجت حاجا الى بيت الله الحرام فبينما أنا طائف بالبيت اذا رجل عليه سيما الخير والصلاح قد أقبل نحوي وسلم علي وقال ألست صاحبي بالعام الماضي فقلت نعم فقال انشدني من كلام الله عز وجل بيتا ثانيا قال الاصمعي فقرأت عليه فورب السماء والارض

فغسلته بالسدر والماء وتراً وكفنوه في ثلاثة أثواب ثم لحدوا له ودفنوه ثم قالوا هذه سنة ولد آدم من بعده قال ابن عباس فلما مات آدم قال شيث لجبريل صل على آدم فقال له جبريل تقدم أنت فصل على أبيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة فأما خمس فهي الصلاة وأما خمس وعشرون فهي تفضيل لآدم وقد اختلف في موضع قبره فقال ابن اسحق في مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة وقيل في غار أبي قبيس وهو غار يقال له الغار الكبير (وروى) أبو صالح عن ابن عباس أنه قال مات آدم على جبل نود بالهند وقال ابن عباس لما كان أيام الطوفان حمل نوح تابوت آدم في السفينة فلما خرج من السفينة دفن آدم ببيت المقدس وكانت وفاة آدم يوم الجمعة وعاشت حواء بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع آدم عليهما السلام والله أعلم

((باب في الخصائص التي خص الله بها آدم عليه السلام))

قال الاستاذ خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خاتمة خلقه وخلقه في أحسن صورة وأقسم عليه فقال عز من قائل والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ولقنه الحمد حين عطس ثم قال له يرحمك ربك فسبقت له رحمته غضبه وأسكنه بعد خلقه الجنة بلا عمل وأباح له جميع الجنة الا شجرة واحدة وعلمه الاسماء كلها وأمر ملائكته بالسجود له وأمرهم بالتلقين وجعله أبا البشر وجعله خليفته في الارض وعرف الملائكة فضله عليهم ولعن ابليس من أجله مع كثرة عبادته وعاتب الملائكة بسببه وهو أول حامد وأول تائب وأول مجتبي وأول مصطفى وأول خليفة الله في الارض وهو المميز للارواح الخبيثة من الطيبة وهو الباعث يوم القيامة بعث النار من ذريته فهذه ثلاث وعشرون خصلة من خصائصه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم والله أعلم

((مجلس في ذكر النبي ادريس عليه السلام))

قال الله تعالى واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا (قال) أهل العلم بأخبار الماضين وقصص النبيين هو ادريس بن برد وقيل يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم واسمه أخنوخ وسمي ادريس لكثرة درسه الكتب وصحف آدم وشيث وأمه اشوت وكان ادريس أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وأول من نظر في علم النجوم والحساب بعثه الله الى ولد قابيل ثم رفعه الى السماء وكان سبب رفعه الى السماء على ما قال ابن عباس وأكثر الناس أنه سار ذات يوم فأصابه وهج الشمس فقال يارب اني مشيت في الشمس يوما فتأذيت فكيف بمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه ثقلها واحمل عنه حرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب خففت عني حر الشمس فما الحال الذي قضيت علي فيه فقال تعالى ان عبدي ادريس سألني ان أخفف عنك ثقلها وحرها فأجبته الى ذلك فقال يارب اجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خلة فأذن الله له فكان ادريس يسأله وكان مما سأله أن قال أخبرت انك أكرم الملائكة على ملك الموت وأمكنهم عنده فاشفع لي اليه ليؤخر أجلي فأزداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها قال قد علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسي فقال أنا مكلمه لك وما كان يستطيع أن يفعل لاحد من بني آدم فهو فاعله لك ثم حمله الملك على جناحه حتى رفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم انه أتى الى ملك الموت فقال له لي اليك حاجة فقال له أفعل لك كل شيء أستطيعه فقال لي صديق من بني آدم تشفع بي اليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك الي ولكن ان أحببت أعلمته أجله ومتى يموت فيتقدم في نفسه قال نعم فنظر في ديوانه فأخبره باسمه وقال انك كلمتني في انسان ما أراه يموت أبدا قال وكيف ذلك قال اني لا أجده يموت عند مطلع الشمس قال فاني أتيتك وتركته هناك فقال له فانطلق فلا أراك تجده الا وقد مات والله ما بقي من أجل ادريس شيء فرجع الملك فوجده ميتا (وقال وهب) كان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لاهل الارض جميعهم في زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن الله في زيارته فأذن له فأتاه في صورة بني آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فأبى أن يأكل وفعل ذلك ثلاث ليال فأنكره وقال له في

انه لحق مثل ما أنكم تنطقون قال فرفع الاعرابي رأسه وقال يا أصمعي ومن الذي أغضبه على هذا القسم ثم خر مغشيا عليه فحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه ونفعنا به آمين ((وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى عنه)) انه قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف اذ سمع اعرابيا يقول يا كريم فقال النبي صلى الله عليه وسلم خلفه يا كريم فمضى الاعرابي الى جهة الركن اليماني وقال يا كريم فقال النبي صلى الله عليه وسلم خلفه يا كريم فمضى الاعرابي الى جهة الميزاب وقال يا كريم فقال النبي صلى الله عليه وسلم خلفه يا كريم فالتفت الاعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا صبيح الوجه يا رشيق القامة أتهزأ بي لكوني اعرابيا والله لولا صباحة وجهك ورشاقة قدك لشكوتك الى حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم قال فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال أما تعرف نبيك يا أخا العرب فقال الاعرابي لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فما ايمانك به فقال آمنت بنبوته ولم أره وصدقت برسالته ولم ألقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا اعرابي اعلم أني نبيك في الدنيا وشفيعك في

الليلة الثالثة انى أريد أن أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أزورك وأصاحبك فأذن لي في ذلك فقال له ادريس لي اليك حاجة قال وما هي قال اقبض روحي فأوحى الله تعالى اليه أن اقبض روحه فقبض روحه ثم ردها الله عليه بعد ساعة فقال له ملك الموت فما الفائدة في سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمه فأكون له أشد استعدادا ثم قال له لي اليك حاجة أخرى قال وما هي قال ترفعني الى السماء لانظر اليها والى الجنة فأذن له في ذلك فلما قرب من النار قال لي اليك حاجة قال وما تريد قال تسأل مالكا يفتح لي أبواب النار حتى أردها ففعل ذلك ثم قال فكما أريتني النار فأرني الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتحها ففتحت له أبوابها فدخلها فقال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا أخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال تعالى وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال تعالى وما هم منها بمخرجين فلست أخرج فقال الله تعالى لملك الموت دعه فانه باذني دخل الجنة وبأمري لا يخرج فهو حي هناك فتارة يعبد الله في السماء الرابعة وتارة يتنعم في الجنة والله أعلم

((قصة هاروت وماروت))

قال الله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان الآية قال أهل التفسير ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف في مدة زوال ملك سليمان هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك ثم دفنوها تحت مصلاه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها من تحت مصلاه وقالوا للناس انما ملككم سليمان الا بهذه قال السدى وذلك ان شيطانا تمثل على صورة انسان فأتى نفرا من بني اسرائيل فقال هل أدلكم على كنز لا ينفد أبدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت كرسي سليمان وذهب معهم فأراهم المكان وقام ناحية فقالوا له ادن فقال لا ولكني ههنا فان لم تجدوه فاقتلوني وذلك انه لم يكن أحد من الشياطين يدنو من الكرسي الا احترق فحفروا ووجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها قال الشيطان ان سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وذهب فأما علماء بني اسرائيل وصلحاؤهم فقالوا معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان فان كان هذا علمه فقد هلك سليمان وأما الجهال والسفلة فأقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم فأنزل الله هذه الآية اظهارا لعذر سليمان وبيانا لبراءته فهذه قصة الآية ((وأما قصة هاروت وماروت)) فقال المفسرون ان الملائكة لما رأوا ما يصعد الى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة وذلك في زمن ادريس النبي عليه السلام عيروهم بذلك وأنكروا عليهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم خلفاء في الارض واخترتهم فهم يعصونك فقال تعالى لو أنزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لفعلتم مثل ما فعلوا فقالوا سبحانك ربنا ما كان ينبغي لنا أن نعصيك قال الله تعالى اختاروا ملكين من خياركم أهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم قال الكلبي قال الله تعالى اختاروا ثلاثة منكم فاختاروا عزا وهو هاروت وعزابيا وهو ماروت وعزرائيل وانما غير اسمهما لما اقترفا الذنب كما غير الله اسم ابليس وكان اسمه عزازيل فركب الله تعالى فيهم الشهوة التي ركبها في بني آدم وأهبطهم الى الارض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فأما عزرائيل فانه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال ربه وسأله أن يرفعه الى السماء فأقاله ورفعه وسجد أربعين سنة ثم رفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطأطئا رأسه حياء من الله تعالى وأما الآخران فانهما ثبتا على ذلك يقضيان بين الناس يومهما فاذا أمسيا ذكرا اسم الله تعالى الاعظم وصعدا الى السماء قال قتادة فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وذلك انه اختصم اليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء قال علي رضي الله عنه كانت من أهل فارس وكانت ملكة في بلدها فلما رأياها أخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فقالت لا الا أن تعبدا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي نفسها من الميل اليهما ما فيها فراوداها عن نفسها

الآخرة قال فاقبل الاعرابي يقبل قدمي النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم مه يا أخا العرب لا تفعل بي كما تفعل الاعاجم بملوكها فان الله سبحانه وتعالى بعثني لا متكبرا ولا متجبرا بل بعثني بالحق بشيرا ونذيرا قال فهبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يا محمد السلام يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك قل للاعرابي لا يغره كرمنا ولا حلمنا فغدا نحاسبه على القليل والكثير والفتيل والقطمير فقال الاعرابي أو يحاسبني ربي يا رسول الله قال نعم يحاسبك ان شاء فقال الاعرابي وعزته وجلاله ان حاسبني لاحاسبنه فقال صلى الله عليه وسلم وعلى ماذا تحاسب ربك يا أخا العرب فقال الاعرابي ان حاسبني ربي على ذنبي حاسبته على مغفرته وان حاسبني على معصيتي حاسبته على عفوه وان حاسبني على بخلي حاسبته على كرمه قال فبكى النبي صلى الله عليه وسلم حتى ابتلت لحيته فهبط جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد السلام يقرئك السلام ويقول لك يا محمد اقلل من بكائك فقد ألهيت حملة العرش عن

فأبت وعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الشرك لانفعله ابدا فقالت اختارا أحد الثلاث فقالا الاشراك بالله أمر عظيم وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة فزنيا بها فرآهما انسان فقتلاه قال الربيع بن أنس وسجدا للصنم فمسخ الله الزهرة كوكبا وقال علي رضي الله عنه والسدي والكلبي انها قالت لا تدركاني حتى تعلماني الذي تصعدان به الى السماء فقالا نصعد باسم الله الاعظم فقالت فما أنتما بمدركي حتى تعلمانيه قال أحدهما لصاحبه علمها فقال اني أخاف الله فقال الآخر فأين رحمة الله تعالى فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله تعالى كوكبا (قال الاستاذ) فعلى قول هؤلاء هي الزهرة بعينها وقال آخرون هي هذا الكوكب الاحمر واسمها بالفارسية ناهيد وبالقبطية بادخت يدل على صحة هذا القول ما أخبرنا به يحيى بن اسمعيل باسناده عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى سهيلا قال لعن الله سهيلا انه كان عشارا باليمن ولعن الله الزهرة فانها فتنت ملكين هاروت وماروت (وقال) مجاهد كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال لي ارمق الكوكب يعني الزهرة فاذا طلعت فأيقظني فلما طلعت أيقظته فلما نظر اليها سبها سبا شديدا فقلت رحمك الله تسب نجما ساما مطيعا فقال ان هذه كانت بغيا فلقي الملكان منها ما لقيا وكذلك قال ابن عباس وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي جعلها الله تعالى قواما للعباد وأقسم بها فقال تعالى فلا أقسم بالخنس الجواري الكنس وانما كانت التي فتنت هاروت وماروت امرأة تسمى زهرة لجمالها فلما زنت مسخها الله شهابا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر تلك المرأة الموافقة لهذا الاسم فلعنها وكذلك سهيل العشار كان رجلا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا النجم الموافق اسمه لاسم هذا الرجل لعنه يدل عليه ما روى قيس بن عباد عن ابن عباس في هذه القصة قال كانت امرأة فضلت على النساء بالحسن والجمال كما فضلت هذه الزهرة على سائر الكواكب قالوا فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا الى ادريس عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما الى الله تعالى وقالا له انا رأينا يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الارض فاشفع لنا الى الله تعالى قال ففعل ادريس ذلك فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا لانه ينقطع فهما ببابل يعذبان (واختلف) العلماء في كيفية عذابهما فقال ابن مسعود هما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقال مقاتل كبلا من أقدامهما الى أصول أفخاذهما وقال مجاهد ملئ جب نارا فجعلا فيه وقال عمرو بن سعيد هما معلقان منكسان في السلاسل يضربان بسياط الحديد (وروي) أن رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بأرجلهما مزرقة أعينهما مسودة وجوههما ليس بين ألسنتهم وبين الماء الا أربعة أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا لا اله الا الله من أنت قال رجل من الناس قالا ومن أي أمة أنت قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قالا أو بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فحمدا الله تعالى وأظهرا الاستبشار فقال الرجل وم استبشاركما قالا انه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا (وروى) هشام عن عائشة أنها قالت قدمت امرأة من دومة الجندل جاءت تبتغي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته تسأله عن شئ دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به فقالت عائشة لعروة يا ابن أختي ورأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تبكي حتى رحمتها ثم قالت اني لاخاف أن أكون قد هلكت ثم قالت كان لي زوج غاب عني فدخلت علي عجوز فشكوت لها ذلك فقالت ان فعلت ما آمرك به جعلته يأتيك فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين فركبت أحدهما وركبت هي الآخر فلم يكن كثير حتى وقفنا ببابل واذا برجلين معلقين بأرجلهما فقالا ما جاء بك فقالت أتعلم السحر فقالا انما نحن فتنة فلا تكفري وارجعي من حيث أتيت فقلت لا قالا فاذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت لابول ففزعت فلم أفعل ورجعت فقالا فعلت قلت نعم فقالا هل رأيت شيأ فعلت لم أر شيأ فقالا لم تفعلي شيأ فارجعي

تبيعوهم قيل لاخيك الاعرابي لايحاسبنا ولا نحاسبه فانه رفيقك في الجنة

﴿وحكي عن عبد الرحمن ابن المهذب رضي الله عنه﴾ انه قال مررت يوما بسوق الرقيق فوجدت دلالا ينادي على عبد ويقول أبيعه على عيبه فقلت للدلال ما العيب الذي في هذا العبد فقال يامولاي سله فدنوت من الغلام وقلت ما العيب الذي فيك فقال ياسيدي عيوبي كثيرة ولا أدري بأيها شهر وني فقلت للدلال أخبرني ما العيب الذي في هذا الغلام فقال بهداء الجنون فقلت للغلام كيف يأتيك هذا الصرع في كل سنة أم في كل شهر أم في كل جمعة أم في كل يوم فقال يامولاي اذا استولى داء المحبة على القلب سرى في الاعضاء واذا استولى على الجوارح نشر خمار المحبة على سائر الجسد فيطيش العقل بذكر الحبيب فيحدث على القلب استغراقا وعلى البدن سكونا فيعتقده الجاهل جنونا قال عبد الرحمن فعلمت ان الغلام من أولياء الله تعالى فقلت للدلال كم ثمن هذا الغلام فقال مائتا درهم فقلت ولك عشرون فوزنت له الثمن وأخذت الغلام وأتيت به الى الدار ثم أمرته بالدخول فأبى

الى بلادك ولا تكفرى فأبيت فقالا اذهبي الى ذلك التنور فبولى فيه فذهبت فاقشعر جلدى وخفت ثم رجعت اليهما فقلت قد فعلت فقالا ما رأيت قلت لم أر شيأ قالا كذبت لم تفعلى فارجعى الى بلادك ولا تكفرى فانك على رأس أمرك فقلت لا فقالا لى اذهبي الى ذلك التنور فبولى فيه فذهبت اليه فبلت فيه فرأيت فارسا مقنعا بحديد خرج منى حتى ذهب فى السماء وغاب حتى ما أراه فجئتهما فقلت قد فعلت قالا فما رأيت قلت رأيت فارسا مقنعا بالحديد خرج منى وذهب فى السماء فلم أره قالا صدقت ذلك ايمانك خرج منك فاذهبي فقلت للمرأة والله ما أعلم شيأ ولا قالا لى شيأ فقالت لا تريدين شيأ الا كان خذى هذا القمح فابذريه فبذرته ثم قلت له اطلع فطلع فقلت له احصد فحصد فقلت افرك ففرك ثم قلت اطحن فطحن ثم قلت اخبز فخبز فلما رأيت انى لا أريد شيأ الا كان سقط فى يدى فرجعت وندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيأ قط ولا أفعله أبدا (قال) الاوزاعى بلغنى أن جبريل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل صف لى النار فقال ان الله تعالى أمر بها فاوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لا يطفأ جمرها ولا يخمد لهبها والذى بعثك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار ظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو أن ذنوبا من شرابها صب فى ماء الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو أن حلقة من السلسلة التى ذكرها الله وضعت على جبال أهل الارض جميعا لذابت وما استقلت ولو أن رجلا دخل النار وخرج لمات أهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبى صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل لبكائه وقال أتبكى يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وبكى جبريل فقال يا جبريل أتبكى وأنت الروح الامين أمين الله على وحيه قال أخاف أن أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت فهذا الذى منعنى من اتكالى على منزلتى عند ربى فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد ان الله تعالى قد أمنكما من غضبه فلا يعذبكما وان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة

((مجلس فى قصة نوح عليه السلام))

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه الآية وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ بن برد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث عليه السلام وأمه قينوش بنت راكيل وقيل بنت كابيل بن محويل بن أخنوخ أرسله الله تعالى الى ولد قابيل ومن تابعهم من ولد شيث (قال) ابن عباس وكان بطنان من ولد آدم أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان فى رجال الجبل صباحة وفى نسائهم دمامة وكان فى نساء السهل صباحة وفى الرجال دمامة وان ابليس أتى رجلا من أهل السهل فى صورة غلام فآجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذ ابليس شيأ مثل الذى يزمر به الرعاة فجاء منه بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فأتوهم مستمعين اليه واتخذوه عيدا يجتمعون اليه فى السنة فتتبرج النساء للرجال والرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم فى عيدهم فرأى النساء وصباحتهن فجاء الى أصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهم وهو قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى (قال ابن عباس) كان آدم أوصى أن لا ينكح بنو شيث بنى قابيل فجعل بنو شيث آدم فى مغارة وجعلوا عليه حافظا لئلا يقربه أحد من أولاد قابيل وكان الذين يأتونه ويستغفر لهم بنو شيث فقال مائة من بنى شيث صباح لو نظرنا ما فعل بنو عمنا يعنون بنى قابيل فهبطت المائة الى نساء السهل صباح الوجوه من بنى قابيل فاحتبس النساء الرجال ثم مكثوا ما شاء الله فقال مائة أخرى لو نظرنا ما فعل اخوتنا فهبطوا من الجبل اليهم فاحتبستهم النساء ثم هبط بنو شيث كلهم فظهرت المعصية وتناكحوا واختلطوا وكثر بنو قابيل حتى ملؤا الارض وأكثروا الفساد فبعث الله اليهم نبيهم نوحا وهو ابن خمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويخوفهم بأسه ويحذرهم سطوته كما أخبر الله تعالى بقوله قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى

وقال ياسيدى أليك أهل فقلت نسمع فقال ومن يستطيع النظر الى غير محرمه فقلت له قد أتعبت نفسك فقال معاذ الله ولكن مهما كان لك من الحوائج قضيتها وأنا دون الباب قال عبد الرحمن فسكت عنه وتركته ثم أخرجت له العشاء فقال انى صائم فلما كان الليل أخرجت له العشاء فقال انى طاو فأقام عندى فى دهليز الدار فخرجت اليه نصف الليل فوجدته قائما يصلى ولم يشعر بى فلما فرغ من صلاته سجد وبكى بكاء شديدا فسمعته يقول فى مناجاته الهى أغلقت الملوك أبوابها وبابك مفتوح للسائلين الهى غارت النجوم ونامت العيون وأنت الحى القيوم الذى لا تأخذك سنة ولا نوم الهى فرشت الفرش وخلا كل حبيب بحبيبه وأنت حبيب المتهجدين وأنيس المستوحشين الهى ان طردتنى عن بابك فالى باب من ألتجئ الهى ان قطعتنى عن جنابك فالى جناب من ألتجئ الهى ان عذبتنى فانى مستحق للعذاب والنقم وان عفوت عنى فأنت أهل الجود والكرم ثم جلس ورفع يديه وبكى وقال ياسيدى لك اخلص العارفون وبفضلك نجا الصالحون

الا فرارا وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين (وروى) الضحاك عن ابن عباس انه قال ان نوحا كان يضرب ثم يلف في لبد ثم يلقى في بيته فيرون انه قد مات ثم يخرج فيدعوهم حتى أيس من ايمان قومه فبعد ذلك جاء رجل ومعه ابنه يتوكأ على عصا فقال يا بني انظر الى هذا الشيخ لا يغرك فقال يا أبت مكني من العصا فأعطاه العصا فقال ضعني في الارض فوضعه فمشى اليه فضربه بالعصا فقال نوح رب قد ترى ما يصنع بي عبادك فان يكن لك في عبادك حاجة فاهدهم وان يكن غير ذلك فصبرني الى أن تحكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين فأوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فآيسه من ايمان قومه وأخبره انه لم يبق في أصلاب الرجال ولا أرحام النساء مؤمن فعند ذلك دعا عليهم وقال رب انهم عصوني الآية الى قوله ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا وهي أسماء أصنام لهم كانوا يعبدونها من دون الله وقوله تعالى رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وقوله تعالى ولا تزد الظالمين الا تبارا أي هلاكا ودمارا فأجاب الله دعاءه وأمره أن يصنع الفلك كما قال تعالى واصنع الفلك بأعيننا ووحينا الآية قال نوح يارب وما الفلك قال بيت من خشب يجري على وجه الماء حتى أغرق أهل المعصية وأريح أرضي منهم قال نوح يارب أين الماء قال يا نوح اني على ما أشاء قدير قال نوح يارب وأين الخشب قال اغرس الشجر فغرس الساج وأتى على ذلك أربعون سنة وكف في تلك المدة عن الدعاء فلم يدعهم فأعقم الله تعالى أرحام نسائهم فلم يولد لهم ولد فلما أدرك الشجر أمره به أن يقطع الشجر فقطعه وجففه ثم قال يارب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله أزور على ثلاث صور رأسه كرأس الديك وجوفه كجوف الطير وذنبه كذنب الديك مائلا واجعلها مطبقة واجعل أبوابها في جنبيها واجعلها ثلاث طبقات واجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب هذا قول أهل الكتاب ثم بعث الله جبريل يعلم نوحا صنعة الفلك وكان نوح يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ عدة الفلك من القار وغيره وكان قومه يمرون عليه وهو في عمله فيسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة ثم يقولون ألا ترون الى هذا المجنون يتخذ بيتا يسير به على الماء ويضحكون منه وذلك قوله تعالى ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فيقول نوح ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم وأوحى الله الى نوح ان عجل صنعة الفلك فقد اشتد غضبي على من عصاني فاستأجر نوح اجراء يعملون معه وأولاده سام وحام ويافث ينحتون معه السفينة فجعل السفينة طولها ستمائة ذراع وستون ذراعا وعرضها ثلثمائة وثلاثون ذراعا وطولها في السماء ثلاثة وثلاثون ذراعا هذا قول ابن عباس في رواية الضحاك وطلاها بالقار داخلها وخارجها وشدها بالدسر وهي مسامير الحديد وذلك قوله تعالى وحملناه على ذات ألواح ودسر وفجر الله له عين القار بجنب السفينة تغلي غليانا حتى طلاها به فلما فرغ من صنع السفينة أوحى الله اليه أن احمل فيها من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كلها حتى لا ينقطع نسلهم وحشرها الله اليه من البر والبحر والسهل والجبل وقد جعل الله فوران التنور آية بينه وبين نوح وعهد الله اليه فقال اذا رأيت التنور قد فار فاركب أنت ومن معك على الفلك واحمل فيها من كل زوجين اثنين كما قال الله تعالى حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور أي عذابنا وهو الطوفان قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين الآية (واختلف) العلماء في قوله تعالى وفار التنور قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يعني طلع الفجر ونور الصبح وقال ابن عباس انبجس الماء من وجه الارض والعرب تسمي وجه الارض تنورا وقال قتادة التنور أشرف موضع في الارض وأعلى مكان فيها وقال الحسن أراد بالتنور الذي يخبز فيه وكان تنورا من حجارة وكان لآدم ثم انتقل الى نوح فقيل له اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك فنبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فأخبرته واختلفوا في موضعه فقال مجاهد كان ذلك في ناحية الكوفة (وروى) السدي

وبرحمتك أنا ب المقصرون يا جميل العفو أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك فان لم أكن أهلا لذلك فأنت أهل لذلك يا من هو أهل التقوى وأهل المغفرة قال عبد الرحمن فدخلت موضعي ولم أشوش عليه فلما أصبح الصباح خرجت اليه وسلمت عليه وقلت له كيف نمت البارحة فقال يا سيدي أو ينام من يخاف النار والعرض على الملك الجبار والتوبيخ غدا على الذنوب والاوزار ثم بكى بكاء طويلا فقلت له أنت حر لوجه الله تعالى فبكى وقال يا سيدي كان لي أجران أجر العبودية وأجر الخدمة وقد ذهب عني أحدهما أعتقك الله من حر نار جهنم قال عبد الرحمن فدفعت اليه نفقة فأبى قبولها وقال ان المتكفل بالارزاق حي لا يموت ثم خرج هائما على وجهه لا أدري أين ذهب رضي الله تعالى عنه واشوقاه الى أرباب القلوب واحسرتاه على فوات المطلوب يا محبوسا في سجن الغفلة لو أشرفت على وادي الدجى لرأيت خيام القوم مضروبة على شاطئ بحر كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ولسمعت أطيار أشجانهم على أغصان أحزانهم تترنم بالحان وبالاسحار هم يستغفرون لذ لهم السهر وصفا وقتهم من الكدر وخلوا بالمحبوب وهاروا

عن الشعبي أنه كان يحلف بالله ما فار التنور الا في ناحية الكوفة وقال اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان التنور على يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان فوران الماء علما لنوح ودليلا على هلاك قومه وقال مقاتل ذلك تنور آدم وانما كان بالشام في موضع يقال له عين وردة وقال ابن عباس كان التنور بالهند والفوران هو الغليان فلما رأى نوح أيقن بنزول العذاب فحمل من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كما أمره الله تعالى (قال) ابن عباس أرسل الله المطر أربعين يوما وليلة فأقبلت الوحوش والطير والدواب الى نوح حين أصابها المطر وحضرت له فحمل منها من كل زوجين اثنين فكان أول ما حمل نوح في الفلك من الدواب الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار بصدره تعلق ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه فجعل نوح يقول ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زلت على لسانه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك يا عدو الله فقال ألم تقل ادخل ولو كان الشيطان معك قال اخرج يا عدو الله قال ما أخرج وما كان بد لك أن تحملني معك وكان فيما يزعمون على ظهر الفلك (قال) مالك بن سليمان الهروي أتت الحية والعقرب أتيا نوحا فقالا احملنا فقال انكما سبب الضرر والبلايا فلا أحملكما قالا احملنا ونحن نضمن لك أن لا نضر أحدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لم تضراه (عن) وهب ابن منبه قال لما أمر الله تعالى نوحا أن يحمل من كل زوجين اثنين قال كيف أصنع بالاسد والبقر وكيف أصنع بالعناق والذئب وكيف أصنع بالحمام والهر قال الله تعالى له من ألقى بينهم العداوة قال أنت يا رب قال وأنا أؤلف بينهم حتى لا يتضاروا فحمل نوح السباع والدواب في الطبقة الاولى وألقى الله على الاسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب والبقر ولذلك قيل

وما الكلب محموما وان طال عمره * لعمرك ما المحموم دوما سوى الاسد

وحمل الوحوش في الطبقة الثانية وركب هو ومن معه من أولاد آدم في الطبقة العليا وحمل الدرة معه في الطبقة العليا شفقة عليها لئلا تقتلها شئ * واختلفوا في أهل السفينة الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى وأهلك الا من سبق عليه القول منهم قال الضحاك كان نوح اذا أراد أن ترسو السفينة قال بسم الله فرست واذا أرادت تجري قال بسم الله فجرت على الماء فذلك قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها الآية * ومن آمن وما آمن معه الا قليل من هم وكم هم قال قتادة لم يكن في السفينة الا نوح وامرأته وثلاثة من بنيه سام وحام ويافث ونساؤهم فجميعهم ثمانية فأصاب حام امرأته في السفينة فدعا نوح ربه قال فغيرت نطفته فجاء بالسودان (قال الكلبي) أمر نوح أن لا يقرب ذكر أنثى ما دام في السفينة فوثب الكلب على الكلبة فدعا عليه نوح فقال نوح اللهم اجعله عسرا وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين وثلاث كنائن له وقال ابن اسحق كانوا عشرة سوى نسائهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة أناس ممن كانوا آمنوا معه وأزواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا سبعين ونوح وامرأته وبنوه الثلاثة ونساؤهم وكان الجميع ثمانية وسبعين نفسا نصفهم نساء ونصفهم رجال وقال ابن عباس كانوا ثمانين انسانا وحمل نوح جسد آدم معه وجعله معترضا حاجزا بين الرجال والنساء * قالوا فلما ركب نوح في الفلك وأدخل معه كل من آمن كان ذلك في شهر آب بالرومية فلما دخلها وحمل معه من حمل تحركت ينابيع الارض والغوط الاكبر وأمطرت السماء كأفواه القرب كما قال تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر يعني التقى ماء السماء وماء الارض فجعل الماء ينزل من السماء وينبع من الارض حتى كثر واشتد وكان بين ارسال الماء وبين احتمال الماء الفلك أربعين يوما وليلة ثم احتمل الماء الفلك وكان كنعان بن نوح تخلف عن أبيه قال قتادة لم يركب في السفينة فناداه نوح وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وكان عهد كنعان الجبال انها تحصن من المطر فظن ذلك كما كان فقال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج

فكان

أحبتنا الشيخ مع الهوى قد حضرا
وسامح الكل عما قد مضى وجرى
وقد أدار على العشاق خمرته
صرفا يكاد سناها يخطف البصرا
يا سعد كرر لنا ذكر الحبيب لقد
طابت أسماعنا يا مطرب الفقرا
وما ركب الحي مالت معاطفه
لا شك ان حبيب القوم قد حضرا
وعند ذا انفك الاعلام قد رفعت
يوم هم علم الوصل قد نشرا
فساس الانس للمحبوب بجمعه
والكاس قد دار فيما بينهم سحرا
ومن سقاهم تجلى لا شبيه له
حاشاه يشبهه شمس ولا قمرا
من أتاه فقيرا الامر دله
سواه يكتبه من جملة الفقرا
هذا السماع الذي تشفى الصدور به
هذا الطبيب الذي قد حير الفكرا
سوف سقى عند ما ضاقت صدورهم
أزال عنهم جميع الشك والكدرا
* وحكي عن محمد بن الفضل رضي الله تعالى عنه * أنه قال رأيت شابا راقدا على الارض وقد افترش التراب تحته وهو يئن أنينا شديدا فقلت لصاحبي اعدل بنا اليه

فكان من المغرقين وكثر الماء وارتفع فوق الجبال قال ابن عباس ارتفع على أعلى جبل في الارض خمسة عشر ذراعا (وروت) عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو رحم الله أحدا من قوم نوح لرحم المرأة أم الصبي وذلك انها خشيت عليه من الماء وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل وحملت الصبي فلما بلغ رقبتها رفعته بيدها حتى ذهب بهما الماء فلو رحم الله أحدا منهم لرحم هذه قالوا ثم طافت السفينة بأهلها الارض كلها في ستة أشهر لا تستقر على شيء حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم أسبوعا وقد رفع الله البيت الذي كان حجه آدم صيانة له من الغرق وهو البيت المعمور وخبأ جبريل الحجر الاسود في جبل أبي قبيس فلما طافت السفينة بالحرم ذهبت في الارض تسير بهم حتى انتهت الى الجودي وهو جبل حصين من أرض الموصل فاستقرت عليه قال مجاهد تشامخت الجبال وتطاولت لئلا ينالها ماء فعلا الماء فوقها خمسة عشر ذراعا وتواضع لامر ربه الجودي فلم يغرق فأرست السفينة عليه فذلك قوله تعالى واستوت على الجودي (وقال) ابن عباس استوت السفينة على الجودي وقد باد ما على وجه الارض من الكفار ومن كل شيء فيه الروح والاشجار فلم يبق شيء من الحيوانات الا نوح ومن معه في الفلك والا عوج بن عنق فلذلك قوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين أي هلاكا (قال) ابن عباس كان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب منه من طوله ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله فقال لنوح احملني معك فقال اخرج يا عدو الله فاني لم أؤمر بحملك وطبق الله الماء على وجه الارض والجبال وما بلغ ركبتي عوج بن عنق فلما استوت السفينة على الجودي قيل يا أرض ابلعي ماءك أي انشفي ويا سماء أقلعي أي احبسي ماءك وغيض الماء أي ذهب ونقص فصار ما نزل من السماء هذه البحور التي في الارض لانها آخر ما بقي في الارض من ماء الطوفان وبقي في الارض أربعين سنة ثم ذهب (وروى) عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى بهم الى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب سام بن نوح قال ثم ضرب الكثيب بعصاه وقال له قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى أهكذا هلكت قال لا بل مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت فقال له حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الانس وطبقة فيها الطير فلما كثرت ارواث الدواب أوحى الله الى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة واقبلا على الروث فأكلاه فلما كثرت الفأر في السفينة وجعل يقرض حبالها وذلك أنه توالد في السفينة أوحى الله تعالى الى نوح أن اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر فأكلاه فقال له عيسى كيف علم نوح ان البلاد قد يبست قال بعث نوح غرابا يأتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها واشتغل عن الرجوع ودعا عليه نوح بالخوف فلذلك لا يألف البيوت ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها فعلم أن البلاد قد جفت قال فطوقها بالخضرة التي في عنقها ودعا لها أن تكون في انس وأمان فمن ثم تألف البيوت فقالوا يا رسول الله ألا ننطلق به الى أهلنا فيجلس معنا ويحدثنا قال كيف يتبعكم من لا رزق له ثم قال له عد باذن الله تعالى فعاد ترابا * وقال أهل التاريخ أرسل الله الطوفان لثلاثة عشر يوما خلت من آب ومضى ستمائة سنة من عمر نوح ولتتمة ألفي سنة ومائتي سنة وست وخمسين سنة من لدن أهبط آدم الى الارض وركب نوح ومن معه في السفينة لعشر خلون من رجب وخرجوا منها في العاشر من المحرم فلذلك سمي يوم عاشوراء وأقاموا في الفلك ستة أشهر فلما هبط نوح ومن معه من الفلك سالمين صام نوح وأمر جميع من معه من الانس والوحوش والدواب والطير فصاموا شكرا لله تعالى ويقال ان نوحا وقومه كانت قد أظلمت عليهم أعينهم في السفينة من دوام النظر الى الماء فأمروا بالاكتحال يوم عاشوراء الذي خرجوا فيه من السفينة (عن) ان

قيل هذا من العجيب وفي الظاهر أنه من المجانين فقلت انه يجب مولاه مفتون وهو يعرف بسعيد المجنون قال فتقربت اليه فاذا هو شاب نحيف الجسم وعليه جبة من صوف بالية وهو يقول عجبا لمن ذاق حلاوة محبته كيف ينقطع عن خدمته ثم لم يزل يردد القول حتى غشي عليه فقلت لصاحبي والله ما هو بمجنون وانما المجنون الذي لا يصل الى هذا المقام فلما أفاق من غشوته قال ما بالكم تنظرون الي فقلنا هل دواء يشفي من الداء الذي تجده فقال الذي ابتلى بالداء عنده الدواء ولكن الذي يتداوى يحتمي قلنا بماذا يحتمي قال بترك الحرام وتجنب الآثام ومراقبة الملك العلام والتهجد بالليل والناس نيام ثم بكى بكاء طويلا وبكينا معه وقلنا له نحن أتيناك فادع لنا فقال لست من خيل هذا الميدان فأقسمنا عليه فقال جعل الله قراكم المغفرة ومثواكم الجنة وجعل ذكر الموت مني ومنكم على بال قال فانصرفنا عنه وقد عجبنا من استواء لفظه وعاشقنا وبنا بكلامه ووعظه فهذه حالة المجانين من حب الحبيب فكيف بك أيها العاقل اللبيب يدعوك مولاك فلا تجيب ويستحضرك في حضرة قربه وأنت في المغيب

عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكتحل بالاثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينه أبدا فلما خرج نوح ومن معه من السفينة اتخذ في ناحية من أرض الجزيرة موضعا وابتنى هنالك قرية سموها سوق ثمانين لانه كان ابتنى فيها لمن آمن معه وهم ثمانون فهي اليوم تسمى سوق ثمانين فأوحى الله تعالى الى نوح انه لا يعود الطوفان الى الارض أبدا وعاش نوح بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة فكان جميع عمره ألف سنة الا خمسين عاما ثم قبضه الله تعالى اليه هذا هو أكثر أقاويل العلماء وكذلك هو في التوراة وقال عون بن أبي شداد عاش نوح بعد الطوفان ألف سنة الا خمسين عاما وقبله ثلثمائة وخمسين سنة فعلى هذا القول يكون مبلغ عمر نوح ألفا وثلثمائة سنة (وروى) انه قيل لنوح لما احتضر كيف وجدت الدنيا قال كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر ولما حضرته الوفاة أوصى ابنه ساما وجعله ولي عهده وكان ولد له سام قبل الطوفان بثمان وسبعين سنة وقيل لما حضرته الوفاة دعا ابنه ساما وهو بكره فقال يا بني أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين فأما اللتان أنهاك عنهما فالاشراك بالله والكبر فانه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من الشرك والكبر وأما اللتان أوصيك بهما فاني رأيتهما يكثران الولوج الى الله تعالى قول لا اله الا الله وسبحان الله فان قول لا اله الا الله لو جمعت السموات السبع والارضون السبع لخرقتهما حتى تبلغ الى ربها ولو جعلت لا اله الا الله في كفة ميزان لرجحت بالسموات السبع والارضين السبع وما فيها وأوصيك بسبحان الله فانها صلاة الخلق وبها يرزقون

((ذكر خصائص نوح عليه السلام))

وهي خمس عشرة خصلة لم يسم أحد من الانبياء باسمه وسمي بذلك لكثرة نوحه على نفسه وكان أول نبي من أنبياء الشريعة وأول داع الى الله تعالى وأول نذير عن الشرك وأول من عذبت أمته لردهم دعوته وأهلك أهل الارض كلهم بدعائه ويقال ان الله تعالى أوحى اليه بعد الطوفان اني خلقت خلقي وأمرتهم بطاعتي فانتهكوا معصيتي واشتد لذلك غضبي فعذبت بذنوب العاصين من لم يعصني وعذبت بذنوب بني آدم جميع خلقي فبي حلفت اني لا أعذب مثل هذا العذاب أحدا من خلقي بعدها ولكن اجعل الدنيا دولا بين عبادي ثم أجزيهم بأعمالهم اذا اجتمعوا عندي وكان عليه السلام أطول الانبياء عمرا وقيل له أكبر الانبياء وشيخ المرسلين وجعل معجزته في نفسه لانه عمر ألف سنة ولم ينقص له سن ولم تنقص له قوة ولم يبالغ أحد من الرسل في الدعوة مثل ما بالغ وكان يدعو قومه ليلا ونهارا واعلانا واسرارا ولم يلق نبي من أمته من الضرب والشتم وأنواع الاذى والجفاء ما لقي ودل لذلك قال الله تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين وجعل ثاني المصطفى صلى الله عليه وسلم في الميثاق والوحي قال الله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وقال تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وفي البعث هو أول من تنشق عنه الارض يوم القيامة بعد محمد صلى الله عليه وسلم وأعطاه الفلك وعلمه صنعته وحفظها بعينه وأجراها فوق الماء وسماه شكورا فقال تعالى ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا وأكرمه بالسلامة والبركة فقال تعالى يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك الآية (قال) محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وجعل ذريته هم الباقين فهو أول البشر وأصل النسل (وروى) عن الحسن عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لنوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج (قال) عطاء ودعا نوح على حام أن لا يعدو شعر ولده آذانهم وحيثما كان ولده يكونون عبيد الولد سام ويافث فلما هبط نوح وذريته من الفلك قسم الارض بين ولده أثلاثا فجعل لسام وسط الارض وفيها بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحون وجيحون وذلك ما بين قيسون الى شرقي النيل وما بين مجرى الجنوب الى مجرى الشمال وجعل لحام قسمه غرب النيل وما بين مجرى ريح الجنوب وما وراءه الى سيحون الى مجرى ريح الدبور وجعل قسم يافث من قيسون فما وراءه الى مجرى الصبا فذلك قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا

المؤمنين

الى متى أنت تضيع عمرك وما نلت منه نصيب اللهم تب علينا ووفقنا لطاعتك يا مجيب ﴿وحكي عن محمد بن أبي الفرج رضي الله تعالى عنه﴾ أنه قال احتجت في شهر رمضان الى جارية تصنع الطعام فرأيت في السوق جارية ينادى عليها بثمن يسير وهي مصفرة اللون نحيلة الجسم يابسة الجلد واشتريتها رحمة لها وأتيت بها الى المنزل فقلت لها خذي أوعيتك وامضي معي الى السوق لنشتري حوائج رمضان فقالت يا سيدي أنا كنت عند قوم كل زمانهم رمضان فعلمت أنها من الصالحات وكانت تقوم الليل كله في شهر رمضان فلما كانت ليلة العيد قلت لها امضي بنا الى السوق لنشتري حوائج العيد فقالت يا مولاي أي حوائج العيد تريد حوائج العوام أم حوائج الخواص فقلت لها صفي لي حوائج العوام وحوائج الخواص فقالت يا سيدي حوائج العوام طعام المعهود في العيد وحوائج الخواص الاعتزال عن الخلق والتفريد والتفرغ للخدمة والتجريد والتقرب بالطاعة للملك المجيد والتزام ذل العبيد فقلت لها انما أريد حوائج الطعام فقالت يا سيدي أي طعام تعني طعام الاجساد أم طعام القلوب فقلت لها [illegible] مالي فقالت اما

المؤمنين

((مجلس في قصة هود عليه السلام))

قال الله تعالى والى عاد أخاهم هودا الى تتقون وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهو عاد الاولى وكانوا ينزلون اليمن وكانت منازلهم منها بالشحر والاحقاف كما قال الله تعالى واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر الآية وهو رمال يقال لها رمل عالج وهي ما بين عمان الى حضرموت وكانوا مع ذلك قد فشوا في الارض وكثروا وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله تعالى وكان قد أعطاهم الله من القوة والقامة ما لم يعط غيرهم كما قال تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة أي عظما وطولا وقوة وشدة (قال) أبو حمزة اليماني كان طول كل رجل منهم سبعين ذراعا وقال ابن عباس ثمانين ذراعا وقال الكلبي كان اطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا (وقال) وهب كان رأس أحدهم كالقبة العظيمة وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله تعالى فمنها صنم يقال له صدى وصنم يقال له هرد وصنم يقال له هبا فبعث الله اليهم هودا نبيا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ✽ وقال محمد بن اسحق بن يسار وهود ابن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وولد لشالخ عابر بعد ان مضى من عمره ثلاثون سنة فأمرهم هود أن يوحدوا الله تعالى ولا يجعلوا معه الها غيره وان يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم فيما يذكر بغير ذلك فأبوا ذلك عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة وبنوا المصانع وبطشوا فيها بطش الجبارين كما قال تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى أضر بهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد طلبوا من الله تعالى الفرج وكان طلبهم ذلك من الله تعالى عند بيته الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة أديانهم وكلهم معظم لمكة عارف بحرمتها ومكانها عند الله تعالى وأهل مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان أباهم عمليق بن سام بن نوح وكان سيد العماليق اذ ذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية اسمها باهدة بنت الخيبري رجل من عاد فلما قحط المطر عن عاد جهدوا وقالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة فليستقوا لكم فبعثوا منهم قيل بن عنز ولقيم بن هزال بن هزيل وعتيل بن ضد بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما كتم اسلامه وجهلمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر ثم بعثوا أيضا لقمان بن عاد بن ضد بن عاد الاكبر فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية ابن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمور وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يستغيثون من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه وقال هلك اخوالي وأصهاري وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي والله ما أدري كيف أصنع بهم فأستحيي أن آمرهم بالخروج الى ما بعثوا اليه فيظنون أنه ضيق مني بمقامهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا فشكا ذلك من أمرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا له قل شعرا نغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك يحركهم فقال معاوية بن بكر

الا يا قيل ويحك قم فهينم ✽ لعل الله يمنحنا غماما
فيسقي أرض عاد ان عادا ✽ قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو ✽ به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير ✽ فقد امست نساؤهم عيامى
وان الوحش يأتيهم جهارا ✽ ولا يخشى لعادي سهاما

طعام الاجساد فهو القوت المعتاد وأما طعام القلوب فترك الذنوب واصلاح العيوب والتمتع بمشاهدة المحبوب والرضا بحصول المطلوب وحوائجه الخشوع والتقوى وترك التكبر والدعوى والرجوع الى المولى والتوكل عليه في السر والنجوى ثم انها قامت تصلي فقرأت في الركعة الاولى سورة البقرة الى آخرها ثم شرعت في آل عمران الى آخرها فلم تزل تختم سورة بعد سورة حتى وصلت الى سورة ابراهيم الى قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ قال فلم تزل تكرر هذه الآية وتبكي الى أن أغمي عليها وسقطت الى الارض فحركتها فاذا هي ميتة رحمة الله تعالى عليها ✽ ((وحكي عن الاصمعي رضي الله تعالى عنه)) انه قال خرجت حاجا الى بيت الله الحرام من طريق الشام فبينما نحن سائرون اذ خرج علينا أسد عظيم هائل المنظر فقطع على الركب الطريق فقلت لرجل بجانبي اما في هذا رجل يأخذ سيفا يرد عنا هذا الاسد فقال اما رجل فلا أعرف ولكني أعرف امرأة تردّه من غير سيف فقلت وأين هي فقام وقمت معه الى هودج قريب

وأنتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكم وتماما

فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم يستغيثون بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد وكان قد آمن بهود عليه السلام سرا انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وأنبتم الى ربكم سقيتم فأظهر اسلامه عند ذلك قال جهلة بن الخيبري خال معاوية حين سمع قوله وعرف انه قد تبع دين هود عليه السلام

أبا سعد فانك من قبيل * ذوي كرم وأمك من ثمود

فانا لا نطيعك ما بقينا * ولسنا فاعلين لما تريد

أتأمرنا لنترك دين رفد * ورمل وآل ضد والعبود

ونترك دين آباء كرام * ذوي رأي ونتبع دين هود

ثم قال لمعاوية بن بكر وأبيه بكر وكان شيخا كبيرا احبسا عنا مرثد بن سعد حتى لا يقدم معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا الى مكة يستسقون لعاد بها فلما دخلوا مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتى أدركهم بمكة قبل أن يدعوا الله بشيء مما خرجوا اليه فلما انتهى قام يدعو الله ووفد عاد قد أخذوا يدعون فجعل يقول اللهم أعطني سؤلي وحدي ولا تدخلني في شيء مما يدعو به وفد عاد وكان قيل ابن عنز رأس وفد عاد فدعا لهم أن يؤمنوا عليه فقال وفد عاد اللهم أعط قيلا ما سألك واجعل سؤالنا مع سؤاله وكان تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد ولم يدخل في دعوتهم فقال اللهم اني جئتك وحدي في حاجتي فأعطني سؤلي وقال قيل بن عنز حين دعوا استسق اللهم لم أجئ لمريض فأداويه ولا لأسير فأفاديه اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فأنشأ الله سحائب ثلاثة واحدة بيضاء وواحدة حمراء وواحدة سوداء ثم ناداه مناد من السحاب يا قيل اختر لنفسك واحدة من هذه السحب الثلاث فقال قيل اخترت السحابة السوداء فانها أكثر السحاب ماء فناداه المنادي يقول اخترت يا قيل رمادا رمددا لم تبق من آل عاد أحدا لا والدا تتركه ولا ولدا الا جعلتهم رميما همدا الا بني اللويذة المهتدين وبنو اللويذة رهط من هزال بن هزال بن بكر وكانوا سكانا بمكة مع أخوالهم لم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد الآخرة وساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها أي كل شيء مرت به وكان أول من أبصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما تبينت ما فيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا ما رأيت قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها (أخبرنا) الحسن ابن محمد بن الحسين أنبأنا محمد بن جعفر أنبأنا الحسن بن علوة أنبأنا اسمعيل بن عيسى أنبأنا اسحق بن بشر أخبرني المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال أوحى الله تعالى الى الريح العقيم أن تخرج على قوم عاد فتنتقم له منهم فخرجت بغير كيل ولا وزن على قدر منخر ثور حتى رجفت الارض مما يلي المشرق والمغرب قال فقال الخزان يا رب ان نطيقها ولو خرجت على حالها لاهلكت ما بين مشارق الارض ومغاربها فأوحى الله اليها ان ارجعي فاخرجي على قدر خرق الخاتم وهي الحلقة قال فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أي دائمة متتابعة ولم تدع أحدا من عاد الا أهلكته وكان هود ومن معه قد اعتزلوا في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين جلودهم وتلذ به الانفس وانها من عاد لتمر فتحملهم ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا (قال) محمد بن اسحق والسدي بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فتبادروا البيوت فلما دخلوها دخلت عليهم الريح فأخرجتهم منها فأهلكوا فلما أهلكهم الله تعالى أرسل عليهم طيورا سودا

فنقلتهم

من الشاوي بانشبة الترك تزدري مقاصد الاسد فقالت يا أبت أطيب قلبك أني نظرت الى الاسد وهو ذكر وأنا أنثى ولكن قل له ابنتي فاطمة تقرئك السلام وتقسم عليك بالذي لا تأخذه سنة ولا نوم الا ما عدلت عن طريق القوم قال الاصمعي فوالله ما استتمت كلامها حتى رأيت الاسد ذاهبا أمامنا وهذه والله دلائل الصالحين وأمارة العارفين نفعنا الله تعالى بهم آمين (وروي عن بعض الصالحين رضي الله تعالى عنه) انه رأى جارية في البادية وهي تمشي وتفرح وليس معها أحد فقال من أين أقبلت فقالت له من عند الحبيب قال والى أين تريدين قالت الى الحبيب قال ذا تستوحشين وحدك في هذه البرية فرفعت صوتها ونادت بأعلاه يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ثم قالت يا بطال من استأنس بالله استوحش مما سواه ومن طلب رضاه صبر على قضاه ثم غابت عني فلم أرها رضي الله تعالى عنها (وحكي عن السري السقطي رضي الله تعالى عنه) انه قال أرقت ليلة من الليالي فلم أستطع الغمض

لتلقيهم في البحر فألقتهم فيه (قال) ابن إسحاق لما هبت الريح على عاد من الوادي قال تسعة رهط منهم أحدهم الخلجان وكان رئيسهم وكبيرهم في ذلك الزمان تعالوا حتى نقوم على رأس الوادي فنردها فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله ثم ترمي به فتندق عنقه وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم عليهم بيوتهم وتقلعهم فتتركهم كما قال الله تعالى كأنهم أعجاز نخل خاوية حتى لم يبق منهم إلا الخلجان فمال إلى الجبل فأخذ بجانب منه فهزه فاهتز في يده ثم أنشأ يقول

لم يبق إلا الخلجان نفسه * يا لك من يوم دهاني أمسه
ثبات الوطء شديدا بطشه * لو لم يجئني جئته وجسته

فقال له هود ويحك يا خلجان أسلم تسلم فقال له ما لي عند ربك إذا أسلمت قال الجنة قال فما هؤلاء الذين أراهم في السحاب كأنهم البخت قال هود ذلك الملائكة قال إن أسلمت أيقيدني ربك منهم لقومي قال ويحك هل رأيت ملكا يقيد من جنوده فقال لو فعل ما رضيت فجاءت الريح فألحقته بأصحابه وأهلكته وأفنى الله عادا سوى من بقي من قومهم بمكة ونواحيها (أخبرنا) الحسين بن محمد الدينوري أخبرنا أحمد بن محمد بن إسحق السني أخبرنا أبو يعلى الموصلي أخبرنا إسحق بن أبي إسرائيل وعبيد الله بن عمر القواريري أخبرنا جعفر ابن سليمان الضبعي أخبرنا فرقد السبخي عن عاصم عن عمرو البجلي عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبيت قوم من هذه الأمة على طعام وشراب ولهو فيصبحون قردة وخنازير ويصيبهم خسف وقذف فيقولون لقد خسف الليلة ببني فلان وليرسلن عليهم الريح العقيم التي أهلكت عادا بشربهم الخمور وأكلهم الربا واتخاذهم القينات ولبسهم الحرير وقطعهم الأرحام قالوا وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينما هم عنده إذ أقبل رجل على ناقة له في ليلة مقمرة من أمصار عاد فأخبرهم بهلاك عاد فقالوا له أين فارقت هودا وأصحابه قال فارقتهم بساحل البحر فكأنهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هزيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة ومثوب بن يعفر ابن أخي معاوية بن بكر معهم قالوا وقد قيل لمرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عنز حين دعوا بمكة قد أعطيتم مناكم فاختاروا لأنفسكم فقال مرثد اللهم أعطني برا وصدقا فأعطي ذلك وقال قيل أختار أن يصيبني ما أصاب قومي فقيل له الهلاك فقال لا أبالي لا حاجة لي في البقاء بعد قومي فأصابه الذي أصاب عادا من العذاب فهلك وقال لقمان يا رب أعطني عمرا فقيل له اختر لنفسك بقاء سبع بعرات سمر من أظب عفر لا يمسها القطر أو عمر سبعة أنسر إذا مضى نسر خلفت إلى نسر آخر فاستحقر بقاء الأبعار واختار عمر النسور فعمر عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته فيأخذ الذكر منها لقوته فيربيه حتى إذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل مثل ذلك حتى أتى إلى السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ للقمان يا عم لم يبق من عمرك إلا هذا النسر فقال لقمان يا ابن أخي هذا لبد ولبد بلسانهم الدهر فلما انقضى عمر لبد طارت النسور غداة من رأس الجبل ولم ينهض لبد فيها وكانت نسور لقمان لا تغيب عنه قال فلما رأى لبدا لم ينهض مع النسور قام إلى الجبل لينظر ما فعل لبد فوجد لقمان في نفسه وهنا لم يكن يجده قبل ذلك فلما انتهى إلى الجبل رأى نسره لبدا واقعا بين النسور فناداه انهض لبد فذهب لينهض فلم يستطع فسقط ومات لقمان معه وفيه جرى المثل أتى أبد على لبد وقال النابغة الذبياني

أضحت قفارا وأضحى أهلها احتملوا * أخنى عليها الذي أخنى على لبد

وقال محمد بن إسحق قال مرثد بن سعد حين سمع قول الراكب الذي أخبرهم بهلاك عاد شعرا

عصت عاد رسولهم فأمسوا * عطاشا ما تبلهم السماء
وسير وفدهم شهرا ليسقوا * فأردفهم مع العطش العماء
بكفرهم بربهم جهارا * على آثارهم عاد العفاء
ألا نزع الإله حلوم عاد * فإن قلوبهم قفر هواء

فقلت في نفسي أخرج إلى المقابر لعلي أعتبر برؤية القبور والتفكر في البعث والنشور فيزول همي وغمي فخرجت إليها فما وجدت قلبي منشرحا لديها فقلت أدخل الأسواق لعلي باختلاط الناس يزول عني الباس ففعلت ذلك فما انشرح قلبي هنالك فقلت أدخل المارستان وأنظر إلى المرضى والمجانين وإلى أفعالهم لعلي أعتبر بأحوالهم فدخلت إليه فوجدت قلبي مقبلا عليه فقلت إلهي وسيدي إلى ههنا سيرتني ولأجله من منامي أيقظتني فنوديت في سري ما أتينا بك إلى هذا المكان إلا ولنا فيه نبأ وشان قال السري فتقدمت إلى مكان المجانين فرأيت فيه جارية مصفرة اللون متغيرة ويداها مغلولتان إلى عنقها وهي مشغولة بذكر الله تعالى قال السري فقلت للقيم على المجانين ما شأن هذه الجارية فقال جارية اختل عقلها فحبسها مولاها فلما سمعت الجارية كلامه تنهدت وأنشدت تقول هذه الأبيات شعرا

معشر الناس ما جننت ولكن
أنا سكرانة وقلبي صاحي
قد غللتم يدي ولم آت ذنبا
غير هتكي في حبه وافتضاحي
أنا مفتونة بحب حبيب
لست أبغي عن بابه من براح

من الرب المهيمن اذ عصوه * وما تغني النصيحة والشقاء
فنفسي وابنتاي وأم ولدي * لنفس نبينا هود فداء
أتانا والقلوب مصمّيات * على ظلم وقد ذهب الضياء
لنا صنم يقال له صمود * يقابله صُداء والهباء
فأبصره الذين له أنابوا * وأدرك من يكذبه الشقاء
واني سوف ألحق آل هود * واخوته اذا جن المساء

ثم انه لحق بهود ومن آمن معه وبقي هود ماشاء الله ثم مات وعمره مائة وخمسون سنة وقال أبو الطفيل عامر ابن واثلة سمعت عليا رضي الله عنه يقول لرجل من أهل حضرموت هل رأيت كثيبا أحمر تخالطه مدرة حمراء وأراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من حضرموت قال نعم يا أمير المؤمنين انك لتنعته لي نعت رجل قد رآه قال لا ولكني قد حدثت عنه فقال الحضرمي وما شأنه يا أمير المؤمنين فقال فيه قبر النبي هود عليه السلام أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبي العراني أنبأنا المغيرة بن عمرو بن الوليد بمكة في المسجد الحرام بين الركن والمقام أنبأنا المفضل بن يحيى الجندي أنبأنا يونس بن محمد أنبأنا يزيد بن أبي حكيم عن سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن سابط أنه قال بين الركن والمقام وزمزم قبور تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم السلام في تلك البقعة (وفي رواية أخرى) كان النبي من الانبياء اذا هلك قومه ونجا هو والصالحون معه يأتي مكة هو ومن معه يعبدون الله تعالى حتى يموتوا والله أعلم

﴿مجلس في قصة صالح عليه السلام﴾

قال الله تعالى والى ثمود أخاهم صالحا وهو ثمود بن عامر بن ارم بن سام بن نوح وهو أخو جديس وأراد ههنا القبيلة قال أبو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها والثمد الماء القليل وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام وكان من قصتهم على ما ذكر محمد بن اسحق بن يسار والسدي والكلبي ووهب بن منبه وكعب وغيرهم من أهل الكتب دخل كلام بعضهم في بعض أن عادا الاولى لما أهلكهم الله تعالى وانقضى أمرهم عمرت ثمود بعدهم واستخلفوا في الارض فنزلوا فيها وكثروا وعمروا حتى جعل بعضهم يبني المسكن من الحجر والمدر فينهدم وهو حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فنحتوها وجابوها وجوفوها وكانوا في سعة من معايشهم كما قال الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين فخالفوا أمر الله وعبدوا غيره وأفسدوا في الارض فبعث الله اليهم صالحا نبيا وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد ابن حاذر بن ثمود وكانوا قوما عربا وكان صالح من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا فبعثه الله تعالى اليهم رسولا فدعاهم الى الله تعالى والى عبادته فلم يتبعه الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر عليهم التخويف والتحذير سألوه أن يريهم آية تكون مصداقا لما يقول فقال اللهم أرهم آية ليعتبروا بها ثم قال لهم أي آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون اليه بأصنامهم في يوم معلوم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا بأوثانهم الى عيدهم ذلك وخرج صالح معهم فدعوا أوثانهم وسألوها أن لا يستجاب لصالح في شيء مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن جواس وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة يعني الصخرة المنفردة عن الجبال في ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء والمخترجة ما شاكلت البخت من الابل فان فعلت ذلك صدقناك وآمنا بك فأخذ عليهم صالح الميثاق أنه ان فعل ذلك صدقوه وآمنوا به ثم ان صالحا عليه السلام صلى ودعا الله تعالى بذلك فتمخضت الصخرة تمخض المنتوج بولدها ثم تحركت الهضبة وانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما سألوه لا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعالى عظما وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه

واراد

فيا لائمي في البكا زدتم قبيلكي
وقصادتي الأمى زاد أيتم صلاحي
قال السري فلما سمعت كلامها أقلقني وأبكاني وهيج لوعتي وأشجاني فلما رأت دمعي ينحدر على وجنتي قالت يا سري ما جهلت منذ عرفت ولا فترت منذ خدمت ولا قطعت منذ وصلت ولا حجبت منذ وقفت وأهل الدرجات يعرف بعضهم بعضا قال السري فقلت لها يا جارية أراك للمحبة تذكرين وللتوحيد تظهرين فلم تحبسين فقالت لمن تعرف علينا بكرامه وتحبب الينا بانعامه وجاد علينا بجزيل عطائه فهو قريب الى القلوب مفرج للكروب حليم على من عصاه مجيب لمن دعاه قال السري فقلت من حبسك في هذا المكان فقالت حاسدون مبغضون تعاونوا علي ورموني بالجنون وهم أحق بهذا الاسم مني وأنشدت تقول
يا من رأى وحشتي فآنسني
ما اقرب من وصله فأنعشني
يا سامعي لا حلوت من سكني
دهري ويا عدتي على الزمن
أو حشني ما فقدت منه فقد
عاد باحسانه يقربني
وعاد أيضا على منعطفا
كذلك قد كنت حين عرفني
حسبي من الكون من شغفت به
أحببه مؤنسا يصحبني
وكنت في غفلة فنبهني

وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا بصالح ويتابعوه منهم دؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صمعر وكانوا من أشراف ثمود وكان لجندع بن عمرو ابن عم يقال له شهاب بن خليفة فأراد أن يسلم فنهاه أولئك الرهط فأطاعهم فقال رجل من ثمود

وكانت عصبة من آل عمرو * الى دين النبي دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعا * فهمت أن يجيب ولو أجابا
لأصبح صالح فينا عزيزا * وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حجر * تولوا بعد رشدهم ذبابا

فلما خرجت الناقة قال صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فكانت الناقة ومعها سقبها في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء فكانت ترد الماء يوما ولهم يوم فاذا كان يومها وضعت رأسها في بئر بأرض الحجر يقال لها بئر الناقة فيرتفع الماء اليها فما ترفع رأسها الا وقد شربت جميع مافيها ولا تدع قطرة ماء فيها فتتفحج ثم تروح عليهم فيحلبون من لبنها ماشاؤا فيشربون ويدخرون ويملؤن أوانيهم لكن تصدر من غير الفج الذي وردت منه لانها لاتقدر أن تصدر من حيث وردت لانه يضيق عليها قال أبو موسى الاشعري أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا فاذا كان الغد من يومهم شربوا من الماء وقد أخرجه الله تعالى لهم من البئر وادخروا ماشاؤا قدر كفايتهم في يوم الناقة وكانوا من ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة في الصيف اذا كان الحر تطلع ظهر الوادي فتهرب منها أغنامهم وبقرهم وابلهم وتهبط الى بطن الوادي في حره وجدبه فكانت المواشي تنفر منها اذا رأتها واذا كان الشتاء سبقت الناقة في بطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهر الوادي في البرد والجدب فأضر ذلك بمواشيهم للبلاء والاختبار فكانت مرابعها الجبال فكبر ذلك عليهم حتى حملوا على عقر الناقة فاحتالوا في عقرها وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنم بن مجلز وتكنى أم غنم وهي من بني عبيد بن المهل وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزا مسنة ولها بنات حسان ومال كثير من الابل والبقر والغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوق بنت المحيا بن مهر وكانت غنية جميلة ذات مواش كثيرة وكانتا هاتان المرأتان من أشد الناس عداوة لصالح وكانتا تحتالان في عقر الناقة من كفرهما بصالح بما أضرت بمواشيهما وكانت صدوق عند ابن خال لها يقال له صنيم بن هراوة بن سعد بن الغطريف بن هلال فأسلم وحسن اسلامه وكانت صدوق قد فوضت اليه مالها فأنفقه على من أسلم معه من أصحاب صالح عليه الصلاة والسلام حتى نفد المال فاطلعت صدوق على اسلامه فعاتبته على ذلك فأظهر لها دينه ودعاها الى الله تعالى فأبت عليه وأخذت أولادها وغيبتهم في بني عمها الذين هي منهم فقال لها زوجها ردي على أولادي فلما ألح عليها قالت حتى أحاكمك الى بني عمي وذلك ان بني عم زوجها كانوا مسلمين فأبت أن تحاكمه اليهم فقال لها بنو عمها والله لتعطينه ولده طائعة أو كارهة فلما رأت ذلك أعطته أولاده ثم ان صدوق وعنيزة احتالتا في عقر الناقة للشقاء الذي كتب عليهما فدعت صدوق رجلا من ثمود يقال له الحباب فأمرته بعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل ذلك فأبى عليها ثم انها دعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها ان هو عقر الناقة وكانت من أوفر الناس جمالا وأكثرهم مالا وأحسنهم كمالا فأجابها الى ذلك ودعت عنيزة قدار بن سالف من أهل قدح واسم أمه قديرة وكان رجلا أشقر أزرق قصيرا ويزعمون انه كان لزنية رجل يقال له صهوان ولم يكن لسالف ولكنه قد ولد على فراشه فقالت له ياقدار أعطيك من بناتي أيما شئت على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزا في قومه وذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث أشقاها رجل عزيز في قومه مثل أبي زمعة قالوا فانطلق قدار ومصدع فاستعانوا من ثمود فانبعهم سبعة نفر وكانوا تسعة رهط كما قال الله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون فلقيهم هذيات بن مبلع خال قدار وكان عزيزا من أهل الحجر ودعير بن غنم بن داعرة أخو مصدع وخمسة لم تذكر أسماؤهم

وسمعت رجسه ويبهجني قال السري فقلت لها ما الامر فقالت دع الامر يكفيك فما سمعت نفيسه فبينما نحن كذلك اذ أقبل سيدها فقال للموكل عليها أين بدعة فقال قد دخل عليها الشيخ السري فكلمها بكلام أصغت اليه فدخل سيدها فرأى السري عندها فعظمه وقبل يده وقال ياسيدي لقد رحمت ببركتك فقال له أي شئ أنكرت منها فقال ياسيدي هذه جارية كانت تضرب بالعود فأعجبتني فشريتها بجميع مالي وهو عشرون ألف درهم لفرط حسنها وحسن ضربها بالعود وأملت أن أربح فيها مثل ثمنها فدخلت عليها في بعض الايام والعود في حجرها وهي تغني وتنشد هذه الابيات شعرا

وحقك ما نقضت الدهر عهدا
ولا كدرت بعد الصفو ودا
ملأت جوانحي والقلب وجدا
فكيف أقر يا سكني وأهدا
فيامن ليس لي مولى سواه
لقد صيرتني في الناس عبدا

قال فلما فرغت من غنائها بكت بكاء طويلا ثم ضربت بالعود في الارض فكسرته وجعلت تهيم وتصيح وهي ذاهلة العقل فاتهمتها بمحبة المخلوق ثم كشفت عن حالها فلم أجد لذلك أثرا قال

فاجتمعوا على عقر الناقة قال السدى وغيره أوحى الله الى صالح ان قومك ستعقرون الناقة فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل ذلك فقال لهم انه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا جرم لا يولد لنا في هذا الشهر ولد الا قتلناه فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر تسعة بنين فذبحوا أولادهم وولد للعاشر ابن فأبى أن يذبح ابنه وكان بكره لم يولد له قبل ذلك شئ وكان ابن العاشر أزرق أحمر فنبت نباتا سريعا وكان اذا مر بالتسعة ورأوه قالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتل أولادهم فتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله قالوا نخرج فنرى الناس أنا قد خرجنا السفر فنأتي الغار فنكمن فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده أتيناه فقتلناه ثم نرجع الى الغار فنكمن فيه ثم ننصرف بعد ذلك الى رحالنا فنقول ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون فيصدقوننا ويظنون أنا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام الليل معهم في القرية وكان يأوي الى مسجد يقال له مسجد صالح يبيت فيه بالليل فاذا أصبح أتاهم ووعظهم وذكرهم فاذا أمسى خرج الى المسجد فبات فيه فلما دخلوا الغار وأضمروا انهم يخرجون اليه بالليل فيقتلونه سقطت عليهم صخرة من الغار فقتلتهم فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على ذلك الى الغار فاذا هم رضخ فرجعوا يصيحون في القرية يا عباد الله ما قنع صالح أن أمرهم بقتل أولادهم حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة (وقال) ابن اسحق انما كان تقاسم التسعة على تبييت صالح عليه السلام بعد عقرهم الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب وذلك ان التسعة الذين عقروا الناقة قالوا هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا كنا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته فأتوه ليلا ليبيتوه في أهله فرمتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطؤا على أصحابهم أتى أصحابهم منزل صالح فوجدوهم مشدخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم وهموا به فقامت عشيرته دونه وأخذوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه أبدا فقد وعدكم بان العذاب نازل بكم في ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم الا غضبا وان كان كاذبا فأنتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك (قال) السدى وغيره فلما ولد ابن العاشر يعني قدار وكان يشب في كل يوم شباب غيره في الجمعة ويشب في الجمعة شباب غيره في الشهر ويشب في الشهر شباب غيره في السنة فلما كبر جلس مع أناس يصيبون من الشراب فأرادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد عليهم ذلك وقالوا ما نصنع باللبن لو كنا نأخذ الماء الذي تشربه هذه الناقة فنسقيه انعامنا وحرثنا كان خيرا لنا فقال ابن العاشر هل لكم أن أعقرها قالوا نعم (وقال) كعب كان سبب عقرهم الناقة امرأة يقال لها ملكا كانت قد ملكت ثمود فلما أقبل الناس على صالح وصارت الرياسة اليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها قطام وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامرأة أخرى يقال لها قبال وكانت معشوقة مصدع بن مهرج وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة يشربون الخمر فقالت لهما ملكا ان أتاكما الليلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما ان الملكة حزينة لاجل صالح وناقته فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة فان عقرتماها أطعناكما فلما أتياهما قالتا لهما هذه المقالة فقالا نحن نعقرها (قال) ابن اسحق وغيره وانطلق قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في اصل شجرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل شجرة أخرى فمرت الناقة على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت أم غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجها فتراءت لقدار وأسفرت له عن وجهها وحرضته على عقر الناقة فشد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فأرداها وطعن في لبتها فنحرها وخرج أهل البلدة واقتسموا لحمها وأكلوها وكانت لما عقرها رغت فلما رأى سقبها ذلك انطلق حتى أتى جبلا منيعا يقال له ضو وقيل اسمه قارة وروى ذلك مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث شهر بن حوشب عن عمرو بن خارجة فأتى صالح عليه السلام فقيل له أدرك ناقتك فقد عقرت وأقبلوا وخرجوا يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يا نبي الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال لهم صالح

انظروا

السري فقلت لها ما الذي أجد اجرى عليك فقالت له هذا الكلام قول شعرا يا من أباح القلب من جناني وكان وعظي على لساني قربني منه بعد بعد وخصني منه واصطفاني أجبت لما دعيت طوعا ملبيا للذي دعاني وخفت مما جنيت فيه ما أوقع الحب بالأماني قال السري فقلت لسيدها أطلقها وعلي دفع ثمنها فصاح سيدها وافقراه من أين لك ثمن هذه الجارية قال السري فقلت لا تعجل وامكث في هذا المكان حتى آتيك بثمنها قال السري فمضيت الى منزلي وعيناي تذرفان بالدموع وقلبي بسببها موجوع وصرت أتضرع الى الله تعالى وأتوجه اليه وأتوكل في قضاء حاجتي عليه فبينما أنا كذلك اذ قارع يقرع الباب فقلت من بالباب فقال حبيب من الاحباب فنظرت فاذا هو شاب من أحسن الناس وجها ومعه خادم على رأسه خمس بدر فقلت من أنت يرحمك الله فقال أحمد بن المثنى قد أعطاني الجبار جل جلاله ومابخل على بعطائه ورزقني من الاموال ما يعجز عن حمله الرجال فبينما أنا نائم اذ هتف بي هاتف من قبل الله عز وجل فقال يا أحمد هل لك في معاملتنا فقلت

[illegible] الا [illegible]
[illegible] أحد [illegible] وأوحى الله الى الجبل فتطاول في السماء حتى ما تناله الطير وجاء صالح عليه السلام
فلما رأى الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا وانفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح عليه السلام
لكل رغوة أجل يوم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب ذلك وعد غير مكذوب قال محمد بن اسحق
[illegible] الفصيل أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع وأخوه ذؤاب ولد مهرج فرماه
مصدع بسهم وانتظم قلبه ثم جر برجله فأنزله وألقوا لحمه مع لحم أمه فقال لهم صالح عليه السلام انتهكتم
حرمة الله فأبشروا بعذاب الله تعالى ونقمته فقالوا مستهزئين به ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك وكانوا
يسمون الايام فيوم الاحد الاول والاثنين أهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة
العروبة والسبت شيار وفيه يقول الشاعر

أؤمل ان أعيش وان يومي ✱ بأول أو بأهون أو جبار
أو المردى دبار فان أفته ✱ فمؤنس أو عروبة أو شيار

قالوا وكان عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح عليه السلام حين سألوه عن وقت العذاب وآيته انكم
تصبحون غداة مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار
ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم الاول فأصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنما طليت
بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فأيقنوا بالعذاب وعرفوا أن صالحا قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه
فخرج صالح عليه السلام هاربا منهم حتى لحق الى بطن من ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم رجل
منهم يقال له نفيل ويكنى أبا هدب وهو مشرك فغيبه عنهم فلم يقدروا عليه فعدوا على أصحاب صالح
يعذبونهم ليدلوهم عليه فقال رجل من أصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يا نبي الله انهم ليعذبوننا لندلهم
عليك أفندلهم قال نعم فدلهم عليه مبدع فأتوا أبا هدب فكلموه في ذلك فقال نعم هو عندي وليس لكم اليه
سبيل فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما أنزل الله تعالى بهم من عذابه فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون
في وجوههم فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يوم من الاجل فلما أصبحوا اليوم الثاني اذا وجوههم
محمرة كأنما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا أن العذاب واقع بهم فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم
ألا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كأنما
طليت بالقار فصاحوا جميعا ألا قد حضركم العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج صالح عليه السلام من بين
أظهرهم وخرج معه من آمن حتى جاؤا الشام فنزلوا رملة فلسطين فلما أصبح القوم تكفنوا وتحنطوا وكان
حنوطهم الصبر والمر وكانت أكفانهم الانطاع ثم ألقوا أنفسهم بالارض فجعلوا يقلبون أبصارهم الى السماء
مرة والى الارض مرة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد أتتهم صيحة من
السماء فيها صوت وكل صاعقة وصوت كل شئ له صوت في الارض فقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق فيهم
صغير ولا كبير الا هلك كما قال عز وجل فأصبحوا في دارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا ان ثمود كفروا ربهم
ألا بعدا لثمود ولم ينج منهم الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت شاف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح
فأطلق الله لها رجليها بعدما عاينت العذاب أجمع فخرجت كأسرع شئ يكون حتى أتت قرحا وهو وادي
القرى حد ما بين الحجاز والشام فأخبرتهم بما عاينت من العذاب وما أصاب ثمود ثم استسقت من الماء فسقيت
فلما شربت ماتت (وروى) أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر في غزوة
تبوك قال لاصحابه لا يدخلن أحد منكم هذه القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين
الا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم ثم قال أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم
صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فتشرب
ماءهم يوم ورودها وأراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتقى الفصيل حين ارتقى في القارة فعتوا عن أمر

وقد زال [illegible] عني وعن
أرى ذلك من [illegible]
أهل [illegible] الى الشيخ السري
حتى [illegible] المتولى
[illegible] أمرها من
الرق وحظي منها بالعتق
فلما [illegible] وقد
ورقاه [illegible]
هذا المال وأطلعتها على
الحال قال السري فسجدت
شكرا لله تعالى وأخذت
بيد أحمد ومضينا الى
المارستان واذا بالموكل
عليها يلتفت يمينا وشمالا
فلما رآني قال مرحبا ادخل
عليها فانها لهفانة ولها عند
الله حرمة ومكانة قال
فدخلنا عليها فسمعناها تقول
شعرا
قد تصبرت الى ان
عيل في حبك صبري
وكتمت الوجد لكن
ليس يخفى فيك أمري
ان تكن عني راض
لا أبالي طول دهري
أنت لي خير أنيس
يا منى سؤلي وذخري
من يد يعتق رقي
ويفك اليوم أسري
غيرك اللهم ربي
أنت لي كاشف ضري
قال فبينما هي تنشد اذ أقبل
مولاها وهو يبكي وينتحب
قال السري فقلت له لا بأس
عليك قد أتيناك بالذي
ورثته في الجارية بربح
خمسة آلاف درهم فقال لا
والله فقلت بربح عشرة
آلاف درهم فقال لا والله

بهم وعقروها فأهلكهم الله تعالى من تحت أديم السماء منهم في مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له أبو رغال وهو أبو ثقيف كان في حرم الله تعالى فمنعه حرم الله من عذاب الله تعالى فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ودفن معه غصن من ذهب وأراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أبي رغال فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم وبحثوا عليه فاستخرجوا ذلك الغصن من الذهب ثم تقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه وأسرع السير حتى جاوزوا الوادي وقال أهل العلم توفي صالح عليه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وذلك انه انتقل من الشام الى مكة بعدما أهلك الله تعالى قومه وكان يعبد الله تعالى هنالك حتى مات وكان قد أقام في قومه عشرين سنة (أخبرنا) محمد بن عبد الله بن حمدون قال أخبرنا عبد الله بن محمد بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن هاشم حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا قتيبة أبو عثمان عن أبيه عن الضحاك ابن مزاحم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي أتدري من أشقى الاولين قال قلت الله ورسوله أعلم قال عاقر الناقة قال يا علي أتدري من أشقى الآخرين قال قلت الله ورسوله أعلم قال قاتلك والله أعلم

﴿مجلس في قصة ابراهيم عليه السلام والنمرود﴾

وهو ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشد بن سام بن نوح وكان اسم أبي ابراهيم الذي سماه به أبوه تارخ فلما صار مع النمرود قيما على خزائن آلهته سماه آزر وقال مجاهد ان آزر ليس اسم أبيه وانما هو اسم صنم وقال ابن اسحق ليس هو اسم صنم بل هو لقب عيب به وهو بمعنى معوج وقيل هو بالنبطية الشيخ الهرم ولد لناحور تارخ بعدما مضى من عمره سبع وعشرون سنة وهذا المجلس يشتمل على أبواب والله أعلم

﴿الباب الاول في مولد ابراهيم عليه السلام﴾

اختلف العلماء في الموضع الذي ولد فيه فقال بعضهم كان مولده بالسوس من أرض الاهواز وقال بعضهم كان مولده ببابل من أرض السواد بناحية يقال لها كوثا وقال بعضهم كان مولده بالوركاء ناحية في حدود كسكر ثم نقله أبوه الى الموضع الذي كان به نمروذ من ناحية كوثا وقال بعضهم كان مولده بحران ولكن أبوه نقله الى أرض بابل وقال عامة السلف من أهل العلم ولد ابراهيم عليه السلام في زمن نمروذ بن كنعان وكان بين الطوفان وبين مولد ابراهيم عليه السلام ألف ومائتان وثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم عليه السلام بثلاثة آلاف وثلثمائة وسبع وثلاثين سنة ونمروذ الذي ولد في ملكه ابراهيم هو نمروذ بن كنعان بن سنجاريب بن كوش بن حام بن نوح (وفي الحديث) ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين عليهما السلام وأما الكافران فنمروذ وبختنصر وكان نمرود أول من وضع على رأسه التاج وتجبر في الارض ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك في هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء (وقال السدي) رأى نمرود في منامه كأن كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا ودعا السحرة والكهنة والقافة وهم الذين يخطون في الارض وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك هذه السنة يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك على يديه قال فأمر نمروذ بذبح كل غلام يولد في تلك الناحية تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا رقيبا أمينا فاذا حاضت المرأة خلي بينه وبينها اذ أمن المواقعة فاذا طهرت عزل الرجل عنها فرجع آزر أبو ابراهيم فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فوقع عليها في طهرها فحملت بابراهيم عليه السلام (وقال) محمد بن اسحق بعث نمرود الى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده الا ما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها وذلك انها كانت جارية حديثة السن لم تعرف الحبل ولم يبن في بطنها (وقال السدي) خرج نمرود بالرجال الى العسكر ونحاهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود أن يكون فمكث كذلك ما شاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يأمن عليها أحدا من قومه الا آزر فدعاه وقال له اني

فقلت شيخي المثنى فقال لا والله ولو أعطيتني الدنيا وما فيها ما قبلت منها شيأ ولكن هي حرة لوجه الله تعالى قال السري فقلت له أخبرني ما الخبر فقال يا أستاذي أتاني البارحة آت في النوم فوبخني في المنام وأغلظ علي في الكلام وقال تهين ولية لنا يا عدو الله فانتبهت مرعوبا وقد هانت علي الدنيا وخرجت عن جميع ما أملكه لله تعالى وأنا هارب اليه عسى أن يقبلني ثم بكى وخرج على وجهه هائما قال السري فالتفت الى أحمد بن المثنى فوجدته يبكي وينتحب ودموعه تجري على خده وقد ظهرت آثار الذبول عليه فقلت ما يبكيك يا أحمد فقال ما رضيني مولاي الى ما ندبني اليه ولا وجدت لمالي قبولا بين يديه أشهدك اني قد خرجت عنه وهو صدقة لوجه الله تعالى قال السري فقلت ما كان أعظم بركات بدعة على الجميع ثم قامت بدعة ونزعت جميع ما كان عليها ولبست جبة من صوف وخمارا من شعر وخرجت هائمة على وجهها فخرجنا معها وهي تنشد وتقول شعرا

هربت منه اليه
بكيت منه عليه
وحقه وهو سولي
لا زلت بين يديه
حتى أنال وأحظى
بما قد رجوت لديه

لى اليك حاجة أحب الى أوصيك بها ولم أبعثك الا اشفق بك وأقسمت عليك أن لا تذكر من أهلك ولا تراهما فقال آزر أنا أشح على دينى من ذلك فأوصاه بحاجته ثم بعثه فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لو دخلت الى أهلى فنظرت اليهم فلما نظر الى أم ابراهيم لم يتمالك حتى وقع عليها فحملت بابراهيم عليه السلام (قال ابن عباس) لما حملت أم ابراهيم قال الكهان لنمروذ ان الغلام الذى أخبرناك به قد حملت به أمه هذه الليلة فأمر نمروذ بذبح الغلمان فلما دنت ولادة أم ابراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته فى نهر يابس ثم لفته فى خرقة ووضعته فى حلفاء ورجعت فأخبرت زوجها بابنها وأنها قد ولدت وأن الولد فى موضع كذا فانطلق أبوه فأخذه من ذلك المكان وحفر له سردابا عند نهر فواراه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف اليه فترضعه (وقال السدى) لما عظم بطن أم ابراهيم خشى آزر أن يذبح فانطلق بها الى أرض بين الكوفة والبصرة يقال لها اوركاء فأنزلها فى سرب من الارض وجعل عندها ما يصلحها وجعل يتعهدها ويكتم ذلك من أصحابه فولدت ابراهيم عليه السلام فى ذلك السرب فشب فكان وهو ابن سنة كابن ثلاث سنين وصار من الشباب بحالة أسقطت عنه طمع الذباحين ثم ذكر آزر لاصحابه أن له ابنا كبيرا فانطلق به اليهم (قال ابن اسحق) لما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلة الى مغارة وكانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم عليه السلام وأصلحت من شأنه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت الى بيتها ثم كانت تطالعه فى المغارة فتجده حيا يمص ابهامه قال أبو زريق كانت أم ابراهيم كلما دخلت على ابراهيم عليه السلام وجدته يمص ابهامه فقالت ذات يوم لانظرن الى أصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع سمنا (قال ابن اسحق) وكان آزر سأل أم ابراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان اليوم على ابراهيم عليه السلام فى الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم عليه السلام فى المغارة الا خمسة عشر يوما حتى جاء الى أبيه آزر فأخبره انه ابنه وأخبرته بما كانت صنعت فى شأنه فسر آزر بذلك وفرح فرحا شديدا

﴿الباب الثانى فى خروج ابراهيم عليه السلام من السرب ورجوعه الى قومه
ومحاجته اياهم فى الدين والقائهم اياه فى النار وما يتعلق بذلك﴾

((قال أهل العلم بسير الماضين)) لما شب ابراهيم عليه السلام وهو فى السرب قال لامه من ربى قالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبى قالت له نمروذ قال فمن رب نمروذ قالت له اسكت فسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت أرأيت الغلام الذى يحدث أنه يغير دين أهل الارض فانه ابنك ثم أخبرته بما قال لها فأتاه أبوه آزر فقال له ابراهيم عليه السلام يا أبتاه من ربى قال أمك قال فمن رب أمى قال أنا قال فمن ربك قال نمروذ قال فمن رب نمروذ فلطمه لطمة وقال اسكت وذلك قوله عز وجل ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ثم قال لابويه أخرجانى فأخرجاه من السرب فانطلقا به حتى غابت الشمس فنظر ابراهيم عليه السلام الى الابل والبقر والغنم والخيل يراح بها فسأل أباه ما هذه فقال ابل وخيل وبقر وغنم فقال ما لهذه بد من أن يكون لها رب خالق ثم نظر وتفكر فى خلق السموات والارض وقال ان الذى خلقنى ورزقنى وأطعمنى وسقانى لربى ما لى اله غيره ثم نظر فاذا المشترى قد طلع ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة فى آخر شهر فرأى الكوكب قبل القمر وقال هذا ربى فذلك قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر لانه رأى ضوأها أعظم فلما أفلت قال يا قوم انى برئ مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين قالوا وكان أبوه يصنع الاصنام فلما ضم ابراهيم الى نفسه جعل يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب بها ابراهيم عليه السلام فينادى من يشترى ما يضر ولا ينفع فلا يشترى أحد منه فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فضرب رؤسها وقال لها اشربى كسدت استهزاء بقومه وبما هم عليه من الضلالة لقوا بطلها الله حتى فشا

(قال الراوى) فما زلنا نتبعها حتى خرجت الى ظاهر المدينة وهى تنشد وتقول هذه الابيات شعرا

يا حبيب القلوب أنت حبيبى
يا سرور السرور أنت سرورى
يا حياة النفوس أنت حياتى
وأنيسى وأنت نور لنورى

قال السرى ثم مضت حتى غابت عن أعيننا ثم أتى مولاها وصحبنى وكذلك أحمد بن المثنى برهة من الزمان الى أن توفى سيدها وبقيت أنا وأحمد بن المثنى فعزمنا على الحج الى بيت الله الحرام فبينما نحن نطوف بالكعبة اذا بصوت مقروح يخرج من كبد مجروح وهو ينشد ويقول هذه الابيات

قد تمسكت بحبلك
كيف لى منك بقربك
فترفق بفؤاد
يشتكى شدة بعدك
حيث يا نفس اذا لا
يضر بك ذنبك
فاسألى الله جهارا
والرضا من عند ربك

قال السرى فاتبعت الصوت فاذا بامرأة كالخيال ذاهلة العقل والبال فلما رأتنى قالت السلام عليك يا سرى فقلت وعليك السلام من أنت يرحمك الله فقالت لا اله الا الله وقع التناكر بعد المعرفة أنت الى الآن محجوب وقلبك مسلوب ثم قالت أنا بدعة قال السرى فقلت لها ما الذى أولك

عيبه اباها واستهزاؤه بها فى قومه وأهل قريته فحاجه قومه فى دينه فقال لهم أتحاجونى فى الله وقد هدان الآيات الى قوله عز وجل وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم حتى خصمهم وغلبهم بالحجة ثم ان ابراهيم عليه السلام دعا أباه آزر الى دينه فقال يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ الى آخر القصة فأبى أبوه الاجابة الى ما دعاه اليه ثم ان ابراهيم عليه السلام جاهر قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون وأظهر دينه فقال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين قالوا فمن تعبد أنت قال رب العالمين قالوا تعنى نمروذ فقال لا الذى خلقنى فهو يهدين الى آخر القصة ففشا ذلك فى الناس حتى بلغ نمروذ الجبار فدعاه فقال له يا ابراهيم أرأيت الهك الذى بعثك وتدعو الى عبادته وتذكر من قدرته التى تعظمه بها على غيره ما هو قال ابراهيم عليه السلام ربى الذى يحيى ويميت قال نمروذ أنا أحيى وأميت قال ابراهيم كيف تحيى وتميت قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل فى حكمى فأقتل أحدهما فأكون قد أمته ثم أعفو عن الآخر فأتركه فأكون قد أحييته فقال له ابراهيم عند ذلك ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت عند ذلك نمروذ ولم يرجع اليه شيأ ولزمته الحجة فذلك قوله عز وجل فبهت الذى كفر الآية ثم ان ابراهيم عليه السلام أراد أن يرى قومه ضعف الاوثان التى كانوا يعبدونها من دون الله وعجزها الزاما للحجة عليهم فجعل يتربص لذلك فرصة ويحتال فيه الى ان حضرهم عيدلهم (قال السدى) كان لهم فى كل سنة عيد يخرجون اليه ويجتمعون فيه فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال انى سقيم أشتكى رجلى فتولوا عنه وهو صريع فلما مضوا نادى فى آخرهم وقد بقى ضعفاء الناس وتالله لأكيدن أصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فسمعوها منه (وقال مجاهد) وقتادة انما قال ابراهيم عليه السلام هذا فى سر من قومه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد منهم وهو الذى أفشاه عليه قالوا ثم رجع ابراهيم عليه السلام من الطريق الى بيت الآلهة واذا فى البيت بهو مستقبل باب البهو صنم عظيم بأسه أصغر منه الى باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما فوضعوه بين يدى الآلهة وقالوا اذا كان حين رجوعنا ورجعنا وقد باركت الآلهة فى طعامنا أكلنا فلما نظر ابراهيم عليه السلام الى الاصنام والى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلما لم تجبه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفأس فى يده حتى لم يبق الا الصنم الاكبر فعلق الفأس فى عنقه ثم خرج فذلك قوله عز وجل فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون فلما جاء القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم ورأوها بتلك الحالة قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم هو الذى نظنه صنع هذا فبلغ ذلك نمروذ الجبار واشراف قومه فقالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون عليه أنه هو الذى فعل ذلك وكرهوا أن يأخذوه بغير بينة قاله قتادة والسدى وقال الضحاك لعلهم يشهدون بما نصنع به ونعاقبه فلما أحضروه قالوا له أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا غضب من أن تعبدوا معه هذه الاصنام الصغار وهو أكبر منها فكسرهن فاسألوهم ان كانوا ينطقون قال النبى صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات كلها فى الله تعالى قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك الذى عرض لسارة هى أختى فلما قال لهم ابراهيم ذلك رجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون هذا الرجل فى سؤالكم اياه وهذه آلهتكم التى فعل بها ما فعل حاضرة فاسألوها وذلك قول ابراهيم عليه السلام فاسألوهم ان كانوا ينطقون فقال قومه ما نراه الا كما قال (وقيل) انكم أنتم الظالمون بعبادتكم الاوثان الصغار مع هذا الكبير ثم نكسوا على رؤسهم متحيرين فى أمره وعلموا أنها لا تنطق ولا تبطش فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فلما اتجهت الحجة عليهم لابراهيم عليه السلام قال لهم أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا

الناس فقالت شعرا
أهواك كل الهوى
وخص قلبى بالهوى
وقد زال سيدى
عن باطنى ثقل العنا
ان لم يداركنى بما
أرجو والامن آما
قال فلما فرغت من كلامها
بكت وانتحبت وصاحت
واضطربت ثم رفعت رأسها
وقالت يا سيدى ومولاى
فاز أهل التقى ونجا من اتقى
وخاب من حظه الطرد
والشقا فأسألك يا سيدى
الا ما قربت الوصل واللقا
وقد تواهبت عليك فخذنى
اليك فلا حاجة لى فى البقا
ثم صرخت ووقعت الى
الارض فحركتها فاذا هى
ميتة رحمة الله عليها قال
فنظر اليها أحمد بن المثنى
فطار قلبه وحار لبه ثم بكى
وانتحب واهتز واضطرب
وأصعد الزفرات وأظهر
الحسرات ثم صرخ ووقع
على الارض فحركته فاذا
هو قد مات قال السرى
فتعجبت من حالهما وقرب
آجالهما وأخذت فى
غسلهما وتجهيزهما
ودفنهما رحمة الله تعالى
عليهما ونفعنا بهما
(وحكى عن السرى أيضا
رضى الله تعالى عنه أنه
قال) حججت سنة من
السنين الى بيت الله الحرام
وزيارة النبى عليه أفضل
الصلاة والسلام فبينما أنا

تعلقون فلما الزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قال عبد الله
ابن عمر ان الذي أشار عليهم بتحريق ابراهيم عليه السلام بالنار رجل من الاكراد قال شعيب الجبائي
اسمه هيزون فخسف الله تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة قال فلما أجمع نمروذ وقومه
على احراق ابراهيم عليه السلام حبسوه في بيت وبنوا له بنيانا كالحظيرة فذلك قوله عز وجل قالوا
ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم ثم جمعوا له من أصلب الحطب وأصناف الخشب حتى ان كانت المرأة
لتمرض فتقول لئن عافاني الله تعالى لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب مما تحب
أن تدرك لئن أصابته لتحتطبن حطبا وتجعله في النار التي يحرق بها ابراهيم احتسابا في دينها (قال ابن
اسحق) كانوا يجمعون الحطب شهرا حتى اذا كثر الحطب وجمعوا منه ما أرادوا أشعلوا النار في كل
ناحية بالحطب فاشتعلت النار حتى ان كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها ثم عمدوا الى ابراهيم
عليه السلام فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقا باشارة ابليس لعنه الله تعالى حيث لم
يتمكنوا من القائه في النار من شدة حرها فاتخذوا المنجنيق ووضعوه فيه مقيدا مغلولا صلوات الله
عليه فضجت السموات والارض والجبال ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين ضجة واحدة
وقالوا أي ربنا ابراهيم ليس في أرضك أحد يعبدك غيره يحرق في النار فأذن لنا في نصرته فقال الله تعالى
انهم ان استغاث بشيء منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت لكم في ذلك وان لم يدع غيري فأنا أعلم به وأنا
وليه فخلوا بيني وبينه فلما أرادوا القاءه في النار أتاه ملك المياه فقال ان أردت أخمدت النار فان خزائن
المياه والامطار بيدي وأتاه خازن الريح فقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابراهيم عليه السلام
لا حاجة لي اليكم ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم أنت الواحد في السماء وفي الارض ليس في الارض أحد
يعبدك غيري وروى المعتمر عن أبي بن كعب عن أرقم ان ابراهيم عليه السلام قال حين أوثقوه ليلقوه في
النار لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به بالمنجنيق الى النار في موضع
شاسع فاستقبله جبريل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال اما اليك فلا قال جبريل فسل ربك فقال
ابراهيم عليه السلام حسبي من سؤالي علمه بحالي حسبي الله ونعم الوكيل وفي الخبر أن ابراهيم عليه السلام
انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل قال الله عز وجل يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم (قال السدي)
كان جبريل عليه السلام هو الذي ناداها بامر الله تعالى قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن عباس
لو لم يقل وسلاما لمات ابراهيم من بردها ولم يبق حينئذ نار في الارض الا طفئت ظنت انها تعني قال كعب
الاحبار وقتادة والزهري ما انتفع أحد من الارض يومئذ بنار ولا أحرقت النار يومئذ شيئا الا وثاق
ابراهيم عليه السلام ولم يبق يومئذ دابة الا أطفأت عنه النار الا الوزغ فلذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم
بقتله وسماه فويسقا قال السدي فأخذت الملائكة بضبعي ابراهيم فأقعدته على الارض واذا عين ماء وورد
أحمر ونرجس قالوا فأقام ابراهيم في النار سبعة أيام قال المنهال بن عمرو وقال ابراهيم خليل الله ما كنت أياما
قط أنعم مني عيشا في الايام التي كنت فيها في النار (قال) ابن اسحق وغيره وبعث الله ملك الظل في صورة
ابراهيم عليه السلام فقعد فيها الى جنب ابراهيم وهو يؤنسه وأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير
وقال له يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبابي وألبسه القميص ثم أشرف نمروذ من صرح
له عال ونظر الى ابراهيم عليه السلام وما شك انه قد هلك فرآه جالسا في روضة ورأى الملك قاعدا الى جنبه
وحوله نار تحرق ما جمعوا من الحطب فناداه نمروذ يا ابراهيم كبير الهك الذي بلغت قدرته أن حال بينك وبين
النار حتى لم تضرك يا ابراهيم فهل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال فهل تخشى ان أقمت فيها أن تضرك قال
لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم عليه السلام يمشي فيها حتى خرج منها فلما خرج اليه قال له يا ابراهيم من
الرجل الذي رأيت معك في مثل صورتك قاعدا الى جنبك قال ملك الظل أرسله الى ربي ليؤنسني فيها فقال
نمروذ يا ابراهيم اني مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت الا عبادته

في الطريق اذ أنا بامرأة
حسناء ذات جمال بديع
فقلت لها يا جارية أين تريدين
فقالت الى بيت الحبيب فقلت
لها ان الطريق بعيدة فقالت
بعيدة على كسلان أو ذي
ملالة وأما على العشاق فهي
قريبة ثم قالت انهم يرونه
بعيدا ونراه قريبا قال فلما
وصلت الى بيت الله الحرام
رأيتها تطوف بالبيت فقالت
يا سري أتانك الخادمة
لمولاي جئته بضعفي فحملني
قوته هذه صفات قوم فارقوا
ديار اللهو وخلعوا ثياب
الزهو وآثروا المحبوب
بالنفوس والآثار ووقفوا
بين يديه في حال الانكسار
هجروا الراحة في الاوطان
والاوطار فلله درهم خلعوا
ثياب الاصطبار ومزقوا
ستر الاستتار وافشوا وجدهم
مع كتمان الاسرار ناداهم
بالعناية في الاصلاب
والارحام حرام عليكم ان
تنظروا الى غيري حرام
وجمع لهم مجالس مناجاته
وسقاهم لذيذ شراب مصافاته
يا هذا هل لك في هذا المجلس
نديم هل لك في هذا الغرام
غريم هل لك في هذا الربيع
أنيس هل لك في هذه الروضة
جليس فاذا أردت أيها
العبد رضا الرب اللطيف
فتقرب اليه بقلب منكسر
وجسم نحيف (قيل) انه لما
نزل البلاء على أيوب عليه
السلام أتاه طاوس السماء

وتوحيده انى ذابح له أربعة آلاف بقرة فقال له ابراهيم لا يقبل الله منك شيأ ما كنت على دينك هذا حتى تفارقه الى دينى فقال يا ابراهيم لا أستطيع ترك ملكى ولكن سوف أذبحها له فذبحها وقربها ومنع العذاب عن ابراهيم ثم انه قال لابراهيم نعم الرب ربك يا ابراهيم (قال الشعبى) ألقى ابراهيم عليه السلام فى النار وهو ابن ست عشرة سنة وذبح اسحق وهو ابن سبع سنين وولدته سارة رضى الله عنها وهى ابنة تسعين سنة وكان مذبحه من بيت المقدس على ميلين ولما علمت سارة بما أراد باسحق بقيت يومين وماتت فى اليوم الثالث (قال ابن اسحق) استجاب لابراهيم عليه السلام رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله عز وجل به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمروذ وملئهم فآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ وهاران هو أخو ابراهيم عليه السلام وكان لهما أخ ثالث يقال له ناحور بن تارخ فهاران أبو لوط وناحور أبو تنويل وتنويل أبو لابان ورفقا بنت تنويل امرأة اسحق بن ابراهيم أم يعقوب وليا وراحيل زوجتا يعقوب عليه السلام وهما ابنتا لابان وآمنت أيضا به سارة وهى بنت عمه وهى سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم عليه السلام وقال السدى كانت سارة بنت ملك حران وذلك ان ابراهيم ولوطا عليهما السلام انطلقا قبل الشام فلقى ابراهيم سارة وهى ابنة ملك حران وكانت قد طعنت على قومها فى دينهم فتزوجها ابراهيم عليه السلام على أن لا يضرها (قال ابن اسحق) خرج ابراهيم عليه السلام من كوثا من أرض العراق مهاجرا الى ربه عز وجل وخرج معه لوط وسارة عليهما السلام كما قال الله تعالى فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى فخرج حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله تعالى أن يمكث ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج من مصر الى الشام فنزل السبع من فلسطين وهى برية الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وهى من السبع على مسيرة يوم وليلة فبعثه الله تعالى نبيا فذلك قوله عز وجل ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين يعنى الشام فبركتها أن بعث منها أكثر الانبياء وهى الارض المقدسة وأرض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك الله تعالى المسيح الدجال بباب لد وهى أرض خصبة كثيرة الاشجار والانهار والثمار يطيب فيها العيش للغنى والفقير (قال أبى بن كعب) ما من ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التى ببيت المقدس ثم يتفرق فى الارض والله أعلم

﴿الباب الثالث فى ذكر مولد اسمعيل واسحق عليهما السلام ونزول اسمعيل وأمه هاجر الحرم وقصة زمزم﴾

(قال أهل العلم بسير الماضين) لما نجى الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام آمن به من آمن وتابعوه على فراق قومهم واظهار البراءة منهم فقالوا انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أيها المعبودون من دون الله وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أيها العابدون حتى تؤمنوا بالله وحده ثم خرج ابراهيم عليه السلام مهاجرا الى ربه وخرج معه لوط عليه السلام وزوج ابراهيم عليه السلام بابنة عمه سارة فخرج بها يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادته لربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله أن يمكث ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى وكانت سارة من أحسن النساء وأجملهن وكانت لا تعصى ابراهيم عليه السلام فى شئ وبذلك أكرمها الله تعالى قال فأتى الجبار رجل وقال له ان ههنا رجلا معه امرأة من أحسن النساء ووصف له حسنها وجمالها فارسل الجبار الى ابراهيم عليه السلام فجاءه فقال له ما هذه المرأة منك فقال هى أختى وتخوف ان قال هى امرأتى أن يقتله فقال له زينها وأرسلها الى حتى أنظر اليها فرجع ابراهيم الى سارة عليها السلام وقال لها ان هذا الجبار قد سألنى عنك فاخبرته انك أختى فلا تكذبينى عنده فانك أختى فى كتاب الله عز وجل وانه ليس فى هذه الارض مسلم غيرى وغيرك ثم أقبلت سارة الى الجبار وقام ابراهيم عليه السلام يصلى فلما دخلت عليه ورآها أهوى اليها يده وتناولها بيده فيبست يده الى صدره فلما رأى الجبار ذلك أعظم أمرها وقال لها سلى ربك أن يطلق يدى فوالله لا آذيتك فقالت سارة اللهم ان كان صادقا فأطلق له يده فأطلق الله تعالى يده ﴿وفى بعض الاخبار

جبريل عليه السلام باهى الله عز وجل فقال له يا أيوب سينزل بك مولاك من البلاء والاهوال ما يعجز عن حمله الجبال فقال أيوب ان دمت على مواصلة الحبيب سأصبر حتى يقال عجيب عجيب فنودى يا أيوب استعد لبلائى واصبر على نزول حكمى وقضائى وكان السبب فى ابتلائه ان ابليس اللعين حسده وتحيل عليه بأنواع الحيل والمكر فلم يقدر عليه فقال الهى انما سبب شكر أيوب لك وطاعته ما وسعت له فى الاموال والاولاد والارزاق والعافية فلو سلطتنى عليه وسلبته ذلك لما أطاعك طرفة عين فقال الله جل جلاله اذهب فقد سلطتك عليه وانه لن يغيره ذلك قال فأول يوم ابتلاه بأخذ الاولاد فزاد فى الخدمة واجتهد غاية الاجتهاد وفى اليوم الثانى أخذ الاموال فأحرقها ومزقها فقال أيوب العطايا عطاياه ان شاء سلبها وان شا أطلقها وفى اليوم الثالث نفخ ابليس فى جسده وهو فى صلاة الفجر فلعب الدود فى جميع بدنه ولم يزل يذكر الله تعالى فى سره وعلانيته وقال الحمد لله الذى اصطفانى لخدمته ومن على بفضله وخيره ولم يشغلنى بغيره قال ولم يزل أيوب ذاكرا لربه حامدا وشاكرا الى ان تفرق جلده ولحمه

المسندة ﷺ انه فعل ذلك ثلاث مرات يقصد أن يتناولها فتيبس يده فلما رأى ذلك ردها الى ابراهيم ووهب لها هاجر وهي جارية قبطية فأقبلت الى ابراهيم فلما أحس بها ابراهيم انفتل من صلاته قال مهيم فقالت كفى الله كيد الفاجر وأخدمني هاجر قال محمد بن سيرين كان أبو هريرة اذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلك أمكم يا بني ماء السماء (وفي بعض الاخبار) ان الله تعالى رفع الحجاب بين ابراهيم وسارة حتى كان ينظر اليها من وقت خروجها من عنده الى وقت انصرافها اليه كرامة لها وتطييبا لقلب ابراهيم عليه السلام قالوا وكانت هاجر جارية ذات هيئة فوهبتها سارة لابراهيم فقالت اني أراها امرأة وضيئة فخذها لعل الله تعالى أن يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى أسنت فوقع ابراهيم على هاجر فولدت له اسمعيل عليه السلام (روى) محمد بن اسحق عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما قال ابن اسحق فسألت الزهري ما الرحم الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت هاجر أم اسمعيل منهم قالوا ثم خرج ابراهيم من مصر الى الشام وهاب ذلك الملك الذي كان بها وأشفق من شره فنزل السبع من أرض فلسطين واحتفر بها بئرا واتخذ بها مسجدا وكان ماء تلك البئر معينا طاهرا وكانت غنمه تردها فأقام ابراهيم عليه السلام بالسبع مدة ثم ان أهلها آذوه فيها ببعض الاذى فخرج منها حتى نزل بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وايليا ببلد يقال لها قط فلما خرج من بين أظهرهم نضب ماء تلك العين وذهب فندم أهل السبع جميعا على ما صنعوا وقالوا أخرجنا من بين أظهرنا رجلا صالحا فاتبعوا أثره حتى أدركوه وسألوه أن يرجع فقال ما أنا براجع الى بلد أخرجت منه قالوا ان الماء الذي كنت تشرب ونشرب معك منه قد نضب وذهب فأعطاهم سبعة أعنز من غنمه وقال اذهبوا بها معكم فانكم اذا أوردتموها البئر ظهر الماء حتى يكون معينا طاهرا كما كان فاشربوا منها ولا تقربنها امرأة حائض فخرجوا بالاعنز فلما وقفت على البئر ظهر الماء فكانوا يشربون منها وهي على تلك الحال حتى أتتها امرأة طامث فاغترفت منها فركد ماؤها الى الذي هو عليه اليوم وأقام ابراهيم عليه السلام ببلده وكان يضيف من نزل به وقد أوسع الله تعالى عليه وبسط له من الرزق والمال والخدم فلما أراد الله تعالى هلاك قوم لوط عليه السلام بعث اليه رسله يأمرونه بالخروج من بين أظهرهم وأمرهم أن يبدؤا بابراهيم عليه السلام ويبشروه وسارة باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا على ابراهيم عليه السلام وكان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوما حتى شق عليه ذلك وكان لا يأكل الا مع ضيف ما أمكنه فلما رآهم على صورة الرجال سر بهم ورأى ضيوفا لم يضيف مثلهم حسنا وجمالا فقال لا يخدم لهؤلاء القوم الا أنا فخرج فجاء بعجل سمين حنيذ وهو المشوي بالحجارة فقربه اليهم فأمسكوا أيديهم عنه فقال لهم ألا تأكلون فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة حيث لم يأكلوا من طعامه فقالوا يا ابراهيم لا نأكل طعاما الا بثمن قال فان لهذا ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله تعالى على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل عليهما السلام وقال يحق لهذا أن يتخذه ربه خليلا ثم قالوا له لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته سارة قائمة تخدمهم وابراهيم قاعد معهم فلما أخبروه بما أرسلوا به وبشروه باسحق ويعقوب ضحكت سارة واختلف العلماء في العلة الطالبة لضحكها ما هي فقال السدي انما ضحكت سارة حيث لم يأكلوا من طعامهم وقالت يا عجبا لاضيافنا هؤلاء انا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهم فيما بين خدمه وحشمه وقال ابن عباس ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها وكانت هي بنت تسعين سنة وابراهيم ابن مائة وعشرين سنة قال السدي قالت سارة لجبريل عليه السلام لما بشرها بالولد على حالة الكبر ما آية ذلك فأخذ بيده عودا يابسا فلواه بين أصابعه فاهتز أخضر فقال ابراهيم هو لله اذا ذبيح وقال مجاهد وعكرمة ضحكت أي حاضت في الوقت تقول العرب

ودق عظمه فصار الدود يغدو في جسده ويروح وهو بالشكوى لا يبوح وكان كلما سقط من جسده دودة الى الارض يردها الى مكانها ويقول كلي فهذه مائدة من جسدي ممدودة قال فنزل الامين جبريل عليه السلام فسلم عليه فلم يرد عليه السلام لاشتغال لسانه عن الكلام فسلم عليه ثانيا قال فرد عليه السلام فسأله عن عدم الرد في أول مرة فقال يا أخي يا جبريل ان الملك الودود أرسل الى أضيافا من الدود لاطعمهم من لحمي على مائدة عظمى وكان بعض أضيافي على لساني فخشيت ان أرد عليك السلام فتسقط من مكانها فأكون سببا لمنع قوتها وأطماع رزقها وأكون عاصيا لربي وربها ﷺ وحكي عن الامام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله تعالى عنه انه قال ﷺ رأيت بمكة نصرانيا يدعى بالاسقف وهو يطوف بالكعبة فقلت له ما الذي زهدك عن دين آبائك فقال بدلت خيرا منه فقلت كيف كان ذلك فقال وقع لي حكاية عجيبة ونكتة غريبة وذلك اني ركبت البحر في مركب فلما توسطنا البحر كسرت بنا المركب فنجوت على لوح منها فما زالت الامواج تدافعني حتى رمتني في جزيرة من جزائر البحر فرأيت فيها أشجارا

ضحكت الارنب اذا حاضت وقال السدي وابن يسار وغيرهما من أهل الاخبار حملت سارة باسحق وقد
كانت حملت هاجر باسمعيل فوضعتاهما وشب الغلامان فبينما هما يتناضلان ذات يوم وقد كان ابراهيم
عليه السلام سابق بينهما فسبق اسمعيل فاخذه واجلسه في حجره واجلس اسحق الى جانبه وسارة تنظر
اليه فغضبت وقالت عمدت الى ابن الامة فاجلسته في حجرك وعمدت الى ابني فاجلسته الى جنبك وقد حلفت
أن لا تضرني ولا تسوءني وأخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن بضعة منها ولتغيرن خلقها ثم
ثاب اليها عقلها فبقيت متحيرة في ذلك فقال لها ابراهيم عليه السلام اخفضيها واثقبي أذنيها ففعلت ذلك
فصارت سنة في النساء ثم ان اسمعيل واسحق عليهما السلام اقتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة
على هاجر وقالت لا تساكنيني في بلد واحد وأمرت ابرهيم عليه السلام ان يعزلها عنها فاوحى الله تعالى الى
ابراهيم عليه السلام أن يأتي بهاجر وابنها مكة فذهب بهما حتى قدم مكة وهي اذ ذاك عضاه وسلم وسمر
ويحتوي اليها خارج مكة ناس يقال لهم العماليق وموضع البيت يومئذ ربوة حمراء فقال ابراهيم عليه السلام
لجبريل عليه السلام ههنا أمرت أن تضعهما قال نعم فعمد بهما الى موضع الحجر فانزلهما فيه وأمر هاجر أم
اسمعيل ان تتخذ عريشا ثم قال ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا
الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ثم انصرف فاتبعته هاجر
وقالت الى من تكلنا فجعل لا يرد عليها شيأ فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم فقالت اذا لا يضيعنا ثم انصرف
راجعا الى الشأم وكان مع هاجر شنة فيها ماء فنفد الماء فعطشت وعطش الصبي فنظرت أي الجبال أدنى
من الارض فصعدت الصفا وتسمعت هل تسمع صوتا أو ترى انسيا فلم تسمع شيأ ولم تر أحدا ثم انها سمعت
أصوات سباع الوادي نحو اسمعيل فأقبلت اليه مسرعة لتؤنسه ثم سمعت صوتا نحو المروة فسعت وما تريد
السعي كالانسان المجهود فهي أول من سعى بين الصفا والمروة ثم صعدت الى المروة فسمعت صوتا
كالانسان الذي يكذب سمعه حتى استيقنت وجعلت تدعو سمع ايل تعني يا الله قد أسمعتني صوتك فاغثني
فقد هلكت وهلك من معي واذا هي بجبريل عليه السلام فقال لها من أنت فقالت سرية ابراهيم عليه
السلام تركني وابني ههنا قال والى من وكلكما قالت وكلنا الى الله تعالى قال لقد وكلكما الى كريم كاف ثم جاء
بهما وقد نفد طعامهما وشرابهما حتى انتهى بهما الى موضع زمزم فضرب بقدمه ففارت عين فلذلك يقال
لزمزم ركضة جبريل عليه السلام فلما نبع الماء أخذت هاجر شنة لها وجعلت تستقي فيها تدخره فقال
لها جبريل عليه السلام انها روى وجعلت أم اسمعيل تحبسها حبسا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا
انها عجلت لكانت زمزم عينا معينا وقال لها جبريل لا تخافي الظمأ على أهل هذه البلدة فانها عين يشرب
منها ضيفان الله تعالى وقال لها أماان أبا هذا الغلام سيجيء ويبنيان لله تعالى بيتا هذا موضعه قالوا ومرت
رفقة من جرهم تريد الشأم فرأوا الطير على الجبل فقالوا ان هذا الطير الحائم على ماء فأشرفوا فاذا هم بالماء
فقالوا لهاجر ان شئت كنا معك وآنسناك والماء ماؤك فأذنت لهم فنزلوا معها وهم أول سكان مكة فلذلك
كانت العرب تقول في تلبيتها

لاهم ان جرهما عبادك * الناس طارف وهم تلادك * وهم قديما عمروا بلادك

فكانوا هنالك حتى شب اسمعيل وماتت هاجر فتزوج اسمعيل امرأة من جرهم وأخذ لسانهم فتعرب بهم فهم
أولاده العرب المتعربة * ثم ان ابراهيم عليه السلام استأذن سارة ان يزور هاجر وابنها فاذنت له
واشترطت عليه أن لا ينزل فقدم ابراهيم عليه السلام مكة وقد ماتت هاجر ويقال انه قدمها راكبا البراق
فلما قدمها ذهب الى بيت اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ليس هو هنا ذهب يتصيد وكان اسمعيل
يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع وكان مولعا بالصيد يخص بالقنص والفروسية والرمي والصراع فقال
لها ابراهيم عليه السلام هل عندك ضيافة هل عندك طعام أو شراب قالت ليس عندي شيء وما عندي
أحد فقال لها ابراهيم اذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فذهب ابراهيم عليه

السلام

كثيرة الأشجار السبل من الرطب ورأيت فيها نهرا عذبا فقلت الحمد لله على ذلك فها أنا آكل من تلك الثمار وأشرب من ذلك الماء حتى يأتي الله بالفرج فلما ذهب النهار وجاء الليل خفت على نفسي من الدواب والهوام فعلوت شجرة وجلست على غصن من أغصانها فنمت على ذلك الغصن فلما كان وسط الليل اذا دابة على وجه الماء تسبح الله تعالى بلسان فصيح وتقول لا اله الا الله العزيز الغفار محمد رسول الله النبي المختار أبو بكر صاحبه في الغار عمر مفتاح الامصار عثمان القتيل في الدار علي سيف الله على الكفار فعلى مبغضهم لعنة الملك الجبار ومأواه جهنم وبئس القرار فما زالت تقول هذه الكلمات الى أن طلع الفجر فلما همت بالانصراف قالت لا اله الا الله الملك المجيد محمد رسول الله الهادي الرشيد أبو بكر الصديق الصادق الشديد عمر بن الخطاب سور من حديد عثمان بن عفان القتيل الشهيد علي بن أبي طالب ذو البأس الشديد فعلى مبغضهم لعنة الرب المجيد قال فلما وصلت تلك الدابة الى البر اذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه انسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها

السلام وزوجة اسمعيل فوجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد فقالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال لك قالت قال لي قولي لزوجك السلام وقولي له قد غيرت عتبة بابك فطلقها وتزوج أخرى فلبث ابراهيم عليه السلام ما شاء الله ثم استأذن سارة أن يزور اسمعيل فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فجاء ابراهيم عليه السلام حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجيء الآن ان شاء الله تعالى فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لهم بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر لكانت مكة أكثر أرض الله برا وشعيرا وتمرا ثم قالت له انزل حتى أغسل رأسك وشعثك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عند شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه فيه فغسلت شق رأسه الايمن ثم جعلت المقام الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاء أحد قالت نعم جاءني شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت له رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال ذلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام (قال) أنس ابن مالك رأيت في المقام أثر أصابع ابراهيم عليه السلام وعقبيه وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم (وأخبرنا) محمد بن أحمد بن عبدون قال أخبرنا محمد بن حمدون بن خالد حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا هدبة بن خالد حدثنا أبو يحيى بن جابر بن مسح الحرثي قال سمعت مسافر بن شيبة يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول أشهد ثلاث مرات اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن طمس الله نورهما لاضاءا ما بين المشرق والمغرب

((الباب الرابع في القول على بقية قصة زمزم))

(روت الرواة) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال عبد المطلب بن هاشم بينا أنا نائم في الحجر اذ أتاني آت فقال لي احفر طيبة قلت وما طيبة فذهب عني ولم يجبني فلما كانت الليلة الثانية جاءني فقال احفر درة قلت وما درة فذهب عني ولم يجبني فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فقال احفر المضنونة قلت وما المضنونة فذهب عني فلما كان من الغد رجعت الى مضجعي فنمت فجاءني فقال احفر زمزم فقلت وما زمزم وكانت قد درست وغار ماؤها لما مضت أيام اسمعيل عليه السلام قال تسقي الحجيج منه عند منحر قريش عند نقرة الغراب وقرية النمل فلما تبين له قام ودل على موضعها وعرف أنه قد صدق فعمد اليه ومعه الحرث بن عبد المطلب وليس له ولد غيره يومئذ فلما علمت به قريش قاموا اليه فقالوا يا عبد المطلب انها من آثار أبينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فأشركنا فيها فقال ما أنا بفاعل ان هذا شيء خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فانصفنا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك قال فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم اليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيل قال نعم وكانت من أطراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر قال والارض اذ ذاك مفاوز فخرجوا حتى اذا كانوا ببعض تلك المفاوز نفد ما كان معهم من الماء حتى أيقنوا بالهلكة واستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا انا بمفازة وانا نخشى على أنفسنا أن يصيبنا مثل ما أصابكم فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم قال لاصحابه ماذا ترون قالوا ان رأينا تبع لرأيك فأمرنا بما شئت قال فاني أرى أن يحفر كل رجل منكم لنفسه حفرة بما بقي من القوة فكل من مات دون صاحبه دفنه في حفرته قال فحفروا وجلسوا ينتظرون الموت ثم قال عبد المطلب وما لنا لا نضرب في الارض فعسى الله تعالى أن يرزقنا ماء فارتحلوا ومن معهم من قريش ينظرون اليهم ما هم فاعلون وتقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرت من تحت حافر دابته عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب منه وشرب أصحابه حتى رووا وملؤا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلموا الى الماء فقد سقانا الله تعالى وإياكم فشربوا واستقوا ثم قالوا قد والله قضى الله لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبدا ان

ذنب مكة خفيف على ...

منها فالتفتت الي وقالت قف فوقفت لها فقالت لي ما دينك فقلت لها ديني النصرانية فقالت رأس الدين وعجلت يا غلام ارجع الى دين الحنيفية فانك قد حللت بفناء قوم من مؤمني الجن فلا ينجو منهم الا كل مسلم قال فقلت لها وكيف الاسلام فقالت تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قال فقلتها فقالت كمل اسلامك بالترضي عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فقلت ذلك ثم قلت لها من أخبركم بذلك فقالت قوم حضروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعوه يقول اذا كان يوم القيامة تأتي الجنة فتنادي بلسان طلق اللهم انك قد وعدتني أن تشيد أركاني فيقول لها الجليل جل جلاله قد شيدت أركانك بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم أجمعين ثم قالت لي الدابة تريد أن تكون عندنا أو الرجوع الى أهلك فاخترت الرجوع الى أهلي فقالت امكث مكانك حتى تأتيك مركب قال فمكثت مكاني ونزلت الدابة الى البحر فما غابت عن عيني غير ساعة واحدة حتى مرت علي مركب عظيمة وفيها ركاب فأشرت اليهم

الذى سقاك هذا الماء فى هذه الفلاة فهو ساقيك زمزم فارجع فرجع ورجعوا معه حتى وافوا مكة وخلوا بينه وبين زمزم ولما جن الليل رأى عبد المطلب فى منامه كان قائلا يقول له

يا أيها المدلج احفر زمزم * انك ان حفرتها لم تندم

وهى تراث من أبيك الاعظم * تسقى الحجيج حالا لم ينقم

فلما سمعه عبد المطلب قال وأين موضع زمزم قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب الاعصم قال فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحرث فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عند الوثنين اساف ونائلة اللذين كانت قريش تعبدهما وتنحر عندهما الخباء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر اليه فقامت قريش وقالوا والله لانتركك أن تحفرها ووثنانا ومنحرنا عندها وكانت قريش حسدوه على ذلك لانهم أخبروا ان جرهما لما سكنت مكة أودعت فى زمزم أموالا وأسلحة للمصطفى صلى الله عليه وسلم لما أخبرت أن الله تعالى باعث فى هذه القرية نبيا من صفته وحاله كيت وكيت ولم يكونوا عرفوا موضعها فلما أخبر بذلك عبد المطلب نازعوه فى ذلك فقال بعضهم لبعض دعوه يحفر فربما يخطئ الموضع فحفر غير بعيد فظهرت له العلامات فكبر فعرفوا انه لم يخطئ فتمادى حتى بلغ الى غزالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنتهما جرهم ووجد فيها اسيوفا وادرعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك فى هذا شركة قال لا ولكن نضرب بالقداح عليه قالوا وكيف نصنع قال اجعلوا للكعبة قدحين ولى قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شئ كان له ومن تخلف قدحاه فلاشئ له قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ثم أعطوا القداح التى تضرب بها عند هبل وقام عبد المطلب يدعو فخرج السهمان الاصفران على الغزالين للكعبة وخرج الاسودان على الاسياف والادرع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش قال فعلق عبد المطلب الاسياف والادرع بباب الكعبة وضرب فى الباب الغزالين الذهب فكان اول ذهب حليت به الكعبة وكانت الرياسة والتقدمة لعبد المطلب قبل حفر زمزم فلما حفرها واخرج منها ما اخرج ازداد بذلك فى قريش عظما وجاها ومنزلة وعافت الحجيج المياه التى كانت بمكة ونواحيها واقبلوا على زمزم لما كان من عذوبة مائها لكونها من أثر اسمعيل عليه السلام وافتخرت بذلك بنو عبد مناف على قريش وعلى سائر العرب والله أعلم

((الباب الخامس فى صفة بناء الكعبة وبدو أمرها الى وقتنا هذا))

(أخبرنا) أبو عمرو أحمد بن أبى أحمد الفراتى أخبرنا الحسن بن المغيرة بن عمر بن الوليد المغربى بمكة حدثنا أبو سعيد المفضل بن محمد بن ابراهيم بن المفضل حدثنا عبد الله بن أبى غسان اليمانى حدثنا أبو همام حدثنا محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال قال اليمانى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان البيت قبل هبوط آدم عليه السلام ياقوتة من يواقيت الجنة والبيت المعمور الذى فى السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامة حذاء الكعبة الحرام وان الله تعالى أهبط آدم عليه السلام الى موضع الكعبة وهو مثل الفلك من شدة رعدته وأنزل عليه الحجر الاسود وهو يتلألأ كانه لؤلؤة بيضاء فأخذه آدم فضمه اليه استئناسا به ثم أخذ الله تعالى من بنى آدم ميثاقهم فجعله فى الحجر ثم أنزل الله تعالى على آدم العصا ثم قال يا آدم تخط فتخطى فاذا هو بأرض الهند فمكث هناك ماشاء الله أن يمكث ثم استوحش الى البيت فقيل له حج يا آدم فاقبل يتخطى فصار موضع كل قدم قرية وما بين ذلك مفاوز حتى قدم مكة فلقيته الملائكة فقالت بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام ثم قال فما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فكان آدم اذا طاف بالبيت قال هذه الكلمات وكان آدم يطوف بالبيت سبعة أسابيع خمسة أسابيع بالليل وبالنهار أسبوعان فقال آدم يارب اجعل لهذا البيت عمارا يعمرونه من ذريتى فأوحى الله تعالى اليه انى معمره بنبى من ذريتك اسمه ابراهيم أتخذه خليلا أقضى على يديه عمارته وأنبط له سقايته أورثه حله وحرمه ومواقفه وأعلمه

مشاعره

فلما وقف معهم انظرت فاذا فى المركب اثنا عشر رجلا كلهم نصارى فاخبرتهم بخبرى وقصصت عليهم قصتى فأسلموا كلهم فعلمت أن لهؤلاء الاقوام سرا عظيما اذ ببركتهم حصل لنا الاسلام ونلنا أعلى مقام ولله الحمد على التوفيق وبلوغ المرام وأنشدت أقول شعرا

قوم لهم عند رب العرش منزلة
وحرمة وبشارات واكرام
فازوا بصحبة خير الخلق واتصفوا
بوصفه فهمو للناس أعلام
فى أبى بكر الصديق قد وردت
آثار فضل لها فى الذكر أحكام
وبعده عمر الفاروق صاحبه
به تكمل فى الآفاق اسلام
وهكذا البر عثمان الشهيد له
فى الليل ورد وبالقرآن قوام
وللامام على المرتضى مع
له احترام واعزاز واكرام
هم الصحابة للمختار قد وضحوا
طرق الهدى وعلى الخيرات قد داموا
عليهم من سلام الله أطيبه
ما أفطر الناس يوم الشك أو صاموا

(وروى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال

مشاعره ومناسكه فلما فرغ من بنائه نادى يا أيها الناس ان الله تعالى بنى بيتا فحجوه فأسمع ما بين الخافقين فأقبل من يحج هذا البيت من الناس يقولون لبيك لبيك وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه السلام سأل ربه عزوجل فقال يارب أسألك لمن مات في هذا البيت من ذريتي لا يشرك بك شيأ أن تلحقه بي في الجنة فقال الله تعالى يا آدم من مات في الحرم لا يشرك بي شيأ بعثته آمنا يوم القيامة (وروت الرواة) باسانيد مختلفة ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض كان رجلاه في الارض ورأسه في السماء يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم وتسبيحهم ويأنس اليهم فهابته الملائكة واشتكت ذلك الى الله عزوجل فنقصه الله تعالى الى ستين ذراعا بذراع آدم فلما فقد آدم عليه السلام ما كان يسمع من أصوات الملائكة وتسبيحهم استوحش وشكا ذلك الى الله عزوجل فانزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة فكانت على موضع البيت الآن ثم قال يا آدم اني أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما تصلي عند عرشي فتوجه آدم عليه السلام الى مكة ورأى البيت فطاف به (وروى) أبو صالح عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام ان لي حرما بحيال عرشي فانطلق فابن لي بيتا فيه ثم حف به كما رأيت الملائكة يحفون بعرشي فهنالك أستجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي قال آدم رب كيف لي بذلك ولا أقوى عليه ولا أهتدي اليه فقيض الله له ملكا فانطلق نحو مكة فكان آدم عليه السلام اذا مر بروضة ومكان يعجبه قال للملك انزل بي ههنا فيقول له الملك مكانك حتى قدم مكة فكان كل مكان نزل فيه عمرانا وكل مكان تعداه مفاوز وقفارا ثم بنى البيت فلما فرغ من بنائه خرج به الملك الى عرفات فأراه المناسك كلها التي يفعلها الناس كلها اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت أسبوعا ثم رجع الى أرض الهند فمات على نور * قال أبو يحيى بائع القت قال لي مجاهد لقد حدثني عبد الله بن عباس أن آدم نزل حين نزل بالهند ولقد حج منها أربعين حجة على رجليه فقلت له يا أبا الحجاج ألا كان يركب قال وأي شئ كان يحمله والله ان خطوته مسيرة ثلاثة أيام * وقال وهب بن منبه ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض فرأى سعتها ولم ير فيها أحدا غيره قال يارب أما لهذه الارض عامر يسبح بحمدك ويقدس لك غيري قال الله تعالى اني سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدي ويقدسني وسأجعل فيها بيوتا ترفع بذكري ويسبح فيها خلقي ويذكر فيها اسمي وسأجعل من تلك البيوت بيتا أخصه بكرامتي وأوثره باسمي وأسميه بيتي أنطقه بعظمتي وعليه وضعت جلالي ثم أجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمته من حوله ومن تحته ومن فوقه فمن حرمه بحرمته استوجب بذلك كرامتي ومن أخاف أهله فقد ضيع ديني وخفر ذمتي وأباح حرمتي أجعله أول بيت وضع للناس يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يضجون بالتلبية ضجيجا ويجأرون بالبكاء أجيجا ويعجون بالتكبير عجيجا فمن آثره لا يريد غيره فقد وفد الي وزارني وضافني وحق على الاكرم أن يكرم وفده وأضيافه وأن يتم ويتفضل ويسعف كلا بحاجته تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم يعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن وهكذا كان بدء أمر الكعبة حرسها الله تعالى ثم كانت على ذلك الى أيام الطوفان فلما كان أيام الطوفان رفعه الله تعالى الى السماء الرابعة وبعث جبريل عليه السلام حتى خبأ الحجر الاسود في جبل أبي قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمان ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم بعد ما ولد له اسمعيل واسحق عليهما السلام ببناء بيت له يعبد فيه ويذكر اسمه فلم يدر ابراهيم في أي موضع يبنيه فسأل الله عزوجل أن يبين له ذلك (واختلف) العلماء في كيفية بيان ذلك فقال قوم بعث الله تعالى اليه السكينة لتدله على موضع البيت كما حدث سماك ابن حرب عن خالد بن عرعرة ان رجلا قام الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال ألا تخبرني عن البيت أهو أول بيت وضع للناس فقال لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة ووضع فيه مقام ابراهيم عليه السلام ومن دخله كان آمنا وان شئت أنبأتك كيف بنى ان الله عزوجل أوحى الى ابراهيم عليه السلام أن ابن لي بيتا في الارض فضاق بذلك ابراهيم ذرعا فارسل الله عزوجل السكينة وهي ريح خجوج ولها رأسان فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهيا الى مكة فطوقت على موضع البيت كتطوق الحجفة وأمر ابراهيم أن يبني حيث

دخلت الجنة فبينا أنا أطوف برياضها وأنهارها وأشجارها اذ رأيت شجرة فضربت بيدي الى ثمرة فأخذتها فانفلقت في يدي عن أربع قطع فخرج من كل قطعة حورية لو أخرجت طرفها لافتتنت أهل السموات والارض وان أظهرت كفها لغلب ضوءه ضوء الشمس والقمر ولو تبسمت لملأت ما بين السماء والارض مسكا فقلت لمن أنت فقالت لابي بكر الصديق رضي الله عنه فقلت لها امضي الى قصر بعلك فمضت وقلت للثانية لمن أنت فقالت لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقلت لها امضي الى قصر بعلك فمضت ثم قلت للثالثة لمن أنت فقالت للمستضعف بدمه المقتول ظلما وعدوانا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فقلت لها امضي الى قصر بعلك فمضت وقلت للرابعة لمن أنت فسكتت ثم قالت يا رسول الله ان الله سبحانه وتعالى خلقني على حسن فاطمة وقد سماني باسمها وزوجني لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قبل أن يتزوج بفاطمة الزهراء بألف عام * فهم خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم وأنصاره وأتباعه وهم حافون به يوم القيامة الى دار الكرامة رضي الله تعالى عنهم ورضي الله عنا

تستقر السكينة فبنى بيتا وقال آخرون أرسل الله تعالى اليه سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير معه الى أن
قدم مكة فوقفت في موضع البيت ونودي يا ابراهيم ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقال بعضهم ان الذي
خرج مع ابراهيم عليه السلام من الشام لدلالته على موضع البيت جبريل عليه السلام وذلك قوله عز وجل
واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الآية قالوا فجعل ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة وكان ابراهيم عبرانيا
واسمعيل عربيا فألهم الله تعالى أحدهما لسان صاحبه فكان ابراهيم عليه السلام يقول هب لي كينا يعني
هات لي حجرا فيقول له اسمعيل هاك نخذه فبنيا الكعبة من خمسة أجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان
والجودي وبنيت قواعده من حراء قال فبقي حجر فذهب اسمعيل يبتغيه ثم رجع فوجده قد ركب الحجر في
مكانه فقال يا أبت من أتاك بهذا الحجر فقال له أتاني به من لم يكلني اليك ثم قال ابراهيم لاسمعيل ائتني بحجر
حسن أضعه على الركن ليكون علما للناس فناداه أبو قبيس يا ابراهيم ان لك عندي وديعة فهاك فخذها
فأخرج ابراهيم عليه السلام الحجر الاسود من جبل أبي قبيس وركبه في موضعه فلما فرغ ابراهيم واسمعيل
من بناء البيت وأتماه دعوا ربهما فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل
منا انك أنت السميع العليم الى قوله وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم فأجاب الله تعالى
دعاءهما وأرسل جبريل عليه السلام اليهما ليعلمهما مناسك الحج فخرج بهما يوم التروية الى منى فصلى بهما
الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم بات بهما حتى أصبح فصلى بهما الصبح ثم غدا بهما الى عرفة فقام بهما
هناك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم راح بهما الى الموقف من عرفة فوقف
بهما على الموضع الذي يقف عليه الناس اليوم فلما غربت الشمس دفع بهما الى المزدلفة فجمع بين
الصلاتين المغرب والعشاء ثم بات بهما حتى طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة الغداة فوقف بهما على قزح حتى
اذا أسفر الصبح أفاض بهما الى منى فأراهما كيف يرميان الجمار ثم أمرهما بالذبح وأراهما المنحر من
منى وأمرهما بالحلق ثم أفاض بهما الى البيت فأوحى الله تعالى الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن اتبع
ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ثم أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج
فقال يا رب وما يبلغ صوتي فقال عليك الاذان وعلى البلاغ فعلا ثبيرا ونادى يا عباد الله ان ربكم قد بنى بيتا
فحجوه وأجيبوا داعي الله فسمعه ما بين السماء والارض وما بين الابحر ومن في أصلاب الرجال وأرحام
النساء فأجابه كل من آمن بالله ممن سبق في علم الله تعالى أن يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك (وقال)
عبد الله بن الزبير لعبيد بن عمير استقبل ابراهيم عليه السلام اليمن والمشرق والمغرب والشام ودعا الى الحج
فأجيب لبيك اللهم لبيك وذلك قوله عز وجل وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من
كل فج عميق الآيات ولم يزل البيت على ما بناه ابراهيم عليه السلام الى سنة خمس وثلاثين من مولد نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم وذلك قبل مبعثه بخمس سنين فهدمت قريش الكعبة ثم بنتها * وكان السبب
في ذلك على ما ذكر محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار ان الكعبة كانت رضمة فوق القامة فأرادوا
رفعها وتسقيفها وكان البحر قد رمى بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فأخذوا خشبها فأعدوه
لسقفها وكان بمكة رجل قبطي نجار فهيأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة
التي يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة وكانوا يهابونها وذلك أنه كان لا يدنو منها
أحد الا كشرت وفحت وأهابته فكانوا يهابونها فبينا هي ذات يوم على جدار الكعبة كما كانت تصنع فبعث
الله طائرا فاختطفها فذهب بها وقالت قريش انا لنرجو أن الله تعالى قد رضي ما أردناه من عمارة بيته وان
عندنا عاملا رفيقا وخشبا وقد كفانا الله تعالى الحية وذلك بعد حرب الفجار بخمس عشرة سنة فلما أجمعوا
أمرهم على هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمرو بن عمير بن عامر بن عمرو بن مخزوم فتناول من الكعبة
حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم الا طيبا
ولا تدخلوا فيها من مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ثم ان الناس هابوا هدمها فقال الوليد

ثم أملقوا ونمشي من نافع
ابن عبد الله رضي الله عنه
انه قال قال لي هاشم بن
يحيى الكناني ألا أحدثك
حديثا رأيته بعيني وسمعته
بأذني وشهدته بنفسي
ونفعني الله به فعسى أن
ينفعك فقلت حدثني يا أبا
الوليد فقال غزونا أرض
الروم في سنة ثمان وثمانين
وكان معنا رجل يقال له
سعيد بن الحرث وكان ذا
حظ من العبادة يصوم
النهار ويقوم الليل فان
سرنا درس القرآن وان
أقمنا ذكر الله تعالى فجاءت
ليلة شفنا فيها فخرجت أنا
واياه نحرس القوم وكنا
محاصرين العدو وعند حصن
من الحصون صعب علينا
أمره فرأيت من سعيد
من العبادة في تلك الليلة
وصبره على التعب ما تعجبت
منه فلما طلع الفجر قلت له
يرحمك الله ان لنفسك عليك
حقا فلو رحمتها كان خيرا
لك فبكى وقال يا أخي انما
هي أنفاس تعد وعمر يفنى
وأيام تنقضي وأنا رجل
أرتقب الموت قال فأبكاني
ذلك فقلت له أقسمت عليك
بالله الا ما دخلت الخباء
واسترحت فدخل ونام قليلا
وأنا جالس ظاهر الخيمة
فسمعت كلاما في الخيمة
ولم يكن في الخيمة سواه
فتقدمت اليه فاذا هو
يضحك في نومه ويتكلم
بكلام فحفظت من كلامه
ان قال لا أحب أن أرجع

ابن المغيرة أنا أبدأ لكم في هدمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لا نريد إلا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس به تلك الليلة وقالوا ننظر فإن أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله تعالى ما فعلنا فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى انتهى الهدم إلى الأساس فأفضوا إلى حجارة خضر كأنها أسنمة الإبل آخذ بعضها ببعض فأدخل رجل من قريش عتلة بين حجرين منها ليقلع أحدهما فلما تحرك الحجر تحركت مكة بأسرها فعلموا أنهم قد انتهوا إلى الأساس وقالوا إن القبائل قد اجتمعت لبنائها فجعلت كل قبيلة تجمع على حدتها ثم بنوا فلما بلغوا في البنيان إلى موضع الركن اختصموا فيه فكل قبيلة أرادت أن تضعه في صفة دون الأخرى حتى تحالفوا وتحالفوا وتواعدوا القتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي ابن كعب على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم فسموا لعقة الدم بذلك فمكثوا أربع ليال أو خمس ليال على ذلك ثم إنهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض الرواة أن أبا أمية بن المغيرة كان يومئذ أسن قريش كلها فقال لهم يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه فرضوا بذلك وتوافقوا عليه فكان أول من دخل عليهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا محمد الأمين قد رضينا به فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال هلموا إلي ثوبا فأتوا به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا ذلك حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه قالوا فكانت الكعبة كذلك على ما بنته قريش إلى سنة أربع وستين من الهجرة حتى حاصر الحصين بن نمير السكوني عبد الله بن الزبير فقذفوا البيت بالمنجنيق وأخذوا يرتجزون ويقولون

خطارة مثل الفنيق المزبد * ترمي بها أعواد هذا المسجد

وقال آخر منهم

كيف ترى صنيع أم فروة * تأخذهم من الصفا والمروة

أم فروة اسم منجنيق فمالت حيطان الكعبة مما رميت به من حجارة المنجنيق وإنها مع ذلك احترقت وكان السبب فيه أنهم كانوا يوقدون حولها فأقبلت شرارة هبت بها الريح فأحرقت باب الكعبة واحترق خشب البيت (وقال الواقدي) حدثني عبد الله بن زيد قال حدثني عروة بن أذينة قال قدمت مكة مع أبي يوم احترقت الكعبة وقد خلصت إليها النار ورأيت الركن قد اسود وانصدعت منه ثلاثة أمكنة فقلت ما أصاب الكعبة فأشاروا إلى رجل من أصحاب ابن الزبير قالوا احترقت بسبب هذا أخذ قبسا في رأس رمح له فطارت الريح به فضربت أستار الكعبة ما بين الركن اليماني والحجر الأسود (وقال) بعضهم كان السبب في ذلك أن امرأة كانت تجمر البيت فطارت شرارة من النار فاحترق البيت وكان أول ما تكلم الناس في القدر يومئذ فقال قوم هو من قدرة الله وقال قوم ليس من قدرة الله قالوا فهدم عبد الله بن الزبير الكعبة حتى سواها بالأرض وكان الناس يطوفون بها من وراء الأساس ويصلون إلى موضعها وجعل الحجر الأسود عنده في تابوت في خرقة من حرير وجعل ما كان من حلي البيت وما وجد فيه من ثياب وطيب عند الحجبة في خزانة البيت ثم أعاد بناءه وقال إن أمي أسماء بنت أبي بكر حدثتني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حداثة عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس إبراهيم فأزيد في الكعبة الحجر وإن قريشا أعوزتهم النفقة فأخرجوا الحجر من البيت ولجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا فأمر به ابن الزبير فحفر فوجد قلاعا أمثال الإبل فحركوا منها صخرة فبرقت برقة فقال أقروها على أساسها فبناها ابن الزبير وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر فكانت الكعبة على ما بناها ابن الزبير إلى سنة أربع وسبعين حتى قتل الحجاج بن يوسف الثقفي عبد الله بن الزبير وولي الحجاز من قبل عبد الملك بن مروان فنقض الحجاج بنيان الكعبة الذي كان بناه ابن الزبير بأمر عبد الملك وأعادها إلى بنائها الأول بعد مشايخ من قريش فهي اليوم على ما بناها الحجاج إلا ما كان من قلع الفطي عاحب

ثم مد يده اليمنى كأنه يلتمس شيئا ثم ردها ردا رفيقا وهو يضحك ثم قال والليلة ثم وثب من نومه وهو يرتعد فاحتضنته إلى صدري مليا وهو يلتفت يمينا وشمالا حتى سكن وعاد إليه فهمه فجعل يهلل ويكبر فقلت ما الخبر حدثني فقال نعم فقلت سمعتك يا أخي تقول لا أحب أن أرجع ورأيتك مددت يدك ثم رددتها رفيقا فقال لا أخبرك فأقسمت عليه فقال وتكتم ذلك فقلت نعم يا سيدي فقال رأيت القيامة قد قامت وخرج الناس من قبورهم شاخصين منتظرين أمر ربهم فبينما أنا كذلك إذ أتاني رجلان لم أر أحسن منهما فسلما علي فرددت عليهما السلام فقالا لي يا عبد أبشر فقد غفر ذنبك وشكر سعيك وقبل عملك واستجيب دعاؤك وعجلت لك البشرى فانطلق معنا حتى نريك ما أعد الله لك من النعيم فانطلقت معهم حتى أخرجاني من الموقف وإذا أنا بخيل لا تسبقها خيل كأنها البرق الخاطف أو هبوب الريح العاصف فركبنا وسرنا حتى انتهينا إلى قصر شاهق لا يبلغ الطرف منتهاه كأنه صيغ من فضة وله نور يتلألأ فلما وصلنا إليه انفتح بابه من قبل أن نستفتح فدخلنا فرأينا شيئا لا يبلغه الواصفون ولا يخطر على

الحجر بن أيد الله الحجر الاسود فلما انقضى الحج بمكة ذهب بهم من أمر من اطلاع الى الحجر ثم أعيد منه ورد الى موضعه وذلك على يد شيخنا أبي اسحق ابراهيم بن محمد بن على الرمكي النيسابوري رحمة الله عليه

(الباب السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده)

قال الله تعالى فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين * واختلف السلف من علماء المسلمين في الذي أمر ابراهيم عليه السلام بذبحه من ابنيه بعد اجماع أهل الكتاب على انه كان اسحق عليه السلام فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب ومن التابعين وأتباعهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير والقاسم بن أبي بزة ومسروق بن الاجدع وعبد الرحمن بن أبي سابط وأبو الهذيل والزهري والسدي (روى) شعبة عن أبي اسحق عن ابن الاحوص قال افتخر رجل عند عبد الله بن مسعود قال أنا فلان بن فلان ابن الاشياخ الكرام فقال عبد الله ذاك يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله (وروى) سفيان عن زيد بن أسلم عن عبيد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده قال قال موسى عليه السلام يارب يقولون يا اله ابراهيم واسحق ويعقوب فلم قالوا ذلك فقال ان ابراهيم لم يعدل بي شيأ قط الا اختارني عليه وان اسحق جاد لي بالذبح فهو بغير ذلك أجود وان يعقوب كلما زدته بلاء زاد في حسن ظن (وروى) حمزة بن الزيات عن أبي اسحق عن أبي ميسرة قال قال يوسف عليه السلام لملك مصر أترغب أن تأكل معي وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله وقال الآخرون هو اسمعيل والى هذا القول ذهب عبد الله بن عمرو أبو الطفيل عامر بن واثلة وسعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد وكان الشعبي يقول رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة (وروى) عمر بن عبيد عن الحسن البصري انه كان لا يشك في أن الذي أمر بذبحه من ابني ابراهيم عليه السلام هو اسمعيل وهي رواية عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عباس قال المفدى اسمعيل وزعمت اليهود انه اسحق وكذبت اليهود (وروى) محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظي انه كان يقول ان الذي أمر الله تعالى ابراهيم بذبحه من ابنيه اسمعيل وانا لنجد ذلك في كتاب الله تعالى في قصة الخبر عن ابراهيم عليه السلام وما أمر به من ذبح ابنه انه اسمعيل وذلك ان الله عز وجل يقول حين فرغ من قصة المذبوح من ابني ابراهيم وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وقال تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب يقول بابن وابن ابن فلم يكن يأمره بذبح اسحق وله فيه من الله تعالى من الموعود ما وعده وما الذي أمر بذبحه الا اسمعيل قال محمد بن كعب القرظي فذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كنت معه بالشام فقال لي عمران هذا الشئ ما كنت أنظر فيه واني لاراه كما قلت ثم أرسل الى رجل كان عنده بالشأم وكان يهوديا فأسلم وحسن اسلامه وكان يرى انه من علماء اليهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وأنا عنده فقال له أي ابني ابراهيم الذي كان أمر بذبحه فقال اسمعيل ثم قال والله يا أمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبوكم الذي كان أمر الله بذبحه لما فيه من الفضل الذي ذكر انه كان منه بصبره على ما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق أبوهم وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا القولين ولو كان فيهما قول صح بالاجماع لم يعزه أبو عبد الله الى غيره * فأما الرواة التي روت عنه ان الذبيح اسحق فاخبرني أبو عبد الله بن الحسين بن محمد عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أراد ابراهيم أن يذبحه اسحق وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الذي فداه الله بذبح عظيم اسحق وأخبرنا أبو عبد الله أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا يوسف بن عبد الله بن ماهان أخبرنا موسى بن اسمعيل أنبأنا المبارك عن الحسن عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع اسحق بعدي فيقول يارب صدقت نبيك وجدت بنفسي للذبح فلا تدخل النار من لا يشرك بك شيئا

قال

[margin:]

... والولدان ... أشواق ... من القول ... مختلف الالحان وهم يقولون هذا ولي الله ... مرحبا به وسهلا ... شتى انتهينا الى ... ذات أسرة من ذهب وهاج مكللة بالجواهر محفوفة بكراسي من المواقيت وعلى كل سرير جارية أحسن من الشمس والقمر لا يستطيع أحد من الخلق أن يصفها وفي وسطهن واحدة عالية عليهن في طولها وكمالها وجمالها فقال الرجلان هذا منزلك وهؤلاء أهلك وهنا مقيلك ثم انصرفا عني فوثبت الجواري الى بالترحيب والاستبشار كما يكون من أهل الغائب عند قدومه عليهن ثم حملوني حتى أجلسوني على السرير الاوسط الى جانب الجارية ثم قلن هذه زوجتك ولك أخرى مثلها وقد طال انتظارهن اليك فكلمتها وكلمتني فقلت لها وأين أنا فقالت في جنة المأوى فقلت من أنت فقالت أنا زوجتك الخالدة فقلت وأين الاخرى فقالت في قصرك الآخر فقلت لها أقيم اليوم عندك وأتحول في غد الى الاخرى ثم مددت يدي اليها فردتها ردا رفيقا ثم قالت أما اليوم فلا فانك راجع الى الدنيا

قال يقول الله عز وجل لا أدخل النار من لا يشرك بي شيئا ... الحرق قرأه عليه ... أبو بكر بن محمد بن اسحق بن ... الاقيه أنبأنا علي بن حجر أنبأنا عمر بن حفص عن أبان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خيرني بين أن يغفر لنصف أمتي وبين أن أختبئ شفاعتي فاخترت شفاعتي ورجوت أن يكون ذلك أعم لامتي ولولا الذي سبقني اليه العبد الصالح لتعجلت منها دعوتي وذلك ان الله تعالى لما فرج عن اسحق كرب الذبح قيل له يا اسحق سل تعط فقال أما والذي نفسي بيده لا أتعجلها قبل نزغة الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيأ فاغفر له وأدخله الجنة * وأما الرواة التي رويت عنه صلى الله عليه وسلم ان الذبيح اسمعيل فروى عمر بن عبد الرحمن الخطابي باسناده عن الصنابحي قال كنا عند معاوية ابن أبي سفيان فذكروا أن الذبيح اسمعيل أو اسحق فقال على الخبير سقطتم كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول الله أعد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل يا أمير المؤمنين ومن الذبيحين فقال ان عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله ان سهل الله عليه أمرها ليذبحن أحد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له افد ولدك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني اسمعيل فهذا ما ورد من الاخبار وفي القرآن ما يدل على صحة كل واحد من القولين وأما الدليل على انه اسحق فهو ان الله تعالى أخبر عن ابراهيم عليه السلام حين فارق قومه مهاجرا الى الشأم مع سارة ولوط وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين انه دعا فقال رب هب لي من الصالحين يعني ولدا صالحا من الصالحين وذلك قبل أن يعرف هاجر وقبل أن تصير له أم اسمعيل ثم اتبع ذلك الخبر عن اجابة دعوته وتبشيره اياه بغلام حليم وعن رؤيا ابراهيم أن يذبح ذلك الغلام الذي بشر به حين بلغ معه السعي وليس في القرآن أنه بشر بولد ذكر الا باسحق وأما الدليل على انه اسمعيل فما ذكرناه من حديث القرنين وقد صح ان قرني الكبش كانا معلقين بالكعبة الى أن احترق البيت واحترق القرنان في أيام ابن الزبير والحجاج وهذا أدل دليل على أن الذبيح اسمعيل ﴿وأما قصة الذبح وصفته وفعل ابراهيم بابنه عليهما السلام﴾ قال السدي باسناده لما فارق ابراهيم الخليل عليه السلام قومه مهاجرا الى الشأم هاربا بدينه كما قال تعالى وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين دعا الله أن يهب له ابنا صالحا من سارة فقال رب هب لي من الصالحين فلما نزل به أضيافه من الملائكة المرسلين الى المؤتفكة بشروه بغلام حليم فقال ابراهيم لما بشر به هو اذا لله ذبيح فلما ولد الغلام وبلغ معه السعي قيل له أوف بنذرك الذي نذرت قربانا الى الله تعالى وكان هذا هو السبب في أمر الله خليله ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه فقال ابراهيم عند ذلك لاسحق انطلق نقرب قربانا الى الله تعالى وأخذ سكينا وحبلا ثم انطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا أبت أين قربانك فقال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك أي رأيت لفظه مستقبلا ومعناه الماضي فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين قال ابن اسحق كان ابراهيم اذا زار هاجر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشأم فيقيل بمكة ويرجع من مكة فيبيت عند أهله بالشأم حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعي وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته رأى في المنام أن يذبحه فلما أمر بذلك قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا الى هذا الشعب نحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في شعب ثبير أخبره بما أمر به وقال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك الآية فقال له ابنه الذي أراد أن يذبحه يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها دمي فينقص أجري وتراه أمي فتحزن واشحذ شفرتك وأسرع مر السكين على حلقي ليكون أهون للموت علي فان الموت شديد فاذا أتيت أمي فأقرئها مني السلام فان رأيت أن ترد قميصي اليها فافعل فانه عسى أن يكون أسلى لها عني فقال له ابراهيم نعم العون يا بني أنت على ما أمر الله به ففعل ابراهيم ما أمره ابنه ثم انه أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهو يبكي والابن يبكي حتى استنقع الدموع تحت خده ثم انه وضع

وسنتهم الا يا نفس لا أجد أتوا أرجع فقالت لا بد من ذلك وسقطرت بعد يا هذه الثلاثة أيام ان شاء الله تعالى ثم نهضت من مجلسها فنهضت أودعها فاعتنقتني يا أخي ولا تبرح عنها قال هشام فغلبني البكاء وقالت هنيألك يا سعيد حمدا لله شكرا لقد كشف الله لك عن ثواب عملك فقال هل رأى أحد نظيري ما رأيت فقلت لا فقال بالله عليك يا أخي اكتم ما سمعت مني ما دمت في الحياة ثم قام فتطهر وتطيب وأخذ سلاحه وتوجه الى موضع القتال وهو صائم فقاتل الى الليل ثم انصرف فتحدث الناس بقتاله وقالوا ما رأينا مثل ما فعل هذا اليوم حتى انه كان يطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم فكلهم يثنون عليه قال فقلت في نفسي لو يعلمون شأنه لتنافسوا في مثل عمله ثم مكث قائما يصلي الى آخر الليل ثم أصبح صائما فقاتل أبلغ مما فعل بالامس قال أبو الوليد فانطلقت معه لا نظر ماذا يكون منه فلم يزل يلقي نفسه في المهالك الى غاية النهار وهو لا يصل اليه شيء مما كانوا يرمونه عليه من الحجارة وغيرها ثم فعل في اليوم الثالث هكذا حتى غربت الشمس فجاءه سهم في منحره فخر صريعا وأنا أنظر اليه وهو يضحك فضجت الناس وبادروا

السكين على حلقه فلم يحز ولم يعمل السكين شيأ قال السدي وضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه فقال عند ذلك الابن يا أبت كبني على وجهي فانك ان نظرت الى وجهي رحمتني وأدركتك على رقة تحول بينك وبين أمر الله ففعل ابراهيم ذلك فذلك قوله تعالى فلما أسلما وتله للجبين ثم انه وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا الآية هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه فنظر ابراهيم عليه السلام فاذا هو بجبريل عليه السلام ومعه كبش أعين أملح أقرن فكبر الكبش وكبر ابراهيم وكبر ابنه فذلك قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس خرج عليه الكبش من الجنة قد رعى فيها أربعين خريفا وروى عنه أيضا أن الكبش الذي فدى به عن ابن ابراهيم عليهما السلام هو الكبش الذي قربه هابيل بن آدم فتقبل منه فأرسل ابراهيم ابنه وأخذ الكبش وأتى به المنحر من منى فذبحه فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة قد وحش يعني يبس وروى عمرو بن عبيد عن الحسن عن أبيه أنه كان يقول ما فدى اسمعيل الا بكبش من الاروى أهبط عليه بثبير وهي رواية أبي صالح عن ابن عباس قال كان وعلا (وروى) أبو هريرة عن كعب الاحبار وابن اسحق عن رجال قالوا لما رأى ابراهيم في المنام أن يذبح ابنه قال الشيطان والله لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم والا لم أفتن أحدا منهم أبدا فتمثل لهم الشيطان رجلا فأتى أم الغلام فقال لها أتدرين أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب من هذا الشعب فقال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به مني وأشد حبا له من ذلك فقال لها انه يزعم ان الله أمره بذلك فقالت له ان كان أمره بذلك فقد أحسن في امتثال طاعة ربه وفي استسلامه لامر الله تعالى فخرج الشيطان من عندها هاربا حتى أدرك الابن وهو يمشي على أثر أبيه فقال له يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد الا ذبحك قال ولم قال يزعم ان الله أمره بذلك قال له فليفعل ما أمره الله به فسمعا وطاعة لامر الله تعالى فلما امتنع منه الغلام أقبل على ابراهيم فقال له أين تريد أيها الشيخ قال أريد هذا الشعب لحاجة لي فقال والله اني لارى الشيطان قد جاءك في منامك يأمرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم فقال له اليك عني يا ملعون فوالله لامضين لامر ربي فرجع ابليس لعنه الله بغيظه لم يصب من ابراهيم وأهله شيأ مما أراد وقد منعوا منه بعون الله وتأييده (وروى) أبو الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابراهيم عليه السلام لما أمر بذلك عرض له ابليس عند المشعر الحرام فسابقه فسبقه ابراهيم عليه السلام ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم عليه السلام لامر الله تعالى فهذه قصة الذبح وقال أمية بن أبي الصلت الثقفي في ذلك شعرا

ولابراهيم الموفي بنذر * احتسابا وحامد الاجزال
بكره لم يكن ليصبر عنه * لو رآه في معشر اقتال
أبني اني نذرتك لله * شحيطا فاصبر فدى لك حالي
واشدد الصفد عند حدي للسكين * حيد الاسير للاغلال
وله مدية تخايل في اللحم * سلاما جبينه كالهلال
بينما يخلع السراويل عنه * فككه ربه بكبش جلال
فخذن ذا فأرسل ابنك اني * للذي قد فعلتما غير قالي
ربما تجزع النفوس من الامر * له فرجة كحل العقال

﴿الباب السادس في هلاك النمرود بن كنعان وما أحل الله تعالى به من نقمته وقصة الصرح﴾

قال الله تعالى قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون (روت الرواة) بأسانيد مختلفة ان أول جبار كان في الارض النمرود بن

كنعان

الشام وقد مات رحمة الله تعالى عليه فقلت له هنيأ لك يا سعيد ما أفطر الليلة يا ليتني كنت معك قال هشام فقبض على شفته السفلى وضحك في موته وقال الحمد لله الذي صدقنا وعده قال فصحت يا عباد الله لمثل هذا فليعمل العاملون واسمعوا أخبركم بأعجب مما رأيتموه من أخيكم هذا فاقبل الناس بأجمعهم فأخبرتهم بحكايته وما كان منه فما رأيت باكيا كاليوم ثم كبرنا تكبيرا اضطرب له العسكر وشاع الحديث وبلغ الخبر الى مسلمة بن عبد الملك فجاء ووقف وضعناه ليصلي عليه فقلت صل عليه أيها الامير فقال بل يصلي عليه الذي عرف من أمره ما عرف فصلينا عليه ودفناه في موضعه وبات الناس يتحدثون به فلما طلع النهار تذاكرنا حديثه وصاح المسلمون صيحة واحدة وحملوا على المشركين وفتح الله تعالى ذلك الحصن في ذلك اليوم ببركته رحمة الله تعالى عليه ونفعنا به في الدارين آمين (وحكى عن أبي يعقوب الطبري رضي الله تعالى عنه) انه قال خرجت في سفر أريد الشام فوقعت في التيه أياما حتى أشرفت على الهلاك فبينما أنا كذلك اذ رأيت راهبين مارين كأنهما قد خرجا

كنعان وكان الناس يخرجون اليه ويمتارون من عنده الطعام فخرج اليه ابراهيم يمتار فيمن يمتار وكان النمروذ اذا مر به الناس قال لهم من ربكم قالوا أنت حتى مر به ابراهيم قال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر ورد ابراهيم بغير طعام فرجع ابراهيم الى أهله فمر بكثيب أعفر فقال لا آخذن من هذا فآتي به أهلي فتطيب به قلوبهم حين أدخل عليهم فأخذ ابراهيم منه فأتى به أهله فوضع متاعه ثم نام فقامت امرأته الى متاعه ففتحته فاذا هو بأجود دقيق رأته فأخذته وصنعت منه طعاما فلما أفاق قدمته اليه وكان عهد أهله انه ليس معهم شيء ولا عندهم طعام فقال لهم من أين هذا فقالت من الطعام الذي جئت به فعلم ابراهيم ان الله رزقه فحمد الله وشكره ثم ان النمروذ الجبار لما حاجه ابراهيم عليه السلام في ربه قال ان كان ما يقول ابراهيم حقا فلا أنتهي حتى أعلم من في السماء فبنى صرحا عظيما ببابل ورام منه الصعود الى السماء لينظر الى اله ابراهيم فيما زعم # قال ابن عباس ووهب كان طول الصرح من السماء خمسة آلاف ذراع وقال مقاتل وكعب كان طوله فرسخين ثم عمد الى أربعة أفراخ من النسور فعلفها اللحم والخبز وربّاها حتى شبت واستفحلت ثم قعد في تابوت ومعه غلام وقد حمل قوسه ونشابه وجعل لذلك التابوت بابا من أعلاه وبابا من أسفله ثم ربط التابوت بأرجل النسور وعلق اللحم على عصا فوق التابوت ثم خلى عن النسور فطارت وصعدت طمعا في اللحم حتى أبعدت في الهواء فقال النمروذ لفتاه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح الباب الاعلى ونظر فاذا السماء على هيئتها ثم قال افتح الباب الاسفل وانظر الى الارض كيف تراها ففتح فقال أرى الارض مثل اللجة البيضاء والجبال كالدخان وطارت النسور وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لغلامه افتح البابين ففتح الاعلى فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة ونودي أيها الطاغي الباغي أين تريد قال عكرمة فأمر عند ذلك غلامه فرمى بسهم فعاد اليه السهم متلطخا بالدم فقال كفيت شغل اله السماء واختلفوا في ذلك السهم من أي شيء تلطخ فقال عكرمة من سمكة في بحر معلق في الهواء بين السماء والارض قربت بها لله تعالى وقال بعضهم أصاب السهم طائرا من الطير فتلطخ من دمه ثم أمر النمروذ غلامه أن يصوب العصا وينكس اللحم ففعل ذلك فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال حفيف التابوت والنسور ففزعت وظنت أنه أمر حدث في السماء وان الساعة قد قامت فذلك قوله تعالى وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم أي جزاء مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وقرأ علي وعمر وابن مسعود وان كاد مكرهم لتزول منه الجبال بالدال ثم ان الله تعالى أرسل ريحا على صرح النمروذ فألقت رأسه في البحر فخر عليهم الباقي وانقلبت بيوتهم وأخذت النمروذ رعدة وتبلبلت ألسن الناس حين سقط صرح النمروذ من الفزع فتكلموا بثلاث وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل لتبلبل الالسنة فيها فذلك قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وذلك ان الله تعالى بعث الى النمروذ ملكا أن آمن حتى أتركك على ملكك قال فهل رب غيري فجاءه الثانية والثالثة فأبى عليه فقال له الملك اجمع جموعك الى ثلاثة أيام فجمع النمروذ جموعه وجنوده فأمر الله تعالى الملك أن يفتح عليه بابا من البعوض ففعل وطلعت الشمس ذلك اليوم فلم يروها من كثرة البعوض فبعثها الله تعالى على النمروذ وقومه فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق منهم الا العظام والنمروذ كما هو لم يصبه شيء من ذلك فبعث الله اليه بعوضة فدخلت في منخره حتى وصلت الى دماغه فمكث اربعمائة سنة تضرب رأسه بالمطارق فأرحم الناس به من جمع يديه ثم يضرب بهما رأسه وكان جبارا أربعمائة سنة فعذبه الله أربعمائة سنة كمدة ملكه ثم ان البعوضة أكلت دماغه وأهلكه الله سبحانه وتعالى وخذله

﴿الباب السابع في ذكر وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة أزواج ابراهيم وولده﴾

قال الله تعالى أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته الآية قال أهل العلم بأخبار الماضين ماتت سارة وهي ابنة مائة وسبع وعشرين سنة بالشام بقرية الجبابرة من أرض كنعان في حبرون في مزرعة اشتراها ابراهيم

من مكان واحد يريدان دير إلهما بالقرب فقلت اليهما وقلت لهما أين تريدان فقالا لا ندري فقلت لهما فمن أين أقبلتما فقالا لا ندري الا أننا في ملكه وبين يديه قال فتعجبت من ذلك وقلت في نفسي ان هذين الراهبين متحققان التوكل دوني فقلت لهما أنا ذاهب في الصحبة مكافأة الا ذلك الليلة فمرنا حتى اذا امسينا قاما الى صلاتهما وقمت الى صلاة المغرب فتيممت وصليت فلما نظرا الى حين تيممت وصليت تعجبا من ذلك فلما فرغا من صلاتهما بحث أحدهما في الارض فانفجرت عين ماء والى جانبه طعام موضوع فزدت تعجبا من ذلك فقالا لي ادن وكل واشرب قال فأكلنا وشربنا وتوضأت للصلاة ثم غار الماء وذهب الطعام فلما كانت الليلة الثانية فعل الثاني كفعل الاول فلما كانت الليلة الثالثة قالا لي يا مسلم الليلة نوبتك قال محمد ابن يعقوب فاستحييت من قولهما وداخلني هم شديد وأمر غريب وقلت في نفسي اللهم اني أعلم ان ذنوبي لم تدع لي عندك جاها ولكن أسألك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أن لا تفضحني عندهما ولا تشمتهما بدين نبيك محمد صلى الله عليه وسلم قال فاذا بعين ماء قد انفجرت وطعام كثير الى جانبها فأكلنا وشربنا ثم

عليه السلام ودفنت بها وكانت هاجر ماتت قبل سارة بمكة فدفنت في الحجر فلما ماتت سارة تزوج ابراهيم بامرأة من بعدها من الكنعانيين يقال لها قطورا بنت قطان فولدت له ستة نفر مدان وزمران ومدان ومديان ويشبق ويشوح وتزوج أيضا امرأة أخرى من العرب اسمها حجون بنت أهيب فولدت له خمسة بنين كيسان وفروخ وأميم ولوطان ونافس فكان جميع بني ابراهيم مع اسحق واسمعيل ثلاثة عشر وكان اسمعيل بكره وأكبر أولاده فأنزل اسمعيل بأرض الحجاز واسحق بأرض الشام وفرق سائر أولاده في البلاد فقالوا لابراهيم يا أبانا أنزلت اسحق واسمعيل بقربك وأمرتنا أن ننزل بأرض الغربة والوحشة قال بذلك أمرت ثم علمهم اسما من أسماء الله تعالى فكانوا يستسقون به وينتصرون

﴿الباب الثامن في ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام﴾

قال أهل التاريخ والسير لما أراد الله تعالى قبض روح ابراهيم عليه السلام أرسل اليه ملك الموت في صورة شيخ هرم قال السدى باسناده وكان ابراهيم كثير الاطعام يطعم الناس ويضيفهم فبينما هو يطعم الناس اذا هو بشيخ كبير يمشي في الجادة فبعث اليه بحمار فركبه فلما أتاه قدم اليه الطعام فجعل الشيخ يأخذ اللقمة ويريد أن يدخلها فاه فيدخلها في عينه مرة وفي أذنه مرة ثم اذا أدخلها في فيه وحصلت في جوفه خرجت من دبره وكان ابراهيم قد سأل ربه أن لا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت فقال للشيخ حين رأى حاله ما بالك يا شيخ تصنع هكذا فقال يا ابراهيم من الكبر قال ابن كم أنت قال كيت وكيت فحسب ابراهيم فوجد عمره يزيد على عمر ابراهيم بسنتين فقال له ابراهيم انما بيني وبينك سنتان فاذا بلغت عمرك صرت مثلك قال نعم فقال ابراهيم اللهم اقبضني قبل ذلك فقام الشيخ فقبض نفسه وكان الشيخ ملك الموت وكان عمر ابراهيم مائتي سنة وقيل مائة وخمس وتسعون سنة ودفن عند قبر سارة في مزرعة حبرون

﴿الباب التاسع في ذكر خصائص ابراهيم عليه السلام﴾

هو ابراهيم خليل الرحمن قال الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا وهو سيد الفتيان (روى) في الحديث انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم يا سيد البشر قال ذاك ابراهيم وهو أبو الضيفان وكان لا يتغدى ولا يتعشى الا مع ضيف وربما مشى ميلين أو أكثر حتى يجد ضيفا وضيافته قائمة الى يوم القيامة وهي الشجرة المباركة التي قال الله تعالى يوقد من شجرة مباركة الآية وصح انه دعا الله تعالى أن يجعل النبوة في نسله فاستجاب له وجعل النبوة في شعبي اسمعيل واسحق عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت على ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني اسرائيل وهو المجعول له لسان الصدق في الآخرين فليس من نبي تجري ألسنة الخلق كلهم بتصديقه وتفضيله وتبجيله كل أمة غيره وذلك بدعائه عليه السلام واجعل لي لسان صدق في الآخرين وهو المبتلى بأنواع البلاء والمشهود له بالوفاء قال الله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن وقال وابراهيم الذي وفى أي بما أمر به وهو الامة القانت قال الله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين الى آخر الآية ومعنى الامة انه كان معلما للخير وقد اجتمع فيه من خلال الخير وأنواع الفضل ما يجتمع في أمة كما قال الشاعر

ليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم في واحد

وهو الذي أوتي رشده من قبل بلوغه وهو امام الموحدين وجعل له لسان الحجة في التوحيد فدعا الخلق الى الحق بلسان الحجة من صغره الى كبره قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم الآية وأول من سماه الله حنيفا مسلما قال تعالى ولكن كان حنيفا مسلما وبرأه من دعاوى اليهود والنصارى وشهد له بالاسلام والاخلاص فقال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية وهو أول من اختتن (قال) أبو منصور الحشاري حدثنا أبو عباس المعقلي أخبرنا عبد الحكيم أخبرنا ابن وهب أخبرنا يحيى بن نصر قال قرأ على بن وهب أخبرنا ابن سمعان عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال اختتن ابراهيم عليه السلام بالقدوم وهو ابن مائة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة (وأخبرنا)

الحسين

[illegible] فأمر الى على كان ... في بلدة الثالثة فلما ظهر الماء والطعام غلب في البكاء فلم أستطع رده فأصابهم ما شغل ما أصابني واني قمت أصوات أنا بالبكاء فلما فرغنا قالا لي ما يبكيك فقلت اني رجل مسرف على نفسي وليس لي عند الله من الجاه والمنزلة ما يبلغني هذه الكرامة فقالا لي وكيف ظهر لك فقلت انما توسلت اليه بجاه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يفضحني منكما فاستجاب لي فقالا قد عرفنا ان دينه الحق وهو عند الله عظيم فامدد يدك فانا نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قال فأسلما وخرجنا جميعا الى مكة شرفها الله تعالى فأقاما مدة وخرجنا الى الشام فتفرقنا فوالله ما ذكرتهما الا وهانت علي الدنيا وصغرت في عيني وأنشدت شعرا في المعنى

لما رأيتك حاضرا
في القلب زاد بي الخمار
وبقيت فيك محيرا
والقلب ليس له قرار
فامزج كؤسي بالرضا
جهرا فما عنها اصطبار
دارت على موسى الكليـ
ـم فلاح نحو الطور نار
لطفت فما ذاقها الـ * أ
حباب نحو الحب طاروا
بذلوا اليه نفوسهم
وعلى خمول القوم غاروا

الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا محمد بن علي بن جعفر أخبرنا الحسين بن محمد أخبرنا إسمعيل بن عيسى أخبرنا إسحق بن بشر عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان ابراهيم أول من أضاف الضيف وأول من ثرد الثريد وأول من رأى الشيب وأول من قسم الفيء وأول من قال بالسيف وأول من اختتن واختتن على رأس مائة وعشرين سنة من ميلاده ختن نفسه في موضع يقال له القدوم بالقدوم وهو الفأس وذلك أنه كان وقع بينه وبين العمالقة وقعة عظيمة فقتل من الفريقين خلق عظيم فلم يعرف ابراهيم أصحابه ليدفنهم فجعل الختان علامة لاهل الاسلام فاختتن يومئذ بالقدوم وهو أول من اتخذ السراويل (أخبرنا) الحسين الدينوري أخبرنا أحمد بن شداد بن عمر بن أحمد القطان أخبرنا محمد بن اسمعيل بن حسان أخبرنا وكيع أخبرنا جرير بن حازم عن واصل مولى ابن عيينة قال أوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انك أكرم أهل الارض علي فاذا سجدت فلا تر الارض عورتك فاتخذ السراويل وهو أول من شاب فلما رآه الله ذلك فقال يارب ما هذا قال الوقار فقال يارب زدني وقارا وهو أول من أقام المناسك وذلك بدعوته حيث قال وأرنا مناسكنا فاستجيب له وهو أول من ضحى وهو الذي بوأ الله له مكان البيت وأراه ذلك بعد دروسه حتى بناه قال الله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الآية وهو أول من ألقي في النار فى الله فجعلت النار عليه بردا وسلاما وهو أول نبي أحيا الله له الموتى بسؤاله حيث قال رب أرني كيف تحيي الموتى الآية وهو الذي كان اذا سافر وتمنى سارة واشتاق اليها رفع الله له الحجاب بينه وبينها حتى يراها حيث كان وهو الذي يكسى حلة بيضاء يوم القيامة ويوضع له منبر عن يسار عرش الرحمن قال النبي عليه السلام تحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما وأول من يكسى ابراهيم خليل الرحمن وهو الكفيل لاطفال المسلمين والقائد لاهل الجنة وهو أول من قص شاربه وأول من قلم أظفاره وأول من استحد وأول من نتف الابط وأول من استاك وأول من فرق شعره وأول من تمضمض وأول من استنشق وأول من استنجى بالماء وأول من هاجر لله قال الله تعالى فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي وجعل مقامه قبلة للناس قال الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وجعله اماما للناس قال الله تعالى اني جاعلك للناس اماما وقال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم وأمر محمدا خير الانبياء وأمته خير الامم باتباع ملته قال الله تعالى ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقال قل بل ملة ابراهيم حنيفا وسماه حليما منيبا أواها قال تعالى ان ابراهيم لحليم أواه منيب الحليم السيد الذي يملك نفسه عند الغضب والاواه الذي يكثر التأوه عند ذكر الذنوب والمنيب المقبل بقلبه الى ربه فهذه ست وأربعون خصلة من خصاله التي أكرمه الله بها (وروى) ان الله تعالى أوحى الى ابراهيم يا ابراهيم انك لما سلمت مالك الى الضيفان وابنك الى القربان ونفسك الى النيران وقلبك الى الرحمن اتخذناك خليلا (وروى) أبو ادريس الخولاني عن أبي ذر الغفاري قال قلت يا رسول الله كم كتابا أنزل الله تعالى قال مائة صحيفة وأربعة كتب أنزل تعالى على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال فقلت يا رسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال كانت أمثالا كلها أيها الملك المبتلى المسلط المغرور اني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فاني لا أردها ولو كانت من كافر وكان فيها أمثال على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يحاسب فيها نفسه على ما قدم وأخر وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال والحرام في المطعم والمشرب وغيرهما وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاده ومؤنة لمعاشه ولذة في غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه والله عن كل محذور يغنيه

﴿مجلس في ذكر بعض أخبار اسمعيل واسحق ابني ابراهيم عليهم السلام﴾

وقد ذكرنا سير ابراهيم الخليل بابنه اسمعيل وهاجر الى مكة واسكانه اياهما بها ولما كبر اسمعيل وبلغ النكاح

والبه في بحر الهوى وركبوا في الارواح ساروا طلبوه فما بالقلو ... وعند ما نظروه حاروا هاموا به حتى لقد أنست بهم الديار ورأوا اشارات الهوى لاحت لهم فاستنار والهذان وأعيان لاح لهم أنوار شرم ابرة من الايمان فرأوا الطريق وسلكوا منهج التصديق وأنت يا مسكين عمرك قد انقضى ومضى في العصيان وزمانك قد ذهب في الخسران وأنت في بحر الغفلة غريق وقد هبت نسمات القبول والتوفيق وأنت سكران بخمر المعاصي لا تفيق * (وعن عبد الله القرشي رحمه الله تعالى) انه قال كنت أصحب ابراهيم ابن أدهم رحمه الله تعالى واسرح معه فسرنا يوما من الايام نريد الحجاز فمشينا ثلاثة أيام لم نستطعم فيها بطعام ولا شراب فقلت له أتعرف ما بي من الجوع يا سيدي قال فرمق بطرفه الى السماء بعد ان جلس وجلست بجانبه فاذا رغيف سخن قد سقط في حجري فرفع ابراهيم رأسه الي وقال كل فأكلت نصفه وشبعت ثم سرنا فرأينا قافلة قد حبسها الاسد عن المسير فتقدم ابراهيم اليه وقال له يا قسورة ان كنت قد أمرت فينا بشيء فامض الى ما أمرت به والا فاذهب فولى الاسد

تزوج امرأة من جرهم فكان من أمرها ما قدمناه ذكره ثم طلقها بأمر أبيه ثم تزوج امرأة أخرى فقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وهي التي قال لها ابراهيم حين قدم مكة اذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فولدت السيدة لاسمعيل اثني عشر رجلا نابتا وقيدارا وأدبيل ومبشام ومسمع ودوما وماس وآذر وطيما ويطور ونافس وقيدما ومن نابت وقيدار أبي اسمعيل نشر الله تعالى العرب ثم نبأ الله تعالى اسمعيل فبعثه الى العماليق وقبائل اليمن فلما حضرت اسمعيل الوفاة أوصى الى أخيه اسحق أن يزوج ابنته من عيص بن اسحق وعاش اسمعيل مائة وسبعة وثلاثين سنة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر (وروى) عمر بن عبد العزيز أنه قال شكا اسمعيل الى ربه تعالى حر مكة فأوحى الله تعالى اليه أني فاتح لك بابا من الجنة يجري عليك روحها الى يوم القيامة وفي ذلك المكان دفن ✽ وأما حديث اسحق عليه السلام فانه نكح رفقا بنت بتويل فولدت له عيصا ويعقوب بعدما مضى من عمره ستون سنة ولهما قصة عجيبة على ماذكره السدي قال حملت رفقا في بطن واحد بغلامين فلما أرادت أن تضع اقتتل الغلامان في بطنها فاراد يعقوب أن يخرج قبل عيص فقال عيص والله لئن خرجت قبلي لاعترضن في بطن أمي ولاقتلنها فتأخر يعقوب وخرج عيص قبله فسمي عيصا لانه عصى فخرج قبل يعقوب وسمي الآخر يعقوب لانه خرج آخرا بعقب عيص وكان يعقوب أكبرهما في البطن ولكن عيصا خرج قبله فلما كبر الغلامان كان عيص أحبهما الى أبيه ويعقوب أحبهما الى أمه وكان عيص صاحب صيد فلما كبر اسحق وعمي قال لعيص يا بني أطعمني لحم صيد واقترب مني أدع لك بدعاء دعالي به أبي وكان عيص رجلا أشعر ويعقوب رجلا أجرد فخرج عيص بطلب الصيد فسمعت أمه الكلام فقالت ليعقوب يا بني اذهب الى الغنم فاذبح منها شاة واشوها والبس جلدها ثم قدمها الى أبيك وقل له أنا ابنك عيص ففعل ذلك وأتى الى أبيه وقال يا أبتاه كل فقال من أنت قال أنا عيص فمسه وقال المس مس عيص والريح ريح يعقوب فقالت له امرأته هو ابنك عيص فادع له فقال قدم طعامك فقدمه فأكل منه ثم قال له ادن مني فدنا منه فدعا له أن يجعل في ذريته الانبياء والملوك ثم قام يعقوب من عنده وجاء عيص بعده فقال يا أبت قد جئتك بالصيد الذي أردته فقال يا بني قد سبقك أخوك يعقوب فغضب عيص وقال والله لاقتلنه فقال يا بني قد بقيت لك دعوة فهلم أدع لك بها فتقدم اليه فدعا له فقال أن تكون ذريتك عدد التراب ولا يملكهم أحد غيرهم ثم ان أم يعقوب قالت ليعقوب الحق بخالك فكن عنده خشية عليه أن يقتله عيص فانطلق يعقوب الى خاله وكان يسير في الليل ويكمن في النهار فلذلك سماه الله اسرائيل وهو من أول من سرى بالليل فأتى يعقوب الى خاله وكان اسحق أمره أن لا ينكح امرأة من الكنعانيين وأمره أن ينكح امرأة من بنات خاله ليان بن ناهر وأن يعقوب لما مكث عند خاله خطب ابنته راحيل وكان له ابنتان ليا وهي الكبرى وراحيل وهي الصغرى فقال له هل لك من مال فأزوجك عليه فقال لا ولكن أخدمك أجيرا حتى تستوفي صداق ابنتك فقال له ان صداقها أن تخدمني سبع حجج فقال يعقوب تزوجني راحيل لانها أصغر ولاجلها أخدمك فقال له خاله ذلك بيني وبينك فرعى له يعقوب سبع سنين فلما وفى له شرطه دفع له ابنته الكبرى ليا وأدخلها عليه ليلا فلما أصبح وجد غير ما شرط فجاء يعقوب وهو في نادٍ من قومه فقال له غررتني وخدعتني واستحللت عملي سبع سنين ودلست علي غير امرأتي فقال له خاله يا ابن أختي أردت أن لا يدخل علي في ذلك العار والسبة وأنا خالك ووالدك متى رأيت الناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى فهلم فاخدمني سبع سنين أخرى حتى أزوجك الاخرى وكان الناس يومئذ يجمعون بين الاختين الى أن بعث موسى وأنزلت التوراة فرعى له يعقوب سبع سنين أخرى فدفع اليه راحيل فولدت له ليا أربعة أسباط روبيل وكان أكبرهم ويهوذا وشمعون ولاوي وولدت له راحيل يوسف وبنيامين وهو بالعربية شداد وانما سمي بنيامين لان أمه راحيل ماتت في نفاسها ويامين بالعربية الشكل وكان ليان دفع الى ابنتيه حين جهزهما الى يعقوب أمتين يقال لاحداهما زلفة وللاخرى بلهة فوهبت الامتين ليعقوب فولدت كل واحدة منهما ثلاثة أسباط فولدت زلفة ليعقوب

قال وأنا أقسم فقالوا [illegible] الا ما دعوت لنا فتضرع في الله فقال اللهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بكنفك الذي لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت رجاؤنا قال عبد الرحمن فلقيت رجلا من أهل القافلة بعد مدة فسألته فقال والله مذ كنا ندعو بهذا الدعاء الذي علمه لنا الشيخ ما رأينا سبعا ولا لصا ثم ركب معنا ذلك الرجل في مركب في البحر فعصفت الريح وهاجت الامواج واضطرب المركب وخفنا من الغرق فخافت الناس وبكوا وضجوا فقال الرجل يا قوم معنا في السفينة رجل صالح كان من أمره كذا وكذا فاسألوه أن يدعو لكم فأتوا اليه وهو نائم في ناحية المركب ملفوف رأسه في الكساء قال فأيقظناه وقلنا له يا سيدي ما ترى من حالنا وما نحن فيه من الشدة والغرق فرفع رأسه الى السماء وقال اللهم أريتنا قوتك وقدرتك فأرنا حلمك وعفوك قال فما استتم كلامه حتى سكن الريح وهدأ الموج وسارت السفينة قال عبد الرحمن فلما نزلنا من السفينة سرنا أياما فهلكت من الجوع وشكوت اليه فاخذ المزود ورقي الى شجرة البلوط فملأ المزود من

وأن ... [illegible] ... وكان ... يعقوب ... [illegible] ... من
[illegible] ... من ... وهم الذين سماهم الله تعالى الاسباط وسموا بذلك
لأن كل واحد منهم والد قبيلة والسبط فى كلام العرب الشجرة الملتفة الكثيرة الاغصان والاسباط من بنى
اسرائيل كالشعوب من العجم والقبائل من العرب ثم ان يعقوب فارق خاله لبان وانصرف بولده وامرأتيه
وجاريتيه المذكورات الى منزل أبيه من فلسطين على تخوف شديد من أخيه عيص فلزمته الاخبار
فقاول أخاه وتألفه وتلطفه حتى ترك له البلاد وتحول الى الشام وصار الى الساحل ثم عبر الى الروم فاستوطنها
فصار ذلك له ولولده من بعده وقال ابن اسحق تزوج عيص بن اسحق بنت عمه نسمة بنت اسمعيل بن ابراهيم
فولدت له الروم بن عيص فكل بنى الاصفر من ولده وكان عيص فيما يذكر يسمى آدم لادمته ولذلك سمى
ولده بنى الاصفر قالوا وعاش اسحق بعدما ولد له عيص ويعقوب مائة سنة وتوفى وله مائة وسبعون سنة
ودفنه أبناؤه عند قبر أبيه ابراهيم عليهما السلام فى مزرعة حبرون والله أعلم

((مجلس فى قصة لوط عليه الصلاة والسلام))

وهو لوط بن هاران بن تارح بن أخى ابراهيم عليه السلام وانما سمى لوطا لان حبه لاط بقلب ابراهيم عليه السلام أى تعلق به والصق ومنه حديث أبى بكر رضى الله عنه حين ذكر عمر اللهم غفرا الولد الط أى ألصق بالقلب وكان ابراهيم يحبه حبا شديدا وكان من أمر لوط فيما ذكره أهل العلم بأخبار الانبياء وذكر وهب فى المبتدا انه خرج من أرض بابل مع عمه ابراهيم مؤمنا به متبعا له على دينه مهاجرا معه الى الشام ومعهما سارة بنت ناحور وخرج معه تارح أبو ابراهيم مخالفا لابراهيم فى دينه ومقيما على كفره الى أن وصلوا الى حران ومكثوا بها فمات تارح وهو آزر أبو ابراهيم بحران على كفره وخرج ابراهيم ولوط وسارة الى الشام ثم مضوا الى مصر فوجدوا بها فرعونا من فراعنتها يقال له سنان بن علوان بن عبيد بن عوج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام فرجعوا عودا الى أرض الشام فنزل ابراهيم فلسطين وأنزل لوطا الاردن فبعثه الله تعالى الى أرض سدوم وما يليها وكانوا أهل كفر بالله وركوب فواحش كما أخبر الله عنهم بقوله تعالى أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون قال عمرو بن دينار ما كان يرى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وقال تعالى أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فكان قطعهم السبيل فيما ذكر أهل التأويل أن اتيانهم الفاحشة مع من ورد بلدهم واتيانهم المنكر فى ناديهم قال المفسرون هو أنهم كانوا يجلسون فى مجالسهم على الطريق فيحذفون من مر بهم ويتضارطون فى مجالسهم وينكح بعضهم بعضا فى الطريق وقال مجاهد كانوا يجامعون الرجال فى مجالسهم على الطريق وروى أبو صالح عن أم هانئ قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال كانوا يجلسون على الطريق فيحذفون من مر بهم ويسخرون به وهو المنكر الذى كانوا يأتونه وكان لوط ينهاهم عن ذلك ويدعوهم الى عبادة الله تعالى ويتوعدهم على اصرارهم على ما هم عليه ويأمرهم بالتوبة منه ويخوفهم من العذاب الاليم فلا يزجرهم عن ذلك وعده ولا يزيدهم وعظه الا تماديا وعتوا واستعجالا لعذاب الله تعالى وانكارا وتكذيبا ويقولون له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين حتى سأل لوط ربه أن ينصره عليهم فقال رب انصرنى على القوم المفسدين فأجاب الله دعاءه وبعث جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام لاهلاكهم وبشارة ابراهيم عليه السلام بالولد فأقبلوا مشاة فى صورة رجال مرد حسان حتى نزلوا على ابراهيم عليه السلام فتضيفوه وبشروه باسحق وقد مضت القصة فلما فرغوا من ذلك وأخبروا ابراهيم أن الله تعالى بعثهم لاهلاك قوم لوط ناظرهم ابراهيم وحاجهم فى ذلك كما قال الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط وكان جداله اياهم على ما ذكر ابن عباس وغيره أنهم لما قالوا له انا مهلكو أهل هذه القرية قال لهم أتهلكون قرية فيها أربعمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية

أوراقها ثم أتى به الى وقال كل فاذا هو رطب جنى ما أكلت ألذ منه ولا أطيب قال وعطشت معه فى بعض السياحات ليلا فشكوت اليه ذلك فقال لى اشرب فنظرت الى دلو تدلى فى الهواء وفيه ماء لم أذق أطيب منه طعما ولا أحسن منه ريحا فشربت منه حتى رويت فكنت بعد ذلك أصوم فى الهواجر فلا أجوع ولا أعطش فهذا كله ببركته فلله در رجال ما تركوا فى قلوبهم لغير محبوبهم مجال قد أسبلوا العبرات على الوجنات

(شعر)

لله در رجال واصلوا السهرا
واستعذبوا الوجد والتبريح والفكرا
فهم نجوم الهدى والليل يعرفهم
اذا نظرتهم هم سادة بررا
كل غدا قلبه بالله مشتغلا
عمن سواه وللذات قد هجرا
يمسى ويصبح فى وجد وفى قلق
مما جناه من العصيان منذعرا
يقول يا سيدى قد جئت معترفا
بالذنب فاغفر لى يا خير من غفرا
حملت ذنبا عظيما لا أطيق له
ولم أطع سيدى فى كل ما أمرا
عصيته وهو يرخى ستره كرما
يا طالما قد عفا عنى وقد سترا
يا طالما كان لى فى كل نائبة

فيها خمسمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها مائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا قالوا لا وكان ابراهيم يعدهم أربعة عشر بامرأة لوط فسكت عنهم واطمأنت نفسه . وروى سعيد عن ابن عباس قال قال الملك لابراهيم ان كان فيهم خمسة يصلون رفع عنهم العذاب فلما عرف ابراهيم حال قوم لوط قال للرسل ان فيها لوطا قالها اشفاقا منه عليه فقالت له الرسل نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته (قال) قتادة في هذه الآية لا ترى المؤمن الا يحوط المؤمن ثم مضت رسل الله تعالى نحو سدوم فلما انتهوا اليها لقوا لوطا في أرض له يعمل فيها قال قتادة وروي عن حذيفة أن الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فأتوه فقالوا انا متضيفوك الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت اليهم وقال أوما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال أشهد بالله انها لشر قرية في الارض وما أعلم على وجه الارض أناسا أخبث منهم قال ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله وعلم لوط أنه سيحتاج الى المدافعة عن أضيافه وخاف عليهم من قومه فذلك قوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب أي شديد (قال السدي) باسناده لما خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط أتوها نصف النهار فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقي الماء لاهلها وكان له ابنتان اسم الكبرى ريثا والاخرى غيثا فقالوا لها يا جارية هل من منزل قالت نعم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم ففرقت عليهم من قومها فأتت أباها فقالت يا أبتاه أدرك فتيانا على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم قط أحسن منهم لئلا تأخذهم قومك فيفضحوك وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجالا وقالوا خل عنا فلنضيف الرجال فذلك قوله تعالى أولم ننهك عن العالمين فجاء بهم لوط الى منزله ما علم بهم أحد الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومها بذلك وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رأيت مثلهم حسنا قط (قال أبو حمزة الثمالي) بلغنا أن العلم الذي كان بين امرأة لوط وقومه اذا أتتهم الضيفان يقول رسولها هيؤوا الماء ملحا تدعوهم بذلك الى الفاحشة بأضياف لوط فبلغنا أن الله تعالى مسخها ملحا قالوا فلما أخبرت امرأة لوط قومها بأضياف زوجها جاءه قومه يهرعون اليه أي يسرعون ويهرولون فلما أتوه قال لهم لوط يا قوم اتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد وقال لهم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم قالوا أولم ننهك عن العالمين أن تضيف الرجال قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فلما لم يقبلوا منه ما عرض عليهم قال لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد قالوا فما بعث الله نبيا بعده الا في شرف من قومه ومنعة من عشيرته وقال صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية رحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد قال ابن عباس وغيره وغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب والنصب والتعب بسببهم قالوا له يا لوط ان ركنك لشديد وانهم آتيهم عذاب غير مردود انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل الآية ثم قالوا له افتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب ودخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحيه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبك مثل المرجان كأنه الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فذلك قوله تعالى ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم الآية فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم ثم انهم انصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء في بيت لوط أسحر قوم في الارض وقالوا للوط جئتنا بقوم سحرة سحرونا كن كما أنت حتى نصبح وتوعدوه فلما علم لوط أن أضيافه رسل ربه وانهم أرسلوا بهلاك قومه قال لهم اهلكوهم الساعة فقال له جبريل ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ثم أمره أن يسري بأهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحد الا امرأته فلما كان السحر خرج لوط وأهل بيته ومعه امرأته فذلك قوله تعالى الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من

[illegible]
ياتي تأنيب ما جنيت وقد
وافيت بابك يا مولاي معتذرا
لعل تقبيل عذري ثم تجبرني
يوم الحساب اذا قدمت
منكسرا
وقد أتيت بذل راجيا كرما
اليك يا سيد السادات مفتقرا
ها قد تشفعت بالهادي
النبي ومن
فاق النبيين والاملاك
والوزرا
تالله لولم يكن في الارض
ما نبتت
بها ولا أنزل الباري لها مطرا
حتى أسير الى ذاك الجناب متى
أحظى برؤيته أقضي بها
وطرا
صلى عليه اله العرش
ما ركضت
نوق وما زمزم الحادي لها
وسرى

(وحكى عن أبي سليمان
الداراني رحمه الله تعالى
ونفعنا به)
أنه كان يقول في بعض
مناجاته سيدي لئن طالبتني
بذنبي لاطالبنك بعفوك
ولئن طالبتني ببخلي
لاطالبنك بجودك وكرمك
ولئن طالبتني باساءتي
لاطالبنك باحسانك ولئن
أدخلتني النار لاخبرن
أهلها بحبي لك فنودي
يا أبا سليمان لا تدخلك النار
ولا نعذبنك أبدا بل ندخلك
الجنة لتخبر أهلها بحبنا لك
ولا تخبر أهل النار بحبك

عند بابك للتفجر من شكر فهنا أصابهم واحتمل جبريل بجناحه قبضات أرضهم فاقتلع قريات قوم لوط الاربع وكان فى كل قرية مائة ألف فرفعهم على جناحه بين السماء والارض حتى سمع أهل سماء الدنيا صياح ديوكهم ونباح كلابهم ثم كفأها وقلبها فجعل عاليها سافلها كما قال الله تعالى فجعلنا عاليها سافلها ثم أتبع شاردهم ومسافرهم بالحجارة فذلك قوله تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد أى ممن يفعل كفعلهم أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا مخلد بن جعفر الباقرى أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر أخبرنى جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأسمع العواصف والقواصف من الرعد فأخشى أنها الحجارة التى أعدت لقوم لوط أو من يفعل بفعلهم وأخبرنا أبو بكر بن محمد بن أحمد بن عقيل القطان أخبرنا أبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور أخبرنا أبو حاتم الرازى أخبرنا أبو اليمان الحكم بن نافع الحمصى عن صفوان بن عمرو قال كنت عند عبد الملك بن مروان اذ أتى أبى شعيب قاضى حمص وكان رجلا عالما فسأله كم عقوبة اللوطى قال ان يرموه بالحجارة كما رجم قوم لوط فان الله تعالى قال وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين وقال تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل فقبل عبد الملك ذلك منه واستحسنه قالوا وكان الرجل منهم يتحدث فى قريته التى يكون فيها فيأتيه الحجر فيقتله قال وسمعت امرأة لوط الهدة فالتفتت وقالت واقوماه فأدركها حجر فقتلها فذلك قوله تعالى الا امرأته كانت من الغابرين أى الباقين فى العذاب وقال تعالى انه مصيبها ما أصابهم الآية (أخبرنا) الحسين بن محمد بن الحسين أخبرنا موسى بن محمد بن على أخبرنا الحسين بن علويه أخبرنا اسمعيل ابن عيسى قال أخبرنا المسيب قال سمعت أبا روق يقول الا امرأته كانت من الغابرين أى خلفت فمسخت حجرا وكانت تسمى هلسفع وقال غيره اسمها واعلة قالوا وكانت قرى قوم لوط خمسا سدوم وعامورا ودومة وساعورا فأما سدوم فهى القرية العظمى وكان فى هذه القرية أربعة آلاف فاحتملها جبريل على جناحه فقلبها فلذلك سميت المؤتفكات أى المنقلبات وأما القرية الخامسة فانها تسمى صفرة ونجت من العذاب لان أهلها آمنوا بلوط (وروى) ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام ان الله تعالى سماك بأسماء فسرها لى قال وصفنى فى قوله تعالى ذى قوة عند العرش مكين مطاع ثم أمين فأخبرنى عن قوتك قال يا محمد رفعت قرى قوم لوط من تخوم الارض على جناحى فى الهواء حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا أصواتهم وأصوات الديكة ثم قلبتها ظهرا لبطن قال فأخبرنى عن قوله تعالى مطاع قال ان رضوان خازن الجنان ومالكا خازن النيران متى قلت لهما أو كلفتهما فتح أبواب الجنان أو النيران فتحاها قال فأخبرنى عن قوله تعالى أمين قال ان الله أنزل من السماء مائة وأربعة كتب على أنبيائه لم يأتمن عليها غيرى (أخبرنا) عبد الله بن الحسين بن محمد الثقفى اخبرنا أبو عثمان بن احمد بن سمعان البزار أخبرنا عبد الله ابن قحطبة أخبرنا ياسر بن توبة أخبرنا محمد بن راموز أخبرنا أبو بكر بن عياش قال سألت أبا جعفر أعذب الله النساء من قوم لوط بعمل رجالهم فقال الله تعالى أعدل من ذلك بل استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فوجب عليهم العذاب جميعا (أخبرنا) ابن فنجويه أخبرنا مخلد بن جعفر أخبرنا الحسين بن علويه أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر حدثنى مقاتل بن سليمان قال قلت لمجاهد يا أبا الحجاج هل بقى من قوم لوط أحد قال لا الا رجل بقى أربعين يوما وكان بمكة فجاءه حجر ليصيبه فى الحرم فقام اليه ملائكة الحرم فقالوا للحجر ارجع من حيث جئت فان الرجل فى حرم الله فوقف الحجر خارج الحرم أربعين يوما بين السماء والارض حتى قضى الرجل حاجته فلما خرج أصابه الحجر خارج الحرم فقتله (عن مقاتل) عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال ما عمل ذلك قوم لوط انما كانوا ثلاثين رجلا ونيفا لا يبلغون الاربعين فأهلكهم الله جميعا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليعمنكم العقوبة جميعا

﴿مجلس فى قصة يوسف بن يعقوب واخوته عليهم الصلاة والسلام﴾

ثنا فان مكان المحبين الجنة ومكان الاعداء النار اخوانى المحبة عروس مهرها النفوس ولها تخضع الرقاب والرؤس وهى تجلى على أهلها الاسرار وتصفو بها الاكدار وتروق معانى ابكار الافكار وهى للعارف نور وللجاهل نار اذا امتزجت خمرة المحبة على أهل جنة الوصال يتنعمون فيها بالقدق والآصال والحبيب يتجلى عليهم بلا حجاب وملائكة السرور يدخلون عليهم من كل باب فالذين يتلون كتاب الله طوبى لهم وحسن مآب متكئين فيها على الارائك نعم الثواب

﴿وحكى عن يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى﴾ أنه قال سمعت ذا النون المصرى رضى الله عنه يقول بينما أنا فى شوارع مصر اذ رأيت جارية مسفرة عن وجهها وهى تمشى من غير خمار فقلت لها يا جارية أما تستحى من الله تعالى فقالت يا ذا النون وما يصنع الخمار بوجه علاه الاصفرار قال ذو النون فقلت لها عساك تناولت شيأ من شراب القوم فقالت اسكت يا بطال شربت البارحة بكاس وده مسرورة فأصبحت بحبه مخمورة قال ذو النون فقلت لها يا جارية عسى فائدة منك أو وصية أحفظها عنك فقالت يا ذا النون عليك

قال الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص الآية قال سعد بن أبي وقاص كانت الصحابة [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم لو حدثتنا فأنزل الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها الآية فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص [illegible] القرآن الآية [illegible] الله تعالى في هذه الآية على أحسن القصص واختلف العلماء في سبب تسمية الله تعالى قصة يوسف عليه السلام من بين الاقاصيص أحسن القصص فقال بعض أهل المعاني معنى الآية قصة حسنة لفظه لفظ المبالغة وحكمه حكم الصفة كقوله تعالى وهو أهون عليه قال الشاعر

ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

أراد عزيزة طويلة وأجراه الباقون على الظاهر فقالوا هي أحسن القصص ثم اختلفوا في وجهها فروى مقاتل عن سعيد بن جبير قال اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سلمان الفارسي فقالوا يا سلمان حدثنا عن التوراة بأحسن ما فيها فأنزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص يعني أن قصص القرآن أحسن مما في التوراة وقيل سمى الله هذه القصة أحسن القصص لانها ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم والعجائب واللطائف ما تضمنت هذه القصة ولذلك قال الله تعالى لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين وقال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب وقيل سماها أحسن القصص لحسن مجازاة يوسف اخوته وصبره على أذاهم واغضائه عند الالتقاء بهم عن ذكر ما تعاطوه معه وكرمه في العفو عنهم حيث قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقيل لان فيها ذكر الانبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن والانس والانعام والطير وسير الملوك والممالك والعلماء والتجار والعقلاء والجهلاء وحال الرجال والنساء ومكرهن وحيلهن وفيها أيضا ذكر العفة والتوحيد وعلم السير وتعبير الرؤيا وآداب السياسة والمعاشرة وتدبير المعاش فصارت أحسن القصص لما فيها من المعاني الجزيلة والفوائد الجليلة التي تصلح للدين والدنيا وتجمع خيري الدنيا والعقبى قال أهل الاشارة سماها الله أحسن القصص لما فيها من ذكر المحب والمحبوب

﴿الباب الاول في ذكر نسبه عليه الصلاة والسلام﴾

هو يوسف الصديق بن يعقوب الصفي بن اسحق الذبيح بن ابراهيم الخليل عليهم السلام بذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم كريما وآباءه كرماء * عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلوات الله عليهم واختلفوا في معنى اسم يوسف فقال أكثر الفقهاء هو اسم عبري فلذلك لا يجري وقال بعضهم هو اسم عربي سمعت الاستاذ أبا القاسم الحبيبي يقول سمعت أبي يقول سمعت أبا الحسن الاقطع وكان حكيما فسئل عن يوسف فقال الاسف في اللغة الحزن والاسيف العبد واجتمعا فيه فلذلك سمي يوسف

﴿الباب الثاني في صفة يوسف عليه الصلاة والسلام وحليته ونعت خلقه وصفة صورته﴾

قال الله تعالى فلما رأينه أكبرنه الآية (أخبرنا) أبو عبد الله الثقفي أخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان أخبرنا محمد ابن محمد بن سليمان أخبرنا محمد بن حميد الرازي أخبرنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن روح بن القاسم قال حدثني عمارة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي الى السماء فرأيت يوسف فقلت يا جبريل من هذا فقال هذا يوسف قالوا وكيف رأيته يا رسول الله قال كالقمر ليلة البدر وأخبرني الحسن بن محمد أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا حامد بن سعدان أخبرنا أبي أخبرنا يعقوب أخبرنا الوليد بن مسلم عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطي وأمه شطر الحسن وعن أبي اسحق بن عبد الله بن أبي فروة قال كان يوسف اذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس والقمر على الجدران * قال كعب الاحبار ان الله تعالى مثل لآدم ذريته بمنزلة الذر فأراه الانبياء عليهم السلام نبيا نبيا وأراه في الطبقة السادسة يوسف متوجا بتاج الوقار

متزرا

[illegible] من الله [illegible] من [illegible] الى [illegible] من الياقوت وقيل أوحى الله تعالى الى نبيه داود عليه السلام يا داود أحبني وأحب من يحبني وحببني الى عبادي فقال داود يا رب كيف أحببك الى عبادك فقال تذكرني لهم وتذكرهم آلائي ونعمائي فانهم لم يعرفوا مني الا الجميل والاحسان * وقيل أوحى الله تعالى الى نبيه الخليل عليه السلام يا ابراهيم انك لي خليل وأنا لك خليل فاحذر أن أطلع على قلبك فأجده مشغولا بغيري فينقطع حبك مني فاني انما أختار لحبي من لو أحرقته بالنار لم يلتفت قلبه عني ولم يشتغل بغيري فاذا كان كذلك أسكنت محبتي في قلبه فتواترت عليه ألطافي فقربته مني ووهبته محبتي فأي نعيم يعدل ذلك عندي وأي شرف أشرف منه لدي فوعزتي لاشفين صدره بالنظر الي وذلك اني محب لمن أحبني (اخواني) اذا كانت محبته سبقت للعبد بالعناية القديمة كيف لا يسلك العبد الطريق المستقيم كما قيل ان الله تعالى يقول يا جبريل أنم فلانا وأيقظ فلانا فانصب بين يدي محب وبه قائم وظلمته ملازم وفي حبه

من الحلة الشرف من أنوار دار الكرامة مستبشرا ضاحكا ... وقد ثبت اليقين في عينيه ...
الفضة ... عن يسار ... أم الانبياء ... التاج ...
شجرة السعادة ... ويقول ... فلما رآه آدم قال الهي من هذا الكريم الذي
أحببت له هذه الكرامة ورفعته الدرجة العالية قال يا آدم هذا ابنك المحسود على ما آتيته يا آدم أعطه
قال آدم قد أعطيته ثلثي حسن ذريتي ثم ان آدم ضم يوسف الى صدره وقبل بين عينيه وقال يا بني لا تأسف
فأنت يوسف فأول من سماه يوسف آدم فقسم الله تعالى ليوسف من الجمال الثلثين وقسم بين العباد الثلث
وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله تعالى بيده وصوره ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية
وقد كان الله أعطى آدم الحسن والجمال والبهاء يوم خلقه فلما عصى نزع ثلث منه وأعطاه يوسف عليه
السلام ثم لما تاب عليه وهبه ثلث الجمال الذي كان انتزعه منه وذلك ان الله تعالى أحب أن يرى العباد أنه
قادر على ما يشاء فأعطى يوسف من الحسن والجمال ما لم يعطه أحدا من الناس ثم أعطاه العلم بتأويل الرؤيا
وكان يخبر بالامر الذي يرى في المنام انه سيكون كذا وكذا من قبل أن يكون ذلك الامر علمه الله ذلك كما علم
الاسماء كلها لآدم فكان حسن يوسف كضوء النهار وكان يوسف أبيض اللون جميل الوجه جعد الشعر
ضخم العينين مستوي الخلقة غليظ الساقين والعضدين والساعدين خميص البطن أقنى الانف صغير
السرة وكان بخده الايمن خال اسود وكان ذلك الخال يزين وجهه وكان بين عينيه شامة بيضاء كأنها القمر
ليلة البدر وكانت أهداب عينيه تشبه قوادم النسور وكان اذا تبسم رؤي النور من ضواحكه واذا تكلم
رأيت شعاع النور يشرق من بين ثناياه لا يقدر بنو آدم ولا أحد على وصف يوسف عليه الصلاة والسلام
ويقال انه ورث الحسن من جده اسحق بن ابراهيم وكان أحسن الناس واسحق هو الضاحك بالعبرانية
وهو ورث الحسن من أمه سارة فان الله تعالى صورها على صورة الحور العين ولكن لم يعطها صفاءهن
وأعطى يوسف من الحسن والجمال وصفاء اللون ونقاء البشرة ما لم يعطه أحدا من العالمين وانه كان اذا أكل
البقول والفواكه فترى حين تزدردها في حلقه وفي صدره حتى تصل الى بطنه وورثت سارة الحسن من
جدتها حواء (وقال وهب) الحسن عشرة أجزاء ليوسف تسعة وواحد بين سائر الناس (وعن) عبد الله بن
مسعود عن النبي عليه السلام قال هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله تعالى يقول لك كسوت
حسن يوسف من نور الكرسي وكسوت وجهك من نور عرشي وقيل لبعض الحكماء أيوسف أحسن أم محمد
فقال كان يوسف من أحسن الناس ومحمد صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ويدل عليه حديث جابر بن
عبد الله قال نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء ونظرت الى القمر ليلة البدر فهو
أحسن في عيني من القمر

((القول في القصة))

قال أهل العلم بقصص الانبياء وأخبار الماضين كان ابتداء أمر يعقوب ويوسف عليهما السلام وبدء
محبة يعقوب له وايثاره على سائر ولده ان الله تعالى أنبت ليعقوب شجرة في صحن داره فكان كلما ولد له ولد
أخرج الله تعالى من تلك الشجرة غصنا فكان كلما كبر الغلام وشب طال ذلك الغصن وغلظ فاذا بلغ ذلك
الغلام قطع يعقوب ذلك الغصن ودفعه اليه فولد له عشرة بنين فأخرج الله تعالى من تلك الشجرة عشرة
قضبان فلما ولد له يوسف لم يخرج الله تعالى من الشجرة شيأ فلما كبر وشب قال لابيه يا نبي الله انه ليس أحد
من اخوتي الا وله غصن الا أنا فادع الله تعالى أن يخصني بغصن من الجنة فرفع يعقوب يديه الى السماء
وقال اللهم اني أسألك أن تهب ليوسف غصنا من الجنة يفتخر به على جميع اخوته فهبط جبريل عليه
الصلاة والسلام ومعه قضيب من الجنة من الزبرجد الاخضر فقال ليوسف خذ هذا فكان يوسف يأخذه
ويخرج به مع اخوته قال فرأى يوسف فيما يرى النائم وهو اذ ذاك صبي كأن قضيبه غرس في الارض
فعلق وتدلت أغصانه وأثمرت من كل ثمرة ثم أتى باغصان اخوته فغرست حوله فلم تعلق ولم تفرع ولم تثمر

هائم فما فيه من العاذل واللائم (شعر)

يا عاذل القلب في صبابته / ولائم الصب في تصابيه
ارفق ملامي وخل عن عذلي / فالحب مني الحب يدريه
وفي ضميري من لا أبوح به / وفي فؤادي من لا أسميه
دأدهش الطرف في محاسنه / وحير القلب في معانيه
محجب والقلوب تشهده / مغيب والغرام يبديه
ووجهه حيث كنت واجهني / لا شيء يخفيه أو يواريه
ان جئته ضارعا بآملي / يقول لبيك في تعاليه
ها أنا دان ومنك مقترب / فخذ من الوصل ورد صافيه

((وعن ذي النون المصري رحمه الله تعالى)) انه قال رأيت فتى ظاهره الجنون وباطنه الفنون فعلمت انه بحب مولاه مفتون فسمعته يبكي ويقول في مناجاته مولاي قربت المحبين وطردتني فاذنبي وخصصتهم بالوصل منك وهجرتني فوا كربي وأيقظتهم للقيام بين يديك وأغفلتني فوا ندمي ولذذتهم في السحر بمناجاتك وما لذذتني فوا ألمي ثم أخذ في البكاء والنحيب قال ذو النون فحرك مني ما كان ساكنا وهيج من شوقي ما كان كامنا فقلت له يا فتى ما هذا البكاء فقال يا ذا النون اخبرني سواد الثوب يزول بالماء والصابون وسواد

وان الغصن يوسف أخضرها وأنضرها والزهر يتمايل في الهواء ويتأول الى ظلل على أعين اخوته ثم
هبت الريح فقلعت أغصانا أخرى من أشجارها والقتها الى أصل شجرة يوسف في الارض فانتبه
من نومه مرعوبا فقال لابيه رأيت بالذي رأيت فقص عليه رؤياه فبلغ اخوته هذا الرؤيا فقالوا ان صدقت رؤياك
يا يوسف ان يدعي الله مولانا ونحن عبيدك فشق عليهم رؤياه وحسدوه وبعض الحسد قال وهب ان
يوسف هذه الرؤيا التي الغصن وهو ابن سبع سنين ثم انه رأى وهو ابن اثنتي عشرة سنة الرؤيا التي قصها
الله علينا في كتابه اذ قال تعالى اذ قال يوسف لابيه يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا الآية وكان يوسف في
حجر يعقوب فنام يوسف بات عند أبيه ليلة من الليالي اذ رأى الرؤيا التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز وكانت
ليلة الجمعة فانتبه من منامه مرعوبا فالتزمه يعقوب وضمه الى صدره وقبل بين عينيه وقال يا حبيب
أبيه ما الذي أصابك فقال يا أبت رأيت رؤيا أفزعتني فقال يا بني خيرا رأيت ما الذي رأيت قال يوسف
رأيت كأن أبواب السماء فتحت وقد أشرق منها النور واستنارت النجوم وأشرقت الجبال وزخرت البحار
وعلت أمواجها وسبحت الحيتان بأنواع اللغات ورأيت كأني ألبست رداء أشرقت الارض من حسنه
ونوره ورأيت كأن مفاتيح خزائن الارض ألقيت بين يدي فبينما أنا كذلك اذ رأيت أحد عشر كوكبا
انقضت من السماء ومعها الشمس والقمر فخروا الى ساجدين فقال يعقوب يا بني لا تقصص رؤياك على
اخوتك الآية ثم عبر رؤياه فقال وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث الآية قال فسمعت
امرأة يعقوب ما قال يوسف لابيه فقال لها يعقوب اكتمي ما قال يوسف ولا تخبري أولادي بذلك فقالت
نعم فلما أقبل أولاد يعقوب من مراعيهم أخبرتهم بالرؤيا التي أمرها يعقوب بكتمها فانتفخت أوداجهم
واقشعرت جلودهم غضبا على يوسف وقالوا ما عنى بالشمس غير أبينا ولا بالقمر غير خالتنا ولا بالكواكب
غيرنا ثم قالوا ان ابن راحيل يريد أن يملك علينا فيقول أنا سيدكم وأنتم عبيدي فحسدوه على ذلك فلذلك
قيل في الحكمة لا تأمن امرأة على صحيفة ولا شابا على امرأة ولا امرأة على سر (وروى) الحكم بن ظهير
عن اسمعيل السدي عن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل من اليهود فقال له بستانة الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرني عن النجوم التي رآها يوسف ساجدة له ما أسماؤها فسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبه بشيء حتى نزل جبريل عليه السلام فأخبره بأسمائها فأرسل الى اليهودي
فدعاه وقال له ان أخبرتك بأسمائها أتسلم قال نعم فقال له جريان والطارق والذيال وذو الكتفين والفرغ
ووثاب وعمودان وقابس والمصبح والفليق والضروح رآها يوسف في أفق السماء ساجدة له فلما قص رؤياه
على أبيه قال أرى شيأ متشتتا يجمعه الله لك فقال اليهودي هذه والله أسماؤها ويقال كان بين رؤيا يوسف
في الغصن ورؤياه في الكواكب سبع سنين فلما كان من أمر رؤيا يوسف ما كان وانضاف الى ذلك
تخصيص أبيه يعقوب اياه بالمحبة والقرب حسده اخوته وحملهم الحسد على أن تآمروا بينهم في أن
يفرقوا بينه وبين أبيه بضرب من الاحتيال ويهلكوه فيما بينهم كما أخبر الله عنهم في قوله تعالى اذ قالوا
ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفي ضلال مبين أي خطأ بين في ايثاره يوسف
وأخاه علينا اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين أي تائبين
فاستعدا والتوبة قبل وقوع الذنب قال قائل منهم وهو يهودا وكان أفضلهم وأعقلهم لا تقتلوا يوسف فان
القتل عظيم وألقوه في غيابة الجب وهو البئر غير المطوية يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قيل
للحسن أيحسد المؤمن فقال للسائل ما أنساك بني يعقوب ولهذا قيل الاب جلاب والاخ سلاب فعند
ذلك أجمعوا رأيهم أن يدخلوا على يعقوب ويكلموه في ارسال يوسف معهم الى البرية فقال لهم روبيل وهو
أكبر ولد يعقوب ان أباكم لا يأمنكم على يوسف ولكن انطلقوا بنا الى يوسف حتى نلعب بين يديه فاذا نظر
الينا كيف نفرح ونلعب اشتاق الى ذلك فأقبلوا على يوسف وهو قاعد يسبح فجعلوا يتلاعبون
ويتضاحكون بين يديه فلما رأى يوسف ذلك اشتاق الى اللعب معهم فأقبل عليهم وقال يا اخوتاه أكذا

تلعبون

اقلب ... وقال ... بالله
واليقين ... أنا رأيته في
... ظلمة وما
وقفت ... الاخيرة
والتمر وأنشد يقول شعرا
رأى فؤادي فقلت له ولى
أشد به ... وقلبي
طالبت منه ... علا
فقال لي ليس ذا ...
كذلك قلبي به ...
فازددت ... كربي
(الثواقى) سكنت نارا محبة
في القلوب فاستنارت بأنوار
المحبوب قال بعضهم سبعة
أشياء لا تتم معرفة الرب الا
بها الخلاص العبودية لله عز
وجل وصدق الورع مع
الله والصدق في الله والشوق
الى الله وحسن الظن بالله
والخوف من الله فهذه
السبعة لا تتم معرفة الله
الا بها كما أن المصباح لا
يوقد الا بسبعة أشياء لا بد
منها الزناد والحجر والحراق
والكبريت والمسرجة
والزيت والفتيلة فبدون
هذه السبعة أشياء لا سبيل
الى ايقاد المصباح فاذا
أردت بهذا ايقاد مصباح
قلبك بمشاهدة ربك فلا بد
من زناد المجاهدة وحجر
المكابدة وحراق الاشواق
وكبريت المحبة ومسرجة
التوكل وزيت الشكر
وفتيلة الصبر ثم تعلق
المصباح في سلاسل التبرع
الى ربك فعند ذلك يتوقد

بالخروج [illegible]
البلد حتى كانوا [illegible]
يعقوب [illegible] وكانوا [illegible] فلما أرادوا أن [illegible]
[illegible] فقالوا قال لهم ما شأنكم قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون نحفظه ونحوطه حتى نرده
الليك أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون فقال لهم يعقوب اني ليحزنني أن تذهبوا به
وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لا تشعرون بذلك قال ابن عباس وغيره انما قال ذلك يعقوب
لانه رأى في منامه كأن يوسف على رأس جبل وكان عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليأكلوه واذا ذئب
منها يحمي عنه وكان الارض قد انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة أيام فلما رأى
يعقوب هذه الرؤيا خاف على يوسف من الذئب فلذلك قال لهم وأخاف أن يأكله الذئب (أخبرنا) الحسين
ابن محمد بن فنجويه أخبرنا عبد الله بن شيبة أخبرنا أبو نعيم عبد الرحمن بن قريش أخبرنا محمد بن عمرو بن الحكم
الهروي أخبرنا مالك بن سليمان الهروي أخبرنا عبيد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلقنوا الناس الكذب فيكذبوا فان بني يعقوب لم يعلموا ان الذئب يأكل
الانسان حتى لقنهم أبوهم فلما لقنهم وقال اني أخاف أن يأكله الذئب قالوا أكله الذئب فقال بنوه لئن أكله
الذئب ونحن عصبة أي عشرة رجال انا اذا لخاسرون عجزة مغلوبون ثم قالوا يا نبي الله كيف يأكله الذئب
وفينا شمعون اذا غضب لا يسكن غضبه حتى يصيح واذا صاح لا تسمعه حامل الا وضعت ما في بطنها وفينا
يهوذا اذا غضب شق السبع نصفين فلما سمع يعقوب منهم ذلك اطمأن اليهم وأقبل يوسف حتى وقف بين
يدي أبيه ثم قال له يا أبت أرسلني معهم قال أوتحب ذلك يا بني قال نعم قال اذا كان غدا أذنت لك في ذلك فلما
أصبح يوسف لبس ثيابه وشد عليه منطقته وأخذ قضيبه وخرج مع اخوته ثم عمد يعقوب الى السلة التي
حمل فيها ابراهيم زاد اسحق فحمل فيها زاد اليوسف وخرج ليشيعهم فقالوا يا نبي الله ارجع فقال يعقوب يا بني
أوصيكم بتقوى الله وبحبيبي يوسف أسألكم بالله ان جاع أطعموه وان عطش فاسقوه وقوموا عليه ولا
تدعوه ولا تخذلوه وكونوا متواصلين متراحمين قالوا نعم يا أبانا كذلك ولم وهو أخونا كأحدنا بل له الفضل
علينا بحبك اياه فقال نعم يا بني الله خليفتي عليكم مع اني خائف ان أكون قد ضيعته ثم انه أقبل على يوسف
فالتزمه وضمه الى صدره وقبل بين عينيه ثم قال أستودعك الله رب العالمين وانصرف راجعا (وروى)
السدي ورجاء عن ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واسحق بن بشر بن
جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ومقاتل عن ابن بحيرة عن كعب الاحبار عن سعيد بن أبي عروبة عن
الحسن دخل كلام بعضهم في بعض قالوا أرسل يعقوب يوسف مع اخوته فأخرجوه مظهرين له الكرامة
فلما برزوا به الى البرية أظهروا له العداوة وضربوه فجعل يستغيث بهم واحدا بعد واحد وهم يضربونه فلا
يرى منهم رحيما وأخذوا ما كان زوده يعقوب وأطعموه الكلاب وضربوه حتى كادوا يقتلونه وعطش
عطشا شديدا فقال لهم اسقوني جرعة من ماء قبل ان تقتلوني فلم يسقوه فعند ذلك بكت الملائكة رحمة
ليوسف فلما رأى يوسف ان ليس أحد منهم يعطف عليه جعل يصيح ويقول يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما
تصنع بابنك بنو الاماء فلما هموا بقتله قال لهم يهوذا وكان ابن خالة يوسف وأحسنهم فيه رأيا أليس لكم قد
أعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فعند ذلك أجمعوا على القائه في الجب كما قال الله تعالى فلما ذهبوا به وأجمعوا أن
يجعلوه في غيابة الجب فانطلقوا به الى الجب ليطرحوه فيه وكان ذلك الجب في الاردن بين مدين ومصر
وقيل بين طبرية والقدس على قارعة الطريق في واد من أودية بها على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وكانت
بئرا وحشة مظلمة أسفلها واسع وأعلاها ضيق يهلك من طرح فيها من سعة أسفلها لا يمكنه الصعود وكان
ماؤها ملحا وكان الجب من حفر سام بن نوح ويسمى جب الاحزان فلما أرادوا أن يلقوه فيه جعلوا يدلونه في
البئر فيتعلق بشفير البئر فربطوا يديه الى عنقه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي أستر به عورتي

وروى عنه
[illegible] عن [illegible]
[illegible] رحمه الله تعالى انه
قال سمعت [illegible] رضي الله
تعالى عنه يقول كنت نائما
عند السري السقطي رضي
الله تعالى عنه ليلة من الليالي
فأيقظني وقال يا جنيد رأيت
كأني وقفت بين يدي الله
تعالى فقال يا سري خلقت
الخلق فادعى كلهم محبتي
وخلقت الدنيا فهرب مني
تسعة أعشارهم وبقي العشر
وخلقت الجنة فهرب مني
تسعة أعشار العشر وبقي
عشر العشر فسلطت عليهم
ذرة من البلاء فهرب مني
تسعة أعشار عشر العشر
وبقي عشر عشر العشر فقلت
للباقين لا الى الدنيا أردتم
ولا الى الجنة طلبتم ولا من
البلاء هربتم فما الذي
تريدون وما الذي تطلبون
فقالوا أنت المراد ولو قطعتنا
بالبلاء لم نحل عن المحبة
والوداد فقلت لهم اني مسلط
عليكم من البلاء والاهوال
ما لا تقوم بحمله الجبال
أتصبرون على البلاء قالوا بلى
اذا كنت أنت المبتلي لنا
فافعل ما شئت بنا فهؤلاء
عبادي حقا وأحبابي صدقا
(اخواني) البلاء موكل
بالمحبين قد أفنى منهم
الاجساد وتمكن من القلوب
ولا يزالون كذلك حتى يصلوا
الى المحبوب وأنشد بعض
العارفين يقول شعرا

ويكون لي كفا بعد عماتي وأطاقوا بدي آثارهم ماضي قوام الجب فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تلبسك وتؤنسك فلوثقوا البئر بحبل فلما بلغ نصفها قطعوا الحبل ليسقط فيموت فيه فأخرج الله تعالى على رأسه الماء صخرة مطلة بينة ورفعها الى يوسف فوقف عليها وجعل يوسف يبكي فنادوه فظن انها رحمة لهم فأجابهم فهموا أن يرضخوه بالحجارة فيقتلوه فنهاهم يهوذا وقال لقد أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه وقالوا فلما ألقى يوسف في الجب أضاء له الجب وعذب ماؤه حتى كان يغنيه عن الطعام والشراب وبعث الله تعالى اليه ملكا يحل عنه قيده وكان ابراهيم حين ألقي في النار جرد من ثيابه وقذف في النار عريانا فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه وكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ابراهيم ورثه اسحق فلما مات اسحق ورثه يعقوب منه فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في تعويذ وعلقه في عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما ألقي في الجب عريانا جاءه الملك وكان عليه التعويذ فأخرج القميص وألبسه اياه وجعل يؤنسه بالنهار (ويروى) ان الملك أتاه بسفرجلة من الجنة فأطعمه اياها فلما أمسى يوسف نهض الملك ليذهب فقال له يوسف انك اذا خرجت عني أستوحش فقال له الملك قل اذا اهمك شيأ يا صريخ المستصرخين يا غياث المستغيثين يا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعرف حالي ولا يخفى عليك شئ من أمري فلما دعا يوسف بهذا الدعاء بعث الله اليه سبعين ملكا يحفونه وآنسوه في البئر ثلاثة أيام فلما كان في اليوم الرابع أتاه جبريل عليه السلام وقال يا غلام من طرحك ههنا في هذا الجب قال اخوتي لابي قال ولم قال حسدوني على منزلتي من أبي قال أتحب أن تخرج من هذا الجب قال نعم قال قل يا صانع كل مصنوع ويا جابر كل مكسور ويا حاضر كل ملا ويا شاهد كل نجوى ويا قريبا غير بعيد ويا مؤنس كل وحيد ويا غالبا غير مغلوب ويا علام الغيوب ويا حيا لا يموت ويا محيي الموتى لا اله الا أنت سبحانك أسألك يا من له الحمد يا بديع السموات والارض يا مالك الملك ويا ذا الجلال والاكرام أسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد وأن تجعل لي من أمري ومن ضيق فرجا ومخرجا وترزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب فقالها يوسف فجعل الله له من الجب مخرجا ومن كيد اخوته فرجا وآتاه ملك مصر من حيث لا يحتسب وأوحى الله اليه وهو في البئر لتنبئن اخوتك بما عملوا وهم لا يعلمون انك يوسف فذلك قوله تعالى لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون (وقال مجاهد) خرج يوسف من عند يعقوب وهو ابن ست سنين لم يتغير وجمع الله بينهما وهو ابن أربعين سنة (أخبرنا) أبو عبد الله الدينوري أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف الصرصري أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري أخبرنا عمران القزاز أخبرنا عبد الوارث أخبرنا يونس عن الحسن قال ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان في العبودية والملك والسجن ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثمانية وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وخمس وعشرين سنة * رجعنا الى قصة يوسف عليه السلام واخوته بعد ما ألقي في الجب فلما ألقوه في الجب عمدوا الى سخلة من الغنم فذبحوها ولطخوا قميص يوسف بدمها وشووها وأكلوا لحمها ثم انهم رجعوا الى يعقوب وهو قاعد على قارعة الطريق ينتظرهم متى يأتون بيوسف فلما دنوا منه اصطرخوا صراخ رجل واحد ورفعوا أصواتهم بالبكاء فعلم يعقوب أنهم قد أصيبوا بمصيبة فلما وافوه اجتمعوا وتقدموا بين يديه وشقوا جيوبهم وبكوا ففزع يعقوب وقال ما لكم يا بني وأين يوسف قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق أي ننتضل وكذلك هو في قراءة عبد الله وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وهذا قميصه ملطخ بدمه فذلك قوله تعالى وجاؤا أباهم عشاء يبكون وانما فعلوا ذلك ليكونوا في الظلمة أجرأ على الاعتذار وترويج ما مكروا فقد قالوا لا تطلب الحاجة في الليل فان الحياء في العينين ولا تعتذر بالنهار من قبيح فعلك فتتلجلج في الاعتذار فلا تقدر على اتمامه (روى) الشعبي قال جاءت امرأة الى شريح فجعلت تبكي فقال رجل ألا ترى الى هذه المرأة المسكينة كيف تبكي فقال شريح قد جاء اخوة يوسف عشاء يبكون ثم انه أنشد في معناه

أغرك من شيخ بكاء وعلقه * أم العين البيضاء المنتف مطلقه

في ان الاحسان يملك القلب ... وأحزان ... القصر وحصلوه كربا وغما وسقفه سقاما وآلاما بضيق تم الصدر وأدخلهم فيه وأغلق بابه وقال لهم مفتاح سجنكم الصبر * وعن ابراهيم الخواص رضي الله تعالى عنه وعنا به أنه قال كان عتبة الغلام من الخواص المعروفين بالاخلاص وكان يزورني في بعض الايام والليالي وكان صائم الدهر قائم الليل فبات عندي ليلة فقدمت اليه العشاء ليفطر عليه فلم يفطر عندي الا على الماء فلما صلى العشاء الاخيرة أحرم وقام يصلي الى السحر فسمعته يقول في مناجاته سيدي ان تعذبني فأنا لك محب وان ترحمني فأنا لك محب ثم بكى وشهق شهقة عظيمة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قلت له يا عتبة كيف كانت ليلتك فصرخ صرخة عظيمة ثم قال يا ابراهيم ذكر العرض على أسرع الحاسبين قطع أوصال المحبين ثم غشي عليه فلما أفاق رفع رأسه وقال يا سيدي أتراك تعذب من أحبك بالنيران أو تبتلي قلبه بالهجران فسمع هاتفا يقول حاشاه أن يعذب من أحبه واجتباه واختاره واصطفاه وأنشد يقول شعرا في وصف حبك ما يغني عن الغزل

[illegible]

[illegible] قالوا يا أبانا [illegible]

[illegible] ثم أخذ القميص وجعل يشمه ويقبله ويضعه على وجهه وعينيه (أخبرنا) أبو [illegible] أخبرنا [illegible] إبراهيم بن شاذان أخبرنا عبد الله بن ثابت أخبرنا أبو سعيد الأشج أخبرنا أبو أسامة حدثني زكريا عن سماك عن الشعبي قال كان في قميص يوسف ثلاث آيات حين جاؤوا به إلى أبيه فقالوا أكله الذئب فقال أبوهم لو أكله الذئب لشق قميصه وحين سيق نحو الباب انشقت قميصه من خلف فعرف الوزير أنه لو كان هو الذي راود لكان الشق من بين يديه وحين ألقي على وجه أبيه ارتد بصيرا فلما أصبح إخوة يوسف من الغد رجعوا إلى مراعيهم فقال بعضهم لبعض قد رأيتم ما كان من تكذيب أبيكم البارحة فإن أردتم أن يصدقكم ويخرجكم من الملامة فمروا بنا على الجب فنخرج يوسف منه ونفرق بين أضلاعه ولحمه ونجيء به إلى يعقوب فقال لهم يهوذا يا إخوتاه أين العهد الذي بيني وبينكم والله لئن فعلتم ما تقولون لأخبرن يعقوب بما كان منكم إليه ثم لأكونن لكم عدوا ما بقيت فتركوه ثم إنهم رجعوا إلى أبيهم عشاء فقال لهم يعقوب إن كنتم صادقين أن الذئب أكله فأين الذئب ائتوني به فعمدوا إلى حبالهم وعصيهم فأخذوها ومضوا إلى الصحراء فاصطادوا ذئبا وشدوه وأوثقوه كتافا ثم جاؤوا به إلى يعقوب وأوقفوه بين يديه فقال حلوا عقاله فخلوه فقال له يعقوب أقبل فأقبل الذئب يتخطى القوم حتى وقف بين يدي يعقوب منكسا رأسه فقال له يعقوب أيها الذئب أكلت ولدي وقرة عيني وحبيب قلبي وثمرة فؤادي لقد أورثتني حزنا طويلا وألما عظيما قال فتكلم الذئب وقال لا وحق شيبتك يا نبي الله ما أكلت ولدك وإن لحومكم ودماءكم معشر الأنبياء محرمة علينا وإني لمظلوم مكذوب علي وإني لذئب غريب من بلاد مصر فقال له يعقوب وما أدخلك أرض كنعان قال جئت لأجل قرابتي من الذئاب أزورهم وأصلهم فعند ذلك قال يعقوب لأولاده بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل وهو الذي لا جزع فيه ولا شكوى والله المستعان على ما تصفون وقال ابن عباس إنما كان سبب بلاء يعقوب أنه ذبح شاة وهو صائم فاستطعمه جار له فلم يطعمه فابتلاه الله تعالى بأمر يوسف قال فمكث يوسف في الجب ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع ودعا بالدعاء الذي علمه جبريل عليه السلام جاءت سيارة أي رفقة مارة من قبل مدين تريد مصر فأخطؤوا الطريق وضلوا عنها حتى نزلوا قريبا من الجب قال وكان الجب في قفر بعيد من العمران وإنما هو للرعاة والمجتازة وكان ماؤه مالحا فعذب حين ألقي فيه يوسف فلما نزلت السيارة أرسلوا رجلا من العرب من أهل مدين يقال له مالك بن دعر ليطلب لهم ماء فذلك قوله تعالى وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قالوا الوارد الذي يتقدم الرفقة إلى الماء فيهيئ الأرشية والدلاء فوصل الوارد إلى البئر فأدلى دلوه أي أرسلها فتعلق يوسف بالحبل فلما وصل إلى فم البئر رآه مالك بن دعر فرأى أحسن ما يكون من الغلمان فقال مالك يا بشراي هذا غلام يبشر أصحابه أنه أصاب عبدا وأسروه بضاعة قال المفسرون أسر مالك بن دعر وأصحابه أمر يوسف من التجار الذين معهم وقالوا لهم هو بضاعة استبضعناها من بعض الناس إلى مصر خيفة أن يطلبوا منهم فيه الشركة إن علموا ثمنه قال وكان يهوذا يأتي يوسف بالطعام كل يوم سرا من إخوته فأتاه ذلك اليوم كما كان يفعل فلم يجده في البئر فنظر فإذا هو بمالك وأصحابه نزولا ويوسف معهم فرجع يهوذا وأخبر إخوته بذلك فأتوا إلى مالك وقالوا له هذا عبد لنا أبق منا وكتم يوسف حاله مخافة أن يقتلوه فقال مالك أنا أشتريه منكم فباعوه منه فذلك قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين أي باعوه بثمن ناقص ظلم حرام لأن ثمن الحر حرام ثم بين الثمن فقال دراهم معدودة وإنما قال ذلك لأنهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقل من أوقية أربعين

[illegible] الأمر [illegible] من خلق وقد [illegible] إلى [illegible] ولو [illegible] لكان [illegible] مثل

(وعن أبي بكر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه) أنه قال تهت في بادية العراق أياما فلم أجد أحدا أترافقه فبينما أنا سائر ذات يوم إذ رأيت خيمة من شعر لبعض العرب فقصدتها فإذا على باب تلك الخيمة ستر مسبل فسلمت على من في الخيمة فردت علي السلام عجوز من داخل الخيمة ثم قالت من أين الرجل قلت من مكة قالت وأين تريد قلت الشام فقالت أرى شبح البطالين هلا لزمت زاوية تعبد الله فيها ثم قالت هل تحسن شيئا من القرآن قلت نعم فقالت اقرأ علي آخر سورة الفرقان قال فقرأتها فصرخت صرخة عظيمة وغشي عليها فلما أفاقت قرأت علي آيات فاقشعر جسدي لقراءتها ثم قالت اقرأ علي ثانيا ما قرأته قال فقرأتها فلحقها مثل ما لحقها في المرة الأولى ثم مكثت طويلا فقلت في نفسي أترى

درهما انما كانوا يعدون ما دون الاربعين درهما فاذا بلغ اوقية وزنوه لان اقل الوزن عندهم الاوقية والاوقية اربعون درهما (واختلف) العلماء في عدد الدراهم التي باعوا بها يوسف فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي عشرون درهما واقتسموها بينهم درهمين درهمين وقال مجاهد اثنان وعشرون درهما وقال عكرمة اربعون درهما وانما باعوه بهذا القدر لانهم كانوا فيه من الزاهدين لم يعلموا كرامته على الله ولا منزلته عند الله ويقال ان السبب في استرقاق يوسف وبيعهم اياه ان ابراهيم دخل مصر في بعض الازمنة فلما خرج منها شيعه زهادهم وعبادهم حفاة مشاة الى ان بعد فراسخ تعظيما له واجلالا ولم يترجل لهم ابراهيم فاوحى الله اليه انك لم تنزل لعبادي وهم يمشون حفاة لاعاقبنك بان يباع ولد من اولادك في هذه المدينة ثم ان مالك بن دعر انطلق هو واصحابه بيوسف ومعهم اخوته يقولون لهم استوثقوا منه فانه آبق سارق كاذب وقد برئنا اليكم من عيوبه فحمله مالك على ناقة له وساروا به الى مصر وكان طريقهم على قبر امه فلما رأى قبر امه لم يتمالك ان رمى نفسه عن الناقة الى القبر وهو يقول يا امي يا راحيل حلي عنك عقدة الردى وارفعي رأسك من الثرى وانظري الى ولدك يوسف وما لقي بعدك من البلاء يا اماه لو رأيت ضعفي وذلي لرحمتني يا اماه لو رأيتني وقد نزعوا قميصي وشدوني وفي الجب القوني وعلى حر وجهي لطموني وبالحجارة رجموني ولم يرحموني وكما يباع العبيد باعوني وكما يحمل الاسير حملوني (قال كعب الاحبار) فسمع يوسف مناديا من خلفه وهو يقول اصبر وما صبرك الا بالله قال فافتقد مالك على الناقة التي كان عليها فلم يجده فصاح في القافلة الا ان الغلام قد رجع الى اهله فطلب القوم يوسف فرأوه فاقبل عليه رجل منهم فقال يا غلام قد اخبرنا مواليك انك آبق سارق فلم نصدق حتى رأيناك تفعل ذلك فقال والله ما ابقت ولكنكم مررتم على قبر امي فلم اتمالك ان رميت نفسي على قبرها قال فرفع مالك بن دعر يده ولطم حر وجهه وجره حتى حمله على ناقته وروى انهم قيدوه فذهبوا به حتى قدموا مصر قال مالك ما نزلت منزلا ولا ارتحلت الا استبان لي بركة يوسف وكنت اسمع تسليم الملائكة عليه صباحا ومساء وكنت انظر الى غمامة بيضاء تظله وتسير فوق رأسه اذا سار وتقف على رأسه اذا وقف فلما قدموا مصر امره مالك بن دعر ان يغتسل فاغتسل والبسه ثوبا حسنا وعرضه للبيع واشتراه قطفير بن رحيب وهو العزيز بمصر ونواحيها وكان على خزائن الملك الاعظم وكان الملك يومئذ بمصر ونواحيها الريان بن الوليد بن ثروان بن اراشة بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام ابن نوح عليه السلام وروى ان هذا الملك ما مات حتى آمن بيوسف وتبعه على دينه ثم مات ويوسف حي ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان كافرا فدعاه يوسف الى الاسلام فابى ان يسلم (قال ابن عباس) لما دخلوا مصر تلقى قطفير السيارة وابتاع يوسف من مالك بن دعر بعشرين دينارا وزوج نعال وثوبين ابيضين (وقال وهب بن منبه) قدمت السيارة الى مصر فدخلوا بيوسف الى السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه وتزايدوا حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بهذا الثمن من مالك فلما اشتراه اتى به منزله وقال لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا واسمها راعيل بنت رعابيل قاله اسحق بن يسار *واخبرني ابن فنجويه اخبرنا ابن ابي شيبة اخبرنا ابو حامد المستملي اخبرنا ابو هاشم الرفاعي قال اسم امرأة العزيز بكا بنت فيوش قالوا فقال لها اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا تبناه وقال ابن اسحق كان قطفير لا يأتي النساء وكانت امرأته راعيل حسناء ناعمة في ملك ودنيا (اخبرنا) ابو بكر الجوزقي اخبرنا ابو العباس الدغولي بسرخس اخبرنا علي بن الحسين الهلالي اخبرنا ابو نعيم اخبرنا زهير عن ابي اسحق عن ابي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال افرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف وقال لامرأته اكرمي مثواه والمرأة التي اتت موسى فقالت لابيها يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يعني ارض مصر قال اهل الكتاب لما تم ليوسف في الارض ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر وجعله على خزائنه فذلك قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل

[illegible] [illegible]
[illegible]
[illegible] يوسف على [illegible]
[illegible] فاشتد [illegible] ثلاثمائة
ويهيما بجارية فقال لي
احدهما اتيت على الخيمة
الشعر التي في الفلاة فقلت
نعم فقال احبها فسمي قلت
لا فقال مات ورب الكعبة
فمضيت مع الغلامين حتى
انتهينا الى الخيمة ودخلت
الجارية فكشفت عن وجه
العجوز فاذا هي ميتة
فتعجبت من ذلك ثم قلت
للجارية من هذان الغلامان
قالت هما شريفان يخفريان
بهذه اختهما وليها منذ
ثلاثين سنة لم تستأنس
بكلام احد من الناس
واذا نزلوا واذا اعتزلت عنهم
بعيدا وضربت خيمتها في
الفلاة وكانت تأكل في كل
ثلاثة ايام مرة واحدة رضي
الله عنها (اخواني) الى متى
تشتغلون باللذات الفانيات
عن الباقيات الصالحات
فبادروا الى الاوقات
واستدركوا الهفوات
وكفوا عن الشبهات اما
ايقظكم منادي الشتات
اما هزكم حديث الصالحين
والصالحات اذا جاء النهار
قطعوه بمقاطعة اللذات واذا
اقبل الليل ضجوا بحنين
الاصوات ليس لهم الى غير
محبوبهم التفات (شعر)
حياتنا باطل غرور
وعمرنا ذاهب قصير

الاحاديث الآية. والراوقة التي العزيز يوسف الى منزله وقال لامرأته أكرمي مثواه فما لبثت امرأة العزيز ورأت حسنه وجماله وقع حبه في قلبها وعشقته وراودته أي طلبت منه ما يطلب النساء من الرجال قوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك أي هلم تعالى الى نفسها فقال يوسف عند ذلك معاذ الله انه ربي أحسن مثواي يعني زوجها قطفير سيدي أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون يعني ان فعلت هذا فخنته في أهله بعدما أكرمني وائتمنني فانا ظالم ولا يفلح الظالمون قال الله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ومعنى الهم بالشئ حديث المرء به نفسه ولم يفعل ذلك بعد قال الشاعر

هممت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله

وأما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهمها به فاختلف أهل العلم في ذلك قال السدي وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكره محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت له يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول شئ ينتثر من جسدي قالت يا يوسف ما أحسن عينيك قال هما أول ما يسيل في الارض من جسدي قالت ما أحسن وجهك قال للتراب يأكله فلم تزل تأمره مرة وتطمعه أخرى وتدعوه الى اللذة وهو شاب مستقبل يجد شبق الشباب وهي حسناء جميلة حتى لان لها لما يرى من كلفها به ولم يتخوف منها حتى خلوا في بعض البيوت وهم بها (وروى) اسحق بن بشار عن جويبر عن الضحاك ومقاتل جميعا عن ابن عباس فيما كان من محاورتهما قال قالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول شئ يبلى اذا مت قالت يا يوسف ما أحسن وجهك قال ربي تعالى صورني في الرحم قالت يا يوسف قد أنحلت جسمي بصورة وجهك قال الشيطان يعينك على ذلك قالت يا يوسف الجنينة قد التهبت نارا فقم فاطفها فقال ان أطفأتها فمها احتراقي قالت يا يوسف الجنينة قد عطشت فقم واسقها قال من كان المفتاح بيده فهو أحق أن يسقيها مني قالت يا يوسف بساط الحرير قد بسط لك فقم فاقض حاجتي قال اذا يذهب نصيبي من الجنة قالت يا يوسف ادخل معي تحت الستر واسترك به قال ليس شئ يسترني من ربي تعالى ان عصيته قالت يا يوسف ضع يدك على صدري تشفني بذلك قال سيدي أحق بذلك مني قالت اما سيدك فأسقيه كأسا فيه زئبق الذهب فيتناثر لحمه ويتساقط عظمه ثم ألفيه في الاستبرق وألفيه في القيطون يعني المخدع لا يعلم به أحد من الناس وأوليك ملكه قليله وكثيره قال فاين الجزاء يوم الجزاء قالت يا يوسف ان كثيرة الدر والياقوت والزمرد فأعطيك ذلك كله حتى تنفقه في مرضاة سيدك الذي في السماء فابى يوسف (قال ابن عباس) فجرى الشيطان فيما بينهما فضرب باحدى يديه الى جيب يوسف وباليد الاخرى الى جيب المرأة حتى جمع بينهما قال ابن عباس فبلغ من هم يوسف الى ان حل الهميان وجلس منها مجلس الرجل الخائن (وروى) جابر عن الضحاك عن ابن عباس همت بيوسف أن يفترشها وهم بها يعني تمناها أن تكون له زوجة * وأما البرهان الذي رآه يوسف وكان سبب العصمة وصرف الفاحشة عنه فاختلفوا فيه (أخبرنا) أبو الحسين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الطبراني أخبرنا حسن بن عطية عن اسرائيل بن أبي حصين عن أبي سعيد قال ابن عباس في قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه قال مثل له يعقوب فضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال الحسن ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على اصبعه قال وكل بني يعقوب ولد له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له أحد عشر ولدا من أجل ما نقص من شهوته حين رأى صورة أبيه فاستحيا منه وقال قتادة رأى صورة يعقوب فقال له يعقوب يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الانبياء (وقال السدي) نودي يا يوسف لا تواقعها فانك ان لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق ومثلك ان واقعتها مثله اذا مات ووقع في الارض لا يقدر أن يدفع عن نفسه ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يعمل عليه ومثلك ان واقعتها مثل الثور الذي يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه فلا يستطيع أن يدفع عن نفسه (أخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد الاصفهاني

والناس في غفلة نيام
وقد دعتهم لها الفتوق
والعمر يمضي ولعن بدري
مثل لهيب تتا هو الشروق
يا نفس ما سرو هو يحزنني
لا تضحي المسرور
فاذكري الموت واستعدي
له فقد جاءك النذير

* وعن السري السقطي رضي الله تعالى عنه انه قال مررت بسكران وهو ملقى على الارض والخمر يطفح من فيه وهو يقول الله الله قال فتعجبت من ذلك ورفعت بصري الى السماء وقلت الهي لسان يذكرك لا يكون هكذا ثم طلبت ماء فغسلت له فمه وانصرفت فلما أفاق أخبره جماعة من الناس ان السري السقطي فعل معك كذا وكذا فخجل الرجل واستحى ولام نفسه ووبخها وقال ويحك يا نفسي اذا لم تستحي من الله ومن أوليائه فممن تستحين ثم ندم وتاب مما كان فيه وأقسم على نفسه أن لا يعود قال السري فبت تلك الليلة متفكرا في أمر ذلك الرجل فرأيت رب العزة في المنام وهو يقول يا سري أنت طهرت فمه من أجلنا ونحن طهرنا قلبه من أجلك قال السري فلما أصبحت فرحت بذلك فرحا شديدا ثم سألت عن ذلك الرجل فوجدته في بعض المساجد وهو قائم يصلي فلما فرغ من صلاته

أخبرنا أحمد بن محمد بن يزيد التكريتي أخبرنا محمد بن إبراهيم بن خالد بن عمرو بن حفص البصري ببغداد أخبرنا خالد بن يزيد البصري أخبرنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها قال نزل سراويله وقعد منها مقعد الرجل من امرأته فإذا بكف قد بدت فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الروع والرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته إذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله الآية فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته إذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته قال الله تعالى لجبريل عليه السلام يا جبريل أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على إصبعه أو كفه وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في الأنبياء قال الله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين (أخبرنا) يعقوب بن أحمد أخبرنا محمد بن عبد الله النعماني أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عامر الطبرستاني حدثني أبي قال حدثني علي بن موسى الرضا حدثني أبي عن أبيه جعفر بن محمد الصادق حدثني أبي عن أبيه عن علي ابن الحسين في قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه قال قامت امرأة العزيز إلى الصنم فظللت دونه بثوب قال فقال لها يوسف ما هذا قالت أستحيي أن يرانا فقال لها يوسف أتستحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا أستحيي أنا ممن خلق الأشياء كلها وعلمها * قالوا فلما رأى يوسف البرهان قام مبادرا إلى باب البيت هاربا مما أرادته واتبعته المرأة فذلك قوله تعالى واستبقا الباب يعني تبادر يوسف وراعيل إلى الباب أما يوسف ففرارا من ركوب الفاحشة وأما المرأة فطلبا ليوسف ليقضي حاجتها التي راودته عنها فأدركته فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته إليها مانعة له من الخروج فقدت أي خرقت وشقت قميصه من دبر أي من خلفه لأن يوسف كان الهارب والمرأة الطالبة فلما خرجا ألفيا سيدها لدى الباب أي وجدا زوجها قطفير عند الباب جالسا مع ابن عم لراعيل فلما رأته هابته وقالت سابقة بالقول لزوجها ما جزاء من أراد بأهلك سوءا يعني الزنا إلا أن يسجن أو عذاب أليم يعني الضرب بالسياط (عن ابن عباس) وهذا كالمثل السائر خذ اللص قبل أن يأخذك فقال يوسف بل هي راودتني عن نفسي فأبيت وفررت منها فأدركتني وشقت قميصي قال نوف الشامي ما كان يوسف يريد أن يذكرها فلما قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا غضب وقال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها واختلفوا في هذا الشاهد من هو (قال) سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا في المهد أنطقه الله تعالى يدل عليه حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة في المهد وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج الراهب وعيسى بن مريم وقال الحسن وعكرمة وقتادة ما كان صبيا ولكن كان رجلا حكيما وله رأي وكان من خاصة الملك وقال السدي هو ابن عم راعيل كان جالسا مع زوجها على الباب فحكم بما أخبر الله تعالى عنه إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام فقال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ثم أقبل على يوسف فقال يا يوسف أعرض عن هذا الحديث لا تذكره لأحد ثم قال لامرأته واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين أي من المذنبين حين راودت شابا عن نفسه وخنت زوجك فلما استعصم كذبت عليه (قالوا) فشاع أمر يوسف وراعيل وتحدث الناس بذلك وقال نسوة في المدينة وهن امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواة وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه أي عبدها الكنعاني قد شغفها حبا أي دخل حبه في شغاف قلبها وهو حجابه وغلافه إنا لنراها في ضلال مبين أي خطأ بين حيث تراود عبدها عن نفسه فلما سمعت راعيل بمكرهن

[illegible] السري فقلت [illegible] سألت عن حالك وقد أخبرك به المولى الكريم حسن قال الشيخ طاهر ناقلته من خطه قال السري فقمت من ذلك وعجبت من أخبرك بذلك فقال الذي طهر قلبي من سواه وعاد علي بعفوه ووصاله (وعن السري أيضا رضي الله تعالى عنه) أنه قال دخلت الجبانة فرأيت بهلولا المجنون على قبر متمرغا في التراب فقلت له ما جلوسك ههنا فقال عند قوم إذا حضرت عندهم لا يؤذوني وإن غبت عنهم لا يغتابوني فقلت له يا هذا إن الخبز قد غلا فقال والله ما أبالي ولو صارت كل حبة بدينار علينا أن نعبده كما أمرنا وعليه أن يرزقنا كما وعدنا (وقيل) إن رابعة العدوية رضي الله عنها مرت برجل وهو يذكر الجنة وما أعد الله فيها لأهلها فقالت له يا هذا إلى متى تشتغل بالأغيار عن الواحد القهار ويحك عليك بالجار ثم الدار فقال لها اذهبي يا مجنونة فقالت لست بمجنونة وإنما المجنون من لم يفهم ما أقول ثم قالت يا مسكين الجنة سجن من لم يكن الله أنيسه وجليسه ألا ترى إلى آدم عليه السلام لما كان في الجنة يرتع فلما

[illegible]
من حسنه وجماله [illegible] أربعين امرأة منهن [illegible]
تعالى أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ أي أعدت أي هيأت لهن مجلسا للطعام وما يتكئن عليه من
النمارق والوسائد (عن ابن عباس) وسعيد بن جبير وقتادة يعني هيأت طعاما وقرأ ابن عباس ومجاهد متكا
[illegible] وكل طعام يحز بالسكين وقال وهب أعتدت لهن الأترج والبطيخ والموز ورمانا
وزبيبا وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت ليوسف اخرج عليهن وكانت قد أجلسته في مجلس غير المجلس
الذي هن فيه جلوس فخرج عليهن يوسف فلما رأينه أكبرنه وهالهن أمره وبهتن وقطعن أيديهن
بالسكاكين اللاتي معهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج وغيره (قال قتادة) أبن أيديهن حتى ألقينها
فما أحسسن إلا بالدم ولم يجدن من حز الأيدي ألما لشغل قلوبهن بيوسف عليه السلام (وقال وهب)
بلغني أن سبعا من الأربعين امرأة متن في ذلك المجلس وجدا بيوسف عليه السلام وقلن حاش لله أي
معاذ الله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم فقالت راعيل عند ذلك النسوة فذلكن الذي لمتنني فيه
أي في حبه وشغفي به ثم انها أبدت لهن الميل الذي عندها فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم أي
امتنع واستعصى فقالت النسوة ليوسف أطع مولاتك فقالت راعيل لئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا
من الصاغرين فاختار يوسف حين عاودته المرأة في المراودة وتوعدته بالسجن على المخالفة
فقال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن أي أمل وأتابعهن
وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم ثم بدا لهم أي
العزيز وأصحابه من بعد ما رأوا الآيات الدالة على براءة يوسف وهو قد القميص من دبر وخمش الوجه
وقطع النسوة أيديهن ليسجننه حتى حين (قال السدي) وذلك أن المرأة قالت لزوجها إن هذا العبد العبراني
قد فضحني في الناس يعتذر إليهم ويخبرهم أني راودته عن نفسه ولست أطيق أن أعتذر بعذري فإما أن
تأذن لي أن أخرج فأعتذر وإما أن تحبسه كما حبستني فحبسه بعد علمه ببراءته دفعا للتهمة عن امرأته وذلك أن
الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيرا ليوسف من همه وتكفيرا لزلته قال ابن عباس عثر يوسف ثلاث عثرات
حين هم بها فسجن وحين قال اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين وحين قال لإخوته إنكم لسارقون
قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل * ولما سجن يوسف دخل معه السجن فتيان وهما غلامان كانا
للوليد بن الريان ملك مصر الأكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه واسمه مجلب والآخر ساقيه وصاحب
شرابه واسمه بيوص غضب عليهما الملك فحبسهما وذلك أنه بلغه عنهما أن خبازه يريد أن يسمه وأن ساقيه
وافقه على ذلك وكان السبب فيه أن جماعة من مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله فدسوا إلى هذين
الغلامين وضمنوا لهما مالا ليسما الطعام للملك والشراب فأجاباهم إلى ذلك ثم إن الساقي نكل عنه والخباز
غش الملك وقبل الرشوة فسم الطعام فلما حضر وقته وأحضر الطعام قال الساقي أيها الملك لا تأكل فإن
الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فإن الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشرب فشرب فلم يضره وقال
للخباز كل من طعامك فأبى فجرب ذلك الطعام في دابة من الدواب فأكلته فهلكت فأمر الملك بحبسهما
وكان يوسف عليه السلام لما دخل السجن قال لأهله إني أعبر الأحلام فقال أحد الفتيين لصاحبه هلم
نجرب علم هذا العبد العبراني فتراءى له فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئا قال عبد الله بن مسعود ما رأى
صاحبا يوسف شيئا وإنما كانا تحالما ليجربا علمه وقال قوم بل كانت رؤياهما على صحة وحقيقة فسألاهما
وقال مجاهد لما رأى الفتيان يوسف قالا له والله لقد أحببناك حين رأيناك فقال لهما يوسف أنشدكما الله
تعالى لا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط إلا دخل علي من حبه بلاء لقد أحبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء
ثم أحبني أبي فدخل علي من حبه بلاء ثم أحبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني بارك الله
فيكما قال فأبيا إلا حبه وألفاه حيث كان وجعل يعجبهما ما يريان من فهمه وعقله وقد كانا رأيا حين دخلا

بعرض [illegible]
من [illegible] عليه
[illegible] إبراهيم الخليل لما
[illegible] ولا فوقه واحد
ولما طرح في النار صارت
عليه بردا وسلاما أنشدت
تقول شعرا
فروحي وريحاني إذا كنت حاضرا
وإن غبت فالدنيا علي محابس
إذا لم أنافس في هواك ولم أغر
عليك ففي من ليت شعري أنافس
(وقيل) كان حبيب النجار رحمه الله تعالى من الأولياء الأخيار وكان يقوم الليل ويصوم النهار ويؤثر طعامه عند الإفطار ويبيت طاويا في خدمة الملك الغفار فإذا كان وقت الأسحار ناجى ربه بلسان الذل والانكسار وقال إلهي غرقت في بحار غفلتي وركضت في ميدان صبوتي وعثرت في أذيال زلتي في رية شقوتي وما لي غيرك أعتمد عليه ولا أعرف بابا غير بابك ألتجئ إليه وها أنا عبدك الذليل المذنب قد وقفت ببابك ولذت بجنابك فإن لم تغفر لي فوا ذلي وحسرتي وإن لم تعف عني فوا طول حيرتي ثم يسجد فلا يرفع رأسه حتى يطلع الفجر فإذا صلى وفرغ من صلاته شرع في قراءة القرآن من أول الختمة إلى آخرها بقية اليوم كله فلما مات كان آخر

السجن رؤيا فأتيا يوسف فقال الساقي أيها العالم اني رأيت كأني في بستان فاذا أنا بأصل كرمة عليها ثلاث عناقيد من عنب فجنيتها وكان كأس الملك بيدي فعصرتها وسقيت الملك فشربه فذلك قوله تعالى قال أحدهما اني أراني أعصر خمرا يعني عنبا بلغة عمان يدل عليه قراءة ابن مسعود أعصر عنبا أي عنبا وقال الخباز اني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها خبز تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عقيل أخبرنا عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن فاذويه أخبرنا محمد بن يزيد السلمي أخبرنا أبو الربيع الزهراني أخبرنا خلف بن خليفة أخبرنا سلمة عن الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى انا نراك من المحسنين قال كان احسانه اذا مرض رجل في السجن قام عليه واذا ضاق عليه وسع له واذا احتاج جمع له وسأل ربه وقال قتادة بلغنا ان احسانه كان يداوي مريضهم ويعزي حزينهم ويجتهد لربه وقال لما انتهى يوسف الى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا ان في هذا لأجرا وثوابا فقالوا يا فتى بارك الله فيك ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك ما نحب أنا كنا في غير هذا المكان منذ رأيناك لما تخبرنا به من الاجر والكفارة والطهارة فمن أنت يا فتى قال أنا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم عليهم السلام فقال له عامل السجن والله يا فتى لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سأحسن جوارك وأحسن اسارك فكن في أي بيوت السجن شئت قال وكره يوسف أن يعبر لهما ما سألاه لما علم في ذلك من المكروه على أحدهما فأعرض يوسف عن سؤالهما وأخذ في غيره فقال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما فقالا له هذا من فعل العرافين والكهنة والسحرة فقال ما أنا بكاهن ولا ساحر ولكن ذلكما مما علمني ربي ثم بين لهما دينه ومذهبه فقال اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب الى آخر الآية فأراهما يوسف فطنته ودرايته ثم دعاهما الى الاسلام وأقبل عليهما وعلى أهل السجن وكان بين أيديهم أصنام يعبدونها من دون الله فقال الزاما للحجة ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الآية ثم فسر رؤياهما لما ألحا عليه فقال ياصاحبي السجن أما أحدكما وهو الساقي فيسقي ربه خمرا يعني الملك ويعود الى منزلته التي كان عليها وأما العناقيد الثلاثة فانها ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يخرج وأما الآخر فيصلب والسلال التي رآها في المنام ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يخرج فيصلب فتأكل الطير من رأسه (قال ابن مسعود) ثم لما سمعا قول يوسف عليه السلام قالا ما رأينا شيأ انما كنا نلعب ونجرب علمك هذا فقال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان أي فرغ الامر الذي عنه تسألان (أخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد بن الوزان أخبرنا محمد بن عبد الله الصفار أخبرنا أحمد بن مهران عن أبي رزين العقيلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت وان الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وأحسبه قال لا تقصها الا على ذي رأي وعقل وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا لاول عابر فقال يوسف عليه السلام عند ذلك للذي علم انه ناج منهما وهو الساقي اذكرني عند ربك يعني الملك وقل له في السجن غلام محبوس ظلما فأنساه الشيطان ذكر ربه الآية والبضع ما بين الثلاثة الى العشرة وأكثر المفسرين على ان البضع في هذه الآية سبع سنين (وقال وهب بن منبه) أصاب أيوب البلاء سبع سنين وعذب بختنصر بالمسخ سبع سنين ولبث يوسف في السجن سبع سنين (وروى) يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف لولا كلمته ما لبث في السجن ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى (وقال الحسن) نحن اذا نزل بنا أمر فزعنا الى الناس (وقال مالك بن دينار) لما قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى فقلت ما قلت وويل لاخوتي (ويحكى) ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو في السجن فلما رآه يوسف عرفه وقال يا أخا المنذرين مالي

[illegible] مشتغلا بين العباد فني في قبر منفضي اليه الملكان فقالا له ما ربك ما دينك فقال اني آمنت بكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فلله درهم من قوم قاموا يناجون الحبيب والناس في غفلاتهم يلغون ويحملون أثقال الوجد والغرام ويفرحون بالليل اذا جن الظلام فهم في جنات الخلد يتنعمون الى وجه الحبيب ينظرون لان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (شعر)

لله قوم بذكره اشتغلوا
وفي حمى قربه لقد نزلوا
ليس لهم غير ذكره فرجا
ثم حقيقة مرادهم حصلوا
من ذاق وصل الحبيب هام ولم
يكن له منزل ولا طلل
روحهم في وصاله سمعوا
وحققوا ربهم وما جهلوا
قاموا بما دونه وقد علموا
أنهم للمعاد قد عملوا
واستعذبوا الصعب في هواه وقد
لذ لهم في رضاه ما حملوا

(قيل) كان أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى يقول في مناجاته الهي لست أعجب من حبي لك وأنا عبد حقير وانما أعجب من حبك لي وأنت ملك قدير

أزالك بين المخلوقين فقال له جبريل بخطيئتك السلام يا طاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك ما استحييت مني اذ استشفعت بالآدميين فوعزتي لألبثنك في السجن بضع سنين قال يوسف يا أخي يا جبريل وهو عني في ذلك راض عني قال نعم قال اذاً لا أبالي وقال كعب الأحبار قال جبريل ليوسف ان الله تعالى يقول لك من خلقك قال الله تعالى قال فمن حببك الى أبيك قال الله تعالى قال فمن آنسك في البئر والبسك وأنت عريان قال الله تعالى قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله تعالى قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله تعالى قال فكيف استغثت بآدمي مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمس التي كانت قبلها وذلك أنه حبس خمس سنين قبل أن يستشفع بالساقي وهو قوله تعالى ليسجننه حتى حين فلما استشفع بالساقي وقال له اذكرني عند ربك بقي في السجن سبع سنين فلما انتهت محنته ودنا فرجه وراحته رأى ملك مصر الأكبر وهو الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته وذلك أنه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان فدخلت في بطونهن فلم ير منها شيأ ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وأفركت وسبعاً أخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبتها فجمع السحرة والكهنة ومعبريه وقصها عليهم وقال يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون أي تفسرون قالوا أضغاث أحلام مختلطة مشتبهة التأويل أباطيل وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما أي من الفتيين وهو الساقي وادكر بعد أمة أي وتذكر حاجة يوسف بعد حين [illegible] عباس بعد أمة أي بعد سنين أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون أي الى السجن (قال) ابن عباس رضي [illegible] لم يكن السجن في المدينة فبعثوه فأتى ليوسف فقال له أيها الصديق يعني فيما عبرت لنا من الرؤيا [illegible] هو كثير الصدق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف الى قوله لعلهم يعلمون أي فضل [illegible] فقال له يوسف تزرعون سبع سنين دأباً الى قوله وفيه يعصرون فرجع الساقي الى الملك وأخبره [illegible] يوسف من تأويل رؤياه كالمار وعرف الملك ان الذي قال كائن فقال الملك ائتوني بالذي عبر رؤياي [illegible] جاء الرسول الى يوسف أبى أن يخرج معه حتى يعرف عذره وبراءته ويعرف صحة أمره من قبل النسوة فقال للرسول ارجع الى ربك أي سيدك الملك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم (قال ابن عباس) لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك شأنه ما زالت في نفسه منه حاجة يقول هو هذا الذي راود امرأتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من أخي يوسف وكرمه وصبره والله تعالى يغفر له حين سئل عن البقرات السمان والعجاف ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجوني ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لأسرعت الاجابة وبادرت الباب ولم أبتغ العذر والله انه كان حليماً ذا أناة قال فرجع الرسول الى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة العزيز فقال لهن ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فلما سمع ذلك يوسف قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين فقال له جبريل ولا حين هممت بها يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسي الآية فلما تبين للملك عذر يوسف وعرف أمانته وكفايته وديانته وعلمه وعقله قال ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما جاء الرسول الى يوسف قال له أجب الملك الآن فخرج يوسف ودعا لأهل السجن بدعاء يعرف الى اليوم وذلك انه قال اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار ولا تعم عنهم الأخبار فهم أعلم الناس بالأخبار الى اليوم في كل بلدة فلما خرج يوسف من السجن كتب على بابه هذا قبر الأحياء وبيت الأحزان وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء ثم انه اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثياباً جدداً حساناً وقصد الى الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي حسبي ربي من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا اله غيره فلما دخل على الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان

(وكان) يحيى بن معاذ الرازي يقول في مناجاته الهي ليس العجب من عبد ذليل يحب رباً جليلاً بل العجب من رب جليل يحب عبداً ذليلاً (قال) بعض العارفين رضي الله تعالى عنه الحب حب يزرع في أرض القلوب ويسقى بماء العقول فينمو على قدر طيب الارض وصفو الماء والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكداً (وعن) أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء أخاه لله تعالى وأن يكره أن يعود للكفر بعد أن أنقذه الله تعالى منه كما يكره أحدكم أن يقذف في النار (وعن) أبي هريرة رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون في جلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي (وقيل) كان لعبد الله بن الحسين جارية أعجمية وكانت من أولياء الله تعالى قال فرأيتها في بعض الليالي وقد قامت من منامها فأحسنت الوضوء وقامت الى صلاتها فلما فرغت من صلاتها خرت ساجدة لله تعالى وهي

فقال اسمعيل ثم انه دعاه بالعبرانية فاجابه بها فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان أبي يعقوب قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما كلم يوسف بلسان أجابه بذلك اللسان فأعجب الملك ما رأى منه وكان يوسف ابن ثلاثين سنة فلما رأى الملك حداثة سنه وغزارة علمه قال لمن عنده ان هذا علم تأويل رؤياي ولم تعلمه الكهنة والسحرة ثم انه أجلسه وقال له اني أحب أن أسمع رؤياي منك شفاها فقال يوسف نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك عنهن نهر النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب اخلافهن لبنا فبينما أنت كذلك تنظر اليهن وقد أعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا قعره فخرج من حمئه ووحله سبع بقرات عجاف شعث غبر ملصقات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترسنهن افتراس السباع وأكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومششن مخهن فبينما أنت تنظر وتتعجب كيف غلبنهن وهن مهازيل ثم لم تظهر فيهن سمن ولا زيادة بعد أكلهن اذا سبع سنبلات خضر وسبع أخر سود يابسات في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فبينما أنت تقول في نفسك ما هذا هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن في الماء اذ هبت ريح فذرت أوراق السود اليابسات على الخضر المثمرات فأشعلت فيهن النار فأحرقتهن وصرن سودا متغيرات فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا ثم انك انتبهت مذعورا فقال له الملك والله ما شأن هذه الرؤيا وان كانت عجبا بأعجب مما سمعته منك فما ترى في رؤياي أيها الصديق فقال يوسف الصديق اني أرى أيها الملك أن تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتبني الأهرام والخزائن وتجعل الطعام فيها بقصبه وسنبله ليكون أبقى له ويكون قصبه وسنبله علفا للدواب وتأمر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها ثم تأتيك الخلق من جميع النواحي فيمتارون منك فيجتمع عندك من الكنوز ما لا يجتمع لاحد قبلك فقال له الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه لي ويكفيني الشغل فيه فقال له يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم أي كاتب حاسب وقيل حفيظ لما استودعتني عليم بسني المجاعة وبلعه من يأتيني فقال له الملك ومن أحق به منك وولاه ذلك كله وقال له انك اليوم لدينا مكين أمين (أخبرني) الحسين بن محمد بن الحسين الثقفي بن مخلد بن علوية أخبرنا اسمعيل بن جعفر الباقري أخبرني الحسين بن علويه أخبرنا اسمعيل بن عيسى قال أخبرنا اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن لاجل سؤاله اياه أخر عنه ذلك سنة فأقام عنده الملك في بيته سنة وروى سفيان عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل قال قال الملك ليوسف اني أريد أن تخالطني في كل شئ غير أني آنف أن تأكل معي فقال له يوسف اني أحق ان آنف بذلك منك لاني أنا ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فصار بعد ذلك يأكل معه قال ابن عباس فلما انصرفت السنة من يوم سأل الامارة دعاه الملك فتوجه بتاجه وقلده سيفه وحلاه بخاتمه وأمر له بسرير من الذهب مكلل بالدر والياقوت فضرب عليه قبة من استبرق وكان طول السرير ثلاثين ذراعا وعرضه عشرة أذرع وعليه ثلاثون فراشا وستون نمرقة ثم أمره أن يخرج فخرج متوجا ولونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى فيه من بياض وجهه الناظر صفاء لونه ثم انطلق حتى جلس على السرير فدانت له الملوك ولزم الملك وفوض اليه أمر مصر وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه ثم مات قطفير عن قريب فزوج الملك يوسف راعيل امرأة قطفير فلما دخل عليها قال لها أليس هذا خيرا مما كنت تريدين مني فقالت له أيها الصديق لا تلمني فاني كنت امرأة حسناء ناعمة كما رأيت في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في صورتك وهيئتك فغلبتني نفسي فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء فأصابها فولدت له ابنين افرايم ومنشا ابني يوسف عليه السلام واستوثق ليوسف ملك مصر فأقام فيهم العدل فأحبه الرجال والنساء فذلك قوله تعالى وكذلك مكنا

فلما قطعوا قال فقلت لها وجعلت لا تقولي هكذا ولكن قولي بحبي لك فقالت اليك عني يا بطال فلولا حبه لي ما أنامني وأقامني وأوقفني بين يديه وبحبه لي أخرجني من ديوان المشركين وكتبني في ديوان المؤمنين قال عبد الله فقلت لها اذهبي فانت حرة لوجه الله تعالى فقالت مولاي كان لي أجران فصار لي أجر واحد أعتق الله جسدك من النار ثم قالت هذا عتق مولاي الاصغر فكيف عتق مولاي الاكبر ثم خرت ساجدة لله تعالى فحركتها فاذا هي ميتة رحمة الله تعالى عليها فقلت هذه والله صفات المحبين المتعلقة قلوبهم بمحبة رب العالمين (وأنشدت أقول شعرا)

الحب فيه حلاوة ومرارة
وتنسك وتهتك بشائر
ماشاء يصنع بالحبيب فانما
حكم الهوى بيد الحبيب الآمر
لو كنت أملك في الهوى أمر الذي
أهوى لكان مؤانسي ومسامري

(وقيل) لبعض المحبين كيف رأيت المحبة قال وقفت على ساحل بحر زاخر ليس له آخر وتسرب مني قارب من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا فركبت موافقته له واتباعاته فأجابت الروح من دعاها

المحسنين وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يعنى أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين وللبصرى فى هذا المعنى

أما فى رسول الله يوسف أسوة * لمثلك محبوسا على الظلم والافك
أقام جميل الصبر فى السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الى الملك

وكتب بعضهم الى صديق له هذه الابيات

وراء مضيق الخوف متسع الامن * وأول مفروح به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفا * خزائنه بعد الخلاص من السجن

قال فلما اطمأن يوسف فى ملكه وخلت السنين المخصبة ودخلت الجدبة بجاءت بهول لم تعهد الناس مثله فأصاب الناس الجوع فلما كان بدء القحط نام الملك فبينما هو نائم اذ أصابه الجوع فهتف الملك يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا أوان القحط والجوع فلما دخل أول سنة من سنى الجدب هلك فيها كل شئ أعدوه من السنين المخصبة فجعل أهل مصر يبتاعون من يوسف الطعام فباعهم فى أول سنة بالنقود من الذهب والفضة حتى لم يبق فى مصر درهم ولا دينار الا قبضه وباعهم فى السنة الثانية بالحلى والحلل والجواهر حتى لم يبق فى أيدى الناس منها شئ وباعهم فى السنة الثالثة بالمواشى والدواب حتى احتوى عليها أجمع وباعهم فى السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق عبد ولا أمة الا أخذه وباعهم فى السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى احتوى عليها ولم يبق لاحد ملك وباعهم فى السنة السادسة بأولادهم فان الرجل كان يشترى بولده الحنطة أو الشعير من شدة السنة فلم يبق لاحد ولد ذكر ولا أنثى الا ملكه وباعهم فى السنة السابعة برقابهم وأرواحهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد ولا أمة الا صار ملكا له فتعجب الناس من أمر يوسف وقالوا تالله ما رأينا ملكا أجل من هذا وأعظم ثم قال يوسف للملك كيف رأيت صنع ربى فيما خولنى فما ترى فى هذا فقال له الملك الرأى رأيك وانما نحن لك تبع فقال يوسف فانى أشهد الله وأشهدك انى قد أعتقت أهل مصر جميعا ورددت عليهم عقارهم وعبيدهم وأولادهم (وروى) أن يوسف كان لا يشبع من الطعام فى تلك الايام فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال انى أخاف ان شبعت ان أنسى الجائع (وروى) ان يوسف أمر طباخ الملك أن يجعل غداءه نصف النهار مرة واحدة فى اليوم والليلة وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع ويحسن الى المحتاجين ففعل الطباخ ذلك فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار وقصد الناس مصر من كل ناحية يمتارون فجعل يوسف لا يمكن أحدا منهم وان كان عظيما من أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وتوسيعا عليهم فتزاحم الناس عليه قالوا وأصاب أرض كنعان وبلاد الشأم من القحط والشدة ما أصاب سائر البلاد ونزل بيعقوب من ذلك ما نزل بالناس فأرسل بنيه الى مصر يطلب الميرة وأمسك عنده بنيامين أخا يوسف لامه فخرج بنو يعقوب الى يوسف عليه السلام وكانوا عشرة وكان منزلهم بالقرب من أرض فلسطين من ثغور الشأم وكانوا أهل بادية ومواش فلما دخلوا عليه عرفهم يوسف وأنكروه لما أراد الله تعالى أن يبلغ يوسف ما أراده قال ابن عباس وكان بين ان قذفوه فى الجب وبين ان دخلوا عليه أرض مصر أربعون سنة فلذلك أنكروه وقيل انه كان متزييا بزى فرعون مصر وكانت عليه ثياب الحرير جالسا على سرير وفى عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب فلذلك لم يعرفوه وقيل كان بينهم وبينه ستر فلذلك أنكروه قال بعض الحكماء المصيبة تورث النكرة ولذلك قال تعالى وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون قالوا فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبرونى من أنتم وما أمركم فانى أنكرت شأنكم فقالوا نحن قوم من أهل الشأم رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم عيون جئتم تنظرون عورة بلادى فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن اخوة بنو أب واحد شيخ كبير صديق نبى من أنبياء الله تعالى يقال له يعقوب قال فكم أنتم قالوا نحن كنا اثنى عشر فذهب منا أخ الى البرية فهلك فيها وكان أحب الى أبينا ما قال

بسم الله مجراها ومرساها فلما توسطت اللجة تزعزعت سبيل اللجة فما زالت حتى جمعنى فى مجمع بحر يحبهم ويحبونه فأنا بين البقاء والفناء حتى وصلت الى ذلك الفناء والهناء (شعر)

حروف المحبة ممزوجة
تباشرنا ببلوغ المنى
فميم الممات وحاء الحياة
وباء البلاء وهاء الهنا
فلا تطمئن بطيب اللقاء
وطول البقاء بدون الفنا
حبينا الوصال بعد النصال
فان تلق مر القنا تلقنا
فلا تجزعن لمر النكال
وحر الوبال ففيه الهنا
ومت مثل ما مات أهل الهوى
فماتوا اشتياقا فنالوا المنى
وما ضرهم حين ناديتهم
على طور سيناء انى أنا

(وحكى عن أبى يزيد البسطامى رضى الله تعالى عنه) انه قال كنت يوما فى سياحتى متلذذا بخلوتى وراحتى مستغرقا فى فكرى مستأنسا بذكرى اذ نوديت فى سرى يا أبا يزيد امض الى دير سمعان واحضر مع الرهبان فى يوم عيدهم القربان فانى لذلك شأنا وشانا قال فاستعذت بالله من هذا الخاطر وقلت لست أخاطر فلما كان الليل أتانى الهاتف فى المنام وأعاد على ذلك الكلام فانتبهت من منامى مرعوبا ومن هذا الامر مفكرا مكروبا

كم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الآخر قالوا عند أبينا لانه أخو الذي هلك من أمه فأبونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق فقالوا أيها الملك انا ببلاد لا نعرف فيها فقال يوسف فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم ان كنتم صادقين فاني أرضى بذلك قالوا ان أبانا يحزن على فراقه وسنراوده عنه قال فضعوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني بأخيكم فاقترعوا بينهم فاصاب القرعة شمعون وكان أبرهم بيوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم الآية الى قوله وانا لفاعلون فقال عند ذلك يوسف لفتيانه أي لغلمانه الذين يكيلون الطعام اجعلوا بضاعتهم أي ثمن طعامهم (قال ابن عباس) كانت بضاعتهم النعال والادم (وقال قتادة) كانت ورقا في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون واختلف العلماء في السبب الذي فعل ذلك يوسف بهم من أجله فقال الكلبي تخوف يوسف ان لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به اليه مرة أخرى وقيل خشي أن يشق أخذ ذلك منهم على أبيه اذ كانت السنة سنة جدب وقيل رأى لؤما أخذ ثمن الطعام من أبيه واخوته مع احتياجهم اليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون تكرما وتفضلا وقيل فعل ذلك لانه علم أن ديانتهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة ولا يستحلون امساكها فيرجعون اليه لاجلها فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجل من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا أتيتم ملك مصر فاقرؤا عليه مني السلام وقولوا له ان أبانا يصلي عليك ويدعو لك بما أوليتنا ثم انه قال لهم أين شمعون فقالوا ان الملك ارتهنه لنأتيه بنيامين ثم أخبروه بالقصة فقال لهم ولم أخبرتموه بذلك فقالوا له انه أخذنا وقال انكم جواسيس حيث كلمناه بلسان العبرانية ثم قصوا عليه القصة وقالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل يعني بنيامين وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل الآية (قال كعب) لما قال يعقوب فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين قال الله وعزتي وجلالي لاردن عليك كلاهما بعدما توكلت علي قالوا ولما فتحوا متاعهم الذي جاؤوا به من مصر وجدوا بضاعتهم أي ثمن طعامهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير فقال لهم يعقوب لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا أن يحاط بكم أي تهلكوا جميعا (وروى) جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى لتأتنني به الا أن يحاط بكم الى قوله حتى تؤتون موثقا من الله ومن قبل يعني حتى تحلفوا الي بحق محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين أن لا تغدروا بأخيكم ففعلوا ذلك فلما آتوه موثقهم قال يعقوب الله على ما نقول وكيل أي شاهد بالوفاء فلما أرادوا الخروج من عنده قال لهم لا تدخلوا مصر من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وذلك انه خاف عليهم العين لانهم كانوا ذوي جمال وهيبة وصور حسان وقامات ممتدة وكانوا أولاد رجل واحد فأمرهم أن يتفرقوا في دخولهم البلد لئلا يصابوا بالعين ثم قال لهم وما أغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم وكان لمصر أربعة أبواب فدخلوا من أبوابها كلها ما كان يغني عنهم من الله من شيء صدق الله يعقوب عليه السلام فيما قال الى قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف في الكرة الثانية قالوا يا أيها العزيز هذا أخونا الذي أمرتنا ان نأتيك به قد جئناك به فقال لهم أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي ثم انه أنزلهم وأكرمهم وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين على مائدة وحده وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي أخوكم هذا وحيدا فريدا ثم أجلسه يوسف معه على مائدته فجعل يؤاكله فلما كان الليل أمرهم يوسف بمثل ذلك وقال لهم ليبت كل اثنين منكم على فراش واحد فلما بقي بنيامين وحده قال يوسف هذا ينام معي على فراشي فبات معه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى أصبح فجعل روبيل يقول ما رأينا مثل هذا فلما أصبح قال لهم اني لأرى هذا الرجل الذي جئتم به ليس له أخ يؤنسه فان تشاؤا أضمه الي ليكون منزله معي ثم ان يوسف أنزلهم منزلا وأجرى عليهم الطعام والشراب

فتنوديت جهارا يا أبا يزيد لا بأس عليك أنت عندنا من الاولياء الاخيار ومكتوب في ديوان الابرار فالبس زي الرهبان واشدد من أجلنا الزنار فما عليك في ذلك جناح ولا انكار قال أبو يزيد فقمت مسرعا من باكر وامتثلت الاوامر ولبست زي الرهبان وحضرت معهم في دير سمعان فلما حضر كبيرهم واجتمعوا وأنصتوا اليه واستمعوا ارتج عليه المقام فلم يطق الكلام كأن في فيه لجام فقال له القسيسون والرهبان ما الذي عقلك عن الكلام أيها الربان فنحن بقولك نهتدي وبعلمك نقتدي فقال ما منعني عن ان أتكلم وابتدي الا من رجل بينكم محمدي وقد جاء ليسكم ممتحنا وعليكم معتدي فقالوا أرنا اياه لنقتله الآن فقال لا نقتله الا بدليل وبرهان فقالوا له افعل ما تريد فنحن ما حضرنا الا لنستفيد قال فقام كبيرهم على قدميه ونادى يا محمدي بحق محمد عليك الا ما قمت قائما على قدميك لنظر اليك فقام أبو يزيد ولسانه لا يفتر عن التسبيح والتقديس والتمجيد فقال له البطرك يا محمدي أريد أن أسألك عن مسائل فان أجبت عنها اتبعناك وان عجزت عنها قتلناك فقال سل عما تريد من المعقول والمنقول والله

وأنزل أخاه لامه معه فذلك قوله تعالى آوى اليه أخاه فلما خلا به قال له ما اسمك قال بنيامين قال له وما بنيامين قال المثكل وذلك انه لما ولد فقد امه قال وما اسم أمك قال راحيل بنت ليان بن ناحور قال فهل لك من ولد قال نعم قال كم قال عشرة بنين قال فما أسماؤهم قال لقد اشتققت أسماءهم من اسم أخ لي من أمي هلك اسمه يوسف فقال يوسف لقد اضطرك ذلك الى حزن شديد فما أسماؤهم قال بالعا وأخير وأشكل واحيا وخير ونعمان وورد ورأس وحيثم وعيثم قال فما هذه الاسماء قال أما بالعا فانه أخي ابتلعته الارض وأما أخير فانه كان بكر أمي وأبي وأما أشكل فانه كان أخي لابي وأمي وسني وأما أحيا فلكونه كان حيا وأما خير فانه كان خيرا حيث كان وأما نعمان فانه كان ناعما بين أبويه وأما ورد فانه كان بمنزلة الورد في الحسن وأما رأس فانه كان مني بمنزلة الرأس من الجسد وأما حيثم فأعلمني أين هو وأما عيثم فلو رأيت غرته لقرت عيني وتم سروري فقال له يوسف أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك فقال بنيامين أيها الملك ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه وقال اني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ولا تعلمهم بشئ من هذا ثم ان يوسف أوفى لاخوته الكيل وحمل لبنيامين بعيرا باسمه (قال كعب) لما قال له اني أنا أخوك قال بنيامين فاني لا أفارقك قال يوسف اني قد علمت باغتمام الوالد فان حبستك ازداد غمه ولا يمكني حبسك الا بعد اشتهارك بأمر فظيع فقال لا أبالي افعل ماتريد فقال يوسف اني أدس صاعي هذا في رحلك ثم أنادي عليكم بالسرقة ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك قال افعل فذلك قوله تعالى فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه وكانت مشربة يشرب بها الملك وكانت كأسا من ذهب مكللا مرصعا بالجواهر جعلها يوسف مكيالا يكال بها ثم انهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى ظعنوا ثم ان يوسف أمر بهم فأدركوا وحبسوا عن المسير ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون فوقفوا فلما قرب منهم الرسول قال لهم ألم نحسن منزلتكم ونكرم ضيافتكم ونوف كيلكم وفعلنا لكم مالم نفعل لغيركم قالوا بلى وماذاك قال سقاية الملك فقدناها ولم نتهم عليها غيركم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين وانا منذ قطعنا هذه الطريق لم نرد أحدا بسوء واسألوا عنا من مررنا به هل أضررنا أحدا أو أفسدنا شيأ وانا قد رددنا الدراهم لما وجدناها في رحالنا ولو كنا سارقين ما رددناها وفي الحديث انهم لما دخلوا مصر كموا أفواه دوابهم لئلا تتناول من حروث الناس شيأ فقال الرسول انه صاع الملك الاكبر الذي يتكهن فيه وانه اتهمني عليه فان لم أجده تخوفت ان تسقط منزلتي عنده وأفتضح في مصر فمن رده علي فله حمل بعير من طعام وأنا به زعيم أي كفيل قالوا معاذ الله أن نسرق وقال المؤذن وأصحابه فما جزاؤه أي جزاء من وجد في رحله ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فقال الرسول عند ذلك لابد من تفتيش أمتعتكم ولستم بارحين حتى أفتشها ثم انه انصرف بهم الى يوسف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه لازالة التهمة وكان يفتش أمتعتهم واحدا واحدا (قال قتادة) ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر في وعاء أحد الا استغفر الله تعالى مما قذفهم به حتى لم يبق الا الغلام فقال ما أظن ان هذا الغلام أخذ شيأ فقالت اخوته والله ما نترك حتى تنظر في رحله فانه أطيب لنفسك ولانفسنا فلما فتحوا متاعه استخرجوا الصاع منه فلما أخرج الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم من الحياء ثم أقبلوا على بنيامين فقالوا ايش الذي صنعت بنا وفضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل لا يزال لنا منكم بلاء أخذت هذا الصاع فقال لهم بنيامين بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخي الى البرية فأهلكتموه ان الذي وضع الصاع في رحلي هو الذي وضع الدراهم في رحالكم ثم انهم قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل وهذا هو المثل السائر عذره شر من جرمه واختلف العلماء في السرقة التي وصفوا بها يوسف قال سعيد بن جبير وقتادة السرقة التي وصفوا بها يوسف انه سرق صنما لجده أبي أمه من ذهب فكسره وألقاه في الطريق وقال ابن جريج أمرته أمه وكانت مسلمة ان يسرق صنما كان له من ذهب فأخذه وكسره وقال مجاهد جاء سائل يوما فسرق يوسف بيضة من البيت وأعطاها

شاهد على ما نقول قال فأخبرني عن واحد لا ثاني له وعن اثنين لا ثالث لهما وعن ثلاثة لا رابع لهم وعن أربعة لا خامس لهم وعن خمسة لا سادس لهم وعن ستة لا سابع لهم وعن سبعة لا ثامن لهم وعن ثمانية لا تاسع لهم وعن تسعة لا عاشر لهم وعن عشرة كاملة وعن احد عشر وعن اثني عشر وعن ثلاثة عشر وعن أربعة عشر تكلموا مع رب العالمين وأخبرنا عن قوم كذبوا وأدخلوا الجنة وعن قوم صدقوا وأدخلوا النار وأخبرنا اين مستقر روحك في جسدك وعن الذاريات ذروا وعن الحاملات وقرا وعن الجاريات يسرا وعن المقسمات أمرا وأخبرنا عن شئ تنفس بغير روح وعن قبر مشى بصاحبه وعن ماء لانزل من السماء ولا نبع من الارض وعن أربعة لا من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة ولا من ظهر أب ولا من بطن أم وأخبرنا عن أول دم اهريق في الارض وعن شئ خلقه الله ثم استعظمه وعن أفضل النساء وعن أفضل البحار وعن أفضل الجبال وعن أفضل الدواب وعن أفضل الشهور وعن أفضل الليالي وعن الطامة وعن شجرة لها اثنا عشر غصنا في كل غصن

السائل وقال ابن عيينة دجاجة فتناولها السائل فعيروه بها وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء
وقال الضحاك وغيره كان أول ما دخل على يوسف من البلاء ان عمته بنت اسحق كانت أكبر ولد اسحق
وكانت منطقة اسحق عندها وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت راحيل أم يوسف ماتت فحضنته عمته
وأحبته حبا شديدا وكانت لا تصبر عنه فلما ترعرع وبلغ سنوات وقع حبه في قلب يعقوب فأتاها وقال لها
يا أختاه سلمي الي يوسف فوالله ما أصبر عنه ساعة واحدة فقالت له ما أنا بتاركته فلما ألح عليها يعقوب قالت
دعه عندي أياما أنظر اليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فلما خرج يعقوب من عندها عمدت الى منطقة
اسحق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ثم انها قالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها فالتمست فلم
توجد فلما فتش وا أهل البيت وجدت مع يوسف فقالت والله انه ليسلم لي أصنع فيه ما شئت وكان ذلك حكم
آل ابراهيم في السارق فأتاها يعقوب فأخبرته بذلك فقال ان كان هذا فهو مسلم لك لا أستطيع غير ذلك
فأمسكته بعلة المنطقة فما قدر عليها يعقوب يأخذه منها حتى ماتت فهو الذي قال اخوته ان يسرق فقد سرق
أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون ((قال الرواة))
لما دخلوا على يوسف واستخرجوا الصواع من رحل بنيامين دعا يوسف بالصاع فنقره ثم أدناه من أذنه
ثم قال ان صاعي هذا ليخبرني انكم كنتم اثني عشر رجلا وانكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه فلما سمع بنيامين قام
وسجد ليوسف وقال أيها الملك سل صواعك هذا عن أخي حي هو فنقره ثم قال له حي وسوف تراه فقال
بنيامين اصنع بي ما شئت فانه ان علم بي سوف يستنقذني قال فدخل يوسف الى منزله ثم انه بكى وتوضأ فقال
بنيامين أيها الملك اني أريد ان تضرب صواعك هذا ليخبرك بالحق من الذي سرقه فجعله في رحلي فنقره ثم انه
قال ان صواعي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي الذي سرقني وقد رأيت مع من كنت قال وكان
بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا فغضب روبيل وقال أيها الملك والله لئن لم تتركنا لأصيحن صيحة
لا يبقى في مصر امرأة حامل الا ألقت ما في بطنها وقامت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو
يعقوب اذا غضبوا ومس أحدهم الآخر ذهب غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنب روبيل ومسه فقام
الغلام الى جنبه فمسه فسكن غضبه فقال روبيل ان في هذا البيت لشيأ من ولد يعقوب فقال يوسف من
يعقوب فغضب روبيل وقال أيها الملك لا تذكر يعقوب فانه اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل
الله قال يوسف أنت اذا ان كنت صادقا فلما أراد يوسف أن يحبس أخاه عنده وتصير حكمه وانه
أولى به منهم واحتبسه ورأوا أن لا سبيل لهم الى تخليصه منه سألوه أن يخليه لهم ويعطونه واحدا منهم
بدله قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا كالفا به فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال يوسف
معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرق تحرزا من الكذب انا اذا لظالمون ان
أخذنا بريئا بسقيم فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا أي خلا بعضهم ببعض متناجين متشاورين فقال
كبيرهم يعني في العقل وهو شمعون عن مجاهد وقال قتادة والسدي كبيرهم في السن وهو روبيل ألم تعلموا
أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله في هذا الغلام لتردونه ومن قبل ما فرطتم في يوسف أي من قبل هذا
قصرتم في شأن يوسف فلن أبرح الارض يعني أرض مصر حتى يأذن لي أبي فارجع الى الملك فاناجزه القتال
أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا أي
عن رأينا سرقته معه وما كنا للغيب حافظين حين سألناك ان ترسله معنا ولو علمنا الغيب انه يسرق ما ذهبنا
به معنا واسأل القرية يعني واسأل أهل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها يعني قوما صحبوهم من
أهل كنعان وانا لصادقون لك في قولنا فرجعوا الى يعقوب بذلك القول فقال يعقوب بل سولت لكم
أنفسكم أمرا فصبر جميل وهو الذي لا جزع فيه عسى الله أن يأتيني بهم جميعا يعني يوسف وبنيامين انه هو
العليم الحكيم وتولى عنهم يعقوب وقال يا أسفا على يوسف وذلك انه لما بلغه خبر بنيامين تكامل حزنه
وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فاعرض عنهم وقال يا أسفا على يوسف والاسف أشد الحزن (وروى)

أو عن قوله ... في كل ورقة
خمس زهرات اثنان منها
في الشمس وثلاثة في الظل
وعن شيء حج الى بيت الله
الحرام وليس له روح ولا
وجب عليه فريضة
وأخبرنا كم نبي خلقه الله
وكم مرسل منهم وغير مرسل
وعن أربعة أشياء مختلف
طعمها ولونها والاصل
واحد وأخبرنا عن النقير
والفتيل والقطمير وعن
السبد واللبد والطم والرم
وأخبرنا عما يقول الكلب
في نبحه وما يقول الحمار في
نهيقه وما يقول الثور في
نعيره وما يقول الفرس في
صهيله وما يقول البعير في
رغائه وما يقول الطاوس
في صياحه وما يقول الدراج
في صفيره وما يقول البلبل
في تغريده وما يقول الضفدع
في تسبيحه وما يقول الناقوس
في نقيره وأخبرنا عن قوم
أوحى الله اليهم لا من الجن ولا
من الانس ولا من الملائكة
وأخبرنا أين يكون الليل
اذا جاء النهار وأين يكون
النهار اذا جاء الليل * فقال
أبو يزيد هل بقي مسائل غير
هذه المسائل فقال لا فقال
ان فسرتها لكم وأجبت
عنها تؤمنوا بالله ورسوله
محمد صلى الله عليه وسلم
فقالوا نعم فقال اللهم أنت
الشاهد على ما يقولون
(أما) سؤالكم عن
واحد لا ثاني له فهو الله

سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعط أمة من الامم عند المصيبة انا لله وانا اليه راجعون الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى الى يعقوب حين أصابه على ابنه ما أصابه من الحزن لم يسترجع انما قال يا أسفا على يوسف (وقال الحسن) كان بين خروج يوسف من عند أبيه الى يوم الالتقاء معه ثمانون سنة لم تجف عيناه من الدموع وما كان على وجه الارض أكرم على الله تعالى من يعقوب فلما اشتكى وبكى قال له ولده تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أى مريضا ذاهب العقل من الهم أو تكون من الهالكين فقال يعقوب لما رأى غلظتهم وجفوتهم انما أشكو بثى وحزنى الى الله لا اليكم وفى الحديث ان يعقوب كبر وضعف حتى سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما بخرقة فقال له بعض جيرانه قد انهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك فما بلغ بك ما أرى فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فأوحى الله تعالى الى يعقوب أتشكونى الى خلقى فقال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لى قال قد غفرت لك فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله (أخبرنى) الحسين بن فنجويه أخبرنا أحمد بن الحسن بن حامد أخبرنا الحسين بن أيوب أخبرنا عبد الله بن أبى زياد أخبرنا سيار بن حاتم عن عبد الله بن السمط قال سمعت أبى يقول بلغنا أن رجلا قال ليعقوب ما الذى أذهب بصرك قال حزنى على يوسف قال فما الذى قوس ظهرك قال حزنى على أخيه فأوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أتشكونى وعزتى وجلالى لا أكشف ما بك حتى تدعونى فقال عند ذلك انما أشكو بثى وحزنى الى الله فأوحى الله تعالى اليه وعزتى وجلالى لو كانا ميتين لاخرجتهما لك حتى تنظر اليهما وانما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين يستطعم فلم تطعموه منها شيأ وان أحب الناس الى من خلقى الاصفياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب (وقال) وهب بن منبه أوحى الله تعالى الى يعقوب أتدرى لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يا الهى قال لانك شويت عناقا وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه ويقال ان سبب ابتلاء يعقوب بفقد يوسف أنه كان له بقرة ولها عجل فذبح عجلها بين يديها وكانت تخور فلم يرحمها يعقوب فأخذه الله بذلك فابتلاه بفقد أعز ولده اليه ثم ان يعقوب قال لبنيه يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله الآية قال السدى لما أخبره ولده بخبر العزيز وقوله وفعله أحست نفس يعقوب وطمع وقال لعله يوسف (وروى) أنه كان رأى ملك الموت فى المنام وسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا وانه والله حى يرزق وروى انه رأى ملك الموت وقد دار به فقال له السلام عليك أيها الكظيم فاقشعر جلده وارتعدت فرائصه ورد عليه السلام ثم قال له من أنت ومن أدخلك هذا البيت وقد أغلقت على نفسى بابى كيلا يدخل على أحد وأشكو بثى وحزنى الى الله فقال له يا نبى الله أنا الذى أيتم الاولاد وأرمل الازواج وأفرق بين الجماعات قال فأنت اذا ملك الموت قال نعم فقال له يا ملك الموت أنشدك الله الا أخبرتنى هل تقبض روح من تأكله السباع قال نعم قال فاخبرنى عن الارواح أتقبضها مجموعة أو متفرقة روحا روحا قال أقبضها روحا روحا قال فهل مرت بك روح يوسف فى الارواح قال لا قال فجئتنى زائرا أم داعيا فقال يا نبى الله ما جئتك الا مسلما فان الله تعالى لا يميتك حتى يجمع بينك وبين يوسف ولو كان فى الصخرة التى عليها قرار الارضين وما أذن الله لى فى زيارتك الا لاسرك وأحييك عما تسأل عنه وان شئت أعلمتك لماذا ابتليت بفقد ولدك قال له فاعلمنى يا عزرائيل فقال يا اسرائيل الله هل تذكرت الجارية التى اشتريتها عام كذا فى شهر كذا ثم فرقت بينها وبين أبويها قال نعم يا ملك الموت كأنه كان بالامس فقال له ملك الموت فلاجل ذلك ابتليت بفقد الولد وهل تعلم لماذا ابتليت بفقد البصر قال لا قال أمرت بوما ذبح جدعة فذبحتها وشويتها فى يوم كذا فى شهر كذا فرغم العابد العبد الصالح انه وهو صائم ما أفطر منذ أسبوع فاشتم قتار الشواء فلم تطعمه شيأ فعند ذلك أعتق يعقوب من كان بحضرته من العبيد والاماء وأمر أن يذبح كل يوم من أغنامه كبشا ويفرق لحومها على الفقراء والمساكين فقبل الله ذلك منه وشكره عليه وأتاه

عز وجل (وأما) سؤالكم عن اثنين لا ثالث لهما فهما الليل والنهار لقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين (وأما) سؤالكم عن ثلاثة لا رابع لها فهى العرش والكرسى والقلم (وأما) سؤالكم عن أربعة لا خامس لها فهى الكتب المنزلة وهى التوراة والانجيل والزبور والفرقان (وأما) سؤالكم عن خمسة لا سادس لها فهى الصلوات الخمس المفروضات على كل مسلم ومسلمة (وأما) سؤالكم عن ستة لا سابع لها فهى الستة أيام التى ذكرها الله فى كتابه العزيز بقوله ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام (وأما) سؤالكم عن سبعة لا ثامن لها فهى السموات السبع لقوله تعالى الذى خلق سبع سموات طباقا (وأما) سؤالكم عن ثمانية لا تاسع لهم فهم حملة العرش لقوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية (وأما) سؤالكم عن تسعة لا عاشر لهم فهم التسعة رهط الذين يفسدون فى الارض لقوله تعالى وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون (وأما) سؤالكم عن عشرة كاملة فهى فرض مكة التى وجبت على الحاج وهو محرم لقوله تعالى فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة

الفرج فعند ذلك قال يعقوب يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه الى قوله تعالى الا القوم الكافرون
(قال قتادة) ذكر لنا أن نبي الله يعقوب عليه السلام ما ساء ظنه بالله تعالى في طول بلائه ساعة قط من
ليل أو نهار فعند ذلك خرج اخوة يوسف واجعين الى مصر وهذه كرة ثالثة فدخلوا على يوسف فلما دخلوا
عليه قالوا ياأيها العزيز أي الملك بلغة مصر مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة أي قليلة رديئة لا
تنفق في ثمن الطعام الا بتجاوز من البائع فيها * واختلف المفسرون في هذه البضاعة ما هي فقال ابن عباس
كانت دراهم رديئة زيوفا لا تنفق الا بوضيعة وقال ابن أبي مليكة رضي الله عنه كانت خلقة الغرائر
والحبال رثة المتاع وقال عبد الله بن الحرث والحسن كانت أمتعة الاعراب الصوف والسمن والاقط وقال
الضحاك كانت النعال والادم والسويق المقلي فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين
قال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك ان تصدقت علينا لانهم لم يعلموا انه مؤمن وقال عبد الجبار بن العلائي
سئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على أحد من الانبياء سوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال
سفيان ألم تسمع قول الله تعالى وتصدق علينا أراهم سفيان ان الصدقة كانت لهم حلالا وانما حرمت
على نبينا عليه الصلاة والسلام فقال لهم يوسف مجيبا لهم عند ذلك هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم
جاهلون * واختلف العلماء في السبب الذي حمل يوسف على هذا القول الذي كان بدء فرج يعقوب
وراحته وآخر بلائه ومحنته فقال محمد بن اسحق ذكر لنا أنهم لما كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه
وأدركته الرقة فارفض دمعه باكيا ثم باح لهم بالذي كان يكتم فقال هل علمتم ما فعلتم الآية وقال الكلبي انما
قال ذلك حين حكى لاخوته أن مالك بن دعر قال اني وجدت غلاما في بئر من حاله كيت وكيت فابتعته من
قوم بكذا وكذا درهما فقالوا له أيها الملك نحن بعنا هذا الغلام فاغتاظ يوسف من ذلك وأمر بقتلهم فذهبوا
بهم ليقتلوهم فولى يهوذا وهو يقول كان يعقوب يبكي ويحزن لفقد واحد منا حتى كف بصره فكيف اذا
أتاه خبر قتل بنيه كلهم ثم انهم قالوا له ان فعلت بنا ذلك فابعث بامتعتنا الى أبينا فانه بمكان كذا وكذا
فذلك الوقت رحمهم وبكى وقال لهم ذلك القول * وقال بعضهم انما قال ذلك حين قرأ كتاب أبيه اليه وذلك
أن يعقوب لما قيل له ان ابنك سرق كتب الى يوسف كتابا من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن
ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر المظهر العدل والموفي الكيل أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء فأما
جدي فابتلي بالنمرود فشدت يداه ورجلاه وألقي في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبي فشدت يداه
ورجلاه ووضع السكين على قفاه ليذبح ففداه الله بذبح عظيم وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي الي
فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي
عليه ثم كان لي ابن آخر وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك
حبسته لذلك وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من
ولدك فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك نفسه من البكاء وعيل صبره فأظهر لهم أمره وقال بعضهم انما قال
ذلك حين سأل أخاه بنيامين هل لك ولد قال نعم ثلاثة بنين قال فما سميتهم قال سميت الاكبر منهم يوسف قال
ولم قال محبة لك ولاذكرك قال فما سميت الثاني قال ذئبا قال ولم والذئب سبع عاقر قال لاذكرك به قال فما
سميت الثالث قال دما قال ولم قال لاذكرك به فلما سمع يوسف هذه المقالة خنقته العبرة ولم يتمالك أن قال
لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون قالوا له أئنك لانت يوسف قال ابن اسحق لما قال
يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه كشف عنه الغطاء ورفع عنه الحجاب فعرفوه فقالوا أئنك
لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي (وروى) جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال لهم يوسف
هل علمتم ما فعلتم الآية ثم تبسم وكان اذا تبسم كأن ثناياه اللؤلؤ المنظوم فلما أبصروا ثناياه شبهوه
بيوسف فقالوا له مستفهمين أئنك لانت يوسف (وروى) عطاء عن ابن عباس أنه قال ان اخوة يوسف
لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له في فرقه علامة وكان ليعقوب مثلها وكان لاسحق مثلها

[illegible] عشرة
كاملة (وأما) سؤالكم عن
أحد عشر فهم اخوة
يوسف عليه السلام
(وأما) سؤالكم عن اثنى
عشر فهي عدة الشهور
(وأما) سؤالكم عن ثلاثة
عشر فهي رؤيا يوسف
عليه السلام لقوله تعالى
اني رأيت أحد عشر
كوكبا والشمس والقمر
(وأما) سؤالكم عن قوم
كذبوا وأدخلوا الجنة فهم
اخوة يوسف وجاؤا على
قميصه بدم كذب (وأما)
سؤالكم عن قوم صدقوا
وأدخلوا النار فهم اليهود
والنصارى لقوله تعالى
وقالت اليهود ليست
النصارى على شئ وقالت
النصارى ليست اليهود
على شئ فهم صدقوا
وادخلوا النار (وأما)
سؤالكم عن مستقر الروح
في الجسد فانها تكون بين
أذنيك في صورة الوحدة
(وأما) سؤالكم عن
الذاريات ذروا فهي الرياح
الاربع (وأما) الحاملات
وقرا فهي السحب (وأما)
سؤالكم عن الجاريات
يسرا فهي السفن الجارية
في البحار (وأما) سؤالكم
عن المقسمات أمرا فهم
الملائكة الذين يقسمون
على الناس أرزاقهم في ليلة
النصف من شعبان
(وأما) سؤالكم عن أربعة

وكان

وكان لبشارة مثلها شبه الشامة فلما رفع التاج عن رأسه ورأوا الشامة عرفوه وقالوا له أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا بان جمعنا بعد ما فرقتم بيننا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ثم انهم أقروا بفضل يوسف عليهم وجريمتهم اليه فقالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فقال يوسف وكان حليما كريما موفقا لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (قال) السدى وغيره فلما عرفهم يوسف بنفسه سألهم عن أبيه فقال ما فعل أبي من بعدي قالوا ذهبت عيناه فأعطاهم قميصه (قال الضحاك) كان ذلك القميص من نسج الجنة وكان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا على سقيم الا صح وعوفى فأعطاهم يوسف ذلك القميص وهو الذى كان لابراهيم وقد مضت قصته فقال لهم اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا واتونى بأهلكم أجمعين فلما فصلت العير من مصر متوجهين الى كنعان قال أبوهم يعقوب انى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون أى تسفهون (ويروى) أن ريح الصبا استأذنت ربها أن تأتى يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقميص فأذن لها فأتته بها قال ابن عباس وجد يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثمان ليال (وقال مجاهد) وذلك انه هبت ريح فصفقت القميص فاحتملت الصبا ريح القميص الى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم انه ليس فى الارض من رياح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فمن ثم قال انى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون فقال له بنو بنيه تالله انك لفى ضلالك القديم فلما أن جاء البشير وهو يهوذا بن يعقوب قال ابن مسعود جاء البشير من بين يدى العير وقال السدى قال يهوذا ليوسف أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب فأخبرته ان يوسف أكله الذئب فأعطنى اليوم قميصك لأخبره انك حى فأفرحه كما أحزنته (قال) ابن عباس حمله يهوذا وخرج ماشيا حاسرا حافيا وهو يعدو حتى أتى أباه وكان معه سبعة أرغفة فلم يستوف أكلها حتى بلغ كنعان وكانت المسافة ثمانين فرسخا فلما أتاه بالقميص ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال الضحاك رجع اليه بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن (عن) أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال كان يعقوب عليه السلام أكرم أهل الارض على ملك الموت وان ملك الموت استأذن ربه فى أن يأتى يعقوب فأذن له فجاءه فقال له يعقوب يا ملك الموت أسألك بالذى خلقك هل قبضت نفس يوسف فيمن قبضت من النفوس فقال لا ثم قال له ملك الموت يا يعقوب الا أعلمك كلمات قال بلى قال قل يا ذا المعروف الذى لا ينقطع أبدا ولا يحصيه أحد غيرك قال فدعا بها يعقوب فى تلك الليلة فلم يطلع الفجر حتى طرح القميص على وجهه فارتد بصيرا فقال لهم عند ذلك ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربى الآية (قال) أكثر المفسرين أخر ذلك الى السحر من ليلة الجمعة ووافق ذلك ليلة عاشوراء وذلك ان الدعاء فى الاسحار لا يحجب عن الله تعالى فلما انتهى يعقوب الى الوعد قام الى الصلاة بالسحر فلما فرغ منها رفع يديه الى الله عز وجل وقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لولدى ما جنوا على أخيهم يوسف فأوحى الله اليه انى قد غفرت لك ولهم أجمعين وقال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة فى نيف وعشرين سنة (أخبرنا) الحسين ابن محمد بن فنجويه أخبرنا عبد الله بن محمد بن شيبة أخبرنا أحمد بن السفر بن ثوبان البصرى أخبرنا اسحق ابن زياد الارملى أخبرنا الفضل بن حميد البغدادى أخبرنا اسحق بن زياد وابن ضمرة عن رجاء بن أبى سلمة عن عطاء الخراسانى قال طلب الحوائج الى الشباب أيسر منها الى الشيوخ الا ترى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف أستغفر لكم ربى (وروى) ان يعقوب قال للبشير لما أخبره بحياة يوسف كيف يوسف قال له انه ملك مصر فقال يعقوب ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام فقال يعقوب الآن تمت النعمة (وقال الثورى) لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام عانق كل واحد منهما صاحبه وبكيا فقال يوسف يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا قال بلى يا بنى ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بينى وبينك يوم القيامة قالوا وكان يوسف قد بعث مع

عشر تكلموا مع رب العالمين فهى السموات السبع والارضون السبع لقوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين (واما) سؤالكم عن قبر مشى بصاحبه فهو حوت يونس عليه السلام (وأما) سؤالكم عن شئ تنفس بغير روح فهو الصبح (وأما) سؤالكم عن ماء لا نزل من السماء ولا نبع من الارض فهو الذى بعثته بلقيس الى سليمان عليه السلام فى قارورة وكان من عرق الخيل (وأما) سؤالكم عن أربعة لا من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة ولا من ظهر أب ولا من بطن أم فهى كبش اسمعيل وناقة صالح وآدم وحواء (وأما) سؤالكم عن شئ خلقه الله ثم أنكره فهو صوت الحمار كما قال الله تعالى ان أنكر الاصوات لصوت الحمير (وأما) سؤالكم عن أول دم اهريق على وجه الارض فهو دم هابيل لما قتله قابيل (وأما) سؤالكم عن شئ خلقه الله واستعظمه فهو كيد النساء لقوله تعالى ان كيدكن عظيم (وأما) سؤالكم عن شئ أوله عود وآخره روح فهو عصا موسى عليه السلام لقوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى الآية (وأما) سؤالكم عن أفضل النساء فحواء أم

البشير جهازا ومائتى راحلة وسأله أن يأتيه بأهله وولده أجمعين فتهيأ يعقوب للخروج الى مصر فلما دنا
يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر الذى فوقه فخرج مع يوسف فى أربعة آلاف من الجند وركب
أهل مصر معهما يتلقون يعقوب وكان يعقوب يمشى متوكئا على يهوذا فنظر يعقوب الى الجند والناس
فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر الاكبر فقال لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف
يبدؤه بالسلام فمنعه الله من ذلك وكان يعقوب أفضل وأحق بذلك منه فابتدأه يعقوب بالسلام فقال
السلام عليك يا مذهب الاحزان فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه ورفعهما على العرش وأبواه يعقوب
وخالته ليا فسمى الخالة أما كما سمى العم أبا فى قوله تعالى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق
وقال الحسن انشر الله راحيل أم يوسف من قبرها حتى سجدت له تحقيقا للرؤيا فذلك قوله تعالى وخروا له
سجدا وكانت تحية الناس يومئذ السجود ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الارض فلما رأى يوسف أبويه
واخوته قد خروا له سجدا اقشعر عند ذلك جلده وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا
الآية (قال وهب) دخل يعقوب وولده مصر وهم اثنان وسبعون انسانا ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها
مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى والزمنى وكانت
الذرية ألف ألف سوى المقاتلة ﴿وقال الفضيل بن عياض بلغنا ان يعقوب عليه السلام لما دخل مصر
ورأى يوسف ومملكته فكان يطوف يوما من الايام فى خزائنه فرأى خزانة مملوءة قراطيس بيضاء فقال له
يا بنى لقد تغيرت بعدى لك كل هذه القراطيس وما جعلت بطاقة منها تكتب الى كتابا فقال يوسف هذه
القراطيس كلها لك كنت كلما ازداد شوقى وكثر حنينى آخذ ورقة حتى أكتب اليك يا أبت فيمنعنى جبريل ان
أكتب اليك فاتركها فى هذه الخزانة حتى بلغ هذا المبلغ فسأل يعقوب جبريل عن ذلك فقال منعنى ربى
فسأل الله عن ذلك فأوحى الله اليه لانك قلت أخاف أن يأكله الذئب فهلا خفتنى هذه العقوبة لاجل
تخوفك من غيرى (وروى) صالح المرى عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال ان الله تعالى لما جمع
ليعقوب شمله خلا ولده نجيا فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ما فعلتم بالشيخ يعقوب وبيوسف قالوا بلى قالوا
فان عفوا عنكم فكيف لكم بربكم فاستقام أمرهم على أن يأتوا الشيخ فأتوه وجلسوا بين يديه ويوسف الى
جنب أبيه قاعد فقالوا يا أبانا أتيناك على أمر لم نأتك بمثله قط ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله قط والانبياء أرحم
البرية فقال ما بكم يا بنى فقالوا ألست تعلم ما كان منا اليك والى أخينا يوسف قال بلى قد علمت قالوا فلستما
قد عفوتما عنا قالا بلى قالوا فان عفوكما لا يغنى عنا شيأ اذا كان الله تعالى لم يعف عنا قال فما تريدون يا بنى قالوا
نريد أن تدعو الله لنا فاذا جاءك الوحى من عند الله بانه هل عفا الله عنا فان أجابك بانه قد عفا عنا جميعا
قرت أعيننا واطمأنت قلوبنا والا فلا قرت لنا عين فى الدنيا أبدا فقام الشيخ واستقبل القبلة وقام يوسف
خلفه وقاموا كلهم خلفهما أذلة خاشعين فدعا يعقوب وأمن يوسف عليهما السلام فلم يجب فيهم قريبا من
عشرين سنة قال صالح المرى ثم نزل جبريل عليه السلام على يعقوب فقال ان الله تعالى بعثنى اليك
أبشرك بانه قد أجاب دعوتك فى ولدك وانه قد عفا عما صنعوا وانهم قد انعقدت مواثيقهم بعدك على
النبوة قالوا فأقام يعقوب بمصر بعد موافاته باهله وولده أربعة وعشرين سنة باغبط حال وأهنأ عيش وأتم
راحة وأدوم سلامة ثم حضرته الوفاة فلما احتضر جمع بنيه وقال ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك
واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ثم قال يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم انه
أوصى الى يوسف أن يحمل جسده الى الارض المقدسة حتى يدفنه عند أبيه اسحق وجده ابراهيم
ففعل ذلك وحمله الى بيت المقدس فى تابوت من ساج وخرج معه يوسف فى عسكره واخوته وعظماء
أهل مصر ووافق ذلك يوم وفات عيص فدفنا فى يوم واحد وكان عمرهما جميعا مائة سنة وسبعا وأربعين
سنة لانهما ولدا فى بطن واحد وقبرا فى قبر واحد (قال) فلما جمع الله ليوسف شمله وأقر له عينه وأتم له
تفسير رؤياه وكان موسعا عليه فى ملك الدنيا ونعيمها وعلم أن ذلك لا يدوم له وانه لا بد من فراقه فأراد

الشمس والقمر واثنا عشر شهرا
[illegible]
(وأما) سؤالكم عن أفضل
الانهار فسيحون وجيحون
والفرات ونيل مصر (وأما)
سؤالكم عن أفضل الجبال
فهو الطور (وأما) سؤالكم
عن أفضل الدواب فهى
الخيل (وأما) سؤالكم عن
أفضل الشهور فشهر
رمضان (وأما) سؤالكم
عن أفضل الليالى فليلة
القدر (وأما) سؤالكم عن
الطامة فهى يوم القيامة
(وأما) سؤالكم عن شجرة
لها اثنا عشر غصنا فى كل
غصن ثلاثون ورقة فى كل
ورقة خمس زهرات اثنان فى
الشمس وثلاثة فى الظل
فهى السنة والاغصان هى
الشهور والاوراق هى
الايام والخمس زهرات هى
الخمس صلوات فى اليوم
والليلة (وأما) سؤالكم عن
شئ حج الى البيت الحرام
وطاف وليس له روح ولا
وجب عليه فريضة فهى
سفينة نوح عليه السلام
(وأما) سؤالكم عن أربعة
مختلف طعمها ولونها
والاصل واحد فهى
العينان والاذنان والانف
والفم فماء العين مالح وماء
الاذنين مر وماء الانف
حامض وماء الفم حلو
(وأما) سؤالكم عن النقير
والفتيل والقطمير فالنقير
النقرة التى فى ظهر النواة
والفتيل هو الذى فى

نعيم

نعيم الجنة اذ هو أفضل منه فاشتاقت نفسه الى الجنة فتمنى الموت ودعا به ولم يتمن نبي قبله ولا بعده الموت فقال رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث الآية (وروى) ان يوسف لما حضرته الوفاة جمع اليه قومه من بني اسرائيل وهم ثمانون رجلا وأعلمهم بحضور أجله ونزول أمر الله تعالى به فقالوا يا نبي الله نحب أن تعرفنا كيف تصرف الاحوال بنا بعد خروجك من بين أظهرنا والى ما يؤول اليه أمرنا ودنيانا وملتنا فقال اعلموا ان أمركم يستقيم على ما أنتم عليه وتستقيمون على دينكم الى أن يبعث رجل جبار من القبط يدعي الربوبية فيقهركم ويذبح أبناءكم ويستحيي نساءكم ويسومكم سوء العذاب فتمتد أيامه مدة مديدة ثم يخرج من بني اسرائيل من ولد لاوي بن يعقوب رجل اسمه موسى بن عمران رجل طوال جعد الشعر آدم اللون فينجيكم الله من أيدي القبط على يده قال فجعل كل من بني اسرائيل يسمي ابنه عمران ويسمي عمران ابنه موسى قال وكان ليوسف ديك وكان عمره خمسمائة سنة فقال لهم يوسف انه يستقيم أمركم ما دام يصرخ فيكم هذا الديك فاذا ولد هذا الجبار يسكن فلا يصرخ مدة ولايته حتى اذا انقضت مدة ولايته وأذن الله تعالى بولادة هذا النبي فيصرخ هذا الديك ويعود الى صراخه ويكون ذلك علامة انقضاء ملك الجبار وظهور نبي الله في الارض فما زالوا يراعون الحال الى أن سكن صراخ الديك فوجلوا وبكوا وأيقنوا بوهي أركان دينهم وأظلالهم ما آذنهم به يوسف من مولد الجبار واعتزلوا لذلك واجمين الى أن صرخ ذلك الديك فاستبشروا وتصدقوا وفرحوا واستيقنوا بالفرج والراحة ثم مات يوسف عليه السلام وكان قد أوصى الى أخيه يهوذا واستخلفه على بني اسرائيل فتوفاه الله طيبا طاهرا ودفن في النيل في صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب أن يدفن في محلتهم لما يرجون من بركته حتى هموا بالقتال فرأوا أن يدفن في النيل حيث تتفرق المياه بمصر فيمر الماء عليه ثم يصل الى جميع مصر فيكونون كلهم فيه شرعا واحدا ففعلوا ذلك وكان قبره في النيل الى أن حمله موسى عليه السلام معه حين خرج من مصر ببني اسرائيل فنقله الى الشام ودفنه بأرض كنعان خارج الحصن حيث هو اليوم فلذلك تنقل اليهود موتاهم الى الشام من فعل ذلك فيهم (وروى) يونس بن عمران عن أبي موسى قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باعرابي فأكرمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرمتنا فأحسنت سل حاجتك فقال ناقة نرحلها وعنز يحلبها أهلي فقال صلى الله عليه وسلم أعجز هذا أن يكون مثل عجوز بني اسرائيل فقالوا يا رسول الله وما عجوز بني اسرائيل فقال ان بني اسرائيل لما خرجوا ضلوا الطريق وأظلم عليهم الليل فقالوا ما هذا فقال علماؤهم ان يوسف لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا قال موسى فمن يعلم موضع قبره قالوا عجوز لبني اسرائيل فبعث اليها موسى فأتته فقال دليني على قبر يوسف فقالت له وتعطيني حكمي قال وما حكمك قالت ان أكون معك في الجنة فكره أن يعطيها حكمها فأوحى الله اليه أن أعطها حكمها ففعل (وروى) من طريق آخر ان هذه العجوز كانت مقعدة عمياء فقالت لموسى ألا أخبرك بموضع قبر يوسف قال نعم فقالت له لا أخبرك حتى تعطيني أربع خصال تطلق رجلي وتعيد الي بصري وشبابي وتجعلني معك في الجنة قال فكبر ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه أن أعطها ما سألت فانك انما تعطي علي ففعل فانطلقت بهم الى موضع عين في مستنقع ماء فاستخرجوه من شاطئ النيل في صندوق من مرمر فلما حملوا تابوته طلع القمر وأضاء الطريق مثل النهار فاهتدوا به وحملوه (وقال أهل التاريخ) عاش يوسف بعد موت يعقوب عليه السلام ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة صلوات الله عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين

((مجلس في قصة موسى بن منشا بن يوسف عليه السلام))

وهو موسى الاول وقد ذكرنا فيما مضى ان يوسف عليه السلام ولد له ابنان أحدهما يقال له افرايم والآخر منشا وامرأة يقال لها رحمة وهي امرأة أيوب عليه السلام وولد لافرايم نون وولد لنون يوشع وهو فتى موسى بن عمران وخليفته على بني اسرائيل وأما منشا فولد له موسى فنبأه الله تعالى فزعم أهل التوراة أنه

باطنها والقطمير هو القشر الذي فوقها (وأما) سؤالكم عن السبد واللبد فهو شعر الضأن والمعز (وأما) سؤالكم عن الطم والرم فهي الامم الماضية قبل آدم عليه السلام (وأما) سؤالكم عما يقول الحمار في نهيقه فانه يرى الشيطان ويقول لعن الله العشار (وأما) سؤالكم عما يقول الكلب في نبحه فانه يقول ويل لاهل النار من غضب الجبار (وأما) سؤالكم عما يقول الفرس في صهيله فانه يقول سبحان حافظي اذا التقت الابطال واشتغلت الرجال بالرجال (وأما) سؤالكم عما يقول البعير في رغائه فانه يقول حسبي الله وكفى بالله وكيلا (وأما) سؤالكم عما يقول البلبل في تغريده فانه يقول سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون (وأما) سؤالكم عما يقول الضفدع في تسبيحه فانه يقول سبحان المعبود في البراري والقفار سبحان الملك الجبار (وأما) سؤالكم عما يقول الناقوس في نقيره فانه يقول سبحان الله حقا حقا انظر يا ابن آدم في هذه الدنيا غربا وشرقا ما ترى فيها أحدا يبقى (وأما) سؤالكم عن قوم أوحى الله اليهم لا من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة فهم النحل لقوله تعالى وأوحى

صاحب الخضر والعامة من العلماء ان صاحب الخضر موسى بن عمران وكذلك روى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) أهل العلم بالتاريخ لما مات يعقوب ويوسف عليهما السلام وآل الأمر الى الاسباط كثروا وعتوا وظهر فيهم ملوك فغيروا سيرتهم وأفسدوا في الارض وفشا فيهم السحر والكهانة فبعث الله تعالى اليهم موسى بن منشا رسولا يدعوهم الى عبادة الله وأداء أمره وإقامة سنته وذلك قبل مولد موسى بن عمران بمائتي سنة فأطاعه قوم منهم وعصاه آخرون (وقال وهب بن منبه وغيره) كان مما أوحى الله اليه ان قل لقومك انى بريء ممن سحر أو سحر له أو تكهن أو تكهن له أو تطير أو تطير له من آمن بي صادقا وتوكل على فاني كنت له كافيا ومثيبا وكفيته همه دينه ودنياه وكنت له خير معين وهاد وكنت عند ظنه بي ومن عدل عني ووثق بغيري فانا أغنى الشركاء عن الشرك أكله الى من وثق به دوني ومن وكلته الى غيري فليستعد للفتنة والعذاب ومن تباعد عني كنت عنه أشد تباعدا ومن تقرب الي كنت اليه أشد تقربا منه الي وقل لعبادي لا تغفلوا عن ذكري وليكثروا ذكر الموت عند كل شهوة فانه مميت الشهوات واللذات كلها قالوا فلبث فيهم ما شاء الله أن يلبث يقيم أمرهم ويصلح أحوالهم ثم مات صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين والله تعالى أعلم

((مجلس في ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة ارم ذات العماد))

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الآية (روى) سفيان عن منصور عن أبي وائل قال ان رجلا يقال له عبد الله بن قلابة خرج في طلب ابل له قد ضلت أي شردت فبينما هو في بعض صحارى عدن في تلك الفلوات اذ وقع على مدينة عليها حصن حول ذلك الحصن قصور عظيمة وأعلام طوال فلما دنا منها ظن ان فيها من يسأله عن ابله فلم ير فيها أحدا الا داخلا ولا خارجا فنزل عن ناقته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فاذا هو ببابين عظيمين لم ير في الدنيا أعظم منهما ولا أطول واذا خشبهما من أطيب عود وعليهما نجوم من ياقوت أصفر وياقوت أحمر ضوءها قد ملأ المكان فلما رأى ذلك أعجبه ففتح أحد البابين فاذا هو بمدينة لم ير الراؤن مثلها قط واذا هو بقصور معلقة تحتها أعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد على كل باب من أبواب تلك القصور مصراع مثل مصراع باب تلك المدينة من عود رطب قد نضدت عليه اليواقيت وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما رأى ذلك ولم ير هناك أحدا أخذه الفزع ثم انه نظر الى الازقة واذا في كل زقاق منها أشجار قد أثمرت وتحتها أنهار تجري في قنوات من فضة أشد بياضا من الثلج فقال هذه الجنة التي وصفها الله لعباده في الدنيا والحمد لله الذي أدخلني الجنة ثم انه حمل من لؤلؤها وبنادق المسك والزعفران ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها شيأ ولا من يواقيتها لانها كانت مثبتة في أبوابها وجدرانها وكان اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران منثورة بمنزلة الرمل في تلك القصور والغرف فأخذ منها ما أراد وخرج حتى أتى ناقته فركبها ثم انه سار يقفو أثر ناقته حتى رجع الى اليمن فأظهر ما كان معه وأعلم الناس بأمره وباع بعض ذلك اللؤلؤ وكان قد اصفر وتغير لونه من طول الزمان الذي مر عليه ففشا خبره حتى بلغ معاوية بن أبي سفيان فأرسل رسولا الى صاحب صنعاء وكتب اليه باشخاصه فاشخص حتى قدم على معاوية فخلا به ثم سأله عما عاين فقص عليه أمر المدينة وما رأى فيها فاستعظم ذلك معاوية وأنكر ما حدثه به وقال له ما أظن ما تقوله حقا فقال له يا أمير المؤمنين ان معي من متاعها الذي هو مفروش في قصورها وغرفها فقال له وما هو قال اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فقال له أرني اياه فعرض عليه مما حمله من تلك المدينة من اللؤلؤ وبنادق المسك فشم البنادق فلم يجد لها ريحا فأمر ببندقة منها ففتت فسطع ريحها مسكا وزعفرانا فصدقه عند ذلك ثم قال معاوية كيف أصنع حتى أعرف اسم هذه المدينة ولمن هي ومن بناها والله ما أعطي أحد مثل ما أعطي سليمان بن داود عليه السلام وما أظن انه كان له مثل هذه المدينة فقال له بعض جلسائه ما كان لسليمان مدينة مثل هذه وما يوجد خبر هذه المدينة في زماننا هذا

(وأما) سؤالكم عن الليل أين يكون اذا جاء النهار وعن النهار أين يكون اذا جاء الليل فانهما يكونان في غامض علم الله تعالى ثم قال أبو يزيد هل بقي معكم مسائل غير ذلك فقالوا لا فقال أخبروني عن مفتاح الجنة ومفتاح السموات ما هو قال فسكتوا ولم يتكلموا فقال أبو يزيد سألتموني عن مسائل كثيرة فأجبت عنها وقد سألتكم عن مسئلة واحدة فلم تجيبوا عنها أعجزتم عنها فقالوا نعم ثم التفتوا الى كبيرهم وقالوا أو عجزت عن ذلك فقال ما عجزت ولكن أخاف أن لا توافقوني فقالوا بل نوافقك فانك كبيرنا ومهما قلت لنا سمعناه ووافقناك عليه فقال مفتاح الجنة والسموات لا اله الا الله محمد رسول الله فقالوها وأسلموا عن آخرهم وحسن اسلامهم وخرجوا من الدير وأخربوه وبنوه مسجدا وقطعوا زنانيرهم فهنالك نودي أبو يزيد شددت من أجلنا زنارا فقطعنا من أجلك خمسمائة زنار (اخواني) انظروا الى هؤلاء كلهم قد كانوا كفارا في ظلمات العمى فأنقذهم الله تعالى من الردى بنور الهدى فكل ذلك ببركة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانظروا الى كلمة الاخلاص ما أعظم بركاتها

الا عند كعب الاحبار فان رأى أمير المؤمنين أن يبعث اليه و يأمر باحضاره و يستخبره هذا الرجل في موضع هنا بحيث يسمع كلامه وحديثه ووصفه للمدينة حتى يتبين أمر هذه المدينة على مثل هذه الصفة فان كعبا يخبر أمير المؤمنين بخبرها وأمر هذا الرجل ان كان دخلها لان مثل هذه المدينة على مثل هذه الصفة لا يستطيع هذا الرجل دخولها الا أن يكون قد سبق له في الكتاب دخولها فيعرف ذلك فأرسل معاوية الى كعب الاحبار فلما حضر قال له يا أبا اسحق انى دعوتك لامر رجوت أن يكون علمه عندك فقال له يا أمير المؤمنين على الخبير سقطت سل عما بدا لك فقال له أخبرنا يا أبا اسحق هل بلغك ان في الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة وعمدها من زبرجد وياقوت وحصى قصورها وغرفها اللؤلؤ وأنهارها في الازقة تجرى تحت الاشجار فقال كعب والذى نفس كعب بيده لقد ظننت انى سأسأل قبل ان يسألنى أحد عن تلك المدينة وما فيها ولكن أخبرك بها يا أمير المؤمنين ولمن هى ومن بناها أما تلك المدينة فهى حق على ما بلغ أمير المؤمنين وعلى ما وصفت له وأما الذى بناها فشداد بن عاد وأما المدينة فهى ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد فقال له معاوية يا أبا اسحق حدثنا بحديثها يرحمك الله فقال كعب يا أمير المؤمنين ان عادا كان له ابنان سمى أحدهما شديدا والآخر شدادا فهلك عاد وبقى ولداه بعده فملكا وتجبرا وقهرا كل البلاد وأخذاها عنوة وقهرا حتى دان لهما جميع الناس ولم يبق أحد فى زمانهما الا دخل فى طاعتهما لا فى شرق الارض ولا فى غربها وأنهما الناس فالهما دالك وقرارهما فمات شديد بن عاد وبقى شداد فملك وحده ولم ينازعه أحد وكانت له الدنيا كلها وكان مولعا بقراءة الكتب القديمة وكان كلما مر فيها على ذكر الجنة دعته نفسه أن يجعل تلك الصفة لنفسه فى الدنيا عتوا على الله تعالى وكفرا فلما قرر ذلك فى نفسه أمر بصنعة تلك المدينة التى هى ارم ذات العماد وأمر على صنعتها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الاعوان ثم قال لهم انطلقوا الى أطيب بقعة فى الارض وأوسعها واعملوا لى فيها مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ وتحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد وياقوت وعلى المدينة قصورا ومن فوق القصور غرفا واغرسوا تحت القصور غرائس فيها أصناف الثمار كلها وأجروا فيها الانهار تحت الاشجار فانى أرى فى الكتب صفة الجنة وانى أحب أن أتخذ مثلها فى الدنيا وأعجل سكناها فقالت له قهارمته كيف لنا بالقدرة على ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة فنبنى منها مدينة كما وصفت لنا فقال لهم شداد ألستم تعلمون ان ملك الدنيا كلها بيدى قالوا بلى قال فانطلقوا الى كل موضع به معدن من معادن الزبرجد والياقوت والذهب والفضة وأى بحر فيه لؤلؤ فوكلوا به من كل قوم رجالا تخرج لكم ما فى كل معدن من تلك الارض ثم انطلقوا الى ما فى أيدى الناس من ذلك فخذوه سوى ما يأتيكم به أصحاب المعادن فان معادن الدنيا فيها كثير من ذلك وما فيها مما لا تعلمون أكثر وأعظم مما كلفتم به من صنعة هذه المدينة (قال) فخرجوا من عنده وكتب معهم الى كل ملك فى الدنيا كتابا يأمره أن يجمع لهم ما فى بلاده من الجواهر وان يحفر معادنها فانطلق تلك القهارمة وأعطوا كل ملك من الملوك كتابا فأخذ ما وجد فى مملكته فبقوا على تلك الحالة عشر سنين حتى جمعوا ما يحتاجون الى ارم ذات العماد من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة وأخذوا موضعا كما أراد ووصف لهم فقال معاوية يا أبا اسحق كم عدد أولئك الملوك الذين كانوا تحت يد شداد قال كانوا اثنين وستين ملكا قال فخرج عند ذلك الفعلة والقهارمة فتفرقوا فى الصحارى ليتخذوا ما يوافق غرضه فلم يجدوا ذلك الا فى أرض أبين من بلاد عدن فوقعوا بها على صحراء عظيمة نقية من التلال والجبال واذا هم بعيون مطردة فقالوا هذه صفة الارض التى أمرنا بها فأخذوا بقدر ما أمرهم به من العرض والطول ثم جعلوا لها حدودا محدودة ثم عمدوا الى مواضع الازقة التى فيها الماء فأجروا فيها القنوات لتلك الانهار ثم وضعوا الاساس من صخور الجزع اليمانى وجعلوا طين ذلك الاساس من دهن البان والحلب فلما فرغوا من وضع الاساس وأجروا فيها القنوات أرسل الملوك اليهم الجواهر والذهب والفضة فمنهم من بعث بالعمد مضروبة ومنهم من بعث بالذهب

وما أشجع من كانتها فأفرطوا ألسنتكم بها لتنالوا بركة احسانها وتظفروا بجلاوة ابتسامها وتدخلوا حرم أمانها فانها حصن منيع وورع رفيع وقد قال الله تعالى فى كتبه المنزلة أكثروا من قول لا اله الا الله فانها حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى وقال بعض الصحابة من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه ومدها بالتعظيم غفر الله تعالى له أربعة آلاف ذنب فان لم يكن عليه ذلك يغفر من ذنوب أهله وجيرانه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة وحروف لا اله الا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفا فمن قال لا اله الا الله محمد رسول الله كفر الله بكل حرف ذنوب ساعة ولا يبقى عليه ذنب فانظروا يا اخوانى كيف خص الله هذه الامة بهذه الرحمة واجعلوا استكثارها شعاركم تفوزوا برضوان ربكم (وعن وهب بن منبه رضى الله تعالى عنه) انه قال لما خلق الله آدم عليه السلام ونفخ فيه من روحه فتح عينيه فنظر الى باب الجنة فرأى مكتوبا عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فقال يارب وهل خلقت خلقا أعز عليك منى فقال الجليل جل جلاله نعم يا آدم هو

والفضة مصنوعة مفروغا منها فذهبوا بكل ذلك الى أولئك القهارمة والوزراء فأقاموا فيها حتى فرغوا من بنائها على ما أراد شداد فقال له معاوية يا أبا اسحق انى لأحسبهم أقاموا فى بنائها زمانا من الدهر قال نعم يا أمير المؤمنين انى لأجد فى التوراة انهم أقاموا فى بنائها ثلثمائة سنة فقال معاوية كم كان عمر شداد صاحبها قال كان عمره سبعمائة سنة فقال له معاوية يا أبا اسحق لقد أخبرتنا خبرا عجيبا فحدثنا فقال يا أمير المؤمنين انما سماها الله تعالى ارم ذات العماد من أجل العماد التى تحتها من الزبرجد والياقوت وليس فى الدنيا مدينة من الزبرجد والياقوت غيرها فلذلك قال التى لم يخلق مثلها فى البلاد (قال كعب) انهم لما أتوه وأخبروه بفراغهم منها قال انطلقوا فاجعلوا عليها حصنا واجعلوا حول الحصن ألف قصر عند كل قصر ألف علم ويكون فى كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائى ويكون كل علم منها عليه ناطور فرجعوا وعملوا تلك القصور والاعلام والحصن ثم انهم أتوه فأخبروه بالفراغ مما أمرهم به قال فأمر ألف وزير من خاصته أن يهيؤا أسبابهم ويعملوا على النقلة الى ارم ذات العماد وأمر رجالا أن يسكنوا تلك الاعلام وان يقيموا فيها ليلهم ونهارهم وأمر لهم بالعطاء والارزاق وأمر الملك من أراد من نسائه وخدمه ان يتجهزوا الى ارم ذات العماد فأقاموا فى جهازهم عشرين سنة ثم سار الملك بمن أراد الى أرض أبين وخلف من قومه أكثر مما سار به فلما استقل وسار اليها يسكنها وبلغ منها موضعا وبقى بينه وبين دخولها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليه وعلى كل من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعا ولم يبق أحد منهم ولم يدخل شداد ولا من كان معه ارم ذات العماد ولم يقدر أحد منهم على الدخول فيها حتى الساعة فهذه صفة ارم ذات العماد وانه سيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك هذا ويرى ما فيها فيحدث بما عاين ولا يصدق فقال له معاوية يا أبا اسحق هل تصفه لنا قال نعم هو رجل أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج فى طلب ابل له فى تلك الصحارى فيقع على ارم ذات العماد فيدخلها ويحمل مما فيها وكان الرجل جالسا عند معاوية فالتفت كعب فرأى الرجل فقال هو ذاك الرجل يا أمير المؤمنين قد دخلها واسأله عما ... ... به فقال معاوية يا أبا اسحق ان هذا من خدمى ولم يفارقنى قال قد دخلها والاسوف يدخلها وسيدخلها أهل هذا الدين فى آخر الزمان فقال معاوية يا أبا اسحق لقد فضلك الله على غيرك من العلماء ولقد أعطيت من علم الاولين والآخرين ما لم يعطه أحد فقال يا أمير المؤمنين والذى نفس كعب بيده ما خلق الله فى الارض شيأ الا وقد فسره فى التوراة لعبده موسى عليه السلام تفسيرا وان هذا القرآن أشد وعيدا وكفى بالله شهيدا ووكيلا (قال الشعبى) أخبرنا دغفل الشيبانى عن رجل من حضرموت يقال له سطام انه وقع على حفيرة شداد بن عاد فى جبل من جبال حضرموت مطل على البحر قال كنت أسمع فى صباى الى ان اكتهلت بمغارة فى جبل من جبالها وان الناس تهيب دخولها فلم أحفل بما كنت أسمع من ذلك فبينا أنا فى نادى قومى اذ انشأوا واحديث تلك المغارة وأطنبوا فى ذكرها ووصفوا موضعها فقلت لقومى انى غير منته عن هذه المغارة حتى أدخلها فهل فيكم من يساعدنى فقال فتى منهم حديث السن أنا أساعدك فقلت يا ابن أخى أتجسر على ذلك قال عندى ما عند رجل من شدة الجاش وقوة القلب فهيأنا شمعة وحملنا معنا أدوات عظيمة مملوءة ماء وطعاما مقدار ما يقوم بنا ونقدر على حمله ثم مضينا نحو ذلك الجبل الذى فيه المغارة وكان مشرفا على البحر فى المكان الذى يركب منه أهل حضرموت البحر فلما انتهينا الى باب تلك المغارة حزمنا علينا ثيابنا وأشعلنا الشمعة ثم ذكرنا الله تعالى ودخلناها ومعنا تلك الادوات من الماء والطعام واذا مغارة عظيمة عرضها عشرون ذراعا وطولها على نحو خمسين ذراعا فمشينا فيها وهو يسافى طريق أملس مستو ثم أفضينا الى درج عادية عرض الدرجة عشرون ذراعا فى سمك عشرة أذرع فحملنا أنفسنا على نزول تلك الدرج فقلت لصاحبى هلم الى يدك فكنت آخذ بيده حتى ينزل فاذا نزل وقام فى الدرجة تعلقت بطرف الدرجة وتشبثت حتى يتناول رجلى على منكبه ثم نزل كذلك وذلك دأبنا عامة يومنا حتى نزلناها وكانت مقدار مائة درجة فأفضينا الى أزج عظيم محفور فى الجبل فى طول مائة ذراع وعرض أربعين

ذراعا

نبى من ذريتها أبعثه آخر الزمان بالآيات والبرهان هو خير الانبياء وأمته خير الامم قال فلما خلق الله تعالى حواء ركب فيه الشهوة فقال آدم يا رب زوجنى بها فقال الله تعالى هات مهرها فقال يا رب وما مهرها فقال تصلى على صاحب هذا الاسم مائة مرة وأنا أزوجك بها فقال آدم يا رب ان فعلت ذلك تزوجنيها فقال الله عز وجل نعم فصلى آدم عليه السلام مائة مرة على النبى صلى الله عليه وسلم فزوجه الله بها (وقال بعض الصوفية رضى الله تعالى عنه) كان لى جار مسرف على نفسه بالمعاصى فلما مات رأيته فى المنام وهو فى دار السلام فقلت له بم نلت هذه المنزلة قال حضرت مجلس الذكر فسمعت المحدث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول انه من صلى على صلاة ورفع بها صوته وجبت له الجنة ثم رفع المحدث صوته بالصلاة ورفعنا أصواتنا وجميع القوم فغفر الله لنا فى ذلك اليوم (قال) ورأت امرأة ولدها بعد موته يعذب فحزنت على ذلك وسكتت ثم رأته بعد ذلك فى النور والرحمة قال فسألته عن ذلك فقال مر بنا رجل فوقف بوسط المقبرة وصلى على

ذراعا وسمكه فى السماء قدر مائة ذراع وفى صدره سرير من ذهب منضد بصنوف الجواهر وفوقه رجل عادى عظيم الجسم قد أخذ طول ذلك الازج وعرضه وهو مضطجع على ظهره كهيئة النائم وعليه سبعون حلة بقدر طوله وعرضه منسوجة تلك الحلل بقضبان الذهب والفضة واذا ذلك الازج يضىء من ثقب عرضه ذراعان وارتفاعه ثلاثة أذرع خارجا الى فضاء لم يدر ماهو واذا على رأس السرير لوح من ذهب عظيم فيه كتابة مالها مثل وهى كتابة كاتب عاد كتبها فى زمانه محفورة تلك الكتابة فى اللوح حفرا فطلعنا ودنونا من ذلك الرجل ومسسنا تلك الحلل فصارت رميما وبقيت قضبان الذهب قائمة فجمعناها فكانت مقدار مائة رطل فجعلناها فى أزرنا وأرديتنا وأردنا قلع شىء من تلك الجواهر المنضد بها السرير فلم نقدر عليها لو ثاقتها فتركناها وهجم علينا الليل ونحن فى ذلك الازج وعرفنا ذهاب النهار بذهاب ذلك الضوء الذى كان يدخل من ذلك الثقب فبتنا ليلتنا فى ذلك الازج وطفئت الشمعة التى كانت معنا فلما أصبحنا قلت لصاحبى ماترى قال أما الرجوع من حيث جئنا فلا سبيل اليه لارتفاع هذه الدرج وانا لانستطيع صعودها لاسيما والشمعة قد طفئت ولكن هلم بنا نلزم هذا الضوء الذى نراه فى هذا الثقب فانى أرجو ان نخرج منه الى الفضاء ان شاء الله تعالى فقلت له لعمرى ان هذا لهو الرأى فنهضنا بما معنا من تلك القضبان التى من الذهب وحملنا معنا ذلك اللوح الذى كان عند رأس السرير وسرنا من ذلك الثقب فلم نزل نمشى فى طريق ضيق مقدار مائة ذراع حتى خرجنا منه الى كهف فى ذلك الجبل كهيئة الحانوت وقد حف بذلك الكهف البحر فجلسنا على باب ذلك الثقب ثلاثة أيام بلياليها نتقوت ببقية الماء والطعام الذى كان معنا فلما كان اليوم الرابع نظرنا الى مركب قد أقبل فى البحر فلوحنا اليه فنظر الينا أهله فأرسلوا الينا القارب فنزلنا من باب ذلك الثقب نزولا شاقا حتى وثبنا الى القارب فلما خرجنا من البحر اقتسمنا ذلك الذهب بيننا وصار ذلك اللوح الى بقسطى ثم ان أنفسنا دعتنا الى العود الى ذلك السرب مما يلى الثقب فركبنا قاربا وسرنا فى البحر نحو المكان الذى خرجنا منه فخفى علينا مكانه فعلمنا أنا لم نرزق منه الا ما أخذنا فرجعنا وان اللوح مكث عندى حولا لا أجد أحدا يقرؤه لى حتى أتانا رجل من أهل صنعاء حميرى كان يحسن قراءة تلك الكتابة فأخرجنا اليه اللوح فقرأه فاذا فيه مكتوب هذه الابيات

اعتبر بى أيها المغـ * ـرور بالعمر المديد

أنا شداد بن عاد * صاحب الحصن العميد وأخو القوة والبأ * ساء والملك الحشيد
دان أهل الارض طرا * لى من خوف وعيد وملكت الشرق والغر * ب بسلطان شديد
وبفضل الملك والعد * ة فيه والعديد ساء بأهود كيما * ى ضلال قبل هود
فدعانا لو قبلنا * كان بالامر الرشيد فعصيناه ونادينـ * ـا ألا هل من محيد
فأتتنا صيحة تهـ * ـوى من الافق البعيد فتوافينا كزرع * وسط بيداء حصيد

(قال دغفل) سألت علماء حمير عن شداد وقلت انه أصيب وقد كان دنا من ارم ذات العماد فكيف وجد فى تلك المغارة وهى بحضرموت فقالوا انه لما هلك هو ومن معه من الصيحة على مرحلة من تلك المدينة ملك من بعده مرثد بن شداد وقد كان أبوه خلفه على ملكه بحضرموت فأمر بحمل أبيه الى حضرموت فحمل مطليا بالصبر والكافور ثم أمر بحفر تلك المغارة فحفرت واستودعه فيها على ذلك السرير الذى من الذهب والله أعلم

﴿مجلس فى ذكر قصة أصحاب الرس﴾

قال الله تعالى وعادا وثمود وأصحاب الرس اختلف العلماء أهل التفسير وأصحاب الاقاصيص فيهم فقال سعيد بن جبير والكلبى والخليل بن أحمد دخل كلام بعضهم فى بعض وكل أخبر بطائفة من حديث أصحاب الرس ان أصحاب الرس بقية ثمود قوم صالح وهم أصحاب البئر التى ذكرها الله تعالى فى كتابه فى قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد وكانوا بفلج اليمامة نزولا على تلك البئر وكل ركية لم تطو بالحجارة والآجر فهى رس وكان لهم نبى يقال له حنظلة بن صفوان وكان بأرضهم جبل يقال له فتح مصعده فى السماء ميلا وكانت العنقاء

النبى صلى الله عليه وسلم وأهدى ثواب صلاته لجميع الاموات فجعل نصيبى من ذلك الرحمة والمغفرة فغفر لى (وقال بعض العارفين رضى الله تعالى عنه) صليت ليلة من الليالى صلاة العشاء الاخيرة فلما جلست للتشهد نسيت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فرأيته فى المنام وهو يقول ياهذا نسيت الصلاة علينا فقلت يارسول الله اشتغلت بالثناء على الله فقال أما علمت ان الله سبحانه وتعالى لايقبل الثناء عليه الا بالصلاة على أما سمعت قول الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فقمت من نومى وأنشدت شعرا

صلوا على من أنت حقا بشائره الهاشمى الذى طابت عناصره
هو النبى الذى شاعت رسالته فى الخلق طرا وقد عمت مآثره
هو الرسول الذى تسعى الملوك له على الرؤس فتأتيهم مفاخره
هذا الطبيب لهذى الناس كلهم يشفى العليل ولمكسور يجابره
صلى عليه اله العرش ما طلعت شمس وماناح فوق الغصن طائره

(وعن سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه) انه قال بينما أنا أطوف بالبيت

تبيت به وهي كأعظم ما يكون من الطير وفيها من كل لون وسموها العنقاء لطول عنقها وكانت في ذلك الجبل تنقض على الطير فتأكلها فجاعت ذات يوم وأعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به فسميت عنقاء مغرب لانها تغرب بما تأخذه ثم انقضت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضمتها الى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين فشكوا ذلك الى نبيهم فقال اللهم خذها واقطع نسلها وسلط عليها آية تذهب بها فأصابتها صاعقة فاحترقت فلم ير لها أثر بعد ذلك فضربت بها العرب مثلا في أشعارها وحكمها وأمثالها ثم ان أصحاب الرس قتلوا نبيهم فأهلكهم الله تعالى (وقال بعض العلماء) بلغني انه كان رسان أما أحدهما فكان أهله أهل بدو وعمود وأصحاب غنم ومواش فبعث الله اليهم نبيا فقتلوه ثم بعث اليهم رسولا آخر وعضده بولي فقتلوا الرسول وجاهدهم الولي حتى أفحمهم وكانوا يقولون الهنا في البحر وكانوا على شفيره وكان يخرج اليهم من البحر شيطان في كل شهر خرجة فيذبحون عنده ويتخذونه عيدا فقال لهم الولي أرأيتم ان خرج الهكم الذي تدعونه وتعبدونه الي وأطاعني أتجيبونني الى ما دعوتكم اليه قالوا بلى فأعطوه على ذلك العهود والمواثيق فانتظر حتى خرج ذلك الشيطان على صورة حوت راكبا أربعة أحوات وله عنق مستعلية على رأسه مثل التاج فلما نظروا اليه خروا له سجدا فخرج الولي اليه وقال له ائتني طوعا أو كرها بسم الله الكريم فنزل عند ذلك من على اخوته فقال له الولي ائتني راكبا عليهن لئلا يكون القوم في أمرهم على شك فأتى الحوت وأتت به الحيتان حتى أفضوا به الى البرية يجرونه ويجرهن فلما رأوا ذلك سحروا به وكذبوه ونقضوا العهود فبعث الله اليهم ريحا فألقتهم في البحر ومواشيهم جميعا وما كانوا يملكون من ذهب وفضة وآنية فأتى الولي الصالح الى البحر وأخذ الذهب والفضة والاواني فقسمها على أصحابه بالسوية حتى الصغير والكبير وانقطع ذلك النسل (وأما الآخر) فانهم قوم كان لهم نهر يدعى الرس ينسبون اليه وكان فيهم أنبياء كثيرة لا يقوم فيهم نبي الا قتلوه وذلك النهر بمنقطع أذربيجان بينها وبين أرمينية فاذا قطعته مدبرا دخلت في حد أرمينية واذا قطعته مقبلا دخلت في حد أذربيجان وكان من خلفهم من أهل أرمينية يعبدون الاوثان ومن قدامهم من أهل أذربيجان يعبدون النيران وهم كانوا يعبدون الجواري العذارى فاذا تمت لاحداهن ثلاثون سنة قتلوها واستبدلوا غيرها وكان عرض نهرهم ثلاثة فراسخ وكان يرتفع في كل يوم وليلة حتى يبلغ أنصاف الجبال التي حوله وكان لا ينصب في بحر ولا بر فاذا خرج من حدهم يقف ويدور ثم يرجع اليهم فبعث الله تعالى اليهم ثلاثين نبيا في شهر واحد فقتلوهم جميعا فبعث الله تعالى اليهم نبيا وأيده بنصره وبعث معه وليا فجاهدهم في الله حق جهاده ثم بعث اليه ميكائيل حين نابذوه وكان في أوان وقوع الحب في الارض وكانوا عند ذلك أحوج ما يكونون الى الماء ففجر نهرهم في البحر وانصب ماؤه أسفله وأتى الى عيونه من فوق فسدها وبعث الله اليه خمسمائة من الملائكة أعوانا له ففرقوا ما بقي في وسط نهرهم ثم أمر الله جبريل فنزل فلم يدع في أرضهم عينا ولا نهرا الا أيبسه باذن الله تعالى وأمر ملك الموت فانطلق الى المواشي فأماتها دفعة واحدة وأمر الرياح الاربع الجنوب والشمال والدبور والصبا فضمت ما كان لهم من متاع وألقى الله تعالى عليهم السبات ثم خفقت الرياح الاربع بذلك المتاع أجمع ففرقته في رؤس الجبال وبطون الاودية وأما ما كان من حلي وتبر وآنية فان الله تعالى أمر الارض فابتلعته فأصبحوا لا شاة عندهم ولا بقرة ولا مال يعودون اليه ولا ماء يشربون ولا طعاما يأكلونه فآمن بالله عند ذلك قليل منهم وهداهم الله الى غار في جبل له طريق من خلفه فنجوا وكانوا أحدا وعشرين رجلا وأربع نسوة وصبيين وكان عدة الباقي من الرجال والنساء والذراري ستمائة ألف ماتوا عطشا وجوعا ولم يبق منهم باقية ثم عاد القوم الى منازلهم فوجدوها قد صار أعلاها أسفلها فدعا القوم عند ذلك مخلصين أن يجيئهم بماء وزرع وماشية ويجعله قليلا لئلا يطغوا فأجابهم الله تعالى الى ذلك لما علم من صدق نياتهم واخلاصهم وقالوا انه لا يبعث الله رسولا الى من يليهم ويقاربهم الا أعانوه وصدقوه وعضدوه فعلم الله منهم الصدق فأطلق لهم

اذ رأيت رجلا لا يرفع قدما ولا يضع قدما الا وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له يا هذا انك تركت التسبيح والتهليل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهل عندك في هذا شئ فقال من أنت عافاك الله فقلت سفيان الثوري فقال لولا انك عارف أهل زمانك لما أطلعتك على حالي وأخبرتك بسري ثم قال خرجت من بلدي أنا ووالدي حاجين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام فبينما نحن في بعض المنازل اذ مرض والدي مرضا شديدا فكنت لأعالجه فبينما أنا عند رأسه اذ هو قد مات واسود وجهه قال فقلت ازاري وغطيت به وجهه وحصل عندي غم عظيم وحل بي خطب جسيم حيث مات على تلك الحالة في بلاد الغربة ولا يمكنني اخفاء ذلك الحال عن الناس وصرت متفكرا في أمري لا أدري ما أصنع فبينما أنا كذلك اذ غلبني النوم فنمت فاذا أنا برجل لم أر أحسن منه وجها ولا أنظف منه ثيابا ولا أطيب منه رائحة وهو يرفع قدما ويضع قدما حتى دنا من والدي ثم كشف الازار عن وجهه ومر بيده عليه فعاد أبيض يلوح منه نور ثم ولى راجعا فتعلقت بثوبه وقلت من أنت الذي من الله على والدي بك في هذه

نهرهم وزادهم على ما سألوه فأقام أولئك القوم في طاعة الله ظاهرا وباطنا حتى مضوا وانقرضوا فحدث من بعدهم من نسلهم قوم أطاعوا الله في الظاهر ونافقوا في الباطن وأملى الله تعالى لهم وكان عليهم قادرا وكانت معاصيهم أكثر من طاعتهم وخالفوا أولياء الله فبعث الله عليهم من فارقهم وخالفهم فأسرع فيهم القتل وبقيت منهم شرذمة فسلط الله عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحد وبقي نهرهم ومنازلهم وما فيها مائتي عام لا يسكنها أحد ثم أتى الله بقوم بعد ذلك فنزلوها وكانوا صالحين فأقاموا فيها ستين سنة ثم أحدثوا فاحشة فجعل الرجل يدعو ابنته وأخته وزوجته فيبيت معها جاره وأخاه أو صديقه يلتمس بذلك البر والصلة ثم ارتفعوا من ذلك الى نوع آخر ترك الرجال النساء حتى شبقن واستغنى الرجال بالرجال فجاءت للنساء شيطانة في صورة امرأة وهي الدلهان بنت ابليس وهي أخت الشيطان وكانا في بيضة واحدة فشهت للنساء ركوب بعضهن بعضا وعلمتهن كيف يصنعن فأصل ركوب النساء بعضهن بعضا من الدلهان فسلط الله تعالى على هؤلاء القوم صاعقة في أول ليلهم وخسفا في آخره وصيحة مع الشمس فلم يبق منهم باقية وبادت منازلهم ولا أحسب منازلهم اليوم مسكونة (وروى) علي بن الحسين زين العابدين عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم ان رجلا من أشراف بني تميم يقال له عمرو أتاه فقال يا أمير المؤمنين اخبرني عن أصحاب الرس وفي أي عصر كانوا وأين كانت منازلهم ومن كان ملكهم وهل بعث الله اليهم رسولا أم لا وبماذا أهلكوا فاني أجد في كتاب الله عز وجل ذكرهم ولا أجد خبرهم فقال له أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لقد سألتني عن حديث ما سألني عنه أحد قبلك ولا يحدثك به أحد بعدي كان من قصتهم يا أخا تميم انهم كانوا قوما يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاه درخت وكان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها دوسان كانت انبعثت لنوح عليه السلام بعد الطوفان وانما سموا أصحاب الرس لانهم رسوا نبيهم في الارض وذلك قبل سليمان بن داود عليهما السلام وكان لهم اثنتا عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق وبهم سمي ذلك النهر ولم يكن يومئذ في الارض نهر أغزر منه ولا أعذب منه ولا قرى أكثر سكانا وعمرانا منها وكان أعظم منازلهم اسفنديار وهي التي كان ينزلها ملكهم وكان يسمى تركوذ بن عابور بن يافش بن سارب بن النمروذ بن كنعان فرعون ابراهيم عليه السلام وفيها العين التي يسقون منها الصنوبرة التي كانوا يعبدونها وقد غرسوا في كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة فنبتت تلك الحبة وتصير شجرة عظيمة ثم حرموا ماء تلك العين والانهار فلا يشربون منها الا هم ولا أنعامهم ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هي حياة آلهتنا فلا ينبغي لاحد أن ينقص من حياتها ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم وقد جعلوا في كل شهر من السنة في كل قرية عيدا يجتمع اليه أهلها ويضربون على تلك الشجرة مظلة من الحرير فيها أصناف الصور ثم يأتون بشياه وبقر فيذبحونها قربانا للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب الكثير فاذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها وبخارها في الهواء وحال بينهم وبين النظر للسماء خروا سجدا للشجرة يبكون ويتضرعون اليها أن ترضى عنهم وكان الشيطان يجيء فيحرك أغصانها ويصيح في ساقها صياح الصبي عبادي قد رضيت عنكم فطيبوا نفسا وقروا عينا فيرفعون عند ذلك رؤسهم ويشربون الخمر ويضربون المعازف فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون حتى اذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع اليه صغيرهم وكبيرهم فيضربون عند شجرة الصنوبر والعين سرادقا من ديباج وعليه أنواع الصور له اثنا عشر بابا كل باب لاهل قرية منهم فيسجدون للصنوبرة من خارج السرادق ويقربون اليها الذبائح أضعاف ما قربوا للشجرة التي في قراهم فيجيء ابليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكا شديدا ويتكلم من جوفها كلاما جهوريا ويعدهم ويمنيهم بأكثر مما وعدتهم الشياطين جميعا فيرفعون رؤسهم من السجود وبهم من الفرح والسرور ما لا يفيقون ولا يتكلمون معه فيدعون بالشرب والمعازف ويكونون على ذلك اثني عشر يوما وليلة بعدد أعيادهم في السنة ثم انهم ينصرفون فلما طال كفرهم بالله تعالى وعبادتهم غيره بعث الله اليهم نبيا من بني اسرائيل من ولد يهوذا بن يعقوب فلبث فيهم

السرية قال فتبسم وقال أنا محمد رسول الله صاحب القرآن كان والدك مسرفا على نفسه وكان يكثر الصلاة علي فلما نزل به ما نزل استغاث بي فأغثته وأنا غياث من أكثر الصلاة علي فانتبهت فرأيت وجه أبي أبيض يلوح منه نور ساطع (اخواني) أكثروا من الصلاة على هذا النبي الكريم فان الصلاة عليه تكفر الذنب العظيم وتهدي الى صراط مستقيم وتق... من عذا...م ويحظى بالجنة دار النعيم (وعن عبد الرحمن بن جعفر رحمه الله تعالى) أنه قال كنت بالبصرة أصلي الخمس في مسجد بجواري وكان ذلك المسجد يعرف بالخشابين وكان فيه امام مغربي يدعى بأبي سعيد وكان رجلا مشهورا بالخير والصلاح وكان يتكلم في المسجد بعد صلاة الصبح بكلام لا يفهمه أحد فخرجت في بعض السنين حاجا الى بيت الله الحرام وكانت سنة شديدة الحر فكنت أسبق الركب وأنام حتى يلحقني رفاقي فنمت ليلة من الليالي على عادتي وكنت عادلا عن الطريق فسار الركب ولم يشعر بي رفاقي فصرت نائما حتى طلعت الشمس وانتبهت وأنا لا أدري كيف الطريق ثم ...طرق ال...

زمانا طويلا يدعوهم الى الله تعالى ويعرفهم بربوبيته فلا يتبعونه ولا يسمعون مقالته فلما رأى شدة ماهم فيه من الغي والضلالة وتركهم قبول ما دعاهم اليه من الرشد والصلاح حضر عند قريتهم العظمى وقال يارب ان عبادك أبوا تصديقي ودعوتي اليهم وما أرادوا الا تكذيبي والكفر بك ثم غدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر فأيبس شجرهم أجمع وأرهم قدرتك وسلطانك فأصبح القوم وقد يبس شجرهم كله فهالهم ذلك وخضعوا وافترقوا فرقتين فرقة قالوا سحر هذا الرجل الذي زعم انه رسول رب السماء آلهتكم ليصرف وجوهكم عنها الى الهه وفرقة قالت بل غضبت عليكم آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها ويقع فيها ويدعوكم الى عبادة غيرها فحجبت حسنها وبهاءها وجمالها لكي تغضبوا لها فتنتصروا منه فأجمعوا أمرهم على قتله فاتخذوا أمثال بيت واتخذوا أنابيب طوالا من رصاص واسعة الافواه ثم انهم أرسلوها الى قرار العين واحدة فوق الاخرى مثل البرابخ ونزحوا ما فيها من الماء ثم حفروا في قعرها بئرا ضيقة العين عميقة فرسوا فيها نبيهم وألقوا على فيها صخرة عظيمة ثم أخرجوا الانابيب من الماء وقالوا الآن نرجو أن ترضى عنا آلهتنا اذا رأت انا قتلنا من كان يقع فيها ويصد عن عبادتها وادفناه تحت كبيرها يشتفي فيه فيعود لها نورها ونضرتها كما كان فمكثوا على ذلك عامة يومهم يسمعون أنين نبيهم وهو يقول سيدي ومولاي ترى ضيق مكاني وشدة كربي فارحم ضعف ركني وقلة حيلتي وعجل قبض روحي ولا تؤخر اجابة دعوتي حتى مات عليه السلام فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام انظر عبادي هؤلاء الذين غرهم حلمي وأمنوا مكري وعبدوا غيري وقتلوا رسلي وأنا المنتقم ممن عصاني ولم يخش عقابي واني حلفت بعزتي لأجعلنهم عبرة ونكالا للعالمين فبينما هم في عيدهم اذ غشيتهم ريح عاصف حمراء فتحيروا فيها ودعروا منها وتضام بعضهم الى بعض ثم ان الارض صارت من تحتهم كحجر كبريت تتوقد وأظلتهم سحابة سوداء فألقت عليهم جمرا كالقبة يلتهب فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار فنعوذ بالله من غضبه ودرك نقمته انه هو السميع العليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والله أعلم

((مجلس في ذكر قصة نبي الله أيوب وبلائه عليه السلام))

قال الله تعالى واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه الآية وقال تعالى وأيوب اذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين (قال) وهب وكعب وغيرهما من أهل الكتب كان أيوب رجلا من الروم وكان رجلا طويلا عظيم الرأس جعد الشعر حسن العينين والخلق قصير العنق غليظ الساقين والساعدين وكان مكتوبا على جبهته المبتلى الصابر وهو أيوب بن أموص بن تارح بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا وكان له البثنية من أرض الشام كلها سهلها وجبلها وما كان فيها وكان له من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكثرة وكان له بها خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل آلة كل فدان أتان ولكل أتان ولد من الاثنين الى فوق الخمسة وكان الله أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان امرأ تقيا رحيما بالمساكين يكفل الارامل والايتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله تعالى مؤديا لحقه قد امتنع من عدو الله ابليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل والسهو عن أمر الله تعالى بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه وعرفوا فضله رجل من أهل اليمن يقال له اليفن ورجلان من أهل بلاده يقال لاحدهما الشولاء بخرطاقور وكانوا كهولا (قال وهب) ان لجبريل عليه السلام بين يدي الله مقاما ليس لاحد من الملائكة مثله في القربة والفضيلة وان جبريل هو الذي يتلقى الكلام واذا ذكر الله تعالى عبدا بخير تلقاه جبريل ثم ميكائيل ثم من حوله من الملائكة المقربين والحافين من حول العرش واذا شاع

وقلت الهي وسيدي الى ههنا خلقتني وعن بيتك قطعتني فما يضرك لو وصلتني ثم مرت حتى عييت من المسير وقوي علي حر الهجير فأيست من الحياة وانطرحت على كثيب من رمل انتظر الموت فبينما أنا كذلك اذا شخص ينادي باسمي فقمت ونظرت فاذا هو الشيخ أبو سعيد قال فسلمت عليه فرد علي السلام ثم ناولني رغيفا مضافا كلته فاشتد رمقي ثم ناولني ركوة فيها ماء أحلى من الشهد وأبرد من الثلج وأبيض من اللبن فشربت منها وغسلت وجهي فعادت روحي ثم قال امش يا عبد الرحمن ففرحت بذلك فقال امكث ههنا فالركب يأتيك بعد ثلاثة أيام ثم ناولني رغيفا ومضى فكنت كلما أكلت من ذلك الرغيف لقمة شبعت فأقام الرغيف عندي ثلاثة أيام الى أن جاء الركب واجتمعت برفاقي فلما وقفنا بعرفة رأيت الشيخ وهو واقف عند الصخرات مشغول بالدعاء فلما فرغ سلمت عليه فرد علي السلام وقال ألك حاجة يا عبد الرحمن فقلت يا سيدي أريد دعاك فدعا لي ثم ترا من الجبل ولم أره بعد ذلك فلما قضيت الحج وسرت الى البصرة أتيت الى مسجده لا أراه فلما [illegible]

ذلك فى الملائكة المقربين صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات فاذا صلت عليه ملائكة
السموات هبط عليه بالصلاة الى ملائكة الارض وكان ابليس لا يحجب عن شئ من السموات وكان يقف
فيهن حيثما أراد ومن هنالك وصل الى آدم حين أخرجه من الجنة فلم يزل على ذلك يصعد الى السماء حتى رفع
الله تعالى عيسى عليه السلام فحجب عن أربع وكان يصعد فى ثلاث فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
حجب عن الثلاثة الباقية فهو وجنوده محجوب عن جميع السموات الى يوم القيامة الا من استرق السمع فأتبعه
شهاب مبين قال فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فادركه
البغى والحسد وصعد سريعا حتى صعد فى السماء موقفا كان يقفه فقال يا الهى نظرت فى أمر عبدك أيوب
فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تختبره لا بشدة ولا ببلاء وانا لك زعيم لئن ضربته
ببلاء ليكفرن بك ولينسينك فقال الله تعالى انطلق اليه فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله حتى بلغ
الارض ثم جمع عفاريت الشياطين وعظماءهم فقال لهم ماذا عندكم من القوة والمعرفة فانى قد سلطت على
مال أيوب وزوال المال هى المصيبة الفادحة والفتنة التى لا تصبر عليها الرجال فقال عفريت من
الشياطين أعطيت من القوة ما لو شئت تحولت اعصارا من نار فأحرقت كل شئ آتى عليه فقال له ابليس
فأت الابل فأحرقها ورعاتها فانطلق يؤم الابل وذلك حين وضعت رؤسها وثبتت فى مراعيها فما شعر الناس
حتى ثارت من تحت الارض اعصار من نار تنفخ فيه رياح السموم لا يدنو منها أحد الا احترق فلم يزل
يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل ابليس على قعود منها فى صفة راعيها ثم انطلق يؤم
أيوب حتى وجده قائما يصلى فقال له يا أيوب قال لبيك فقال هل تدرى ما الذى صنع ربك الذى اخترته
وعبدته بابلك ورعاتها فقال أيوب انها ماله أعارنيها وهو أولى بها ان شاء تركها وان شاء أخذها وقد تحققت
وطابت النفس انى ومالى للفناء والزوال فقال له ابليس فان ربك أرسل اليها نارا من السماء فاحترقت كلها
وبقى الناس مبهوتين وقفوا عليها يتعجبون منها فمنهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيأ وما كان الا فى غرور
ومنهم من يقول لو كان اله أيوب يقدر على أن يصنع شيأ لمنع وليه من حرق مواشيه ومنهم من يقول بل
هو الذى فعل ما فعل فشمت به عدوه وفجع به صديقه فقال أيوب الحمد لله الذى أعطانى وحيث شاء نزع منى
عريانا خرجت من بطن أمى وعريانا أعود الى التراب وعريانا أحشر الى ربى ليس ينبغى لك أن تفرح حين
أعارك الله وتجزع حين قبض عاريته فهو أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك
مع تلك الارواح وصيرك شهيدا مع الشهداء ولكنه علم فيك شرا فأخرك وخلصك من البلاء كما يخلص
الزوان من القمح الخالص فرجع ابليس الى أصحابه خائبا ذليلا وقال لهم ماذا عندكم من القوة انى لم أكلم
قلبه فقال عفريت من عظمائهم عندى من القوة ما لو شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح الا خرجت مهجة
نفسه فقال له ابليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق يؤم الغنم ورعاتها حتى اذا توسطها صاح صوتا فماتت منه الغنم
جميعا وماتت رعاتها ثم ان ابليس خرج متمثلا بقهرمان الرعاة حتى جاء الى أيوب وهو قائم يصلى فقال له مثل
قوله الاول ورد عليه أيوب مثل ما قال فى النوبة الاولى ثم ان ابليس رجع الى أصحابه فقال ماذا عندكم من
القوة فانى لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت من عظمائهم عندى من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفا
تنسف كل شئ تأتى عليه حتى لا يبقى منه شئ فقال له ابليس فأت الفدادين والحرث فانطلق يؤمهم حتى
قرب من الفدادين واستوى فى الحرث وأولادهم رتوع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف فنسفت كل شئ من
ذلك حتى كأنه لم يكن ثم ان ابليس خرج متمثلا بقهرمان الحرث حتى جاء الى أيوب وهو قائم يصلى فقال له مثل
قوله الاول فأجابه أيوب بمثل جوابه الاول فجعل ابليس يصيب ماله الاول فالاول حتى أتى على آخره (قال)
وأيوب كلما انتهى اليه هلاك مال من ماله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضى بالقضاء ووطن نفسه بالصبر
على البلاء حتى ما بقى له مال فلما رأى ابليس أنه قد أفنى ماله ولم يدر منه شيأ ولا نجح فى شئ من أمره ...
عليه ذلك وصعد سريعا ووقف الموقف الذى كان يقفه وقال الهى ان أيوب يرى انك مهما متعته بنفسه ...

وصافحنى وعصر على
يدى ففهمت منه أن
أكتم سرك قال فلما أقمت
الصلاة وفرغنا سألت
المؤذن عن غيبة الشيخ فى
أيام الحج عن المسجد
فحلف المؤذن ان الشيخ أبا
سعيد لم يكن قطع الصلوات
الخمس فى المسجد أبدا ولا
ساعة واحدة قال عبد
الرحمن فعلمت انه من
الخواص الابدال السادة
الرجال أعاد الله علينا من
بركاتهم وصالح دعواتهم
فى الدنيا والآخرة آمين
﴿وعن عبد الصمد البغدادى
رضى الله تعالى عنه﴾ انه
قال كنت أتجر من بغداد
الى بلاد اليمن وأحج فى كل
سنة فبينما أنا فى بعض
السنين فى الطريق بين منى
وعرفة اذ رأيت شابا حسن
الشباب نقى الاثواب كان
على وجهه قنديلا من نور
وهو راقد على الرمل وتحت
رأسه حجر وهو يعالج
سكرات الموت قال فتقدمت
اليه وسلمت عليه فرد على
السلام فقلت ألك حاجة
أيها الشاب فقال نعم تقيم
عندى ساعة حتى أقضى
نحبى وألحق بربى فقلت
ما الذى تريد قال اذا أنا مت
فوارنى فى التراب وخذ
هذه المصحفة وروح الى
صنعاء اليمن واسأل عن
الدرب الفلانى وقل لاهلى
... ثم ... السلام
ثم ... عن الكلام ساعة
...

وولده فأنت معطيه المال فهل أنت مسلطي على ولده فإنها الفتنة المضلة والمصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال ولا يقوى عليها صبرهم فقال الله تعالى له انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى جاء بني نبي الله أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزله حتى تداعى القصر من قواعده ثم جعل يناطح بجدره بعضها بعضا فرماهم بالخشب والجندل حتى مثل بهم كل مثلة ثم رفع بهم القصر وقلبه فصار وأمسكين ثم ان ابليس انطلق الى أيوب متمثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الرأس والوجه يسيل دمه من دماغه فأخبره بذلك وقال له يا أيوب لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف قلب بهم القصر وكيف نكسوا على رؤسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم من أنوفهم وشفاههم ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ويردد حتى رق أيوب عليه السلام وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه فاغتنم ابليس الفرصة منه لذلك فصعد سريعا بالذي كان من جزع أيوب مسرورا ثم لم يلبث أيوب أن ابصر فاستغفر وشكر فصعد قرناؤه من الملائكة باستغفاره وتوبته فبدروا ابليس وسبقوه الى الله والله أعلم بما كان فوقف ابليس خاسئا ذليلا فقال يا الهي انما هون على أيوب خطر المال والولد انه يرى انك مهما متعته بنفسه فأنت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطي على نفسه وبدنه فاني لك زعيم انني ابتليته في جسده لينسينك وليكفرن بك وليجحدن نعمتك فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على جميع جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه ولا على عقله وكان والله أعلم به انه لم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله سريعا فوجد أيوب ساجدا فقبل أن يرفع رأسه أتاه من قبل الارض في موضع وجهه ونفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده فذهل وخرج به من فرقه الى قدمه ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها ولا يتماسك عن حكها فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى نزل لحمه وتقطع وتغير وأنتن فأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا فرفضه خلق الله كلهم غير امرأته رحمة بنت افرايم بن يوسف ابن يعقوب عليهم السلام وكانت تختلف اليه بما يصلحه وتكرمه فلما رأى أصحابه الثلاثة ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلقوا اليه وهو في بلائه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب الى الله من الذنب الذي عوقبت به (قال) وكان حضر معهم فتى حديث السن وكان قد آمن به وصدقه فقال انكم تكلمتم أيها الكهول وكنتم أحق بالكلام لاسنانكم ولكنكم قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الامر أجمل من الذي أتيتم وقد كان لأيوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم ألم تعلموا أن أيوب نبي الله وحبيبه وخيرته وصفوته من أهل الارض في يومكم هذا ثم انكم لم تعلموا ولا أطلعكم الله تعالى على انه سخط شيأ من أمره منذ آتاه ما آتاه الى يومكم هذا ولا علمتم انه نزع منه شيأ من الكرامة التي أكرمه الله بها ولا ان أيوب غير الحق في طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يبتلي النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ثم ان بلاءهم ليس دليلا على سخطه عليهم ولا هوانهم عليه ولكنه كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس هو من الله بهذه المنزلة الا انكم آخيتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحكيم أن يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكي معه ويستغفر الله له ويحزن لحزنه ويدله على رشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها الكهول فقد كان لكم في عظم الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا ان لله عبادا أسكتتهم خشيته من غير عي ولا بكم وانهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الالباء العالمون بالله وآياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت

ثم أتى بقلبه فقرأ هذه الآية هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ثم شهق شهقة فارق الدنيا رحمه الله تعالى عليه قال عبد الصمد فغسلته وكفنته ووجهه يضيء نورا ثم صليت عليه في جماعة ثم دفناه وأخذت المضدة معي فلما وصلت الى صنعاء اليمن سألت عن الدرب فأرشدت اليه فخرجت الى عجوز وبنات فدفعت اليهن تلك الوديعة فلما رأوها جدوا في البكاء والنحيب ثم خرت العجوز مغشيا عليها فلما أفاقت قالت أين صاحب هذه المضدة فأخبرتها بخبره فقالت هو والله ولدي عثمان وهؤلاء اخوته ترك أهله وحشمه وخدمه وزهد في الدنيا وخرج سائحا على وجهه لا ندري أين ذهب جزاك الله عن ولدي خيرا الهي ان كنت لا ترحم الا المجتهدين فللمقصرين وان كنت لا تقبل الا المخلصين فمن للمسيئين وان كنت لا تقبل الا الطائعين فمن للعاصين وان كنت لا ترحم الا المحسنين فمن للخاطئين أنت أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين

(وعن أبي الاشهل السائح رحمه الله تعالى ونفعنا به) قال رأيت غلاما بطريق مكة وهو قائم يصلي عند سوس الاديان قد ... [illegible]

ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاماً لله تعالى واعزازاً واجلالاً فاذا استفاقوا استبقوا الى الله تعالى بالأعمال الزاكية الصالحة يعدون أنفسهم مع الخاطئين الظالمين وانهم براء ويعدون أنفسهم مع المفرطين المقصرين وانهم لأكياس أقوياء ولكنهم لا يستكثرون لله الكثير ولا يرضون له بالقليل ولا يدلون عليه بالأعمال فهم مروعون مفزعون خاشعون مستكينون فقال أيوب ان الله تعالى يزرع الحكمة بالرحمة فى قلب المؤمن الكبير والصغير فتى نبتت فى القلب أظهرها الله تعالى على اللسان وليس تكون الحكمة من قبل السن والشيب ولا طول التجربة فاذا جعل الله العبد حكيماً فى الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله تعالى عليه نور الكرامة ثم ان أيوب أقبل على الثلاثة وقال أتيتمونى غضاباً رهبتم قبل أن تسترهبوا وبكيتم قبل أن تضربوا كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عنى بأموالكم لعل الله يخلصنى وقربوا عنى قرباناً لعل الله يتقبلها ويرضى عنى وانكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم انكم قد عوفيتم باحسانكم فهنيئاً لكم بغيتم وتعززتم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوباً سترها الله عليكم بالعافية التى ألبسكم اياها وقد كنت فيما خلا الرجال توقرنى وأنا مسموع كلامى معروف حقى منتصف من خصمى فأصبحت اليوم وليس لى رأى ولا كلام معكم فأنتم اليوم أشد على من مصيبتى ثم انه أعرض عنهم وأقبل على ربه مستغيثاً متضرعاً اليه فقال رب لأى شئ خلقتنى ليتنى اذ كرهتنى ما خلقتنى يا ليتنى كنت حيضة ألقتنى أمى أو ليتنى قد عرفت الذنب الذى أذنبت والعمل الذى عملت فصرفت وجهك الكريم عنى لو كنت أمتنى وألحقتنى بآبائى فالموت كان أجمل لى يا الهى ألم أكن للغريب داراً وللمسكين قراراً ولليتيم ولياً وللأرملة قيماً الهى أنا عبد ذليل ان أحسنت فالمنة لك وان أسأت فبيدك عقوبتى جعلتنى للبلاء غرضاً وللفتنة نصباً لقد وقع على بلاء لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفى الهى تقطعت أصابعى وانى لأرفع الأكلة من الطعام بيدى جميعاً فما يبلغان فى الأعلى الجهد منى الهى تساقطت لهواتى ولحم رأسى فما بين أذنى من سداد بل احداهما ترى من الأخرى وان دماغى ليسيل من فى الهى تساقط شعر عينى فكأنما أحرق بالنار وجهى وحدقتاى متدليتان على خدى وورم لسانى حتى ملأ فى فما أدخل فيه طعاماً الا غصنى وورمت شفتاى حتى غطت العليا أنفى والسفلى ذقنى وتقطعت امعائى فى بطنى وانى لأدخل الطعام فيخرج كما دخل ما أحسه ولا ينفعنى وذهبت قوة رجلى فكأنما قد يبستا ولا أطيق حملهما وذهب المال فصرت أسأل بكفى ويطعمنى من كنت أعوله اللقمة الواحدة فيمن بها على ويعيرنى الهى هلك أولادى ولو بقى واحد منهم أعاننى على بلائى ونفعنى قد ملنى أهلى وعقنى أرحامى وتنكرت لى معارفى ورغب عنى صديقى وقطعنى أصحابى وجحدت حقوقى ونسيت صنائعى أصرخ فلا يصرخوننى واعتذر فلا يعذروننى دعوت غلامى فلم يجبنى وتضرعت لأمتى فلم ترحمنى وان قضاءك هو الذى أذلنى وأدنانى وأهاننى وأقامنى وان سلطانك هو الذى أسقمنى وأنحل جسمى ولو أن ربى نزع الهيبة التى فى صدرى فأطلق لسانى لأتكلم بملء فى ولو كان ينبغى للعبد أن يحاج عن نفسه لرجوت أن يعافينى عند ذلك مما بى ولكنه ألقانى وتخلى عنى فهو يرانى ولا أراه ويسمعنى ولا أسمعه ولا نظر الى فرحمنى ولا دنا منى ولا أدنانى فأتكلم ببراءتى وأخاصم عن نفسى فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظلته غمامة حتى ظن أصحابه انه عذاب ثم نودى يا أيوب ان الله تعالى يقول لك ها أنا قد دنوت منك فلم أزل منك قريباً فقم فأدل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد عليك ازارك وقم مقام جبار فانه لا ينبغى أن يخاصمنى الا جبار مثلى ولا ينبغى أن يخاصمنى الا من يجعل الزمام فى فم الأسد والسخال فى فم العنقاء واللجم فى فم التنين ويكيل مكيالاً من النور ويزن مثقالاً من الريح ويصر صرة من الشمس ويرد أمس لقد منتك نفسك أمراً ما يبلغ بمثل قوتك ولو كنت اذ منتك نفسك ذلك ودعتك اليه تذكرت أى مرام رامت بك أردت أن تكابرنى بضعفك أم أردت أن تخاصمنى بعيك أم أردت أن تحاجنى بخطئك أين كنت منى يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها هل علمت بأى مقدار قدرتها

عن القافلة فوقفت أنظر اليه فأطال صلاته فلما سلم قلت له سلام عليك فقال وعليك السلام فقلت له انك قد انقطعت عن الركب ألك رفيق يؤنسك حتى تلحقه فبكى وقال نعم فقلت وأين هو فقال أمامى وخلفى وعن يمينى وعن شمالى فعلمت انه عارف فقلت له أمعك زاد فقال نعم فقلت وأين هو فقال فى قلبى اخلاصى لربى فقلت له فهل لك فى مرافقتى فقال الرفيق يشغل عن ذكر الله ولا أحب أحداً يشغلنى عن ذكر الله تعالى طرفة عين فقلت من أين تأكل فقال الذى غذانى فى ظلمة الأحشاء صغيراً يتكفل برزقى كبيراً فتى احتجت الى طعام حضر بين يدى فقلت له هل من حاجة فقال نعم اذا رأيتنى بعد هذا اليوم فلا تكلمنى فقلت بالله أسألك يا سيدى ان تدعو لى فقال حجبك الله عن كل معصية وشغلك عما يقربك اليه فقلت يا سيدى فأين اللقاء بعد ذلك اليوم فقال ما بقى لقاء بعد هذا اليوم فان كنت من أهل القرب فاطلبنى غداً فى منازل المقربين ثم غاب عن عينى فلم أره رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين

﴿وعن مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه﴾ انه قال كان لى جار مسرف على نفسه

أم كنت معي تمر بأطرافها أم تعلم ما بعد زواياها أم على أي شيء وضعت أكنافها أبطاعتك حمل الماء الأرض
أم بحكمتك كانت الأرض على الماء غطاء أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا بعلائق تمسكها
ولا تحملها دعائم من تحتها هل يبلغ من حكمتك أن تجري نورها أو تسير نجومها أم هل بأمرك يختلف ليلها
ونهارها أين كنت مني يوم سجرت البحار وأنبعت الأنهار أقدرتك حبست أمواج البحار على حدودها أم
قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال
هل لك أن تطيق حملها أم كنت تدري كم مثقال ما فيها أين الماء الذي أنزلته من السماء هل تدري كم بلدة
أهلكتها وكم من قطرة أصبتها وقسمت الأرزاق أم قدرتك تثير السحاب وتنشر الماء هل تدري ما أصوات
الرعد أم من أي شيء لهب البرق وهل رأيت عمق البحر أم هل تدري ما بعد الهواء أم هل تدري أين خزانة
النهار بالليل وأين طريق النور وبأي لغة تتكلم الأشجار أين خزانة الريح وأين جبال البرد أم هل تدري
من جعل العقول في أجواف الرجال ومن شق الأسماع والأبصار ومن ذلت الملائكة لملكه ومن قهر
الجبارين بجبروته وقسم أرزاق الدواب والعباد بحكمته ومن قسم للأسد أرزاقها وعرف الطير معاشها
وعطفها على أفراخها ومن أعتق الوحوش من الخدمة وجعل مساكنها البرية لا تأنس بالأصوات ولا
تهاب السلاطين أبحكمتك عطفت عليها أمهاتها حتى أخرجت لها طعاما من أجوافها وآثرتها بالعيش على
نفوسها أم بحكمتك يبصر العقاب الصيد البعيد وأصبح في أماكن القفار أين أنت يوم خلقت البهموت مكانه
في منقطع التراب والوتين يحملان الجبال والقرى والعمران أنيابهما كأنها شجر الصنوبر الطوال
ورؤسهما كأنها الجبال وعروق أفخاذهما كأنها عمد النحاس أنت ملأت جلودهما لحما أم أنت ملأت
رؤسهما دماغا هل لك في خلقهما من شرك أم لك بالقوة التي عملتهما يدان أم هل يبلغ من قوتك أن تضع
يدك على رؤسهما أم تقعد على طريق فتحبسهما أو تصدهما عن قوتهما أين أنت يوم خلقت التنين ورزقه
في البحر ومسكنه في السماء وعيناه تتوقدان نارا ومنخراه يثوران دخانا أذناه مثل قوس السحاب يثور
منهما لهب كأنه أعصار العجاج جوفه يحرق ونفسه يلتهب وزبده جمر كأمثال الصخور وكأن ضرب أسنانه
صوت الصواعق وكأن نظر عينيه لمع البرق تمر به الجيوش وهو متكئ لا يفزعه شيء ليس فيه مفصل زبر
الحديد عنده مثل التبن والنحاس عنده مثل الخيوط لا يفزع من النشاب ولا يخشى وقع الصخور على
جسده ويطير في الهواء كأنه عصفور ويهلك كل شيء يمر به هل أنت آخذه بأحبولتك وواضع اللجام في شدقه
هل تحصي عمره أم هل تعرف أجله أم تعرف رزقه أم هل تدري ماذا أخرب من الأرض وماذا يخرب فيما بقي
من عمره أم هل تطيق غضبه حين يغضب أم تأمره فيطيعك تبارك الله أحسن الخالقين فقال أيوب عليه
السلام قصرت عن هذا الأمر الذي ورد علي ليت الأرض انشقت لي فذهبت ولم أتكلم بشيء يسخط ربي
حين جمع علي البلاء الهي قد جعلتني لك مثل العدو وقد كنت تعرفني وتعرف نفعي وقد علمت أن كل الذي
ذكرت صنع يدك وتدبير حكمتك وأعظم من هذا الوقت علمت أن لا يعجزك شيء ولا تخفى عليك خافية ولا
تغيب عنك غائبة من هذا الذي يظن أن يسر عنك سرا وأنت تعلم ما يخطر على القلوب وقد علمت منك في
بلائي هذا ما لم أكن أعلم وخفت أن يكون أمرا كثيرا مما كنت أخاف إنما كنت أسمع بصوتك فأما الآن
فهو نظر العين إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرني وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت عن لساني ولن أعود
وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني وألصقت بالتراب خدي ودسست فيه وجهي لصغاري
وسكت حين أسكتتني خطيئتي فاغفر لي ما قلت فلن أعود لشيء تكرهه مني فقال الله تعالى يا أيوب نفذ فيك
حكمي وسبقت رحمتي غضبي إذ أخطأت فقد غفرت لك ما قلت ورحمتك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم
معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لأهل البلاء وعزاء للصابرين واركض برجلك هذا مغتسل بارد
وشراب فيه شفاء وقرب عن أصحابك قربانا واستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك فركض برجله فانفجرت له
عين فدخل فيها فاغتسل وأذهب الله عنه ما كان فيه من البلاء ثم انه خرج وجلس فأقبلت امرأته فقامت

فاجتمعت الجيران الى يشكونه فأحضرته وقلت له يا هذا قد كثر عصيانك فإما أن تتوب وإما أن تخرج من هذا المحل فقال انا في ملكي لا أخرج منه فقلت له نشكوك الى السلطان فقال أنا من أصحاب السلطان فقلت ندعو الله عليك فقال ربي أرحم منكم ثم نهض من عندي فلما كان الليل رفعت يدي الى السماء في وقت الاسحار وأردت أن أدعو عليه فهتف بي هاتف يا مالك لا تدع عليه فانه من أوليائنا فقال مالك فقمت من ساعتي وطرقت عليه الباب فخرج وظن اني جئت اليه لأخرجه من محله فخرج وهو يبكي ويعتذر ويقول يا سيدي السمع والطاعة أنا أخرج من المحل فقلت له لا بأس عليك ما جئتك لهذا وإنما جئت اليك لأخبرك بما كان مني اني رفعت يدي وأردت أن أدعو عليك فهتف بي هاتف يا مالك لا تدع عليه فانه من أوليائنا قال فبكى الرجل بكاء شديدا وتاب من وقته وساعته فأصبح الناس يزورونه ويتبركون به وكثر الازدحام عليه فخرج حاجا الى مكة في العام القابل فبينما أنا في المسجد الحرام وقت الظهر مستظل بحائط

تلتمسه فى مضجعه فلم تجده فقامت متكدرة كالوالهة فرتب به فقالت يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذى كان ههنا فقال لها وهل تعرفينه اذ رأيتيه فقالت نعم وكيف لا أعرفه فتبسم وقال ها أنا هو فعرفته لما ضحك فاعتنقته (قال) ابن عباس والذى نفسى بيده ما فارقته من عناقه حتى مر بهما كل ما كان لهما من المال والولد وذلك قوله تعالى وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر الآية واختلف العلماء فى وقت ندائه ومدة بلائه والسبب الذى قال لاجله مسنى الضر (حدثنا) الامام أبو الحسين محمد بن على بن سهل املاء فى شهر ربيع الاول سنة أربع وثمانين وثلثمائة أخبرنا أبو طالب عمر بن الربيع بن سليمان الخشاب بمصر أخبرنا يحيى بن أيوب العلاف أخبرنا سعيد بن أبى مريم أخبرنا نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نبى الله ايوب لبث فى بلائه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين من اخوانه كانا يغدوان اليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه وما أدراك قال منذ ثمانى عشرة سنة له فى البلاء لم يرحمه الله ويكشف ما به فلما راحا الى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك فقال أيوب ما أدرى ما تقولان غير أن الله تعالى يعلم انى كنت أمر بالرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فأرجع الى بيتى فأكفر عنهما كراهة أن يذكر الله تعالى الا فى حق قال وكان يخرج لحاجته فاذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها وذلك ان الله تعالى أوحى الى أيوب فى مكانه أن اركض برجلك الآية فاستبطأته فذهبت تنظر ما شأنه فأقبل عليها وقد أذهب الله تعالى عنه ما أصابه من البلاء وهو أحسن ما كان فلما رأته قالت له هل رأيت نبى الله المبتلى فقال انى أنا هو وكان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت احداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الاخرى فى أندر الشعير الورق حتى فاض (ويروى) ان الله تعالى أمطر عليه جرادا من ذهب فجعل يحثو منها فى ثوبه فناداه أيوب ألم أغنك عما ترى قال بلى يا رب ولكن لا غنى لى عن فضلك ورزقك ورحمتك ومن يشبع من نعمتك (وقال الحسن) كان أيوب عليه السلام مطروحا على كناسة فى مزبلة لبنى اسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف فيه الدواب وقال وهب لم يكن بأيوب أكلة وانما كان يخرج منه مثل ثدى النساء ثم يتفقأ قال الحسن ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا أحد يقربه غير رحمة امرأته صبرت معه تخدمه وتأتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمده وأيوب على ما به لا يفتر عن ذكر الله تعالى والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه الله فصرخ عدو الله ابليس صرخة جمع بها جنوده من أقطار الارض جزعا من صبر أيوب فلما اجتمعوا عليه قالوا له ما حاجتك قال لهم أعيانى هذا العبد سألت ربى أن يسلطنى على ماله وولده فلم أدع له مالا ولا ولدا فلم يزده ذلك الا صبرا وثناء على الله ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقى على كناسة لا يقربه الا امرأته وقد افتضحت من ربى فاستعنت بكم لتعينونى عليه فقالوا له أين مكرك أين علمك الذى أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله فى أيوب فأشيروا على قالوا نشير عليك بما أتيت به آدم حين أخرجته من الجنة من أين أتيته قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع أن يعصيها وليس أحد يقربه غيرها قال أصبتم فانطلق حتى أتى امرأته وهى تطلب الصدقة فتمثل لها فى صورة رجل فقال أين بعلك يا أمة الله فقالت هو ذاك يحك قروحه وتتردد الدواب فى جسده فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس لها وذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه اليوم من الضرر وان ذلك لا ينقطع عنه أبدا قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم أنها قد جزعت فأتاها بسخلة وقال لها ليذبح أيوب هذه لى ويبرأ فجاءت تصرخ وقالت يا أيوب الى متى يعذبك ربك ولا يرحمك أين المال أين الماشية أين الولد أين الصديق أين لونك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد وأين جسمك الحسن قد بلى وهو تتردد فيه الدود اذبح هذه السخلة واسترح فقال لها أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك فأجبته ويلك أرأيت ما تبكين عليه مما كنا فيه من المال والولد والصحة

واذا بجماعة قد اقبلت الى جانب المسجد وبينهم رجل ملقى على التراب فتأملته فاذا هو صاحبى وهو يعالج سكرات الموت قال مالك فجلست عند رأسه أبكى ففتح عينيه فرآنى ثم قال يا مالك أترى مولاى يعفو عن تلك الذنوب والسيآت ويرحم هذه العبرات فقد فارقت أهلى ووطنى وخرجت من ذلك المكان حياء منك وأنت مخلوق فكيف أقف غدا بين يدى الخالق جل وعلا ثم تنفس وشهق شهقة فمات رحمة الله تعالى عليه آمين ﴿وعن الجنيد رضى الله تعالى عنه﴾ أنه قال عزمت على الحج الى بيت الله الحرام فى بعض الاعوام فركبت ناقتى ووجهتها نحو الكعبة شرفها الله تعالى وعظمها فلوت عنقها وردته نحو القسطنطينية فرددتها مرارا وهى تعود فقلت فى نفسى لله فى ذلك سر خفى فأطلقتها وقلت الهى وسيدى ومولاى ليس لى حيلة ان كنت تريد أن تردنى عن بيتك فالامر اليك قال فجعلت الناقة تسير سيرا جدا حتى دخلت القسطنطينية فلما دخلت البلد رأيت الناس فى هرج ومرج فسألت عن الخبر فقال بعض الناس ان ابنة الملك قد ذهب عقلها وهم يلتمسون

من أنعم به علينا قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء قالت منذ سبع سنين قال ويلك والله ما عدلت ولا أنصفت ربك ألا صبرت في هذا البلاء الذي ابتلانا به ربنا ثمانين سنة كما كنا في الرخاء والله لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة كما أمرتيني أن أذبح لغير الله تعالى وطعامك وشرابك الذي تأتيني به على حرام لا أذوق مما تأتيني به شيئا بعد أن قلت هذا فاعزبي عني لا أراك فطردها فذهبت فلما رأى أيوب امرأته وقد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر لله ساجدا وقال رب مسني الضر ثم رد الامر الى ربه وسلم فقال وأنت أرحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك الآية فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل فلم يبق من دائه شئ ظاهر الا سقط أثره وأذهب الله منه كل ألم وداء وكل سقم وعاد اليه شبابه وجماله أحسن مما كان وأفضل مما مضى ثم انه ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسي حلة قال فجعل يلتفت يمينا وشمالا فلا يرى شيئا مما كان له من أهل وولد ومال الا وقد ضاعفه الله تعالى فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت أرأيت ان كان قد طردني الى من أكله أدعه حتى يموت جوعا وعطشا ويضيع فتأكله السباع فوالله لارجعن اليه فرجعت فلم تر الكناسة ولا الحال التي كانت تعهدها وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وأيوب ينظرها قال وهابت صاحب الحلة أن تأتيه فتسأله فأرسل اليها أيوب فدعاها وقال لها ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت أريد ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على هذه الكناسة لا أدري أضاع أم ماذا فعل به فقال أيوب عليه السلام ما كان منك فبكت وقالت بعلي فهل رأيته فقال وهل تعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على ثم انها جعلت تنظر اليه وهي تهابه وقالت أما انه كان أشبه خلق الله بك اذا كان صحيحا قال فأنا أيوب أمرتيني أن أذبح لابليس فاني أطعت الله وعصيت الشيطان فردها على مائتين (وقال كعب) كان أيوب في بلائه سبع سنين وقال وهب لبث في ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما واحدا فلما غلب أيوب ابليس لعنه الله ولم يستطع له على شئ اعترض امرأته على هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وجمال فقال لها أنت صاحبة أيوب المبتلى قالت نعم قال فهل تعرفينني قالت لا قال أنا اله الارض وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت وذلك انه عبد اله السماء وتركني وأغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليكما ما كان لكما من مال وولد فانهم عندي ثم أراها اياهم في بطن الوادي الذي لقيها فيه (قال وهب) وقد سمعت أنه قال لها لو أن صاحبك أكل طعاما لم يسم عليه لعوفي مما هو فيه من البلاء والله أعلم وأراد عدو الله أن يأتيه من قبلها ورأيت في بعض الكتب ان ابليس قال لرحمة وان شئت اسجدي لي سجدة واحدة حتى أرد عليك الاولاد والمال وأعافي زوجك فرجعت الى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراد فقال لقد أراد عدو الله أن يفتنك عن دينك ثم ان أيوب أقسم ان عافاه الله ليضربنها مائة جلدة فقال عند ذلك مسني الضر من طمع ابليس في سجود حرمتي له ودعائه اياها واياي الى الكفر قالوا ثم ان الله تعالى رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عنها وأراد أن يبر يمين أيوب فأمره أن يأخذ جماعة من الشجر مبلغ مائة قضيب خفافا لطافا فيضربها ضربة واحدة كما قال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث الآية وقد كانت امرأة أيوب تكتسب وتعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليها البلاء وسئمها الناس فلم يستعملها التمست يوما من الايام ما تطعمه فلم تجد شيئا فجزت قرنا من رأسها فباعته برغيف وأتته به فقال لها أين قرنك فأخبرته فقال عند ذلك مسني الضر وقيل انما قال ذلك حين قصدت الدود قلبه ولسانه فخشي أن يعطله عن الذكر والفكر وقيل انما قال ذلك حين وقعت الدودة من فخذه فأخذها وردها الى موضعها وقال لها كلي فقد جعلني الله طعاما لك فعضته عضة زاد ألمه على جميع ما قاسى من عض الديدان وقال عبد الله بن عمر كان لايوب أخوان فأتياه فقاما من بعيد لا يقدران على الدنو منه من نتن ريحه فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم في أيوب خيرا ما ابتلاه بما نرى قال فما سمع أيوب شيئا كان أشد

عليه

يقتضي وتعجزني ليسيدا مرفقي عن يمينه في هذا العالم قال الجنيد فقلت لهم قد حضر الطبيب فقالوا أأنت تداويها فقلت لهم نعم ان شاء الله تعالى قال فأخذوا بيدي وأتوا بي الى الملك وأخبروه بما قلت فاشترط على شروطا فامتثلت واستعنت بالله ثم أدخلت مخدعا فسمعت خشخشة الحديد وقائلا يقول يا جنيد تجذبك الناقة الينا وأنت تجذبها نحو الكعبة قال الجنيد فطاش عقلي من ذلك الكلام ثم دخلت فرأيت جارية لم ير الراؤن أحسن منها وهي مقيدة بالحديد ومسلسلة فقلت لها ما هذه الحالة فقالت يا طبيب القلوب صف لي صفة أتخوج بها من الكروب قال الجنيد فقلت لها قولي لا اله الا الله محمد رسول الله فرفعت صوتها تقول لا اله الا الله محمد رسول الله فتساقطت الاغلال والسلاسل عنها فلما رأى أبوها ذلك قال ما أحسنك من طبيب أسألك بالله عليك أي تداوي بما داويت به ابنتي هذه قال الجنيد فقلت له قل لا اله الا الله محمد رسول الله فقالها وأسلم وحسن اسلامه ثم أتت أمها وأسلمت وأسلم كل من كان في البلد معهم قال الجنيد

عليه من تلك الكلمة وما جزع من شئ أصابه جزعه من تلك الكلمة فعند ذلك قال مسنى الضر ثم قال اللهم ان كنت تعلم انى لم أبت ليلة شبعانا قط وأنا أعلم بمكان جائع فصدقنى فصدقه وهما يسمعان ثم قال اللهم ان كنت تعلم انى لم أتخذ قميصا قط وأنا أعلم بمكان عريان فصدقنى فصدقه وهما يسمعان فخر لله ساجدا وقيل معناه مسنى الضر من شماتة الاعداء يدل عليه ما روى انه قيل له بعد ما عوفى ما كان أشد عليك فى بلائك فقال شماتة الاعداء وأنشد بعضهم فى معناه

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الحساد

ان المصائب تنقضى أيامها * وشماتة الاعداء بالمرصاد

(وقال الجنيد) فى هذه الآية عرفه فاقة السؤال ليمن عليه بكرم النوال وذلك قوله تعالى فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله الآية (واختلف العلماء) فى كيفية ذلك فقال قوم لما ابتلى الله أيوب فى الدنيا مثل له أهله فأما الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه فى الدنيا وانما وعد الله أيوب أن يؤتيه اياهم فى الآخرة وقال وهب كان له سبع بنات وثلاث بنين وقال آخرون بل ردهم الله تعالى اليه بأعيانهم وأعطاه أهله ومثلهم معهم وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وقتادة وكعب قالوا أحياهم الله تعالى وآتاه مثلهم وهذا القول أشبه بظاهر الآية (وذكر) ان عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة وانه أوصى عند موته الى ابنه حومل وان الله بعث بعده بشر بن أيوب نبيا وسماه ذا الكفل وأمره بالدعاء الى توحيده وانه كان مقيما بالشأم طول عمره حتى مات وكان مبلغ عمره خمسا وتسعين سنة وان بشرا أوصى الى ابنه عبدان وان الله تعالى بعث بعده شعيبا عليه السلام والله أعلم

((مجلس فى قصة ذى الكفل عليه السلام))

هذا المجلس يأتى بعد فى آخر الكتاب بعد قصة اليسع وما كتب ههنا زيادة فى المجلس المذكور (روى) الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث ان نبيا من الانبياء قال من يكفل لى أن يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب فقام شاب فقال أنا فقال له اجلس ثم انه أعاد مثل قوله الاول فقام ذلك الشاب فقال أنا فقال له اجلس ثم انه أعاد قوله ثالثا فقال الشاب أنا فقال له تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب قال نعم فمات ذلك النبى فجلس ذلك الشاب مكانه يقضى بين الناس فكان لا يغضب فجاءه الشيطان فى صورة انسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يفطر فضرب الباب ضربا شديدا فقال من هذا فقال رجل له حاجة فأرسل اليه رجلا فقال لا أرضى بهذا الرجل فأرسل معه آخر فقال لا أرضى فخرج اليه فأخذ بيده وانطلق معه حتى اذا كان فى السوق خلاه وذهب فسمى ذا الكفل وقال بعضهم ذو الكفل بشر بن أيوب الصابر بعثه الله بعد أبيه رسولا الى أرض الروم فآمنوا به وصدقوه واتبعوه ثم ان الله تعالى أمرهم بالجهاد فكعوا عن ذلك وضعفوا وقالوا يا بشر انا قوم نحب الحياة ونكره الممات ومع ذلك نكره أن نعصى الله تعالى ورسوله فلو سألت الله أن يطيل أعمارنا ولا يميتنا الا اذا شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه فقال لهم بشر لقد سألتمونى عظيما وكلفتمونى شططا ثم انه قام وصلى ودعا وقال الهى أمرتنى بتبليغ الرسالة فبلغتها وأمرتنى أن أجاهد أعداءك وأنت تعلم انى لا أملك الا نفسى وان قومى قد سألونى فى ذلك ما أنت أعلم به منى فلا تؤاخذنى بجريرة غيرى فانا أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك قال فأوحى الله تعالى اليه يا بشر انى سمعت مقالة قومك وانى قد أعطيتهم ما سألونى طولت أعمارهم فلا يموتون الا اذا شاؤا فكن كفيلا لهم منى بذلك فبلغهم بشر رسالة الله وأخبرهم بما أوحى الله اليه وتكفل لهم بذلك كما أمر الله تعالى فسمى ذا الكفل ثم انهم توالدوا وكثروا ونموا حتى ضاقت عليهم بلادهم وتنغصت معيشتهم وتأذوا بكثرتهم فسألوا بشرا أن يدعو الله أن يردهم الى آجالهم فأوحى الله تعالى الى بشر أما علم قومك ان اختيارى لهم خير من اختيارهم لانفسهم ثم ردهم الى أعمارهم فماتوا بآجالهم قال فلذلك كثرت الروم حتى يقال ان الدنيا خمسة أسداسها للروم

عزمت على التوجه فقالت الجارية لا تعجل يا سيدى بالخروج فانى سألت الله أن يتوفانى وأنت حاضر حتى تقف على غسلى وتصلى على ثم تشهدت وخرت ميتة فغسلناها ودفناها رحمة الله تعالى عليها ((وعن أبى بكر ابن الفضيل رضى الله تعالى عنه)) انه قال سألت بعض أصدقائى وكان أصله روميا عن سبب اسلامه فامتنع أن يحدثنى فما زلت أقسم عليه حتى حدثنى فقال نزل بنا عساكر المسلمين فحاصرونا سنة من السنين فخرجنا اليهم وقاتلناهم فقتلوا منا جماعة وقتلنا منهم جماعة وأسروا منا جماعة وأسرنا منهم جماعة كما هى عادة العساكر فى القتال فأسرت أنا واحدى من المسلمين عشرة رجال وكانت لى فى الروم المنزلة فسلمت العشرة الى غلمانى فقيدوهم وحملوهم على البغال حتى تركوهم عندى فى السجن فبينما أنا يوما من الايام جالس بقصرى اذ جاءنى بعض غلمانى وقال يا سيدى ان أحد الموكلين قد أخذ من أحد المأسورين مالا وتركه يصلى قال فلما سمعت ذلك أحضرت الموكل بهم وقلت له أخبرنى ما الذى أخذته من هذا الاسير حتى تركته يصلى فقال نعم يا سيدى انه فى كل وقت

وسموا روما لانهم نسبوا الى جدهم روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام قال وهب وكان بشر بن أيوب المسمى ذا الكفل مقيما بالشام حتى مات وكان عمره خمسا وتسعين سنة والله أعلم

((مجلس في ذكر قصة شعيب النبي عليه السلام))

قال الله تعالى والى مدين أخاهم شعيبا الآية اختلف العلماء في نسب شعيب فقال أهل التوراة هو شعيب بن صيفون بن عيفا بن ثابت بن مدين بن ابراهيم وقال محمد بن اسحق هو شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين ابن ابراهيم واسمه بالسريانية يثرون وأمه ميكيل ابنة لوط وكان شعيب عليه السلام أعمى فذلك قوله تعالى اخبارا عن قومه انا لنراك فينا ضعيفا أي ضريرا وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وان الله تعالى بعثه نبيا الى أهل مدين وهم أصحاب الايكة والايكة الشجر الملتف (وقال قتادة) بعثه الله تعالى الى أمتين أهل مدين وأصحاب الايكة قالوا وكان قوم شعيب أهل كفر بالله وبخس للناس وتطفيف في المكاييل والموازين وكان الله قد وسع لهم في الرزق وبسط لهم في العيش استدراجا منه لهم فقال لهم شعيب ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان الآية ونظيرها في الاعراف فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم الآية وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من قصد شعيبا ليؤمن به انه كذاب فلا يفتننك عن دينك وكانوا يتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم (قال السدى) وأبو روق كانوا عشارين (وقال) عبد الله بن زيد كانوا يقطعون الطريق (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بي خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب أحد الا شقته ولا شئ الا خرقته فقلت ما هذا يا جبريل فقال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون الآية وكان من قول شعيب وجواب قومه اياه ما ذكره الله تعالى في سورة الاعراف وسورة هود وسورة الشعراء (قال المفسرون) وكان مما نهاهم عنه شعيب وعذبوا لاجله قطع الدنانير وذلك قوله تعالى قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا الى قوله الحليم الرشيد أي السفيه الغاوي وهو على الضد كما يقال للحبشي أبو البيضاء وكقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم (قال ابن عباس) رضي الله عنهما كان شعيب كثير الصلاة فلما كثر فسادهم وقل صلاحهم دعا عليهم فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين فأجاب الله تعالى دعاءه فيهم فأهلكهم بالرجفة وهي الزلزلة عن الكلبي ويقال بالصيحة وبعذاب الظلة (قال) ابن عباس وغيره وهي ان الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم فارسل عليهم بردا وحرا شديدا فأخذ بأنفاسهم فدخلوا في أجواف البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء فأنضجهم الحر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فأظلتهم ووجدوا لها بردا وجاءت ريح طيبة فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم نارا ورجفت الارض بهم فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلى فصاروا رمادا وذلك قوله تعالى وأصبحوا في دارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها وقال تعالى فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم (قال ابن عباس) بلغني ان رجلا من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهم لما رأى الظلة فيها العذاب اقشعر جلده وقال

ياقوم ان شعيبا مرسل فذروا * عنكم شميرا وعمران بن شداد
اني أرى غيمة ياقوم قد طلعت * تدعو بصوت على صمانة الوادي
فانه لن يرى فيها ضحاء غد * الا الرقيم يمشي بين أنجاد

وشمير وعمران كاهنان لهم والرقيم كلب لهم قال أبو عبد الله البجلي أبو جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت أسماء ملوكهم وكان ملكهم يوم الظلة في زمن شعيب كلمن فقالت أخت كلمن تبكيه حين هلك

كلمن أهد ركني * هلكه وسط المحله
سيد القوم أتاه الـ * ـحتف نارا وسط ظله
جعلت نارا عليهم * دارهم كالمضمحله

قال الله تعالى الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين أي هم الهالكين في

ملاق بدفع الى دينارا وقبلت هل معه شئ من ذلك قال لا بأيدي ولكنه اذا فرغ من صلاته يضرب الارض بيده فيظهر له ذلك الدينار قال فتعجبت من ذلك وأحببت أن أعرف حقيقة هذا الرجل فلما كان من الغد أحضرت الموكل به وألبست ثيابه ووكلت نفسي بذلك فلما جاء وقت صلاة الصبح أومأ الى بأنه يريد الصلاة ويدفع الى الدينار على عادته فأشرت اليه وقلت له ما آخذ الا دينارين فقال نعم فأطلقته يصلي فلما فرغ من صلاته ضرب الارض بيده ودفع الى الدينارين فازددت تعجبا من ذلك فلما جاء وقت صلاة الظهر أومأ الى كالمرة الاولى فقلت له ما آخذ الا خمسة دنانير فقال نعم فلما فرغ من صلاته دفع الى الخمسة دنانير فلما جاء وقت صلاة العصر أشار الى كعادته فقلت له ما آخذ الا عشرة دنانير فقال نعم فلما فرغ من صلاته دفع الى العشرة دنانير فلما جاء وقت المغرب أشار الى فأشرت اليه لا آخذ الا خمسة عشر دينارا فقال نعم فلما فرغ دفع الى ذلك فلما جاء وقت العشاء الاخيرة أومأ الى فقلت له لا آخذ الا عشرين دينارا فقال نعم فصلى وأحسن صلاته ودفع الى العشرين دينارا

العذاب في الآخرة

﴿مجلس في ذكر رسول الله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام وهو يشتمل على أبواب﴾

﴿الباب الأول في ذكر نسب موسى عليه السلام﴾

قال الله تعالى واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام قال أهل العلم بأخبار الاولين وسير الماضين ولد ليعقوب لاوي وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة ثم ان لاوي نكح نابتة بنت ماري بن يشجب فولدت له عرسون ومردى وقاهث ثم ان قاهث بعد ان مضى له من عمره ست وأربعون سنة نكح فاهي بنت مسين بن بتويل ابن الياس فولدت له يصهر بن قاهث فنكح يصهر بن قاهث شميت بنت بتاديت بن بركيا بن يقشان بن ابراهيم فولدت له عمران وقد مضى له من عمره ستون سنة وكان عمر يصهر مائة وسبعا وأربعين سنة فنكح عمران ابن يصهر نحيب بنت شمويل بن بركيا بن يقشان بن ابراهيم فولدت له هرون وموسى واختلفوا في اسم امهما فقال ابن اسحق نحيب وقيل نابحه وقيل يوخابيل وهو المشهور وكان عمر عمران مائة وسبعا وثلاثين سنة وولد له موسى عليه السلام وقد مضى من عمره سبعون سنة والله أعلم

﴿الباب الثاني في ذكر مولد موسى عليه السلام﴾

(قال أهل التاريخ) لما مات الريان بن الوليد فرعون مصر الاول صاحب يوسف عليه السلام وهو الذي ولى يوسف خزائن أرضه وأسلم على يده فلما مات ملك بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف الثاني فدعاه يوسف الى الاسلام فأبى وكان جبارا وقبض الله يوسف في ملكه وطال ملكه ثم هلك وقام بالملك بعده أخوه أبو العباس بن الوليد بن مصعب بن الريان بن اراشة بن ثروان بن عمرو بن فاران بن عملاق بن لاوذ بن سام ابن نوح عليه السلام وكان أعتى من قابوس وأكبر وأفجر وامتدت أيام ملكه وأقام بنو اسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام وقد انتشروا وكثروا وهم تحت العمالقة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب واسحق وابراهيم شرعوا فيه من الاسلام متمسكون به حتى كان فرعون موسى الذي بعثه الله اليه وقد ذكرنا اسمه ونسبه ولم يكن فيهم فرعون أعتى على الله ولا أعظم قولا ولا أقسى قلبا ولا أطول عمرا في ملكه ولا أسوأ ملكا لبني اسرائيل منه وكان يعذبهم ويستعبدهم فجعلهم خدما وخولا وصنفهم في أعماله فصنف يبنون وصنف يحرثون وصنف يتولون الاعمال القذرة ومن لم يكن أهلا للعمل فعليه الجزية كما قال الله تعالى يسومونكم سوء العذاب وقد استنكح فرعون منهم امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم رضي الله عنها من خيار النساء المعدودات ويقال هي آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الاول فأسلمت على يد موسى قال مقاتل لم يسلم من أهل مصر الا ثلاثة آسية وحزقيل ومريم بنت ناموسا التي دلت موسى على قبر يوسف عليه السلام قالوا فعمر فرعون فيهم وهم تحت يده عمرا طويلا قال انه أربعمائة سنة يسومهم سوء العذاب فلما أراد الله تعالى أن يفرج عنهم بعث موسى عليه السلام وكان بدء ذلك على ما ذكره السدي عن رجاله أن فرعون رأى في منامه كان نارا قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فدعا فرعون الكهنة والسحرة والمعبرين والمنجمين فسألهم عن رؤياه فقالوا يولد في بني اسرائيل غلام يسلبك الملك ويغلبك على سلطانك ويخرجك وقومك من أرضك ويبدل دينك وقد أظلك زمانه الذي يولد فيه فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل فجمع القوابل من النساء من أهل مملكته وقال لهن لا يسقط على أيديكن غلام من بني اسرائيل الا قتلتنه ولا جارية الا تركتموها ووكل بهن وكلاء فكن يفعلن ذلك قال مجاهد لقد بلغني انه كان يأمر بالقصب فيشق حتى يجعل أمثال الشفار ثم يصف بعضه الى بعض ثم يؤتى بالحبالى من بني اسرائيل فيوقفن عليه فتحرج أقدامهن حتى ان المرأة منهن لتضع ولدها فيقع من بين رجليها فتظل تطؤه وتتقي به حد القصب عن رجليها لما بلغ من جهدها وكان يقتل الغلمان الذين في وقته ويقتل

وقال الطلب ماشئت فقال سيدي حتى كرامتي لا يضل علي علما انه قال فبت تلك الليلة متفكرا في أمره متحيرا في ما رأيته منه وقد داخلني منه هيبة وأمر عظيم وعلمت انه من أولياء الله تعالى فلما أصبحت دعوته للحضور عندي ثم أكرمته وفككت قيوده وألبسته ثوبا حسنا وعظمته وبجلته ثم قلت له يا سيدي هل لك في الاقامة عندنا في بلادنا وأنت في أعز مكان وأكرم محل ونكرمك غاية الاكرام أو الرجوع الى بلادك فاختار الرجوع الى بلاده فأحضرت له زادا وحملته بنفسي على بغل وانفذت معه من أصحابي وغلماني عشرة رجال وأوصيتهم بايصاله الى بلاده معظما مكرما وان لا يعترضه عارض ولا يؤذيه أحد ويمتثلوا جميع ما يأمرهم به ويفعلوا جميع ما يختاره ثم أحضرت دواة وقرطاسا وجعلت له علامة بيني وبينه وقلت له انه اذا وصل الى بلاده سالما يكتب تلك العلامة في القرطاس خوفا عليه في الطريق ثم ودعته وحملته بنفسي فقال لي نوالك الله على أحب الاديان اليه فوالله يا ابن الفضيل ما استتم كلامه حتى وقع في قلبي حب الاسلام قال وكان مسيرة بلده من بلادنا خمسة أيام ذهابا وخمسة أيام ايابا فلما

[illegible] أسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل ودخل
رؤس القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع في مشايخ بني اسرائيل وانت تذبح صغارهم فيوشك
ان يقع العمل علينا فأمر فرعون بذبح الولدان سنة وتركهم سنة فولد هرون في السنة
التي لا يذبح فيها الصبيان وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها (قال) فولدت هرون أمه علانية آمنة
فلما كان في العام الذي أمر فيه بقتل الولدان حملت بموسى فلما أرادت وضعه حزنت من شأنه واشتد
غمها فأوحى الله تعالى اليها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم الى قوله المرسلين فلما وضعته في
خفية أرضعته ثم انها اتخذت له تابوتا وجعلت مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه قال مقاتل وكان
الذي صنع التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون وقيل انه كان من بردي فلما صنعت أم موسى التابوت
وجعلت فيه قطنا محلوجا ووضعت فيه موسى وقيرت رأسه ثم ألقته في النيل فلما فعلت ذلك وتوارى عنها
أتاها الشيطان فوسوس اليها فقالت في نفسها ماذا صنعت بابني لو ذبح عندي لواريته وكفنته وكان
أحب الي من أن ألقيه بيدي في البحر وأدخله الى دواب البحر ثم عصمها الله تعالى وانطلق الماء بموسى يرفعه
الموج مرة ويخفضه مرة أخرى حتى أدخله بين الاشجار عند دار فرعون الى روضة هي مستقى جواري
فرعون وكان بالقرب منها نهر كبير في دار فرعون داخل في بستانه فخرجت جواري فرعون يغتسلن
ويستقين فوجدن التابوت فأخذنه وظنن ان فيه مالا فحملنه على حالته حتى أدخلنه الى آسية فلما فتحته
رأت الغلام فألقى الله تعالى عليها محبة منه فرحمته آسية وأحبته حبا شديدا فلما سمع الذباحون بأمره
أقبلوا على آسية بشفارهم ليذبحوا الصبي فقالت آسية للذباحين انصرفوا فان هذا لا يزيد في بني اسرائيل
فانا آتي فرعون وأستوهبه اياه فان وهبه لي كنتم قد أحسنتم وان أمركم بذبحه فلا ألومكم ثم انها أتت به
فرعون وقالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا فقال فرعون قرة عين لك أما أنا فلا حاجة لي فيه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله
تعالى به كما هدى به امرأته ولكن الله تعالى حرمه ذلك قال فأراد أن يذبحه وقال اني أخاف أن يكون هذا من
بني اسرائيل وأن يكون هذا الذي هلاكنا على يده وزوال ملكنا فلم تزل آسية تكلمه حتى وهبه لها
فلما أمنت آسية أرادت أن تسميه باسم اقتضاه حاله فسمته موسى لانه وجد بين الماء والشجر وهو بلغة
القبط مو الماء وشى الشجر فعرب فقيل موسى (أخبرنا) ابن فنجويه أخبرنا مخلد بن جعفر أخبرنا الحسن
ابن علويه أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا ابن بشير أخبرنا جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس
قال ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ووافق خيارهم أشرارهم ولم
يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم وساموهم سوء العذاب
فذبحوا أبناءهم قال وقال أبو الياس قال وهب بلغني أنه ذبح في طلب موسى سبعون ألف ولد قال اسحق
عن ابن عباس ان أم موسى لما قاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني
اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق أرسلت اليها أم موسى فقالت نزل بي ما نزل فلينفعني
حبك اياي فقالت لها نعم فعالجت قبالها فلما وقع موسى على الارض أضاءها نور بين عيني موسى فارتعش
كل مفصل منها ودخل حب موسى في قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت اليك حين دعوتني الا في رأي قتل
ولدك واخبار فرعون بذلك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شيء مثله فاحتفظي بابنك فاني
أراه هو عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاء الى بابها ليدخل على موسى فقالت
أخته يا أماه هذا الحرس بالباب فطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع به [illegible] على موسى فلفت موسى في خرقة
وألقته في التنور وهو مسجور وكان ذلك الهاما من الله تعالى لها لما أراد الله بعبده موسى فدخلوا فاذا التنور
مسجور وأم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا لها ما أدخل عليك هذه القابلة قالت هي مصافية لي
فدخلت علي زائرة فخرجوا من عندها ورجع اليها عقلها فقالت لأخت موسى أين الصبي قالت لا أدري

فسمعت

[illegible]
التي كانت بيني وبينه
سألتهم عن خبره فحدثتهم
فقالوا ما خبرنا من عندك
[illegible] وصلنا الى [illegible]
في ساعة واحدة من غير
تعب ولا نصب فلما رجعنا
سرنا في الطريق خمسة أيام
بالجهد والتعب والنصب
قلت عند سماع ذلك منهم
أشهد أن لا اله الا الله وأن
محمدا رسول الله وأن دين
الاسلام حق ثم خرجت من
بلاد الروم الى بلاد الاسلام
وصار أمري الى ما ترى
والحمد لله وحده (حكي
عن بعضهم عفا الله عنه)
أنه قال كان في زمن خلافة
معاوية بن أبي سفيان
رضي الله تعالى عنهما امرأة
علوية وكان لها ثلاثة بنات
فضاق الحال عليها واشتد بها
الفقر فبكت بناتها يوما من
الايام من ألم الجوع فقالت
المرأة لبناتها اصبرن حتى
أطلب لكن شيأ من عند
القاضي من بيت مال المسلمين
قال فصبرت بناتها عند سماع
ذلك منها الى الصباح ثم
مضت والدتهن الى بيت
القاضي فلما وصلت
استأذنت في الدخول
فدخلت وسلمت على القاضي
فرد عليها السلام ثم قال
ما حاجتك يا شريفة فقالت
له يا سيدي ان لي ثلاث بنات
وقد تركتهن بالجوع

[illegible]

(وقال ابن اسحق) بين أمر عن ... ومقاتل عن أصحابه عن ابن عباس قال لما حملت ام موسى ... فرعون فلما قالت الوالدة انها جاءت على ولدها فقذفته في اليم ... أن تحدثه تابوتا ثم تقذفه في اليم وهو النيل فانطلقت الى رجل نجار من أهل مصر من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال لها النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت ابن لي أخبئه في التابوت وكرهت أن تكذب قال ولم قالت أخشى عليه كيد فرعون قال فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بأمر ام موسى فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم ينطق فجعل يشير بيده فلم يدر الامناء ما يقول فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الامناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ الله تعالى بلسانه وبصره فلم ينطق الكلام ولم يبصر شيئا فضربوه وأخرجوه فوقع في واد يهوي فيه حيران فأشهد الله تعالى عليه ان رد له لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه يحفظه حيثما كان فعلم الله منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا وعلم ان ذلك من الله تعالى فآمن به وصدقه فانطلقت أم موسى به وألقته في البحر وذلك بعدما أرضعته ثلاثة أشهر وكان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات يرفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء من مصر والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا له أيها الملك انا لا نرى برأها الا من قبل البحر يؤخذ منه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه ويلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا في ساعة كذا وكذا حين تشرق الشمس فلما كان في يوم الاثنين غدا فرعون الى مجلس له كان على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون وجواريها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواريها يتلاعبن وينضحن الماء على وجوههن فبينما هن على ذلك اذ أقبل النيل بالتابوت تضرب به الامواج فقال فرعون ان هذا الشيء في البحر قد تعلق بالشجر ائتوني به فابتدروه من كل جانب بالسفن حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا فدنت منه آسية فرأت في جوف التابوت نورا لم يره غيرها للامر الذي أراد الله تعالى من اكرامها وهدايتها فعالجته ففتحت التابوت فاذا هي بصبي صغير في مهده والنور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في ابهامه يمص منها لبنا فألقى الله تعالى محبة موسى في قلبها وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون عليه فلما أخرجوه من التابوت عمدت بنت فرعون الى ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك انا نظن ان المولود الذي تحذر منه من بني اسرائيل هو هذا ارم به في البحر أو اقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته منه آسية فوهبه لها ثم انه قال سميه فقالت قد سميته موسى لانه وجد بين الماء والشجر قالوا ثم ان أم موسى قالت لاخته وكانت تسمى مريم قصيه أي ابتغي أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحي هو أم قد أهلكته دواب البحر ونسيت وعد الله فبصرت به عن جنب أي عن بعد وهم لا يشعرون انها أخته وكانت آسية قد أرسلت الى من حولها من كل أنثى بها لبن لتختار له ظئرا تربي موسى فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت آسية أن يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فأمرت به فأخرج الى السوق لتجتمع عليه الناس ترجو أن تصيب له ظئرا يقبلها ويأخذ ثديها ويرضع منها فلم يقبل ثدي امرأة فذلك قوله عز وجل وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت أخت موسى حين أعياهم أمره وأعيا الظؤرة هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فأخذوها وقالوا لها وما يدريك بنصحهم له ولعلك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ما أعرفهم وانما نصحهم له وشفقتهم عليه من أجل رغبتهم في ظؤرة الملك ورجاء منفعته فتركوها فانطلقت الى أمها فأخبرتها بالخبر فأتت فلما وضعته على ثديها في حجرها نزل اللبن من ثديها حتى ملأ جنبيه فانطلق البشير الى آسية يبشرها أن قد وجد لابنك ظئرا فأرسلت اليها

[illegible] ... بنت بنات السلطان قال فلما سمع القاضي كلامها قال لها عدا أعطيك شيئا قال فخرجت من عنده وجاءت الى البنات وهن يبكين من شدة الجوع فقالت لهن يا بناتي طيبن قلوبكن فقد أوعدنا القاضي بأنه في غد يتصدق علينا وان شاء الله تعالى غدا أرجع اليه كما قال وآتيكم بشيء من عنده قال فباتوا تلك الليلة مستبشرين فلما أصبح الصباح ذهبت والدتهن الى بيت القاضي فوجدته جالسا على باب داره فسلمت عليه فرد عليها السلام ثم قالت له يا سيدي كنت أوعدتني بالامس بشيء وقد جئتك طامعة في طلبه فلما سمع كلامها شتمها ونهرها وقال اذهبي عني فرجعت المرأة محرومة باكية وجاءت الى خرابة كانت مجاورة لبيتها فدخلت اليها وبكت بكاء شديدا وقالت الهي بأي وجه أرجع الى بناتي وبأي عين أنظر اليهن وبأي لسان أجيبهن وطال بكاؤها وزاد تضرعها وانتحابها قال وكان بالبلد نصراني يقال له سيدوك وكان ذا مال كثير وغلمان وكان قابله رفيقا للاسلام فمضى مارا بتلك الخرابة فسمع بكاء المرأة ونحيبها فطاش عقله وقال لبعض غلمانه ائتوني بمهده

فأتي بها فلما رأت ما صنع بها قالت لها امكثي عندي ترضعي ابني هذا فاني لم أر حبا مثل حبه قط فقالت لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع وان شئت أن تعطينيه فأذهب به الى بيتي وولدي فيكون معي ولا آلوه الا خيرا فعلت والا فاني غير تاركة بيتي وولدي وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت أن الله منجز وعده فرجعت بابنها الى بيتها من يومها وقيل كانت غيبة موسى عن أمه ثلاثة أيام ثم رده الله اليها وذلك قوله عز وجل فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن فلما جاءت أمه به الى بيتها كادت تقول هو ابني فعصمها الله عز وجل فذلك قوله تعالى ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وأنبته الله نباتا حسنا وحفظه فلما ترعرع قالت آسية لام موسى أحب أن تريني ابني فوعدتها يوما تريها اياه فيه فقالت آسية لخوازنها وقهارمتها لا يبقى منكن واحدة الا استقبلت ابني بهدية وكرامة واني باعثة بأمينة تحصي ما تصنع كل قهرمانة منكن فلم تزل الهدايا والتحف تستقبله من وقت أن خرج من بيت أمه الى أن دخل على امرأة فرعون فلما أن دخل عليها أكرمته وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه ثم قالت لها انطلقي به الى فرعون ليكرمه فلما دخلت به على فرعون أخذه ووضعه في حجره فتناول موسى لحية فرعون حتى جذبها ونتف منها بعض شعرات وكان فرعون طويل اللحية ويقال انه لطم وجهه (وفي بعض الروايات) أنه كان يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب صغير فضرب به على رأس فرعون فغضب غضبا شديدا وتطير منه وقال هذا عدوي المطلوب وأرسل الى الذباحين ليذبحوه فبلغ ذلك امرأة فرعون فجاءت تسعى الى فرعون وقالت له ما بدا لك في هذا الصبي الذي قد وهبته لي فأخبرها بما فعل موسى فقالت له انما هو صبي لا يعقل وانما صنع هذا من صباه وأنا أجعل فيما بيني وبينك أمرا تعرف به الحق وأضع له حليا من الذهب والياقوت وأضع له جمرا فان أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان أخذ الجمرة علمت انه صبي ثم انها وضعت له طشتا فيه الذهب والياقوت وطشتا آخر فيه الجمر فمد موسى يده على أنه يأخذ الجوهر ليقبض عليه فحول جبريل عليه السلام يده الى الجمر فقبض على جمرة ووضعها في فيه فجاءت على لسانه فأحرقته وذلك الذي قال في قوله تعالى واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فقالت له آسية ألا ترى الى فعله وانه صبي لا يعقل فكف عن قتله وصرف الله عنه ذلك السوء فلم يزل عزيزا مكرما في بيت فرعون وحببه الله اليه والى الناس كلهم حتى كان يحبه كل من يراه (ويروى) أنه سئل ابليس هل أحببت أحدا من العالمين قال لا الا موسى بن عمران عليه السلام فقيل له وكيف ذلك فقال لان الله تعالى قال وألقيت عليك محبة مني فلم أتمالك أن أحببته

﴿الباب الثالث في ذكر حلية موسى بن عمران وهرون عليهما السلام﴾

قال كعب الاحبار كان هرون بن عمران نبي الله رجلا فصيح اللسان بين الكلام اذا تكلم تكلم بتؤدة وعلم وكان أطول من موسى وكان على رأسه شامة وعلى طرف لسانه أيضا شامة سوداء وكان موسى بن عمران رجلا آدم اللون جعدا طويلا كأنه من رجال ازدشنوأة وكان بلسان موسى عقدة وثقل وسرعة وعجلة وكان أيضا على طرف لسانه شامة سوداء

﴿الباب الرابع في قصة قتله القبطي وخروجه من مصر ووروده مدين﴾

قال أهل التفسير لما بلغ موسى بن عمران أشده كان يركب مراكب فرعون ويلبس ما يلبس فرعون وكان يدعى موسى بن فرعون وامتنع به عن بني اسرائيل كثير من الظلم والسخر التي كانت فيهم ولا يعلم الناس ان ذلك الا من قبل الرضاعة قالوا وركب فرعون ذات يوم مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى في أثره وأدركه المقيل بأرض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد أغلقت أسواقها وليس في طرقها أحد وهي التي قال الله تعالى فيها ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فبينما هو يمشي في ناحية المدينة اذ هو برجلين يقتتلان أحدهما من بني اسرائيل والآخر من آل فرعون كما قال الله تعالى فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه الآية والذي من

[illegible]
النهار وهو ماشي في
بيدها فقال ما يبكيك أيتها
المرأة فقالت ان لي
ثلاث بنات وقد كربهن
الجوع وقصدت عليه قصدا
فقال [illegible] لعيالك
أعطوها ألف دينار وبدلة
من القماش قال فأعطوها
ذلك فأخذتهم المرأة ودعت
له بالاسلام وذهبت الى
بناتها واشترت لهن
من ألوان الطعام ودخلت
اليهن فأكلوا وشبعوا ثم
قالت اللهم ارزقه من
نعيم الجنة ثم فصلت
لبناتها من ألوان الثياب
قال فلما كان الليل رأى
القاضي في منامه كأن
القيامة قد قامت ثم أخذ
القاضي ومضى به الى الجنة
وجيء به الى قصر عالي البناء
وهو من ذهب أحمر
شراريفه من الدر الابيض
وفيه بين كل شرافتين
جارية من الحور العين
أشرق من الشمس وأبهى
من القمر فلما رأوه صاحوا
في وجهه وقالوا يا محروم كنا
لك كلنا وكان لك هذا القصر
وهذه الجنة عامرة من
النعيم المقيم والآن صرنا
لسيدك النصراني ثم
طردوا القاضي وأخرجوه
من الجنة وأروه مقامه في
النار قال فانتبه القاضي
فزعا مرعوبا وهو يقول
يا ويلتاه على ما فرط مني
ثم خرج من وقته مسرعا

شيعته فقال له الاسرائيلي والذي ... من القبط كان ... وكان قد
اشترى حطبا للمطبخ فسخر السامري ليحمله فأبى السامري فلما مر بموسى استغاثه الاسرائيلي على
القبطي فقال موسى للقبطي دعه فقال انما أخذته في عمل أبيك فأبى أن يخلي سبيله فغضب
موسى فبطش به وخلص السامري من يده فنازعه القبطي فوكزه موسى فقتله وهو لا يريد قتله فذلك
قوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه قال موسى هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم قال رب
اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم (وقال وهب) أوحى الله الى موسى بن عمران وعزتي
وجلالي لو كانت النفس التي قتلت أقرت لي طرفة عين أني اله خالق رازق لأذقتك طعم العذاب وانما
عفوت عنك لانها لم تقر لي ساعة واحدة أني اله خالق رازق قالوا ولم يعلم بقتل موسى القبطي أحد الا الله
تعالى والاسرائيلي فلما اصبح في المدينة خائفا يترقب الاخبار فأتوا فرعون وقالوا له ان بني اسرائيل
قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك فقال فرعون ائتوني بقاتله ومن يشهد
عليه لانه لا يستقيم أن يقضى بغير بينة ولا يثبت ملك على الاخذ بالظلم فاطلبوا ذلك فبينما هم يطوفون
لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه الاسرائيلي على
قتال الفرعوني فصادف موسى وهو نادم على ما كان منه بالامس فكره الذي رآه فغضب موسى فمد يده
وهو يريد أن يبطش بالفرعوني وقال للاسرائيلي انك لغوي مبين فنظر الاسرائيلي الى موسى وظن انه
يبطش به من أجل انه أغلظ عليه في الكلام وكان غضبان فلما أقبل ببصره ومد يده ظن انه يريد قتله
فقال له يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس الآية وانما قال ذلك مخافة من موسى وظن أن
يكون موسى أراده ولم يكن أراده وانما أراد الفرعوني فتتاركا وذهب الفرعوني فأخبرهم بما سمع من
الاسرائيلي وذكر ان موسى هو الذي قتل الرجل بالامس وهو المثل السائر العدو العاقل أحرى عليك
من الصديق الاحمق وينشد في معناه

ان اللبيب اذا تزايد بغضه * أحرى عليك من الصديق الاحمق

قال فلما أخبر فرعون بذلك أرسل الذباحين وأمرهم بقتل موسى وقال لهم اطلبوه فانه غلام لا يهتدي الى
الطريق فطلب موسى في ثنيات الطريق وكان موسى بذلك الطريق الاعظم فجاءه رجل من شيعته من
أقصى المدينة يقال له حزقيل وكان على بقية من دين ابراهيم وكان أول من صدق بموسى وآمن به
(ويروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن
آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالجنة وهو أفضلهم قال فجاء
حزقيل مؤمن آل فرعون فأخبر موسى بما أمر به فرعون من قتله واختصر طريقا قريبا حتى سبق
الذباحين اليه فأخبره الخبر فذلك قوله تعالى وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ
يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فتحير موسى ولم يدر أين يذهب فجاءه ملك على فرس بيده
عنزة فقال له اتبعني فاتبعه فهداه الطريق الى مدين (وروى) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج
موسى من مصر الى مدين وبينهما مسيرة ثمان ليال ويقال نحو من الكوفة الى البصرة فلم يكن له طعام
الا ورق الشجر فما وصل اليها الا وقد وقع خف قدمه وان خضرة البقل لترى من بطنه

﴿الباب الخامس في دخول موسى مدين وتزويج شعيب ابنته اياه﴾

قالت العلماء لما انتهى موسى الى أرض مدين في ثمان ليال نزل في أصل شجرة واداخها بئر وهي التي قال
الله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان أي
تحبسان أغنامهما فقال لهما ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء لانا امرأتان ضعيفتان لا نقدر على
مزاحمة الرعاء فاذا سقوا مواشيهم سقينا أغنامنا من فضول حاجتهم وما يبقى من حياضهم وأبونا شيخ كبير
تعنيان شعيبا (وروى) حماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس قال اسم أبي امرأة موسى الذي استأجره

حتى جاء الى بيت سيدولك
النصراني وطرق عليه الباب
فخرج اليه غلام من غلمان
سيدولك النصراني وقال
من بالباب فقال القاضي
فرجع الغلام وأخبر مولاه
ان القاضي بالباب فأذن له
بالدخول فدخل فلما رآه
سيدولك رحب به وأجلسه
وقال ما جاء بك في هذا
الليل فقال له القاضي هل
عملت من خير في هذه الليلة
فقال سيدولك اني بت في
هذه الليلة سكران فمن أين
لي فعل الخير قال فلم يصدقه
القاضي وقال الذي عملته
في هذه الليلة أبيعه بألف
دينار فقال سيدولك حريصا
على هذه القضية أخبرني
حتى أبيعك قال فأخبره
القاضي بما رآه في منامه
وما وقع من القاضي فلما
سمع سيدولك النصراني
هذه الرؤيا وثب قائما على
قدميه واغتسل ولبس ثيابا
جديدة وجلس بين يدي
القاضي وقال امدد يدك
فاني أشهد أن لا اله الا الله
وحده لا شريك له وأشهد أن
محمدا رسول الله أرسله
جاءنا بالهدى ودين الحق
قال فخرج القاضي من عنده
باكيا حزينا فانظر يا أخي الى
الفضل كيف جعل القاضي
من أهل النار بعدله وجعل
النصراني من أهل
الجنة بكرمه وختم له بالخير
والاسلام ما أعجب هذا وما

يزوج صاحب مدين ابن أخي شعيب النبي عليه السلام واسم احداهما ليا والاخرى صفوراء وهي امرأة موسى عليه السلام فلما قالتا ذلك لموسى رحمهما وكان هناك حجر على البئر عظيم وكان النفر من الرجال يجتمعون اليه حتى يرفعوه عن رأسها وحكى الاستاذ أبو سعد عبد الملك ابن أبي عثمان الواعظ أن تلك البئر غير البئر التي تسقي منها الرعاء قال وقد خمرها أو ألقمها قال فرفع موسى الحجر عن رأسها أو أخذ دلوهما وقال لهما تقدما ثم كان يسقي لهما فلما أعتامهما حتى أروتا فرجعتا الى أبيهما سريعا قبل الناس وتولى موسى الى الظل ظل الشجرة وقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير قال ابن عباس لقد قال ذلك موسى ولو شاء انسان أن ينظر الى خضرة أمعائه من شدة الجوع لنظرها وما سأل الله تعالى الا أكلة وقال أبو جعفر محمد الباقر لقد قالها وانه لمحتاج الى شق تمرة فلما رجعتا الى أبيهما قال لهما ما أعجلكما وأسرع رواحكما الليلة قالتا وجدنا رجلا صالحا فرحمنا فسقى لنا أغنامنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه الي فجاءته احداهما وهي التي تزوجها موسى وهي تمشي على استحياء فقالت له ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام موسى فتقدمته وهو يليها أي يتبعها فهبت ريح فالصقت ثوب المرأة بردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها موسى امشي خلفي ودليني على الطريق فاذا أخطأت فارمي قدامي بحصاة حتى أنهج نهجا فانا بني يعقوب لا ننظر الى أعجاز النساء فنعتت له الطريق الى منزل أبيها ومشت خلفه حتى دخل على شعيب فسأل شعيب موسى عن حاله وقصته فأخبره الخبر فقال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين فقالت احداهما وهي التي كانت الرسول الى موسى يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين (قال) النبي صلى الله عليه وسلم أصدق النساء فراسة امرأتان كلتاهما تفرستا في موسى وأصابتا احداهما امرأة فرعون حين قالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه والاخرى بنت شعيب حيث قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين وانما قالت القوي الامين لانه أزال الحجر العظيم الذي لا يرفعه الا أربعون رجلا فقال لها أبوها علمك أنك عرفت قوته فما أعلمك بأمانته فأخبرته بما أمرها موسى من استدبارها اياه في الطريق فازداد فيه شعيب رغبة فقال له اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج الى قوله من الصالحين أي في حسن الصحبة معك والوفاء بشرطك فقال موسى ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت الآية (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي الاجلين قضى موسى قال أكملهما وأفضلهما وروى أنه قال قضى أوفاهما وتزوج بصغراهما

﴿الباب السادس في ذكر نعت عصا موسى وبدء أمرها﴾

اختلف العلماء في اسمها والمنافع التي كانت فيها وما ظهر من دلالة قدرة الله فيها قالوا ان شعيبا أمر ابنته أن تأتيه بعصا ليعطيها موسى فيستعين بها في رعايته فجاءته بعصا وكانت تلك العصا وديعة عنده دفعها اليه ملك على صورة رجل فردها عليها شعيب وأمرها أن تأتيه بعصا أخرى فما زالت ترجع وتأتيه بها بعينها لانها كانت كلما ردتها الى مكانها وأرادت أن تأخذ غيرها سقطت هي في يدها فما زالت كذلك حتى أخذها شعيب وأعطاها موسى فلما أعطاه اياها ندم على ذلك لانها كانت وديعة عنده فقال له شعيب رد علي العصا فأبى أن يردها عليه فتنازعا الى أن شرطا على أنفسهما أن يرتضيا حكم أول رجل يدخل عليهما فأتاهما ملك يمشي فحكما اليه فقال ضعها على الارض فمن حملها فهي له فوضعها موسى على الارض فعالجها الشيخ فلم يطق حملها فأخذها موسى بيده فرفعها فلما رأى شعيب ذلك تركها له وفي رواية أخرى ان موسى لبث عند شعيب ما شاء الله ثم استأذنه في الانصراف فأذن له وقال له ادخل هذا البيت وخذ عصا من العصي تكون معك تدرأ بها السباع عنك وعن غنمك وكانت عصي الانبياء يومئذ عند شعيب فلما دخل موسى البيت وثبت اليه العصا فصارت في يده فخرج بها فقال له شعيب ردها وخذ غيرها وذلك ان شعيبا كان قد أخبر بأمر العصا ولم يدر شعيب ان صاحبها هو موسى فردها موسى الى البيت فألقاها وذهب ليأخذ غيرها فوثبت حتى صارت في يده ففعل ذلك مرارا فقال له شعيب ألم أقل لك خذ غيرها فقال له موسى قد

رددتها

أيضا (وحكي عن ذي النون المصري رضي الله تعالى عنه) أنه قال بينما أنا أمشي على شاطئ النيل اذ رأيت عقربا تمشي فأخذت حجرا وأردت قتلها فهربت مني مسرعة حتى وقعت في البحر فخرجت اليه ضفدعة فوثب العقرب على ظهرها ثم عامت به حتى طلعت الى الجانب الآخر وأنا أنظر اليها فعجبت من ذلك وتبعته فلما نزل العقرب عن ظهرها سار حتى أتى الى مكان فيه رجل نائم سكران وقد أتى اليه تنين عظيم يريد أن يلدغه فأسرع اليه ذلك العقرب ولدغ التنين فقتله فازددت تعجبا ثم حمدت الله سبحانه وتعالى وجئت الى ذلك الرجل وأيقظته فقام من نومه فزعا مرعوبا فلما رأى الثعبان ولى هاربا فقلت له لا تخف قد كفيت شره ثم قصصت عليه القصة فاطرق رأسه ساعة ثم رفعها وقال يارب هكذا تفعل بمن عصاك فكيف بمن أطاعك ثم قال وعزتك وجلالك ما عصيتك بعد هذا اليوم أبدا ثم ولى تائبا الى الله تعالى رحمة الله تعالى عليه (وحكي عن ذي النون المصري أيضا رضي الله تعالى عنه) أنه قال بينما أنا طائف بالبيت الحرام سنة من السنين اذ نظرت الى

بدونها رأيت فكلما فعلت ذلك ثبتت على نحو ... فعلمت ان ذلك أمر يريده الله تعالى فقال له
جدها (قالوا) ويروى انه استعار موسى عصا من شعيب وقالوا هي أول من ادم ... (قالوا) لما
خرج موسى من مدين وواقى مصر كان شعيب يزور في كل سنة واذا أكل قام موسى على رأسه ثم يكسر له
الخبز ويلقمه من يديه يقول له كل (وقال مقاتل) بل كان جبريل هو الذي دفع العصا الى موسى وهو
متوجه الى مدين بالليل (قال كعب) لما قدم مكة عبد الله بن عمرو بن العاص قلت سلوه عن ثلاث فإن
أخبركم فإنه عالم سلوه عن شيء من الجنة وضعه الله للناس وعن أول ما وضع في الارض وعن أول شجرة
غرست في الارض فسئل عنها فقال عبد الله أما الشيء الذي وضعه الله للناس في الارض من الجنة فهو
هذا الركن الاسود وأما أول ما وضع للناس في الارض فبئر برهوت باليمن يردها أرواح الكفار وأما أول
شجرة وضعها الله تعالى في الارض فالعوسجة التي اقتطع منها موسى عصاه فلما بلغ ذلك كعبا قال صدق الرجل
فعلى هذا القول انما اقتطع موسى عصاه من تلك الشجرة فاظهر الله فيها قدرته ومعجزة موسى فيها وقال
ابن عباس كتب صاحب الروم الى معاوية يسأله عن أربعة أشياء لم يركضوا في رحم فلما قرأ معاوية
الكتاب قال أخزاه الله وما علمي بما ههنا فقيل له اكتب الى ابن عباس فاسأله عن ذلك فكتب اليه يسأله
عنها فكتب اليه ابن عباس في الجواب أما الاربعة التي لم يركضوا في رحم فآدم وحواء والكبش الذي
فدي به اسمعيل وعصى موسى حيث ألقاها فصارت ثعبانا (وقال) أكثر العلماء كانت عصى موسى من آس
الجنة وكان طولها عشرة أذرع على طول موسى حملها آدم من الجنة الى الارض فورثها الناس صاغرا
عن كابر الى ان وصلت الى شعيب فأعطاها موسى واختلف العلماء في اسمها فقال سعيد بن جبير اسمها
ماشا وقال مقاتل بن سليمان اسمها نفعة وقال ابن حبان اسمها عيات وقال آخرون اسمها عليق

((الباب السابع في صفة المآرب التي كانت فيها لموسى))

قال أهل العلم بأخبار الماضين كان لعصا موسى شعبتان ومحجن في أسفل الشعبتين وسنان حديد في أسفلها وكان موسى اذا دخل مفازة ليلا ولم يكن قمر تضيء شعبتاها كالشمعتين من نار تضيئان له مد البصر وكان اذا أعوزه الماء دلاها في البئر فتمتد على قدر قعر البئر ويصير في رأسها شبه الدلو فيستقي بها واذا احتاج الى الطعام ضرب الارض بها فيخرج ما يأكل يومه وكان اذا اشتهى فاكهة من الفواكه غرسها في الارض فتخرج أغصان تلك الشجرة التي اشتهى موسى فاكهتها وأثمرت له من ساعتها ويقال كانت عصا موسى من اللوز وكان اذا جاع ركزها في الارض فاورقت وأثمرت وأطعمت وكان يأكل منها اللوز وكان اذا قاتل بها عدوه يظهر على شعبتيها تنينان يقاتلان وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب المرتقى وعلى الحجر والشوك فتفرج له الطريق وكان اذا أراد عبور نهر من الانهار بلا سفينة ضرب بها عليه فانفلق وبدا له فيه طريق مفرج وكان يشرب من احدى شعبتيها العسل ومن الاخرى اللبن وكان اذا أعيا في طريقه ركبها فتحمله الى أي موضع شاء من غير ركض ولا تحريك وكانت تدله على الطريق وكانت تقاتل أعداءه عنه وكان اذا طلب منها الطيب فاح منها الطيب فيتطيب ويطيب ثوبه واذا كان في طريق فيه لصوص يخاف الناس جانبهم تكلمه العصا فتقول له خذ جانب كذا وكذا ولا تأخذ حيث كذا وكذا وكان يهش بها على غنمه ويدفع بها السباع عنها والحشرات والحيات واذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جهازه ومتاعه ومخلاته ومقلاعه وكساءه وطعامه وشرابه قال ابن حبان قال شعيب لموسى حين زوجه ابنته وسلم اليه أغنامه يرعاها اذهب بهذه الاغنام فاذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك وان كان الكلأ بها أكثر فان هناك تنينا عظيما أخشى عليك وعلى الاغنام منه فذهب موسى بالاغنام حتى اذا بلغ مفرق الطريق أخذت الاغنام ذات اليمين فاجتهد موسى أن يصرفها ذات الشمال فلم تطعه فخلاها على ما تريد ثم نام موسى والاغنام ترعى واذا التنين قد جاء فقامت العصا فحاربته فقتلته وأتت واستقلت الى جانب موسى وهي دامية فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية والتنين مقتولا فعلم موسى

شاب في الطواف من أحسن الناس وجها وعليه مدرعة من الصوف وهو يصلي في طوافه ويقول يا مولاي هذه مدرعة من شعر ... ولا ... بيت وانك قال ذو النون فدنوت منه وسلمت عليه وقلت حبيبي وحسن الذي تعني بهذا الكلام وأراه يفتخر فقال يا عم انظر الى صاحب هؤلاء العبيد والغلمان قال فنظرت فاذا بشاب جميل وهو يمشي ويتبختر في مشيه وأثوابه تجر على الارض فقلت له يا حبيبي ومن يكون هذا الشاب فقال يا عم هذا عبد لامير مكة يفتخر بكونه عبدا لامير مكة فكيف لا أفتخر وأنا عبد الملك المتعال الذي أمير مكة عبده والسلاطين وأهل السموات والارض تحت قضائه وقدره قال ذو النون فدنوت من ذلك الشاب المعجب بنفسه وقلت له يا هذا كم تفتخر وأنت عبد لامير مكة وهذا الشاب متأخر وهو عبد مالك السموات والارض ويحك تأخر عنه فهو أحق بالتقدم منك فطوبى لك لو كنت مثله قال فطاف الشاب صاحب المدرعة الصوف وطاف الشاب الآخر وذهب الى بيته وقد أثرت فيه الموعظة فاشترى نفسه من سيده أمير مكة وتصدق بجميع ما معه وما عليه بيده ولبس مثل

او في تلك العصا قدرة وعرف انه نبيا باتهد فما آرب موسى اذا كانت في يده [illegible] فيرى انها
كانت حية كانها [illegible] من الثعابين [illegible] مد امامه تدب على اربع قوائم [illegible]
وقيه اثنا عشر نابا [illegible] وضرب يخرج منها لهب النار واضر [illegible] كما اذا كان النار
[illegible] كانها البرق [illegible] اذا اصابت شيئا الا احرقته وتمر بالصخرة [illegible]
الناقة [illegible] حتى ان الصخرة [illegible] وتمر بالشجرة فتقصفها [illegible]
وجعلت تلتفت [illegible] كانها تطلب شيئا تأكله وكانت [illegible] في عظم الثعبان وفي خفة الجان واين الحية
وذلك موافق لنص القرآن حيث يقول الله تعالى في موضع فاذا هي ثعبان مبين وفي موضع آخر كانها جان
وفي موضع آخر فاذا هي حية تسعى

((الباب الثامن في ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين وتكليم الله اياه في الطريق وارساله
الى فرعون واستعانته بأخيه هرون وكيفية ذهابهما الى فرعون لتبليغ الرسالة))

قال الله عز وجل فلما قضى موسى الاجل الآية قالت العلماء بسير الانبياء لما ورد موسى أرض مدين وأتى عليه من يوم وروده تسع سنين قال له شعيب انى وهبت لك كل بلقاء وأبلق من نتاج أغنامي التي تضعها في هذه السنة يعني السنة العاشرة اراد بذلك مبرة موسى وصلة ابنته صفورا امرأة موسى قال فأوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك الماء الذي في مستقى الاغنام ففعل موسى ذلك ثم سقى الاغنام من ذلك الماء فما أخطأت واحدة من تلك الاغنام الا وضعت حملها من بين ما بين أبلق و بلقاء فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله تعالى الى موسى وأهله فوفى موسى بشرطه وسلم اليه الاغنام التي وهبها منه وقضى موسى أتم الاجلين وأوفاهما فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله منفصلا من أرض مدين وكان في أيام الشتاء ومعه امرأته وأغنامه وهي في شهرها لا تدري أتصبح ليلا أو نهارا فانطلق في برية الشام عادلا عن المدائن والعمران مخافة الملوك الذين كانوا بالشام وكان أكبر همه يومئذ طلب أخيه هرون واخراجه من مصر ان استطاع اليه سبيلا فسار موسى في البرية غير عارف بطرقها فالجأه المسير الى جانب الطور الايمن الغربي في عشية شاتية شديدة البرد وأظلم عليه الليل وأخذت السماء ترعد وتبرق وتمطر وأخذ امرأته الطلق فعمد موسى الى زنده فقدحه فلم يور قصير وقام وقعد اذ لم يكن له عهد بمثل ذلك في الزند وأخذ يتأمل ما قرب وما بعد تحيرا وضجرا ثم أخذ يتسمع طويلا هل يسمع حسا أو حركة فبينما هو كذلك اذ آنس من جانب الطور نورا فحسبه نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى يعني من يدلني على الطريق وكان قد ضل الطريق فلما أتاها رأى نورا عظيما ممتدا من عنان السماء الى شجرة عظيمة هنالك واختلفوا في تلك الشجرة ما كانت فقيل العوسجة وقيل العناب فتحير موسى وارتعدت فرائصه حيث رأى نارا عظيمة ليس لها دخان وهي تلتهب وتشتعل من جوف شجرة خضراء لا تزداد النار الا عظما ولا تزداد الشجرة الا خضرة فلما دنا منها موسى منها استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع عنها وخاف ثم ذكر حاجته الى النار فرجع اليها ودنت منه فنودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى فنظر فلم ير أحدا فنودي اني أنا الله رب العالمين فلما سمع ذلك علم انه ربه تعالى فناداه ربه ان ادن واقرب فلما اقترب وسمع النداء ورأى تلك الهيبة خفق قلبه وكل لسانه وضعفت بنيته وصار حيا كميت الا أن روح الحياة تتردد فيه من غير حراك وأرسل الله اليه ملكا يشد ظهره ويقوي قلبه فلما ثاب اليه عقله نودي فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى وكان السبب في أمره بخلع نعليه ما أخبرنا حامد بن عبد الله الاصبهاني قال حدثنا يحيى السدي قال حدثنا أحمد بن نجدة قال حدثنا الحماني قال حدثنا عيسى بن يونس عن حميد عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت وفي بعض الاخبار غير مدبوغ (وقال مجاهد وعكرمة) انما قال فاخلع نعليك كي تمس راحة قدميه الارض الطيبة وتناله بركتها لانها قدست مرتين وقال سعيد بن جبير انما قال له ذلك لان الحفوة من

امارات

أصوات التواضع والاخبتار فحصل له طي الارض فاقبل كالهدية حل بالركبة فحصل من بركة الوادي ما قال
أهل الاشارة النعل عبارة عن المرأة والاثار وهى فى المنام فقيل له دع قلبك من شغل المرأة والولد فان الله تعالى
تكفيك أطلبه وادومه الا هو وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاي الآية فقال الله تعالى ألقها يا موسى
فالقاها فاذا هي حية تسعى قد صارت شعبتاها فمها وحجنها عرفا لها فى ظهرها وهى تهتز لها أنياب وهي كما
شاء الله أن تكون ورأى موسى أمرا فظيعا ولى موسى مدبرا ولم يعقب فناداه ربه تعالى أن يا موسى أقبل
ولا تخف انك من الآمنين سنعيدها سيرتها الاولى أي نردها عصا كما كانت ويقال ان الحكمة في أمر
الله تعالى اياه بالقاء العصا قبل ان يصل الى فرعون لكي لا يفزع منها موسى اذا رآها على تلك الحالة عند
فرعون فلما أقبل موسى قال له خذها اذ كانت عصاك ولا تخف لانه كان ادعى الالف فقال هي عصاي فتنبه
على ذلك وكان على موسى جبة من صوف فلف كمه على يده وهو لها هائب فنودي أن احسر يدك فحسر كمه
عن يده ثم أدخل يده بين لحييها فلما أدخل يده قبض فاذا هي عصاه في يده ويده بين شعبتيها حيث كان
يضعهما ثم قال له أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى وانما قال في جيبك لانه لم يكن
لملبوسه كم واسع فضاق عليه فأدخل يده في جيبه ثم أخرجها فاذا هي نور تلتهب يكل عنه البصر ثم ردها
فخرجت كما كانت على لون يده فقال الله تعالى فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه الآية ثم قال له
اذهب الى فرعون انه طغى فقال موسى رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخي هرون هو أفصح
منى لسانا الى قوله يكذبون فقال له يا موسى انى أوقفتك موقفا لا أجعل بعده لاحد عليك سلطانا ادن مني ولا
ينبغي لمن بعدك أن يسمع كلامي وأنت في أقرب الاماكن مني وعلى موسى يومئذ مدرعة من صوف قد
خللها بالخلال وجبة من صوف وثياب من صوف وقلنسوة من صوف والله تعالى يكلمه ويعهد اليه ويقول له
يا موسى انطلق برسالتي وأنت بعيني وسمعي ومعك قوتي وبصري بعثتك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي
وأمن مكري وعبد دوني وغرته الدنيا حتى جحد حقي وأنكر ربوبيتي وزعم انه لا يعرفني وانى أحلف بعزتي
وجلالي لولا الحجة والقدرة اللتان جعلتهما بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات
والارض والبحار والجبال والشجر والدواب فلو أذنت للسماء لحصبته وللارض لابتلعته وللجبال لدكدكته
وللبحار لاغرقته ولكن سقط من عيني وهان على وصغر عندي ووسعه حلمي وأنا الغني عنه وعن جميع خلقي
وحق ذلك لي وأنا خالق الغني والفقير لا غني الا من أغنيته ولا فقير الا من أفقرته فأبلغه رسالتي وادعه الى
عبادتي وتوحيدي والاخلاص لي وحذره نقمتي وبأسي وذكره آياتي وأعلمه انه لا يقوم لغضبي شئ وقل له
فيما بين ذلك قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وبحله في خطابك اياه ولا يروعك ما ألبسته من لباس الدنيا فان
ناصيته بيدي ولا يطرف ولا ينطق ولا يتنفس عن شئ الا بعلمي وأخبره بانى من العفو والمغفرة أسرع منى
الى الغضب والعقوبة وقل له أجب ربك فانه واسع المغفرة وقد أمهلك فى طول هذه المدة وفى كلها تدعي
الربوبية دونه وتصد عن عبادته وفي كل ذلك يمطر عليك السماء وينبت لك الارض ويلبسك العافية حتى
لم تهرم ولم تسقم ولم تفتقر ولم تغلب ولو شاء لعاجلك بالنقمة ولسلبك ما أعطاك ولكنه ذو حلم عظيم ثم
أمسك الكلام عن موسى سبعة أيام بلياليها ثم قيل له بعد سبع ليال أجب ربك يا موسى فيما كلمك فقال رب
اشرح لي صدري الى قوله تعالى بصيرا فقال الله تعالى قد أوتيت سؤلك يا موسى فجاهد بنفسك وأخيك وكان
قد خطر فى قلب موسى ان فرعون فى بأس عظيم وجند كثير وأنا وأخى وحيدان فريدان فقال الله تعالى
له انكما جندان عظيمان من جندى وأنا معكما أسمع وأرى وأبصركما وأكون معكما فلا تستضعفان ولا
تستقلان ولو شئت ان آتيه بجنود لا قبل له بها فعلت ولكن ليعلم ذلك الشقي الضعيف الذي قد أعجبته
نفسه وجنوده ان الفئة القليلة ولا قليل معي تغلب الفئة الكثيرة باذني ولا يعجبنكما زينته ولا ما ولكما
عدته فلو شئت أن أزينكما من زينة الدنيا ببهجتها ما يبهت فرعون وملأه اذا نظروا اليها ويعلم ان
مقدرته تعجز عما آتيتكما فعلت فلا تأسفا عما أزويه عنكما من متاع الدنيا وزينتها فان ذلك دأبي في

فى المنام وهو فى أحسن
صورة وعليه ثياب من
السندس والاستبرق فلما
رآنى قام الى واعتنقنى وقال
يا سيدى أما تعرفنى قلت
لى ما فعل الله بك قال غفر
لى وتجاوز عنى وقال يا سيدي
هذه جنتي وقد أعتقها لك
فدونك ماشئت فأنا اليوم
فى مقعد صدق عند مليك
مقتدر اللهم انفعنا به
وبعبادك الصالحين آمين
*(وحكى عنه أيضا رضى
الله تعالى عنه)* انه قال
ركبت فى مركب سنة من
السنين الى بيت الله الحرام
وكانت معى زوجتي وكانت
حاملا فبينما نحن سائرون
اذ كسرت بنا المركب فنجوت
أنا وزوجتي على لوح من
ألواح السفينة فبينما نحن
على ذلك اللوح اذا بها قد
ولدت غلاما فصاحت بي
يا رجل ادركني فانى عطشانة
فقلت ما ترين حالنا وما نحن
فيه من الغرق ثم رفعت
بصرى الى السماء واذا
برجل جالس فى الهواء وبيده
سلسلة من ذهب فيها ركوة
من ياقوتة حمراء فيها ماء
أشد بياضا من اللبن وأبرد
من الثلج وأحلى من العسل
فقال لى هاك اشرب وأخذتها
منه وأسقيت المرأة وشربت
فاذا هي أطيب رائحة من
المسك فقلت له من أنت
يرحمك الله فقال عبد من

أو تلك وأصحابنا في أذيتهم حتى تهم الريبة فانها كانت دار الى التي ... منهم من المرائع الرتبة لكن أسكت لو أصبحكم من كرامتي في الاجتماع واصبر فانه لا يحترز أحد من عبادي رتبته حتى أبلغ من زهده في الدنيا وهي رتبة الابرار وقال ان الله تعالى كلم في تلك المدة مائة ألف كلمة وأربعة عشر ألف كلمة يقول له مع كل كلمة قلت يا موسى ... (وقيل) لموسى عليه السلام بم عرفت ان الله تعالى هو الذي كلمك فقال لاني كلام الخلق انما اسمعه من جهة واحدة بحاسة واحدة وهي السمع واني كنت أسمع كلام الله تعالى من جميع الجهات بجوارحي كلها فعرفت انه كلام الله تعالى (قالوا) ولما صعد موسى الجبل لما جاء الله تعالى صار الجبل عفيفا فلما نزل موسى عنه عاد الى حالته الاولى فلما رجع موسى شيعته الملائكة وكان قلب موسى مشغولا بولده وأراد أن يختنه فأمر الله تعالى ملكا فقيده ولم يزل قدمه عن موضعها حتى جاءه الملك ملفوفا في خرقة وناوله الى موسى فأخذ حجرين فحك أحدهما بالآخر حتى حدده كالسكين من الحديد فختن به ابنه ثم ان الملك عالج المقطوع من المختون فتقبل فيه فبرأ من ساعته باذن الله تعالى ثم ان الملك رده الى موضعه الذي جاء به منه ولم يزل أهل موسى مقيمين في ذلك المكان لا يدرون ما فعل موسى حتى مر بهم راع من أهل مدين فعرفهم فاحتملهم وردهم الى مدين فكانوا عند شعيب حين بلغهم خبر موسى بعدما فلق البحر وجاوزه ببني اسرائيل وأغرق الله فرعون فبعث بهم شعيب الى مصر لموسى قالوا وخرج موسى من فوره ذلك لما بعثه الله الى مصر لا علم له بالطريق وكان الله تعالى يهديه ويدله وليس معه زاد ولا سلاح ولا حمولة ولا صاحب له ولا شيء من الاشياء غير العصا ومدرعة صوف وقلنسوة صوف ونعلين وكان يظل صائما ويبيت قائما ويستعين بالصيد وبقول الارض حتى ورد مصر فلما قرب من مصر أوحى الله تعالى اليه لا تخف ولا تجزع ثم أوحى الله تعالى الى أخيه هرون يبشره بقدوم موسى ويخبره أنه قد جعله وزيره ورسولا معه الى فرعون وأمره أن يمر يوم السبت غرة ذي الحجة متنكرا الى شاطئ النيل ليلتقي بموسى تلك الساعة قال فخرج هرون وأقبل موسى فالتقيا على شاطئ النيل قبل طلوع الشمس واتفق انه كان يوم ورود الاسد الماء وكانت لفرعون أسد تحرسه في غيضة محيطة بالمدينة من حواليها وكانت ترد الماء غبا وكان فرعون اذ ذاك في مدينة حصينة عليها سبعون سورا وكان بين كل سورين بساتين وأنهار ذات مزارع وأرض واسعة في ربض لكل سور سبعون ألف مقاتل ومن وراء تلك المدينة غيضة تولى فرعون غرسها بيده وعمل فيها وسقاها بالنيل وأسكنها الاسد فتناسلت وتوالدت حتى كثرت ثم اتخذها جندا من جنوده تحرسه وجعل خلال تلك الغيضة طرقا تفضي بمن سلكها الى أبواب المدينة معلومة ليس لتلك الابواب طرق غيرها فمن أخطأها وقع في تلك الغيضة فتأكله الاسود وكانت الاسود اذا وردت النيل ظلت عليه يومها كله ثم تصدر مع الليل قال فلما التقى موسى بهرون كان يوم ورودها فلما أبصرتهما الاسد مدت أعناقها ورؤسها اليهما وشخصت بأبصارها نحوهما وقذف الله في قلوبها الرعب فانطلقت نحو الغيضة مسرعة هاربة على وجوهها يطأ بعضها بعضا حتى اندست في الغيضة وكان لها ساسة يسوسونها ويذودونها أي يغرونها ويسلطونها على الناس فلما أصابها ما أصابها خاف ساستها من فرعون ولم يشعروا من أين أتوا ثم ان موسى وهرون انطلقا في تلك الغيضة حتى وصلا الى باب المدينة الاعظم الذي هو أقرب أبوابها الى منزل فرعون وكان منه يدخل ويخرج وذلك ليلة الاثنين بعد هلال ذي الحجة بيوم فأقاما عليه سبعة أيام فكلمهما واحد من الحراس وقال لهما هل تدريان لمن هذا الباب فقال موسى ان هذا الباب والارض كلها وما فيها لرب العالمين وأهلها عبيد له فسمع ذلك الرجل كلاما لم يسمع مثله قط ولم يظن ان أحدا من العالمين يفصح بمثله فلما سمع الرجل ما سمع أسرع الى كبرائه الذين فوقه وقال لهم سمعت اليوم قولا وعاينت عجبا من رجلين هما عندي أعظم وأشنع وأفظع مما أصابنا في الاسد وما كانا يقدران أن يقدما على ما قدما عليه الا بسحر عظيم وأخبرهم بالقصة فلم يزل ذلك الخبر يتداول بينهم حتى انتهى الى فرعون قال السدي باسناده سار موسى بأهله نحو مصر حتى أتاها ليلا فتضيف أمه وهي لا تعرفه فأتاها في ليلة كانوا يأكلون فيها الطفيشل فنزل في جانب الدار فجاء هرون فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته

... ووضعت الى ... فقال ... كم مرة ... فانكسر في الهواء ثم مات من ... فلم أره رضي الله تعالى عنه ونفعنا به آمين (وحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنه) أنه قال كان عندنا رجل حداد كان يدخل يده في النار ويخرج بها الحديد المحمى ولم تمسه النار فقصده رجل لينظر صدق ذلك الامر فلما دخل البلد سأل عن الحداد فدل عليه فلما نظر اليه وتأمله رآه يصنع كما وصف له فأمهله الرجل حتى فرغ من صنعته فأتاه وسلم عليه فرد عليه السلام فقال له الرجل أني ضيفك في هذه الليلة فقال له الحداد حبا وكرامة فمضى به الى منزله وتعشى معه وبات هو واياه فلم يزد على فرضه ونام الى الصبح فقال الرجل في نفسه لعله استتر مني في هذه الليلة فبات عنده ثاني ليلة وهو على حاله لا يزيد على الفرض فقال له الرجل يا أخي اني سمعت ما أكرمك الله به ورأيته باديا عليك ثم نظرت الى اجتهادك فما رأيت عليك كثرة عمل ولم تزد على فرضك فمن أين لك هذه المرتبة فقال له الحداد يا أخي انه كان لي حديث عجيب وأمر مطرب غريب وذلك انه كانت لي جارة جميلة وكنت بها مولعا فراودتها عن

أنه

... فما ياكل منه فلما ... قال يا هرون من أنت فقال أنا موسى ...
الى صاحبه واعتنقه فلما تعارفا قال له موسى يا هرون انطلق معى الى فرعون فان الله قد أرسلنا
اليه فقال له هرون سمعا وطاعة فقامت أمهما وصاحت وقالت أنشدكما الله أن لا تذهبا الى فرعون
فيقتلكما فأبيا عليها ومضيا لأمر الله تعالى فانطلقا اليه ليلا فأتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلا فقرعا
الباب ففزع فرعون وفزع البواب وقال فرعون من هذا الذى يضرب بابى فى هذه الساعة فأشرف عليهما
البواب وكلمهما فقال له موسى انى أنا رسول رب العالمين ففزع البواب وأتى فرعون وأخبره بما سمع وقال
له ان ههنا انسانا مجنونا يزعم انه رسول رب العالمين وقال ابن اسحق خرج موسى لما بعثه الله تعالى حين قدم
مصر على باب فرعون هو وأخوه هرون يلتمسان الاذن عليه وهما يقولان انا رسول رب العالمين فمكثا
فيما بلغنا سنتين يغدوان الى بابه ويروحان وفرعون لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد أن يخبره بشأنهما حتى دخل
عليه بطال له يلعب معه ويضحكه فقال له أيها الملك ان على بابك رجلين يقولان قولا عجيبا يزعمان ان لهما
الها غيرك فقال فرعون أدخلوهما فأدخل موسى ومعه هرون عليهما السلام

(الباب التاسع فى ذكر دخول موسى وهرون على فرعون)

قال الله تعالى فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين وقال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى (وروى) عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى فى هذه الآية قال قال لهما أعذرا اليه لعله يتذكر أو يخشى فقولا له ان لك ربا ومعادا وان بين يديك جنة ونارا لعله عند ذلك يتذكر أو يخشى وعبد كان وهو عندى لا يتذكر ولا يخشى قال لكى لا يقول أهلكته قبل أن أعذر اليه قال فلما أذن فرعون لموسى وهرون دخلا عليه فلما وقفا عنده دعا موسى بدعاء وهو لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلى العظيم سبحان رب السموات السبع والارضين السبع وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم انى أدرأ بك فى نحره وأعوذ بك من شره وأستعين بك عليه فاكفنيه بما شئت قال فحول ما فى قلب موسى من الخوف أمنا وكذلك كل من دعا بهذا الدعاء وهو خائف أمن الله خوفه ونفس كربته وهون عليه سكرات الموت ثم ان فرعون قال لموسى من أنت فقال أنا رسول رب العالمين فتأمله فرعون فعرفه فقال له ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين معا على ديننا هذا الذى هو الآن بعينه قال موسى فعلتها اذا وأنا من الضالين أى من المخطئين ولم أرد بذلك القتل ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين ثم أقبل موسى ينكر عليه ما ذكره له من يده عليه فقال وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل أى اتخذتهم عبيدا تنتزع أبناءهم من أيديهم فتسترق من شئت وتقتل من شئت أى انما صيرنى اليك ذلك قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال فرعون لمن حوله من ملئه ألا تستمعون انكارا لما قال موسى قال موسى ربكم ورب آبائكم الاولين قال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون يعنى ما هذا بكلام رجل صحيح العقل اذ يزعم ان لكم الها غيرى قال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ثم قال فرعون لموسى لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشئ مبين تعرف به صدقى وكذبك وحقى وباطلك قال فرعون فأت به ان كنت من الصادقين فألقى موسى عصاه فاذا هى ثعبان مبين فاتحة فاها قد ملأت ما بين جانبى القصر واضعة لحيها الاسفل فى الارض والاعلى على سور القصر حتى رأى بعض من كان خارجا من مدينة مصر رأسها ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه فانفض منها الناس وذعر منها فرعون ووثب عن سريره وأحدث حتى قام من بطنه فى يومه ذلك أربعين مرة وكان فيما يزعمون لا يسعل ولا يتمخط ولا يتصدع رأسه ولا تصيبه آفة مما يصيب الناس وما كان يقوم الا فى كل أربعين يوما مرة واحدة وكان أكثر ما يأكل الموز لانه لا يكون له ثقل فيحتاج الى القيام وكانت هذه الاشياء مما زين له ان قال ما قال لانه ليس له من الناس شبيه (قالوا) فلما قصدته الحية صاح يا موسى أنشدك بالله

فتمهما ... أقدر على ... لا ... الجوع ... على الطعام ... الجوع الايام ... من الايام جالس ... واذا بقارع يقرع الباب فخرجت لأنظر اليه فاذا بها واقفة بالباب فقالت يا أخى أصابنى جوع شديد فهل لك أن تطعمنى لله فقلت لها أما تعلمين ما أنا فيه من حبك وما أقاسيه من أجلك فما أطعمك الا ان مكنتينى من نفسك فقالت الموت ولا معصية الله تعالى ومضت الى منزلها فلما كان بعد يومين عادت الى وقالت لى كالمرة الاولى فأجبتها مثل جوابى الاول فدخلت وقعدت فى البيت وقد أشرفت على الهلاك فلما جعلت الطعام بين يديها ذرفت عيناها بالدموع ثم قالت هذا لله فقلت لا الا أن تمكنينى من نفسك فقامت ولم تأكل منه شيأ وخرجت من عندى الى منزلها فلما كان بعد يومين اذا بها تقرع الباب فخرجت اليها وهى واقفة بالباب وقد قطع الجوع صوتها وقصم ظهرها فقالت يا أخى أعيتنى الحيل ولم أقدر على التوجه لأحد غيرك فهل لك ان تطعمنى لله فقلت ما لم تمكنينى من نفسك فأطرقت رأسها ساعة ثم دخلت وقعدت فى البيت ولم يكن عندى طعام فقمت

وحرم الرضاع الا ما أخذته وأسكنها إخي وأتيا اعني بتلك رسل مدلك بني اسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت ثم ان موسى ترع يده من جيبه فأخرجها فقال له فرعون هذا مثل ذلك فأدخلها فأدخلها موسى في جيبه ثم أخرجها ولها نور يلمع في السماء بكل عين الابصار قد أضاءها حولها وبيدخل ضوءها البيوت ويرى من الكوى ومن وراء الحجب فلم يستطع فرعون النظر اليها ثم ردها موسى الى جيبه ثم أخرجها فاذا هي على لونها الاول قالوا فهم فرعون بتصديقه فقام اليه هامان وجلس بين يديه ثم أبه فقال له بينما أنت اله تعبد اذ أنت تابع لعبيد فقال فرعون لموسى أمهلني الى يوم غد فأوحى الله لموسى أن قل لفرعون انك ان آمنت بالله وحده عمرتك في ملكك ورددتك شابا طريا فاستنظره فرعون فلما كان من الغد دخل اليه هامان فأخبره فرعون بما وعده موسى من ربه فقال له هامان والله ما يعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوما واحدا ونفخ في منخره ثم قال له هامان أنا أردك شابا فأتى بالوشم فخضبه به فهو أول من خضب بالسواد فلذلك كرهه صلى الله عليه وسلم ونهى عنه فلما دخل عليه موسى ورآه على تلك الحالة هاله ذلك فأوحى الله تعالى اليه لا يهولنك ما رأيت فانه لن يلبث الا قليلا حتى يعود الى حالته الاولى (وفي بعض الروايات) ان موسى وهرون لما انصرفا من عند فرعون أصابهما مطر في الطريق فأتيا على عجوز من أقرباء أمهما وكان فرعون وجه الطلب في أثرهما فلما دخل عليهما الليل ناما في دارها وجاء الطلب الى الباب والعجوز منتبهة فلما أحست بهم خافت عليهما فخرجت العصا من جانب الباب والعجوز تنظر اليها فقاتلتهم فقتلت منهم سبعة أنفس ثم عادت ودخلت الدار فلما انتبه موسى وهرون أخبرتهما العجوز بقصة الطلب ونكاية العصا فيهم ثم ان العجوز آمنت بهما وصدقتهما

((الباب العاشر في قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة وخروجهم يوم الزينة الى الفضاء للمغالبة))

قالت العلماء بأخبار الانبياء ان موسى وهرون عليهما السلام وضع فرعون أمرهما وما أتيا به من سلطان الله تعالى على السحر فقال للملا حوله ان هذان لساحران عليمان فماذا تأمرون قالوا اقتلهما فقال العبد الصالح حزقيل مؤمن آل فرعون أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله الى قوله تعالى سبيل الرشاد وقال الملا من قوم فرعون أرجئه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم وكانت لفرعون مدائن فيها سحرة معدة للامر اذا أحزنه (قال ابن عباس) قال فرعون لما رأى من سلطان الله تعالى في اليد والعصا ما رأى انا لا نغالب موسى الا بمن هو مثله فأخذ غلمانا من بني اسرائيل فبعث بهم الى قرية يقال لها الغرقاء يعلمونهم السحر كما يعلمون الصبيان في الكتاب فعلموهم سحرا كثيرا ثم ان فرعون واعد موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجيء بهم ومعهم معلمهم فقال له ماذا صنعت فقال له معلمهم قد علمتهم سحرا عظيما كبيرا لا تطيقه سحرة الارض الا أن يكون أمرا من السماء فانهم لا طاقة لهم به ثم ان فرعون بعث الى الشرط في مملكته فلم يتركوا في مملكته ساحرا الا أتوا به واختلفوا في عدة السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط وهما رؤساء القوم وسبعون من بني اسرائيل (وقال الكلبي) كانوا سبعين ساحرا غير رؤسهم وكان الذي يعلمهم السحر رجلين مجوسيين من أهل نينوى (وقال كعب) كانوا اثني عشر ألفا (وقال السدي) كانوا بضعة وثلاثين ألفا (وقال عكرمة) سبعين ألفا (وقال محمد بن المنكدر) ثمانين ألفا والجامع لهذه الاقاويل ما روى أن فرعون جمع السحرة وهم (سبعون ألفا) فاختار منهم سبعة آلاف ليس فيهم الا من هو ساحر ماهر ثم اختار منهم سبعمائة ثم اختار منهم سبعين من كبارهم وعلمائهم قال مقاتل وكان اسم رأس السحرة شمعون وقال ابن جريج يوحنا وقال عطاء كان رأس السحرة بأقصى مدائن الصعيد وكانا أخوين فلما جاءهما رسول فرعون قالا لامهما دلينا على قبر أبينا فدلتهما عليه فأتياه وصاحا باسمه فأجابهما فقالا له ان الملك وجه الينا رسولا لنقدم عليه لانه أتاه رجلان ليس معهما سلاح ولا رجال ولهما عز ومنعة وقد ضاق الملك ذرعا من عزهما ومنعتهما ومعهما عصا اذا ألقياها لا يقوم لها شيء حتى تبلع الحديد والخشب والحجارة فأجابهما أبوهما وقال انظرا اذا هما ناما فان قدرتما

وأمرني الله ... لهامانا ... وتحسنت ... الى ... لطف الله تعالى وقلت في نفسي وجعلت أجد ان هذا أمر أنا بصدد عمل ... لا قدرة لها عليه وهي تزداد المرة بعد المرة من ألم الجوع وأنت لا تنهى عن معصية الله تعالى ثم قالت اللهم انك تعلم انما كان منى انى لا أقربها في معصية أبدا فدخلت اليها وهي تأكل فقلت لها كلي ولا روع عليك فانه لله سبحانه وتعالى فلما سمعت ذلك رفعت رأسها الى السماء وقالت اللهم ان كان صادقا فحرم عليه النار في الدنيا والآخرة قال فتركتها تأكل وقت لا تزيل النار وكان ذلك في زمن الشتاء فوقعت جمرة على قدمي فلم تحرقني فدخلت اليها وأنا فرح مسرور وقلت أبشري فان الله تعالى أجاب دعاءك فرمت اللقمة من يدها وسجدت شكرا لله تعالى وقالت اللهم أريتني مرادي فيه فاقبض روحي هذه الساعة فقبض الله روحها وهي ساجدة رحمة الله تعالى عليها ونفعنا بها وهذا حديثي يا أخي والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

((وحكي عن بعضهم عفا الله تعالى عنه)) أنه قال كان في بني اسرائيل رجل عابد في كهف الجبل لا يراه أحد من

أن تبدلا أمصلف لاحاوات الساحر لا يعمل سحره وهو نائم وان هو الذي العصا وجهها الى فرعون فقال أمرون رب العالمين لا طاقة لكم بي ولا لملكي ولا يخدع أهل البلد ثم انهما أتيا هو وأخوه حقيقة وجاءا فأتيا الى العصا فقصدهما العصا قالوا ثم انه واعد موسى عدوه يوم الزينة وكان يوم سوقهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يوم عاشوراء ووافق ذلك يوم السبت أول يوم من السنة وهو يوم النيروز وكان يوم عيد لهم يجتمع اليه الناس من جميع الآفاق وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كان يجمعهم الميقات بالاسكندرية ويقال بلغ ذنب الحية الحربة من وراء البحر يومئذ قالوا ثم ان السحرة قالت لفرعون أإن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال فرعون نعم وانكم اذا لمن المقربين يعني في المنزلة فلما اجتمع السحرة والناس جاء موسى متكئا على عصاه ومعه أخوه هرون حتى أتى المجمع وفرعون في مجلسه مع أشراف قومه فقال موسى للسحرة حين جاءهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتناجى السحرة فيما بينهم فقال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر فذلك قوله تعالى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى فقالت السحرة لنأتينك اليوم بسحر لم تر مثله وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون وكانوا قد جاؤا بالعصا والحبال يحملها ستون بعيرا فلما أبوا الا الاصرار على السحر قالوا لموسى اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقين قال لهم موسى بل ألقوا أنتم حبالكم وعصيكم فألقوا فاذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا تسعى فذلك قوله تعالى يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى الى قوله تعالى خيفة موسى فقال موسى والله انها كانت لعصيا في أيديهم ولقد عادت حيات وما تعدو عصاي هذه فلما حدث نفسه بذلك أوحى الله اليه لا تخف انك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ففرح موسى ثم انه ألقى عصاه من يده فاذا هي ثعبان مبين كأعظم ما يكون من الثعابين أسود مدلهم يدب على أربع قوائم قصار غلاظ شداد وهو أعظم وأطول من بختي عظيم وله ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة رأسه وعنقه وكاهله لا يضرب بذنبه على شيء الا حطمه وقصمه ويكسر بقوائمه الصخور الصم الصلاب ويطحن كل شيء ويضرم الحيطان والبيوت بنفسه نارا وله عينان يلتهبان نارا ومنخراه ينفخان سموما وعلى معرفته شعر كأمثال الرماح وصارت الشعبتان له فما سعته اثنا عشر ذراعا وفيه أنياب وأضراس ولها فحيح وكشيش وصريف وصرير فاستعرضت ما ألقت السحرة من حبالهم وعصيهم وهي تخيل في أعين الناس وعين فرعون أنها تسعى فجعلت تلقفها وتبتلعها واحدا واحدا حتى لم يرى الوادي لا قليلا ولا كثيرا مما ألقوا وانهزم قوم فرعون هاربين منقلبين فتزاحموا وتضاغطوا ووطئ بعضهم بعضا حتى مات منهم يومئذ في ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفا وانهزم فرعون فيمن انهزم منخوفا مرعوبا ذاهبا عقله وقد استطلق عليه بطنه من يومه ذلك أربعمائة مرة فصار يعتريه ذلك أربعين مرة في كل يوم وليلة على الدوام الى ان هلك فلما انهزم الناس وعاين السحرة ما عاينوا قال بعضهم لو كان ساحرا ما غلبنا ولا خفي علينا أمره ولو كان سحرا فأين حبالنا وعصينا فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون وكان فيهما اثنان وسبعون شيخا قد انحنت ظهورهم من الكبر وكانوا علماء رؤساء وكان رؤس السحرة خمسة نفر سابور وعادور وحفظ وخطط ومصفا وهم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من سلطان الله تعالى فلما رأى فرعون ذلك أسف وقال لهم متجلدا آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر الى قوله تعالى أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات الآية فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم في جذوع النخل وهو أول من فعل ذلك فأصبحوا سحرة كفرة وأمسوا شهداء بررة ورجع فرعون مغلوبا مقهورا ماكرا ثم أبى الا الاقامة على الكفر والتمادي في الشر فتابع الله عليه الآيات وأخذه وقومه بالسنين الى أن أهلكهم ثم ان موسى عاد راجعا الى قومه والعصا على حالها حية تتبعه وتبصبص حوله وتلوذ به كما يلوذ الكلب الالوف بصاحبه والناس ينظرون اليها ويتعجبون منها وقد ماتوا رعبا فلم تزل العصا على هيئة الحية والناس يتحدثون

الناس ولا يرى أحدا يعامله عشرين عاما كان يصوم ويفطر مما بقات من نبات الأرض وكان يصوم النهار ويقوم الليل لا يفتر عن العبادة وعليه أنوار السعادة فمر به موسى عليه السلام فقصده بالنهار فوجده مشغولا بالصلاة والأذكار ثم قصده بالليل فوجده مشغولا بمناجاة الجليل فسلم عليه موسى عليه السلام وقال له يا هذا ارفق بنفسك فان المولى كريم فقال يا نبي الله أخاف ان أؤخذ على غفلة فيقضى نحبي فأكون مقصرا بخدمة ربي فقال له موسى عليه السلام هل من حاجة الى مولاك يا هذا فقال نعم سله ان يعطيني رضاه ولا يشغلني بأحد سواه حتى يقضي نحبي والقاه قال فلما صعد موسى عليه السلام الى مناجاة ربه واستغرق في لذة كلام خالقه نسي كلام العابد فقال الله عز وجل يا موسى ما قال لك عبدي العابد فقال موسى يا رب أنت أعلم بما قال فقال الله تعالى يا موسى اذهب اليه وقل له يتعبد ما شاء في الليل والنهار فانه من أهل النار لما سبق له من الذنوب والاوزار فأتاه موسى عليه السلام وأخبره بما قاله مولاه وما سبق من ذنوبه وخطاياه فقال العابد مرحبا بقضائه وحكمته وكل شيء بعين

ويطارون الرماح متقاطعة وهم يتضاغطون حتى دخل موسى عليه السلام عسكر بني اسرائيل فأخذ برأسها فاذا هي عصا كما كانت أول مرة وثبت الله في فرعون أمره ولم يجد الى موسى سبيلا واعتزل موسى مدينته ولحق بقومه وعسكره وكانوا أجمعين الى أن صاروا ظافرين

((الباب الحادي عشر في قصة حزقيل مؤمن آل فرعون وامرأته ومقتله وأولاده رضي الله عنهم أجمعين))

قالت الرواة كان حزقيل من أصحاب فرعون نجارا وهو الذي صنع لام موسى التابوت حين ولدته وألقته في البحر وقيل انه كان خازنا لفرعون قد خزن له مائة سنة وكان مؤمنا مخلصا يكتم ايمانه الى أن ظهر موسى على السحرة فأظهر حزقيل أمره فأخذ يومئذ وقتل مع السحرة صلبا وهو الذي ذكره الله في القرآن في قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حبيب النجار مؤمن آل يس وحزقيل مؤمن آل فرعون وعلي مؤمن آل محمد صلى الله عليه وسلم وهو أفضلهم وأما امرأة حزقيل فانها كانت ماشطة بنات فرعون وكانت مؤمنة من اماء الله الصالحات الا انها كانت مع بنات فرعون تخدمهن وكان من قصتها ما أخبرنا به بالاسناد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أسري بي مررت برائحة طيبة فقلت يا جبريل عليه السلام ما هذه الرائحة قال هذه رائحة ماشطة آل فرعون وأولادها كانت تمشط ذات يوم بنت فرعون فوقع المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت بنت فرعون أبي قالت لا بل ربي ورب أبيك فقالت لها لاخبرن بذلك أبي فلما أخبرته دعا بها وبولدها وقال لها من ربك فقالت ان ربي وربك الله فأمر بتنور من نحاس فاحمي وأمر بها وبولدها أن يلقوا فيه فقالت له ان لي اليك حاجة فقال وما هي قالت تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها قال وذلك لما لك علينا من الحق ثم أمر بأولادها فألقوا واحدا واحدا في التنور حتى اذا كان آخر أولادها وكان صبيا رضيعا فقال اصبري يا أماه فانك على الحق فالقيت في التنور مع ولدها فسئل ابن عباس فمن تكلم في المهد فقال تكلم في المهد أربعة عيسى بن مريم وشاهد يوسف وصاحب جريج وهذا الصبي

((الباب الثاني عشر في ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومقتلها رحمها الله تعالى))

قال الله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون يقال ان امرأة فرعون آسية كانت من بني اسرائيل وكانت مؤمنة مخلصة وكانت تعبد الله سرا حتى انها كانت تتعلل في قضاء حاجتها فتبرز فتصلي يومها في متبرزها خوفا من فرعون وكانت على تلك الحالة الى أن قتل فرعون امرأة حزقيل وكانت آسية متطلعة من كوة في قصر فرعون تنظر الى الماشطة امرأة حزقيل كيف تعذب وتقتل فلما قتلت الماشطة عاينت آسية الملائكة وقد عرجت بروحها لما أراد الله تعالى من كرامتها وما أراد لها من الخير فزادت يقينا بالله وتصديقا فبينما هي كذلك اذ دخل عليها فرعون وجعل يخبرها بخبر الماشطة امرأة حزقيل وما صنع بها فقالت له آسية الويل لك يا فرعون ما أجرأك على الله تعالى فقال لها لعلك قد اعتراك الجنون الذي اعترى صاحبتك فقالت ما اعتراني جنون ولكني آمنت بالله ربي وربك رب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها ان ابنتك قد أخذها الجنون الذي أخذ الماشطة ثم انه أقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن باله موسى فخلت بها أمها وسألتها موافقة فرعون فيما أراد فأبت وقالت تريدين أن أكفر بالله فلا والله ما أفعل ذلك أبدا فأمر بها فرعون فمدت بين أربعة أوتاد ثم ما زالت تعذب حتى ماتت رحمها الله تعالى وذلك قوله تعالى وفرعون ذي الاوتاد عن ابن عباس قال أخذ فرعون امرأته آسية حين تبين له ايمانها يعذبها لتدخل في دينه فمر بها موسى وهو يعذبها فشكت اليه باصبعها فدعا الله موسى أن يخفف عنها من العذاب فبعد ذلك لم تجد للعذاب ألما الى أن ماتت في عذاب فرعون فقالت وهي في العذاب رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني الآية فأوحى الله تعالى اليها أن ارفعي رأسك ففعلت فرأت البيت في الجنة من در فضحكت فقال فرعون انظروا الى الجنون الذي بها تضحك وهي في العذاب

(الباب

(الباب الثالث عشر في بناء الصرح)

قال الله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا الآية قالت العلماء كان الله تعالى قد أعطى فرعون في كل باب من أبواب الملك والسلطنة والثروة والتجبر والترفع والتمتع ما قد تعجب من عظمته من أهل مملكته حتى استعبدهم فعبدوه وادعى الربوبية فأعطاه مع ما أوتي من العمر الطويل والقوة والمنعة والجنود والشوكة والعدة والعدد وكان قد بلغ من صحة جسمه واعتدال طبيعته وسلامته وقوة تركيبه وبنيته أنه ربما لبث أربعين يوما وليلة لا يخرج منه شيء الاذى واحدة وهو مع ذلك يأكل ويشرب ولا يبزق ولا يتمخط ولا يتنخع ولا يسعل ولا يأخذه وجع في بطنه ولا رمد عينيه ولا عرق ولا تصيبه آفة في نفسه ولا كراهة قالوا وبلغ من إملاء الله تعالى له أنه كان يركب كل صعب وذلول من دوابه قال سعيد بن جبير ملك فرعون أربعمائة سنة لا يرى مكروها ولو كان في تلك المدة أدرك جوع يوم أو حمى ليلة لما ادعى الربوبية وقدم على خطب عظيم وخطر جسيم فلم يعتبه سوء ولا مكروه ولا لقاء الإثم وبسوء شؤم وكان له قصر عظيم بصورة مشرف منيف على ألف درجة وسخر الله له دابة من دوابه يركبها فيصعد ذلك القصر عليها وكان يركبها صاعدا ونازلا مع ما أنعم الله تعالى به عليه استدراجا منه له فلما عاين من أمر موسى ما عاين لم يزده ذلك الا عتوا واستكبارا وعلم من قومه الرعب والخوف فخاف عليهم أن يؤمنوا بموسى ويخذلوه مكانه فاحتال لنفسه وعزم على بناء صرح يقوى به سلطانه ويشيد أركانه فقال لوزيره يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع الى إله موسى واني لأظنه كاذبا فأمر هامان ببنائه فجمع له العمال والفعلة ولم يترك أحدا يقدر عليه ممن يعمل البنيان الا جمعه لبنائه حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء ممن يطبخ الآجر والجص وينشر الخشب والأبواب والمسامير فلم يزل يبني الصرح ويسر الله تعالى له أمره استدراجا منه وآتاه الأمر على ما يريده الى أن فرغ منه في سبع سنين فارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والأرض فشق ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه أن دعه وما يريد فاني مستدرجه وآخذه بغتة واني مبطل كل ما عمله في ساعة واحدة وكان ذلك الصرح اذا طلعت الشمس ضرب ظله نحو المغرب واذا غربت ضرب ظله نحو المشرق بحيث لا يعلمه الا الله تعالى فلما أتم بناءه بعث الله تعالى جبريل عليه السلام فضرب بجناحه الصرح ضربة فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه في البحر وقطعة في الهند وقطعة في المغرب قال الضحاك بعث الله جبريل فضرب بجناحه الصرح فقذف به على عسكر فرعون فقتل منهم ألفي ألف رجل قالوا ولم يبق أحد ممن عمل فيه الا أصابه موت أو حريق أو عاهة فأما من نجار أو حداد أو بناء الا يبست يده وأما الذين كانوا يطبخون الآجر والجص فانهم احترقوا عن آخرهم وأما القهارمة والعمال فماتوا وكان تدمير فرعون من أمر الله تعالى على ذلك كله ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس فلما رأى فرعون ذلك من أمر الله تعالى علم ان حيلته لم تغن عنه شيأ فعزم على قتال موسى وقومه فأمر أصحابه فنصبوا له الحرب ثم ان عسكر فرعون قالوا لموسى انك لساحر وأنت عبد من عبيد فرعون أبقت منه وكفرت نعمته وتربيته ونسيت احسانه اليك ومنته عليك حيث ألقتك أمك في اليم فجاء بك بفضالك لما علمت ما أنت سائر اليه من سوء الحال فاستنقذك فرعون من الغرق واستدركك من الموت فآواك وكفلك ورباك واتخذك ولدا ثم فررت منه آبقا كافرا وجئته عدوا محاربا فلنا نعمتنا من عنك حتى نردك الى عبادته وخدمته أو نذيقك الذل والهوان فلما رأى الله تعالى ذلك وقد علم أنه لا يغني عنهم ما جاءهم به موسى لما سبق فيهم من مكر الله النافذ وحقت عليهم كلمة العذاب ابتلاهم الله بالعذاب وبالآيات

(الباب الرابع عشر في ذكر الآيات التي ابتلى الله بها فرعون وقومه حين دنا هلاكهم اظهارا لقدرته والزاما لحجته)

قال الله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات قال المفسرون هي العصا واليد البيضاء والطوفان

منه فلما وصل قال لي يقول
عليك يا ذا الجلال معتمدي
طوبى لعبد تكون مولاه
طوبى لمن بات خائفا وجلا
يشكو الى ذي الجلال بلواه
وما به علة ولا سقم
أكثر من حبه لمولاه
اذا خلا في الظلام مبتهلا
أجابه الله ثم لباه
قال ولم يزل يكرر من قوله
عليك يا ذا الجلال معتمدي
وهو يبكي وأنا أبكي شفقة
عليه ثم ذكر كلاما معناه
أنه رأى نورا ساطعا وسمع
قائلا يقول هذا الجواب
لبيك عبدي وأنت في كنفي
وكل ما قلت قد سمعناه
صوتك تشتاقه ملائكتي
وذنبك الآن قد غفرناه
قال فقلت لعل هذه الرؤية
والسماع المذكورين في
حالة النوم أو في غيبة
فسلمت عليه فرد علي
السلام فقلت له بارك الله
لك في لبيك وبارك فيك من
أنت يرحمك الله فقال
راشد بن سليمان فعرفته
لما كنت أسمع من أمره
وخبره وكنت أتمنى لقاءه
فلم أقدر على ذلك حتى يسر
الله تعالى لي فقلت له هل
لك أن تصحبني فقال هيهات
وهل يأنس بالمخلوقين من
يتلذذ بمناجاة رب العالمين
أما والله لو خرج على
عصرنا هذا أحد من
أصحاب النيات الصحيحة
لقالوا هؤلاء أحزاب
لا يؤمنون بيوم الحساب ثم

والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفلق البحر فقال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات (قال قتادة) أما السنون فكانت ببواديهم ومواشيهم وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم وقال الله تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان الآية (واختلف المفسرون) في ذلك الطوفان ما هو (قال) ابن عباس كان أول الآيات الطوفان هو الماء أرسل عليهم من السماء وقال مقاتل هو الماء طغى فوق حروثهم فأهلكها وقال الضحاك هو الغرق وقال مجاهد وعطاء هو الموت الذريع الجارف وروى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وهب هو الطاعون بلغة أهل اليمن أرسل الله الطاعون على أبكار آل فرعون فاقتضهن في ليلة فلم يبق منهن باقية وقال أبو قلابة الطوفان الجدري فهم أول من عذب به فبقي في الارض والجراد والقمل (واختلفوا) في القمل ما هو فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة وروى عن أبي طلحة أنه الذباب وقال مجاهد والسدي وقتادة والكلبي وغيرهم الجراد الطيارة التي لها أجنحة والقمل الصغار التي لا أجنحة لها وروى معمر عن قتادة قال القمل أولاد الجراد وقال عبد الرحمن بن أسلم هو البراغيث وقال عطاء هو القمل دليله قراءة الحسن والقمل بفتح القاف وجزم الميم وقال أبو عبيدة هو الحنان وهو ضرب من القردان قال أبو العالية أرسل الله الحنان على دوابهم فأكلها حتى لم يبق منها شيء ولم يقدروا على المسير قال أمية بن أبي الصلت الثقفي

أرسل الذر والجراد عليهم * وعذابا فأهلكتهم دبورا

﴿باب في صفة تنزيل هذه الآيات وتفصيلها وكيفيتها﴾

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحق وغيرهم من أصحاب الاخبار دخل حديث بعضهم في حديث بعض لما آمنت السحرة وصلبهم عدو الله فرعون ورجع عدو الله مغلوبا مقهورا انصرف موسى وهرون الى عسكر بني اسرائيل فأمر فرعون قومه أن يكلفوا بني اسرائيل ما لا يطيقون فكان الرجل من القبط يجيء الى الرجل من بني اسرائيل يقول له انطلق معي فاكنس حشي واعلف دوابي واستق لي وتجيء القبطية الى الكريمة من بني اسرائيل فتكلفها ما لا تطيق ولا يطعمونهم في كل ذلك خبزا فاذا انتصف النهار يقولون لهم اذهبوا فاكتسبوا لانفسكم ما تأكلون فشكوا ذلك الى موسى فقال لهم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا كنا نطعم اذا استعملونا من قبل أن تأتينا فلما جئتنا استعملونا ولم يطعمونا فقال موسى عسى ربكم أن يهلك عدوكم يعني فرعون والقبط ويستخلفكم في الارض يعني الشام ومصر فينظر كيف تعملون فلما أبى فرعون وقومه الا التمادي على الكفر والاقامة على الشر والظلم دعا موسى ربه فقال يا رب ان عبدك فرعون قد طغى في الارض وبغى وعتا وان قومه نقضوا عهدك وأخلفوا وعدك رب خذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم من الامم اعتبارا فتابع الله عليهم الآيات المفصلات بعضها في اثر بعض فأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث الله عليهم الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة بعضها في بعض فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم من جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة واحدة وفاض الماء على وجه أراضيهم وركد فلم يقدروا على أن يحرثوا ولا يعملوا شيئا حتى جهدوا ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا العذاب فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فرفع عنهم الطوفان فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرائيل وعادوا الى أشر ما كانوا عليه فأنبت الله تعالى لهم في تلك السنة من الكلأ والزرع والثمرة ما لم ينبت قبل ذلك فأعشبت بلادهم وأخصبت فقالوا هذا كنا نتمنى وما كان هذا الماء الا نعمة لنا وما يسرنا أنا لم نمطر وأقاموا شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زرعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم وزهرها حتى انها كانت لتأكل الابواب والثياب والامتعة وسقوف البيوت

والخشب

طلب ... [illegible] تشبثت الأمر ما تقتضيه ثم سألت الله تعالى أن يجمعني به قبل الموت فلما كان بعض الاعوام خرجت حاجا الى بيت الله الحرام فاذا به في ظل الكعبة واذا بنفر يقرؤن عليه سورة الانعام فلما نظر الي تبسم وقال هذا لطف العلماء أو قال تواضع الاولياء ثم قام الي واعتنقني وسلم علي وقال هل سألت الله تعالى أن يجمع بيننا قبل الموت قلت نعم فقال الحمد لله على ذلك ثم قلت له يرحمك الله أخبرني عما رأيت تلك الليلة وسمعت شهقة شهقها ظننت أنه قد انشق حجاب قلبه وخر مغشيا عليه ثم تفرق النفر الذين كانوا يقرؤن عليه فلما أفاق قلت يا أخي ما هؤلاء النفر الذين كانوا يقرؤن عليك فقال هم نفر من الجن فهم يقرؤن على القرآن ويحجون معي في كل عام ثم ودعني وقال جمع الله بيني وبينك في الجنة حيث لا فرقة ولا تعب ولا نصب ثم غاب عن بصري لم أره رضي الله تعالى عنه

((وحكي عن عبد الله بن الاحنف رضي الله عنه)) أنه قال خرجت من مصر أريد الرملة لزيارة الشيخ الرباذي رضي الله تعالى عنه فرأني عيسى بن يونس المصري في الطريق فقال

والعشب والمسامير من الحديد حتى تساقطت دورهم وابتلى الجراد بالجوع فجعل لا يشبع وكان لا يدخل بيوت بني اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شئ فعجوا وضجوا وقالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فأعطوه عهد الله وميثاقه فسأل موسى ربه فكشف الله عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ويقال ان موسى برز الى الفضاء فأشار الى المشرق بالعصا فذهب الجراد من حيث جاء كأن لم يكن

﴿فصل في بعض ما جرى من الاخبار الغريبة في الجراد﴾ أخبرني الحسن بن محمد باسناده عن جابر عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو على الجراد يقول اللهم اقطع الجراد اللهم اقطع دابرهم اللهم اقتل كبارهم وأهلك صغارهم وأفسد بيضه وخذ بأفواههم عن معايشنا وأرزاقنا انك سميع الدعاء فقال رجل من القوم كيف ذلك يا رسول الله تدعو على جند من جنود الله بهلاكه وقطع دابره فقال انما الجراد نثرة حوت من البحر (قال ابن علاثة) وحدثني من رأى الحوت ينثره وباسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر الجراد مكتوب جند الله الاعظم وباسناده عن جابر بن عبد الله قال عدم الجراد في سنة من سني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يخبر عنه بشئ فاغتم لذلك فأرسل راكبا الى اليمن وراكبا الى الشام وراكبا الى العراق يسألون هل رأوا شيأ من الجراد أولا فأتاه الراكب الذي دخل اليمن بقبضة من الجراد وألقاها في يده فلما رآه كبر ثلاثا ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق الله ألف أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر وأول شئ يهلك من هذه الامم الجراد فاذا هلك الجراد تتابع مثل النظام اذ قطع سلكه وباسناده عن أبي أمامة الباهلي يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان مريم ابنة عمران سألت ربها أن يطعمها لحما لا دم له فأطعمها الجراد فقالت اللهم أعشه من غير رضاع وتابع بينه بغير شياع فقلت يا أبا الفضل ما الشياع قال الصوت وباسناده عن عبد الله ابن ضمرة السلولي قال لما أخرج الله تعالى ابليس من الجنة قال لا تخذن من عبادك نصيبا مفروضا قال الله تعالى وأنا لاتخذن من خلقي جندا هو الجراد فقال ابليس وأنا جندي النساء هن شبكتي التي لا تخطئ أبدا (أخبرنا) الحسين باسناده عن الاوزاعي يقول كان ببيروت رجل صالح يذكر أنه رأى رجلا صالحا راكبا على جرادة قال وعليه خفان طويلان أظنهما أحمرين وهو يقول الدنيا باطل باطل ما فيها ويقول بيده هكذا فحيث ما أشار انساق الجراد الى ذلك الموضع وبلغنا ان ذلك الرجل ملك الجراد قال فأقام قوم فرعون شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم القمل وذلك أن موسى أمر أن يمشي الى كثيب أعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس فمشى موسى الى ذلك الكثيب وكان مهيلا عظيما فضربه بعصاه فانهال عليهم القمل فتتبع ما بقي من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فأكلها ولحس الارض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلئ قملا حتى ان أحدهم ليبني الاسطوانة بالجص ويزلقها حتى لا يرتقي فوقها شئ ثم يرفع فوقها الطعام فاذا صعد اليه ليأكله وجده ملئ قملا فما أصيبوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذ القمل أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كأنها الجدري عليها ومنعهم النوم والقرار ولم يستطيعوا لها حيلة وقال سعيد بن جبير القمل السوس الذي يخرج من الحبوب وكان الرجل يخرج عشرة أقفزة الى الرحا فلا يرد منها ثلاثة أقفزة فلما رأوا ذلك شكوا الى موسى وصاحوا وقالوا يا أيها الساحر أي أيها العالم انا نتوب ولا نعود فادع لنا ربك بما عهد عندك يكشف عنا هذا العذاب فدعا موسى ربه فكشف عنهم القمل فانتشروا في أقطار الارض وأطراف البلاد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ثم نكثوا العهد وعادوا الى أخبث أعمالهم وقالوا ما كنا قط أحق أن نستيقن أن موسى ساحر منا الا اليوم فجعل الرمل دواب فعلى ماذا نؤمن ونرسل معه بني اسرائيل فقد أهلك زرعنا وحروثنا وأذهب أموالنا فما عسى أن يفعل أكثر مما فعل وعزة فرعون لا نصدق به أبدا ولا نتبعه فدعا عليهم موسى بعد ما أقاموا شهرا في عافية وقيل أربعين يوما فأوحى الله تعالى اليه وأمره أن يقوم على ضفة النيل ويرد

هل أدلك على خبر لك فقلت نعم فقال عليك بصور فان فيه شيخا وشابا اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لاغتنيت باقي عمرك قال فسرت اليهما حتى دخلت عليهما وأنا جائع عطشان وليس على ما يسترني من الشمس فوجدتهما مستقبلين للقبلة فسلمت عليهما وكلمتهما فلم يكلماني فقلت أقسمت عليكما بالله العظيم الا ما كلمتماني فرفع الشيخ رأسه وقال يا ابن الاحنف ما أقل شغلك حتى تفرغت الينا ثم أطرق رأسه فأقمت بين أيديهما حتى صلينا الظهر والعصر وذهب عني الجوع والعطش والتعب فقلت للشاب عظني بشئ يا سيدي أنتفع به فقال نحن أهل المصائب ليس لنا لسان العظة فأقمت عندهما ثلاثة أيام بلياليها لم آكل ولم أشرب فلما كان عشية اليوم الرابع قلت في نفسي لا بد من سؤالهما في موعظة أنتفع بها فرفع الشاب رأسه وقال عليك بصحبة من يذكرك الله تعالى بنظره ويعظك بلسان فعله لا بلسان قوله ثم التفت فلم أرهما فخرنت على فراقهما رضي الله تعالى عنهما ونفعنا بهما وببركاتهما آمين

*(وحكي عن ذي النون المصري رضي الله تعالى

العصا فيه وبشربها العصا الى أذنابه وأقصاها وأعلاها وأسفله ففعل ذلك فتمتلئ الضفادع بالضجيج من كل جانب حتى أعجز بعضها بعضا وأسمع أربابها أصحابها ثم انها خرجت من النيل مثل الليل الدامس من العالم فمن باب المدينة فدخلت عليهم في بيوتهم وأبنيتهم وامتلأت منهم الآنية بيوتهم وأفنيتهم وكان أحدهم لا يكشف ثوبا ولا اناء ولا طعاما ولا شرابا الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع ويهم أن يتكلم فتثب الضفادع في فيه وكان أحدهم ينام على فراشه وسريره فيستيقظ وقد ركبته الضفادع ذراعا بعضها فوق بعض وتصير عليه ركاما حتى لا يستطيع أن ينصرف الى شقه الايمن ولا الايسر وكان أحدهم يفتح فاه لأكلته فتسبقه الضفادع الى فيه وكانوا لا يعجنون شيئا من العجين الا انتشدخت فيه ولا يطبخون قدرا الا امتلأت منه وكانت تثب في نيرانهم فتطفئها وفي طعامهم فتفسده فلقوا منها أذى شديدا (روى) عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله تعالى على فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تقذف أنفسها في القدور وهي تفور وفي التنانير وهي مسجورة فأثابها الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء قال فضجوا الى فرعون من ذلك وضاق عليهم أمرهم حتى كادوا يهلكون وصارت المدينة وطرقها مملوءة جيفا من كثرة ما يطؤنها بأقدامهم وأروحت البقاع كلها منها فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى وقالوا اكشف عنا هذا البلاء فانا نتوب هذه المرة ولا نعود فأخذ عليهم عهودهم ومواثيقهم ثم ان موسى دعا ربه فكشف عنهم الضفادع وذلك فيما روى ان موسى أمر أن يمتف بعصاه وعياها ففعل ذلك فانقشع ما كان منها حيا فلحق بالنيل وأرسل الله على الميتة ريحا فقصتها عن مدينتهم بعد ما أقامت عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وأقاموا شهرا في عافية وقيل أربعين يوما ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم وتكذيبهم فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم الدم وذلك أن الله تعالى أمر موسى أن يذهب الى شاطئ البحر فيضربه بعصاه ففعل ذلك فسال النيل عليهم دما وصارت مياههم كلها دما وما يستقون من الانهار والآبار الا وجدوه دما أحمر عبيطا فشكوا ذلك الى فرعون وقالوا انا قد ابتلينا بهذا الدم وليس لنا شراب غيره فقال لهم انه قد سحركم موسى فكان يجتمع الرجلان على الاناء الواحد القبطي والاسرائيلي فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما عبيطا وكان القبطي والاسرائيلي يستقيان من ماء واحد فيخرج ماء القبطي دما وماء الاسرائيلي ماء عذبا وكانا يقومان الى الجرة التي فيها ماء فيخرج للاسرائيلي ماء وللقبطي دم حتى ان المرأة من آل فرعون تأتي الى المرأة من بني اسرائيل حين يجهدها العطش فتقول اسقيني من مائك فتسكب لها من جرتها أو تصب لها من قربتها فتعود في الاناء دما حتى انها تقول لها اجعليه في فيك ثم مجيه في فيّ فتأخذ في فيها ماء فاذا مجته صار دما قالوا والنيل على ذلك يسقي الزرع والشجر فاذا ذهبوا ليستقوا من بين الزرع عاد الماء دما عبيطا وان فرعون اعتراه العطش في تلك الايام حتى انه اضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها ملحا أجاجا ومرا زعاقا فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يأكلون ولا يشربون الا الدم (وقال زيد بن أسلم) كان الدم الذي سلط عليهم الرعاف فلما ضجروا من ذلك قالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم ذلك وذلك أن موسى أمر أن يضرب النيل بعصاه ضربة أخرى فضربه فتحول ماء صافيا كما كان فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وذلك قوله تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان الآيات قال نوف البكالي ابن امرأة كعب الاحبار مكث موسى في آل فرعون عشرين سنة بعد ما غلب السحرة يريهم الآيات الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال أصحاب الاخبار لما يئس موسى من ايمان فرعون وقومه ورآهم لا يزدادون الا الطغيان والكفر والتمادي والتمرد دعا عليهم وأمن هرون عليهما السلام وهو قوله ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فأجاب الله دعاءهما كما قال تعالى قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان الآية قالوا وكان لفرعون وأصحابه من أثاث الدنيا وزهرتها وزينتها من الذهب والفضة واليواقيت وأنواع الحلي والجواهر ما لا يحصيه الا الله تعالى وكان أصل ذلك

المال

عنهم) وقال بعض السلف وقيل من السادة المحققين من الطائفين منهم على الجمهور من وهو بين نقص صلاح الناس معروف بالادب والحكمة والخشوع موصوف قال خرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام فلما قضيت حجي فصلت زيارته لاسمع كلامه وأنتفع بوعظه وكان معي جماعة يطلبون كما أطلب من البركة والدعاء وكان في جملتهم شاب عليه سيما الصالحين ومنظر الخائفين مصفر اللون من غير سقم أعمش العينين من غير رمد يحب الخلوة ويأنس بالوحدة كأنه قريب عهد بمصيبة فقيل له أن يرفق بنفسه فلم يجب وأنشد يقول شعرا

أيها العاذلون في الحب مهلا
حاش لي عن هواه اني أسلى
كيف أسلو وقد تزايد وجدي
وتبدلت بعد عزي ذلا
قيل تسلى فقلت تسلى عظامي
في هواكم وحبكم ليس يبلى
حبكم قد سرى لوسط فؤادي
من قديم الزمان مذ كنت طفلا

قال ولم يزل الشاب في جملتنا حتى انتهينا الى المدينة وسألنا عن منزل الشيخ فأرشدنا اليه فطرقنا عليه الباب فخرج الينا كأنه قد خرج من

المال مما جمعه يوسف عليه السلام في زمنه من القبط في الغلاء فأوحى الله الى موسى عليه
السلام انى مورث بنى اسرائيل ما في أيدى آل فرعون من العروض والحلى وجاعله لهم بلاغا لرجوعهم الى
الارض المقدسة فاحتل لذلك عيدا تتمسك عليه أنت وقومك تشكروني وتذكروني وتعظموني في ذلك
اليوم وتسلوني فيه لما اريكم من الظفر وبنجاة الاولياء وهلاك الاعداء واستعيروا العبيد كم من آل فرعون
الحلى وأنواع الزينة فانهم لا يمنعون عنكم لابتلاء الله اياهم في ذلك الوقت ولما قذفت في قلوبهم لكم من
الرعب ففعل موسى ذلك كما أمره الله تعالى فأمر فرعون بزينة أهله وولده وما كان في خزائنه من أنواع
الحلى فاعيرت لبنى اسرائيل لما أراد الله بذلك ان يبقى على موسى وقومه أفضل أموال أعدائهم بغير قتال
ولا ايجاف خيل ولا رجل لطفا منه بهم واقضالا عليهم فلما دعا موسى عليهم مسخ الله الاموال التى بقيت
في أيديهم حجارة كلها حتى النخل والدقيق (قال) محمد بن كعب القرظى سألنى عمر بن عبد العزيز عن التسع
آيات التى أراها الله فرعون وقومه فقلت الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد
البيضاء والطمس وفلق البحر فقال عمر لا يكون الفقه الا هكذا ثم انه دعا بخريطة فيها أشياء مما كان أصيب
لعبد العزيز بن مروان اذ كان فيها بقايا أموال فرعون فأخرج البيضة مشقوقة نصفين وانها لحجر والجوزة
مشقوقة وانها لحجر والحمصة والعدسة (وروى) محمد بن اسحق عن رجل من أهل الشام كان بمصر قال قد
رأيت نخلة مصروعة وانها لحجر وقال لقد رأيت انسانا وما شككت أنه انسان وانه لحجر وكان ذلك المسخ في
ارقائهم دون أحرارهم اذ العبيد من جملة أموالهم فلم يبق لهم مال الا مسخه الله تعالى ما خلا الذى بأيدى بنى
اسرائيل من الحلى والجواهر وأنواع الزينة (وقال) ابن عباس أول الآيات العصا وآخرها الطمس قالوا
و بلغنا ان الدنانير والدراهم صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا وأثلاثا وجعل سكرهم حجارة

﴿الباب الخامس عشر في قصة اسراء موسى عليه السلام ببنى اسرائيل وخبر فلق البحر لهم﴾

قال الله تعالى وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون قال العلماء بأخبار الانبياء أوحى الله تعالى
الى موسى حين أراد اظهاره على عدوه أن اجمع بنى اسرائيل كل أهل أربعة بيوت في بيت ثم اذبحوا
أولاد الضأن واضربوا بدمائها على الابواب فانى مرسل على أعدائكم عذابا وانى سأرسل الملائكة فلا
تدخل بيتا على بابه دم وسآمرها ان تقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم وتسلمون أنتم ويهلكون
هم ثم اخبزوا فطيرا فانه أسرع لكم ثم أسر بعبادى حتى تنتهى بهم الى البحر فيأتيك أمرى وأمر موسى بنى
اسرائيل ففعلت ذلك فقالت القبط لبنى اسرائيل لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم فقالوا ان الله تعالى
مرسل العذاب عليكم فنسلم وتهلكون فقالت لهم القبط فما يعرفكم ربكم الا بهذه العلامة فقالوا هكذا
أمرنا نبينا فاصبحوا وقد طعن أبكار آل فرعون وماتوا كلهم في ليلة واحدة وكانوا سبعين ألفا فاشتغلوا بدفنهم
وعما نالهم من حزنهم على المصيبة وسرى موسى وقومه متوجهين الى البحر وهم ستمائة ألف وعشرون
ألفا لا يعد فيهم ابن سبعين سنة لكبره ولا ابن عشرين سنة لصغره وهم المقاتلة سوى الذرية وكان موسى
على الساقة وهرون على المقدمة فلما فرغ القبط من دفن أبكارهم و بلغهم خروج بنى اسرائيل قال
فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا ثم انهم خرجوا ولم يرضوا ان ساروا بأنفسهم حتى
ذهبوا بأموالنا معهم فنادى فرعون في قومه كما قال الله تعالى فأرسل فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء
لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون ثم ان فرعون تبعهم في قومه وعلى مقدمته هامان
في ألف ألف وسبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وبيده حربة وقال ابن جريج أرسل
فرعون في أثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسوّر مع كل ملك ألف رجل ثم خرج
فرعون خلفهم في الدهم وكان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم سوى سائر الالوان وذلك حين
طلعت الشمس وأشرقت كما قال الله تعالى فأتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان ورأت بنو اسرائيل غبار
عسكر فرعون قالوا يا موسى أين ما وعدتنا من النصر والظفر هذا البحر قدامنا ان دخلنا غرقنا وفرعون

الشيوخ قال ياسليمان يديه
بدا الشيخ الشاب بالسلام
والكلام واعتنقه
وابتدئه الشيخ والترحيب
حتى دونا فقال الشاب
ياسيدى ان الله يعلمكم
أطباء القلوب ولاوجاع
الذنوب وانى جريح الغفل
وداء مكين واعضل فان
قدرت ان تتلطف بيعض
مراهمك فافعل وأنشد
يقول شعرا
ان داء الذنوب داء عظيم
كيف لى بالخلاص من داء ذنبى
هل طبيب مناصح لى فانى
أعجز الخلق والاطباء طبى
آه واغربتى ويا طول حزنى
من وقوفى اذا وصلت لربى
وانقطاع الجواب منى ولم لا
وبلائى قد جل عن كل خطب
فقال له الشيخ سل عما
بدا لك فقال الشاب
ياسيدى ما علامة الخوف
من الله تعالى فقال ان
يؤمنك خوفه من كل خوف
قال فخر الفتى مغشيا عليه
فلما أفاق قال يرحمك الله
متى يتيقن العبد خوفه من
الله تعالى فقال اذا نزل العبد
نفسه من الدنيا منزلة
العليل فهو يحتمى من الطعام
مخافة طول السقام
ويصبر على غصص الدواء
مخافة طول الضنى قال
فصاح الشاب صيحة وغشى
عليه فلما أفاق قال ياسيدى
ما علامة المحب لله تعالى
فقال الشيخ ان درجة
المحب رفيعة فقال الشاب

جئتنا ان أذركنا فتلنا وأوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا فقال موسى لقومه يا قوم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون

(فصل) قالوا لما سار موسى بنى اسرائيل من مصر وأرادوا أن يسيروا ضرب الله عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى عليه السلام مشايخ بنى اسرائيل فسألهم عن ذلك فقالوا له ان يوسف عليه السلام لما مات بمصر أخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فيدفنوه فى الارض المقدسة فلذلك التاث علينا هذا الامر فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادى أنشد الله كل من يعلم موضع قبر يوسف الا أخبرني ومن لا يعلم صمت أذناه عن قولي فكان يمر بين رجلين ينادى فلا يسمعان قوله حتى سمعته عجوز منهم فقالت له أرأيتك ان دللتك عليه أتعطيني ما سألتك وأبى عليها وقال حتى أستأذن ربي فأمره ربه أن يعطيها مناها فأعطاها ذلك فقالت له انى أريد أن لا تنزل غرفة من الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت فانى عجوز كبيرة لا أستطيع أن أمشى فاحملني فحملها فلما دنت من النيل قالت له انه فى جوف هذا الماء فادع الله أن يحسر عنه الماء فدعا الله تعالى فحسر عنه فقالت له احفر ههنا ففعل فاستخرجه وهو فى صندوق من مرمر فحمله معه ودفنه فى الارض المقدسة قال عروة بن الزبير وقد كان الله تعالى أمر موسى أن يسير ببنى اسرائيل اذا طلع الفجر فدعا ربه أن يؤخر طلوعه حتى يفرغ من أمر يوسف ففعل فمن ثم تحمل اليهود موتاهم من كل بلد الى الارض المقدسة من فعل نبيهم ذلك أخبرني الحسن ابن محمد باسناده عن ابن أبي موسى الاشعرى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزل النبي صلى الله عليه وسلم باعرابي فاكرمه فقال له عليه السلام تعاهدنا فأتاه الاعرابي فقال له عليه السلام ما حاجتك قال له الاعرابي ناقة يا رسول الله برحلها وأعنز تحلبها أهلي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانية ما حاجتك فقال مالي حاجة غيرها فقال عليه السلام ان عجوز بنى اسرائيل كانت أحسن مسئلة من هذا وذكر الحديث الذى فى قصة يوسف قال فلما انتهى موسى الى البحر هاجت الريح وعادت ترمى بموج كالجبال فقال له يوشع بن نون يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا فقال موسى ههنا فخاض يوشع بن نون الماء فجاز البحر ولم يوار حافر دابته الماء وقال الذى يكتم ايمانه وهو حزقيل مؤمن آل فرعون يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقتحم البحر فارتسب فى الماء فذهب القوم ليصنعوا مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدرى كيف يصنع فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر وكان الماء فى ذلك الوقت فى غاية الزيادة فضرب موسى البحر بعصاه فلم يطعه فاوحى الله تعالى اليه أن كنه فضربه ثانيا وقال انفلق يا أبا خالد باذن الله تعالى فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فلما انفلق البحر واذا بالرجل الذى أقحم فرسه البحر واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده وظهر فى البحر اثنا عشر طريقا لاثنى عشر سبطا لكل سبط طريق وأرسل الله تعالى الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا كما قال الله تعالى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى قال سعيد بن جبير أرسل معاوية الى ابن عباس يسأله عن مكان لم تطلع فيه الشمس الا مرة واحدة فارسل اليه انه المكان الذى انفلق عنه البحر لبنى اسرائيل (أخبرنا) الحسن بن محمد باسناده عن عبد الله بن سلام أن موسى عليه السلام لما انتهى الى البحر قال يا من كان قبل كل شئ والمكون لكل شئ والكائن بعد كل شئ اجعل لنا فرجا ومخرجا فاوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصاك البحر فضرب بعصاه البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وروى) الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمكم الكلمات التى تكلم بها موسى حين جاز البحر بنى اسرائيل فقلنا بلى يا رسول الله قال قولوا اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال عبد الله فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فخاض بنو اسرائيل البحر كل سبط فى طريق وعلى جانبيه الماء كالجبل العظيم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط قد قتل اخواننا فاوحى الله الى

جبال الماء أن تشبكي فصارت المشبكات كهيئة الطاقات فنظر بعضهم بعضا وأخذوا البحر وكانوا يرون بعضهم بعضا ويسمع بعضهم بعضا حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى وإذ فرقنا بكم البحر أي فلقنا وميزنا لكم الماء يمينا وشمالا فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون وذلك أنه لما خرجت ساقة عسكر موسى من البحر وصلت مقدمة عسكر فرعون إليه فأراد موسى أن يدعو البحر ليرجع إلى حالته الأولى فأوحى الله إليه أن اترك البحر رهوا أي ساكنا على حاله إنهم جند مغرقون فلما وصل جند فرعون إلى البحر رأوه منفلقا فقال فرعون انظروا إلى البحر كيف انفلق لهيبتي حتى أدرك أعدائي وعبيدي الذين أبقوا مني فأقتلهم فادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه ولم يكن في خيل فرعون أنثى وإنما كانت ذكورا كلها فجاء جبريل عليه السلام على فرس له أنثى وديق مشتهية للفحل وعليه عمامة سوداء فتقدمهم وخاض البحر فظن أصحاب فرعون أن الفارس منهم فلما شمت الخيول ريحها اقتحمت البحر في أثرها حتى خاضوا كلهم وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ويقول لهم الحقوا بأصحابكم فلما أراد فرعون أن يسلك طريق موسى نهاه وزيره هامان وقال له إني قد أتيت إلى هذا الموضع مرارا وما لي عهد بهذا الطريق وإني أخاف ولا آمن أن يكون مكرا من الرجل يكون فيه هلاكنا وهلاك أصحابنا فلم يطعه فرعون وذهب معاجلا على حصانه ليدخل البحر فامتنع الحصان فجاء جبريل على رمكة بيضاء فصهلت فتقدم إليها حصان فرعون فخاض جبريل البحر فتبعها حصان فرعون فاقتحم به البحر فلما توافوا في البحر وهم أولهم أن يخرج من البحر أمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم فغرقهم أجمعين وذلك بمرأى من بني إسرائيل وذلك قوله تعالى وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون يعني إلى مصارعهم وانفرد جبريل عليه السلام بفرعون فلما أدرك فرعون الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين فقال له جبريل آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ثم إن جبريل أراه فتياه وتوقيعه الذي فيه وقال له إنما هذا فتياك الذي أفتيت به ثم جعل يدس في فيه من حمأ البحر مخافة أن يعيد تلك الشهادة وفي الحديث أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بغضت أحدا من الخلق ما بغضت رجلين أما أحدهما فمن الجن وهو إبليس عليه لعنة الله حين أبى أن يسجد لآدم والآخر من الإنس وهو فرعون حين قال أنا ربكم الأعلى ولو رأيتني يا محمد وأنا آخذ من حمأ البحر وأدسه في فيه مخافة أن يقول كلمة التوحيد فيرحمه الله بها قالوا فلما سمعت بنو إسرائيل صوت التطام البحر قالوا لموسى ما هذه الضوضاء فقال لهم إن الله قد أهلك فرعون وكل من كان معه غرقا فقالوا لموسى إن فرعون لا يموت ألم تر أنه كان يلبث كذا وكذا يوما لا يحتاج إلى شيء مما يحتاج إليه الإنسان فأمر الله تعالى البحر فألقاه على نجوة من الأرض وعليه درعه حتى نظر إليه بنو إسرائيل فذلك قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية فيقال إنه لو لم يخرجه الله ببدنه لشك فيه بعض الناس فلما جاوز موسى ببني إسرائيل البحر أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون (أخبرني) الحسن بن محمد بإسناده عن محمد بن قيس قال جاء يهودي إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال يا أبا الحسن ما صبرتم بعد نبيكم خمسا وعشرين سنة حتى قتل بعضكم بعضا فقال بلى قد كان صبر وخير ولكنكم ما جفت أقدامكم من حمأ البحر حتى قلتم يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فلما أغرق الله تعالى فرعون ومن معه ونجى موسى ومن معه بعث موسى جندين عظيمين من بني إسرائيل كل جند اثنا عشر ألفا إلى مدائن فرعون وهي يومئذ خالية من أهلها قد أهلك الله عظماءهم ورؤساءهم وقادتهم ومقاتلتهم فلم يبق منهم إلا النساء والصبيان والمرضى والهرمى فأمر على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فدخلوا بلاد فرعون وغنموا ما كان فيها من أموالهم وكنوزهم فحملوا من ذلك ما استقلت به الحمول منها وما لم يطيقوا حمله باعوه من قوم آخرين فذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون إلى قوله تعالى فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين إلى آخر القصة ثم إن يوشع بن نون

وقال أين الوديعة يا أبا القاسم فقلت له وكيف ذلك أخبرنا أيها الشاب بحالك فقال يا سيدي إني كنت في مشربة بني فلان فهتف بي هاتف أن قم إلى الجنيد واستلم ما عنده من الوديعة التي تركها لك فلان وهي كذا وكذا فإنك قد جعلت مكانه من الأبدال قال الجنيد فدفعت إليه تلك الوديعة فنزع ثيابه واغتسل ولبس المرقعة وأخذ الركوة والعصا وتوجه نحو الشام فلم أره رضي الله تعالى عنه ونفعنا به آمين (وحكي عنه أيضا رضي الله تعالى عنه) أنه قال كان لي مسجد وكان بجانبه جار شرطي كنت أعرف منه أخذ أموال المسلمين فلما حضرته الوفاة أتوا به إلى مسجدي لأصلي عليه فامتنعت من الصلاة عليه وقلت خذوه عني وصلوا عليه في أي مسجد كان بعيدا عن مسجدي فأخذوه ومضوا به من عندي فلما كان الليل رأيت الشرطي وعليه ثياب خضر وهو يتبختر في الجنة قال الجنيد فقلت له ألست الذي طردتك بالأمس فقال نعم فقلت له أخبرني بحالك فقال لما كان من أمري ما كان وطردتني وامتنعت من الصلاة علي دخل عندي رعب شديد فلما مضوا بي من عندك

استخلف على قوم فرعون رجالا ثم رجع الى موسى بمن معه من المسلمين غانمين شاكرين

((الباب السادس عشر في قصة ذهاب موسى الى الجبل لميقات ربه ومكالمة
ايتاء الله تعالى له الالواح وانزاله التوراة وما يتعلق بذلك))

قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر وقال في موضع آخر واذ واعدنا موسى أربعين ليلة قال العلماء بقصص النبيين وسير الماضين ان موسى كان وعد بنى اسرائيل وهو بمصر اذا أخرجوا منها وهلك عدوهم أن يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون وقومه واستنقذ بنى اسرائيل من أيديهم وأمنهم من عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها قالوا يا موسى ائتنا بالكتاب الذى وعدتنا به فسأل موسى ربه ذلك فأمره الله أن يصوم ثلاثين يوما ثم يتطهر ويطهر ثيابه ويأتى طور سيناء ليكلمه ويعطيه ذلك الكتاب فصام ثلاثين يوما فلما صعد الجبل أنكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب (وقال أبو العالية) أخذ من لحاء الشجر فمضغه فقالت له الملائكة انا كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدتها بالسواك فأوحى الله تعالى اليه أن صم عشرة أيام أخر وقال له أما علمت ان خلوف فم الصائم أطيب عندى من رائحة المسك وكانت فتنتهم فى العشرة الايام التى زادها الله تعالى على موسى فذلك قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وأتممناها بعشر يعنى من ذى الحجة (أخبرنى) الحسن بن محمد باسناده عن أبى هريرة ان جميع الشهور تنقص ما خلا ذا القعدة لقوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر أى من ذى الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة فلما مضت أربعون ليلة تطهر موسى وطهر ثيابه لميقات ربه فلما أتى طور سيناء كلمه ربه وناجاه وقربه وأدناه كما قال تعالى وقربناه نجيا (قال وهب) كان بين الله وبين موسى سبعون حجابا فرفعها الله كلها الا حجابا واحدا فتخلى موسى لكلام الله تعالى واشتاق الى رؤيته وطمع فيها فقال رب أرنى أنظر اليك (قال السدى) لما كلم الله موسى غاص الخبيث ابليس فى الارض حتى خرج من بين قدمى موسى فوسوس فى قلبه وقال ان مكلمك الشيطان فعند ذلك سأل الرؤية فقال الله تعالى لن ترانى وليس يطيق البشر النظر الى فى الدنيا من نظر الى مات فقال الهى سمعت كلامك فاشتقت للنظر اليك ولأن أنظر اليك ثم أموت أحب الى من أن أعيش ولا أراك فقال له انظر الى الجبل وهو أعظم جبل فى مدين يقال له زبير وذلك ان الجبال لما علمت ان الله يريد أن يتجلى لجبل منها تعاظمت وتشامخت رجاء أن يتجلى الله لها وجعل زبير يتواضع من بينها فلما رأى الله تواضعه رفعه من بينهن وخصه بالتجلى قال الله تعالى فان استقر مكانه فسوف ترانى فتجلى الله تعالى للجبل (واختلف العلماء) فى معرفة التجلى قال ابن عباس ظهر نوره للجبل وقال الضحاك أظهر الله تعالى من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب ما تجلى من عظمة الله تعالى للجبل الا مثل سم الخياط حتى صار دكا وقال السدى ما تجلى الا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قرأ هذه الآية فقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل يعنى غار وقال الحسن أوحى الله تعالى الى الجبل وقال هل تطيق رؤيتى فغار الجبل وساخ فى الارض وموسى ينظر اليه حتى ذهب أجمع وقال أبو بكر بن عمر الوراق حكى لى عن سهل بن سعد الساعدى أن الله تعالى أظهر من بين سبعين ألف حجاب نورا قدر درهم فجعل الجبل دكا قال أبو بكر فعذب اذ ذاك كل ماء وأفاق كل مجنون وبرئ كل مريض وزال الشوك عن الاشجار واخضرت الارض وازهرت وخمدت نار المجوس وخرت الاصنام لوجوهها وقال السدى ما تجلى للجبل الا قدر جناح بعوضة فصار الجبل دكا وقال ابن عباس ترابا وقال سفيان ساخ حتى وقع فى البحر قال عطية العوفى صار رملا هائلا وقال الكلبى جعله دكا أى مكسرا جبالا صغارا * وبالاسناد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال صار بعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة فى المدينة أحد وورقان ورضوى ووقعت ثلاثة بمكة ثور وثبير وحراء وخر موسى صعقا قال ابن عباس مغشيا عليه وقال قتادة ميتا وقال الكلبى خر موسى صعقا يوم الخميس يوم عرفة وأعطى

... الاولى
بالمنادم ... ثم قال
ما كان عندى من الخوف
فلما وقفت بين يديه جعلت
أتشهد ... عليه فقال الله
عز وجل يا عبدى ما قال
الجنيد فقلت يا سيدى أنت
أعلم بما قاله فقال الله عز
وجل وعزتى وجلالى ان
كان قد طردك الجنيد فقد
قبلتك فأنا أقبل المطرودين
وأعفوا عن المذنبين
امضوا بعبدى الى الجنة
برحمتى وأنا أرحم الراحمين
اللهم ارحمنا كما رحمته وارحم
جميع المسلمين (وحكى عن
أبى العباس الخضر عليه
السلام) أنه قال كنت
بصنعاء اليمن فى مسجد عبد
الرزاق الواعظ وكان من
أكابر العلماء والاولياء أسمع
منه ما يقول فنظرت الى
شاب منفرد بناحية من
المسجد مخمل نفسه واضعا
رأسه بين ركبتيه فأتيت
اليه وحركته وقلت يا هذا لم
لا تحضر مجلس عبد الرزاق
وتسمع منه ما يقول فقال
قد سمعت من الله عز وجل
فأدهشنى ذلك فقلت له ان
كنت صادقا فمن أنا فقال ان
صحت الفراسة فأنت الخضر
عليك السلام ثم غاب عن
بصرى فلم أره نفعنا الله
تعالى به آمين (وحكى عن
عبد الله التسترى رضى
الله تعالى عنه) أنه قال
غزوا الذى سنة من
السنين مع المجاهدين

التوراة يوم الجمعة يوم النحر فلما أفاق الذي نال موسى صعقا قالت الملائكة مالابن عمران وسؤاله الرؤية (وفي بعض الكتب) ان ملائكة السموات والارض أتوا موسى وهو مغشي عليه فجعلوا يركلونه بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة وقال وهب لما سأل موسى الرؤية أرسل الله تعالى الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق فاحاطت بالجبل الذي عليه موسى وأمر الله تعالى ملائكة السموات أن يعترضوا على موسى أربعة فراسخ من كل ناحية فمرت به ملائكة سماء الدنيا كثيرا مثل البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بصوت عظيم كصوت الرعد الشديد ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فهبطوا عليه مثل الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع موسى مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة في جسده فقال ندمت على مسئلتي فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه شيء ان خرجت احترقت وان قعدت مت فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا موسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم هبطت ملائكة السماء الثالثة كامثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس والتهليل كلجب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففزع موسى عليه السلام واشتد فزعه وأيس من الحياة فقال له رئيس الملائكة مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا صبر لك عليه ثم هبطت عليه ملائكة السماء الرابعة لا يشبههم شيء من الذين مروا به ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مروا به ثم هبطت عليه ملائكة السماء الخامسة في سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم طرفه ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوف موسى فزعا واشتد خوفه وكثر بكاؤه ثم قال له خير الملائكة وكبيرهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدي الذي أراد رؤيتي فاعترضوا عليه فهبطوا في يد كل ملك منهم حربة طويلة تلتهب نارا أشد ضوأ من الشمس ولباسهم كلهب النار واذا سبحوا وقدسوا جاوبهم كل من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبدا لا يموت وفي رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رآهم موسى رفع رأسه وصوته يسبح معهم ويبكي ويقول رب اذكرني ولا تنس عبدك لا أدري هل أتخلص مما أنا فيه أولا ان خرجت احترقت وان مكثت احترقت فقال له رئيس الملائكة وكبيرهم أوشك يا ابن عمران ان يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذي سألت ثم أمر الله تعالى أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة قال الله تعالى أروه اياه فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة رب العزة ورفعت ملائكة السموات أصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبدا لا يموت بشدة أصواتهم فارتج الجبل واندك وخر موسى صعقا على وجهه ليس معه روح فقلب الله الحجر الذي كان موسى عليه وجعله كهيئة القبة لئلا يحترق موسى وأرسل الله عليه روح الحياة برحمته فقام موسى يسبح الله ويقول آمنت بالله ربي وصدقت بانه لا يراك أحد فيحيا ومن نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الارباب واله الآلهة وملك الملوك لا يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء تبت اليك الحمد لا شريك لك أنت رب العالمين (قال السدي) حف حول الجبل بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار وحف حول النار بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار ثم تجلى ربه للجبل (أخبرني) الحسن باسناده عن عروة بن رديم اللخمي قال كانت الجبال قبل أن يتجلى الله لموسى صما ملساء فلما تجلى الله للجبل صار الطور دكا وتفطرت الجبال وصار فيها كهوف وسقوف قالوا ثم بعث الله تعالى جبريل عليه السلام الى جنة عدن وقطع منها شجرة واتخذ منها تسعة ألواح طول كل لوح منها عشرة أذرع بذراع موسى وكذلك عرضه وكانت الشجرة التي اتخذ منها الالواح من زمرد خضر ثم أمر جبريل أن يأتيه بتسعة أغصان من سدرة المنتهى فجاء بها فصارت جميعا نورا وصار النور قلما أطول مما بين السماء والارض وكتب التوراة لموسى بيده وموسى يسمع صرير القلم فكتب الله له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا وذلك يوم الجمعة

عن سبيل الله تعالى فلما كان يوم الصفين وقع المهر الذي كان تحته فقال والدي يا رب أحي لي ابا حتى أركب عليه هاهنا الى قريتي فليس معي غيره قال فقام كأنه حتى قام المهر في الحال حيا باذن الله تعالى فغزا والدي عليه فلما رجع قال يا ولدي خذ السرج عن المهر فقلت يا والدي انه عرقان حتى يستريح فقال يا ولدي انه عارية فلما أخذت السرج عنه وقع المهر في الحال ميتا وهذا من بعض كراماته رضي الله تعالى عنه (وحكي عن بعض الصالحين نفعنا الله تعالى بهم) أنه قال كان عندنا رجل نباش كان يسرق الاكفان من القبور فماتت امرأة من المتعبدات فصلى عليها كثير من الناس وصلى النباش معهم وخرجوا الى قبرها والنباش معهم ليعرف قبرها فلما جن الليل أتى النباش الى قبرها ونزل اليها فأنطقها الله عز وجل وقالت سبحان الله رجل مغفور له يأخذ كفن امرأة مغفور لها فقال النباش ان الله غفر لك فكيف غفر لي فقالت ان الله غفر لي ولمن صلى علي فخرج النباش من عندها وتاب الى الله تعالى وحسنت توبته ببركتها ولزم العبادة حتى مات رحمه الله تعالى

وأشرقت الارض بالنور ثم أمر الله موسى أن يأخذها بقوة ويقرئها قومه فوضعت الالواح على النمله فلم تطق حملها لثقل العهود والمواثيق التى فيها فقالت يارب كيف أطيق ان أحمل كتابك الثقيل المبارك وهل خلقت خلقا يطيق حمل ذلك فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام وأمره أن يحمل الالواح فبلغها موسى فلم يطق حملها فقال يارب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها من النور والبيان والعهود وهل خلقت خلقا يطيق حملها فأمده الله بملائكة يحملونها بعدد كل حرف من التوراة فحملوها حتى بلغوها موسى وعرضوا الالواح على الجبل فانصدع لها الجبل وخشع وقال يارب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها وضرب الله مثلا فى القرآن فقال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون كما أنزل التوراة على الجبل فلم يطق حملها قال فلما وضعوها على الجبل بين يدى موسى وذلك عند صلاة العصر فقبض موسى على الالواح فلم يطق حملها فلم يزل يدعو حتى هون الله عليه حملها فحملها فذلك قوله ياموسى انى اصطفيتك الآية وقوله تعالى وكتبنا له فى الالواح الآية

(فصل فى نسخة العشر الكلمات التى كتبها الله تعالى لموسى نبيه وصفيه فى الالواح وهى معظم التوراة وعليها مدار كل شريعة)

وهى بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله الملك الجبار العزيز القهار لعبده ورسوله موسى بن عمران أن سبحنى وقدسنى لا اله الا أنا فاعبدنى ولا تشرك بى شيأ واشكر لى ولوالديك الى المصير أحيك حياة طيبة ولا تقتل النفس التى حرم الله عليك فاضيق عليك السماء بأقطارها والارض برحبها ولا تحلف باسمى كاذبا فانى لا أطهر ولا أزكى من لا يعظم اسمى ولا تشهد بما لا يعى سمعك ولا تنظر عينك ولا يقف عليه قلبك فانى أوقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة وأسائلهم عنها ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلى ورزقى فان الحاسد عدو نعمتى ساخط لقسمتى ولا تزن ولا تسرق فاحجب عنك وجهى وأغلق دون دعوتك أبواب السموات ولا تذبح لغيرى فانه لا يصعد الى من قربان أهل الارض الا ما ذكر عليه اسمى ولا تفجر بحليلة جارك فانه أكبر مقتا عندى وأحب للناس ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك فهذه نسخة العشر الكلمات وقد أعطاها الله جميعا محمدا صلى الله عليه وسلم فى ثمانى عشرة آية وهى قوله تعالى فى سورة بنى اسرائيل وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه الى قوله ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ثم جمعها فى ثلاث آيات من سورة الانعام وهى قوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الى قوله تعالى ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (أخبرنا) أبو محمد الفريابى باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أعطى موسى الالواح نظر فيها فقال يارب لقد أكرمتنى بكرامة لم تكرم بها أحدا من العالمين قبلى قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين أى بقوة وجد ومحافظة وتموت على حب محمد عليه السلام قال موسى يارب ومن محمد قال أحمد الذى أثبت اسمه على عرشى قبل أن أخلق السموات والارض بألفى عام وانه نبيى وصفيى وخيرتى من خلقى وهو أحب الى من جميع خلقى وجميع ملائكتى فقال موسى يارب ان كان محمد أحب اليك من جميع خلقك فهل خلقت أمة أكرم عليك من أمتى قال الله تعالى ان فضل أمة محمد عليه السلام على سائر الامم كفضلى على جميع الخلق قال يارب ليتنى أراهم قال ياموسى انك لن تراهم ولو أردت أن تسمع كلامهم أسمعتك قال يارب فانى أريد ان أسمع كلامهم قال الله تعالى يا أمة محمد فاجابوا كلهم من أصلاب آبائنا وأرحام أمهاتنا لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك فقال الله تعالى يا أمة محمد ان رحمتى سبقت غضبى وعفوى سبق عقابى قد أعطيتكم من قبل أن تسألونى وقد أجبتكم من قبل أن تدعونى وقد غفرت لكم من قبل أن تعصونى من جاء يوم القيامة بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبدى ورسولى دخل الجنة ولو كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر وهذا قوله تعالى وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين وقوله تعالى وما كنت بجانب الطور اذ نادينا (أخبرنا) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن

سبيله وعلينا وعلى اخواننا المسلمين آمين (وحكى عن عبد الواحد بن زيد رضى الله تعالى عنه) أنه قال بينما نحن جلوس ذات يوم فى مجلسنا اذ قد تهيأنا للخروج للغزو فى سبيل الله تعالى وقد أمرت أصحابى ان يتهيؤا فقرأ رجل منهم فى مجلسنا ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فقلت نعم فقال غلام يا عبد الواحد اشهد انى بعته نفسى ومالى بان لى الجنة فقلت له يا غلام ان حد السيف أشد من ذلك وأنت صغير السن نخاف عليك ان لا تصبر وتعجز عن ذلك فقال الغلام يا عبد الواحد أبايع الله تعالى بالجنة ثم أعجز أشهد الله انى بعته نفسى ومالى فى سبيله قال عبد الواحد فتعجبنا من ذلك وقلنا صبى يعقل ونحن لا نعقل فخرج من عندنا وتصدق بجميع ماله فى سبيل الله الا فرسه وسلاحه ونفقته فلما كان يوم الخروج كان أول من طلع علينا هو فقال السلام عليك يا عبد الواحد فقلت وعليك السلام ياحبيبى ربح البيع ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا ويخدم دوابنا ويحرسنا اذا نمنا حتى انتهينا الى بلاد الروم فبينما نحن جلوس اذا به قد أقبل وهو

علي بن نصر المكي قال أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحق السراج قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المعافري عن أبيه أن كعب الأحبار رأى حبرا من اليهود يبكي فقال له ما يبكيك فقال ذكرت بعض الأمر فقال كعب الأحبار أنشدك الله لئن أخبرتك بما أبكاك لتصدقني قال نعم قال أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل على موسى عليه الصلاة والسلام أن موسى نظر في التوراة فقال إني أجد أمة هم خير الأمم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول والآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الدجال فقال موسى رب اجعلهم أمتي قال هم أمة محمد يا موسى قال له الحبر نعم قال كعب أنشدك الله تعالى هل تجد في كتاب الله المنزل على موسى أن موسى نظر في التوراة فقال إني أجد أمة هم الحامدون رعاة الشمس هم المحكمون إذا أرادوا أمرا قالوا نفعله إن شاء الله تعالى فقال موسى فاجعلهم أمتي فقال هم أمة محمد يا موسى قال له الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يا رب إني أجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الأولون يحرقون صدقاتهم بالنار غير أن موسى كان يجمع صدقات بني إسرائيل فلا يجد عبدا مملوكا ولا أمة إلا اشترا من تلك الصدقة وما فضل يحفر له حفرة عميقة القعر وألقاه فيها ثم دفنه كي لا يرجعوا فيه وهم المستجيبون المستجاب لهم وهم الشافعون والمشفعون قال موسى يا رب اجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال إني أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله تعالى وإذا هبط الى واد حمد الله تعالى الصعيد لهم طهور والأرض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غرا محجلين من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في التوراة أن موسى نظر فيها فقال يا رب إني أجد أمة إذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة وإذا عملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه وإذا عملها كتبت عليه سيئة مثلها فاجعلهم يا رب أمتي قال هم أمة محمد يا موسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يا رب إني أجد أمة مرحومة أصفياء يرثون الكتاب فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم إلا مرحوما فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد يا موسى فقال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يا رب إني أجد أمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصطفون في صلاتهم صفوفا كصفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار منهم أحد ومنهم من لا يرى الحساب إلا مثل ما يرى الحجر من وراء الشجر فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد يا موسى قال الحبر نعم قال فلما عجب موسى من الخير الذي أعطاه الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين قال موسى يا ليتني من أصحاب محمد فأوحى الله تعالى إليه بثلاث آيات يرضيه بهن فقال الله تعالى يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين الى قوله تعالى دار الفاسقين وقوله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى كل الرضا (وقال ابن عباس) لما سار موسى الى طور سيناء الى الميقات قال له ربه ما تبتغي قال جئت أبتغي الهدى قال وجدته يا موسى قال موسى يا رب أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال أي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه فيسمع الكلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى (وقال عبد الله بن مسعود) لما قرب الله تعالى موسى الى طور سيناء رأى عبدا في ظل العرش جالسا قال يا رب من هذا قال عبد لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله بر بوالديه لا يمشي بالنميمة قال موسى يا رب اغفر لي ما جرى من ذنبي وما غبر وما بين ذلك وما أنت أعلم به مني أعوذ بك من وسوسة نفسي

ينادي واشوقاه الى العيناء المرضية فقال أصحابي لعل هذا الغلام وسوس واختلط عقله قال عبد الواحد فقلت له يا حبيبي وما هذه العيناء المرضية فقال الغلام يا سيدي إني غفوت قليلا فرأيت في منامي كأنه قد أتاني آت فقال لي اذهب الى العيناء المرضية ثم أخذ بيدي وهجم بي على روضة فيها ماء غير آسن وإذا على شاطئ ذلك النهر جوار عليهن من الحلي والحلل ما لا أقدر أن أصفه فلما رأينني استبشرن بي وقلن هذا زوج العيناء المرضية فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية فقلن نحن خدمها وإماؤها امض أمامك فمضيت أمامي فإذا بنهر من لبن لم يتغير طعمه في روضة فيها من كل زينة وجوار من رأيتهن فتنت بحسنهن وجمالهن فلما رأينني استبشرن وقلن هذا زوج العيناء المرضية فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية فقلن وعليك السلام يا ولي الله نحن خدمها وإماؤها امض أمامك فمضيت أمامي فوصلت الى خيمة من درة بيضاء وعلى باب تلك الخيمة جارية عليها من الحلي والحلل ما لا أقدر أن أصفه فلما رأتني استبشرت بي ونادت من في الخيمة أيتها العيناء المرضية هذا بعلك قد قدم قال فدنوت

وأعوذ بك من سوء عملي قال قد كفيت ذلك يا موسى قال موسى يا رب أي الأعمال أحب إليك أن أعمل به قال تذكرني ولا تنساني قال أي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه مؤمن في خلق حسن قال فأي عبادك شر عملا قال فاجر في خلق سيء جيفة بالليل بطال بالنهار قال فلما رجع موسى الى قومه وقد أتاهم بالتوراة أبوا أن يقبلوها ويعملوا بما فيها من الأثقال والأغلال التي كانت عليهم فيها وكانت شريعة ثقيلة فأمر الله جبريل فقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم مثل الظلة مقدار قامة الرجل وقال أبو صالح عن ابن عباس أمر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤسهم مثل الظلة فذلك قوله تعالى واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور وقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة (وقال عطاء) عن ابن عباس رفع الله تعالى فوق رؤسهم الطور وبعث نارا من قبل وجوههم وأتاهم البحر الملح من خلفهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا فان قبلتموه وفعلتم ما أمرتكم به والا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم في هذا البحر وأحرقتكم بهذه النار فلما رأوا أن لا مهرب لهم منها قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة في اليهود لا يسجدون الا على أنصاف وجوههم فلما زال الجبل قالوا يا موسى سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعناك (وروى) قتادة عن الحسن قال مكث موسى بعد ما تغشاه نور رب العالمين وانصرف الى قومه أربعين ليلة لا يراه أحد الا مات حتى انه اتخذ لنفسه برنسا وعليه برقع لا يبدي وجهه لأحد مخافة أن يموت (وأخبرني) أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الثقفي قال حدثنا محمد بن أبي شيبة قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله القزويني قال حدثنا محمد بن مرزوق النضري قال حدثنا هانئ بن يحيى السلمي قال حدثنا الحسن بن أبي سهل عن جعفر عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كلم الله موسى كان يبصر بعد ذلك دبيب النملة في الليلة المظلمة على الصفا من مسيرة عشرة فراسخ (وأخبرنا) أبو عبد الله الثقفي قال حدثنا عبد الله بن شيبة قال حدثنا أبو حامد المستملي قال حدثنا اسحق قال حدثنا خالد بن خراش قال حدثنا عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه ان موسى كان اذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا لشدته

﴿باب في ذكر قصة بني اسرائيل وهرون مع السامري حين اتخاذهم العجل﴾

قال أهل السير وأصحاب التواريخ لما أهلك الله فرعون وقومه قال موسى اني ذاهب الى الجبل لميقات ربي وآتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون وواعدهم ثلاثين ليلة واستخلف عليهم أخاه هرون فجاء جبريل عليه السلام على فرس يقال لها فرس الحياة وهي بلقاء أنثى لا تصيب شيأ الا حيي فلما رآه السامري على تلك الفرس عرفه وقال ان لهذه الفرس لشأنا عظيما وأخذ قبضة من تراب حافر فرس جبريل هذا قول السدي (وقال الكلبي) انما اتخذ السامري من تراب حافر فرس جبريل العجل حين عبروا البحر وبعث الله تعالى جبريل على فرس بلقاء خطوتها مد البصر عليها تركب الانبياء كلهم وخاض البحر وتبعت خيول قوم فرعون ريحها فخاضت في أثرها قالوا وانما عرف السامري جبريل دون بني اسرائيل لان فرعون حين أمر بذبح أولاد بني اسرائيل جعلت المرأة اذا ولدت الغلام انطلقت به سرا في جوف الليل الى صحراء أو واد أو غار في جبل فأخفته فيقيض الله له ملكا من الملائكة يطعمه ويسقيه حتى يختلط بالناس وكان الذي ربى السامري جبريل عليه السلام فجعل يمص من أحد ابهاميه سمنا ومن الآخر عسلا فمن ثم عرفه ومن ذلك الوقت اذا جاع الطفل يمص ابهامه فيروى من المص لانه جعل له فيه رزق ويقال ان جبريل عليه السلام وكل بالسامري وغلام بونا يسقيه اللبن بالغداة والعشي حتى كبروا اختلط بالناس فلذلك عرفه دون سائر بني اسرائيل لانه هو الذي رباه (٣) وكان أبو عمرو والسكندري يقول دابة موسى وفرعون دابة موسى أز أهل بهشت وفرعون أز أهل دوزخ ودابة السامري وجبريل دابة جبريل أز أهل بهشت والسامري أز أهل دوزخ بود قال قتادة والسدي كان عظيما من عظماء بني اسرائيل من قبيلة

يقال

من بنات الملوك فخطبت اليها فاذا هي قاعدة على سرير من ذهب أحمر مكلل بالدر والياقوت والجوهر فلما رأيتها افتتنت بها فقالت مرحبا بك يا ولي الله قد دنا لك القدوم علينا فتقدمت لأعانقها فقالت مهلا فانه لم يؤذن لك أن تعانقني لان فيك روح الحياة ولكن انت تفطر الليلة عندنا ان شاء الله تعالى فانتبهت من منامي وليس لي صبر يا عبد الواحد عنها قال عبد الواحد فما فرغ من كلامه حتى أقبلت علينا سرية من العدو فحمل الغلام فيهم فعددنا تسعة رجال قتلهم وكان هو العاشر فمشيت اليه وهو يتشحط في دمه وهو يضحك حتى فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه قال عبد الواحد فحزنت عليه وأنشدت

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها
يمسي ويصبح مغرورا وغرارا
هلا تركت لذي الدنيا معانقة
حتى تعانق في الفردوس أبكارا
ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها

(٣) قوله وكان أبو عمرو الخ عبارة فارسية معناها دابة موسى وجبريل عليهما السلام من أهل الجنة ودابة فرعون والسامري من أهل جهنم اهـ من هامش الأصل

يقال لها ساميرة ولكن عبد والله ناقق وقال سعيد بن جبير كان السامري من أهل كرمان وقال غيرهما كان رجلا صائغا من أهل باجرمى واسمه ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وكان رجلا منافقا قد أظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فدخل في قلبه حب البقر فلما ذهب موسى لميقات ربه وكان قد وعد قومه ثلاثين ليلة وأتمها الله بعشر حتى صارت أربعين فعد بنو اسرائيل ثلاثين ليلة فلما لم يرجع اليهم افتتنوا وقالوا ان موسى أخلفنا الوعد فاغتنمها السامري حتى فعل ما فعل وقال قوم انهم عدوا الليل يوما والنهار يوما وكان موسى قد وعدهم أربعين ليلة فلما مضت عشرون يوما افتتنوا فأتاهم السامري وقال لهم ان موسى قد احتبس عنكم فينبغي لكم أن تتخذوا الها فان موسى ليس براجع اليكم وقد تم الميقات فينبغي لكم ان تتخذوا الها وانما طمع فيهم السامري لانهم يوم عبر موسى البحر مروا على قوم من العمالقة وهم يعكفون على أصنام لهم فقالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة الآية فاغتنمها السامري فلما كان ذلك اليوم وخرج موسى ومضى من خروجه عشرون يوما وكانوا قد استعاروا حليا كثيرا من آل فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بعلة العيد وأهلك الله فرعون وقومه وبقي ذلك الحلي بايدي بني اسرائيل فلما خرج موسى قال هرون لبني اسرائيل ان حلي القبط الذي استعرتموه منهم غنيمة ولا يحل لكم فاجمعوه جميعا واحفروا له حفرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيه رأيه ففعلوا ذلك فجاء السامري بالقبضة التي أخذها من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام فقال لهرون يا نبي الله هل اقذفها فيه فظن هرون انه من الحلي يريد به ما يريد أصحابه فقال له اقذف فقذفها في الحفرة على الحلي فصارت عجلا جسدا له خوار (وقال ابن عباس) أوقد هرون نارا وأمرهم ان يقذفوا فيه فقذف السامري تلك القبضة فيها فقال كن عجلا جسدا له خوار وكان البلاء والفتنة حين صار كذلك وذلك أن السامري قال لهرون أألقي ما في يدي وهو يظن أنه من تلك الحلي فقال نعم ويقال ان الذي قال لبني اسرائيل ان الغنيمة لا تحل لكم هو السامري فصدقوه وجمعوها ودفعوها اليه فصاغ منها عجلا في ثلاثة أيام ثم ألقى فيه القبضة فجثا وخار خورة ثم لم يعد وقال السدي كان يخور ويمشي فلما أخرج السامري العجل وكان من ذهب مرصع بالجوهر كأحسن ما يكون وقال هذا الهكم واله موسى فنسي أي أخطأ الطريق فتركه ههنا وخرج يطلبه فلذلك أبطأ عليكم واختلف الموعد وفي بعض الروايات ان السامري لما صاغ العجل وقذف القبضة فيه أثمر العجل وعدا وخار فصار له لحم ودم وروي ان ابليس خار في وسطه ويقال ان السامري جعل مؤخر العجل الى حائط وحفر في الجانب الآخر في الارض وأجلس فيه انسانا فوضع فمه في دبره فخار وتكلم بما تكلم به وقال هذا الهكم واله موسى فلبس السامري على أوغاد بني اسرائيل وجهالهم حتى أضلهم وقال لهم ان موسى قد أخطأ ربه فأتاكم ربه أراد أن يريكم أنه قادر على أن يدعوكم الى نفسه بنفسه وأنه لم يبعث موسى لحاجة منه اليه وانه أظهر اليكم العجل ليكلمكم من وسطه كما كلم موسى من الشجرة قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه انما سمي العجل لانهم تعجلوه قبل رجوع موسى اليهم (وقال الحسن البصري) اسم عجل بني اسرائيل الذي عبدوه يهموت قالوا فلما رأوا العجل وسمعوا قول السامري افتتنوا به غير اثني عشر ألفا وكان مع هرون ستمائة ألف فعكفوا عليه يعبدونه من دون الله وأحبوه حبا ما أحبوا مثله شيئا قط فقال لهم هرون يا بني اسرائيل انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى فأقام هرون فيمن معه من المسلمين وأقام من يعبد العجل على عبادته وتخوف هرون ان سار بمن معه من المسلمين الى المفتونين الضالين أن يقول له موسى فرقت بين بني اسرائيل وكان له هائبا مطيعا وقال قتادة في هذه القصة قد كره الصالحون الفرقة قبلكم (أخبرني) الحسن باسناده عن راشد بن سعيد قال لما واعد الله موسى أربعين يوما قال الله تعالى يا موسى ان قومك قد افتتنوا من بعدك قال يا رب كيف يفتتنون وقد نجيتهم من فرعون ومن البحر وأنعمت عليهم قال انهم اتخذوا العجل الها من دوني وهو عجل ذو جسد له خوار قال يا رب من نفخ فيه الروح قال أنا قال أنت وعزتك فتنتهم ان هي الا فتنتك

فيشفى لك أني لأنا من النار
(وحكي عن عبد الواحد رضي الله تعالى عنه) انه قال أصابتني علة في ساقي سنة من السنين فكانت أتحامل عليها للصلاة فقمت عليها من الليل فأجهدني وجعي منها فجلست ثم لففت ازاري في محرابي ووضعت رأسي عليه ونمت فبينما أنا نائم اذا بجارية تفوق الدنيا حسنا وهي تخطر بين جوار مزينات حتى وقفت على رأسي والجواري من خلفها ثم قالت لبعضهن ارفعنه ولا توقظنه فأقبلن نحوي واحتملني وأنا أنظر اليهن في منامي ثم قالت للجواري اللاتي معها افرشن له ومهدن ووسدنه قال عبد الواحد ففرش تحتي سبع فرش لم أر لهن في الدنيا مثلا ووضعن تحتي مرافق خضرا حسانا ثم قالت للاتي حملني اجعلنه على الفراش رويدا قال فجعلت على الفراش وصرت أنظر اليهن متعجبا مما تأمر به من شأني ثم قالت أين العلة فأشرت اليها فوضعت يدها عليها وقالت قم شفاك الله الى صلاتك غير مضرور فاستيقظت من منامي كأني والله قد نشطت من عقالي فما شكيت بعد ذلك اليوم بعده العلة أبدا ولا ذهب عن قلبي حلاوة منطقها وحسن قولها قم الى صلاتك غير مضرور وهذا من

الآية قال الله تعالى يا موسى يا رأس النبيين يا أبا الأحكام إني رأيت ذلك في قلوبهم فيسرته لهم فلما رجع موسى من المناجاة إلى قومه وقرب منهم سمع اللغط حول العجل وكانوا يرقصون ويزفنون وكان يصحب موسى أصحابه السبعين بما أخبره من حديث العجل فقالوا هذا قتال في المحلة فقال موسى إنه لا ولكنه صوت الفتنة افتتن القوم بعد تأبيدة عبادة غير الله فذلك قوله تعالى ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا فلما رآهم حول العجل وما صنعوا به ألقى الألواح من يده فتكسرت فصعد عامة الكلام الذي كان فيها ولم يبق فيها إلا ستة أسباعها ثم أعيدت له في لوحين (عن ابن عباس) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المعاين كالخبر قال الله تعالى لموسى إن القوم قد فتنوا فلم يلق الألواح فلما عاين ألقى الألواح فكسرها (عن تميم الداري) قال قلت يا رسول الله مررت بمدينة صفتها كيت وكيت قريبة من ساحل البحر فقال عليه الصلاة والسلام تلك انطاكية أما إن في غار من غيرانها رضاضاً من ألواح موسى وما من سحابة شرقية ولا غربية تمر بها إلا ألقت عليها من بركاتها ولن تذهب الأيام والليالي حتى يسكنها رجل من أهل بيتي يملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً قالوا فلما رأى موسى ما صنع قومه من بعده من عبادة العجل أخذ بشعر رأس أخيه هرون بيمينه ولحيته بشماله وكان هرون قد اعتزلهم في اثني عشر ألفاً لم يعبدوا العجل فقال يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعن أفعصيت أمري هلا قاتلتهم إذ علمت أني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم فقال هرون يا ابن أم الآية قال المفسرون كان هرون أخا موسى لأبيه وأمه ولكنه أراد بقوله يا ابن أم ترقيقه واستعطافه عليه لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي أي بذوائبي إني خشيت إن قاتلتهم أن يصيروا حزبين يقتل بعضهم بعضاً فتقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي أي ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ثم إن موسى أقبل على السامري وقال له ما خطبك يا سامري أي ما أمرك وشأنك فقال السامري بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول يعني أخذت تراباً من أثر فرس جبريل فنبذتها أي طرحتها في العجل وكذلك سولت لي نفسي أي زينت لي قالوا فلما علم بنو إسرائيل أنهم قد أخطؤوا وضلوا في عبادتهم العجل ندموا على ذلك واستغفروا الله تعالى كما قال تعالى ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين فقال لهم موسى يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل قالوا له فأي شيء نصنعه وما الحيلة قال توبوا إلى بارئكم أي ارجعوا إلى خالقكم قالوا فكيف نتوب قال فاقتلوا أنفسكم أي ليقتل البريء المجرم ذلكم يعني القتل خير لكم عند بارئكم قال ابن عباس أبى الله أن يقبل توبة بني إسرائيل إلا بالحال الذي كرهوا أن يقاتلوهم حين عبدوا العجل وقال قتادة جعل الله توبة عبدة العجل القتل لأنهم ارتدوا وكفروا والكفر يبيح الدم فلما أمرهم موسى بالقتل استسلموا للأمر وقالوا نصبر لأمر الله فخلا وأتى الأفنية محتبين وأصلت عليهم القوم بالسيوف والخناجر فكان الرجل يرى أخاه وابنه وأباه وقريبه وجاره فلم يمكنه إلا إمضاء أمر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف نصنع فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء حتى لا يبصر بعضهم بعضاً وقيل لهم من حل حبوته أو مد طرفه إلى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته فكانوا يقتلونهم إلى المساء فلما كثر فيهم القتل وبلغ عدة القتلى سبعين ألفاً دعا موسى وهرون ربهما وجزعا وتضرعا وقالا يا رب هلكت بنو إسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم أن يرفعوا السلاح ويكفوا القتل عنهم فلما انكشفت السحابة عن القتلى اشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى إليه أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيداً ومن بقي منهم مكفراً ذنبه فذلك قوله تعالى فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم وقالوا أمر الله تعالى موسى أن يبرد العجل بالمبرد ويحرقه ثم يذروه في النيل فمن شرب ماءه من عبدة العجل اصفر لونه وجهه واسودت شفتاه وقيل ثبت على شاربه الذهب فكان علامة لجرمه فأخذ موسى العجل فذبحه ثم برده بالمبرد ثم أحرقه وجمع رماده وأمر السامري بالبول عليه استخفافاً به وتصغيراً له ثم ذراه في الماء فذلك قوله تعالى وانظر إلى إلهك الذي ظلت

مناقبهم عند الله تعالى عظيم وهذا أمر كائن وحكي عنه أيضاً رضي الله تعالى عنه أنه قال سألت الله تعالى ليلة من الليالي أن يريني رفيقي في الجنة فقيل لي يا عبد الواحد رفيقتك في الجنة ميمونة السوداء فقلت وأين هي فقيل لي في بني فلان بالكوفة فخرجت إلى زيارتها فلما وصلت الكوفة سألت عنها فقيل لي هي امرأة مجنونة ترعى غنيمات فقلت أريد أن أراها فقالوا اخرج إلى البساتين فإنك تراها فخرجت فإذا هي قائمة تصلي وبين يديها عكازة وعليها جبة من صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشرى ورأيت الغنم مع الذئاب ترعى فلا الذئاب تأكل الغنم ولا الغنم تخاف من الذئاب فلما رأتني أوجزت في صلاتها ثم قالت ارجع يا ابن زيد ليس الموعد هنا فقلت لها رحمك الله فمن أعلمك باسمي فقالت يا عبد الواحد أما علمت أن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فقلت لها عظيني فقالت واعجبا لواعظ يوعظ ثم قالت ما من عبد أعطي شيئاً فابتغى إليه ثانياً إلا سلبه الله حب الخلوة معه وبدله بعد القرب وحشة ثم أنشدت تقول

عليه

خطيئتها كما قال الآية قال الزهري لما أمر بنو إسرائيل بالتوبة من ذلك فلما كثر القتل واستحر بهم القتل
عندي ولما ندموا فأمرهم بالتوبة من عبادة العجل وقالوا يا موسى يا الله تاب الله علينا بعد ذلك وسألوا
الله وأمر بأن تقتل بعضهم بعضاً فأما من قتل منهم فقتل لهم شهادة فأنفسكم ثم ان موسى هم بقتل
السامري فأوحى الله تعالى إليه لا تقتله فإنه سخي فلعنه موسى وقال له اذهب فإن لك في الحياة أن تقول
لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه أي موعداً لك في القيامة ثم أمر موسى بني إسرائيل أن لا يخالطوه ولا
يقربوه فصار السامري وحشياً لا يألف أحداً ولا يؤلف ولا يقرب الناس ولا يمس أحداً منهم فمن مسه
أحد من ذلك الوقت بالحمى وكان كذلك حتى هلك قال قتادة ان قاياهم الى اليوم يقولون ذلك أي
لا مساس وفي بعض الكتب أنه ان مس أحداً من غيرهم أو واحد منهم كلاهما في الوقت قالوا ثم ان الله
تعالى أمر موسى أن يأتيه في ناس من خيار بني إسرائيل يعتذروا إليه من عبادة قومهم العجل فاختار
موسى سبعين رجلاً لينطلقوا معه الى الجبل كما أمر الله تعالى وأمره أن يكونوا شيوخاً فلم يصب الا ستين
شيخاً فأوحى الله تعالى إليه أن يختار من الشباب عشرة فاختارهم فأصبحوا شيوخاً (وروى) أنه اختار من
كل سبط ستة نفر فصاروا اثنين وسبعين رجلاً فقال إنما أمرت بسبعين رجلاً فليتخلف منكم رجلان فتشاحوا
على ذلك فقال موسى ان لمن قعد مثل أجر من خرج فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فأمر موسى السبعين
أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا أثوابهم ثم خرج بهم الى الطور لميقات ربه وذلك قوله تعالى واختار موسى
قومه سبعين رجلاً لميقاتنا الآية وكان لا يأتيه الا باذن منه فلما دنا موسى الى الجبل وقع عليه عمود
الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى اذا كلمه الله وقع على
وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني إسرائيل أن ينظر إليه فضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتى
دخلوا في الغمام وخروا سجداً وسمعوا الله تعالى وهو سبحانه وتعالى يكلم موسى ويأمره وينهاه وأسمعهم الله
تعالى انني أنا الله لا إله الا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى
من الكلام وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهي
نار جاءت من السماء فأحرقتهم جميعاً قال وهب بل أرسل الله عليهم جنداً من السماء فلما سمعوا حسهم ماتوا
يوماً وليلة فذلك قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم
تنظرون فلما ماتوا قال موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يا رب
كيف أرجع الى بني إسرائيل وقد أهلكت خيارهم ولم يزل موسى يناشد ربه حتى أحياهم الله جميعاً
رجلاً بعد رجل ينظر بعضهم بعضاً كيف يحيون فذلك قوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم الآية
(أخبرني) الحسن باسناده عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راح منا الى الجمعة سبعون
كانوا كالسبعين الذين وفدوا مع موسى الى ربهم وأفضل

((باب في قصة قارون حين عصى ربه وموسى واستكبر وأورثه
ماله الطغيان والبطر حتى أهلكه الله تعالى))

قال الله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم الآية قالت العلماء بأخبار القدماء قارون كان ابن
عم موسى لأنه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى هو ابن عمران بن قاهث هذا قول
أكثر العلماء (وقال) ابن اسحق تزوج يصهر بن قاهث شميث بنت ماويب بن بركيا بن يقشان بن ابراهيم فولدت
له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر فنكح عمران يحيب بنت شمويل بن بركيا بن يقشان فولدت هرون
وموسى ابني عمران فموسى على قول ابن اسحق ابن أخي قارون وقارون عمه لأبيه وأمه وعلى قول
الآخرين ابن عمه وعليه أصحاب التواريخ وكان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهرون وأفضلهم
وأجملهم قال قتادة كان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة منه ولكن عدو
الله نافق كما نافق السامري فبغى على قومه كما قال تعالى فبغى عليهم واختلفوا في معنى هذا البغي قال ابن

بالأفضال والإحسان
يرتجونها عن الذنوب
نهى وأنت المنعم عما
هذا من الشكر العجب
لو كنت أصلحت قبل هذا
عيبك أو تبت من قريب
تنهى عن الغي والتمادي
وأنت في الغي كالمريب
قال عبد الواحد فدهشت
عند سماع ذلك وقلت لها
يا ميمونة اني أرى هذه
الأغنام مع الذئاب ترعى
فلا الغنم تخاف من الذئاب
ولا الذئاب تأكل الغنم
فقالت اليك عني يا بطال
فاني أصلحت ما بيني وبين
سيدي فأصلح ما بين الذئاب
وغنمي قال فصنيت من
عندها وقلت من أطاع الله
أطاعه كل شيء نفعنا الله
تعالى بهم وغفر لنا ببركاتهم
وأسرارهم ومددهم آمين
((وحكى عنه أيضاً رضي
الله تعالى عنه)) انه قال
اشتريت غلاماً للخدمة
فلما كان الليل طلبته فلم
أجده ورأيت الأبواب
مغلقة على حالها فلما
أصبحت اذا به قد أعطاني
درهماً مكتوباً عليه سورة
الاخلاص بقلم القدرة
الربانية فقلت له يا غلام من
أين لك هذا فقال يا سيدي
لك عندي في كل يوم مثل
هذا بشرط انك لا تطلبني
في الليل فقلت له نعم فكان
يغيب كل ليلة ويأتي بعد
صلاة الصبح بذلك الدرهم
المكتوب قال فمكث على
ذلك مدة من الزمان حيث

عباس رضي الله عنهما كان فرعون قد ملك قارون على بني اسرائيل حين كانوا بمصر (وأخبرنا) الحسين باسناده عن المسيب بن شريك ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم قال كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل وكان يبغي عليهم ويظلمهم وقال عطاء الخراساني وشهر بن حوشب زاد عليهم في الثياب شبرا وروى شيبان عن قتادة قال بغى عليهم بالكبر والبذخ وكثرة ماله وكان أغنى أهل زمانه وأثراهم كما قال تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء الآية أي لتنتقل وقيل بهم اذا حملوها اثقالها واختلف المفسرون في عدد العصبة في هذا الموضع فقال مجاهد ما بين العشرة الى الخمسة عشر وعن قتادة ما بين العشرة الى الاربعين وعن عكرمة منهم من يقول أربعون ومنهم من يقول سبعون وعن الضحاك ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل هم ستون (وروى) جرير عن خيثمة قال وجدت في الانجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلا غرا محجلة ما يزيد منها مفتاح على اصبع لكل مفتاح منها كنز ويقال ان قارون كان أينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما ثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت عليه فجعلها من جلود البقر على طول الاصابع فكانت تحمل معه اذا ركب على أربعين بغلا واختلفوا في سبب جمع تلك الاموال له فقيل كان عنده علم الكيمياء قال سعيد بن المسيب كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا مثله وعلم قارون مثله فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه وفي الخبران الله تعالى علم موسى الكيمياء فعلم موسى أخته فعلمته قارون وكان ذلك سبب أمواله فذلك قوله تعالى انما أوتيته على علم عندي أو بالتصرف في التجارات والزراعات وسائر أنواع المكاسب والمطالب وقيل في سبب جمعه تلك الاموال ما أخبرنا الثقفي باسناده عن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان الداراني كان يقول تبدى ابليس لقارون وكان قارون قد أقام على جبل أربعين سنة يتعبد حتى اذا غلب جميع بني اسرائيل في العبادة بعث اليه ابليس شياطينه فلم يقدروا عليه فتقدم هو له وجعل يتعبد مع قارون وجعل ابليس يقهره بالعبادة ويفوقه فخضع له قارون وقال له ابليس يا قارون قد رضينا بهذا الذي نحن فيه لا نشهد لبني اسرائيل جماعة ولا نعود لهم مريضا ولا نشهد جنازة قال فأحدره من الجبل الى البيعة فكانوا يؤتون بالطعام فقال له ابليس يا قارون قد رضينا أن نكون هكذا كلا على بني اسرائيل فقال له قارون فاي رأي عندك قال نكتسب يوما في الجمعة ونتعبد بقية الجمعة قال فتكسبا في يوم الجمعة وتعبدا بقيتها فقال ابليس قد رضينا أن نكون هكذا فقال قارون فأي الرأي عندك قال نكتسب يوما ونتعبد يوما فنتصدق ونعطي قال فلما كسبا يوما وتعبدا يوما خنس ابليس وتركه ففتحت على قارون أبواب الدنيا فبلغ ماله ما أخبرنا به ابن فنجويه باسناده عن المسيب بن شريك قال مال ان مفاتحه لتنوء بالعصبة وكانت أربعمائة ألف في أربعين خزانة فصار في الثروة وكثرة المال بحيث يضرب به الامثال أنشدني أبو العباس سهل بن محمد المروزي عن بعضهم

وعدتني وعدك حتى اذا ✱ أطمعتني في كنز قارون

جئت من الليل بعسالة ✱ تعسل ما قلت بصابون

فبغى قارون وطغى وتجبر بما استغنى وأثرى حتى هلك فصار عبرة للعابرين وعظة للباقين وكان أول طغيانه وعصيانه أنه تكبر واستطال على الناس بكثرة الاموال فكان يخرج في زينته وهيئته ويختال كما قال تعالى فخرج على قومه في زينته الآية قال مجاهد خرج على براذين بيض عليها سروج الارجوان وعليها المعصفرات وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خرج في سبعين ألفا عليهم المعصفرات قال وكان ذلك أول يوم ظهرت المعصفرات في الارض ✱ فيما كان أبي يذكر عن مقاتل أنه خرج على بغلة شهباء عليها سرج من الذهب عليه الارجوان ومعه ألف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ستمائة جارية بيض عليهن الحلي والثياب الحمر على البغال الشهب فتمنى أهل الخسارة والجهالة مثل الذي أوتيه فقالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم فأنكر عليهم أهل العلم بالله وقالوا لهم اتقوا الله واعملوا بما أمركم الله به وانتهوا عما نهاكم عنه فان ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون عن لذات الدنيا وشهواتها قال الله تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا أي لا يوفق لهذه

ياجاني يبتني أن اتناقه بعض أصحابي وقال يا ابن يزيد أما فلا مثل هذا فانه يأتي القور وقال فخرج باسمه منهم وقلت لهم اسكتوا فاني أحفظه في هذه الليلة فلما صلينا العشاء قام ليخرج والابواب مغلقة فأشار بيده فانفتح له كل باب أشار اليه وأنا أنظر اليه فتبعته ومضيت خلفه حتى بلغ أرضا ولا قد نزع ثيابه ولبس مسحا وصلى الى الفجر فلما فرغ من صلاته رفع رأسه نحو السماء وقال يا سيدي الكبيرات أجرة سيدي الصغير فوقع عليه من السماء درهم فأخذه فتحيرت في أمره ودهشت من حاله فقمت وتوضأت وصليت واستغفرت الله تعالى مما كان مني ونويت عتقه ثم طلبته فلم أجده فانصرفت حزينا متحيرا وما كنت أعرف تلك الارض فبينما أنا متحير اذا بفارس قد أقبل على فرس أشهب فقال يا عبد الواحد ما سبب جلوسك ههنا فأخبرته بقصتي فقال لا تعرض أتدري كم بينك وبين بلدك فقلت الله أعلم فقال مسيرة سنتين للفارس المجد المسرع فدهشت من ذلك فقال لا تبرح من هذا المكان حتى يأتيك غلامك قال عبد الواحد فمكثت يومي الى أن جن الليل فما أقمت

الكلمة

الكلمة الا الصابرون على طاعة الله عن زينة الحياة الدنيا (قالوا) ثم ان الله أوحى الى نبيه موسى عليه السلام أن يأمر قومه أن يعلقوا فى أرديتهم خيوطا أربعة فى كل طرف خيطا أخضر لونه كلون السماء فقال موسى يارب لم أمرت بنى اسرائيل بتعليق هذه الخيوط الخضر فى أرديتهم فقال الله تعالى ان بنى اسرائيل فى غفلة وقد أردت أن أجعل لهم علما فى ثيابهم ليذكرونى به اذا نظروا اليه ويذكرون انه السماء ويعلمون أنى منزل منها كلامى فقال موسى يارب أفلا تأمرهم ان يجعلوا أرديتهم كلها خضرا فان بنى اسرائيل تحقر هذه الخيوط قال له ياموسى ان الصغير من أمرى ليس بصغير وان لم يطيعونى فى الامر الصغير لم يطيعونى فى الامر الكبير قال فدعا موسى بنى اسرائيل ثم قال لهم ان الله أمركم أن تعلقوا فى أرديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لتذكروا ربكم اذا رأيتموها ففعلت بنو اسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال ما يفعل هذه الا الارباب بعبيدهم لكى يتميزوا عن غيرهم فكان أيضا هذا من بغيه وعصيانه (قالوا) فلما قطع موسى بنى اسرائيل البحر جعلت الحبارة وهى رياسة المذبحة وبيت القربان لهرون فكانت بنو اسرائيل يأتون بهديهم فيدفعونه الى هرون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون فى نفسه من ذلك فأتى موسى وقال ياموسى لك الرياسة والرسالة ولهرون الحبارة ولست أنا فى شئ من ذلك وأنا أقرأ للتوراة منكما ولا صبر لى على هذا فقال موسى والله ما جعلتها أنا فى هرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا أصدقك فى ذلك حتى ترينى بيانه قال فجمع موسى رؤساء بنى اسرائيل وقال هاتوا عصيكم فمن أصبحت عصاه خضراء فهو أحق بالحبارة فجمعوا العصى وجاؤا بها وكتب كل واحد اسمه على عصاه فحزمها موسى وألقاها فى القبة التى كان يعبد الله فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فاصبحت عصا هرون قد اهتزت ولها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى ياقارون ترى هذا من فعلى فقال قارون والله ما هذا بأعجب مما تصنع السحرة وذهب قارون مغاضبا واعتزل موسى بأتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التى بينهما وهو يؤذيه فى كل وقت ولا يزيد كل يوم الا عتوا وتجبرا ومخالفة ومعاداة لموسى حتى انه بنى دارا وجعل بابها من الذهب الاحمر وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بنى اسرائيل يغدون عليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس ثم ان الله أنزل الزكاة على موسى فلما أوجب الله الزكاة عليهم أتى قارون موسى فصالحه عن كل ألف دينار دينار واحد وعن كل ألف درهم درهم واحد وعن كل ألف شاة شاة واحدة وعن كل شئ شئ ثم رجع قارون الى بيته وحسبه فوجده كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بنى اسرائيل وقال لهم ياقوم ان موسى قد أمركم بكل شئ فأطعتموه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا له أنت كبيرنا وسيدنا فأمرنا بما شئت فقال آمركم أن تجيؤا بفلانة البغى فنجعل لها جعلا على أن تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرجت عليه بنو اسرائيل ورفضوه فاسترحنا منه فأتوا بها فجعل لها قارون ألف درهم وقيل ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل حكمها وقال لها أنا أمونك وأخلطك بنسائى على أن تقذفى موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بنى اسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بنى اسرائيل اجتمعوا ينظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم وتبين لهم أعلام دينهم وأحكام شرعهم فخرج اليهم موسى وهم فى براح من الارض فقام فيهم خطيبا ووعظهم وقال فيما قال يابنى اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة وان كان له امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال ان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة قال أنا قال نعم قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فدعوها فلما جاءت قال لها موسى يافلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها وسألها بالذى فلق البحر لموسى ولبنى اسرائيل وأنزل التوراة على موسى الا صدقت فلما ناشدها تداركها الله بالتوفيق وقالت فى نفسها لان أحدث اليوم توبة أفضل من أن أوذى رسول الله فقالت لا بل كذبوا ولكن جعل لى قارون جعلا على أن أقذفك بنفسى فلما تكلمت بهذا الكلام سقط فى يد قارون ونكس رأسه وسكت الملأ وعرف أنه قد وقع فى مهلكة فخر موسى ساجدا لله

الا وقد أقبل ومعه سفرة عليها من كل الطعام فقال لى ياسيدى كل ولا تسأل لمن هى فأكلنا فرغنا قال ياسيدى الكبير هات أجرة سيدى الصغير واذا بدرهمين سقطا فى حجره فأعطانيهما ثم قام فصلى الى الفجر ثم أخذ بيدى وخطا بى خطوات يسيرة فاذا أنا على باب دارى فقال ياسيدى أنت نويت عتقى فقلت نعم أنت حر لوجه الله تعالى قال وكان خلف باب الدار حجر عظيم كنا نغلق به الباب فقال ياسيدى خذ هذا عنى وأنت مأجور ان شاء الله تعالى واذا بالحجر صار ذهبا فدهشت من ذلك وأسرعت نحو أصحابى لاقص عليهم ما رأيت فطرق الغلام الباب فخرجت اليه ابنتى الصغيرة وقالت ياعبد السوء أين والدى أنت قتلته من أجل بشك القبور ثم لطمته على عينه لطمة فسقطتا فلما رجعت الى المنزل وجدت الغلام على تلك الحالة فعلمت ان ذلك فعل ابنتى الصغيرة فقطعت يدها ثم أخذت فى الاعتذار اليه فأخذ الغلام عينه بيده ووضعها مكانها ورمق بها الى السماء فاذا هى أحسن ما كانت ثم أخذ يد ابنتى وتفل عليها فاذا هى كما كانت فلما رأيت ذلك منه قلت هذا نباش النور لا نباش القبور ثم

يبكي ويقول يارب ان عدوك هذا قد آذاني وأراد فضيحتي وشيني اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي وسلطني عليه فأوحى الله تعالى اليه أن مر الأرض بما شئت تطعك فقال موسى يا بني اسرائيل ان الله تعالى قد بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلبث مكانه ومن كان معي فليعتزل عنه فاعتزلوا عن قارون ولم يبق معه الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهم فأخذتهم الى كعابهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى ركبهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى حقويهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى أحقابهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى أعناقهم وقارون وصاحباه في كل ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده قارون بالله والرحم حتى روي في بعض الاخبار أنه ناشده سبعين مرة وموسى في جميع ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه عليه ثم قال يا أرض خذيهم فانطبقت الارض عليهم وأوحى الله الى موسى يا موسى ما أفظك استغاثوا بك سبعين مرة فلم تغثهم ولم ترحمهم أما وعزتي وجلالي لو اياي دعوا لوجدوني قريبا مجيبا قال قتادة ذكر لنا أن الله تعالى يخسف بهم في كل يوم قامة وأنهم يتجلجلون فيها لا يبلغون قعرها الى يوم القيامة (أخبرنا) محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتي عليه قال أحمد بن محمد بن الحسن قال أخبرنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشير وأحمد بن يونس قالوا أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر بن راشد عن همام ابن منبه قال أخبرنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في برديه وينظر في عطفيه وقد أعجبته نفسه اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ❊ قالوا فلما خسف الله بقارون وصاحبيه الارض أصبحت بنو اسرائيل يتناجون فيما بينهم أن موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وأمواله وكنوزه فدعا الله موسى حتى خسف الله بداره وأمواله الارض وأوحى الله تعالى اليه أني لا أعيد الارض لاحد بعدك أبدا فذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين فلما حلت نقمة الله بقارون حمد الله تعالى المؤمنون الذين وعظوه وأنذروه بأس الله كما أخبر الله تعالى اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين أي لا تبطر ولا تأشر وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة الآية وندم الذين كانوا يتمنون مكانه بالامس وماله وحاله كما قال الله وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر فنجى الله نبيه موسى صلوات الله على سيدنا محمد وعليه وسلامه والمؤمنين من كل بلاء ومحنة وأهلك أعداءهم فرعون وهامان وقارون كما قال تعالى وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض الآيات

﴿باب في قصة موسى حين لقي الخضر وما جرى بينهما من العجائب الى أن بلغ من أمرها ما بلغ﴾

قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا قال الاستاذ الامام اختلف العلماء في السبب الذي قصد موسى لاجله الخضر فروى الحسن بن عمارة عن الحكم بن عيينة عن سعيد بن جبير قال جلست عند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب فقال بعضهم يا ابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم عن كعب أن موسى عليه السلام الذي طلب العلم انما هو موسى بن ميشا قال ابن عباس كذب نوف حدثني أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن موسى نبي بني اسرائيل سأل ربه فقال يارب ان كان في عبادك أحد هو أعلم مني فدلني عليه فقال الله عز وجل نعم في عبادي من هو أعلم منك ثم نعت له مكان الخضر عليه السلام وأذن له في لقائه وروى هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى ربه فقال يارب أي عبادك أحب اليك فقال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال يارب أي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى قال فهل في الارض أحد أعلم مني قال نعم قال يارب من هو قال الخضر قال وأين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة التي ينفلت عندها الحوت وجعل الحوت علامة له وقال اذا حيي هذا الحوت فان صاحبك هنالك وكان قد تزود سمكا مملحا وروى عطية العوفي عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر واستقرت بهم الدار أنزل الله عليهم المن

والسلوى

والبلاد خطب موسى قومه فذكرهم ما آتاهم الله من الخير والنعمة إذ نجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم واستخلفهم في الأرض قال وكلم الله تكليما واصطفاه لنفسه وألقى عليه محبة منه وآتاكم من كل ما سألتموه فنبيكم أفضل أهل الأرض وأنتم تقرؤون التوراة فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم إلا ذكرها وعرفهم إياها فقال له رجل منهم من بني إسرائيل قد عرفنا الذي تقول فهل على وجه الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله قال لا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إليه فبعث إليه جبريل عليه السلام فقال له يا موسى وما يدريك أين أضع علمي بل إن لي عبدا بمجمع البحرين أعلم منك فسأل موسى ربه أن يريه إياه فأوحى الله إليه أن ائت البحر فإنك تجد على شاطئ البحر حوتا فخذه وادفعه إلى فتاك ثم الزم شاطئ البحر فإذا نسيت الحوت وهلك منك فثم تجد العبد الصالح قال فخرج موسى وفتاه يقصدان مجمع البحرين للقاء الخضر عليه السلام ومعهما حوت مالح فذلك قوله تعالى وإذ قال موسى يعني ابن عمران لفتاه أي لصاحبه يوشع بن نون بن أفرايم بن يوسف عليه السلام لا أبرح أي لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين يعني بحر فارس والروم مما يلي المشرق قاله قتادة وقال أبي بن كعب هو إفريقية وقال محمد بن كعب طنجة أو أمضي حقبا دهرا وزمانا طويلا فأخذا ومعهما الخبز والسمك المملوح وسارا حتى انتهيا إلى الصخرة عند مجمع البحرين ليلا قال معقل بن زياد وهي الصخرة التي دون نهر الزيت قال وعندها عين تسمى ماء الحياة ولا يصيب ذلك الماء شيئا إلا عاد حيا فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكتل وعاشت ودخلت البحر فذلك قوله تعالى فلما بلغا يعني موسى وفتاه مجمع بينهما يعني البحرين نسيا حوتهما وإنما كان الحوت مع يوشع وهو الذي نسيه يدل عليه قوله تعالى إني نسيت الحوت ولكنه صرف النسيان إليهما والمراد به أحدهما كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرجان من المالح دون العذب فاتخذ الحوت سبيله في البحر سربا أي مذهبا ومسلكا واختلفوا في كيفية ذلك فروى أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فإذا هو بالخضر عليه السلام وقال ابن عباس رأى أثر جناحيه في الطين حين وقع في الماء وجعل الحوت لا يمس شيئا من البحر إلا يبس حتى يصير صخرة وروى ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما انتهيا إلى الصخرة وضعا رؤوسهما فناما فاضطرب الحوت في المكتل فخرج منه وسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا فأمسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى عليه السلام نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا الآية وقال قتادة رد الله إلى الحوت روحه فسرب حتى أفضى إلى البحر ثم سلكه فجعل لا يسلك منه موضعا إلا صار ماء جامدا طريقا يابسا وقال الكلبي توضأ يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت المملح من ذلك الماء وهو في المكتل فعاش ووثب في الماء فجعل يضرب بذنبه الماء فلا يضرب بذنبه شيئا من الماء وهو ذاهب إلا يبس قال الحكماء كان لموسى عليه السلام خمسة أسفار الأول سفر الهرب وهو قوله تعالى ففررت منكم لما خفتكم الآية والثاني سفر الطور وهو قوله تعالى فلما أتاها نودي أن بورك من في النار ومن حولها الآية وقوله تعالى فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن الآية والثالث سفر الطلب وذلك عند خروجه من مصر قال الله تعالى وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي والرابع سفر الحرب وهو قوله تعالى إخبارا عن قول قومه فاذهب أنت وربك فقاتلا الآية والخامس سفر النصب وهو قوله تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا وذلك أنه لما ألقي على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع إلى موضع مطلبه فقال له فتاه وتذكر أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت أي تركته وفقدته وقيل فيه إضمار تقديره فإني نسيت أن أذكر أمر الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال عبد الرحمن بن زيد أي شيء أعجب من حوت كان دهرا من الدهور يؤكل منه ثم صار حيا حتى شرب في البحر قال وكان شق حوت وقال وهب بن منبه ظهر

وسورة من القرآن فلما كان بعض الليالي صلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا فقال يا قوم هذا الإله الذي دللتموني عليه إذا جن عليه الليل ينام كما تنامون فقلنا لا يا عبد الله هو حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم فقال بئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام قال فأعجبنا كلامه فلما أصبحنا قلت لأصحابي هذا قريب عهد بالإسلام فاجمعوا له دراهم ينفقها فجمعناها له ذلك فلما رآها قال ما هذا قلنا دراهم تنفقها قال لا إله إلا الله دللتموني على طريق أسلكها ولم تسلكوها إني كنت أعبد صنما من دونه ولم يضيعني وأنا لا أعرفه فكيف يضيعني الآن وأنا أعرفه فتعجبنا من كلامه قال عبد الواحد فلما كان بعد ثلاثة أيام قيل لي إنه في سكرات الموت قال فأتيت إليه وقلت له هل من حاجة فقال نعم قضيت حوائجي فقعدت عند رأسه فغلبني النوم فنمت فرأيت روضة خضراء وفيها قبة عظيمة وفي القبة سرير وعلى ذلك السرير جارية حسناء لم أر أحسن منها وهي تقول بالله إلا ما عجلتم به فقد اشتد شوقي إليه واستيقظت من منامي فوجدت الرجل قد فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه فغسلته وكفنته وصلينا عليه ودفناه فلما غبت رأيته

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى فارتدا على آثارهما قصصا رجعا في آثارهما

وأقيمت البحر والماء يغتمان ... ونهما اشترأن هذه الآية

الثمن من أثر جرى الماء وتبقيه بهم من عشب دخل الى حيث امهنى فرجع موسى حتى التقى الى مجمع البحرين واذا هو بالخضر فذلك قوله تعالى قال ذلك ما كنا نبغ أي نطلب فارتدا على آثارهما قصصا اي يقصان الاثر فوجدا عبدا من عبادنا يعني الخضر عليه السلام

قال هذا اقتبس العلماء رضي الله تعالى عنهم أجمعين ونفعنا بهم آمين

(فصل في ذكر جمل من أخبار الخضر عليه السلام وأحواله)

واسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وانما لقب بالخضر كما أخبرنا به أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتي عليه قال أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسين الشرقي قال حدثنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف قالوا أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا عبد الله بن حامد الوزان قال أنبأنا مكي بن عبدان قال أنبأنا أبو الازهر قال حدثنا عبد الرزاق قال أنبأنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء وأخبرنا أبو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعي قال أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسن القصار قال أنبأنا أحمد بن يوسف السلمي قال أنبأنا محمد بن يوسف الفريابي قال ذكر سفيان عن منصور عن مجاهد قال انما سمي الخضر لانه اذا صلى اخضر حوله

(وحكي عن ذي النون المصري رضي الله تعالى عنه) انه قال بينما أنا اسير في نواحي الشام اذ وقعت على روضة خضراء وفيها شاب يصلي تحت شجرة تفاح فتقدمت اليه وسلمت عليه فلم يرد علي السلام فسلمت عليه ثانيا فأوجز في صلاته وكتب باصبعه في الارض هذا الشعر

منع اللسان من الكلام لانه
كهف البلاء وجالب الآفات
فاذا نطقت فكن لربك ذاكرا
لا تنسه واحمده في الحالات

قال ذو النون فبكيت بكاء شديدا ثم كتبت باصبعي في الارض

وما من كاتب الا سيبلى
ويبقي الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء
يسرك في القيامة ان تراه

قال فصاح الشاب صيحة فمات رحمه الله تعالى فقمت لاغسله فاذا بقائل يقول خل عنه فان الله تعالى وعدني ان لا يتولى امره الا الملائكة قال ذو النون رضي الله تعالى عنه فملت الى شجرة فركعت عندها

(فصل في بدء أمر الخضر عليه السلام)

يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري به الى السماء بينما هو على البراق وجبريل يمر به اذ وجد رائحة طيبة فقال يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة قال انه كان ملك في الزمان الاول له سيرة حسنة في أهل مملكته وكان له ابن ولم يكن له ولد غيره قال أصحاب الاخبار وكان أبوه ملكا عظيما فسلمه الى المؤدب يؤدبه وكان يختلف اليه وكان بين منزله ومؤدبه رجل عابد كان يمر به فأعجبه حاله فألفه وكان يجلس عنده والمعلم يظن أنه في المنزل وأبوه يظن انه عند المعلم حتى شب ونشأ وأخذ من العابد شمائله وعبادته فقالوا لابيه ليس لك ولد غيره يرث ملكك فلو زوجته لعله يرزق أولادا فعرض عليه أبوه التزويج فأبى ثم عاوده فعرض عليه فرضي فزوجه جارية من بنات الملوك فزفت اليه فلما بقيت عنده قال لها اني مخبرك بامر ان أنت سترتيه صرف الله عنك شر الدنيا وعذاب الآخرة وان أفشيت سري عذبك الله في الدنيا وفي الآخرة قالت وما ذاك قال اني رجل مسلم است على دين أبي وليست النساء من حاجتي فان رضيت أن تقيمي معي على ذلك وتتابعيني على ديني فذاك البلواب أنت أبيت لحقت بأهلك فقالت المرأة بل أقيم معك فلبثت عليها مدة فقالوا لابيه ما نظن ابنك الا عاقرا لا يولد له ولد فسأله أبوه فقال ما ذلك بيدي وانما ذلك بيد الله يؤتيه من يشاء فدعا المرأة وسألها فردت عليه مثل ما رد عليه الخضر فمكث أبوه زمانا ثم دعا ابنه اليه فقال له أحب أن تطلق امرأتك هذه وأزوجك امرأة غيرها ولودا لعلك ترزق منها ولدا فكره ذلك الخضر وألح عليه أبوه حتى فرق بينهما وزوجه امرأة غيرها ولودا ثيبا فعرض عليها الخضر مقالته الاولى فرضيت وقالت أقيم معك فلبثا زمانا ثم ان أباه استبطأ الولد منه فدعاه وقال له ليس يولد لك فقال ليس ذلك بيدي ولكنه بيد الله ثم انه دعا امرأته وقال لها أنت امرأة شابة ولود وقد كنت ولدت عند غير ابني ولست تلدين عند ابني فقالت ما مسني منذ صحبته وكذلك المرأة الاولى فدعاها وسألها فقالت مثل ذلك فدعا ابنه وعيره وعنفه ففزع من أبيه ولم يأمن على نفسه منه فخرج من عنده فهام على وجهه ولم يدر أحد من خلق الله تعالى أين توجه فندم أبوه على ما فعل فأرسل في طلبه مائة رجل من طرق شتى مختلفة وانطلقوا في طلبه فادركه منهم عشرة في جزيرة من جزائر البحر فقال لهم اني أقول لكم شيئا فاكتموه عني فان كتمتموه صرف الله عنكم شر الدنيا وعذاب الآخرة وان أبيتم ذلك وأفشيتم سري عذبكم الله في الدنيا وفي الآخرة فقالوا له قل ما شئت قال هل بعث أبي في طلبي أحدا غيركم قالوا نعم فقال لهم اذا اكتموا أمري ولا تخبروا أبي أنكم رأيتموني وقولوا مثل قول نظرائكم الذين أرسلهم في طلبي فلم يروني لانكم لو أخبرتموه بي أو ذهبتم بي اليه قتلني وصرتم أنتم مؤاخذين بدمي قال فخلوا عنه وانصرفوا فلما دخلوا على أبيه قال تسعة منهم قد وجدناه وقال لنا كيت

وكيت

وكنت خلفنا عنه وقال العاشر ما تأمرنا به فقال اسيروا انتم بما امرتكم به فاسالوا بي ت فقال لهم ارجعوا و فى طاعته وأوقف بهم الخضر خاف أن يظفروا به فحار من ذلك الموضع الى موضع آخر فأتوا اليه فلم يجدوه فرجعوا وقالوا لهم فقتلهم أبوه قال وكان أباه دعا بالمرأة الثبت وقال لها انت سمعت هذا يا بني حتى هرب فقتلها وسمعت المرأة الاولى بذلك فهربت مخافة القتل وقال العاشر الذى أنكر رؤيا الخضر ما نؤمني أن يقتلنى كما قتل التسعة فهرب حتى أتى قرية واذا المرأة الهاربة أيضا فى تلك القرية فكانت تحتطب فقالت يوما بسم الله فسمعها الرجل الهارب فقال لها من أنت فاخبرته خبرها فقال يا هذه أنا العاشر هربت خوف القتل فهل لك أن أتزوجك ونعبد الله حتى نموت فقالت نعم ثم انهما انطلقا حتى أتيا قرية فيها بعض من القرابة عندهم فاتخذا بيتا من قصب ومكثا فيه ورزقا فيه ثلاثة أولاد فقال لها الرجل اذا أنا مت فادفنيني فى هذا البيت وكذلك كل من مات منكم فانى لا أحب أن تكون قبورنا مع هؤلاء فاذا كان آخرنا موتا يوصى أن يهدم عليه البيت فمات الرجل فدفنته امرأته ثم انه بلغ فرعون زمانهم انهم يوحدون الله ويعبدونه فجيء بالمرأة الى حضرته فأمرها أن ترجع عن دينها فأبت فأمر بقدر من نحاس فملئت ماء وأغلى غليانا شديدا وأمر بالمرأة وولدها فلما أحضروا قال لها ارجعي عن دينك والا ألقيتك أنت وأولادك فى هذا القدر فأبت عليه فأمر بولدها الاكبر فألقى فيه فتفسخ فيه وكذلك الثانى وكان فى حجرها ابن رضيع فأرادوا القاءه فرقت المرأة ونازعتهم فى شأنه فتكلم الغلام الرضيع وقال لها اصبري فانا جميعا فى الجنة فلما أرادوا أن يلقوها فى القدر قالت لهم لى اليكم حاجة يسيرة قالوا وما هى قالت اذا رميتموني فى القدر فادفنوا ما بقى من عظامنا فى بيتنا واهدموه علينا ففعلوا ذلك فلما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم وجد رائحة طيبة فقال ما هذه يا جبريل فأخبره بقصتهم وقال هذه رائحتهم وروى ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوما من أهل تلك المدينة ركبوا البحر فى تجارتهم فضربتهم الامواج فتكسرت بهم سفينتهم فانفلت منهم رجلان على لوح من ألواحها فضربتهم الامواج حتى أسندتهما الى جزيرة من جزائر البحر فخرجا يجولان فى الجزيرة فاذا هما بالخضر عليه السلام وعليه ثياب بيض وهو قائم يصلى فجلسا حتى فرغ من صلاته فالتفت اليهما وقال لهما من أنتما قالا نحن من مدينة كذا وكذا خرجنا فى هذا البحر لطلب التجارة فانكسرت بنا هذه السفينة ودفعنا الى هذه الجزيرة فقال ان شئتما أن تقيما فى هذا الموضع تعبدان الله تعالى ويأتيكما أرزاقكما وان شئتما أردكما الى منازلكما فقالا بل تردنا الى منازلنا فقال لهما على ان تعطيانى عهد الله وميثاقه على انكما لا تخبران بشيء مما رأيتماه فأعطياه العهد والميثاق على الكتمان فنظر فاذا سحائب فدعاهن وسألهن فقالت كل واحدة منهن أريد بلد كذا وكذا فدعا التى تريد بلادهما فقال لها احملى هذين حتى تضعيهما على سطوحهما فسقطت السحابة وانشقت لهما ثم رفعتهما ومضت حتى وضعتهما على سطوحهما فعزم أحدهما على الكتمان ونزل الى منزله وعزم الآخر على اذاعته فنزل من سطحه وخرج من بابه وانطلق الى باب المدينة ونادى النصيحة فأدخل على الملك فقال لهم ما نصيحتك فقال رأيت ابنك فى موضع كذا وكذا وصنع بى كذا وكذا فقال له من يعلم ذلك قال فلان كان رفيقى فبعث اليه وسأله عما قال فقال أما ركوب البحر فقد ركبنا جميعا وقد انكسرت بنا السفينة وصرنا على لوح من ألواحها فلم تزل الامواج تضربنا حتى صرنا الى الساحل فخرجنا من البحر فلم نزل نعيش من الشجر ونبات الارض والثمر ترفعنا أرض وتضعنا أخرى حتى انتهينا الى منازلنا فقال له الغادر ابعث معى رسلك حتى أدفعه اليك وتعلم ان هذا قد كذب فأمر بالرجل الكاتم فحبس وتوعده بالصلب ان وفى صاحبه بما قال وأوعد الغادر بالصلب ان هو كذب ولم يأت به فبعث معه رسلا فركبوا البحر حتى انتهوا الى الجزيرة فطلبوا الخضر فلم يجدوا شيأ فرجعوا بالرجل الى الملك وقالوا هذا أكذب خلق الله ما رأينا مما قال شيأ فصلبه وخلى عن الآخر ثم ان أهل تلك المدينة لم يزالوا يعملون المعاصى حتى غضب الله عليهم قال جبريل عليه السلام فبعثنى الله تعالى اليهم فأدخلت جناحى تحتها واقتلعتها فرفعتها حتى سمع أهل سماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديوك ثم أمرنى

وكانت تأتيت الموتى التى مات فيه الشاب فلم أحمله أمرا ولا رضيته على خبر رضى الله تعالى عنه ونفعنا به وببركته آمين

((وعن مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه)) أنه قال كنت ماشيا فى أزقة البصرة يوما من الايام فرأيت جارية من جوارى الملوك راكبة ومعها خدم وغلمان فأتيت اليها وقلت أيتها الجارية أيبيعك مولاك فقالت الجارية ولو باعنى مولاى كان مثلك يشترينى فقلت نعم وخيرا منك فقال فضحكت وأمرت بى أن أحمل معها الى بيت مولاها فحملت معها فلما دخلت الى مولاها أخبرته بذلك فضحك وأمر أن أدخل اليه فدخلت اليه وسلمت عليه فلما رآنى قال ما حاجتك فقلت بعنى جاريتك فقال مولاها أتطيق أداء ثمنها فقلت نعم ثمنها عندى نواتان مسوستان قال فضحك وقال كيف يكون ثمنها عندك هذا القدر فقلت لكثرة عيوبها فقال وما عيوبها فقلت ان لم تتعطر دفرت وان لم تستك بخرت وان لم تمتشط وتدهن قملت وان عمرت هرمت ذات حيض وبول واقذار وحزن وغم واكدار ولعلها لا تودك الا لنفسها ولا تحبك الا لتنعمها لا تفى بعهدك ولا تصدق فى ودك

فقتلتهما فقالت ثم روى لي أن فيها شيئاً انتهت الى وحشة الارض فتوى بيت الرجل الكاتم والمرأة الكاتمة من
جانب سلمى ثم انطلقت الارض عن قبيلهما ثم مرضتهما فخلا بدو وان في حدود المدينة فلا تلق كل
واحد منهما صاحبه فلما التقى كذلك قال الرجل لها أنا امرؤ قد رأيت ما أصاب القوم وانه لم يعلم غيري
وغيرك فبأي شيء نجوت فانها بنى وانا أتدرك فعاهد كل واحد منهما صاحبه على الكتمان فصارا وافادا
فتستهما لواحد فواعدا فقاما ما الكتمان فقال لها اهل لك ان تزوجني نفسك ونخرج الى مدينة من هذه
المدائن فلم نكت فيها ونكتب بين علينا حتى يقضي الله من أمرنا ما يشاء ففعلت فذهبا الى مدينة
فرعون من الفراعنة فاتخذا لهما بيتاً وولد لهما أولاد وتلطفت المرأة لآل فرعون وصارت ماشطة لهم
فخلطت بهم فبينما هي ذات يوم قاعدة تسرح رأس بنت الملك اذ سقط المشط من يدها فقالت بسم الله
تعس من كفر بالله ففزعت الجارية من ذلك وقالت لها امن الله قالت ربي فقالت الهاوان للناس باغير أبي
فقالت نعم هو ربي ورب أبيك ورب كل شيء فهبطت الجارية ودخلت على أبيها وقالت تعلم ان فلانة تقول
قولاً عجيباً تقول كذا وكذا فأرسل اليها فحضرت فقال لها ما هذا الذي بلغني عنك فقالت هو ما بلغك قال فهل
أحد يقول بقولك قالت نعم اهلي وصبيتي فبعث اليهم وامتحنهم فاذا هم يقولون قولاً واحداً فقال انهم انا
لا نقركم على ما أنتم عليه حتى ترجعوا الى ديننا فقالوا له اصنع ما أنت صانع فأمر بقدر من نحاس عظيمة فملئت
ماء ثم أشعل تحتها حتى اضطرب الماء ثم دعا بالصبية فعرض عليهم واحداً واحداً الكفر فأبوا أن يكفروا
فأخذهم وطرحهم في القدر ثم انه دعا بالزوج وعرض عليه الكفر فأبى فألقاه في القدر ثم دعا بالمرأة وقال
لها ان لك علينا حقاً فان أنت رجعت الى ديننا والا ألقيناك في القدر فقالت له اصنع ما أنت صانع ثم انها قالت
لي اليك حاجة قال وما هي قالت اذا صنعت ما أنت صانع فمر بيتاً أن يحفر فيه حفرة ثم تأمر بالقدر فتحمل
عاقبتها ثم يأتون بها منزلنا فيسكب ما في القدر في الحفرة ثم يعاد علينا التراب ثم يهدم علينا البيت ففعل ذلك
فهذه الرائحة رائحة المسك تسطع من بيتهم الى يوم القيامة فهذه قصة الخضر مع أبيه وبدو أمره وكان في
زمن افريدون الملك بن القباء على قول عامة أهل الكتب الاولى وقيل انه كان على مقدمة ذي القرنين
الاكبر الذي كان في زمن ابراهيم عليه السلام وهو الذي قضى ببئر السبع وهي بئر كان احتفرها ابراهيم
عليه السلام لماشيته في صحراء الاردن وان قوماً من أهل الاردن ادعوا الارض التي احتفرها ابراهيم
عليه السلام فحاكمهم ابراهيم عليه السلام الى ذي القرنين الذي كان الخضر على مقدمته أيام مسيره في
البلاد وانه بلغ مع ذي القرنين نهر الحياة وشرب من مائه وهو لا يعلم به ولا يعلم ذو القرنين ومن معه في
ضلالته فخلد وهو في الحياة الى الآن وقيل ان ذا القرنين الذي كان على عهد ابراهيم عليه السلام وكان
الخضر عليه السلام على مقدمته هو افريدون الملك وزعم بعضهم ان الخضر من ولد من كان آمن بابراهيم
خليل الرحمن واتبعه على دينه وهاجر معه من أرض بابل (وروى) محمد بن اسحق بن يسار عن وهب بن
منبه ان الخضر هو ارميا بن خلقيا وكان من سبط هرون بن عمران وهو الذي بعثه الله نبياً في أيام ناشية بن
أموص ملك بني اسرائيل والقول الاول أشبه بالحق وأولى بالعدل والصدق لان ناشية بن أموص كان في
عصر كرفشت بن كراشت في أيام بختنصر وبين افريدون وكرفشت من الدهور والازمان ما لا يجهله ذو
علم بأيام الناس وأخبارهم * وقد صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي بن كعب ان
صاحب موسى بن عمران الذي أمر بطلبه وبالاقتباس منه هو الخضر عليه السلام ورسول الله صلى الله
عليه وسلم أعلم الخلق بالامور الماضية والباقية وموسى بن عمران انما نبئ في عصر متوشهر الملك وكان
متوشهر الملك بعد ملك جده افريدون فدل هذا على خطا من قال انه ارميا بن خلقيا الا ان ارميا كان في
أيام بختنصر وبين عهد موسى وبختنصر من المدة ما لا يخفى على أهل العلم اللهم الا أن يكون الامر كما قاله
من قال انه كان على مقدمة ذي القرنين صاحب ابراهيم عليه السلام فشرب من ماء عين الحياة فخلد ولم
يبعث في أيام ابراهيم ومن بعده الى أيام ناشية بن أموص فبعث حينئذ نبياً والله أعلم والصحيح انه نبي معمر
محجوب عن الابصار (وروى) محمد بن المتوكل عن ضمرة بن عبد الله بن شوذب قال الخضر من ولد فارس

والياس

والياس من بني إسرائيل يلتقيان في كل عام في الموسم وأخبرني محمد بن القاسم أخبرنا أبو بكر محمد بن الفضل قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن يعقوب قال أخبرنا يزيد بن هارون بن سنان أبو إسحاق أخبرنا علي ابن المديني عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال إن الخضر والياس لا يزالان حيين في الأرض ما دام القرآن فيها فإذا رفع القرآن ماتا وأخبرني أبو عمرو الفراتي أخبرنا أبو أحمد بن محمد بن علي الرازي أخبرنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطي أخبرنا أبو همام الوليد بن شجاع السلمي أخبرنا عمر بن عبد الواحد السلمي عن ابن ثوبان عن بعض أهل العلم عن أنس بن مالك قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا بصوت يجيء من شعب فقال يا أنس انطلق فانظر ما هذا الصوت قال فانطلقت فإذا رجل يصلي ويقول اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمته بذلك فقال لي انطلق فقل له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ويقول لك من أنت فأتيته فأعلمته ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي اقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وقل له أخوك الخضر يقول لك ادع الله أن يجعلني من أمتك المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها

(رجعنا إلى حديث موسى وفتاه) قالوا فانتهى موسى وفتاه إلى الخضر وهو قائم يصلي على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو متشح بثوب أخضر فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بأرضك السلام فقال أنا موسى فقال موسى بني إسرائيل قال نعم قال يا موسى لقد كان في بني إسرائيل شغل قال موسى إن ربي أرسلني إليك لأتبعك وأتعلم من علمك ثم جلسا يتحدثان فجاءت خطافة وحملت بمنقارها من الماء فقال الخضر يا موسى خطر ببالك أنك أعلم أهل الأرض ما علمك وعلمي وعلم جميع الأولين والآخرين في جنب علم الله تعالى إلا أقل من الماء الذي حملته الخطافة بمنقارها فذلك قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا أي نبوة وحكمة وعلمناه من لدنا علما (وقال ابن عباس) كان الخضر يعلم علم الغيب فقال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معي صبرا لأني أعلم علم الباطن علما علمنيه الله تعالى وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا يعني على ما لم تعلمه قال موسى ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء عملته مما تنكره حتى أحدث لك منه ذكرا وأبين لك شأنه فانطلقا يسيران يلتمسان سفينة يركبان فيها فمرت بهما سفينة جديدة وثيقة فركباها فقال أصحاب السفينة هؤلاء لصوص وأمروهم بالخروج منها فقال صاحب السفينة ما هؤلاء بلصوص ولكني أرى وجوههم وجوه الأنبياء وقال أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقا يمشيان على ساحل البحر إذ مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما رجعوا في البحر أخذ الخضر عليه السلام فأسا فخرق لوحا من السفينة حتى دخلها الماء فحشاها موسى ثوبه وقال له أخرقتها لتغرق أهلها وقد حملونا وأحسنوا إلينا فخرقت سفينتهم ما هذا جزاؤهم منا لقد جئت شيئا إمرا أي عجبا منكرا قال الخضر ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا قال موسى لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا يعني لا تكلفني ولا تضيق علي أمري (قال ابن عباس) لما خرق الخضر السفينة تنحى موسى ناحية وقال في نفسه ما كنت أصنع بمصاحبة هذا الرجل كنت في بني إسرائيل أتلو عليهم كتاب الله غدوة وعشية وآمرهم فيطيعوني فقال له الخضر يا موسى أتريد أن أخبرك بما حدثت به نفسك قال نعم قال قلت كذا وكذا قال صدقت فانطلقا يمشيان حتى أتيا أيلة وإذا هما بغلمان عشرة فيهم غلام هو أظرفهم وأضوؤهم وجها قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحلم وقال الضحاك كان غلاما يعمل الفساد ويتأذى منه أبواه وقال الكلبي كان الغلام يسرق المتاع بالليل وإذا أصبح لجأ إلى أبويه فيحلفان دونه شفقة عليه ويقولان لقد بات عندنا واختلفوا في اسمه فقال الضحاك كان اسمه حيسور وقيل الحسين وقال وهب بن منبه كان اسم أبيه ملاس واسم أمه رحمة قال فأخذه الخضر عليه السلام فقتله واختلفوا في كيفية قتله قال سعيد بن جبير أخذه فأضجعه ثم ذبحه بالسكين

الجنة دار النعيم في جوار المولى الكريم غدا فقال المولى لجاريته أصدقت ما قال شيئا بعد ما قلت ثم قال أصدقي أم كذبت فقالت بل صدق ونصح فقال مولاها فأنت حرة لوجه الله تعالى وضيعة كذا وكذا صدقة عليك وأنتم أيها الجواري والخدم أحرار لوجه الله تعالى وضيعة كذا وكذا صدقة لكم وهذه الدار وما فيها صدقة وجميع مالي في سبيل الله ثم مد يده إلى ستر خشن كان على بعض أبوابه فاجتذبه وخلع جميع ما كان عليه من الحرير والديباج فلما رأت الجارية ما فعل مولاها قالت لا عيش لي بعدك يا مولاي ثم رمت كسوتها ولبست مثل مولاها وخرجت معه فودعهما مالك ودعا لهما وأخذ طريقه فتعبدا حتى جاءهما الموت ولقيهما على حال العبادة عفا الله عنهما ونفعنا بهما آمين ﴿وحكي عن جعفر بن سليمان رضي الله تعالى عنه﴾ أنه قال مررت أنا ومالك بن دينار بالبصرة فبينما نحن ندور بها إذ مررنا بقصر وإذا بشاب جالس ما رأيت أحسن منه وجها وهو يأمر ببناء القصر ويقول افعلوا كذا واصنعوا كذا فقال مالك أما ترى يا جعفر إلى هذا الشاب

وقال الكلبي صرعه ثم نزع رأسه وقال قوم رفسه برجله فقتله وقال آخرون ضرب رأسه بالجدار حتى قتله وفي رواية أخرى أدخل اصبعه في سرة الصبي فاقتلعها فمات فلما قتله قال موسى أقتلت نفسا زكية يعني طاهرة لم تذنب ولم تستوجب القتل بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا أي منكرا قال قتادة المنكر أشد وأعظم من الامر قال فغضب الخضر واقتلع كتف الصبي الايسر وقشر اللحم عنه فاذا في عظم كتفه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبدا ويدل على صحة هذا القول ما أخبرنا به عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن عبيد الله أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان أخبرنا يحيى أخبرنا قيس عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا فقال الخضر لموسى ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا أي في فراقي (أخبرنا) عبد الواحد بن حامد الوزان أخبرنا مكي بن عبدان أخبرنا عبد الرحمن بن بشر أخبرنا حجاج بن محمد أخبرنا حمزة الزيات عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه فقال ذات يوم رحمة الله علينا وعلى أخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر العجب العجاب ولكنه قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا يعني يمشيان حتى أتيا أهل قرية واختلفوا في القرية قال ابن عباس هي انطاكية وقال محمد بن سيرين هي أيلة وهي أبعد أرض الله من السماء وقيل هي قرية من قرى الروم يقال لها ناصرة واليها ينسب النصارى قالوا فوافياها قبل غروب الشمس فاستطعما أهلها واستضافاهم فأبوا أن يضيفوهما قالوا كانوا أهل قرية لئاما وقال قتادة في هذه الآية شر القرى التي لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه قالوا فلم يجدوا تلك الليلة في تلك القرية قرى ولا ماء ولا مأوى وكانت ليلة باردة فالتجؤا الى حائط على شارع الطريق يريد أن ينقض أي يكاد ينهدم ويسقط ولم يكن يمر به أهل القرية ولا غيرهم من الناس الا على خوف منه وكان قد بناه رجل صالح وفي بعض الاخبار ان سمك ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعا بذراع ذلك القرن وكان طوله على وجه الارض خمسمائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا فأقامه الخضر أي سواه وقال ابن عباس هدمه وبناه وقال سعيد بن جبير مسح الجدار وسواه بيده ومكنه فاستقام فقال له موسى لو شئت لاتخذت عليه أجرا يكون لنا قوتا وبلغة على سفرنا اذ استضفناهم فلم يضيفونا فقال له الخضر هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ثم أخذ يفسر له فقال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر الآية قال كعب وغيره كانت لعشرة اخوة زمنى لم يكن لهم معيشة غيرها ورثوها من أبيهم خمسة منهم يعملون في السفينة في البحر وخمسة لا يطيقون العمل واما العمال منهم فأحدهم كان مجذوما والثاني أعور والثالث أعرج والرابع آدر والخامس محموم لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم والخمسة الذين لا يطيقون العمل أعمى وأصم وأخرس ومقعد ومجنون وكان البحر الذي كانوا يعملون فيه ما بين فارس الى بحر الروم (ويروى) عن عكرمة قال قلت لابن عباس في قوله أما السفينة فكانت لمساكين كانوا مساكين والسفينة تساوي ألف دينار فقال ان المسافر مسكين وان كان معه ألف دينار ولهذا قيل ان المسافر وماله على قلة الا ما وقى الله تعالى فأردت أن أعيبها قطعا لطمع الطامعين فيها ودفعا لشرهم وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وراءهم أي أمامهم قال الله تعالى من ورائه جهنم ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون أي أمامهم وقيل خلفهم لانه كان رجوعهم في طريقهم عليه ولم يكونوا يعلمون خبره فأعلم الله تعالى الخضر خبره وكان يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكذلك كان يقرؤها ابن عباس فخرقتها وعبتها كي لا يتعرض لها ذلك الملك واختلفوا في اسم ذلك الملك فقال أكثر العلماء اسمه جلندى وكان كافرا وقال ابن اسحق كان اسمه منواه بن جلندى الازدي وقال شعيب الجبائي كان اسمه هدد بن بدد وقيل كان لهذا الملك ثمانية وستون قصرا في كل قصر امرأة قال فلما جاوزوا الملك سد الخضر خرق السفينة ورقعها وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا

على بناء هذا القصر ما أشوقني الى أن أسأل ربي أن يخاصمه فيجعله من شبان الجنة ثم قال يا جعفر ادخل بنا اليه قال فدخلنا اليه وسلمنا عليه فرد علينا السلام وكان لم يعرف مالك ابن دينار فلما عرفه قام اليه وقال هل من حاجة يا مولاي فقال مالك كم نويت أن تنفق على هذا القصر قال مائة ألف درهم فقال مالك ألا تعطيني هذا المال فأصرفه لمستحقه وأضمن لك على الله تعالى قصرا خيرا لك من قصرك هذا بولدانه وخدمه مكللا بالدر والياقوت مرصعا بالجوهر ترابه الزعفران ملاطه المسك أفسح من قصرك هذا لا يخرب ولا تمسه يدان ولا بناه بان قال له الجليل كن فكان فقال له الشاب يا سيدي امهلني الليلة الى غد فقال نعم قال جعفر فبات مالك متفكرا في الشاب فلما كان وقت السحر دعا الله تعالى فأكثر من دعائه فلما أصبحنا عدونا اليه واذا بالشاب جالس فلما عاين مالك بن دينار قال ما تقول بالامس فقال تفعل قال نعم فأحضر المال لوقته وأحضر دواة وقرطاسا فكتب مالك بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما ضمنه مالك بن دينار لفلان بن فلان اني ضمنت لك على الله قصرا بدل قصرك بصفته

أي فعلنا أن يرهقهما يغشاهما طغيانا وكفرا فيهلكهما وقيل خشي أن يدلهما فيدعوا أبويه الى الكفر فيجيباه ويدخلا معه في دينه لفرط محبتهما له وقيل خشي على الغلام أن يعمل عمل الفساق فيتجاهل أبواه فيدخلان النار فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وصلاحا وأقرب رحما (قال ابن عباس) يعني واصلا للرحم وبرا بوالديه فأبدلهما الله جارية مؤمنة أدركت يونس بن متى وتزوجها نبي من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الامم (وأخبرنا) عبد الله بن حامد قال أخبرنا حامد بن أحمد قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يحيى بن الحرث أخبرنا عبد الوهاب بن فليح أخبرنا ميمون بن عبد الله القداح عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه في هذه الآية قال أبدلهما جارية فولدت سبعين نبيا وقال ابن جريج أبدلهما بغلام مسلم وكان المقتول كافرا وقال قتادة في هذه الآية قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي كان فيه هلاكهما فرضا المؤمن بقضاء الله تعالى فيما يكره خير له من رضاه فيما يحبه وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة واسمهما أصرم وصريم وكان تحته كنز لهما واختلفوا في ذلك الكنز ما هو فقال ابن عباس وسعيد بن جبير كان صحفا مدفونة تحته فيها علم وقال الحسن وجعفر بن محمد كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبا لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب وعجبا لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبا لمن يؤمن بالحساب كيف يجمع وعجبا لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخرون كان ذلك الكنز مالا يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الحشادي المزكي أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن قيدوس الطرائفي أخبرنا عثمان بن سعيد أخبرنا صفوان بن صالح الدمشقي أخبرنا يزيد بن مسلم الصنعاني عن يزيد بن يزيد عن مكحول عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال كان ذهبا وفضة وكان أبوهما اسمه كاشح وكان صالحا نقيا أمينا فحفظا لصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الاب الذي حفظا به سبعة آباء (أخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد قال أخبرنا بشر بن موسى أخبرنا الحميدي أخبرنا سفيان أخبرنا محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر قال ان الله عز وجل ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبقعته التي هو بها والدويرات التي حوله فما يزالون في حفظ الله وستره وعن سعيد بن المسيب أنه كان اذا رأى ابنه قال يا بني لأزيدن في صلاتي من أجلك لعلي أحفظ فيك ويتلو هذه الآية (أخبرنا) يحيى بن اسمعيل بن سلمة قال كانت لي أخت أسن مني فاختلطت وذهب عقلها فتوحشت وكانت في غرفة في أقصى سطوحنا فلبثت كذلك بضع عشرة سنة وكانت مع ذهاب عقلها تحرص على الصلاة والطهور فبينما أنا نائم ذات ليلة اذا أنا بباب بيتي يدق نصف الليل فقلت من هذا فقالت نجه فقلت أختي قالت أختك فقلت لبيك فقمت ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها في البيت أكثر من عشر سنين فقلت يا أختي خيرا فقالت خيرا يا أخي بت الليلة فأتاني آت في منامي فقال لي السلام عليك يا نجه فقلت وعليك السلام فقال لي ان الله قد حفظ أباك اسمعيل بن سلمة بن كهيل بسلمة جدك وحفظك بأبيك اسمعيل فان شئت دعوت الله لك فيذهب ما بك وان شئت صبرت ولك الجنة فان أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد تشفعا لك الى الله تعالى لحب أبيك وجدك اياهما فقلت ان كان ولا بد من اختياري أحدهما فالصبر على ما أنا فيه والجنة وان الله لواسع لفضل خلقه لا يتعاظمه شيء في حكمه لو شاء لجمعهما لي قالت فقيل لي قد جمعهما الله لك ورضي عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر قومي فان الله أذهب ما كان بك (ويحكى) عن بعض العلوية أنه دخل على هرون الرشيد وقد هم بقتله فلما دخل عليه أكرمه وخلى سبيله فقيل له بم دعوت حتى نجاك الله قال قلت يا من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما احفظني منه لصلاح آبائي فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما المدفون تحت الجدار وما فعلته عن أمري وانما فعلته بأمر الله تعالى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ويقال لما عاتب موسى على الخضر خرق السفينة وقتله الغلام واقامته الجدار تعجب مما قال له يا موسى أتلومني على خرق السفينة مخافة غرق أهلها ونسيت نفسك حين ألقتك أمك وأنت صغير في اليم ضعيف فحفظك الله وتلومني على قتل

تعالى واشتريت لك بهذا المال قصرا في الجنة أفسح من قصرك في ظل ظليل بقرب العزيز الجليل ثم طوى الكتاب ودفعه الى الشاب وحملنا المال من عنده فما أمسى مالك حتى لم يبق معه مقدار قوت يوم واحد وما أتى على الشاب أربعون يوما حتى وجد مالك كتابا موضوعا في محرابه عندما فرغ من صلاة الغداة فأخذه مالك فاذا في ظهره مكتوب بلا مداد هذه براءة من الله العزيز الحكيم لمالك بن دينار قد وفينا الشاب القصر الذي ضمنته له وزيادة على ذلك سبعين ضعفا قال فتحيرت من ذلك وذهبت أنا وجعفر الى منزل الشاب فاذا بالباب مسدود والبكاء في الدار فقلت ما فعل بالشاب فقيل مات بالامس فأحضرنا الغاسل وقلنا أنت غسلته فقال نعم فقال مالك فحدثنا كيف صنعت فقال الغاسل يا سيدي انه أحضرني قبل موته وقال اذا غسلتني وكفنتني اجعل هذا الكتاب بين كفني وبدني ففعلت ذلك ودفنته معه قال فأخرج مالك الكتاب فقرأه الغاسل فقال له يا سيدي والله انه هذا الكتاب بعينه قال فكثر البكا والنحيب ثم قام شاب آخر وقال يا مالك خذ مني

الغلام الكافر بلا أمر ونسيت نفسك حين قتلت القبطي بغير أمر وتلومني على ترك أخذ الاجرة في اقامة الجدار وتنسيت نفسك حين سقيت غنم شعيب بغير أجر لك بالاجل الملك الجبار (قال بعض أهل الاخبار) هذا ما كان من قصة موسى وفتاه وقصتهما مع الخضر حيث كانوا في التيه فلما فارق موسى الخضر رجع الى قومه وهم في التيه (ويروى) عن علي بن أبي طالب وغيره أن موسى لما أراد فراق الخضر قال له الخضر استودعتك الله ثم قال له موسى أوصني فقال له الخضر لا تكن مشاء في غير حاجة واياك واللجاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخاطئين بخطاياهم وابك على خطيئتك ولا تؤخر عمل اليوم الى غد (وروى) أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أحدثكم عن الخضر قالوا بلى يا رسول الله قال بينما الخضر يمشي في سوق من أسواق بني اسرائيل اذ لقيه مكاتب فقال له تصدق علي بارك الله فقال آمنت بالله وما يقضي الله من أمر سيكون ما معي من شيء أعطيكه فقال له الرجل تصدق علي بارك الله عليك فاني أرى الخير في وجهك فرجوت الخير من قبلك فقال له الخضر آمنت بالله وما يقضي الله من أمر سيكون ما معي شيء أعطيكه فقال له السائل أسألك بالله لما تصدقت علي فقال له الخضر آمنت بالله ما يقضي الله من أمر سيكون ما معي شيء أعطيكه الا أن تأخذ بيدي وتدخلني في السوق فتبيعني قال الرجل وهل يكون مثل هذا قال الحق أقول انك سألتني بعظيم سألتني بوجه ربي وقد أجبتك فخذ بيدي وادخلني السوق فبعني فأخذ بيد الخضر فأدخله السوق فباعه بأربعمائة درهم فلبث عند المبتاع أياما لا يستعمله في شيء فقال له الخضر استعملني فقال له انك شيخ كبير وأكره أن أشق عليك قال لا تشق علي ذلك قال فقم فانقل هذه الحجارة من ههنا الى ههنا وكانت الحجارة لا ينقلها الا ستة نفر في يوم تام فقام ونقلها في ساعة واحدة وأمده الله تعالى على نقلها بملك من الملائكة فعجب الرجل منه وقال أحسنت ثم عرض للرجل سفر فقال للخضر اني أراك أمينا صالحا ناصحا فاخلفني في أهلي قال نعم ان شاء الله تعالى فاستعملني في شيء قال أكره أن أشق عليك قال لا يشق ذلك علي فقال اضرب لي لبنا أريد أن أقصر لي ووصفه له ثم خرج لسفره فلما قضى حاجته ورجع من سفره اذ هو بالخضر عليه السلام قد شيد بناءه على ما أراد فازداد منه تعجبا وقال له من أنت قال أنا المملوك الذي كنت اشتريتني فقال له سألتك بوجه الله أن تخبرني من أنت فقال الخضر ان هذا القسم هو الذي أوقعني في العبودية أما أنا فسأخبرك أنا الخضر سألني سائل بوجه ربي أن أعطيه ولم يكن معي شيء أعطيه فأمكنته من نفسي حتى باعني ولعمري ان من سئل بوجه الله ورد سائله وهو يقدر على قضاء حاجته وقف يوم القيامة بين يدي ربه وليس على وجهه لحم ولا جلد الا عظم يتقعقع قال فبكى ذلك الرجل وانكب عليه يقبله ويقول له بأبي أنت وأمي شققت عليك ولم أعرفك فاحكم علي في مالي وأهلي وان أحببت أن أخلي سبيلك فعلت قال نعم فهل أحب أن تخلي سبيلي أعبد ربي وكان الرجل كافرا فأسلم على يديه وأعطاه أربعمائة دينار وخلى سبيله فأوحى الله اليه قد خلصتك من الرق وأسلم الكافر على يديك وأعطاك مكان كل درهم دينارا لتعلم أن لا يخسر أحد في معاملتي فهذا آخر قصة الخضر وموسى وفتاه والله أعلم

((باب في ذكر قصة عاميل قتيل بني اسرائيل وقصة البقرة))

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قال المفسرون وجد قتيل في بني اسرائيل اسمه عاميل لم يدر من قتله واختلفوا في قاتله وسبب قتله فقال عطاء والسدي كان في بني اسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم مسكين ولا وارث له غيره فلما طالت عليه حياته قتله ليرثه وقال بعضهم كان تحت عاميل ابنة عم له ما لها في بني اسرائيل مثل في الحسن والجمال فقتله ابن عم لها لينكحها فلما قتله حمله من قريته الى قرية أخرى فألقاه هنالك وقال عكرمة كان لبني اسرائيل مسجد له اثنا عشر بابا لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط جر الى باب سبط آخر فاختصم فيه السبطان وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله ووضعه على باب رجل منهم ثم أصبح يطلب ثاره ودمه ويدعيه عليه وقيل ألقاه بين القريتين فاختصم أهلهما وجاء أولياؤه الى موسى وأتوه بناس وادعوا عليهم القتل وسألوه القصاص

مثل ما ضمنت للشاب المتوفى فقال مالك هيهات كان ما كان وفات ما فات والله يحكم ما يريد فكان مالك كلما ذكر الشاب بكى وقال عنه أنه ودعا له بالرحمة رحمنا الله بهم أجمعين ((وحكي عن محمد بن السماك رضي الله عنه)) أنه قال كان محمد بن سليمان بن موسى الهاشمي من أنعم بني أمية عيشا وأكرمهم بالاعطاء نفسا وكان منهمكا في شهوات نفسه من أصناف اللذات في المأكل والمشرب والملبس والطيب والجواري والغلمان ليس له فكرة ولا همة الا في الذي هو فيه من ذلك وكان شابا جميلا وجهه كاستدارة القمر وكانت نعمة الله سابغة عليه فكان يشتغل كل حول بنحو ثلثمائة ألف وثلاثة آلاف دينار ذهبا يصرفه كل ذلك فيما هو فيه من عيشه ولذته وكان له مستشرف عال يقعد فيه يشرف على الناس وله أبواب مشرعة الى بساتينه وقد ضرب قبة من عاج مطلية بالفضة والذهب وهو على سريره عليه غلالة من قصب وعلى رأسه عمامة مكللة باللآلئ ومعه في تلك القبة ندماؤه وجلساؤه وقد أوقف على رأسه الخدم والغلمان في مجلس خارج القبة بحيث يراهم واذا اشتهى سماع القيان نظر

فسألهم موسى عن ذلك فجحدوا ولم يكن لهم بينة فاشتبه أمر القتيل على موسى ووقع بينهم قتال واختلاف وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم أمر ذلك القتيل فسأل موسى ربه فأمرهم بذبح البقرة فقال لهم موسى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا جئناك لنسألك عن القتيل فتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لتباعد الامرين في الظاهر ولم يدروا وجه الحكمة فيه فقال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين أي من المستهزئين بالمؤمنين فلما علم القوم ان ذبح البقرة أمر من الله تعالى قد لزمهم سألوه الوصف فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ولو أنهم عمدوا الى أدنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم لكنهم شددوا الامر على أنفسهم فشدد الله عليهم وانما كان تشديدهم تقديرا من الله وحكمة وكان السبب فيه على ما ذكره السدي وغيره أن رجلا في بني اسرائيل كان بارا بأبيه وبلغ من بره أن رجلا أتاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين ألفا وكان فيها فضل وربح فقال البائع أعطني ثمن اللؤلؤة فقال ان أبي نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فامهلني حتى يستيقظ وأعطيك الثمن فقال أيقظ أباك وأعطني المال فقال ما كنت لأفعل ولكن أزيدك عشرة آلاف وأنظرني حتى ينتبه أبي فقال الرجل أنا أحط عنك عشرة آلاف ان أيقظت أباك وعجلت النقد فقال أنا أزيدك عشرين ألفا ان انتظرت انتباهه فقال فبات فقعد ولم يوقظ أباه فلما استيقظ أبوه أخبره بذلك فدعا له وجزاه خيرا وقال له أحسنت يا بني وهذه البقرة لك بما صنعت وكانت بقية بقر كانت لهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه القصة انظروا ما صنع الله به لاجل البر (وقال ابن عباس ووهب وغيرهما من أهل الكتب) كان في بني اسرائيل رجل صالح وله ابن طفل وكان له عجلة فأتى بالعجلة الى غيضة وقال اللهم اني استودعتك هذه العجلة لابني حتى يكبر ثم مات الرجل وشبت العجلة في الغيضة حتى صارت عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن وكان بارا بوالدته وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل بثلثه ويعطي والدته ثلثه فقالت له أمه يوما يا بني ان أباك ورثك عجلة وذهب بها الى غيضة كذا وكذا واستودعها الله تعالى فانطلق اليها وادع اله ابراهيم واسمعيل واسحق أن يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل لك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسن خلقها وصفائها ولونها وصفرتها فأتى الغيضة فرآها وهي ترعى فصاح بها الفتى وقال لها أعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب أن تردي علي فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بوالدته اركبني فان ذلك أهون لك فقال الفتى ان أمي لم تأمرني بذلك وانما قالت خذ بعنقها فقالت البقرة واله بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي أبدا فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق لفعل لبرك بوالدتك وانطلق الفتى بها فاستقبله عدو الله ابليس في صورة راع فقال له أيها الفتى اني راع من رعاة البقر اشتقت الى أهلي فأخذت ثورا من ثيراني وحملت عليه زادي ومتاعي حتى اذا بلغت شطر هذه الطريق ذهبت لاقضي حاجتي فعدا وسط الجبل وما قدرت عليه واني لاخشى على نفسي الهلكة فان رأيت أن تحملني على بقرتك هذه وتنجيني من الموت وأعطيك بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتى وقال اذهب فتوكل على الله ولو علم الله منك اليقين لبلغك بلا زاد ولا راحلة فقال له ابليس لعنه الله ان شئت فبعنيها بحكمك وان شئت فاحملني عليها وأعطيك عشرة أمثالها فقال له الفتى ان أمي لم تأمرني بهذا فبينما الفتى كذلك اذ طار طائر من بين يدي البقرة فنفرت البقرة هاربة في الفلاة وغاب الراعي فدعاها الفتى وقال باسم اله ابراهيم فرجعت اليه البقرة وقالت أيها الفتى البار بوالدته ألم تر الى الطائر الذي طار فانه ابليس عدو الله اختلسني أما انه لو ركبني ما قدرت علي أبدا فلما دعوت باله ابراهيم جاء بي ملك انتزعني من يد ابليس وردني اليك لبرك بأمك وطاعتك لها فجاء بها الفتى الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك هذا الاحتطاب بالنهار والقيام

نحو الستارة واذا أراد سكوتهم أومأ بيده نحو الستارة فهذا كان دأبه الى أن يذهب الليل فتخرج الندماء ويخلو مع من شاء فاذا أصبح اشتغل بالنظر الى اللاعبين بالشطرنج وغيره لا يذكر بين يديه موت ولا سقم ولا مرض ولا حزن ولا غم ولا هم الا ذكر الفرح والسرور والنوادر المضحكة ويبخر كل يوم من أنواع الطيب والمشمومات وما يكون في أوانه حتى مضت له سبعة وعشرون سنة فبينما هو ذات ليلة من الليالي في قبته وقد مضى نصف الليل اذ سمع نغمة من صوت شجي بخلاف ما سمع من مطرباته فأخذت بقلبه وصار ولها بما كان فيه فأومأ الى جلسائه أن امسكوا ثم أخرج رأسه من بعض طاقات القصر الى جهة الخلاء يسمع الذي وقع بقلبه فاذا النغمة رجع فيها ورجع اخفيت عليه فصاح بغلمانه ان اطلبوا صاحب هذه النغمة وكان يومئذ قد عمل فيه الشراب فخرج الغلمان يطوفون فاذا هم بشاب نحيف الجسم مصفر اللون قد لصق بطنه بظهره وعليه طمران لا يتواريان بعيرهما حافي القدمين ذابل الشفتين قائم في المسجد يناجي ربه عز وجل قال فأخرجوه من المسجد وانطلقوا به حتى

بالثمن فانطلق فبيع هذه البقرة وخذ ثمنها فقال بكم أبيعها فقالت بثلاثة دنانير ولا تبعها بغير رضاي ومشورتي وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله الى الفتى ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بوالدته وكان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة فقال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتي فقال له الملك أنا أعطيك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له الفتى لو أعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمي فردها الى أمه وأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضاي فانطلق الفتى بالبقرة الى السوق فأتى الملك فقال له الملك استأمرت والدتك قال الفتى نعم أمرتني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها فقال له الملك اني أعطيك اثني عشر دينارا على أن لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع الى أمه فأخبرها بذلك فقالت ان ذلك الرجل الذي يأتيك هو ملك من الملائكة يأتيك في صورة آدمي ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتأمرني أن أبيع هذه البقرة أم لا ففعل الفتى ذلك فقال له الملك اذهب الى أمك وقل لها أمسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل في بني اسرائيل ولا تبيعيها الا بملء مسكها دنانير فأمسكا البقرة وقدر الله على بني اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة فذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي وما سنها قال موسى انه يعني الله يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر أي لا كبيرة ولا صغيرة عوان بين ذلك نصف بين السنين فافعلوا ما تؤمرون من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين اليها وتعجبهم من حسنها وصفائها لان العين تسر وتولع بالنظر الى الشيء الحسن وقال علي بن أبي طالب من لبس نعلا صفراء قل همه لان الله تعالى يقول صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي أسائمة أم عاملة ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لو لم يستثنوا لما تبينت لهم الى آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول مذللة بالعمل تثير الارض تقلبها للزراعة ولا تسقي الحرث مسلمة بريئة من العيوب لا شية فيها قال عطاء لا عيب فيها وقال قتادة لا بياض فيها أصلا وقال محمد بن كعب لا لون فيها يخالف معظم لونها قال فلما قال لهم موسى هذا قالوا الآن جئت بالحق أي بالوصف الثابت التام البين فطلبوها فلم يجدوها بكمال وصفها الا عند الفتى البار بأمه فاشتروها منه على ملء مسكها ذهبا وقال السدي اشتروها بوزنها عشر مرات ذهبا فذبحوها وما كادوا يفعلون من غلو ثمنها وقال القرطبي وما كادوا يذبحونها باجتماع أوصافها وذلك قوله تعالى واذ قتلتم نفسا يعني عاميل وهذه الآية أول القصة وادارأتم فيها أي فاختلفتم فيها والله مخرج أي مظهر ما كنتم تكتمون أي تخفون فقلنا اضربوه يعني القتيل ببعضها أي ببعض البقرة واختلفوا في هذا البعض ما هو قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو المقتل وقال الضحاك بلسانها قال حسين بن الفضل وهذا أولى الاقاويل لان المراد من احياء القتيل كلامه واللسان آلة وقال سعيد بن جبير بعجب ذنبها قال غياث وهو أولى التأويلات بالصواب لان عجب الذنب أساس البدن الذي ركب عليه الخلق وهو أول ما يخلق الله وآخر ما يبلى وقال مجاهد بذنبها وقال عكرمة والكلبي بفخذها الايمن وقال السدي بالبضعة التي بين كتفيها وقيل باذنيها ففعلوا ذلك فقام القتيل حيا باذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه قال الله تعالى كذلك يحيي الله الموتى كما أحيا عاميل بعد موته ويريكم آياته دلائل قدرته وشواهد حكمته لعلكم تعقلون قالوا فلما كان من أمر عاميل ما كان أوحى الله تعالى الى موسى أن يتوجه الى الارض المقدسة بني اسرائيل لينظر الى كل قتيل يوجد بين قريتين أو محلتين فيأخذ أقرب القريتين اليه ويلزمهم الدية فان علموا قاتله سلموه الى أهله وان لم يعلموا تخيروا خمسين رجلا من شيوخهم وصلحائهم ثم ليأخذوا بقرة حولية ويذبحوها ببطن واد يسميه لهم ثم لتضع الخمسون رجلا أيديهم عليها ثم ليحلفوا بالله العظيم رب السموات والارض اله اسرائيل واسحق ويعقوب واسمعيل أنا ما قتلناه ولا علمنا له قاتلا واذا حلفوا برئوا من دمه وأدوا ديته الى أوليائه فلم يزل موسى يقضي بالقسامة بينهم الى أن مات وكذا بنو اسرائيل حتى جاء الاسلام فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسامة والله أعلم

(باب

فقال من هذا فقالوا شاب أسمعه النغمة التي سمعتها فقال أين أصبتموه قالوا في المسجد قائما يصلي ويقرأ فقال أيها الشاب ما كنت تقرأ قال كلام الله تعالى قال فاسمعني تلك النغمة فقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ثم قال أيها المغرور انها خلاف مجلسك ومستشرفك انها أرائك مفروشة بطائنها من استبرق على رفرف خضر وعبقري حسان يشرف ولي الله تعالى منها على جنتين فيهما عينان تجريان فيهما من كل فاكهة زوجان لا مقطوعة ولا ممنوعة في عيشة راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة في ظلال وعيون وفواكه مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار بار وأين نارات المجرمين في عذاب

(باب في ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة وصفة النار التي كانت تأكل القربان وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك)

قال الله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار الآية (أنبأنا) محمد بن حمدويه باسناده عن وهب بن منبه قال أوحى الله الى موسى أن يتخذ مسجدا لجماعتهم وبيت قدس للتوراة والتابوت والسكينة وقبابا للقربان وأن يجعل لذلك المسجد سرادقات باطنها وظاهرها من الجلود المدبوغة عليها وأن تكون تلك الجلود من جلود ذبائح القربان وحبالها التي تمدبها من أصواف تلك الذبائح وعهد اليه أن لا يغزل تلك الحبال حائض ولا يدبغ تلك الجلود جنب وأمره أن ينصب تلك السرادقات على عمد من نحاس طول كل عمود منها أربعون ذراعا ويجعل فيها اثنى عشر قسما مسرجا فاذا انقضى وصار اثنى عشر جزأ جعل على كل جزء مما فيه من العمد سبطا من أسباط بني اسرائيل وأمره أن يجعل سعة تلك السرادقات ستمائة ذراع في ستمائة ذراع وان ينصب فيه سبع قباب ستة منها مشبكة بقضبان الذهب والفضة كل واحدة منهن منصوبة على عمود من فضة طوله أربعون ذراعا وعليها أربعة سوت من ثياب محلاة الباطن الاول سندس أخضر والثاني أرجوان أحمر والثالث ديباج والرابع من جلود القربان وقاية لها من المطر والغبار وحبالها التي تمدبها من صوف القربان وأن يجعل سعتها أربعين ذراعا وان ينصب في جوفها موائد من فضة مربعة يوضع عليها القربان سعة كل مائدة منها أربعة أذرع في أربعة أذرع كل مائدة منها على أربع قوائم من فضة كل قائمة ثلاثة أذرع لا ينال الرجل منها الا قائما وأمره أن ينصب بيت المقدس على عمود من ذهب طوله سبعون ذراعا يضعه على سبيكة من ذهب أحمر طولها تسعون ذراعا مرصع بأنواع الجواهر وأن يجعل أسفله مشتبكا بقضبان الذهب والفضة وأن يجعل حبالها التي تمدلها من أصواف القربان وان يجعله مصبوغا بالوان من أحمر وأصفر وأخضر وان يلبسه سبعة من الجلال محلاة الباطن الاول منها سندس أخضر والثاني أرجوان أحمر والثالث من الديباج الاصفر والرابع من الحرير الاصفر وكذلك أثواب نحوها وسائرها من الديباج والوشي والظاهر له غاشية من جلود القربان وقاية من الاذى والندى وأمره أن يجعل سعته سبعين ذراعا وان يفرش القباب بالقز الاحمر وأمره أن ينصب فيه تابوتا من ذهب كتابوت الميثاق مرصع بألوان الجواهر واليواقيت الاحمر والاشهب والزمرذ الاخضر وقوائمه من ذهب وأن يجعل سعته سبعة أذرع في أربعة أذرع وعلوه قامة موسى وان يجعل له أربعة أبواب باب تدخل منه الملائكة وباب يدخل منه موسى وباب يدخل منه هرون وباب يدخل منه أولاد هرون وهم سدنة ذلك البيت وخزان التابوت وأمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يأخذ من كل محتلم فيها من بني اسرائيل مثقالا من ذهب فينفقه على هذا البيت وأن يجعل باقي ذلك المال الذي لا يحتاج اليه من الحلي والحلل التي ورثها الله بني اسرائيل من موسى وأصحابه من فرعون وقومه دفينا في أرض بيت المقدس ففعل ذلك فبلغ عدد بني اسرائيل ستمائة ألف وسبعة وخمسين رجلا فأخذ منهم ذلك المال وأوحى الله اليه اني منزل عليكم من السماء نارا لا دخان لها ولا تحرق شيأ ولا تطفأ أبدا لتأكل القرابين المتقبلة وتسرج القناديل التي في بيت المقدس وهي من ذهب معلقة بسلاسل من الذهب منظومة من اليواقيت واللآلئ وأنواع الجواهر وأمره أن يضع في وسط البيت صخرة عظيمة من الرخام وينقر فيها نقرة لتكون كانون تلك النار التي تنزل من السماء فدعا موسى أخاه هرون وقال له ان الله قد اصطفاني بنار تنزل من السماء تأكل القرابين المتقبلة وتسرج منها القناديل وأوصاني بها واني قد اصطفيتك بها وأوصيتك بها فدعا هرون ابنيه وقال لهما ان الله تعالى قد اصطفى موسى بأمر وأوصاه به وانه قد اصطفاني له وأوصاني به واني قد اصطفيتكما وأوصيتكما به وكان أولاد هرون هم الذين يلون سدنة هذا البيت وأمر القربان والنيران فشربوا ذات ليلة حتى ثملوا ثم دخلوا البيت وأسرجوا القناديل من هذه النار التي في الدنيا فغضب الله عليهم وسلط عليهم تلك النار فأحرقتهما وموسى وهرون

جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى في جهد جهيد وعذاب شديد ومقت من رب العالمين وما هم منها بمخرجين قال فقام الهاشمي من مجلسه وعانق الشاب وبكى على نفسه وقال لجلسائه انصرفوا عني وخرج الى صحن داره وقعد على حصير مع الشاب ينوح على شبابه ويندب نفسه هذا والشاب يعظه الى أن أصبح وقد عاهد الله تعالى ان لا يعود الى معصية أبدا فلما أصبح أظهر توبته وأمر بالفضة والذهب والجواهر وأنواع الملابس فباعها كلها وتصدق بها وقطع الاجور على نفسه ورد الضياع المقتطعة وباع ضياعه وعبيده وجواريه واعتق من اختار العتق وتصدق بجميع ماله كله ولبس الصوف الخشن وأكل الشعير بعد التنعم بأنفس المأكل والمشرب ولزم المسجد والعبادة وكان يحيي الليل ويصوم النهار حتى كان يزوره الصالحون والابرار ويقولون له ارفق

اليهما عنهما النار فلم يغنيا عنهما من أمر الله شيأ فأوحى الله تعالى الى موسى هكذا أفعل بمن عصانى ومن يعرفنى فكيف أفعل بمن لا يعرفنى من أعدائى وهذا آخر القصة والله أعلم

((باب فى ذكر مسير بنى اسرائيل الى الشام حتى جازوا البحر وصفة حربه الجبارين وقصة التيه وما يتعلق بذلك))

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا الآيات اختلفت عبارات المفسرين فى الارض المقدسة ما هى فقال مجاهد هى الطور وما حوله وقال مقاتل هى ايليا وبيت المقدس وقال عبد الله بن عمر الجزم محرم بمقداره من السموات والارض والبيت المقدس مقدس بمقداره من السموات والارض وقال عكرمة والسدى هى أريحا وقال الكلبى هى دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقال الضحاك هى الرملة والاردن وفلسطين وقال قتادة هى الشام كله

((فصل فى فضل الشام وأهله)) قال زيد بن ثابت بينما نحن جلوس عند النبى صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع اذ قال طوبى لاهل الشام قيل يا رسول الله ولم ذلك قال ان ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليهم وعن عبد الله بن حوالة قال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال والله لا يزال هذا الامر فيكم حتى يفتح الله لكم أرض فارس والروم وأرض حمير وحتى تكونوا أجنادا ثلاثة جندا بالشام وجندا بالعراق وجندا باليمن فقلت يا رسول الله اختر لى ان أدركنى ذلك فقال أختار لك الشام فانها صفوة الله تعالى من بلاده واليها يجتبى صفوته من عباده يا أهل الاسلام عليكم بالشام فان صفوة الله من ارض الشام وان الله تعالى قد تكفل لى بالشام وأهله وقال عبد الله بن مسعود حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قسم الله الخير عشرة أجزاء فجعل منه تسعة أجزاء فى الشام وواحدا فى العراق وقسم الله الشر عشرة أجزاء فجعل منه تسعة فى العراق وواحدا بالشام ودخل الشام عشرة آلاف عين رأت النبى صلى الله عليه وسلم ونزل حمص تسعمائة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيهم سبعون بدريا وقال الكلبى صعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان وقيل له انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك من بعدك فذلك قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم يعنى كتب الله فى اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقال ابن اسحق وهبها الله لكم مساكن وقال السدى أمركم أن تدخلوها

((ذكر قصة بلعام بن باعوراء)) قال الله تعالى واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية واختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو بلعام بن باعوراء بن باعر بن أبد بن مارث بن لوط وكان من الكنعانيين من مدينة بلقاء وهى مدينة الجبارين وسميت بلقاء لان ملكها رجل يقال له بالق بن صافوراء وكانت قصة بلعام على ما ذكره ابن عباس وابن اسحق والسدى والكلبى وغيرهم أن موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بنى كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام الى بلعام وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا له ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه قد جاء ليخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بنى اسرائيل وانا قومك وعمك وجيرانك وليس لنا منزل وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج الى الجبال وادع الله علينا فى هذا الرجل العدو الذى قد أرهقنا فادع الله أن يردعنا موسى وقومه فقال لهم بلعام ويلكم هذا نبى الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف ادعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم وانى ان فعلت ذلك ذهبت دنياى وآخرتى فلم يزالوا به حتى قال لهم اصبروا حتى أستأمر ربى وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به فى المنام فاستأمر فى الدعاء عليهم فى المنام فقيل له لا تدع عليهم فقال لقومه انى قد آمرت ربى فى الدعاء عليهم فنهيت عن ذلك فراجعوه فقال حتى أؤامر ثانيا فآمر فلم يجب فقال قد آمرت فلم يجب لى شيأ فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما فعل فى المرة الاولى فلم يزالوا يرفقون به ويناشدونه ويتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فقالوا لبعضهم اسلوا اليه فيقال انهم اهدوا اليه هدية فقبلها ويقال ان بلعام بن باعوراء لما أبى أن يدعو على موسى وقومه اجتمع آراء قومه على أن يحملوا شيأ الى امرأته وقالوا انها فقيرة وانه يصغى الى رأيها فانطلق عشرة من عظمائهم وحمل كل واحد منهم صحيفة من ذهب مملوءة ورقا

فاهدوها

[margin:] ... الكريم يقول يا قوم دعونى فان أعرف نفسى ان جرمى عظيم عصيت مولاى بالليل والنهار ويبكى ويكثر البكاء ثم خرج حاجا على قدميه حافيا ما عليه غير قميصه وما معه غير ركوة وجراب حتى قدم مكة وقضى حجه وأقام بها الى أن توفى الى رحمة الله تعالى وكان يدخل الحجر بالليل ويبكى على نفسه ويقول يا سيدى ذهبت شهواتى وبقيت تبعاتى فالويل لى يوم ألقاك والويل ثم الويل لى من صحيفتى اذا نشرت مملوءة من فضائحى وخطاياى ثم أنشد يقول شعرا

عصيتك جاهلا يا ذا المعالى
ففرج ما ترى من سوء حالى
الى من يرجع المملوك الا
الى مولاه يا مولى الموالى
فأنت أهل مغفرة وعفو
وتواكف فضال النوال

((وحكى عن عبد الله بن مهران رضى الله تعالى عنه)) أنه قال حج الرشيد هرون رحمه الله تعالى سنة من السنين فأتى الكوفة فأقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس يودعونه وخرج بهلول المجنون رضى الله تعالى عنه فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به حتى اذا أقبلت هوادج

يا هـذا وما لها فأقبلت على صاحبها وأنكرت عليه حتى قالت له ارجع الى ذلك يا بلعام أن تأذن لى
موازرتهم والدعاء على عدوهم فلم يزالوا به حتى استجاب فلم يجب اليه شئ فقالت له قد تحننت الى الدعاء
عليهم فلم يأذن لك ربك قالوا فركب أتانا له متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بنى اسرائيل يقال له
حسبان وكانت مراكب العباد الأتن الى الآن فلما سار عليها غير بعيد حتى ربضت به فنزل عنها وضربها
حتى أذلقها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم تسر به
كثيرا حتى ربضت به فضربها حتى اذا أذلقها أذن الله تعالى لها فى الكلام حجة عليه فقالت له ويحك
يا بلعام أين تذهب ألا ترى أن الملائكة أمامى تردنى عن وجهى هذا أتذهب الى نبى الله والمؤمنين تدعو
عليهم فلما سمع ذلك خر ساجدا فلم يزل راكبا متضرعا حتى غابت عنه الملائكة ثم رفع رأسه فجاءه الشيطان
وقال له امض لوجهك فان ربك ليستجيب لك ولو لم يرد ذلك لما برحت عنك الملائكة ولما خلوا سبيلك فركب أتانه
وخلى الله سبيلها فانطلقت به حتى أشرفت على جبل حسبان فجعل لا يدعو عليهم بشئ من الشر الا صرف
الله به لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف الله به لسانه الى بنى اسرائيل فقال له قومه أتدرى
ما تصنع يا بلعام انما تدعو لهم وتدعو علينا فقال هذا أمر لا أملك منه شيأ قد غلبنى الله عليه فاندلع لسانه
فوقع على صدره فعلم ما حل به فقال لقومه قد ذهبت منى الدنيا والآخرة ولم يبق الا المكر والحيلة فسأحتال
لكم وأحتال جملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن الى العسكر يبعن فيه ويشترين
وأمروهن أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فانهم لو زنى رجل منهم كفيتموهم ففعلوا ذلك فلما دخلت
النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كشتا بنت صور برجل من عظماء بنى اسرائيل يقال
له زمرى بن سالوم من سبط شمعون بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فقام اليها وأخذ بيدها حين أعجبه حسنها
وجمالها ثم وقف على موسى وقال انى سأظنك أن تقول هذه حرام عليك فقال أجل هى حرام عليك
لا تقربها قال والله لا أطيعك فى هذا ثم انه دخل بها قبته فواقعها فأرسل الله الطاعون على بنى اسرائيل فى
الوقت وكان فنحاص بن عيزار بن هرون صاحب موسى رجلا قد أعطى بسطة فى الخلق وقوة فى البطش
وكان غائبا حين صنع زمرى بن سالوم ما صنع فجاء والطاعون يجوس فى بنى اسرائيل فأخبر الخبر فأخذ
حربته وكانت حديدا كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانتظمهما فى حربته ثم خرج بهما
رافعهما بيديه الى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة على لحيته
وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون عنهم فحسب من هلك من بنى
اسرائيل من الطاعون فيما بين أن أصاب زمرى المرأة الى أن قتله فنحاص فوجدوه قد أهلك منهم سبعين
ألف نفس فى ساعة واحدة فمن هنالك يعطى بنو اسرائيل لبنيه من كل ذبيحة ذبحوها الخاصرة والذراع
واللحى لاعتماده بالحربة على خاصرته وأخذه اياها بذراعه واسناده اياها الى لحيته والبكر من كل
أموالهم لانه كان بكر العيزار بن هرون ففى بلعام أنزل الله تعالى واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الآية
(قال مقاتل) ان ملك البلقاء قال لبلعام ادع الله على موسى والا قتلتك فقال انه من أهل دينى ولا أدعو
عليهم فنحت خشبة ليصلبه فلما رأى ذلك خرج على أتان له ليدعو عليه فلما عاين عسكرهم قامت به الأتان
ووقفت فضربها فقالت له لم تضربنى وأنا مأمورة فلا تظلمنى وهذه نار أمامى قد منعتنى أن أمشى فرجع
فأخبر الملك فقال له لتدعون عليه والا صلبتك فدعا على موسى بالاسم الاعظم أن لا يدخل المدينة
فاستجيب له ووقع موسى وبنو اسرائيل فى التيه بدعائه فقال موسى يارب بأى ذنب وقعنا فى التيه قال
بدعاء بلعام فقال موسى يارب كما سمعت دعاءه على فاسمع دعائى عليه أن تنزع منه الاسم الاعظم والايمان
فسلخه الله مما كان عليه ونزعت منه المعرفة فخرجت كحمامة بيضاء وأنزل الله تعالى هذه الآية (وقال
آخرون) هو نبى من بنى اسرائيل يقال له بلعام أوتى النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ففعل وتركهم على
ما هم عليه (وقال) عبد الله بن عمرو وزيد بن أسلم وأبو روق نزلت هذه الآية فى أمية بن أبى الصلت الثقفى

هرون الرشيد كفوا الصبيان
عن الولوع به فلما اطلع هرون
نادى بأعلى صوته يا أمير
المؤمنين يا أمير المؤمنين
فكشف هرون السجاف
بيده وقال لبيك يا بهلول
لبيك ثلاثا فقال يا أمير
المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل
عن قدامة بن عبد الله
العامرى أنه قال رأيت النبى
صلى الله عليه وسلم يمشى على
جمل وتحته رحل رث فما
طرد ولا ضرب وكان
متواضعا فى سفره فتواضع
فى سفرك هذا يا أمير
المؤمنين خيرا من تكبرك
وتجبرك قال فبكى هرون
الرشيد حتى تساقطت
دموعه على الارض ثم قال
زدنا يا بهلول فأنشد

فهب ذا انت ملكت الارض طرا
ودان لك العباد فكان ماذا
أليس ترى مقيلك جوف قبر
ويحثون التراب عليك هذا

قال فبكى هرون ثم قال
أحسنت يا بهلول هل غيره
فقال نعم يا أمير المؤمنين
رجل آتاه الله مالا وجمالا
فأنفق من ماله وعف فى جماله
كتبه الله تعالى فى ديوان
الابرار فقال أحسنت يا بهلول
مر مع الجائزة فقال اردد
الجائزة على من أخذتها
منه فلا حاجة لى بها فقال
يا بهلول ان كان عليك دين
قضيناه فقال يا أمير المؤمنين
لا يقضى دين بدين اردد

كانت قصته أنه كان فى ابتداء أمره قد قرأ الكتب السالفة وعلم أن الله تعالى مرسل رسولا فى ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم حسده وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مر بقتلى بدر فسأل عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل أقرباءه فلما مات أمية أتت أخته فارعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن وفاة أخيها فقالت بينما هو راقد اذ أتاه رجلان فكشطا سقف البيت ونزلا فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه أوعى قال وعى قال أزكا قال زكا قالت فسألته عن ذلك فقال خيرا أريد بى ثم فطرت عينه ثم غشى عليه فلما أفاق قال

كل عيش وان تطاول دهرا * صائر أمره الى أن يزولا * ليتنى كنت قبل ما قد بدالى

فى قلال الجبال أرعى الوعولا * ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير يوما ثقيلا

ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطيبه من شعر سألتك بالله أن تنشدى شعر أخيك فأنشدته

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا * فلا شىء أعلى منك جدا وأمجد

مليك على عرش السماء المهيمن * لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهى قصيدة طويلة وأنشدته حتى أتت على آخرها ثم انها أنشدته قصيدته التى يقول فيها

عند ذى العرش يعرضون عليه * يعلم الجهر والكلام الخفيا * يوم تأتيه وهو رب رحيم

انه كان وعده مأتيا * يوم تأتيه مثل ما قال فردا * لم يذر فيه راشدا وغويا

أسعيدا سعادة أنا أرجو * أم مهان بما كسبت شقيا * رب ان تعف فالمعافاة ظنى

أو تعاقب فلم تعاقب بريا * ان أواخذ بما اجترمت فانى * سوف ألقى من العذاب فريا

فقال صلى الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه فأنزل الله تعالى فيه واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الآية وقال سعيد بن المسيب نزلت فى أبى عامر بن النعمان بن صيفى الراهب الذى سماه النبى صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال للنبى صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فأنا عليها فقال النبى صلى الله عليه وسلم لست عليها ولكنك أدخلت فيها ما ليس منها فقال أبو عامر أمات الله الكاذب منا فى مناظرته طريدا فريدا وحيدا فخرج الى الشام وأرسل الى المنافقين اعدوا القوة والسلاح وابنوا الى مسجدا فانى ذاهب الى قيصر وآتى بجند لنخرج محمدا وأصحابه من المدينة فذلك قوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعنى انتظارا لمجيئه فمات فى الشام طريدا وحيدا فريدا ومنهم من قال انها نزلت فى البسوس وكان رجلا قد أعطى ثلاث دعوات مستجابات وكان له امرأة وله منها ولد فقالت له اجعل لى منها واحدة فقال لك منها دعوة فما تريدين قالت ادع الله أن يجعلنى أجمل امرأة فى بنى اسرائيل فدعا فجعلت أجمل امرأة فى بنى اسرائيل فلما علمت أن ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الرجل فدعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها وقالوا ليس لنا على هذا قرار ولا صبر صارت أمنا كلبة نباحة وان الناس يعيروننا بها فادع الله أن يردها الى الحال التى كانت عليها فدعا الله فصارت كما كانت فذهبت فيها الثلاث دعوات كلها

﴿باب فى ذكر النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومهم حين بعثه اياهم الى أرض كنعان جواسيس له ولقومه﴾

قال الله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا الآية وذلك أن الله تعالى وعد موسى أن يورثه وقومه الارض المقدسة وهى الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون وهم العمالقة من ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ووعده الله أن يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن بنى اسرائيل فلما استقرت بنو اسرائيل الدار بمصر أمرهم الله بالمسير الى اريحاء من أرض الشام وهى الارض المقدسة فقال يا قوم انى قد كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها من العدو فانى ناصركم عليهم فخذ

[illegible] الاهلاك ثم قال يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فقال أن تذكرك وتنشاقى فسأل هرون الصواف ومضى فلما قضى حجه وأتى أوان الخروج تاهبا خرج هرون الرشيد حاجا وحلف أن لا يحج الا ماشيا الى مكة ففرش له من حدود العراق الى الحرم لبود من قراء فاستند يوما الى ميل وكان قد تعب من المشى فبينما هو كذلك اذا بسعدون المجنون قد عارضه فى الطريق وأنشد يقول

هب الدنيا تواتيكا
أليس الموت يأتيكا
فما تصنع بالدنيا
وظل الميل يكفيكا
ألا يا طالب الدنيا
دع الدنيا لشانيكا
كما أضحكك الدهر
كذاك الدهر يبكيكا

قال فشهق هرون الرشيد شهقة وأغشى عليه حتى فاتته ثلاث صلوات فلما أفاق طلب سعدون فلم يجده رحمة الله تعالى عليهم أجمعين ونفعنا بهم وبيركاتهم آمين

﴿وحكى عن نبى الله سليمان ابن داود عليهما السلام﴾

انه قال بينما أنا جالس على سرير ملكى شاكرا لله على ما أولانى من النعم اذ أوحى

من قومه اثنى عشر رجلا من كل سبط نقيبا ليكونوا كفلاء على قومهم بالوفاء بما أمروا به فاختار موسى من كل سبط نقيبا وأمره عليهم وهذه أسماؤهم من سبط روبيل شموع بن زكور ومن سبط شمعون شوقط بن حوري ومن سبط يهوذا كالب بن يوفنا ومن سبط جاد جائيل بن يوسف ومن سبط زبالون جدي بن سودي ومن سبط أشر شاور بن ملكيل ومن سبط نفتالي حي بن وقسى ومن سبط دان حمل بن وكسل بن حمل ومن سبط لاوى حولان بن ملكيل ومن سبط يوسف افرائيم ومن سبط افرائيم يوشع بن نون وكما السبطان لموسى ومن سبط منشا ميشاحي بن موسى ومن سبط بنيامين ناطم بن رفون ثم انه سار ببني اسرائيل قاصدا أريحاء فبعث موسى اليها هؤلاء النقباء يتجسسون الاخبار له ويعلمون مالها وحال أهلها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج ابن عنق

(فصل في ذكر جمل من أخبار عوج ابن عنق وأحواله)

قال ابن عمر كان طول عوج ثلاثة وعشرين ألف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا بالذراع الاول وكان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب منه الماء ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله (ويروى) انه أتى نوحا في أيام الطوفان فقال له احملني معك في سفينتك فقال له اذهب يا عدو الله فاني لم أومر بك فطبق الماء الارض من سهل ومن جبل وما جاوز ركبته وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يد موسى وكان لموسى عسكر فرسخ في فرسخ فجاء عوج ونظر اليهم ثم جاء الى الجبل وقور منه صخرة على قدر العسكر ثم حملها ليطبقها عليهم فبعث الله عليه الهدهد ومعه الطيور فجعلت تقر بمناقيرها حتى قورت الصخرة وانثقبت فوقعت في عنق عوج ابن عنق فطوقته وصرعته فأقبل موسى وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع وقفز الى فوق عشرة أذرع فما أصاب منه الا كعبه وهو مصروع في الارض فقتله قالوا فأقبل جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتى حزوا رأسه فلما قتل وقع على نيل مصر فجسره سنة قالوا وكانت أمه عنق هي احدى بنات آدم من صلبه ويقال انها كانت أول من بغى على وجه الارض وكان كل اصبع من أصابعها طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين في كل اصبع ظفران حادان مثل المنجلين وكان موضع مقعدها جريبا من الارض ولما بغت بعث الله اليها اسودا كالفيلة وذئابا ونسورا كالابل ونسورا كالحمر وسلطهم عليها فقتلوها وأكلوها (قالوا) فلما لقيهم عوج يعني أصحاب موسى وكان على رأسه حزمة حطب أخذ الاثني عشر نقيبا وجعلهم في حزمته وانطلق بهم الى امرأته وقال لها انظري الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال لاطحنهم برجلي فقالت له امرأته لا تفعل بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك وخلى سبيلهم فجعلوا يتعرفون أحوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة نفر بينهم في خشبة ويدخل في قشرة الرمانة اذا نزع حبها خمسة أنفس أو أربعة فلما خرجت النقباء قال بعضهم لبعض يا قوم انكم ان أخبرتم بني اسرائيل خبر القوم فشلوا وارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموا شأنهم وأخبروا موسى وهرون فيريان رأيهم فيهم فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ثم انهم انصرفوا الى موسى وجاؤا بحبة من عنبهم وقشرة من قشور رمانهم وأخبروه بما رأوا ثم ان النقباء نكثوا العهد وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه وقومه عن قتالهم وأخبروهم بما رأوا من حالهم الا رجلين منهم وفيا بما قالا وهما يوشع بن نون بن افرائيم فتى موسى وكالب بن يوفنا ختن موسى على أخته مريم بنت عمران فلما سمع القوم ذلك من الجواسيس رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ياليتنا متنا في أرض مصر أو ليتنا نموت في هذه البرية ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا وأموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل منهم يقول لاصحابه تعالوا نجعل علينا رئيسا وننصرف الى مصر فذلك قوله تعالى اخبارا عنهم قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين الآية قال قتادة كان لهم أجسام وخلق عجيب ليس لغيرهم مثله وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال موسى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم فان الله سيفتحها عليكم وان الذي أنجاكم من آل فرعون وفلق لكم البحر هو الذي يفلقكم ويظفركم عليهم فلم يقبلوا قوله ولم يفعلوا وردوا عليه أمره

الى ان اخرج الى ساحل البحر المشلالى رعيا من خلق الله تعالى قال داود عليه السلام فخرجت يوما من الانس والجن والوحوش والطير ونحو ما أشبه ذلك فلما وصلت الى الساحل نظرت يمينا وشمالا فلم أر شيأ فقلت لعفريت من الجن غص في هذا البحر وائتني بما تجده فيه فغاص العفريت ورجع بعد ساعة وقال يا نبي الله غصت مسيرة كذا وكذا فلم أصل الى قاعه ولا نظرت فيه شيأ فقال سليمان عليه السلام لعفريت آخر غص في هذا البحر وائتني بما تجده فغاص العفريت ورجع بعد ساعتين وقال مثل ما قاله الاول فتعجب سليمان عليه السلام من ذلك فقال العفريت يا نبي الله غصته مثل ما غاصه الاول مرتين فلم أجد شيأ فقال سليمان عليه السلام لآصف بن برخيا وزيره امض في هذا البحر وائتني بما فيه قال فغاص آصف في البحر ساعة وأتاه بقبة عظيمة من الكافور الابيض لها أربعة أبواب باب من الدر وباب من الياقوت وباب من الجوهر وباب من الزبرجد الاخضر والابواب كلها مفتحة ولم يدخل فيها قطرة من الماء وهي في مكان عميق فوضعها بين يدي سليمان عليه السلام فنظر فيها فاذا في وسطها

وهموا بالانصراف الى مصر فخرج يوشع بن نون وكالب بن يوفنا الى القوم وهما اللذان أخبر الله عنهما بالتوفيق والعصمة في قوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما بالتوفيق والعصمة ادخلوا عليهم الباب يعني باب مدينة الجبارين فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله منجز وعده فانا رأيناهم وخبرناهم فكانت جسومهم عظيمة قوية وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فأراد بنو اسرائيل أن يرجموهما بالحجارة وعصوهما وقالوا ياموسى انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم الحديبية حين صد عن البيت اني ذاهب بالهدي فناحره عند البيت فاستشار أصحابه في ذلك فقال المقداد بن الاسود الكندي انا والله لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول انا معك مقاتلون والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك وبين يديك ولو خضت بحر الخضاء ولو تسنمت جبلا لعلوناه ولو ذهبت بنا الى برك الغماد يعني مدينة بالحبشة لتبعناك فلما سمع ذلك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تابعوه على ذلك فأشرق لذلك وجه النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لان أكون صاحب هذا المشهد أحب الي من الدنيا وما فيها (قالوا) فلما فعلت بنو اسرائيل ما فعلت من معصيتهم نبيهم ومخالفتهم أمر ربهم سوى يوشع وكالب غضب موسى فدعا عليهم وقال رب اني لا أملك الا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أي العاصين وكانت عجلة عجلها موسى فظهر الغمام على باب قبة موسى وأوحى الله تعالى الى موسى الى متى يعصيني هذا الشعب والى متى لا يصدقون بهذه الآيات لاهلكنهم جميعا ولاجعلن للشعب أقوى وأكثر منهم فقال موسى الهي لو أنك قتلت هذا الشعب كلهم لرجل واحد لقالت الامم الذين سمعوا ذلك انما قتل هذا الشعب من أجل انه لم يستطع أن يدخلهم الارض المقدسة فقتلهم في البرية وانك طويل صبرك كثيرة نعمتك وأنت تغفر الذنوب وتحفظ الآباء على الابناء وأبناء الابناء فاغفر لهم ولا توبقهم فقال الله تعالى لموسى اني قد غفرت لهم بكلمتك ولكن بعد ما سميتهم فاسقين ودعوت عليهم حلفت بعزتي لاحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدي يوشع بن نون وكالب ولاتيهنهم في هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التي تجسسوا فيها سنة وكانت أربعين يوما ولالقين جيفهم في هذه القفار وأما بنوهم الذين لم يعملوا الخير ولا الشر فانهم يدخلون الارض المقدسة فذلك قوله تعالى فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض متحيرين فلا تأس على القوم الفاسقين فلبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ وكانوا ستمائة ألف مقاتل وكانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا هم أمسوا فاذا هم بالموضع الذي منه ارتحلوا وسئموا الموضع الذي هم فيه فارتحلوا ومات أولئك النقباء العشرة الذين أفشوا الخبر وكل من دخل التيه ممن جاوز عشرين سنة مات في تلك المدة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ولم يدخل أحد أريحاء ممن قال انا لن ندخلها أبدا فلما هلكوا وانقضت أربعون سنة ونشأت النواشئ من ذراريهم ساروا الى حرب الجبارين وفتح الله لهم

((باب في ذكر النعمة التي أنعم الله بها على بني اسرائيل في التيه وخصهم بذلك ورفع عنهم الهلاك كرامة لنبيه وصفيه موسى عليه السلام))

قال الله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم الآية كقوله تعالى وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها والعدد لا يقع على الواحد التي أنعمت عليكم أي على أجدادكم وأسلافكم وذلك ان الله تعالى فلق لهم البحر وأنجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وأنزل عليهم التوراة فيها بيان كل شيء يحتاجون اليه وأعطاهم ما أعطاهم في التيه وذلك انهم قالوا لموسى أهلكتنا وأخرجتنا من العمران والبنيان الى مفازة لا ظل فيها ولا كن فأنزل الله تعالى عليهم غمامة بيضاء رقيقة ليست بغمام المطر بل أرق وأطيب وأبرد منه فأظلتهم وكانت تسير معهم اذا ساروا وتدور عليهم من فوقهم اذا نزلوا وذلك قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام يعني في التيه تقيكم حر الشمس ومنها انه جعل لهم عمودا

فقال رجل لسليمان اليه وسلم عليه وقال ما أنزلك الى قاع هذا البحر فقال يا نبي الله أحدثك بقصتي قال نعم فقال كان لي أب مقعد ووالدة عمياء فأقمت في خدمتهما سبعين سنة فلما حضرت وفاة والدتي قالت عند موتها اللهم أطل حياة ولدي في طاعتك ولما توفي والدي قال عند موته اللهم استخدم ولدي في مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل فأجاب الله دعاءهما فخرجت يوما من الايام أريد النزهة فجئت الى ساحل هذا البحر فنظرت الى هذه القبة موضوعة على ساحل البحر فدخلتها لانظر ما فيها فاحتملها ملك من الملائكة وأنزلها في قاع هذا البحر كما ترى يا نبي الله فقال سليمان في أي زمان كان قال في زمان ابراهيم عليه السلام فحسب سليمان عليه السلام التاريخ فوجد له ألفي سنة وأربعمائة سنة وهو شاب لم يشب فتعجب سليمان عليه السلام من ذلك وقال له فما طعامك وشرابك في هذا البحر فقال يا نبي الله يأتيني طائر أخضر كل يوم في منقاره شيء أصفر مثل رأس الانسان فآكله فأجد فيه طعم كل نعيم في دار الدنيا ويسد عني الجوع والعطش والحر

من

من نور يضيء لهم بالليل اذا لم يكن ضوء القمر فقالوا هذا الظل والنور قد حصل فأين الطعام فأنزل الله عليهم المن واختلفوا فيه فقال مجاهد هو شيء كالصمغ يقع على الاشجار وطعمه كالشهد وقال الضحاك هو الترنجبين وقال وهب هو الخبز الرقاق وقال السدي كان عسلا يقع على الشجر من الليل فيأكلون منه وقال عكرمة هو شيء أنزله الله عليهم مثل الرب الغليظ وقال الزجاج المن ما يمن الله به مما لا تعب فيه ولا نصب وقال النبي صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين قالوا وكان الله ينزل هذا المن كل ليلة يقع على الاشجار مثل الثلج لكل انسان منهم صاع كل ليلة فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع الله ربك ان يطعمنا اللحم فدعا موسى فأنزل الله عليهم السلوى واختلفوا فيه فقال ابن عباس وأكثر الناس هو طائر يشبه السماني وقال أبو العالية ومقاتل هو طير أحمر بعثه الله عليهم فأمطر به السماء في عرض ميل قدر رمح في السماء بعضها على بعض وكانت السماء تمطر عليهم ذلك وقيل انه كان طيرا مثل فراخ الحمام طيبا سمينا قد تمعط ريشه وزغبه وكانت الريح تأتي به اليهم فيصبحون وهو في معسكرهم وقيل انه كان يأتيهم فيسترسل اليهم فيأخذونه بايديهم وقال عكرمة هو طير يكون بالهند أكبر من العصفور وقال المؤرج هو العسل بلغة كنانة قال شاعرهم

وقاسمها بالله جهد الاثم * ألذ من السلوى اذا ما نشورها

فكان الله ينزل عليهم المن والسلوى وكان أحدهم يأخذ ما يكفيه يومه وليلته فاذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل عليهم يوم السبت فذلك قوله تعالى وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا أي قلنا لهم كلوا من طيبات حلال ما رزقناكم ولا تدخروا لغد فخبؤا لغد فدود وفسد ما ادخروا وقطع الله عنهم ذلك قال تعالى وما ظلمونا أي أضرونا بالمعصية ومخالفة الامر ولكن كانوا أنفسهم يظلمون باستيصالهم الغذاء وقطع عنهم مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا مشقة في الدنيا ولا حساب ولا تبعة في العقبي (أخبرنا) شعيب بن محمد قال أخبرنا مكي بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن الازهر قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا عوف بن عبد الله عن خلاس بن عمرو عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخبث اللحم ولم يخبث الطعام ولولا حواء لم تخن انثى زوجها ومنها انهم عطشوا في التيه فقالوا يا موسى من أين نشرب فاستسقى لهم موسى فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك الحجر واختلف العلماء فيه فقال وهب كان موسى يقرع لهم أقرب حجر في أرض الحجارة فيتفجر منه عيون لكل سبط منهم عين وكانوا اثني عشر سبطا ثم تسيل كل عين في جدول الى السبط الذي أمر بسقيهم فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فأوحى الله تعالى اليه لا تقرع الحجارة بالعصا ولكن كلمها تطعك لعلهم يعتبرون وكان يفعل ذلك فقالوا كيف بنا اذا مضينا الى الرمل والى الارض التي ليس فيها حجارة فأمر موسى ان يحمل معه حجرا فحيثما نزل ألقاه وقال آخرون كان حجرا مخصوصا بعينه والدليل عليه قوله تعالى الحجر فادخل الالف واللام للتعريف والتخصيص كقوله رأيت الرجل ثم اختلفوا في ذلك الحجر ما هو فقال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا مثل رأس الرجل أمر ان يحمله فكان يضعه في مخلاته فاذا احتاجوا الى الماء أخرجه وضربه بعصاه فيتفجر عيونا كما ذكرنا فسقاهم قال أبو روق كان الحجر من الكذان وكان فيه اثنتا عشرة عينا أي حفرة ينبع من كل حفرة عين ماء عذب فيأخذونه فاذا فرغوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان كل يوم يسقي ستمائة ألف من جميع الاجناس وقال سعيد بن جبير هو الحجر الذي وضع موسى عليه ثوبه ليغتسل ففر الحجر بثوبه فلما وقف الحجر أتاه جبريل عليه السلام فقال يا موسى ان الله يقول لك ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا الآية وهو ما أخبرنا به الحسن بن أحمد المخلدي باسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه آدر قال فذهب مرة

والبرد والنوم والوحشة فقال سليمان أتحب ان تكون معنا أو نرجع الى موضعك فقال ردني الى موضعي يا نبي الله فقال سليمان رده يا آصف الى مكانه ورده الى مكانه فقال سليمان انظروا كيف استجاب الله تعالى دعاء والديه فاحذروا عقوق والديكم يرحمكم الله ثم مضى سليمان عليه السلام متعجبا من ذلك والله أعلم ((وحكى عن الشيخ عبد العزيز الديريني رضي الله تعالى عنه)) انه قال كنت سائحا في جماعة من أصحابي فانتهينا الى قبر في بعض البراري كنت أعرف صاحبه وكان من أولياء الله تعالى فجلست عند قبره أبكي فسألني بعض أصحابي عن ذلك فقلت اتفق لي مع صاحب هذا القبر حكاية عجيبة وذلك انه عرض لي حاجة في بعض البلاد فسافرت لها فأدركتني الصلاة فعدلت عن الطريق الى المسجد الذي كان يصلي فيه فصليت خلفه فاذا هو يلحن في قراءته فتشوش بالي من ذلك وقلت في نفسي سرا أقيم عند هذا الفقير أعلمه واترك حاجتي فهذا أولى فلما سلم من الصلاة التفت الي وقال يا عبد العزيز اسلك حاجتك التي جئت تطلبها وما عليك من اللحن والتعليم فتعجبت من مكاشفته على وخرجت في الحال مسرعا

يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمع في أثره موسى يقول ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر حتى نظر بنو اسرائيل الى سوأة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس قال فقام الحجر بعد ما نظر اليه بنو اسرائيل فأخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا فقال أبو هريرة والله ان أثر ضرب موسى بالحجر ستة أو سبعة قال عبد العزيز الكناني كان موسى ضرب الحجر اثنتي عشرة ضربة فكان يظهر في كل موضع ضربة مثل ثدي المرأة ثم يتفجر بالانهار المطردة فذلك قوله تعالى فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا (ومنها) أنهم قالوا لموسى في التيه من أين لنا اللباس فجعل الله تعالى ثيابهم التي عليهم حتى لا تزيد على الايام ومرور الاعوام الا جدة وطراوة ولا تخلق ولا تبلى وتنمو على صبيانهم كما تنمو فمكثوا على ذلك زمانا طويلا والله أعلم

﴿باب فتح اريحاء ونزول بني اسرائيل الشام﴾

اختلف العلماء فيمن تولى حرب الجبارين وفيمن كان على يده الفتح فقال قوم انما فتح اريحاء موسى ويوشع وكان يوشع على مقدمته فسار موسى اليهم بمن بقي من بني اسرائيل في التيه ولم يمت في التيه فدخلها بهم يوشع وقتل الجبارين الذين كانوا بها فدخلها موسى ببني اسرائيل فقام فيها ما شاء الله ان يقيم ثم قبضه الله تعالى ولم يعلم أحد قبره من الناس وهذا أولى الاقاويل بالصدق وأقربها الى الحق لاجماع العلماء باخبار الانبياء ان عوج ابن عنق قتله موسى وقال آخرون ما قاتل الجبارين الا يوشع بن نون ولم يسر اليهم الا بعد موت موسى وهلاك من كان أبى المسير اليها وقالوا مات موسى وهرون عليهما السلام في التيه

﴿قصة وفاة هرون عليه السلام﴾

قال السدي أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام اني متوف هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل واذا هما بشجرة لم ير مثلها وبيت مبني وفيه سرير عليه فرش واذا فيه ريح طيبة فلما نظر هرون الى ذلك أعجبه وقال يا موسى اني أحب أن أنام على هذا السرير فقال نم عليه فقال اني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي قال له موسى لا تخف أنا أكفيك رب هذا البيت فنم فقال يا موسى نم معي فان جاء رب هذا البيت غضب علينا جميعا فنام موسى وأخذ هرون الموت فلما وجد حسه قال يا موسى خدعتني فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير الى السماء فلما رجع موسى الى بني اسرائيل وليس معه هرون قالوا قتل موسى هرون وحسده لحبنا اياه فقال موسى ويحكم ان هرون أخي ووزيري فكيف أقتله فلما أكثروا عليه قام وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى فنزل السرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه وقال عمرو بن ميمون مات موسى وهرون في التيه ومات هرون قبل موسى وكانا خرجا في التيه الى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه وانصرف الى بني اسرائيل فقالوا أين هرون قال مات قالوا كذبت ولكنك قتلته لحبنا اياه وكان محببا في بني اسرائيل فتضرع موسى الى ربه وشكا الى ربه ما لقي من بني اسرائيل فأوحى الله اليه ان انطلق بهم الى قبره فاني باعثه حتى يخبرهم انه مات موتا ولم تقتله فانطلق بهم الى قبر هرون فناداه يا هرون فخرج من قبره ينفض التراب عن رأسه فقال له أنا قتلتك قال لا والله ولكني مت فعاد وانصرفوا والله أعلم

﴿ذكر وفاة موسى عليه السلام﴾

قال ابن اسحق كان موسى قد كره الموت واستعظمه فلما كرهه أراد الله أن يحبب اليه الموت ويكره اليه الحياة وكان يوشع بن نون يغدو اليه ويروح فيقول له موسى يا نبي الله ما أحدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله اليك حتى تكون أنت الذي تبتدئ به وتذكره ولا يذكر له شيئا فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت قال الاستاذ باسناده حدثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهبا يقول وذكر من كرامة موسى عليه السلام انه ضاق ببني اسرائيل ذرعا لما كثروا عليه فبعث الله اليه ألف نبي يكونون أعوانا له فلما مال الناس اليهم وجد موسى في نفسه غيرة فأماتهم

الذي عنده حاجتي يريد السفر وجعله في الركاب كما قال فلما رآني ترجل ورحب بي وقضى حاجتي وسافرت فازددت تعجبا من ذلك فما لبث الا مدة يسيرة وتوفي الى رحمة الله تعالى وهذا خبره رضي الله عنه آمين ﴿وحكي عن الشيخ أبي بكر الشبلي رضي الله تعالى عنه﴾ أنه قال خرجت يوما على أصحابي وكانوا نيفا وأربعين رجلا فقلت لهم يا قوم ان الله تعالى قد تكفل بأرزاق العباد فقال عز من قائل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فتوكلوا على الله واعتمدوا ثم تركتهم ومضيت فأقاموا ثلاثة أيام لم يفتح عليهم بشيء فلما كان اليوم الرابع دخلت عليهم وقلت لهم يا قوم ان الله تعالى قد أباح التكسب للعباد فقال تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه فانظروا الى أحدكم بنية فليخرج عسى أن يأتيكم بشيء من القوت قال فاختاروا رجلا فقيرا منهم فخرج ومشى في شوارع بغداد فلم يفتح الله عليه بشيء وأخذه الجوع وأعياه العطش فجلس عند دكان طبيب فرأى عليه من الناس

الله لكرامته في يوم واحد واختلفوا في صفة موت موسى عليه السلام حدثنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون باسناده عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال له أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها قال فرجع ملك الموت الى الله عز وجل فقال يا رب انك أرسلتني الى عبد لا يريد الموت وفقأ عيني فرد الله عليه عينه وقال ارجع الى عبدي وقل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعره فانك تعيش بعدد كل شعرة من ذلك سنة قال ثم ماذا قال ثم تموت قال فالآن من قريب قال يا رب فأدنني من الارض المقدسة رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت عنده لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال سمعت أبا سعيد بن حمدون يقول سمعت أبا حامد الشرقي يقول سمعت محمد بن يحيى يقول قد صح هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قصة ملك الموت وموسى عليه السلام لا يردها الا كل مبتدع ضال (وفي حديث آخر) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ملك الموت كان يأتي الناس عيانا حتى أتى موسى ليقبضه فلطمه ففقأ عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خفية (قال السدي) في خبر ذكره عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا بينما موسى عليه السلام يمشي وفتاه يوشع بن نون اذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر اليها يوشع ظن أنها الساعة فقال يا قوم أظن أنها الساعة واني ملتزم بموسى نبي الله فانسل من تحت القميص وترك القميص في يدي يوشع فلما جاء يوشع بالقميص اخذته بنو اسرائيل وقالوا قتلت نبي الله فقال والله ما قتلته ولكنه انسل مني فلم يصدقوه وارادوا قتله فقال لهم اذا لم تصدقوني فاخروني ثلاثة أيام فدعا الله فأتى كل رجل ممن كان يحرسه آت في المنام وأخبره ان يوشع لم يقتل موسى وانا قد رفعناه الينا فتركوه وقال وهب بن منبه خرج موسى ليقضي حاجة فمر برهط من الملائكة فعرفهم فأقبل اليهم حتى وقف عليهم واذا هم يحفرون قبرا لم ير شيأ قط احسن منه ولم ير مثله قط في الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد صالح كريم على ربه فقال موسى ان هذا العبد لمن الله بمنزلة عظيمة ما رأيت كاليوم أحسن منه مضجعا فقالت الملائكة يا صفي الله أتحب أن يكون لك قال وددت ذلك قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك ثم تنفس أسهل نفس تنفسه فنزل فاضطجع فيه ثم توجه الى ربه ثم تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل انه أتاه ملك الموت بتفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه (ويروى) أن يوشع بن نون رآه بعد موته في المنام فقال له كيف وجدت الموت يا نبي الله قال كشاة تسلخ وهي في الحياة (ويروى) أن موسى لما مات قالت الملائكة بعضهم لبعض مات صفي الله موسى بن عمران فمن الذي يطمع في البقاء وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة عشرون منها في ملك افريدون ومائة سنة في ملك منوجهر (قال الاستاذ) رجعنا الى قصة حرب أريحا وخبر الفتح قال فلما انقضت أربعون سنة ومات موسى بعث الله يوشع بن نون نبيا وأخبرهم انه نبي الله وان الله قد امره بقتال الجبارين فصدقوه وبايعوه فتوجه ببني اسرائيل الى اريحاء ومعه تابوت الميثاق فاحاط بمدينة اريحاء ستة أشهر فلما كان في الشهر السابع نفخوا في القرون وصاحوا صيحة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم وجعلوا يقتلونهم وكانت العصابة من بني اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها وكان القتال يوم الجمعة فبقي منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة السبت فخشي يوشع أن يعجزوه فقال اللهم اردد الشمس علي وانه قال للشمس انك في طاعة الله وانا في طاعة الله فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من أعداء الله قبل غروب الشمس فردت له الشمس وزيد له في النهار ساعة وجدة حتى قتلهم أجمعين (أخبرنا) أحمد بن عبد الله بن حامد الاصفهاني باسناده عن عروة بن عبد الله قال دخلت على فاطمة بنت علي رضوان الله عليهم فرأيت في عنقها خرزا ورأيت في يدها مسكتين غليظتين وهي عجوز كبيرة فقلت لها ما هذا فقالت انه يكره للمرأة أن تتشبه بالرجل ثم حدثتني أن أسماء بنت عميس الخثعمية

جمع كثير وهو يصف الكل منهم دواء فنظر النصراني الى الفقير وقال ما بك وما علتك فكره الفقير أن يشكو الجوع الى نصراني ثم مد يده اليه ليجسها فلما جسها النصراني قال أنا أعرف علتك هذه وعندي دواؤها ثم التفت الى غلامه وقال له امض الى السوق وائتني برطل خبز ورطل شواء ورطل حلواء فمضى الغلام الى السوق وأتاه بذلك فقال خذ هذا دواء علتك فقال الفقير للنصراني ان كنت صادقا في حكمتك فهذه العلة بأربعين رجلا مثلي فقال النصراني لغلامه امض الى السوق مسرعا وأتني بأربعين رطلا من ذلك فمضى الغلام الى السوق وأتى بذلك جميعه على حمال فقال النصراني اذهب بذلك الى أصحابك فذهب الفقير والحمال معه وتبعهما النصراني من بعيد ليختبر صدق ذلك الفقير فلما دخل الفقير الى أصحابه بالدويرة وقف النصراني خلف طاقة ينظر اليهم فوضع الفقير ذلك بينهم ثم نادوا للشيخ أبي بكر الشبلي فحضر وسألهم عن ذلك فأخبره الفقير بقصته مع ذلك النصراني فقال لهم الشبلي أترضون أن تأكلوا طعام نصراني بغير مكافأة فقالوا وما مكافأته قال أن تدعوا له بالاسلام قبل أن تأكلوا طعامه قال فدعوا له

حدثنا ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان مع نبي الله وقد أوحى الله اليه فجلله الله بثوبه ولم يزل كذلك حتى أدبرت الشمس تقول غابت أو أرادت أن تغيب ثم ان نبي الله سري عنه فقال أصليت يا علي فقال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اردد عليه الشمس فرجعت حتى بلغت نصف المسجد وقال ثم أرسل ملوك الارامنة وكانوا خمسة فأرسل بعضهم الى بعض فجمعوا كلمتهم على يوشع وقومه فهزمت بنو اسرائيل الملوك حتى أهبطوهم الى ثنية حوران ورماهم الله بأحجار البرد فكان من قتله البرد أكثر ممن قتله بنو اسرائيل بالسيف وهرب الملوك الخمسة واختفوا في غار فأمر بهم يوشع فأخرجهم وصلبهم ثم أنزلهم فطرحهم في ذلك الغار وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم أحدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام وصار الشام كله لبني اسرائيل وفرق عماله في نواحيها ثم جمع الغنائم فلم تنزل النار فأوحى الله تعالى الى يوشع ان فيها غلولا فأمرهم أن يبايعوك فبايعوه فالتصقت يد رجل بيده فقال له هلم ما عندك فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالدر والياقوت والجوهر كان قد غله فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبي من الانبياء فقال للقوم لا يتبعني رجل كان قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولا آخر قد بنى له بناء ولم يرفع سقفه ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها قال فدنا من القوم صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها على ساعة فحبست له ساعة حتى فتح الله عليه قال ثم وضعت الغنيمة فجاءت النار ولم تأكلها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة منكم رجل فبايعوه فالتصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول أنتم غللتم قال فأخرجوا مثل رأس البقرة من ذهب فألقوه في الغنيمة وهي بالصعيد فجاءت النار فأكلتها قال النبي صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنائم لاحد قبلنا وذلك أن الله تعالى رأى عجزنا وضعفنا فوهبها لنا قالوا ثم أمرهم الله أن يدخلوا أريحاء متواضعين مستغفرين خاضعين رؤسهم وذلك قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وكان لهم سبعة أبواب سجدا أي منحنين متواضعين وقولوا حطة أي حط عنا خطايانا قال وهب لهم أذنبوا باثمهم وكان توبتهم اذا أدوا دخول أريحاء فلما فصلوا من التيه أحب الله أن يستنقذهم من الخطيئة قال ابن عباس حطة قول لا اله الا الله سميت بذلك لانها تحط الذنوب نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين احسانا فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم وذلك انهم دخلوا متزحفين على استاههم وقالوا حطا سمقاثا يعني حنطة حمراء استخفافا بامر الله تعالى فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء أي عذابا من السماء بما كانوا يفسقون وذلك أن الله تعالى أرسل عليهم طاعونا وظلمة فهلك منهم سبعون ألفا في ساعة واحدة ثم رفعه الله عنهم ورحمهم قالوا فلما استقرت بنو اسرائيل بالشام وصفت لهم توفى الله نبيه يوشع ودفن في جبل افرائيم وكان عمره مائة وعشرين سنة وتدبيره أمر بني اسرائيل بعد موت موسى سبعا وعشرين سنة

﴿مجلس في ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بأمور بني اسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام﴾ قالت العلماء بأخبار الماضين وأمور الامم السالفين لما حضرت الوفاة يوشع بن نون استخلف على بني اسرائيل كالب بن يوفنا ختن موسى عليه السلام وهو أحد الرجلين اللذين أنعم الله عليهما قال الله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما فأحسن الخلافة حتى قبضه الله عز وجل واستخلف على بني اسرائيل ابنه يوسافوس وكان فيما ذكر يشبه يوسف عليه السلام في الحسن والجمال والبهاء وكانوا يفتتنون به وكانوا من شغفهم به يأتونه وينظرون اليه ويقولون له يا أيها العبد الصالح حبذا السلام عليك وهو يستحي أن يردهم فلما أكثروا خاف الفتنة فسأل الله أن يغير صورته مع سلامة حواسه وجوارحه فأصابه الجدري فصار مجدورا ملوحا فلبث فيهم مائة وأربعين سنة ثم قبضه الله اليه والله أعلم

ذكر

بالتضرع الى احسانكم من الطعام مع حاجتهم له ترك الطائفة وقطع الزنار ودخل اليهم وقال يا شبلي امدد يدك فاني أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وحسن اسلامه وصار من جملة أصحاب الشبلي رضي الله تعالى عنهم أجمعين ونفعنا بهم آمين

﴿وحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم﴾ قال رأيت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم تسعة من الاولياء أصحاب الخطوة فتبعتهم والتفت الى أحدهم وقال أين تريد فقلت لهم ان أسير معكم أين تسيرون حتى فيكم فقال أحدهم انك لا تقدر على المسير الى الموضع الذي قصدناه فانه لا يصل اليه الا من بلغ عمره أربعين سنة فقال الآخر دعه لعل الله يرزقه قال فسرت معهم والارض تطوى من تحتنا طيا والحب يقول للعشاق هيا فلم نزل نسير حتى انتهينا الى مدينة مبنية بالذهب والفضة وأشجارها متعانقة وأنهارها رائقة وفواكهها فائقة قال ودخلناها وأكلنا من ثمرها ثم أخذت معي ثلاث تفاحات فلم يمنعوني من أخذها فسألتهم عند الانصراف عن هذه المدينة فقالوا هذه مدينة الاولياء فاذا أراد الاولياء النزهة

(ذكر خبر حزقيل عليه السلام) قالت العلماء بأخبار الانبياء عليهم السلام لما قبض الله كالب بن يوفنا بعث الله تعالى حزقيل الى بنى اسرائيل نبيا وهو حزقيل بن بورى ويلقب بابن العجوز وانما لقب بابن العجوز لان أمه سألت الله تعالى الولد وهى عجوز وقد كبرت وعقمت عن الولد فوهبه الله تعالى لها وهو الذى أحيا الله تعالى بدعائه القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فأحياهم الله تعالى بعد موتهم بدعوته فى قوله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت الآية (قال أكثر المفسرين) كانت قرية يقال لها داوردان قرية قبل واسط وقع بها الطاعون فخرج منها طائفة هاربين من الطاعون وبقيت طائفة فهلك أكثر من بقى فى القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا ان أصحابنا كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولئن وقع بنا الطاعون ثانية لنخرجن الى الارض التى لا وباء فيها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذى يبتغون فيه النجاة والحياة اذا هم بملك من أسفل الوادى وآخر من أعلاه يناديهم كل واحد منهما أن موتوا فماتوا جميعا (عن محمد بن زكريا) قال سمعت الاصمعى يقول لما وقع الطاعون بالبصرة خرج رجل من أهلها عنها على حمار له ومعه ولده وخلفه عبد حبشى يسوق الحمار فطفق العبد يرتجز ويقول

لن يسبق الله على حمار * ولا على ذى منعة طيار * قد أصبح الله أمام السارى

فرجع الرجل لما سمع من قوله بعياله (وروى) عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم بالوباء فى بلدة فلا تقدموا عليه واذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقال الضحاك ومقاتل والكلبى انما فر هؤلاء من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بنى اسرائيل أمرهم أن يخرجوا الى قتال عدوهم فخرجوا فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت واعتلوا وقالوا للملك ان فى الارض التى نأتيها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع الوباء عنها فأرسل الله عليهم الموت فلما رأوا ان الموت قد كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فأرهم آية فى أنفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار من حكمك وقضائك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فما أتى عليهم ثلاثة أيام حتى انتفخوا وأروحوا وأروحت أجسادهم فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها واختلفوا فى مبلغ عددهم فقال عطاء الخراسانى كانوا ثلاثة آلاف وقال ابن عباس ووهب كانوا أربعة آلاف وقال مقاتل والكلبى ثمانية آلاف وقال أبو روق عشرة آلاف وقال أبو مالك ثلاثين ألفا وقال السدى بضعا وثلاثين ألفا وقال ابن جريج أربعين ألفا وقال عطاء بن أبى رباح سبعين ألفا قال فأتى على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت أوصالهم فمر عليهم حزقيل النبى عليه الصلاة والسلام فوقف متفكرا متعجبا فأوحى الله تعالى اليه يا حزقيل تريد ان أريك كيف أحيى الموتى قال نعم يا رب فأحياهم الله جميعا هذا قول السدى وجماعة من المفسرين وقال مقاتل والكلبى بل كانوا قوم حزقيل فلما أصابهم ذلك بكى حزقيل وقال يا رب كنت فى قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لا قوم لى فلو شئت أحييت هؤلاء فيعمرون بلادك ويعبدونك قال الله تعالى أو تحب ان أفعل ذلك قال نعم يا رب قال الله تعالى قد جعلت حياتهم اليك فقال لهم حزقيل احيوا باذن الله تعالى فعاشوا وقال وهب أصابهم بلاء وشدة من الزمان فشكوا ما أصابهم وقالوا يا ليتنا قد متنا فاسترحنا مما نحن فيه فأوحى الله الى حزقيل ان قومك قد ضجوا من البلاء وزعموا انهم ودوا لو ماتوا فاستراحوا وأى راحة لهم فى الموت أيظنون انى لا أقدر أن أبعثهم بعد الموت فانطلق الى جبانة كذا وكذا فان فيها ألوفا منهم قال وهب فأتاهم فأوحى الله تعالى اليه يا حزقيل قم فنادهم وكانت أجسامهم وعظامهم قد تفرقت وفرقتها الطيور والسباع فنادى حزقيل أيتها العظام ان الله يأمرك ان تعودى وتكتسى اللحم فاكتست جميعها اللحم وبعد اللحم جلدا وصاروا عراة فكانت أجسادا فنادى أيتها الارواح ان الله تعالى أمرك ان تعودى الى أجسادك فقاموا جميعا وعليهم

ظهرت لهم تلك المدينة أينما كانوا فما دخل فيها أحد قبل الاربعين غيرك قال فلما رجعنا ودخلنا مكة أعطيت الدامغانى تفاحة فقدتها فلامنى أصحابى وقالوا اراد ما أعطيت الى مكانه فكنت كلما جعت أكلت من تلك التفاحة وهى لا تتغير فرجعت الى أهلى وقد بقى منها تفاحة واحدة غير التى ادخرتها لنفسى فعانقتنى أختى وقالت أين الذى اتحفتنا به من سفرك فقلت لها وما الذى اتحفكم به وأنا بعيد عن الدنيا وعن الراحة فقير الحال فقالت أختى واين التفاحة فقلت وأى تفاحة فقالت يا مسكين والله لقد أدخلونى تلك المدينة وأنا بنت عشرين سنة وأما أنت فلم تدخلها الا بعد ان طردوك وأنا والله جذبت اليها جذبة وخطوت اليه خطوة قال فتعجبت من كلامها وقلت يا أختى ان البدل الكبير منهم قال لى لم يدخلها أحد قبل الاربعين غيرك قالت نعم يا أخى من المريدين وأما المرادون فيدخلونها ولا يحسون بها حتى شئت أريتكها فقلت قد شئت فقالت يا مدينة احضرى والله لقد رأيت تلك المدينة بعينها وهى تتدلى علينا وتدنو الينا فمدت يدها وقالت أين تفاحتك قال فتساقط عندى من التفاح

ثيابهم التي ماتوا فيها وكبروا تكبيرة واحدة (وروى) منصور بن المعتمر عن مجاهد انهم قالوا حين أحيوا سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا اله الا أنت فرجعوا الى قومهم وتناسلوا بعدما أحياهم الله وعاشوا دهرا يعرفون انهم كانوا موتى بسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد رسما مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي كتب الله لهم * قال ابن عباس فانه ليوجد في ذلك السبط من اليهود تلك الريح قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت وتقصيرهم في الجهاد فاماتهم الله عقوبة لهم ثم بعثهم لبقية آجالهم ليوفوها ولو كانت آجال القوم قد جاءت ما بعثوا بعد موتهم فلما أحياهم الله تعالى أمرهم بالجهاد قال وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم

﴿باب في قصة الياس عليه السلام﴾

قال الله تعالى وان الياس لمن المرسلين الى آخر القصة قال ابن اسحق والعلماء من أصحاب الاخبار لما قبض الله تعالى حزقيل عليه السلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد ونسوا عهد الله الذي عهد اليهم في التوراة حتى نصبوا الاوثان وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله تعالى اليهم الياس نبيا وهو الياس بن يس بن فنحاص بن عيزار بن هرون بن عمران وانما كانت الانبياء بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا وضيعوا من أحكام التوراة وبنوا اسرائيل يومئذ متفرقون في أرض الشام وفيهم ملوك كثيرة وكان سبب ذلك أن يوشع بن نون لما فتح أرض الشام وملكها بوأها بني اسرائيل وقسمها بينهم فأخذ سبط منهم بعلبك ونواحيها وهم سبط الياس فبعث الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له لاجب قد ضل وأضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان هو وقومه يعبدون صنما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعا وكان له أربعة وجوه وقال ابن اسحق قد سمعت بعض أهل العلم يقولون ما كان البعل الا امرأة كانوا يعبدونها من دون الله تعالى فذلك قوله تعالى اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قال فجعل الياس يدعوهم الى الله تعالى ولا يطيعونه ولا يجيبونه الى ذلك الا ما كان من أمر لاجب الملك الذي كان ببعلبك فانه آمن به وصدقه وكان الياس يقوم أمره ويسدده ويرشده وكان للاجب امرأة يقال لها أربيل وكان يستخلفها على رعيته اذا غاب عنهم في غزاة أو غيرها فكانت تبرز بين الناس كما يبرز زوجها وتركب كما يركب وتجلس كما يجلس في مجلس القضاء وتقضي بين الناس وكانت قتالة للانبياء وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتم ايمانه وكان قد خلص من بين يديها ثلثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم اذا بعث سوى الذين قتلتهم وكانت في نفسها غير محصنة ولم يكن على وجه الارض أفحش منها وهي مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من ملوك بني اسرائيل وقتلتهم كلهم بالاغتيال وكانت معمرة ويقال انها ولدت سبعين ولدا قال وكان للاجب هذا جار من بني اسرائيل رجل صالح يقال له مزدكي وكانت له جنينة يعيش منها ويقبل على عمارتها ويزينها وكانت الجنينة الى جانب قصر الملك وامرأته وكانا يشرفان على تلك الجنينة يتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقيلان فيها أحيانا وكان لاجب مع ذلك يحسن جوار صاحبها مزدكي وامرأته أربيل تحسده على ذلك لاجل تلك الجنينة وتحتال على غصبها لما سمعت الناس يذكرون الجنينة من حسنها ويقولون ما أحرى ان تكون هذه الجنينة لاهل هذا القصر ويتعجبون من أمر الملك وامرأته كيف لم يغصباها فلم تزل امرأة الملك تحتال على العبد الصالح مزدكي في أن تقتله وتأخذ جنينته والملك ينهاها عن ذلك فلا تجد اليه سبيلا ثم انه اتفق خروج الملك الى سفر بعيد فلما طالت غيبته اغتنمت امرأته أربيل أن تتم لها الحيلة على العبد الصالح مزدكي في أن تقتله وتأخذ جنينته وهو غافل عما تريد به مقبل على عبادة ربه واصلاح معيشته فجمعت أربيل جمعا من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على مزدكي بالزور أنه يسب لاجب الملك فاجابوها الى ما سألتهم من الشهادة بالزور وكان حكمهم في ذلك الزمان على من سب الملك القتل ان قامت البينة فاحضرت مزدكي

من عند هذا الملك يحتاج الى تفاحتك قال فاستحقرت نفسي والله عند ذلك وما كنت أعرف ان اختي من أكابر الاولياء رضي الله عنهم ونفعنا بهم في الدارين وممدنا من مددهم وأنفاسهم الطاهرة آمين ((وحكي عن الشيخ أبي الربيع المالقي عفا الله عنه)) أنه قال سمعت بامرأة من المتعبدات الصالحات في بعض القرى اشتهر أمرها وكان من دأبنا ان لا نزور امرأة فدعت الحاجة الى زيارتها للاطلاع على كرامتها فنزلنا القرية التي هي بها فذكروا لنا ان عندها شاة تحلب لبنا وعسلا فاشترينا قدحا جديدا لم يوضع فيه شئ ثم مضينا اليها وسلمنا عليها وقلنا لها نريد هذه البركة التي ذكرت لنا عنك من هذه الشاة فقالت حبا وكرامة ثم أحضرت لنا الشاة فحلبناها في ذلك القدح ثم شربنا فوجدناه لبنا وعسلا كما وصف فلما رأينا ذلك سألنا المرأة عن قصة هذه الشاة فقالت نعم أخبركم بها وذلك انه كان لنا شويهة ونحن قوم فقراء ولم يكن عندنا غيرها فقال لي زوجي وكان رجلا صالحا امضي بنا حتى نذبح هذه الشاة في هذا اليوم وهو يوم العيد فقلت له لا تفعل ذلك فان الله تعالى قد رخص لنا في الترك والله يعلم حاجتنا

وقالت

وقالت له بلغنا عنك انك شتمت الملك واغتبته فأنكر مزدكي ذلك فأقامت اليه شهودا بالزور عليه بحضرة الناس فأمرت بقتله فقتل وأخذت جنينته غصبا فغضب الله عليهم بقتل العبد الصالح فلما قدم الملك من السفر أخبرته الخبر فقال لها ما أصبت ولا وفقت ولا أرانا نفلح بعدها أبدا وانا كنا عن جنينته لاغنياء ولقد كنا نتنزه فيها وقد جاورنا وتحرم بنا منذ زمان طويل فأحسنا جواره وكففنا عنه الاذى لوجوب حقه علينا فخست بنا الجوار وما حملك على اجترائك عليه الا سفهك وسوء رأيك وقلة تفكرك في العواقب فقالت انما غضبت لك وحكمت بحكمك فقال لها أما كان يسع حلمك وعظيم خطرك العفو عن رجل واحد فتحفظين جواره فقالت قد كان ما كان فبعث الله تعالى الياس عليه السلام الى لاجب وقومه وأمره أن يخبرهم أن الله تعالى قد غضب عليهم لوليه حين قتلوه بين أظهرهم ظلما وقد آلى على نفسه انهما ان لم يتوبا من صنعهما ويردا الجنينة على ورثة مزدكي والا يهلكهما يعني لاجب وامرأته في جوف الجنينة أشر ما يكون بسفك دمهما ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها حتى تتعرى عظامهما عن لحومهما ولا يمتعان بها الا قليلا قال فجاء الياس وأخبر الملك بما أوحى الله اليه في أمره وأمر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه ثم قال له يا الياس والله ما أرى ما تدعونا اليه الا باطلا والله ما أرى فلانا وفلانا وسمى ملوكا منهم عبدوا الاوثان الا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويشربون ويتمتعون مملكين ما ينقص من دنياهم ولا من أمرهم الذي تزعم انه باطل شئ وما نرى لكم علينا من فضل قال ثم هم بتعذيب الياس وقتله قال فلما سمع الياس ذلك وأحس بالشر رفضه وخرج عنه فلحق بشواهق الجبال وعاد الملك الى عبادة بعل فارتقى الياس الى أصعب جبل وأشمخه فدخل مغارا فيقال انه بقي فيه سبع سنين شريدا وحيدا طريدا خائفا يأوي الى الشعاب والكهوف ويأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العيون يتوقعون أخباره ويجتهدون في أخذه والله تعالى يستره ويحفظه ويدفع عنه البلاء فلما تم له سبع سنين أذن الله تعالى في اظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم فأمرض الله تعالى ابن الملك لاجب وكان أحب أولاده اليه وأعزهم عليه وأشبههم به فأدنف حتى يئس منه ودعا صنمه بعلا وكانوا قد فتنوا ببعل وعظموه حتى انهم سموا مدينتهم به فقالوا لها بعلبك وعملوا له أربعمائة سادن فوكلوهم به وجعلوهم أمناءه وجعل الشيطان يدخل في جوف الصنم فيكلمهم بأنواع الكلام والاربعمائة يصغون بآذانهم الى ما يقول الشيطان ويوسوس لهم شريعة من الضلال فيكتبونها للناس ويعملون بها ويسمونهم الانبياء فلما اشتد مرض ابن الملك طلب الملك أن يشفعوا له الى بعل ويطلبوا منه لابنه الشفاء والعافية فدعوه فلم يجبهم ومنع الله تعالى بقدرته الشيطان عن صنمهم فلم يمكنه الولوج في جوفه ولا الكلام وهم مجتهدون في التضرع اليه والمريض لا يزداد بذلك الا ألما وجهدا فلما طال عليهم ذلك قالوا للاجب أيها الملك ان في ناحية الشام آلهة أخرى وهي في العظم مثل الهك فابعث اليها الانبياء يشفعون لك اليها فلعلها أن تشفع لك الى بعل فانه غضبان عليك ولولا غضبه عليك لكان قد أجابك وشفى مرض ابنك فقال لاجب لاي شئ غضب علي وأنا أطيعه وأطلب رضاه ولم أسخطه ساعة قط قالوا من أجل انك لم تقتل الياس وفرطت فيه حتى نجا سالما وهو كافر بالهك يعبد غيره فذلك الذي أغضبه عليك قال لاجب وكيف لي أن أقتله في يومي هذا وأنا مشغول عن طلبه بوجع ابني وليس لالياس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصد فلو عوفي ابني تفرغت لطلبه وليس لي هم ولا شغل غيره حتى آخذه وأقتله وأريح الهي منه وأرضيه قال ثم انه بعث الاربعمائة نبي ليشفعوا الى الآلهة التي بالشام ويسألوها أن تشفع الى صنم الملك ليشفي ابنه فانطلقوا الى الاصنام وكلموها فمنع الله عز وجل الشياطين الولوج في الاصنام ولم يكلمهم فرجعوا الى الملك وأخبروه بذلك فقال الملك وكيف لي أن أقتل الياس في هذا اليوم قال فخرج أربعمائة حتى اذا كانوا بحيال الجبل الذي فيه الياس أوحى الله اليه أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويستوقفهم ويكلمهم وقال له لا تخف فاني سأصرف عنك شرهم وألقي الرعب في قلوبهم فنزل الياس من الجبل فلما لقيهم استوقفهم فلما وقفوا قال لهم ان الله أرسلني اليكم والى من

اليها فبينما نحن كذلك اذ استضافنا ضيف في ذلك اليوم ولم يكن عندنا ما نقري به هذا الضيف فاحتجنا لذبحها فقلت له يا رجل هذا ضيف وقد أمرنا باكرامه فخذ تلك الشاة واذبحها فقال نخاف أن تبكي عليها صغارنا فقلت له خذها واخرج بها من البيت واذبحها وراء الجدار فأخذها ومضى فلما أراق دمها قفزت من أعلى الجدار ونزلت الينا فحسبت انها قد انفلتت منه فخرجت لانظرها فاذا هو يسلخ فيها فقلت له يا رجل رأيت عجبا وذكرت له قصة هذه الشاة التي نزلت من أعلى الجدار فقال الرجل لعل الله تعالى أبدلنا خيرا منها فكان كذلك فكانت تلك الشاة تحلب لبنا وهذه تحلب لبنا وعسلا وهذا كله ببركة اكرام الضيف قال فتعجبنا من ذلك ثم قال يا أولادي ان شويهتنا هذه ترعى في قلوب المريدين فاذا طابت قلوبهم طاب لبنها واذا تغيرت قلوبهم تغير لبنها فطيبوا قلوبكم (قلت) وقد عنت بذلك نفسها وزوجها ولكن أطلقت لفظا ظاهره العموم مع ارادة التخصيص تسترا وتحريضا للمريدين على تطييب قلوبهم اذ بطيب القلوب يحصل كل طيب محبوب من الانوار والاسرار ولذة العيش عبادة الملك الغفار والمشي

وراءكم فاسمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوا صاحبكم ارجعوا اليه وقولوا له ان الله تعالى يقول لك ألست تعلم يا لاجب انى أنا الله لا اله الا أنا اله بنى اسرائيل الذى خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم فلا يحملنك جهلك وقلة عقلك على أن تشرك بى وتطلب الشفاء لابنك من غيرى ممن لا يملكون لانفسهم شيأ الا ما شئت وانى آليت باسمى لاغيظنك فى ابنك ولاميتنه من فوره هذا حتى تعلم ان أحدا لا يملك له شيأ دونى فلما قال لهم ذلك رجعوا وقد ملؤا منه رعبا فلما صاروا الى الملك ووصلوا اليه قالوا له ما قال لهم الياس وأخبروه بان الياس انحط عليهم من الجبل وهو رجل نحيف طويل وقد قشف وقحل وغط شعره ويبس جلده وعليه جبة من شعر وعباءة قد خللها على صدره بخلال فاستوقفنا فلما وقفنا صار معنا قذف له فى قلوبنا الرعب والهيبة وتقطعت ألسنتنا ونحن فى هذا العدد الكثير وهو واحد فلم نقدر أن نكلمه ونراجعه وغلا أعيننا منه حتى رجعنا اليك ثم انهم قصوا عليه كلام الياس فقال لاجب لا أنتفع بالحياة ما دام الياس حيا فما الذى منعكم ان تبطشوا به حين لقيتموه وتوثقوه وتأتونى به وأنتم تعلمون انه طلبتى وعدوى قالوا له قد أخبرناك بالذى منعنا عنه ومن كلامه والبطش به فقال لاجب اذا ما نطيق الياس الا بالمكر والخديعة فقيض له خمسين رجلا من قومه من ذوى القوة والبأس وعهد اليهم عهده وأمرهم بالاحتيال عليه وأن يطمعوه بأنهم قد آمنوا به هم ومن وراءهم ليطمئن اليهم ويغتر بهم ويمكنهم من نفسه فيأتون به ملكهم فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذى فيه الياس عليه السلام ثم انهم تفرقوا فيه وهم ينادون بأعلى أصواتهم ويقولون يا نبى الله ابرز لنا وأشرف علينا بنفسك فانا قد آمنا بك وصدقناك وملكنا لاجب وكذلك جميع قومنا مقرون بذلك ويقرؤن عليك السلام ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ما قلت وآمنا بك وأجبناك الى ما دعوتنا اليه فهلم الينا فأنت نبينا ورسول ربنا فأقم بين أظهرنا واحكم بيننا فاننا ننقاد الى ما أمرتنا وننتهى عما نهيتنا وليس يسعك ان تتخلف عنا بعد ايماننا بك وطاعتنا لك فتدارك وارجع الينا وكل هذا كان مكرا منهم وخديعة فلما سمع الياس مقالتهم وقع فى قلبه ايمانهم وخاف الله وأشفق من سخطه ان هو لم يظهر لهم ولم يجبهم بعد الذى سمع منهم فلما صمم على البروز اليهم رجع الى نفسه وقال لو انى دعوت الله تعالى فسألته ان يعلمنى ما فى نفوسهم ويطلعنى على حقيقة أمرهم وكان ذلك الهاما من الله تعالى وتوفيقا له فقال اللهم ان كانوا صادقين فيما يقولون فأذن لى فى البروز اليهم وان كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم جميعا فما استتم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم فاحترقوا أجمعين قال وبلغ لاجب وقومه الخبر فلم يرتدع عن ضمير السوء واحتال ثانيا فى أمر الياس فقيض له فئة أخرى مثل عدد أولئك وأقوى منهم وأمكن فى الحيلة والرأى فأقبلوا حتى توقلوا ذلك الجبل وارتقوه متفرقين وجعلوا ينادون يا نبى الله انا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسطوته انا لسنا كالذين أتوك قبلنا وان أولئك فرقة نافقوا وخالفوا فصاروا اليك ليمكروا بك من غير رأينا ولا علمنا ولو علمنا بهم لقتلناهم والآن قد كفاك الله أمرهم وأهلكهم بسوء نياتهم وانتقم لنا ولك منهم فلما سمع الياس مقالتهم دعا الله بدعوته الاولى فأمطر عليهم نارا فاحترقوا جميعا عن آخرهم كل ذلك وابن الملك فى البلاء الشديد من وجعه كما وعده الله تعالى على لسان نبيه الياس لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابه فلما سمع الملك بهلاك أصحابه ثانيا ازداد غيظا الى غيظه وأراد أن يخرج فى طلب الياس بنفسه الا أنه شغله عن ذلك مرض ابنه فوجه نحو الياس الكاتب المؤمن الذى هو كاتب امرأته رجاء ان يأنس اليه وينزل معه وأظهر للكاتب انه لا يريد بالياس سوءا ولا مكروها وانما أظهر له ذلك لما اطلع عليه من ايمانه وكان الملك مع اطلاعه على ايمانه معجبا به لما هو عليه من الكفاية والامانة والحكمة وسداد الرأى والبصارة بالامور فلما وجهه نحوه أرسل معه فئة من أصحابه وعهد اليهم دون الكاتب أن يوثقوا الياس ويأتوه به ان أراد التخلف عنهم وان جاء معهم آمنا بالكاتب وواثقا بمكانته لم يوحشوه ولم يروعوه ثم انه أظهر للكاتب الانابة فقال له انه قد آن لى أن أتوب وأتعظ فقد أصابتنا بلايا من حريق أصحابنا والبلاء الذى فيه ابنى وقد عرفت ان ذلك بدعوة الياس ولست آمن أن يدعو على وعلى

ما عندكم رضى الله تعالى عنها آمين (وحكى عن بعض أصحاب السرى السقطى رضى الله تعالى عنه) انه قال كان للسرى السقطى تلميذة وكانت امرأة صالحة وكان لها ولد عند المعلم فبعثه المعلم يوما الى الرحلة فنزل الصبى فى الماء فغرق فخاف المعلم على نفسه وأتى الى السرى السقطى فأخبره بذلك فاغتم وقال قوموا بنا الى أمه وكان معهم الجنيد فتكلم السرى السقطى مع أم الصبى فى علم الصبر وعلم الرضا فقالت المرأة يا استاذى وأى شئ تريد بذلك فقال لها السرى ان ولدك قد غرق فقالت ان الله عز وجل لم يفعل ذلك ثم قالت قوموا بنا فقاموا معها حتى أتوا الى النهر فقالت المرأة أين غرق ولدى فقال المعلم ههنا فصاحت به ابنى محمد فأجابها من النهر لبيك يا أماه فنزلت وأخذت بيده ومضت الى منزلها فالتفت السرى الى الجنيد وقال أى شئ هذا فقال الجنيد أقول ان هذه المرأة مراعية لما لله عز وجل عليها وهذا حكم من كان مراعيا لما لله عز وجل عليه فانه لا تحدث حادثة حتى يعلم بها فلما كان دأبها ذلك لم تكن حادثة الا اعلمت بها

جميع قومي فهلك بدعوته فكن رسولنا اليه وأخبره أنا قد تبنا وأنبنا وانه لا يصلحنا في توبتنا وما يرد من رضا ربنا وخلع أصنامنا الا أن يكون الياس بين أظهرنا يأمرنا وينهانا ويخبرنا بما يرضي ربنا قال ثم انه أمر قومه أن يعتزلوا الاصنام وقال له أخبر الياس بأنا قد خلعنا آلهتنا التي كنا نعبد وقد أمهلنا أمرها حتى ينزل الينا فيكون هو الذي يحرقها ويهلكها وكان ذلك كله مكرا من الملك قال فانطلق الكاتب والفئة معه حتى علوا الجبل الذي فيه الياس فناداه الكاتب فعرف الياس صوته فتاقت نفسه اليه وأنس به وكان مشتاقا الى لقائه فأوحى الله تعالى الى الياس عليه السلام ان ابرز الى أخيك الصالح فالقه وجدد منه العهد فبرز اليه وصافحه وسلم عليه وقال له ما الخبر فقال له المؤمن انه قد بعثني اليك هذا الجبار الطاغي وقومه وقص عليه ما قال له وقال له واني لخائف ان رجعت اليه ولست معي ان يقتلني فأمرني بما شئت ان أفعله وأنتهي اليه ان شئت انقطعت اليك وكنت معك وتركته وان شئت جاهدته معك وان شئت أرسلتني اليه بما تحب فأبلغه رسالتك وان شئت دعوت ربك يجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا قال فأوحى الله تعالى الى الياس ان كل ما جاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك وان لاجب ان أخبرته رسله انك قد لقيت هذا الرجل ولم يأت بك اليه فانه يتهمه ويعرف انه قد داهن في أمرك ولم يأمن أن يقتله فانطلق معه فان انطلاقك معه عذره وبراءته عند لاجب واني سأشغله عنكما وأضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غيره ثم أميته على شر حال واذا مات هو فارجع أنت ولا تقم عنده قال فانطلق الياس معهم حتى قدموا على لاجب فلما دخلوا عليه شدد الله على ابنه الوجع وأخذ الموت بكظمه فشغل الله بذلك لاجب وأصحابه عن الياس ورجع الياس سالما الى مكانه فلما مات ابن لاجب وفرغوا من أمره وقل جزعه انتبه لالياس وسأل عنه الكاتب المؤمن الذي جاء به فقال له ليس لي به علم وذلك أنه قد شغلني عنه موت ابنك والجزع عليه ولم أكن أحسبك الا قد استوثقت منه فاطرق عنه لاجب وتركه لما كان به من الحزن على ابنه فلما طال الامر على الياس من المكث في الجبل والمقام به واشتاق الى العمران والناس فنزل من الجبل وانطلق حتى نزل بامرأة من بني اسرائيل وهي أم يونس بن متى ذي النون واستخفى عندها ستة أشهر ويونس ابنها يومئذ مولود رضيع وكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها قال ثم ان الياس عليه السلام سئم ضيق البيوت بعد قعوده في الجبال ودوحها فأحب اللحوق بالجبال فعاد الى مكانه في الجبال فجزعت أم يونس لفراقه وأوحشها فقده ثم لم يلبث الا قليلا حتى مات ابنها يونس حين فطمته فعظمت مصيبتها به فخرجت في طلب الياس ولم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه ووجدته فسلمت عليه وقالت له اني فجعت بعدك بموت ابني وعظمت به مصيبتي واشتد لفقده بلائي وليس لي ولد غيره فارحمني وادع ربك تعالى أن يحيي لي ابني ويجبر مصيبتي فاني قد تركته مسجى لم أدفنه وقد أخفيت مكانه فقال لها الياس عليه السلام ليس هذا مما أمرت به وانما أنا عبد مأمور أعمل بما أمرني ربي به ولم يأمرني بهذا فجزعت المرأة وتضرعت فعطف الله قلب الياس عليها فقال لها ومتى مات ابنك فقالت منذ سبعة أيام فانطلق الياس عليه السلام معها وسار سبعة أيام حتى أتى الى منزلها فوجد ابنها يونس ميتا منذ أربعة عشر يوما فتوضأ الياس وصلى ودعا فأحيا الله يونس بن متى فلما عاش وجلس وثب الياس وانصرف وتركه وعاد الى موضعه قال فلما طال عصيان قومه ضاق الياس بذلك ذرعا وأجهده البلاء فأوحى الله اليه بعد سبع سنين وهو خائف مذعور مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه ألست أميني على وحيي وحجتي في أرضي وصفوتي من خلقي فاسألني أعطك فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال الياس عليه السلام تميتني وتلحقني بآبائي فاني قد مللت بني اسرائيل وملوني وأبغضتهم فيك وأبغضوني فأوحى الله اليه يا الياس ما هذا اليوم الذي أعري منك الارض وأهلها وانما قوامها وصلاحها بك وأشباهك ولكن سلني أعطك قال الياس فان لم تمتني يا الهي فأعطني ثاري من بني اسرائيل فأوحى الله تعالى اليه فأي شئ تريد أن أعطيك يا الياس قال تمكنني من خزائن السماء سبع سنين فلا تنشئ عليهم

فأنكرت ذلك وقالت ان ربي لم يفعل ذلك وهذا من حسد تهامع مولاها رضي الله تعالى عنها ونفعنا بها في الدنيا والآخرة وحسدنا من مددها آمين ((وحكي عن مالك بن دينار رضي الله عنه)) انه قال خرجت حاجا الى بيت الله الحرام سنة من السنين فبينما أنا في الطريق واذا بشاب يمشي بلا زاد ولا راحلة فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت أيها الشاب من أين أنت قال من ... فقلت والى أين قال ... راحلة فقلت وأين الزاد له ... فقال عليه ... نقطع الا بالأكل والمشرب فهل معك شئ قال نعم قد تزودت عند خروجي من بلدي بخمسة أحرف قلت وما هي فقال قوله تعالى كهيعص فقلت وما معنى كهيعص فقال أما قوله كاف فهو الكافي وأما الهاء فهو الهادي وأما الياء فهو الذي يؤوي وأما العين فهو العالم وأما الصاد فهو الصادق فمن صحب كافيا وهاديا ومؤويا وعالما وصادقا فلا يضيع ولا يخشى ولا يحتاج الى الزاد والراحلة قال مالك فلما سمعت منه هذا الكلام نزعت قميصي لالبسه له فأبى أن يقبله وقال يا شيخ العري خير من ثياب الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب فكان اذا

سحابة الا بدعوتي ولا تمطر عليهم سبع سنين قطرة الا بشفاعتي فلم لا بد لهم الا ذلك فقال الله تعالى يا الياس انا أرحم بعبادي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فخمس سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فأربع سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين ولكني أعطيتك ثأرك منهم ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك ولا أنشر عليهم سحابة الا بدعوتك ولا أنزل عليهم قطرة الا بشفاعتك قال الياس فبأي شئ أعيش قال أسخر لك جيشا من الطير تنقل اليك طعامك وشرابك من الريف والارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت فأمسك الله المطر عنهم ثلاث سنين حتى هلكت المواشي والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حاله مختف من قومه بموضع يساق له فيه الرزق ويأتيه حيثما كان وقد عرفه بذلك قومه فكانوا اذا وجدوا ريح الخبز في بيت قالوا لقد دخل الياس هذا المكان فيطلبوه ويلقى منهم أهل ذلك المكان شرا قال ابن عباس أصاب بني اسرائيل القحط ثلاث سنين متواليات فمر الياس بعجوز فقال لها هل عندك طعام فقالت نعم شئ من دقيق وزيت قليل فجاءته بشئ من الدقيق والزيت فدعا فيهما بالبركة ومسهما فبارك الله في ذلك حتى ملأت جرابها دقيقا وملأت خوابيها زيتا فلما رأى بنو اسرائيل ذلك عندها قالوا لها من أين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا ووصفته بصفته فعرفوه وقالوا لها ذلك الياس ثم انهم طلبوه فوجدوه فهرب منهم الى الجبال والله أعلم

((قصة اليسع عليه السلام))

ثم ان الياس اتى الى بيت امرأة من بني اسرائيل لها ابن يسمى اليسع بن اخطوب وكان به ضر فآوته واخفت أمره فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه فكان يذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد أسن وكبر وكان اليسع غلاما شابا ثم ان الله تعالى أوحى الى الياس عليه السلام انك قد أهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص سوى بني اسرائيل من البهائم والدواب والهوام والشجر والنبات بحبس المطر عن بني اسرائيل فيزعمون والله أعلم ان الياس قال رب دعني أكون الذي أدعوا لهم وآتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذي أصابهم لعلهم يرجعون عما هم عليه من عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل وقال لهم ويلكم انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وقد هلكت البهائم والدواب والطير والشجر والنبات بحبس المطر عنكم بخطاياكم وانكم على باطل وغرور فان كنتم تحبون ان تعلموا أن أصنامكم التي تدعونها من دون الله لن تغني عنكم شيأ فاخرجوا باصنامكم هذه فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم انكم على باطل وغرور فنزعتم عنها ودعوت الله تعالى لكم ان يفرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء قالوا أنصفت فخرجوا ومعهم أوثانهم فدعوها فلم تستجب لهم ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا الياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا الله الياس ومعه اليسع عليهما السلام بالفرج مما هم فيه وان يسقوا فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون اليها فاقبلت نحوهم وطبقت عليهم الافق ثم أرسل الله عليهم المطر فأغاثهم وأحييت بلادهم قال فشكوا الى الياس هدم الجدران وعدم البذر وقالوا اليبست لنا حبوب فأوحى الله تعالى اليه ان يأمرهم بان يبذروا الملح في الارض ففعلوا فأنبت الله لهم منه الحمص وأمرهم أن يبذروا الرمل فأنبت الله لهم منه الدخن فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم ولم يقلعوا عن ضلالتهم وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى الياس ذلك دعا ربه ان يريحه منهم فقيل له انتظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا وكذا فاذا جاءك شئ فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع بن أخطوب حتى اذا كانا بالموضع الذي أمر بالخروج اليه أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرني به فقذف اليه كساءه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة على استخلافه اياه على بني اسرائيل وذهب الياس وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش

وكان

السماء ويقول يا من لا تنفعه الطاعات ولا تضره المعاصي هب لي ما لا ينفعك واغفر لي ما لا يضرك فلما أحرم الناس ولبوا قلت له لم لا تلبي فقال يا شيخ أخاف ان أقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك لا أسمع كلامك ولا أنظر اليك ثم مضى وغاب عن بصري فما رأيته الا بمنى وهو يبكي ويقول ان الحبيب الذي يرضيه سفك دمي دمي حلال له في الحل والحرم والله لو علمت روحي بمن عشقت لقامت على رأسها فضلا عن القدم يا لائمي لا تلمني في محبته لو كنت عاينت منه الذي عاينت لم تلم يطوف بالبيت قوم لو بجارحة لله طافوا لاغناهم عن الحرم ضحى الحبيب بنفسي يوم عيدهم والناس ضحوا بمثل الشاة والغنم للناس حج ولي حج الى سكني تهدي الاضاحي وأهدي مهجتي ودمي ثم قال اللهم ان الناس ذبحوا وتقربوا اليك بضحاياهم وهديهم وليس لي شئ أتقرب به اليك سوى نفسي فتقبلها مني ثم شهق شهقة فخر ميتا رحمة الله تعالى عليه واذا بقائل يقول هذا

وكان أشمئيا ملكا سماويا أو رسولا ... من بعد لا ... معاني في تلك ... عليه السلام

وبعثه نبيا ورسولا الى بني اسرائيل وأوحى الله تعالى اليه وأنزل عليه ... الناس ... بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه ويرجعون الى رأيه وأمره ... حكم الله تعالى فيهم ... الى أن فارقهم البيع

(أخبرنا) أبو عبد الله الحسين بن محمد الحافظ عن عبد العزيز بن أبي داود قال ان الخضر والياس عليهما السلام يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام (وأخبرني) ابن فيحويه عن رجل من أهل عسقلان أنه كان يمشي بالاردن عند نصف النهار فرأى رجلا فقال يا عبد الله من أنت فقال أنا الياس قال فوقعت علي رعدة شديدة فقلت له ادع الله لي أن يرفع عني ما أجده حتى أفهم حديثك وأعقل عنك قال فدعا لي بثماني دعوات وهي يا بر يا رحيم يا حنان يا منان يا حي يا قيوم ودعوتين بالسريانية لم أفهمهما وقبل بهما يا هيا شراهيا فرفع الله عني ما كنت أجده ووضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين يدي فقلت له أيوحى اليك اليوم فقال منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولا فانه لا يوحى الي قال فقلت له فكم من الانبياء اليوم أحياء قال أربعة اثنان في الارض واثنان في السماء أما اللذان في السماء فعيسى وادريس عليهما السلام وأما اللذان في الارض فالياس والخضر عليهما السلام قلت كم الابدال قال ستون رجلا خمسون منهم من لدن عريش مصر الى شاطئ الفرات ورجلان بالمصيصة ورجل بعسقلان وسبعة في سائر البلدان كلما أذهب الله واحدا منهم جاء بآخر مكانه وبهم يدفع الله عن الناس البلاء وبهم يمطرون قلت فالخضر أين يكون قال في جزائر البحر فقلت هل تلقاه قال نعم قلت أين قال بالموسم قلت فما يكون حديثكما قال يأخذ من شعري وآخذ من شعره قال وكان ذلك حين جرى بين مروان بن الحكم وبين أهل الشام القتال قلت فما تقول في مروان بن الحكم قال رجل جبار عات على الله تعالى والقاتل والمقتول والشاهد في النار قلت فاني قد شهدت ولم أطعن برمح ولا رميت بسهم ولم أضرب بسيف وأنا أستغفر الله من ذلك المقام ان أعود الى مثله أبدا قال أحسنت فهكذا فكن قال فبينما أنا واياه قاعدان اذ وضع بين يديه رغيفان أشد بياضا من الثلج فأكلت أنا وهو رغيفا وبعض الآخر ثم رفعت رأسي وقد رفع باقي الرغيف الآخر فما رأيت أحدا وضعه ولا رأيت أحدا رفعه قال وله ناقة ترعى في وادي الاردن ورفع رأسه اليها فلما دعاها جاءت وبركت بين يديه وركبها فقلت له اني أريد أن أصحبك قال انك لا تقدر على صحبتي قال فقلت له اني خلو لا زوجة لي ولا عيال قال تزوج واياك والنساء الاربع الناشزة والمختلعة والملاعنة والبرزة وتزوج ما بدا لك من النساء قال فقلت اني أحب أن ألقاك قال اذا رأيتني فقد لقيتني اني أعتكف في بيت المقدس في شهر رمضان ثم حالت بيني وبينه شجرة فوالله ما أدري كيف ذهب وهذا آخر القصة

((مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام))

قال الله تعالى واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين قال مجاهد لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل فجمع الناس ثم قال من يتكفل لي بثلاث استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام اليه رجل شاب تزدريه العيون فقال أنا فرده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الثاني فسكت الناس وقام ذلك الرجل وقال أنا أعمل ذلك فاستخلفه قال فلما رأى ابليس ذلك جعل يقول للشياطين عليكم بفلان فأعياهم فقال دعوني واياه فأتاه في صورة شيخ كبير فقير حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام بالليل والنهار الا تلك النومة فدق ابليس الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم ففتح الباب فجعل يقص عليه القصة ويقول ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى حضر وقت الرواح وذهبت القائلة فقال له اذا رحت فأتني آخذ ذلك بحقك فانطلق وراح الى مجلسه فلما جلس جعل ينظر أيرى الشيخ فلم يره وقام يتبعه فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وأخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا فقال

سبحانه الله ... الله ... قال ... الله قال ... بالتراب ... تلك الليلة ... فرأيته في المنام وعليه ... من السندس والاستبرق فقلت ما فعل الله بك فقال قبلني كما قبل بالشهداء يوم بدر فهم قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بسيف الملك العزيز الجبار قال فتعجبت منه رضي الله تعالى عنه ((وحكي عن البهلول رضي الله عنه)) انه قال بينما أنا في يوم من الايام مار في شوارع البصرة فاذا صبيان يلعبون بالجوز واللوز واذا بصبي ينظر اليهم وهو يبكي فقلت في نفسي هذا الصبي يبكي تحسرا على ما في أيدي هؤلاء الصبيان ولا شيء معه فتقدمت اليه وقلت له يا ولدي ما يبكيك أشتري لك من ذلك ما تلعب به مع الصبيان قال فرفع الصبي رأسه وقال يا قليل العقل ما للعب خلقنا فقلت له يا ولدي فلماذا خلقنا فقال للعلم والعبادة فقلت له من أين لك هذا بارك الله فيك فقال من قوله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون قال البهلول فتعجبت من كلام الصبي على صغر سنه فقلت له يا ولدي أراك حكيما فعظني فأنشد يقول شعرا
أرى الدنيا تجهز بانطلاق

أنا الشيخ المظلوم ففتح له وقال له ألم أقل لك إذا قعدت فأتني فقال إنهم أخبث قوم إذا عرفوا أنك قاعد يقولون نحن نعطيك حقك وإذا قمت جحدوني قال فانطلق فإذا رحت فأتني وفاته القائلة فراح وأكل فجعل ينظر فلا يراه فشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فإنه قد شق علي النوم فلما كانت تلك الساعة جاء فلم يأذن له أحد فلما أعياه نظر فإذا كوة في البيت فتسور منها فإذا هو في البيت وإذا هو يدق الباب من داخل فاستيقظ الرجل وقال يا فلان ألم آمرك أن لا تأذن لأحد علي فقال أما من قبلي فلم تؤت فانظر من قبل من أتيت فقام إلى الباب فإذا هو مغلق كما أغلقه وإذا الشيخ معه في البيت فقال له أتنام والخصوم ببابك فعرفه فقال له يا عدو الله ما أنت إلا على هذه الفعال فقال له إنك أعييتني في كل شيء أردت بك ففعلت ما ترى لأغضبك فعصمك الله مني فسمي ذا الكفل لأنه تكفل بأمر فوفى به (أخبرنا) ابن فنجويه قال حدثنا عمر بن المفضل عن أبي هاشم أخبرنا ابن الفضل قال أخبرنا الأعمش عن عبد الله بن عبد الله الرازي عن سعيد عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين لم أحدث به سمعته منه أكثر من سبع مرات يقول كان في بني إسرائيل رجل يقال له ذو الكفل لا ينزع عن ذنب عمله فاتبع امرأة فأعطاها ستين دينارا على أن تعطيه نفسها فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت وبكت فقال لها ما يبكيك فقالت من هذا الفعل فإني ما فعلته قط فقال لها أكرهتك قالت لا ولكن حملتني عليه الحاجة فقال لها اذهبي فهي لك ثم إنه قال والله لا أعصي الله بعدها قط أبدا فمات من ليلته فقيل مات ذو الكفل فوجدوا على باب داره مكتوبا إن الله تعالى قد غفر لذي الكفل * وقال أبو موسى الأشعري إن ذا الكفل لم يكن نبيا وإنما كان عبدا صالحا تكفل بعمل رجل صالح وكان يصلي لله تعالى في كل يوم مائة صلاة فأحسن الله عليه الثناء وقيل هو إلياس وقيل هو زكريا والله أعلم بالصواب

(مجلس في قصة عيلي وشمويل وهو إسمعيل بالعبرانية وقصة التابوت وخبر طالوت وجالوت وهذه قصة كبيرة تشتمل على أبواب كثيرة)

قال الله تعالى ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل الآية

(فصل في سياق الآية ومقدمة القصة)

قال وهب بن منبه لما نبأ الله تعالى اليسع بعد إلياس عليهما السلام واستخلفه على بني إسرائيل وكان فيهم ما شاء الله أن يكون ثم قبضه الله تعالى إليه وخلف فيهم الخلوف عظمت فيهم الخطايا وكان عندهم التابوت يتوارثونه كابرا عن كابر فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون وكانوا لا يلقاهم عدو فيقدموا التابوت ويرجعوا به معهم إلا هزم الله تعالى ذلك العدو وكان الله تعالى قد بارك لهم في أرزاقهم فكان أحدهم فيما يذكرون يجمع التراب على صخرة ثم يبذر فيه الحب فيخرج الله له ما يأكله منه هو وعياله ويكون لأحدهم الزيتونة فيعصر منها ما يأكل هو وعياله سنة فلما كثرت أحداثهم وعظمت ذنوبهم وتركوا ما عهد الله إليهم سلط الله عليهم العمالقة وهم قوم كانوا يسكنون غزة وعسقلان وساحل البحر ما بين مصر وفلسطين وكان جالوت الملك فيهم فظهروا على بني إسرائيل وغلبوهم على كثير من أراضيهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين غلاما وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم وبقوا على اضطراب من أمرهم واختلاف من حالهم يتمادون أحيانا في غيهم وضلالتهم فسلط الله تعالى عليهم من ينتقم له منهم ليرجعوا إلى التوبة أحيانا ويكفيهم الله شر من بغى عليهم حتى بعث الله فيهم طالوت ملكا ورد عليهم توراتهم فانتظم أمرهم واستوثق ملكهم وكان مدة ما بين وفاة يوشع بن نون التي آل أمر بني إسرائيل في بعضها إلى الساسة منهم وفي بعضها إلى غيرهم ممن يقهرهم ويتملك عليهم إلى أن ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة إليهم بشمويل النبي عليه السلام أربعمائة سنة وستين سنة وكان آخر من ملكهم في هذه المدة رجل يقال له إيلاف وكان يدبر أمرهم في ملكه شيخ

[illegible]
ولا حي على الدنيا باق
كأن الموت والحدثان فيها
إلى نفس الفتى فرسا سباق
فلا مغرور بالدنيا رويدا
فما أحد انفلت بالوثاق
قال ثم رمق بطرفه إلى السماء
وأشار إليها بكفه ودموعه
تجري على خده وخر
مغشيا عليه فرفعت رأسه
إلى حجري ومسحت التراب
عن وجهه فلما أفاق قلت
يا ولدي ما نزل بك وأنت
صبي صغير ولم يكن عليك
ذنب فقال إليك عني يا بهلول
فإني رأيت أمي توقد النار
في صغار الحطب قبل الكبار
فقلت لها لم لا توقدين النار
في الكبار فقط فقالت
يا ولدي لا توقد الكبار إلا
بالصغار وإني أخشى أن
أكون من صغار حطب
جهنم قال البهلول فغشي علي
ساعة وانصرف الغلام من
بين يدي فلما أفقت نظرت
إلى الصبيان فلم أر الصبي
بينهم فسألتهم من يكون
ذلك الصبي فقالوا أوما عرفته
فقلت لا فقالوا هذا من
أولاد الحسين بن علي بن
أبي طالب رضوان الله
تعالى عليهم أجمعين ونفعنا
بهم وبأنفاسهم الطاهرة
(وحكي عن حبيب العجمي
رضي الله تعالى عنه) أنه
قال كان لي زوجة سيئة
الخلق كنت أخشاها السوء

كبير فقال له عيلى الكاهن كان صبرهم وصلاحهم قبل أيامهم وكانوا التوراة الى ... من وقت ... أمرهم ... بعث الله شمويل نبيا

﴿ والقول في أمر شمويل وبعثه نبوته صلى الله على نبينا وعليه وسلم ﴾

قال وهب بن منبه كان لابي شمويل امرأتان احداهما عجوز عاقر لم تلد له ولدا وهي أم شمويل والاخرى قد ولدت له عشرة أولاد وكان لبني اسرائيل عيد من أعيادهم أقاموا فيه شرائطه وقربوا القرابين يحضر أبو شمويل وامرأتاه وأولاده العشرة ذلك العيد فيأكلون ويأخذ كل واحد منهم نصيبا وكان لام الاولاد عشرة أنصباء وللعجوز نصيب واحد فعمل الشيطان بينهما ما يعمل بين الضرائر من الحسد والبغي فقالت أم الاولاد للعجوز الحمد لله الذي كثر ولدي وقلل ولدك فوجدت العجوز وجدا شديدا فلما كان عند السحر عمدت الى متعبدها فقالت اللهم بعلمك وسمعك كانت مقالة صاحبتي واستطالتها على بنعمتك التي أنعمتها عليها وأنت ابتدأتها بالنعمة والاحسان فارحم ضعفي وارزقني ولدا تقيا رضيا واجعله لك ذخرا في مسجد من مساجدك يعبدك ولا يكفرك ويطيعك ولا يجحدك فاذا رحمت ضعفي ومسكنتي وأجبت دعوتي فاجعل لي علامة أعرف بها قبول دعائي فلما أصبحت حاضت وكانت قبل ذلك قد يئست من الحيض فجعله الله علامة لما سألته فألم بها زوجها فحملت وكتمت أمرها ولقي بنو اسرائيل في ذلك الوقت من عدوهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم فكانوا يسألون الله تعالى أن يبعث لهم نبيا يشير عليهم ويجاهدون عدوهم معه وكان سبط النبوة قد هلك ولم يبق الا تلك المرأة الحبلى فلما علموا بحملها تعجبوا من أمرها وقالوا ما حملت هذه الا بنبي لان اليائسات لا يحملن الا بالانبياء كسارة امرأة ابراهيم عليه السلام حملت باسحق وايشاع امرأة زكريا حملت بيحيى عليه السلام فأخذوها وحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها فجعلت المرأة تدعو الله تعالى أن يرزقها ولدا ذكرا فولدت غلاما وسمته شمويل تقول سمع الله دعائي فلما شب الغلام أسلمته ليتعلم التوراة فكفله عيلى وتبناه فلما بلغ الغلام الوقت الذي يبعثه الله فيه نبيا أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ عيلى الكاهن وكان لا يأمن عليه أحدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا شمويل فقام الغلام فزعا مرعوبا الى الشيخ وقال يا أبتاه أدعوتني فكره الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فرجع الغلام فنام ثم دعاه جبريل ثانيا فأتبعه الغلام وقال أدعوتني يا أبتاه فقال الشيخ ما شأنك قال أما دعوتني قال لا فقال شمويل فاني سمعت صوتا في البيت وليس فيه غيرنا فقال له الشيخ ارجع فتوضأ وصل فانك ان دعيت باسمك فأجب وقل لبيك أنا طوعك فأمرني بما شئت أفعل ما تأمرني به ففعل ذلك الغلام فنودي ثالثة فقال لبيك أنا طوعك فأمرني بامرك أفعل ما تأمرني به فظهر له جبريل عليه السلام فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله سبحانه عز وجل قد بعثك فيهم نبيا وان الله قد ذرأك يوم ذرأك للنبوة ورحم وحدة أمك ذلك اليوم الذي تاهت عليها ضرتها فيه فلا أحد اليوم أشد منها عضدا ولا مؤلا فانطلق الى عيلى فقل له انك كنت خليفة الله على عباده ودينه فقمت زمانا بأمره ما كان كتابه محافظا على حدوده فلما امتدت مدتك ورق عظمك وذهبت قوتك وفني عمرك وقرب أجلك وصرت أفقر ما يكون الى الله تعالى ولم تزل فقيرا اليه عطلت الحد وجرت بين الخصوم وعملت بالرشا والمصانعات وأضعفت حكم الحق حتى عز الباطل وأهله وذل الحق وحزبه وظهر المنكر وخفي المعروف وفشا الكذب وقل الصدق وما كان الله عاهدك على هذا ولا عليه استخلفك فبئس ما ختمت به عملك والله لا يحب الخائنين بلغه هذه الرسالة وقم بعده بالخلافة فلما بلغه شمويل هذه الرسالة فزع وجزع وكان السبب فيما عاتب الله عبده عيلى ووبخه عليه انه كان له ابنان شابان فأحدثا شيئا في القربان لم يكن فيه وذلك انه كان مساوط القربان الذي كانوا يسوطونه به كلاليب فما أخرجا كان للكاهن الذي كان يسوطه فجعل ابناه كلاليب فأوحى الله الى شمويل أن انطلق الى عيلى فقل له منعك حب الولد أن تزجر ابنيك أن يحدثا في قرباني وان يعصياني فلانزعن الكهانة منك ومن ولدك

خلفها فقالت لي ونحن في الايام اذا لم يقع عليك ولد ندخل الينا ولا أراك تجيئنا قال فخرجت من عندها الى الجبانة فبقيت بها حتى وما قصرت أصلي الى العشاء ثم أتيت الى البيت خلا من لونها مشغول القلب من أمرها فلما دخلت البيت قامت علي وقالت أين أجرتك التي أتيت بها فقلت لها ان الذي استأجرني كريم واستحيت أن أستعجله في الاجرة قال فسكتت عني فكنت على ذلك الحال أياما وأنا أذهب الى الجبانة وأصلي الى الليل وأرجع فلما طال عليها الحال قامت علي وقالت اطلب أجرتك منه أو أجر نفسك لغيره فصبر على ذلك ووعدتها بان أفعل ذلك ثم خرجت الى عادتي فلما جاء الليل رجعت الى منزلي خائفا منها فلما وصلت البيت رأيت دخانا ومائدة منصوبة وزوجتي فرحة مسرورة فتعجبت من ذلك فلما دخلت البيت أتت زوجتي وقالت ان الذي استأجرك بعث الينا ما يبعث الكرماء الى الفقراء وقال رسوله الذي جاء بهذا قولي لحبيب يجد في العمل فان مستأجره لا يؤخر الاجرة بخلا ولا عدما فيه فرعينا وطيب نفسا ثم ذهبت الى بيت آخر في الدار وأحضرت منه أكياسا مملوءة دنانير ذهبا

ولا هاتكتلنوا ايامهما فأخبر شمويل عيلى ففزع فزعاشديدا وثار اليهم بعد وهم ومن حولهم فأمر عيلى ابنيه أن يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو نخرجا وأخرجا معهما التابوت فلما تأهبوا للقتال جعل عيلى يتوقع ماذا صنع القوم فجاءه رجل وهو قاعد على كرسيه فأخبره بان الناس قد انهزموا وان ابنيك قد قتلا قال فما فعل بالتابوت قال ذهب به العدو قال فشهق ووقع على قفاه من كرسيه فمات فلما بلغ ملكهم ايلاف الخبر أن التابوت قد سلب وان عيلى قد مات فمات كمدا فلما مات الامير والوزير وأخذ التابوت مرج أمر بنى اسرائيل واختل واجترأ عليهم عدوهم فقالوا لشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله وذلك بعد ما دبر شمويل أمرهم عشر سنين فلما نالهم الذل والهوان والقتل والسبى من عدوهم بشؤم معصيتهم سألوا نبيهم شمويل أن يبعث لهم ملكا يقاتلون معه فى سبيل الله وانما كان قوام أمر بنى اسرائيل بالاجتماع على الملك واطاعة الملك للانبياء وكان الملك هو الذى يسير بالجيوش ويقاتل العدو وكان النبى منهم هو الذى يقيم له أمره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من عند الله تعالى (قال وهب بن منبه) بعث الله شمويل نبيا فلبثوا أربعين سنة فى أحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فسألوا شمويل عليه السلام أن يبعث لهم ملكا فذلك قوله تعالى ألم تر الى الملا من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله يعنى شمويل وهو بالعبرانية اسمعيل بن بالى بن علقمة بن ماجد بن عموصا ابن الهو بن صون بن علقمة صاحب عموصا بن عزريا وقال مجاهد هو شمويل بن هلفا ولم ينسبه أكثر من ذلك وقال مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام فقال لهم نبيهم هل عسيتم ان كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا فأجابوا بما قص الله فى كتابه وقالوا ومالنا أن لا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا الآية فلما أخذ شمويل عليهم الميثاق على الطاعة والجمعة والجهاد سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكا

((ذكر قصة الملك طالوت واتيان التابوت وحرب جالوت وما يتعلق به))

قال الله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآية قال المفسرون ان شمويل لما قالوا له ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكا فأتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذى يكون ملكا طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذى فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذى فى القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم ثم انهم قاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا أمثالها وكان طالوت بطولها واسمه بالسريانية شادل وبالعبرانية شاول بن قيش بن أفيل بن صارور بن نحورت بن أفيح بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام وكان رجلا دباغا يعمل الادم (قال وهب بن منبه) كان يدبغ الجلود وعكرمة والسدى يقولان كان سقاء يستقى على حمار له من النيل فضل حماره فخرج فى طلبه قال وهب بن منبه بل ضاعت حمر لابى طالوت فأرسله وغلاما له يطلبانها فمر ببيت شمويل عليه السلام فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبى وسألناه فى أمر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا فيها بخير فقال نعم فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له شأن الحمر اذ نش الدهن فى القرن فقام شمويل وقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال له شمويل قرب رأسك الى ودهنه بدهن القدس ثم انه قال له أنت ملك بنى اسرائيل وقد أمرنى ربى أن أملكك عليهم فقال طالوت أنا فقال نعم قال أوما علمت ان سبطى أدنى أسباط بنى اسرائيل قال بلى قال أوما علمت ان بيتى أدنى بيت فى بنى اسرائيل قال بلى قال فبأى آية قال بآية انك ترجع وقد وجد أبوك الحمر فكان كذلك ثم ان شمويل قال لبنى اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قال مجاهد أميرا على الجيش فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال وانما قالوا ذلك لانه كان فى بنى اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة وكان سبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب ومنهم موسى وهرون وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنهم داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من سبط النبوة ولا من سبط المملكة وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا عملوا ذنبا عظيما كانوا ينكحون النساء على ظهر

الطريق

ذلك وقلت لها أتدرين من بعث الشئ اليك فقالت الذى استأجرك قلت لها والله هذه الاجرة من كريم بيده خزائن السموات والارض قال فلما سمعت ذلك تغير لونها وارتعدت وتابت الى الله تعالى مما كان منها وأقسمت أن لا تعود الى ذلك أبدا رحمة الله تعالى عليها ونفعنا بهم أجمعين ((وحكى عن عطاء بن الازرق رضى الله تعالى عنه)) أنه قال دفعت الى زوجتى درهمين لاشترى بهما دقيقا ولم يكن عندنا شئ نقتات به فى ذلك اليوم فخرجت الى السوق لشراء الدقيق فرأيت مملوكا فى السوق يبكى فقلت له ما يبكيك فقال يا سيدى ان مولاى دفع الى درهمين لاشترى له بهما شيأ فسقطا من يدى وأخاف أن أرجع له خائبا فيضربنى قال عطاء فرفقت عليه ودفعت له الدرهمين فأخذهما ومضى الى حاجته ثم توجهت الى المسجد فصرت أصلى الى وقت المغرب وانتظرت شيأ فلم يفتح على بشئ فخرجت من المسجد عند الغروب وجلست فى السوق على دكان صديق لى وكان نجارا فلما رأى الجراب معى قال خذ هذه النجارة فى جرابك تحمى بها التنور قال فأخذت منه شيأ من النشارة فى

الطريق نهارا فغضب الله عليهم ونزع النبوة والملك منهم فلما قال لهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا انكروا ذلك لانه كان من ذلك السبط فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ومع ذلك انه فقير لم يؤت سعة من المال فقال لهم شمويل ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم بالحرب والجسم يعنى بالطول فى قومه والقوة وانما سمى طالوت لطوله ولذلك كان يفوق الناس برأسه ومنكبيه وقال ابن كيسان بالجمال وكان طالوت أجمل رجل فى بنى اسرائيل وأعلمهم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم قالوا فما آية ذلك قال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الآية

((قصة التابوت وصفته وابتداء أمره الى انتهائه))

قال أهل التفسير وأصحاب الاخبار ان الله تعالى أهبط تابوتا على آدم عليه السلام من الجنة حين أهبط الى الارض فيه صور الانبياء من أولاده وفيه بيوت بعدد الرسل منهم وآخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم من ياقوتة حمراء واذا هو قائم يصلى وعن يمينه الكهل المطيع مكتوب على جبينه هذا أول من يتبعه من أمته أبو بكر الصديق رضى الله عنه وعن يساره الفاروق وعلى جبهته مكتوب قرن من حديد لا تأخذه فى الله لومة لائم ومن ورائه ذو النورين آخذ بحجزته مكتوب على جبهته بار من البررة ومن بين يديه على بن أبى طالب كرم الله وجهه شاهر سيفه على عاتقه ومكتوب على جبهته هذا أخوه وابن عمه المؤيد بالنصر من عند الله وحوله عمومته والخلفاء والنقباء والكتيبة الخضراء أنصار الله وأنصار رسوله نور حوافر دوابهم يوم القيامة مثل نور الشمس فى دار الدنيا وكان التابوت نحوا من ثلاثة أذرع فى ذراعين وكان من عود الشمشاذ الذى يتخذ منه الامشاط مموه بالذهب وكان عند آدم عليه السلام الى ان مات ثم عند شيث الى أن مات ثم توارثه أولاد آدم الى أن بلغ الى ابراهيم عليه السلام فلما مات كان عند اسمعيل لانه أكبر ولده فلما مات اسمعيل كان عند ولده قيذار فنازعه فيه ولد اسحق وقالوا ان النبوة صرفت عنكم وليس لكم الا هذا النور الواحد يعنى نور محمد صلى الله عليه وسلم فاعطنا التابوت فكان يمتنع عليهم ويقول انه وصية أبى ولا أعطيه لاحد من العالمين قال فذهب ذات يوم ليفتح ذلك التابوت فعسر عليه فتحه فناداه مناد من السماء مهلا يا قيذار فليس لك الى فتح هذا التابوت سبيل انه وصية نبى ولا يفتحه الا نبى فادفعه الى ابن عمك يعقوب اسرائيل الله فحمل قيذار التابوت على عنقه وخرج يريد أرض كنعان وكان بها يعقوب عليه السلام قال فلما قرب قيذار صر التابوت صرة سمعها يعقوب عليه السلام فقال لبنيه أقسم بالله لقد جاءكم قيذار بالتابوت فقوموا نحوه فقام يعقوب وأولاده جميعا فلما نظر يعقوب الى قيذار رحب اليه باكيا وقال يا قيذار مالى أرى لونك متغيرا وقوتك ضعيفة أأرهقك عدو أم أتيت بمعصية بعد أبيك اسمعيل قال ما أرهقنى عدو ولا أتيت معصية ولكن انتقل من ظهرى نور محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك تغير لونى وضعف ركنى قال يعقوب أفى بنات اسحق قال لا ولكن فى العربية الجرهمية وهى الغاضرية فقال يعقوب بخ بخ شرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن الله ليخرجه الا فى العربيات الطاهرات يا قيذار وأنا مبشرك ببشارة قال وما هى قال اعلم ان الغاضرية قد ولدت لك البارحة غلاما قال قيذار وما علمك يا ابن عمى وأنت بأرض الشام وهى أرض الحرم قال يعقوب قد علمت ذلك لانى رأيت أبواب السماء قد فتحت ورأيت نورا كالقمر الممدود بين السماء والارض ورأيت الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة فعلمت ان ذلك من أجل محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان قيذار دفع التابوت الى ابن عمه يعقوب ورجع الى أهله فوجدها قد ولدت غلاما فسماه حملا وفيه نور محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وكان التابوت فى بنى اسرائيل الى أن وصل الى موسى وكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه وكان عنده الى ان مات ثم تداولته أنبياء بنى اسرائيل الى وقت شمويل عليه السلام فوصل الى شمويل وقد تكامل أمر التابوت عنده وكان فيه ما ذكر الله فى كتابه فيه سكينة من ربكم (واختلفوا فى السكينة) ما هى فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه السكينة ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجهها كوجه الانسان وقال مجاهد لها رأس كرأس الهرة وذنب

شاق قلبا عن شمها فلما رجعت الجراب فى البيت ورجعت مسرعا الى صلاة العشاء ثم جلست فى المسجد حتى مضى نصف الليل خوفا منها ثم جئت الى البيت ونظرت من وراء الحائط فوجدتها تخبز خبزا اذا رائحته مفرحة فتعجبت من ذلك وقلت من أين أتاهم هذا ... ثم دخلت وأنا متعجب ثم قلت من أين لكم هذا الخبز فقالوا من الدقيق الذى فى الجراب ثم قالت لى زوجتى من هذا اليوم لا تشتر لنا الا منه لانه دقيق طيب قال فحمدت الله تعالى على لطفه بعباده وكرمه وفضله

((وحكى عن شقيق البلخى رضى الله تعالى عنه))

انه قال خرجت حاجا الى بيت الله الحرام سنة تسع وأربعين ومائة فنزلت القادسية فبينما أنا أنظر الى الناس وزينتهم وكثرتهم اذ نظرت الى فتى من أحسن الناس وجها وهو متوشح بثوب من صوف من فوق ثيابه مشتمل بشملة وفى رجليه نعلان من خوص قد جلس منفردا عن الناس فقلت فى نفسى هذا الفتى من الصوفية يريد ان يكون كلا على الناس فى طريقهم والله لامضين اليه ولاوبخنه فلما دنوت منه فلما رآنى قال يا شقيق ان الله تعالى قال فى كتابه العزيز يا أيها الذين

كتب الهدى ونور وضياء وقال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه عن بعض علماء بني اسرائيل في السكينة رأس هرة كانت اذا صرخت في التابوت صرخة ايقنوا بالنصر وجاءهم الفتح (وروى) السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال هي طشت من ذهب الجنة تغسل فيه قلوب الانبياء (وروى) بكار عن عبد الرحمن عن وهب بن منبه هي روح من الله تكلمهم اذا اختلفوا في شيء فتخبرهم ببيان ما يريدون وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون (قال المفسرون) فيه عصا موسى ورضاض الالواح وذلك ان موسى لما ألقى الالواح تكسرت فرفع بعضها وجمع ما بقي فجعله في التابوت وكان فيه أيضا لوحان من التوراة وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل ونعلا موسى وعمامة هرون وعصاه قالوا وكان التابوت عند بني اسرائيل اذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم فلما عصوا وأفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوهم اياه وذلك في أيام عيلي الكاهن الذي ربي شمويل وقد مضت القصة فيه وكان جالوت يوم سبي قومه التابوت صغيرا فلما ذهب التابوت اختل أمر بني اسرائيل الى أن بعث الله طالوت ملكا فسألوه الآية على ملكه فقال لهم شمويل ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت (وكانت قصة ذلك التابوت) أن القوم الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها أزدود وجعلوه في بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فأصبحوا من الغد واذا الصنم تحته فأخذوه وجعلوه فوقه وسمروا قدمي الصنم على التابوت فأصبحوا من الغد وقد قطعت يد الصنم ورجلاه وأصبح ملقى تحت التابوت فأصبحت الاصنام كلها منكسة فأخرجوه من بيت الاصنام ووضعوه في ناحية من مدينتهم فأخذ أهل تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ان اله بني اسرائيل لا يقوم له شيء فاخرجوه من مدينتكم قال فأخرجوه الى قرية أخرى فبعث الله على أهل تلك القرية فأرا فبيت الرجل صحيحا فيقرضه الفأر فيصبح ميتا وقد أكلت ما في جوفه فأخرجوه منها الى الصحراء ودفنوه في مجرى لهم فكان كل من تبرز هناك أخذه الباسور والقولنج فأخرجوه ووضعوه في بيت فمكث فيهم عشر سنين وسبعة أشهر لا يدنو أحد منه الا احترق وأصابهم في المدينة الآفات والعاهات وفي مواشيهم الموت وفي نسائهم الطاعون فتحيروا وكانت عندهم امرأة من نساء بني اسرائيل من أولاد الانبياء فقالت انكم لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فأتوا بعجلة باشارة تلك المرأة فحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فأقبل الثوران يتبريان ووكل الله بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما فلم يمر التابوت بأرض الا كانت مقدسة فأقبلا حتى وقفا على أرض فيها حصاد لبني اسرائيل فكسرا نيرهما وقطعا حبالهما ووضعا التابوت فيها ورجع الثوران الى أرضهما فلم يدر بنو اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى واجتمعوا على طالوت فذلك قوله تعالى تحمله الملائكة أي تسوقه الملائكة (وقال ابن عباس) جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته في دار طالوت فأقروا بملكه قال الله تعالى ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين قال ابن عباس ان التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية وانهما يخرجان قبل القيامة والله أعلم

((باب في قصة شمويل حين أوحى الله اليه أن يأمر طالوت بالمسير الى قتال جالوت مع بني اسرائيل وصفة نهر الابتلاء))

قال الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر الآية قال فلما أوحى الله الى شمويل عليه السلام أن يأمر طالوت بالمسير الى جالوت من بيت المقدس بالجنود لم يتخلف عنه الا كبير لهرمه أو مريض لمرضه أو ضرير لضره أو معذور لعذره وذلك انهم لما رأوا التابوت قالوا قد أتانا التابوت وهو النصر لا شك فيه فسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لي فيما أرى لا يخرج معي رجل بني بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة مشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج بامرأة ولم يدخل بها ولا يتبعني الا الشاب النشط الفارغ فاجتمع ثمانون ألفا على شرطه فخرج بهم وكان في حر شديد فشكوا قلة المياه بينهم وبين

الاول ان تنقص الذي اراه ثم رأسي بمعصي قلت في نفسي ان هذا الامر عظيم قد تكلم على ما في نفسي واظن باسمي ما هذا الا عبد صالح والله لالحقنه واسئله مما كان مني فاسرعت نحوه فلم الحقه وغاب عن عيني فلما نزلنا واقصة اذا به قائم يصلي واعضاؤه تضطرب ودموعه تجري فقلت هذا صاحبي فمضيت اليه وصبرت حتى فرغ من صلاته واقبلت نحوه فلما رآني مقبلا قال يا شقيق اقرأ قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ثم تركني ومضى فقلت ان هذا الفتى لمن الابدال قد تكلم على ما في سري مرتين فلما نزلنا الى منى اذا بالفتى واقف على البئر وبيده ركوة يريد أن يستقي بها فسقطت الركوة من يده في البئر وأنا أنظر اليه فرمق بطرفه الى السماء وقال

أنت ربي اذا ظمئت من الما ... وقوتي اذا عدمت الطعاما

ثم قال اللهم مالي سواها فلا تعدمني اياها قال شقيق فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها فمد الفتى يده وأخذ الركوة وملأها وتوضأ وصلى أربع ركعات ومال الى كثيب رمل فصار يقبض بيده من ذلك الرمل ويطرحه

عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله تعالى أن يجرى لنا نهرا فقال لهم طالوت بأمر شمويل عليه السلام ان الله مبتليكم بنهر كي يرى طاعتكم وهو أعلم بكم وهو نهر بين الاردن وبين فلسطين عذب فقال لهم فمن شرب منه فليس منى أى من أهل دينى وطاعتى ومن لم يطعمه لم يشربه فانه منى ثم استثنى فقال الا من اغترف غرفة بيده وهو ملء الكف ومن فتح الغين أراد المرة الواحدة فشربوا منه الا قليلا منهم (قال السدى) كانوا أربعة آلاف وقال غيره كانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح يدل عليه حديث البراء بن عازب قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر أنتم اليوم على عدة أصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاوز معه الا مؤمن قال وكانوا يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فمن اغترف غرفة بيده كما أمر الله تعالى قوى قلبه وصح ورجح ايمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه والذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شاطئ النهر وجبنوا عن لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح فلما جاوز النهر مع طالوت القليل الذين ثبتوا معه قالوا يعنى الذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت وقال الذين يظنون أى يعلمون ويوقنون أنهم ملاقوا الله وهم القليل الذين ثبتوا مع طالوت كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله الآية ومروا قاصدين الجهاد

﴿باب فى ذكر أمر داود عليه السلام وخبر جالوت وصفة قتله﴾

قال الله تعالى ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا الى قوله تعالى وقتل داود جالوت قال المفسرون والمخبرون بألفاظ مختلفة ومعان متفقة عبر النهر مع طالوت فيمن عبر ايشا أبو داود ومعه ثلاثة عشر ابنا له وكان داود أصغرهم وأحقرهم فأتى ذات يوم اباه فقال يا أبتاه ما أقذفت بمقلاعى هذه شيأ الا أصبته وصرعته فقال ابشر يا بنى فان الله قد جعل رزقك فى قذافتك يعنى فى مقلاعك ثم أتاه يوما آخر فقال يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فرأيت أسدا رابضا فركبته وقبضت بأذنيه فلم يهجنى فقبضت على فكيه فشطرتهما برأسه وعنقه الى لبته بيدى من غير سكين ولا ضرب بحديد وتراه هناك مقتولا فقال له أبوه أبشر يا بنى فان هذا خير أعطاكه الله ثم أتاه يوما آخر وقال يا أبتاه انى لأمشى بين الجبال فأسبح فما يبقى جبل الا سبح معى قال أبشر يا بنى فان هذا خير أعطاكه الله وسيكون لك شأن عظيم قال فلما وصلت غزاة بنى اسرائيل مع طالوت الى عسكر جالوت أرسل جالوت الى طالوت أن ابرز الى أو ابرز الى من يقاتلنى فان قتلنى فلكم ملكى وان قتلته فلى ملككم فشق ذلك على طالوت فنادى فى عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتى وناصفته ملكى فهاب الناس قتال جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم شمويل عليه السلام فدعا الله تعالى فى ذلك فأتى بقرن فيه دهن القدس وشبه تنور من حديد وقيل له ان الذى يقتل جالوت هو الذى يوضع هذا القرن على رأسه فيغلى الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل فى هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت أشداء بنى اسرائيل وأقوياءهم فجربهم فلم يوافقه منهم أحد فأوحى الله الى شمويل عليه السلام ان فى ولد ايشا من يقتل جالوت وانى أريد أن أجعله خليفة فى الارض من بعدك أعلمه فصل الخطاب وهو راعى الغنم فقل لايشا يعرض عليك بنيه واحدا واحدا فدعا ايشا وقال له اعرض على بنيك فأخرج له اثنى عشر ولدا أمثال السوارى وفيهم رجل بارع فجعل يعرضهم على القرن والتنور فلا يرى شيأ ويقول لذلك الجسيم ارجع فيردده على التنور فأوحى الله تعالى اليه انا لا نأخذ الرجال على صورهم ولكنا نأخذهم على صلاح همهم وقلوبهم فقال لايشا هل بقى لك ولد غيرهم قال لا فقال شمويل يا رب قد زعم انه ليس له ولد غيرهم فقال كذب فقال شمويل يا ايشا ان ربى كذبك فقال صدق الله يا نبى الله ان لى ابنا صغيرا يقال له داود استحييت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته وخلفته فى الغنم يرعاها وهو فى شعب كذا وكذا وكان داود عليه السلام قصيرا سقيما مصفرا أزرق العينين فدعاه طالوت ويقال خرج اليه فوجد الوادى قد حال بالماء بينه وبين الزريبة التى كان يتروح اليها فوجده يحمل الغنم شاتين شاتين

في الركوة وحركها وشربه قال شقيق فأقبلت نحوه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت يا أخى أطعمنى من فضل ما أنعم الله عليك فقال يا شقيق لم تزل نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك ثم ناولنى الركوة فشربت منها فاذا هو سويق وسكر فوالله ما شربت ألذ منه ولا أطيب رائحة فشبعت ورويت وأقمت أياما لم أشته طعاما ولا شرابا ثم مضى فلم أره حتى دخلنا مكة فرأيته ليلة من الليالى وهو فى جنب قبة الشراب وهو قائم يصلى بخشوع وأنين وبكاء فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل فلما رأى الفجر جلس فى مصلاه يسبح الله تعالى ثم قام يصلى صلاة الصبح فلما سلم من الصلاة طاف سبعا ثم خرج فتبعته واذا له حاشية وموال وهو على خلاف ما رأيته فى الطريق ودار به الناس من حوله وهم يسلمون عليه فقلت لبعض من كان بالقرب منه من هذا الفتى فقال هو موسى ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم فى الدنيا والآخرة آمين ﴿وحكى عن أبى عبد الله الجوهرى رضى الله تعالى عنه﴾ أنه قال كنت سنة من السنين فى عرفات فلما جن الليل نمت فرأيت

بعضهم بما السيل ولا يخوض بهم الماء فلما رآه شمويل قال هذا هو لا شك انه هذا الرجل [illegible]
بالناس فدعاه فوضع القرن على رأسه ففاض دهنه فى التنور فلا فلما رأى طالوت ذلك قال لئن قتلت
جالوت لأزوجنك ابنتى وأجرى خاتمك فى مملكتى قال نعم قال فهل لقيت من نفسك شيئا تتقوى به على
قتاله قال نعم أنا أرعى الغنم فيجىء الأسد أو النمر أو الذئب فيأخذ شيئا فأقوم اليه وأقتحمه وأفتح لحييه عنها
وأخرجها الى قفاه فلما سمع طالوت منه ذلك ترده الى عسكره فمر داود عليه السلام فى الطريق بحجر فناداه
يا داود احملنى فانى حجر هرون الذى قتل به ملك كذا وكذا فوضعه فى مخلاته ثم مر بحجر آخر فناداه يا داود
احملنى فانى حجر موسى عليه السلام الذى قتل به ملك كذا وكذا فحمله فى مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال احملنى
فانى حجرك الذى تقتل به جالوت وقد خبأنى الله لك فوضعه فى مخلاته فلما تصافوا للقتال برز جالوت وسأل
المبارزة فانتدب له داود وكان طالوت أعطاه فرسا ودرعا وسلاحا فركب الفرس ولبس السلاح وسار قليلا
فوجد فى نفسه زهوا فانصرف وعاد سريعا الى الملك فقال من حوله جبن الغلام فجاء حتى وقف على الملك
فقال له ما شأنك فقال له داود ان الله تعالى ان لم ينصرنى فما يغنى عنى هذا السلاح شيئا فدعنى أقاتل كما أريد
فقال له طالوت افعل ما تريد فأخذ داود عليه السلام مخلاته فتقلدها وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت
وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة وزنها ثلثمائة رطل حديدا
وكان له فرس أبلق مثله فى الشدة والقوة وعظم الخلق فلما برز جالوت الى داود ألقى الله تعالى فى قلبه الرعب
فقال له أنت تبرز الى قال نعم وكان جالوت راكبا على فرس أبلق وعليه السلاح التام فقال له يا بنى تأتينى
بالحجر بالمقلاع كما يؤتى الكلب بالحجر قال نعم أنت أشر من الكلب قال لا جرم لأقسمن لحمك بين سباع الأرض
وطير السماء فقال داود بسم الله ويقسم الله لحمك بين السباع وطير السماء وأخذ حجرا منها وقال بسم الله اله
ابراهيم ووضعه فى مقلاعه وأخذ حجرا ثانيا وقال بسم الله اله اسحق ووضعه فى مقلاعه ثم أخرج ثالثا وقال
بسم الله اله يعقوب ووضعه فى مقلاعه قال فصارت الاحجار الثلاث كلها حجرا واحدا وأدار المقلاع ورمى به
فسخر الله الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة فخالط دماغه وخرج من قفاه وقتل من وراءه ثلاثين رجلا
ويقال انه من بعد ما خرج من قفاه تكسر وتفتت باذن الله تعالى حتى عم جميع جنود جالوت فلم يبق منهم
أحد الا وقد أصابته منه قطعة ومثل ذلك صار كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين حثا الحثوة من
التراب فانهزم الجيش وخر جالوت قتيلا وأسرع داود عليه السلام اليه فحز رأسه وانتزع من يده خاتمه
وأقبل برأسه يجره حتى ألقاه بين يدى طالوت ففرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى مدينتهم سالمين
غانمين بحمد الله رب العالمين

(ذكر بقية قصة طالوت وما كان منه الى داود عليه السلام بعد قتل جالوت)

قالوا لما قتل داود جالوت ذكر الناس داود وعظم فى أنفسهم فجاء داود الى طالوت وقال له أنجز لى
ما وعدتنى وأعطنى امرأتى فقال له طالوت أتريد ابنة الملك بغير صداق اجعل صداقا لابنتى وشأنك بها فقال
داود لطالوت ما شرطت على صداقا وليس لى شىء فتحكم فى الصداق بما تريد وأقرضنى مهرها وعلى الاداء
والوفاء لك به فقال طالوت أصدقها نصيبك من الملك فقال له بنو اسرائيل لا نطاله وأنجز له ما وعدته فلما رأى
طالوت ميل بنى اسرائيل الى داود وحسن ثنائهم عليه وقال لا حاجة لابنتى فى المال ولا أكلفك ما لا تطيق
أنت رجل جرىء وفى جبالنا أعداء من المشركين فانطلق فجاهدهم فاذا قتلت منهم مائتى رجل وجئتنى
برؤسهم زوجتك ابنتى فأتاهم داود عليه السلام وجعل كلما قتل منهم رجلا احتز رأسه ونظمه فى خيط
حتى نظم رؤسهم ثم جاء بهم الى طالوت وألقاهم بين يديه وقال له ادفع الى امرأتى فزوجه امرأته وأجرى
خاتمه فى مملكته فمال الناس الى داود عليه السلام وأحبه بنو اسرائيل وأكثروا من ذكره فوجد طالوت من
ذلك فى نفسه فأراد قتله (قال وهب بن منبه) كانت الانبياء والملوك يومئذ يتوكؤن على العصى ويغرزون
فى أطراف العصى أزجة من حديد وكان داود عليه السلام جالسا فى ناحية البيت فدخل طالوت فرماه

بالعصا

[illegible] على هذا المنزل فى هذه السنة من الحاج قال ستمائة ألف نفس فقال قبل الله تعالى منهم غير ستة أنفس فهممت أن ألطم وجهى وأنوح على نفسى فقال له ما فعل الله بالباقى الجميع قال نظر الله اليهم حتى لا يخيب سعيهم فوهب لكل واحد من الستة مائة ألف فغفر الله بستة أنفس لستمائة ألف نفس وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم قال عبد الله فحمدت الله تعالى وزال ما كان عندى [illegible] حكى عن الشيخ أبى الفوارس شاه ابن الشجاع الكرمانى عفا الله عنه أنه قال خرجت يوما للصيد والنزهة وكنت يومئذ ملك كرمان فأمعنت النظر فى صيد رأيته وسرت فى طلبه حتى وقعت فى برية مقفرة ولم يكن عندى من عسكرى أحد فبينما أنا كذلك اذا شاب جميل الخلقة راكب على سبع وحوله سباع كثيرة فلما رأتنى السباع ابتدرت الى فزجرها الشاب فأخرت عنى فسلم على وقال يا شاه ما هذه الغفلة عن الله تعالى اشتغلت بدنياك عن أخراك وبلذتك عن خدمة مولاك انما أعطاك الدنيا لتستعين بها على خدمته فجعلتها ذريعة الى الاشتغال عنه

يا ابنة انشقت له بها ضربا حتى أحس داود بذلك فحول رأسه وأصل ضربه من خمر فانصرف من مكانه
فاذكرت الحكاية في المدينة فقال له داود أردت قتلي قال له طالوت لا بل أردت أن أمتحن بأنك تحتمل
الطعان ورباطة جأش الابرار فقال له داود عليه السلام أمتحنته على ما قدرته في قال نعم ولكن الامتحان
فرغت قال له داود اتق الله أن تكون الا الله ولا أمثالا الا السنة ولا يدفع الشر الا الخير ثم ان داود أمر بعضهم من الجند أن
يرجمها مرة منكرة وقال له انت لي كاتب لك فاتني طالوت بابنته فقال له أتشهد لك بالله وبحرمته
المصاهرة التي بيني وبينك وما كان هذا القول من داود عن قصد قتل طالوت ولكن كان مقال تخويف
وتهديد فقال داود لطالوت ان الله قد كتب في التوراة جزاء السيئة سيئة مثلها واعتدوا والبادي أظلم
قال طالوت أفلا تقول قولها بسل لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا باسط يدي اليك لاقتلك اني أخاف
الله رب العالمين فقال داود اني قد عفوت عنك لوجه الله تعالى فلبث طالوت زمانا ثم أراد قتل داود عليه
السلام فعزم على أن يأتيه ويقتله في داره فأخبرت بذلك بنت طالوت زوجة داود أخبرها رجل يقال له
ذو العينين فقالت لداود انك لمقتول الليلة قال ومن يقتلني قالت أبي قال وهل أجرمت جرما قالت حدثني
من لا يكذب ولا عليك بأس أن تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال لئن كان أراد ذلك لا أستطيع
خروجا ولكن ائتيني بزق من خمر فأتته به فوضعه في مضجعه على السرير وسجاه ودخل تحت السرير قال
فدخل طالوت نصف الليل وأراد أن يقتل داود فلم يجده فقال لابنته أين بعلك فقالت هو نائم على السرير
فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال رحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر وخرج فلما
أصبح علم انه لم يفعل شيأ فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لخليق أن لا يدعني حتى يدرك ثأره مني
ثم انه استكثر حجابه وحراسه وأغلق دونه الابواب قال فأتى داود ذات ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله
عنه الحجاب وفتح الله له الابواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند
رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج فلما استيقظ طالوت وجد السهام فعرفها فقال رحم الله
داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما أنا بالذي
آمنه فلما كانت الليلة القابلة أتاه داود ثانيا وأعمى الله عنه أعين الحجاب فدخل وهو نائم على فراشه
فأخذ ابريق طالوت الذي كان يتوضأ منه وكوزه الذي كان يشرب به وقطع شعرات من لحيته وشيأ من
هدب ثيابه ثم خرج وهرب وتوارى فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وشدد في طلبه فلم
يقدر عليه ثم ان طالوت ركب ذات يوم فوجد داود عليه السلام يمشي في البرية فقال طالوت في نفسه
اليوم أقتل داود أنا راكب وهو ماش وكان داود اذا فر لم يدرك فركض طالوت في أثره واشتد داود في
الجري فدخل غارا فأوحى الله الى العنكبوت فنسجت عليه بيتا فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء
العنكبوت قال لو كان ههنا لخرق بيت العنكبوت فتركه ومضى فلما مضى خرج داود من الغار وانطلق
الى الجبل مع المتعبدين فجعل يتعبد فيه فطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت
لا ينهاه أحد عن قتل داود الا قتله فجعل يقتل العلماء فلم يكن يقدر في بني اسرائيل على عالم يطيق قتله
الا قتله ولم يكن يحارب جيشا الا هزمه حتى أتى بامرأة تعلم الاسم الاعظم فأمر خبازه بقتلها فرحمها الخباز
وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ووضع الله في قلب طالوت التوبة فندم على ما فعل وأقبل على البكاء
حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكي وينادي أنشد الله عبدا يعلم لي توبة الا أخبرني بها
فلما أكثر عليهم بكاؤه ناداه مناد من القبور يا طالوت أما ترضى انك قتلتنا أحياء حتى تؤذينا أمواتا فازداد
حزنا وبكاء فرحمه الخباز فقال له مالك أيها الملك فقال هل تعلم لي في الارض عالما أسأله هل لي من توبة فقال
له الخباز أيها الملك هل تدري ما مثلك قال لا قال ما مثلك الا كمثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير
منه فقال لا تتركوا في هذه القرية ديكا الا ذبحتموه فلما أراد أن ينام قال لاصحابه اذا صاح الديك
فايقظونا حتى ندلج فقيل له وهل تركت ديكا يسمع صوته وأنت هل تركت عالما في الارض فازداد حزنا

فلما سمعت ذلك منه طاش
عقلي ودهشت في نفسي
فبينما هو يحدثني اذ خرجت
عجوز بيدها كوز فيه ماء
فتناوله الشاب منها وشرب
ودفع الباقي الى قشريته
فما رأيت أحسن من ذلك
ولا أحلى منه ثم غابت
العجوز عن عيني فتعجبت
من ذلك وقلت للشاب من
أين هذه العجوز فقال يا شاه
هذه الدنيا وقد وكلها الله
تعالى على خدمتي فكلما
احتجت الى شيء حضرت لي
به حين يخطر ببالي ثم قال
يا شاه أما بلغك ان الله تعالى
لما خلق الدنيا قال لها يا دنيا
من خدمني فاخدميه ومن
خدمك فاستخدميه قال
شاه فلما رأيت ذلك وسمعته
منه تركت الدنيا وتزهدت
عن الملك وتبت الى الله من
وقتي واشتغلت بخدمة
مولاي وخالقي ولله الحمد
على ذلك اللهم انا نسألك
التوبة والتوفيق آمين
((وحكي عن بعض الاكراد
ممن كان يقطع الطريق
وينهب الاموال)) أنه قال
بينما أنا وأصحابي قد خرجنا
لقطع الطريق وأخذ أسباب
الناس اذ انتهينا الى مكان
فيه ثلاث نخلات فواحدة
منها ليس عليها ثمر
والنخلتان عليهما الثمر
فنظرت فاذا بعصفور يحمل
رطبا من النخلة المثمرة الى
النخلة التي ليس عليها ثمر
ففعل ذلك عشر مرات
فتعجبت منه ثم نظرت

فلما رأى الخباز ذلك قال أرأيتك ان دللتك على عالم أمالك تقتله قال لا فتوثق منه بالأيمان وأخبره ان المرأة العالمة عنده فقال له انطلق بنا اليها أسألها هل لي من توبة وكانت تعلم الاسم الاعظم وكان انما يعلم هذا الاسم أهل بيت لها قد ذهب رجالهم وعلمت نساؤهم فلما بلغ طالوت الباب قال له الخباز انها ان رأتك فزعت منك ثم جعلها خلفه ودخل على الخباز فقال ألست أعظم الناس عليك منة أنجيتك من القتل وآويتك عندي قالت بلى قال فان لي اليك حاجة هذا طالوت يسأل هل له من توبة فلما سمعت ذكره غشي عليها من الفرق فلما أفاقت قال لها انه لا يريد قتلك ولكن يسألك هل له من توبة قالت لا والله ما له من توبة ولكن هل تعلمون قبر شمويل عليه السلام قالوا نعم قالت فانطلقوا بنا الى قبره فلما وصلوا اليه صلت عنده ركعتين ثم انها نادت ياصاحب القبر فخرج شمويل عليه السلام من القبر ينفض التراب عن رأسه فلما نظر الى الثلاثة المرأة والخباز والملك فقال لهم أقامت القيامة قالوا لا ولكن هذا طالوت يسألك هل له من توبة فقال له شمويل مافعلت ياطالوت بعدى قال لم أدع شيأ من الشر الا فعلته وقد جئت أطلب التوبة قال كم لك من ولد قال عشرة رجال قال ما أعلم لك من توبة الا أن تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك تجاهد في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم انك تقاتل حتى تقتل آخرهم ثم رجع شمويل عليه السلام الى القبر فسقط ميتا ورجع طالوت أحزن ما يكون وخاف أن لا يتابعه ولده فبكى حتى ذهبت أشفار عينيه ونحل جسمه فدخل عليه أولاده فقال لهم أرأيتم لو دفعت الى النار أكنتم تفدوني قالوا نعم نفديك بما قدرنا عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا فاعرض علينا مقالتك فذكر لهم القصة فقالوا وانك لمقتول بعدنا قال نعم قالوا لا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذى سألت فتجهز بأولاده الى الغزو وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد بعدهم فقاتل حتى قتل فجاء قاتله الى داود يبشره بقوله له قد قتلت عدوك فقال داود ما كنت بالذي تحيا بعده فضرب عنقه

(مجلس في خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها) قال الله تعالى ياداود انا جعلناك خليفة في الارض الآية قالت العلماء باخبار الانبياء لما استشهد طالوت أتى بنو اسرائيل الى داود فاعطوه خزانة طالوت وملكوه على أنفسهم وذلك بعد قتل داود جالوت بسبع سنين ولم تجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد بعد يوشع بن نون الا على داود عليه السلام فذلك قوله عز وجل وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة الآية

((باب في ذكر نسبه))

هو داود بن ايشا بن عوفيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون بن عمينوذب بن رم بن حصرون بن بارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين

((باب في ذكر صفته وحليته))

أخبرني الحسن بن محمد الدينوري باسناده عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زرقة العينين يمن وكان داود عليه السلام أزرق العينين أحمر الوجه دقيق الساقين سبط الشعر أبيض الجسم طويل اللحية فيها جعودة حسن الصوت والخلق طاهر القلب نقيه

((باب في ذكر ماخص الله تعالى به نبيه داود عليه السلام من الفضل والكرامات حين أعطاه الله النبوة والملك))

(فمنها) انه أنزل عليه الزبور بالعبرانية مائة وخمسين سورة في خمسين منها ذكر ما يكون من بختنصر وأهل بابل وفي خمسين منها ذكر ما يلقون من الروم من أهل ارون وفي خمسين منها موعظة وحكمة ولم يكن فيها حلال ولا حرام فذلك قوله تعالى وآتينا داود زبورا (ومنها) الصوت الطيب والنغمة الطيبة اللذيذة والترجيع والالحان ولم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوته وكان يقرأ الزبور بسبعين لحنا بحيث يعرق المحموم ويفيق المغمى عليه وكان اذا قرأ الزبور برز الى البرية فيقوم وتقوم معه علماء بني اسرائيل خلفه وتقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس وتقوم الشياطين خلف الجن وتدنو

الوحوش

وقالت هذه جنة أمرنيها يقيناها فلما أعطاها الله تعالى سخرتها عصفورا يقوم لها بالقوت وأنا عبد من عباده أقامني لقطع الطريق وخيانة السبيل ثم قلت اللهم اني تائب اليك مما كان مني ولا أعود أبدا ثم كسرت سيفي ووضعت التراب على رأسي وناديت الاقالة الاقالة فسمعت قائلا يقول قد أقلناك فأتيت رفاقي فلما رأوني قالوا ما بالك بتلك الحالة فقلت لهم اني كنت مهجورا وصولحت ثم قصصت عليهم ما رأيت فلما سمعوا ذلك قالوا ونحن نصالح كما صولحت فرموا أسلحتهم جميعا وتابوا الى الله تعالى ثم أحرمنا وقصدنا مكة شرفها الله تعالى فمشينا ثلاثة أيام حتى انتهينا الى قرية فيها امرأة عجوز عمياء وكانت من الصالحات فخرجت الينا وقالت أفيكم فلان الكردي فقلنا نعم فأخرجت ثيابا وقالت ان ولدي مات عن قريب وخلف هذه الثياب فجاءني النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال لي أعط هذه الثياب لفلان الكردي هو وأصحابه قال فأخذنا الثياب وسرنا من عندها

الوحوش والسباع وتوحدا بعانقها وظلته الطيور مصيخة وركد الماء الجاري وسكنت الريح وما صنعت المزامير والبرابط والصنوج الا على صوته وذلك ان ابليس لعنه الله حسده واشتد عليه فقال لعفاريته الا ترون ما دهمنا فقالوا مرنا بما شئت فقال انه لا يصرف الناس عن داود الا ما يضاده ويحاذيه في مثل حاله فهيؤا المزامير والعيدان والاوتار والملاهي على اجناس اصوات داود فسمعها سفهاء الناس فمالوا اليها فاغتروا بها ويقال ان داود عليه السلام كان اذا قرأ الزبور بعدما قارف الذنب لا تقف له الماء ولا تصغي له الوحوش ولا البهائم ولا الطيور كما كانت قبلها ونقصت نغمته فقال الهي ما هذا فأوحى الله تعالى اليه فقال انس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود ان الخطيئة هي التي غيرت صوتك وحالك فقال الهي أوليس قد غفرتها لي قال بلى ولكن ارتفعت الحالة التي بيني وبينك من الود والقرب فلن تدركها أبدا (أخبرنا) أبو سعيد بن أحمد بن حمدون عن وهب بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خفف الله على داود القرآن فكان يأمر بدوابه أن تسرج فكان يقرأ القرآن قبل أن تسرج دابته وكان لا يأكل الا من عمل يده قال الاستاذ الامام أراد بالقرآن الزبور وبالاسناد أخبرنا أبو بكر الجوزقي عن أبي موسى الاشعري قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود فقلت أما والله يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا (وأخبرنا أبو بكر) قال أخبرنا أبو العباس بالاسناد عن البراء بن عازب قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوت أبي موسى فقال كأن صوت هذا من صوت آل داود (ومنها) تسخير الجبال والطير له يسبحن معه اذا سبح كما قال الله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد وقوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ويقال ان داود عليه السلام كان اذا تخلل الجبال فسبح الله تعالى جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح ثم قال في نفسه ليلة من الليالي لاعبدن الله تعالى عبادة لم يعبده أحد بمثلها فصعد الجبل فلما كان في جوف الليل داخلته وحشة فأوحى الله تعالى الى الجبال ان آنسي داود فاصطكت الجبال بالتسبيح والتقديس والتهليل فقال داود في نفسه كيف يسمع صوتي مع هذه الاصوات فهبط عليه جبريل عليه السلام وأخذ بعضده حتى انتهى به الى البحر فوكزه برجله فانفرج له البحر فانتهى به الى الارض فوكزها برجله فانفجرت له الارض فانتهى به الى الحوت فوكزه برجله فانتهى به الى الصخرة فوكز الصخرة برجله فانفلقت فخرج منها دودة تنش فقال له جبريل ان ربك يسمع نشيش هذه الدودة في هذا الموضع (قوله تعالى يسبحن بالعشي والاشراق) قال المفسرون يعني صلاة الضحى وصلاة الاوابين بين العشاءين قال ابن عباس وكان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر والمدر (ومنها) أنه أكرمه الله تعالى بالحكمة وفصل الخطاب فالحكمة هي الاصابة في الامور وأما فصل الخطاب فاختلفوا فيه فقال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن المعنى علم الحكم والنظر في القضاء كان لا يتتعتع في القضاء بين الناس وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هو البينة على من ادعى واليمين على من أنكر (أخبرنا) أبو عبد الله قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذي أعطي داود عليه السلام ما أخبرنا أبو حفص عن الاعمش عن أبي صالح عن كعب الاحبار في قوله وفصل الخطاب قال الشهود والايمان عن الشعبي قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذي أعطي داود أما بعد قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وهو أول من قالها (ومنها) السلسلة التي أعطاها الله تعالى له ليعرف الحق من المبطل في المحاكمة اليه وهو ما روى الضحاك عن ابن عباس قال ان الله تعالى أعطى داود سلسلة موصولة بالمجرة والفلك ورأسها عند محراب داود عليه السلام حيث يتحاكم الناس اليه وكانت قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر ومدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في السماء حادث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحادث ولا يمسها ذو عاهة الا برأ وكان علامة دخول قومه في الدين أن يمسوها بأيديهم ثم يمسحون بأكفهم على صدورهم وكانوا يتحاكمون اليها فمن اعتدى على صاحبه أو أنكر ماله من حق أتى السلسلة فمن كان صادقا محقا مد يده

حتى رجعنا الى مكة والحمد لله على ذلك ويحكى عن الامام أبي القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه أنه قال كنت جالسا ببغداد أنتظر جنازة لاصلي عليها وأهل بغداد في طبقاتهم جلوس ينتظرون ما أنتظره فاذا بفقير عليه آثار النسك والتنسك يسأل الناس فقلت في سري لو عمل هذا عملا يصون نفسه به عن السؤال كان خيرا له فلما انصرفت الى منزلي وكان علي شيء من الورد في الليل من الذكر والصلاة والبكاء وغير ذلك فثقل علي جميعه وسهرت سهرا شديدا ثم غلبني النوم فنمت فرأيت في نومي ذلك الفقير وقد جاؤا به في خوان ممدود وقالوا لي كل لحمه فقد اغتبته وكشفوا لي عن الخوان فقلت أنا ما اغتبته انما قلت في نفسي شيأ فقيل لي ما أنت ممن يرضى منهم بمثل هذا اذهب اليه واستحله مما كان منك قال الجنيد فأصبحت ولم أزل مترددا عليه حتى رأيته في موضع ظاهر البلد وهو يلتقط من الماء ما يتساقط من أوراق البقل فأتيت اليه وسلمت عليه فرد علي السلام ثم قال لا تعد الى مثلها يا أبا القاسم فقلت استغفر الله العظيم فقال اذهب غفر الله لي ولك ثم ولي فلم أره رضي الله تعالى

الى السلسلة فيتناولها ومن كان كاذبا ظالما لم ينلها فكانت فيهم الى أن ظهر فيهم المكر والخديعة فبلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما جاء يستردها أنكرها فتحاكما الى السلسلة فعلم الرجل الذي كانت عنده الجوهرة أن يده لا تنال السلسلة فعمد الى عكازة له فنقرها ثم ضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر معه غريمه عند السلسلة فقال صاحب الجوهرة ان لي عندك وديعة فقال خصمه ما أعرف لك وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده ثم قيل للمنكر قم أنت أيضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة الزم أنت عكازتي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فأخذها وقام الرجل وقال اللهم ان كنت تعلم ان هذه الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه فقرب مني السلسلة فمد يده فتناولها فتعجب القوم وتشككوا فيها وأصبحوا وقد رفع الله تلك السلسلة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا اشتبه عليه الامر بين الخصمين اللذين يتحاكمان اليه يقول ما أحوجكما الى سلسلة بني اسرائيل كانت تأخذ بعنق الظالم فتجره الى الحق جرا (ومنها) القوة في العبادة وشدة الاجتهاد كما قال الله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد يعني القوة في العبادة انه أواب أي تواب مسبح مطيع وكان يصوم يوما ويفطر يوما يصوم النهار ويقوم الليل وما مرت به ساعة من الليل الا وفيها من آل داود قائم يصلي ولا يوم من الايام الا وفيه منهم صائم (ومنها) قوة المملكة كما قال الله تعالى وشددنا ملكه أي قويناه وقرأ الحسن وشددنا ملكه بالتشديد (وقال ابن عباس) كان أشد ملوك الارض سلطانا وكان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل قال السدي كان يحرسه كل ليلة أربعة آلاف رجل (أخبرنا) عبد الله بن حامد عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا من بني اسرائيل تعدى على رجل من عظمائهم فاجتمعا على داود عليه السلام فقال المتعدى ان هذا قد غصبني بقرتي فسأل داود الرجل عن ذلك فجحد وسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر في أمركما فقاما من عنده فأوحى الله تعالى له في منامه أن يقتل الرجل الذي تعدى فقال هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتبين فأوحى الله تعالى اليه مرة أخرى أن يقتله فقال هذه رؤيا فأوحى الله تعالى اليه مرة ثالثة أن يقتله فأرسل داود الى الرجل فقال له ان الله تعالى قد أوحى الي أن أقتلك فقال له الرجل تقتلني بغير ذنب ولا بينة فقال داود نعم والله لأنفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل علي حتى أخبرك اني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني اسرائيل عند ذلك لداود واشتد له ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه ويقال كان داود اذا جلس للحكم كان على يمينه ألف رجل من الانبياء وعن يساره ألف رجل من الاجناد (ومنها) شدة البطش ويروى انه ما فر ولا تحاز من عدو له قط (ومنها) الانة الحديد له وكان سبب ذلك ما روي في الاخبار ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان من عادته أن يخرج الى الناس متنكرا واذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم اليه فيسأله عن داود فيقول له ما تقول في داود واليكم هذا أي الرجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فبينما هو كذلك يوما من الايام اذ قيض الله له ملكا في صورة الآدميين فلما رآه تقدم اليه داود على عادته فسأله فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود ذلك فقال ما هي يا عبد الله قال ان داود يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال فينفق منه ويطعم عياله فألان له الحديد فصار في يده مثل الشمع والعجين والطين المبلول وكان يصرفه بيده كيف يشاء من غير ادخال نار ولا ضرب بحديد وعلمه الله تعالى صنعة الدروع فكان يعمل الدروع وهو أول من عملها وكانت قبل ذلك صفائح ويقال انه كان يبيع كل درع منها بأربعة آلاف درهم فيأكل ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين وذلك قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم وقوله تعالى وألنا له الحديد أن اعمل سابغات أي دروعا كوامل واسعات وقدر في السرد أي لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتكسر الحلق فكان يفعل ذلك حتى اعتقد من ذلك مالا (وروي) أن لقمان الحكيم رأى داود عليه السلام وهو يعمل درعا فتعجب من ذلك ولم يدر ما هو فأراد أن يسأله فسكت

[illegible] أجمعين آمين (وحكي عن الجنيد أيضا رضي الله تعالى عنه) انه قال دخلت الكوفة في بعض أسفاري فرأيت دارا كانت لبعض الرؤساء عليها أثر النعيم وعلى بابها عبيد وغلمان وفي بعض أروقتها جارية تغني وتنشد هذه الابيات

الا يا دار لا يدخلك حزن
ولا يعبث بساكنك الزمان
فنعم الدار أنت لكل ضيف
اذا ما الضيف أعوزه المكان

قال الجنيد فمررت بعد ذلك مدة يسيرة فاذا بذلك الباب مسود والجمع مبدد وقد ظهر عليها كآبة الذل والهوان وعلى ذلك الباب مكتوب هذان البيتان

ذهبت محاسنها وبان شجونها
والدهر لا يبقي مكانا سالما
فاستبدلت من أنسها بتوحش
بعد السرور بها عزاء دائما

قال الجنيد فسألت عن خبرها فقيل مات صاحبها وصار أمرها الى ما ترى قال الجنيد فقرعت الباب الذي كان لا يقدر أحد أن يصل اليه فكلمتني جارية بكلام ضعيف فقلت لها يا جارية أين بهجة ذلك المكان وأنواره وأين شموسه وأقماره وأين قصاده وزواره فبكت الجارية بكاء شديدا وقالت يا شيخ كانوا فيه على سبيل العارية ثم نقلتهم الاقدار

حتى

حتى فرغ داود من نسج الدرع فقام فلبسها وقال نعم القميص هذا للرجل المحارب فخلم لقمان ما راد به فقال الصمت حكمة وقليل فاعله

﴿باب في قصة داود عليه السلام حين ابتلى بالخطيئة وما يتصل بذلك﴾

قال الله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم الآيات اختلف العلماء بأخبار الانبياء في سبب امتحان الله تعالى نبيه داود عليه السلام بما امتحنه الله به من الخطيئة فقال قوم كان سبب ذلك انه تمنى يوما من الايام على ربه تعالى منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب وسأله أن يمتحنه بمثل الذي كان يمتحنهم ويعطيه من الفضل مثل الذي أعطاهم (فروى) السدي والكلبي ومقاتل عن أشياخهم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا كان داود عليه السلام قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوما يقضي فيه بين الناس ويوما يخلو فيه بنسائه ويوما لعبادة ربه وقراءة الكتب وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام فيقول يارب أرى الخير قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فأوحى الله تعالى اليه انهم ابتلوا ببلايا لم يبتل بها احد فصبروا عليها ابتلى ابراهيم عليه السلام بنار النمرود وبذبح ولده وابتلى اسحق بالذبح وابتلى يعقوب بالحزن وذهاب بصره على يوسف وانك لم تبتل بشئ من ذلك فقال داود عليه السلام يارب فابتلني كما ابتليتهم واعطني كما اعطيتهم فأوحى الله تعالى اليه انك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس على الصبر فلما كان في اليوم الذي وعده الله دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي و يقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان وتمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن فوقعت بين يديه فمد يده ليأخذها (وفي بعض الروايات) ليدفعها الى ابن له صغير فلما أهوى اليها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت فوقعت في كوة فذهب ليأخذها وطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فيبعث اليها من يصيدها فنظر الى امرأة في بستان على شط بركة تغتسل هذا قول الكلبي وقال السدي رآها تغتسل على سطح لها فرآها امرأة من أحسن النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فأبصرت ظل داود عليه السلام فنشرت شعرها فغطى بدنها كله فزاده ذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل له هي سابغ بنت شايع امرأة أوريا بن حنان وزوجها في غزاة البلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب داود الى ابن أخته أيوب صاحب بعث البلقاء أن ابعث أوريا الى موضع كذا وكذا وقدمه على التابوت وكان المقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع الى ورائه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعث به ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه داود أيضا أن ابعثه الى غزوة كذا وكان رئيسها أشد منه بأسا فبعثه فقتل في المرة الثانية فلما انقضت عدتها تزوجها داود فهي أم سليمان عليه السلام وقال آخرون انما سبب امتحانه أن نفسه حدثته أنه يطيق قطع يوم بغير مقارفة سيئة وعن الحسن أخبرنا شعيب بن محمد قال ان داود عليه السلام جزأ الدهر أربعة أجزاء يوما لنسائه ويوما لعبادة ربه ويوما لقضاء حوائج المسلمين ويوما لبني اسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه يبكيهم ويبكونه ويسألونه فلما كان يوم بني اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتي على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فأضمر داود في نفسه انه سيطيق ذلك فلما كان يوم عبادة ربه غلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد وانكب على التوراة فبينما هو يقرأ اذ حمامة من ذهب فيها كل شئ حسن قد وقعت بين يديه فأهوى اليها ليأخذها وطارت فوقعت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل فأعجبه خلقها وحسنها فلما رأت ظله في الارض جللت جسدها بشعرها فزاده ذلك اعجابا بها وكان قد بعث زوجها في بعض جيوشه فكتب اليه أن سر الى مكان كذا وكذا مكانا اذا وصل اليه قتل ولم يرجع ففعل فأصيب فخطبها داود وتزوجها وقال بعضهم في سبب ذلك كما أخبرنا قتادة عن الحسن بن محمد أن داود عليه السلام قال لبني اسرائيل حين ملك والله لاعدلن بينكم ولم يستثن فابتلي (وقال أبو بكر) بن محمد بن عمر الوراق كان سبب ذلك أن داود عليه السلام كان كثير العبادة فأعجب بعمله فقال هل في الارض أحد يعمل كعملي فأتاه جبريل عليه السلام فقال

الى دار القرار وهكذا حالة الدنيا ترحل من سكن اليها وتسيء من أحسن اليها قال فقلت لها يا جارية مررت في بعض الاعوام على هذا القصر فسمعت فيه جارية تغني بصوت شجي فمن تلك الجارية قال فبكت وقالت هو أنا ولم يبق أحد من أهل هذه الدار غيري فالويل لمن غرته الدنيا فقلت لها يا جارية كيف يقر بك القرار في هذا الموضع الخراب فقالت يا شيخ ما أعظم جفاك أما علمت أن هذا منزل الاحباب كيف أفارقه ثم جعلت تقول هذه الابيات

قالوا أتفني وقوفا في منازلهم
ونفس مثلك لا يفنى تحملها
فقلت والقلب قد ضجت أضالعه
والروح تنزع والاشواق تبذلها
منازل الحب في قلبي معظمة
وان خلا من نعيم الوصل منزلها
فكيف أتركها والقلب يتبعها
حيا ومن كان قبل الموت ينزلها

قال الحبيب دفنتها ومضيت وازداد قلبي تولها ووقع شعرها في قلبي موقعا وانما أعجبني قولها لانها ذكرت صفة الحب والمحبوب وصدقت في الوصف الذي ذكرته وصبرت على منازل الاحباب وملازمتها على ما هي فيه من شغف الحال

ان الله تعالى يقول أعجبت بعبادتك والعجب يأكل العبادة فان أعجبت ثانيا وكلتك الى نفسك فقال داود يارب كلنى الى نفسى سنة فقال انه لكثير قال فشهرا قال فانه لكثير قال فأسبوعا فقال انه لكثير قال فيوما قال انه لكثير قال فساعة قال فشأنك بها قال فوكل الحراس ولبس الصوف ودخل المحراب ووضع الزبور بين يديه فبينما هو فى نسكه وعبادته اذ وقع الطائر بين يديه وكان من أمر المرأة ما كان قالوا فلما دخل داود بامرأة أوريا لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله تعالى ملكين فى صورة رجلين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهم الحراس ان يدخلا عليه فتسورا المحراب وهو يصلى فما شعر الا وهما بين يديه جالسان فذلك قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم حين هجما عليه فى محرابه بغير اذنه قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط أى ولا تجر ولا تفرط واهدنا الى سواء الصراط أرشدنا الى وسط الطريق المستقيم ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة وهذا من أحسن التعريض حيث كنى بالنعاج عن النساء والعرب تفعل ذلك كثيرا تورى عن النساء وتكنى عنها بألقاب كالظباء والنعاج والبقر وهو كثير فاش فى أشعارهم فقال اكفلنيها وعزنى فى الخطاب قال الضحاك أعطنيها وتحول لى عنها واجعلها كفلى أى نصيبى وعزنى فى الخطاب قال الضحاك يقول ان تكلم كان أفصح منى وان حارب كان أبطش منى فقال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه (قال السدى) باسناده ان أحدهما لما قال ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة قال داود للآخر ما تقول قال ان لى تسعا وتسعين نعجة وله نعجة واحدة فأريد أن آخذها منه وأكمل نعاجى مائة قال وهو كاره قال نعم قال اذا لا ندعك وان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا يعنى طرف الانف وأصل الجبهة فقال الرجل ياداود أنت أحق بضرب هذا منى حيث كان لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لاوريا الا امرأة واحدة فلم تعرضه للقتال حتى قتل وتزوجت امرأته فهذا وجه الآية لا أن داود حكم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر قالوا ثم ان داود نظر فلم ير أحدا فعرف ماقد وقع فيه فذلك قوله تعالى وظن داود أنما فتناه أى ابتليناه وقال سعيد بن جبير انما كانت فتنة داود بالنظر قال الاستاذ رحمه الله تعالى ولم يتعمد داود عليه السلام النظر الى المرأة ولكنه أعاد النظر اليها فصارت عليه وبالا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وعليك الاخيرة فهذه أقاويل السلف الصالحين من أهل التفسير فى قصة داود عليه السلام (وقد روى) الحرث الاعور عن على بن ابى طالب رضى الله عنه أنه قال من حدث بحديث داود عليه السلام على مايرويه القصاص معتقدا صحته جلدته حدين لعظيم ما ارتكب وجليل ما احتقب يعنى ما اكتسب من الوزر والاثم برمى من قد رفع الله محله وأرسله من خلقه رحمة للعالمين وحجة للمجتهدين (وقال القائلون) بتنزيه المرسلين فى هذه القصة أن لا ذنب انما كان تمنى أن تكون له امرأة أوريا حلالا وحدث نفسه بذلك فاتفق له غزوة فأرسل أوريا فقدمه أمام الحرب فاستشهد فلما بلغه قتله لم يجزع عليه ولم يتوجع له كما كان يجزع على غيره من جنده اذا هلك ووافق قتله مراده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهى عظيمة عند الله وقال بعضهم كان ذنب داود أن أوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب فى غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته واغتم لذلك أوريا غما شديدا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها الاول وقد كان عنده تسع وتسعون امرأة ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يبيع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه ومما يصدق ماذكرناه ماقيل عن المفسرين المتقدمين مما أخبرنا به عقيل بن محمد الفقيه المعاورى عن زكريا عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود عليه السلام حين نظر الى المرأة قطع على بنى اسرائيل بعثا وأوصى صاحب البعث اذا حضر العدو وقدم فلانا بين يدى التابوت وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يديه لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم الجيش عنه فقتل زوج المرأة ونزل الملكان ليقصا عليه قصته ففطن داود وسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا يبكى حتى نبت الزرع من دموعه حول رأسه وأكلت الارض

وفقد وأحزان الفراق فسبحان من قهر العباد بكأس الموت (وحكى عن ابراهيم الخواص رضى الله تعالى عنه) أنه قال خرجت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبى صلى الله عليه وسلم فبينما أنا أمشى اذ عارضنى عارض فى طريقى يقتضى الخلوة والخروج عن الطريق الجادة فأخذت طريقا غير الطريق التى كنت ماشيا فيها فصرت أمشى ثلاثة أيام بلياليها ماخطر على ذكر طعام ولا شراب ولا حاجة مطلقا حتى انتهيت الى برية خضراء فيها من كل الثمرات والرياحين ورأيت فى وسطها بحيرة فلما رأيتها قلت هذه جنة وصرت متعجبا فبينما أنا كذلك اذا بنفر قد أقبلوا على سيماهم سيما الآدميين وعليهم المرقعات الحسان وأتوا الى وسلموا على فقلت وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ثم وقع فى خاطرى سؤالهم عن كونهم من الجن أم من الانس فقالوا البقعة بقعة عربية فقال قائل منهم قد جرت بيننا مسئلة واختلفنا فيها ونحن نفر من الجن قد سمعنا كلام الله من نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالى فسلبتنا نغمة كلامه جميع الدنيا وقد قيض الله لنا هذه البحيرة

جبينه وهو يقول في سجوده زلة داود زلة هي أبعد مما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر له ذنبه جعلت ذنبه حديثا في الخلائق من بعده فجاء جبريل عليه السلام بعد اربعين ليلة فقال يا داود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود قد علمت ان الله قادر على أن يغفر الهم الذي هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يحيف فكيف بفلان يعني أوريا اذا جاء يوم القيامة فقال يا رب دمي الذي عند داود قال جبريل ما سألت ربك عن ذلك ولئن شئت لافعلن قال نعم فرجع جبريل عليه السلام وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم نزل فقال قد سألت الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال الله تعالى قل لداود ان الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب فاقول ان لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا عن دمك أخبرنا ابن فنجويه باسناده عن كعب الاحبار عن وهب بن منبه قالوا جميعا ان داود عليه السلام لما دخل عليه الملكان وقضى على نفسه تحولا في صورتهما فعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود أنما افتتنه فخر ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة لابد منها أو صلاة مكتوبة ثم يعود فيسجد تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه تعالى ويسأله التوبة وكان يقول في سجوده سبحان الملك الاعظم الذي يبتلي الخلائق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب الهي خليت بيني وبين عدوي ابليس فلم أتنبه لفتنته اذ نزل بي قدمي سبحان خالق النور الهي تبكي الثكلى على ولدها اذا فقدته ويبكي داود على خطيئته سبحان خالق النور يغسل الثوب فيذهب درنه ووسخه والخطيئة لازمة لي لا تذهب عني سبحان خالق النور الهي لم أتعظ بما وعظت به غيري سبحان خالق النور الهي أمرتني أن أكون لليتيم كالاب الرحيم وللارملة كالزوج العطوف فنسيت عهدك سبحان خالق النور الهي خلقتني وفي سابق علمك كان ما أنا صائر اليه سبحان خالق النور الهي الويل لداود اذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور الهي بأي عين أنظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور الهي بأي قدم أقوم امامك يوم تزل أقدام الخاطئين يوم القيامة من سوء الحساب سبحان خالق النور الهي مضت النجوم وكنت أعرفها بأسمائها فتركتني والخطيئة لازمة لي سبحان خالق النور الهي أمطرت السماء ولم تمطر حولي وأعشبت الارض ولم تعشب حولي بخطيئتي سبحان خالق النور الهي أنا الذي لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور الهي أنا الذي لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهي كنت تستر الخاطئين بخطاياهم وأنت شاهد حيث كانوا سبحان خالق النور الهي رق القلب وجدت العيان من مخافة الحريق على جسدي سبحان خالق النور الهي الطير تسبح لك وأنا العبد الخاطئ الضعيف الذي لم أرع وصيتك سبحان خالق النور الهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصاب ولا علم له بذلك سبحان خالق النور الهي أنا المستغيث وأنت المغيث فمن يدعو المغيث الا المستغيث سبحان خالق النور الهي أسألك بأبي ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب أن تعطيني سؤلي سبحان خالق النور اللهم برحمتك اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواي فانك أرحم الراحمين سبحان خالق النور الهي اني أعوذ بك من دعوة لا تستجاب وصلاة لا تقبل وذنب لا يغفر وعذاب لا يفتر سبحان خالق النور الهي اني أعوذ بك وبنور وجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني سبحان خالق النور الهي فررت اليك من ذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم الدين سبحان خالق النور الهي فرغ ملح عيني وفرعت الدموع وتناثر الدود من ركبتي وخطيئتي ألزم لي من جلدي سبحان خالق النور قال فأتاه النداء أجائع أنت فتطعم أو ظمآن أنت فتسقى أو مظلوم أنت فتنصر ولم يجبه في ذكر خطيئته شيء فصاح صيحة فهاج ما حوله ثم نادى يا رب الذنب الذي أصبته فنودي يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك فلم يرفع رأسه حتى أتاه جبريل عليه السلام فرفعه قال وهب بن منبه ان داود عليه السلام أتاه نداء اني قد غفرت لك فقال يا رب كيف وأنت لا تظلم أحدا فقال اذهب الى قبر أوريا فناده وأنا أسمعه نداءك فتحلل منه قال

في هذه البرية قال ابراهيم فقلت كم بيني وبين أصحابي وهل حضر هذا الموضع غيري فقالوا ان هذا الموضع لم يحضر اليه آدمي قبلك غير شاب من أصحابك توفي هنا وهذا قبره ثم أشاروا الى شفير تلك البحيرة فرأيت قبرا حوله رياحين وروضة خضراء لم أر أحسن منها ثم قالوا أتدري كم بينك وبين أصحابك فقلت الله أعلم فقالوا مسيرة سنة قال ابراهيم فتعجبت من ذلك فقلت أخبروني عن الشاب صاحب هذا القبر فقال قائل منهم بينا نحن قعود على شفير هذه البحيرة نتذاكر المحبة وقاوريها اذا نحن بشخص قد أقبل الينا وسلم علينا فرددنا عليه السلام وقلنا له من أين أقبل الشاب فقال من مدينة سابور فقلنا له متى خرجت منها فقال منذ سبعة أيام فقلنا له وما الذي أزعجك منها وأخرجك من وطنك فقال سمعت قوله تعالى وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون فقلنا له ما معنى الانابة وما معنى التسليم وما معنى العذاب فقال الانابة أن يرجع بك منك اليه ولم يذكر التسليم في الاسلام وانما أراد أن العبد يسلم نفسه لله تعالى ويعلم ان أولى به تحول العذاب

فانطلق داود عليه السلام حتى أتى قبره وقد لبس المسوح فجلس عند قبره ثم نادى يا أوريا فقال لبيك من
هذا الذي قطع على لذتي وأيقظني قال أنا داود قال ما جاء بك يا نبي الله قال جئت أسألك ما كان مني اليك قال
وما كان منك الي قال عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة وأنت في حل فأوحى الله تعالى الى داود عليه
السلام ألم تعلم أني حكم عدل لا أقضي الا بالحق ألا أعلمته انك تزوجت امرأته قال فانطلق داود اليه فناداه
يا أوريا فأجابه فقال من هذا الذي قطع على لذتي قال أنا داود قال يا نبي الله ما جاء بك أليس قد عفوت عنك
قال نعم ولكن انما فعلت بك ذلك الا لمكان امرأتك واني قد تزوجتها قال فسكت أوريا ولم يجبه فدعاه فلم
يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه ثم نادى الويل ثم الويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود
ثم الويل الطويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له اذا نصبت الموازين القسط
ليوم القيامة سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الدائم له حين يؤخذ برقبته ثم يدفع الى المظلوم سبحان
خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق
النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين تقربه الزبانية مع الظالمين الى النار سبحان خالق النور قال فأتاه
النداء من السماء يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك وأقلت عثرتك
قال يارب كيف لي ان تعفو عني وصاحبي لم يعف عني قال يا داود وان يعف أو لم يعف فأنا أعطيه يوم القيامة
مالم تر عيناه ولم تسمع أذناه فأقول له قد رضيت عبدي فيقول يارب من أين هذا ولم يبلغه عملي فأقول هذا
عوض من أجل عبدي داود فأستوهبك منه فيهبك لي فقال داود يارب الآن قد عرفت انك قد غفرت لي
فذلك قوله عز وجل فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وروى
أبو معشر عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس قالا في قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ان أول من
يشرب الكأس يوم القيامة داود عليه السلام (أخبرنا) أبو الحسين بن محمد حدثنا محمد بن علي أخبرنا
بكر بن أحمد بن مقبل أخبرنا عمر بن محمد الشرقي قال النصر الكعبي قال حدثنا أبو سعيد عبد الله المزني
قال حدثنا محمد بن المنكدر عن محمد بن عبد الرحمن بن عوف حدثني أبو سعيد الخدري قال أتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني رأيت الليلة في منامي كأني تحت شجرة والشجرة تقرأ سورة ص
فلما بلغت الشجرة الى السجدة سجدت فسمعتها تقول في سجودها اللهم اكتب لي بها أجرا واحطط عني بها
وزرا وارزقني بها شكرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم أفسجدت أنت يا أبا سعيد قال قلت لا يا رسول الله فقال أنت أحق بالسجدة من الشجرة ثم قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ السجدة فسجد ثم قال مثل قول الشجرة (قال وهب بن منبه) ان داود
عليه السلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا ترقأ له دمعة ليلا ولا نهارا وكان أصاب
الخطيئة وهو ابن سبعين سنة وقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أقسام يعني أربعة أيام يجلس يوما
للقضاء بين الناس ويوما لنسائه ويوما يسيح في الفيافي والجبال والقفار والسواحل ويوما يخلو في داره
وفيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح بعضهم على بعض ويساعدونه على ذلك فاذا كان
يوم سياحته يخرج الى الفيافي فيرفع صوته كالمزامير ويبكي فيبكي معه الشجر والمدر والطير والوحش حتى
يسيل من دموعه مثل الانهار ثم يجيء الى الجبال فيرفع صوته كالمزامير فيبكي وتبكي معه الجبال والحجارة
والدواب والطير حتى تسيل الاودية من بكائهم ثم يجيء الى الساحل فيرفع صوته كالمزامير فيبكي وتبكي
معه الحيتان ودواب البحر والطير والماء والسباع فاذا أمسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى
مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده قال فيدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط
له ثلاث فرش من مسوح حشوها الليف فيجلس عليها وتجيء الرهبان أربعة آلاف راهب عليهم
البرانس وعليهم المسوح وفي أيديهم العصي ثم يجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع صوته بالبكاء والنوح فيرفع
الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى يغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب

فيجيء

ويلح بوجهه عليه وبانت
رحمة الله عليه وبواريته
بالتراب وهذا قبره رضي الله
تعالى عنه قال ابراهيم
فتعجبت عما وصفوه لي فدنوت
الى قبره فوجدت عنده
باقة نرجس كما ذكروا فأخذتها
ومكتوب على ورقة منها
هذا حبيب الله قتيل الغيرة
وعلى ورقة أخرى صفة
الانابة قال ابراهيم فقرأت
لهم ما هو مكتوب على
النرجس وقرأته لهم فوقع
بهم الطرب فلما أفاقوا قالوا
قد وجدنا جواب مسئلتنا
فوقع النوم علي فما انتبهت
الا قريبا من أصحابي بمسجد
عائشة رضي الله تعالى عنها
فوجدت في وطائي باقة
نرجس فكثت معي سنة
كاملة لم تتغير فلما كان بعد
مدة يسيرة فقدتها فتأسفت
عليها أسفا شديدا ورجعت
باكيا حزينا (وحكى عن
بعضهم رضي الله تعالى
عنه) أنه قال رأيت في
منامي كأن أهل القبور قد
خرجوا من قبورهم الى
ظاهر المقبرة فاذا هم
يلتقطون شيأ لا أدري ما هو
فتعجبت من ذلك ورأيت
رجلا منهم جالسا منفردا
وحده لم يلتقط معهم فدنوت
منه فسلمت عليه وسألته
ما الذي يلتقطه هؤلاء فقال
يلتقطون ما يهدي المسلمون
من القراءة والصدقة
والدعاء فقلت له لم لا تلتقط

فجيء ابنه سليمان عليه السلام فجعل يبكي ... الدموع ...
يا رب اغفر لي ما ترى ... دموعه ... أهل الأرض ... (أخبرنا) ابن
فتحويه عن عثمان بن أبي العاتكة قال كان من دعاء داود عليه السلام سبحانك إلهي إذا ذكرت
خطيئتي ضاقت علي الأرض برحبها وإذا ذكرت رحمتك ارتدت الي روحي إلهي أتيت الأطباء
ليداووني فكلهم عليك دلوني وقال صلى الله عليه وسلم ... وجه داود مثل ... في الأرض
(أخبرنا) ابن فتحويه عن الحسن بن عبد الله القرشي قال لما أصاب داود الخطيئة فزع إلى العبادة فأتى
راهبا في قلة جبل فناداه بصوت عال فلم يجبه فلما أكثر عليه الصوت قال الراهب من هذا الذي يناديني
قال أنا داود نبي الله قال صاحب القصور الحسنة ... والخيول المسومة والنساء والشهوات
لئن نلت الجنة بهذا لأنت أنت قال داود فمن أنت قال أنا راهب راغب مترقب قال فمن أنيسك ومن
جليسك قال اصعد تراه إن كنت تريد ذلك قال فتعلق داود بالجبل ورقي إلى القلة فإذا هو بميت مسجى
فقال له هذا أنيسك هذا جليسك قال نعم قال وما هذا قال تلك قصته مكتوبة في لوح من نحاس عند رأسه
فقرأ داود الكتاب فإذا فيه أنا فلان بن فلان ملك الملوك عشت ألف عام وبنيت ألف قصر وألف
مدينة وهزمت ألف عسكر وتزوجت ألف امرأة وافتضضت ألف بكر فبينما أنا في ملكي إذ أتاني ملك
الموت فأخرجني مما كنت فيه فهذا التراب فراشي والدود جيراني قال فخر داود عليه السلام
مغشيا عليه وعن نافع ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يعودون داود عليه
السلام فيظنون أنه مريض وما به إلا الحياء والخوف من الله تعالى (قال وهب بن منبه) لما تاب الله على
داود كان يبدأ إذا دعا فيستغفر للخاطئين قبل نفسه فيقول اللهم اغفر للخاطئين فعسى أن تغفر لداود
معهم (وعن قتادة) عن الحسن قال كان داود بعد الخطيئة لا يجالس إلا الخاطئين ثم يقول تعالوا إلى داود
الخاطئ ولا يشرب شرابا إلا وهو ممزوج بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعته ولا يزال
يبكي حتى يبتل بدموعه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين قال وكان داود
عليه السلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر
كله وقام الليل كله (وقال وهب) ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه قال يا رب أغفرت لي قال نعم قال
فكيف لي أن لا أنسى خطيئتي فاستغفر منها وللخاطئين إلى يوم القيامة قال فوسم الله خطيئته في يده
اليمنى فما رفع بها طعاما ولا شرابا إلا بكى إذا رآها وما قام خطيبا في الناس إلا بسط راحته فاستقبل الناس
ليروا وسم الخطيئة (وأخبرنا) عبد الله بن حامد عن ثابت قال كان داود عليه السلام إذا ذكر عقاب الله
تعالى تخلعت أوصاله ولا يشدها إلا الأنين فإذا ذكر رحمة الله تعالى تراجعت (وعن أبي عبد الله البجلي)
قال ما رفع داود بعد الخطيئة رأسه إلى السماء قط حتى مات صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم تسليما كثيرا
إلى يوم الدين

((باب في ذكر خروج ابن داود على أبيه وما كان من أمرهما))

قال وهب وغيره من أهل الكتب ان داود عليه السلام لم يزل قائما بالملك بعد طالوت إلى أن كان من أمره
وأمر امرأة أوريا ما كان فلما واقع الخطيئة واشتغل بالتوبة منها استخفت به بنو إسرائيل واستضعفوه
واجتمع أهل الزيغ من بني إسرائيل وذهبوا إلى ابن لداود من ابنة طالوت يقال له ايشالون وقيل ايشا
وقالوا له قد كبر أبوك واشتغل بخطيئته وتوبته وضاعت حقوق الناس وضعف أمر الملك فلم يزالوا به حتى
بايعوه وخلعوا داود وعدلوا عنه ودعا هذا الابن إلى نفسه فلما رأى ذلك داود خرج من بين أظهرهم مع ابن
آخر له يقال له يواب وتوغل في الجبال فأشار قومه على ابنه أن يقتل أباه فلما بلغ ذلك داود أرسل إليه رفيقه
وقال له قل له هل سمعت بابن قتل أباه فقال له الابن وهل سمعت أنت بنبي أذنب فلم تقبل توبته فقال له
الرسول إن كان الله تعالى قد أذن لك في هلاكه فلا تباشره أنت فإنه لا يحمل في الآخرة حدوثه ... فقبل
منه ذلك فكف عن قتل أبيه داود وبقي ابنه ملكا سنتين فلما تاب الله على داود صارت الناس تأتيه

منهم فقال أنى على حيّ ذلك
فقلت له بأي شيء أمتحني
قال بحب محمد والذي
يودع الله في كل يوم وليلة
فقلت وأين هو فقال شاب
يبيع الزلابية في السوق
الفلاني قال فاستيقظت من
نومي ذهبت إلى السوق فإذا
بشاب جالس يبيع الزلابية
ويحرك شفتيه فأتيت إليه
وقلت له بأي شيء تحرك
شفتيك فقال بحمد أقرؤها
وأهدي ثوابها الى والدي
في قبره قال فكنت بعد ذلك
مدة من الزمان فرأيت في
بعض الليالي كما رأيت أولا
وهو أن أهل القبور
يلتقطون وإذا بالرجل
يلتقط معهم كما يلتقطون
فاستيقظت متحيرا وذهبت
إلى السوق لأنظر ما فعل
بالشاب فوجدته قد مات
رحمة الله تعالى عليه فسألت
الله تعالى أن يريني مقامات
أهل المقابر فرأيت في نومي
كأن القيامة قد قامت
والقبور قد انشقت فإذا
منهم النائم على السندس
ومنهم النائم على الحرير
والديباج ومنهم النائم على
الريحان ومنهم النائم على
السرير ومنهم الضاحك
ومنهم الباكي فقلت يا رب
لو شئت ساويت بينهم في
الكرامة الواحدة فنادى
مناد من أهل القبور يا هذا
إنما هي منازل الأعمال
وحطات الرجال (فأما)

بخاتم ابيه فهزمه وجرحه في قتاله وقائدا من قواده وارسله ان تتوق حتفه وتلطف في أمر قتله
القائد زهوه فهزمهم فاضطروا الى شجرة فرفض بها وكان الغلام راجحه فتعلق بغصن من أغصانها ثابت عن
فرسه وتبعه القائد فقتل الغلام داود عليه السلام حزن عليه داود حزنا شديدا وشكر القائد وكان
له أمر شديد في ملاقاة العدو فشكره داود أن يقدمه كي لا يحل بجاهدة العدو فلما حضر داود الموت أوصى
ولده سليمان عليهما السلام بقتل القائد فقتله حين فرغ من دفن أبيه وكانت مدة داود من يوم خرج من
ملكه وانقطع عنه الوحي الى أن قبل الله توبته ورد عليه ملكه ورجع الى قومه سنتين

((باب في قصة أصحاب السبت))

قال الله تعالى واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت الآية (قال ابن عباس
ووهب بن منبه) ان قوما من بني اسرائيل سكنوا قرية على شاطئ البحر بين مصر ومدين يقال لها ايلة حرم
الله عليهم صيد الحيتان وسائر العمل يوم السبت وأمرهم ان يتفرغوا العبادته ذلك اليوم وذلك في زمان
داود عليه السلام فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك ويخرجن من الماء
خراطيمهن حتى لا يرى الماء من كثرتهن حتى اذا مضى السبت تفرقن ولزمن مقر البحر لا يرى منهن
الا القليل فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم
الآية (سمعت أبا القاسم) قال سمعت أبي يقول سئل الحسين بن الفضيل هل تجد في كتاب الله الحلال
لا يأتيك الا قوتا والحرام يأتيك جزافا قال نعم في قصة داود عليه السلام وأهل ايلة اذ تأتيهم حيتانهم يوم
سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم قال فعمد رجال منهم فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا اليها من
الانهار فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج بالحيتان الى الحياض ولا تطيق الخروج
منها لبعد عمقها وقلة الماء فاذا كان يوم الاحد أخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون الحبال والشخوص يوم
الجمعة ويخرجونها يوم الاحد قال وكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كثيرا وفي غير يوم السبت لا يأتيهم
حوت واحد فأخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا ثم ربطه الى خشبة في الساحل ثم تركه في الماء الى
يوم الاحد فاخذه فشواه فوجد جاره ريح الحوت فقال له يا فلان اني أجد في بيتك ريح الحوت فانكره فاطلع
الجار في تنوره فاذا هو في بيته فقال له اني أرى الله سيعذبك فلما رأى العذاب لم يأخذه أخذ في السبت
الآخر حوتين فلما رأوا العذاب لا ينزل عليهم أخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا فأثروا وكثرت أموالهم ولم
تنزل عليهم عقوبة فقست قلوبهم وتجبروا وتجرؤا على الذنب وقالوا ما نرى السبت الا قد أحل لنا وانما حرم
ذلك على آبائنا لانهم قتلوا أنبياءهم فلما فعلوا ذلك صار أهل تلك القرية وكانوا نحوا من سبعين ألفا ثلاثة
أصناف صنف أمسكوا ونهوا وصنف أمسكوا ولم ينهوا وصنف انتهكوا الحرمة فكان الذين نهوا اثنى عشر ألفا
فلما أبى المجرمون قبول النصيحة قال الناهون والممسكون والله لنخرجن من القرية ولا نساكنكم في
قرية واحدة ثم قسموا القرية بينهم بجدار ومكثوا على ذلك سنين فلعنهم الله على لسان داود عليه السلام
وغضب عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم والمجرمون لم يفتحوا بابهم ولا
خرج منهم أحد فلما أبطؤا تسوروا عليهم الحائط واذا هم جميعهم قد مسخوا قردة فذلك قوله تعالى فلما نسوا
ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس أي شديد بما كانوا يفسقون
فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين أي صاغرين نظيره قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني
اسرائيل على لسان داود يعني عصاة أهل ايلة وعيسى بن مريم يعني كفار أصحاب المائدة ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون قالوا فلما دخلوا عليهم ورأوا أنهم قد مسخوا عرفت القردة أنسباءهم من الانس ولم تعرف
الانس أنسباءهم من القردة فجعل القرد يأتي نسيبه من الانس فيشم ثيابه ويبكي فيقول له الرجل ألم ننهكم
فيقول القرد برأسه نعم قال قتادة صارت الشباب قردة والشيوخ خنازير فما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم
ثم خرج الممسوخون من المدينة وهاموا على وجوههم متحيرين ومكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا وكذلك

أصحاب المشئمة فهم أهل
البلاء (وأما) أصحاب
الخير والصلاح فهم
السعداء (وأما) أصحاب
الرجاء فهم الصادقون
(وأما) أصحاب المصائب
فهم أصحاب التوبة (وأما)
أصحاب البكاء فهم المذنبون
قال فاستيقظت حين نوى
منكرا فيهم رحمة الله
تعالى عليهم أجمعين ورحمنا
والمسلمين آمين بجاه سيد
المرسلين ((وحكى عن
صالح المري رضي الله تعالى
عنه)) انه قال أقبلت ليلة
جمعة الى الجامع فمررت
على مقبرة فجلست عند
قبر هناك فغلبني النوم
فنمت فرأيت في منامي كأن
أهل القبور قد خرجوا من
قبورهم وقعدوا حلقا
يتحدثون واذا بشاب عليه
ثياب دنسة جالس بجانب
القبر مهموما مغموما وحيدا
بنفسه ثم لم يلبثوا الا
ساعة حتى أقبلت الملائكة
بايديهم أطباق من نور
مغطاة بمناديل من نور
فأخذ كل واحد منهم
طبقا من تلك الاطباق
ودخل في قبره الا هذا
الشاب فتعلقت به وقلت له
يا عبد الله مالي اراك حزينا
وما هذه الاطباق فقال هذه
صدقات الاحياء ودعاؤهم
لموتاهم تأتيهم كل ليلة جمعة
ويومها ثم بكى بكاء شديدا
وذكر أن له والدة قد
اشتغلت عنه بالدنيا

لم يبق قوم مسخوا أكثر من ثلاثة أيام ولم يتوالدوا ولم يتناسلوا ثم بعث الله مطرا وريحا فجرفهم وألقاهم في البحر فاذا كان يوم القيامة أعادهم الله تعالى الى صورهم البشرية فيدخلهم النار (وروى) أبو نضرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أهلك الله قوما ولا قرنا ولا أمة ولا أهل قرية منذ أنزل الله التوراة على وجه الارض غير أهل القرية التي كانت حاضرة البحر الذين مسخوا قردة ألم تسمع قول الله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى الآية

((باب في قصة داود وسليمان عليهما السلام في الحرث))

قال الله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين (قال ابن عباس وقتادة) كان الحرث زرعا وقال ابن مسعود وشريح كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا فأفسدته والنفش بالليل والهمل بالنهار وهما جميعا الرعي بلا راع وكنا لحكمهم شاهدين لا يخفى علينا منه شيء قال ابن عباس وقتادة ان رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال صاحب الزرع ان هذا انفلتت غنمه ليلا فوقعت في حرثي فلم تبق منه شيأ قال له داود اذهب فان الغنم لك فاعطاه رقاب الغنم بالحرث فمرا على سليمان فقال لهما كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا فاخبر بذلك داود فدعاه فقال له كيف كنت تصنع في القضاء بينهما قال كنت أدفع الغنم الى صاحب الحرث سنة فيكون له نسلها وصوفها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لاهل الحرث مثل حرثهم فاذا كان العام المقبل وصار الحرث كهيئته يوم أكل فيدفع الى أهله ويأخذ صاحب الغنم غنمه (وقال) ابن مسعود وشريح ان راعيا نزل ذات ليلة بجنب كرم فدخلت الاغنام الكرم وهو لا يشعر فأكلت القضبان وأفسدت الكرم فصار صاحب الكرم من الغد الى داود فقضى بالاغنام لصاحب الكرم لانه لم يكن بين ثمن الاغنام وثمن الكرم تفاوت قال فمرا بسليمان وهو ابن احدى عشرة سنة فقال لهما ما قضى بينكما داود فقصا عليه القصة فقال سليمان غير هذا ارفق بالفريقين فعاد الى داود فاخبراه بذلك فدعا سليمان وقال له بحق البنوة والابوة الا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الاغنام الى صاحب الكرم لينتفع بنسلها وصوفها ومنافعها ويعمل الراعي في اصلاح الكرم الى أن يعود كهيئته ثم يسلمه صاحبه وترد الاغنام الى صاحبها فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فذلك قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما قال الحسن كان الحكم ما قضى به سليمان ولم يعنف الله داود في حكمه قال الاستاذ وهذا يدل على ان كل مجتهد مصيب

((باب في قصة استخلاف داود ابنه سليمان عليهما السلام وذكر بدء أمر الخاتم))

قال أبو هريرة رضي الله عنه أنزل الله تعالى كتابا من السماء على داود عليه السلام مختوما بخاتم من ذهب فيه ثلاث عشرة مسئلة وأوحى الله تعالى اليه ان سل عنها ابنك سليمان فان هو أخرجها فهو الخليفة من بعدك قال فدعا داود عليه السلام سبعين قسا وسبعين حبرا وأجلس سليمان بين أيديهم وقال يا بني ان الله تعالى أنزل علي كتابا من السماء فيه مسائل وأمرني أن أسألك عنها فان أخرجتها فأنت الخليفة من بعدي فقال سليمان ليسأل نبي الله عما بدا له وما توفيقي الا بالله قال داود يا بني ما أقرب الاشياء وما أبعدها وما آنس الاشياء وما أوحشها وما أحسن الاشياء وما أقبحها وما أقل الاشياء وما أكثرها وما القائمان وما الساعيان وما المشتركان وما المتباغضان وما الامر الذي اذا ركبه الرجل حمد آخره وما الامر الذي اذا ركبه الرجل ذم آخره فقال سليمان عليه السلام أما أقرب الاشياء فالآخرة وأما أبعد الاشياء فما فاتك من الدنيا وأما آنس الاشياء فجسد فيه روح وأما أوحش الاشياء فجسد لا روح فيه وأما أحسن الاشياء فالايمان بعد الكفر وأما أقبح الاشياء فالكفر بعد الايمان وأما أقل الاشياء فاليقين وأما أكثر الاشياء فالشك وأما القائمان فالسماء والارض وأما الساعيان فالشمس والقمر وأما المشتركان فالليل والنهار وأما المتباغضان فالموت والحياة وأما الامر الذي اذا ركبه الرجل حمد آخره فالحلم عند الغضب وأما الامر

وروحت عن كتبه وقال عافاك الله ربي الاسكا والنبت الذي ليس لهم من بعد كرة قال صالح فسألته عن منزل والدته أين هو فوصف لي الموضع فلما أصبحت ذهبت الى بيت والدة الشاب وطرقت عليها الباب فكلمتني من خلف الستر فقصصت عليها القصة فلما سمعت ذلك بكت بكاء شديدا ثم قالت يا صالح خذ هذه الالف درهم فتصدق بها على ولدي وقرة عيني وأنا لم أنسه بقية عمري ان شاء الله تعالى قال صالح فتصدقت عليه بتلك الدراهم فلما كانت الجمعة الاخرى أقبلت أريد المسجد على العادة فأتيت المقبرة وأسندت ظهري الى القبر فنمت فاذا بالناس قد خرجوا من قبورهم واذا بالشاب عليه ثياب بيض وهو فرح مسرور فأقبل نحوي حتى دنا مني وقال جزاك الله عني خيرا يا صالح قد وصلت الهدية قال صالح فقلت له أنتم تعرفون يوم الجمعة فقال نعم وان الطيور يعرفون يوم الجمعة ويقولون ليوم الجمعة سلام سلام اللهم ارحمنا رحمتك واغفر لنا وللمسلمين

((وحكي عن ذي النون المصري رضي الله تعالى عنه)) انه قال بينما أنا سائر في واد من الاودية اذ مررت على واد كثير الاشجار

الذي اذا ركبه الرجل ثم آخره [illegible] عند الغضب قال فذكروا الطعام فاذا [illegible]
من البهما فقال الشيب [illegible] فقالا بالانزعى حتى نساله عن مسائله فان اخرجها فهو خليفته من بعدك
فقال سليمان عليه السلام سلوني فسألوني [illegible] فقالوا ما الشيء الذي اذا صلح صلح كل شيء من الانسان
واذا فسد فسد كل شيء من الانسان فقال هو القلب فقام داود فصعد المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم
قال ان الله تعالى امرني ان استخلف عليكم سليمان قال فضجت بنو اسرائيل وقالوا غلام حدث يستخلف
علينا وفينا من هو افضل منه واعلم فبلغ ذلك داود عليه السلام فدعا رؤساء اسباط بني اسرائيل وقال
لهم انه قد بلغني مقالتكم فاروني عصيكم فاي عصا اثمرت فان صاحبها ولي هذا الامر بعدي قالوا قد رضينا
فجاؤا بعصيهم فقال لهم داود ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه فكتبوا ثم جاء سليمان بعصاه فكتب
عليها اسمه ثم ادخلت بيتا واغلق عليها الباب وشد بالاقفال وحرسه رؤس اسباط بني اسرائيل فلما اصبح
صلى بهم الغداة ثم اقبل ففتح الباب واخرج عصيهم كما هي واما عصا سليمان فقد اورقت واثمرت فالوا
فسلموا الامر في ذلك لداود عليه السلام فلما رأى ذلك داود حمد الله وجعل سليمان خليفته ثم سار في بني
اسرائيل فقال ان هذا خليفتي عليكم من بعدي (قال وهب بن منبه) لما استخلف داود ابنه سليمان
عليهما السلام وعظه فقال يا بني اياك والهزل فان نفعه قليل ويهيج العداوة بين الاخوان واياك والغضب
فان الغضب يستخف بصاحبه وعليك بتقوى الله وطاعته فانهما يغلبان كل شيء واياك وكثرة الغيرة على
أهلك من غير شيء فان ذلك يورث سوء الظن بالناس وان كانوا براء واقطع طمعك عن الناس فان ذلك هو
الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر واياك وما يعتذر منه من القول والفعل وعود نفسك ولسانك
الصدق والزم الاحسان فان استطعت ان يكون يومك خيرا من امسك فافعل وصل صلاة مودع ولا
تجالس السفهاء ولا ترد على عالم ولا تماره في الدين واذا غضبت فالصق نفسك بالارض وتحول من مكانك
وارج رحمة الله فانها وسعت كل شيء (قالوا) ثم ان سليمان بعد ان استخلف اخفى امره وتزوج بامرأة
واستتر عن الناس واقبل على العلم والعبادة ثم ان امرأته قالت له ذات يوم بابي انت وامي ما اكمل خصالك
واطيب رائحتك ولا اعلم لك خصلة اكرهها الا انك في مؤنة ابي فلو دخلت السوق فتعرضت لرزق الله
لرجوت ان لا يخيبك الله فقال سليمان اني ما عملت عملا قط ولا احسنه ثم انه دخل السوق صبيحة يومه
ذلك فلم يقدر على شيء فرجع فاخبرها فقالت غدا يكون ان شاء الله فلما كان اليوم الثاني مضى حتى انتهى
الى ساحل البحر فاذا هو بصياد فقال له هل لك ان اعينك وتعطيني شيئا قال نعم قال فاعانه فلما فرغ اعطاه
الصياد سمكتين فاخذهما وحمد الله تعالى ثم انه شق بطن احداهما فاذا هو بخاتم في بطنها فاخذه وصره في
ثوبه وحمد الله عز وجل واخذ السمكتين وجاء بهما الى منزله ففرحت امرأته بذلك فاخرج الخاتم ولبسه في
اصبعه فعكفت عليه الطير والريح ووقع عليه بهاء الملك ثم لم يلبث ابوه ان مات فلما مات حمل المرأة واباها
الى اصطخر والله اعلم

((باب في ذكر وفاة داود عليه السلام))

(قال الشيخ أبو يزيد) سمعت الشيخ أبا عمرو الفارابي يروي ان داود عليه السلام كانت له وصيفة تغلق
الابواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح ثم تنام ويقبل داود على ورده في العبادة فاغلقت ذات ليلة الابواب
وجاءت بالمفاتيح ثم ذهبت لتنام فرأت رجلا قائما في وسط الدار فقالت له ما ادخلك هذه الدار فان صاحبها
رجل غيور فخذ حذرك فقال لها انا الذي ادخل الدور على الملوك بغير اذنهم قال فلما سمع داود ذلك وكان
في المحراب واقفا يصلي فزع واضطرب وقال لها علي به فاتاه فقال له داود ما ادخلك هذه الدار في هذا الوقت
بغير اذن فقال له انا الذي ادخل الدور على الملوك بغير اذن فقال له اذا فانت ملك الموت قال نعم قال أجئت
داعيا أم ناعيا فقال بل ناعيا فقال داود عليه السلام فهلا أرسلت الي قبل ذلك وآذنتني لاستعد للموت
فقال كم أرسلت اليك فلم تنتبه قال ومن كانت رسلك التي أرسلت الي فقال يا داود أين أبوك ايشا وأين
أمك وأين أخوك وأين جارك أين قهارمتك أين فلان وفلان فقال ماتوا كلهم فقال أما علمت انهم رسلي

الملك

[illegible]
[illegible] وفهمت
[illegible] مالي [illegible]
قال فتبعت الصوت حتى
أفضى بي باب مغارة فاذا فيها
رجل من أهل التعبد
والاجتهاد وهو يقول
سبحان من أوصل الفهم الى
عقول ذوي البصائر فهي
لا تعتمد الا عليه سبحان من
أورد حياض المودة نفوس
أهل المحبة فهي لا تحن الا
اليه ثم أمسك فقلت السلام
عليك يا حليف الاحزان
وقرين الاشجان فقال
عليك السلام يا ذا النون
ما الذي أوصلك الى من
أفرده خوف المسألة عن
الانام فاشتغل بمحاسبة
نفسه عن التلفظ بالكلام
قال ذو النون فقلت له
أوصلتني اليك الرغبة في
الصفح والاعتذار والتماس
المواهب من قلوب
المقربين الابرار فقال
الرجل يا فتى ان لله سبحانه
وتعالى عبادا اقدح في قلوبهم
زند الشغف ونار الاسف
فارواحهم لشدة فرحها
تسرح في رياض الملكوت
وتنظر الى دخوانها في حجب
الجبروت قال ذو النون
فقلت له يا سيدي صفهم لي
فقال أولئك هم قوم آووا
الى كهف رحمته وشربوا
من كؤس شراب محبته
وخلوا بمنادمة أنسه ثم
أنشد يقول

الطيران الموت قد سلمت (وقال الاستاذ رضي الله عنه) وفي هذا المعنى قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه
لا يزال المرء يبني آماله حتى يكون وفاء عمره زيارة القبور فتطول الوحشة ويعود بطامه بمصر الشعر فقال

وإذا أتيت الى القبور زيارة * فاعلم بأنك بعدها محمول
وإذا وليت أمور قوم ليلة * فاعلم بأنك عنهم معزول

وقال أهل التاريخ كان عمر داود عليه السلام مائة سنة وكانت مدة ملكه أربعين سنة وقد مضى في قصة آدم ومقارضته داود من عمره عليهما السلام

﴿مجلس في قصة سليمان عليه السلام وما يتعلق به﴾

قال الله تعالى وورث سليمان داود يعني نبوته وحكمته وعلمه وملكه دون سائر أولاده وكان لداود عليه السلام تسعة عشر ابنا (وقال مقاتل) كان سليمان عليه السلام أعظم ملكا من أبيه داود وأقضى منه وكان داود عليه السلام أشد تعبدا من ابنه سليمان وكان سليمان حين آتاه الله الملك والحكمة ابن ثلاث عشرة سنة وكان ملكه ما بين الشام الى اصطخر وقيل انه ملك الارض كلها (وروى) مجاهد عن ابن عباس قال ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان عليه السلام وذو القرنين وأما الكافران فالنمروذ بن كنعان وبختنصر

﴿باب في صفة حليته عليه السلام﴾

(قال وهب بن منبه وكعب الاحبار) كان سليمان أبيض جسيما وضيئا جميلا كثير الشعر يلبس من الثياب البياض وكان خاشعا متواضعا يخالط المساكين ويجالسهم ويقول مسكين جالس مسكينا وكان أبوه في أيام ملكه يشاوره في كثير من أموره مع صغر سنه ووفور عقله وعلمه صلى الله على نبينا وعليه وسلم

﴿باب فيما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه من أنواع المناقب والمواهب وغير ذلك﴾

قال الله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقال الله تعالى اخبارا عنه رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي انك أنت الوهاب فأجاب الله دعاءه وأكرمه بخصائص لم يكرم بها أحدا من خلقه قبله ولا بعده (فمنها) تسخير الله له الريح كما قال عز وجل فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب أي أراد بلغة حمير (قال) محمد بن اسحق وغيره من أصحاب الاخبار كان سليمان عليه السلام رجلا غزاء لا يكاد يقعد عن الغزو وكان لا يسمع بملك في ناحية من الارض الا أتاه حتى يذله ويقهره وكان اذا أراد الغزو أمر بعسكره فيضرب له خشب ثم ينصب له على الخشب سرير ثم يحمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها حتى اذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فحملته حتى اذا استقلت أمر الرخاء فمرت به شهرا في غدوته وشهرا في روحته الى حيث أراد كما قال تعالى ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وقال ابن اسحق ذكر لي أن رجلا نزل منزلا من ناحية الدجلة فوجد فيه كتابا مكتوبا كتبه بعض أصحاب سليمان اما من الجن أو من الانس نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون ان شاء الله تعالى فبائتون الشام قال وكان فيما بلغني تمر بعسكره الريح الرخاء تهوي به الى حيث أراد وانها لتمر بالمزرعة فلا تحركها وأخبرنا الحسن بن محمد بن فنجويه باسناده عن وهب بن منبه عن أبيه قال ان سليمان عليه السلام ركب الريح يوما فمر بحراث فنظر اليه الحراث وقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما فحملت الريح كلامه وألقته في أذن سليمان عليه السلام فنزل حتى أتى الحراث وقال له اني سمعت قولك وانما مررت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ان تسبيحة واحدة يقبلها الله منك خير مما أوتي آل داود فقال له الحراث أذهب الله همك كما أذهبت همي (وقال مقاتل) نسجت الشياطين لسليمان عليه السلام بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من الذهب

قد كان داود نبيا فأمته وكان ابن حنين فلا ... لرؤيته وكان ابن قلب ... وكان ابنا سيدي بالطور أرى به ... عبدك أخفى سيدي ... لو شئت قبل الموت أطلعته ثم قال عظمنا الله تعالى سيدي ثم أخفى ... وفعهم ... قال ذو النون فقلت سيدي أوصني بوصية أنتفع بها فقال عليك بتقوى الله في السر والعلانية فان من أحبه الله شوقه الى لقائه فاته يوما يتجلى فيه على أوليائه ثم غاب عن بصري فلم أره نفعنا الله تعالى به وبعلومهم ومددنا من مددهم آمين (وحكي عن الواسطي رضي الله تعالى عنه) انه قال بينما أنا سائر في البادية اذ رأيت اعرابيا جالسا منفردا بنفسه فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام فأردت أن أكلمه فقال اشتغل بذكر الله تعالى فان ذكره شفاء القلوب ثم قال كيف يفتر ابن آدم عن خدمة خالقه ورازقه وكيف يشتغل عن ذكره والموت في أثره وكيف يستعين بغيره وهو ناظر اليه ثم بكى فبكيت معه شفقة عليه ثم قلت له يا حبيبي ما لي أراك وحيدا فقال ما أنا وحيد والله معي وما أنا بفريد والواحد مؤنسي ثم قام ومضى مسرعا

والقصب وتقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلهم الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليهم الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومسيرة شهر من الرواح الى الصباح (أخبرنا) ابن فنجويه باسناده عن محمد بن كعب القرظي قال بلغنا ان عسكر سليمان عليه السلام كان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون منها للوحوش وخمسة وعشرون منها للطيور وكان له ألف بيت من القوارير على الخشب فيها ثلثمائة سرية وسبعمائة امرأة فيأمر الريح العاصفة فتحمله ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله تعالى اليه وهو سائر بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء الا جاءت الريح به اليك فأخبرتك به (ومنها) تعليم الله له كلام الطير حتى النمل كما قال تعالى يا أيها الناس علمنا منطق الطير الآية (قال ابن فنجويه) باسناده عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا فقال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة عند سليمان فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول استغفروا الله يا مذنبين فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله قال وصاح الطيطوا فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كل حي ميت وكل جديد بال قال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وملء أرضه وصاح قمري فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان الحي الذي لا يموت أبدا وصاح غراب فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يلعن العشارين والحدأة تقول كل شيء هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والعنقاء تقول ويل لمن الدنيا همه والبازي يقول سبحان ربي الاعلى وبحمده والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والعصفور يقول سبحان المذكور بكل مكان (وأخبرنا ابن ميمون) باسناده عن مكحول قال صاح دراج عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى وباسناده عن صالح المري عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الديك اذا صاح يقول اذكروا الله يا غافلين (وروى) عن جعفر ابن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي عليهما السلام انه قال اذا صاح النسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت فان آخرك الموت واذا صاح العقاب قال في البعد عن الناس أنس واذا صاح القنبر قال اللهم العن مبغضي آل محمد واذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين ويمد الضالين كما يمدها القارئ (وقال فرقد السبخي) مر سليمان ببلبل فوق شجرة وهو يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ورسوله أعلم قال انه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا (وأخبرنا) أبو عبد الله بن حامد باسناده عن ابن مسعود عن أبيه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة فمررنا بشجرة فيها فرخا حمامة فأخذناهما فجاءت الحمامة وشكت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من فجع هذه الحمامة بفرخيها فقلنا نحن فقال ردوهما الى موضعهما (وروى) ان قبرة باضت في طريق سليمان عليه السلام فقال الذكر للانثى ألم أنهك أن تبيضي في طريق سليمان الملك لو ركب الينا لحطم بيضنا فقالت الانثى ويحك ان نبي الله أرحم بنا من ذلك فسمع سليمان قولهما فبعث اليهما جنيا حين أراد أن يركب وقال اجعل بيضهما تحت رجليك واياك أن تصيبه بشيء فلما مر سليمان في موكبه وجاوزهما قالت الانثى ألم أقل لك ان نبي الله أرحم بنا من ذلك وقال الذكر للانثى عندي للملك هدية قالت وما عندك قال عندي جرادة ادخرتها لولدي فقالت الانثى عندي تمرة ادخرتها لولدي قال فأخذا التمرة والجرادة ثم طارا حتى وقفا بين يدي سليمان وهو على سريره في مجلسه

فوضعاهما

[illegible] ... وأنت ... عن جميع ... يا انيس كل غريب ويا مؤنس كل فريد وتجمل عني وأنا خلفه فالتفت الي وقال ارجع عافاك الله تعالى من هو خير لك مني ولا تشغلني عمن هو خير لي منك ثم غاب عن بصري فلم أره رضي الله تعالى عنه ونفعنا به ومددنا من مدده في الدين والدنيا والآخرة آمين (وحكي عن ذي النون المصري أيضا رضي الله تعالى عنه) انه قال بينما أنا في الطواف اذ لمع نور ملحق بعنان السماء فتعجبت من ذلك النور فأتممت طوافي وأسندت ظهري الى الكعبة متفكرا في ذلك النور فسمعت صوتا شجيا بنغمة ذي خشية فتبعت الصوت حتى أوقفني بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهي تبكي وتنشد وتقول

أنت تدري يا حبيبي
من حبيبي أنت تدري
ونحول الجسم والدمـ
ـع يبوحان بسري
قد كتمت الحب حتى
ضاق بالكتمان صدري

قال ذو النون فلما رأيتها وسمعت ذلك بكيت فقالت الهي وسيدي ومولاي بحبك الا ما غفرت لي فقلت لها يا جارية أما تتقين الله في مثل هذا المقام تتكلمين بمثل هذا الكلام وتقولين بحبك

فوضعاهما بين يديه بحيث الذود طار بسبح بحمد ربه فقرؤوا ان ما اشتهر الى على رأس
الهدهد من مسح سليمان عليه السلام رأسه بيده قال وهو على مركبه علىّ نملة صاحت النملة يا نبي الله ان اعطيتم
ما أعظم ما تركب الله الدنيا وقيل ان سليمان رأى نملة وقد بقرنها تقول وهي تقول الا انسكم صغر وهو أعجب من
هذه الله قالوا انها قالت تقول اتقوا الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الغضب
والرضا (وروي) ان سليمان عليه السلام خرج يوما يستسقي ومعه الانس والجن فرأى نملة عرجاء ناشرة
جناحيها رافعة يديها وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك لا غنى لنا عن رزقك فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم
واسقنا فقال سليمان لمن معه ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم (وحكي) ان نملة دبت على سليمان فحملها
ورمى بها فوقعت النملة فقالت ما هذه الصولة وما هذا البطش أما علمت اني أمة مثل أنت عبد فغشي على
سليمان فلما أفاق قال ائتوني بها فاتوه بها فسألها فقالت له جلدي رقيق وبدني ضعيف واشتد تي ووهني
فقال لها سليمان اجعليني في حل فاني لم أقصد ذلك فقالت بشرط أن لا تنظر الى الدنيا بعين الشهوة ولا
تستغرق في شهوات نفسك ولا يستعين أحد بجاهك الا بذلته له قال قد فعلت ذلك قالت فأنت في حل (ومنها
قصة وادي النمل) قال الله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون أي يحبس
أولهم على آخرهم حتى اذا أتوا على وادي النمل الآية قال الشعبي وكعب وغيرهما من أهل الكتاب ان سليمان
عليه السلام كان اذا ركب حمل أهله وحشمه وخدمه وكتابه في مركبه الذي هيئ له وقد اتخذ فيه مطابخ
ومخابز يحمل فيها تنانير الحديد وقدور اعظاما يسع كل قدر عشرة من الجزور وقد اتخذ ميادين للدواب امامه
فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وتجري الدواب بين يديه بين السماء والارض والريح تهوي بهم فسار
من اصطخر الى اليمن وتوغل في البادية فمر على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار
هجرة نبي يبعث في آخر الزمان طوبى لمن آمن به واتبعه ثم أتى أرض الحرم فرأى حول البيت أصناما تعبد
من دون الله فجاوز البيت فلما جاوزه سليمان بكى البيت فأوحى الله تعالى الى البيت ما يبكيك فقال يارب هذا
نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا علي فلم يهبطوا الي ولم يصلوا عندي ولم يذكروك بحضرتي وهذه
الاصنام تعبد حولي من دونك قال فأوحى الله تعالى اليه لا تبك فاني سوف أملؤك وجوها سجدا اني وأنزل
فيك قرآنا جديدا وأبعث منك في آخر الزمان نبيا هو أحب الانبياء الي وأجعل فيك عبادا من خلقي
يعبدون وتحن وافرض على عبادي فريضة يزفون بها اليك زفا مثل زفيف النسور الى أوكارها ويحنون اليك
حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الاوثان وعبدة الشيطان ثم أمر الله سليمان
عليه السلام ان ينزل عليه ويصلي فيه ويقرب عنده قربانا ففعل ذلك قال فذبح عند الكعبة خمسة آلاف
ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن حضر من أشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه
نبي عربي ويعطى النصر على جميع من ناواه وتكون السيف على رقبة من خالفه وتبلغ هيبته مسيرة
شهر القريب والبعيد عنده سواء لا تأخذه في الله لومة لائم فطوبى لمن أدركه وصدقه قالوا فكم بيننا وبين
خروجه يا نبي الله قال قريب من ألف عام (قال) ثم ان سليمان مضى حتى أتى على وادي السدير واد من
الطائف فأتى على وادي النمل فقامت نملة تمشي وكانت عرجاء تتكاوس وكانت مثل الذئب العظيم وقال
الشعبي كانت ذات جناحين واختلفوا في اسمها فأخبرني ابن ميمونة باسناده عن الضحاك قال كان اسم نملة
سليمان طاخية وقيل غيري فنادت لما رأت سليمان وموكبه يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم
سليمان وجنوده وهم لا يشعرون وكان لا يتكلم خلق الا حملته الريح وألقته في مسامع سليمان قال
مقاتل فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك
التي أنعمت علي وعلى والدي الآية وفي بعض الاخبار ان سليمان لما سمع قولها نزل عليها وقال ائتوني بها
فأتوه بها فقال لها لم حذرت النمل هل سمعتم اني ظالم أم علمتم اني نبي عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان
وجنوده قالت النملة يا نبي الله أما سمعت قولي وهم لا يشعرون مع اني ما أردت حطم النفوس وانما أردت حطم

لي من أين عرفت انه يحبنا
فقالت النملة يا ذا
النون أما علمت ان الله سبحانه
وتعالى أقواما يحبهم ويحبونه
فهو أحبهم قبل أن يحبوه
أما سمعت قوله تعالى في
كتابه العزيز فسوف يأتي
الله بقوم يحبهم ويحبونه
فسبقت محبته لهم قبل
محبتهم له قال ذو النون
فقلت يا جارية من أين
عرفت أني ذو النون ولم تريني
قبل ذلك اليوم فقالت اليك
عني يا بطال جالت القلوب
في ميدان الاسرار فعرفني
بك العزيز الغفار قال ذو
النون فقلت لها يا جارية
مالي أراك ضعيفة البدن
نحيلة الجسم وما بك سقم
فأنشدت تقول

محب الله في الدنيا عليل
تطاول سقمه فدواه داه
كذا من كان للباري محبا
يهيم بذكره حتى يراه

ثم قالت يا ذا النون انظر الى
من خلفك فالتفت خلفي فلم
أر أحدا فرددت وجهي
نحوها فلم أرها ولم أدر أين
ذهبت فتأسفت على فراقها
وتوسلت الى الله تعالى بها
فرأيت ببركتها الاجابة
والقبول وحصول الخير
نفعنا الله بها ((وحكي عن
بعضهم رضي الله تعالى
عنه)) انه قال أمسك الغيث
عن بغداد سنة من السنين
حتى كاد أهلها أن يهلكوا
فاغتسلوا وتطهروا وخرجوا
الى الصحراء يسألون الله تعالى

القلوب خشيت أن يمسين ما أعطيت فيفتنن ويشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح فقال لها عظيني فقالت له النملة هل علمت لم سمى أبوك داود قال لا قالت لانه داوى جراحة قلبه ثم قالت وهل تدرى لم سميت سليمان قال لا قالت لانك سليم ركنت الى ما أوتيت بسلامة صدرك وحق لك أن تلحق بأبيك داود ثم قالت أتدرى لم سخر الله تعالى لك الريح قال لا قالت ليخبرك ان الدنيا كلها ريح فتبسم ضاحكا من قولها متعجبا وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى الآية (أخبرنى) ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أربعة من الدواب الهدهد والصرد والنحلة والنملة (ومنها قصة العنقاء فى اثبات القضاء والقدر) أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد باسناده عن محمد بن جعفر الصادق قال عاتب سليمان الطير فى بعض عتابه فقال لها مالك تأتين كذا وتفعلين كذا فقالت والله رب السماء والثرى انا لنحرص على الهدى ولكن قضاء الله يأتى الى منتهى علمه وقدره قال صدقت لا حيلة فى القضاء فقالت العنقاء لست أومن بهذا فقال لها سليمان ألا أخبرك بأعجب العجب قالت بلى قال انه ولد الليلة غلام بالمغرب وجارية بالمشرق هذا ولد ملك كبير وهذه ابنة ملك والجارية والولد يجتمعان فى أمنع المواضع بقدرة الله تعالى وأهولها على سفاح فى جزيرة فى وسط البحر فقالت العنقاء يا نبى الله أوقد ولد هذان الولدان المذكوران قال نعم الليلة قالت فهل أخبرت بهما من هما وما اسمهما واسم أبيهما قال بلى اسمهما كذا وكذا واسم أبيهما كذا وكذا فقالت العنقاء يا نبى الله أنا أبطل القدر وأفرق بينهما فقال لها سليمان انك لا تقدرين على ذلك قالت بلى فاشهد سليمان عليها الطير وكفلتها البومة فمرت العنقاء وكانت فى كبر الجمل عظمها ووجهها وجه انسان ويداها يد انسان وثدياها امرأة وأصابعها كذلك فحملت فى الهواء حتى أشرفت على الدنيا فابصرت كل دار وما فيها وكل انسان وأبصرت الجارية وهى فى مهدها وقد أجلسوها فاختلست الجارية من المهد وطارت بها حتى انتهت الى جبل شاهق فى السماء فى جوف البحر وسط جزيرة وفى الجزيرة شجرة عالية لا ينالها طائر الا بجهد طيرانه ولها أغصان عظيمة تزيد على ألف غصن كل غصن كاعظم ما يكون من شجر الارض كثيرة الورق فاتخذت لها وكرا فى وسط الشجرة عجيبا واسعا مضيأ رطبا وأرضعتها وضمت الجارية تحت جناحها وصارت تأتيها بانواع الطعام والشراب وتحفظها من البرد والحر وتؤنسها بالليل ولا تخبر أحدا بشأنها كى يتم أمرها وهى تغدو الى سليمان وتروح الى وكرها فعلم سليمان بذلك ولم يبده لها فبلغ الغلام مبلغ الرجال وصار ملكا من ملوك الدنيا وكان يلهو بالصيد ويحبه ويطلبه فصار لا يقر ليلا ولا نهارا وكان أبوه ملكا عظيما فلما رأى الملك ولده لاهيا بالصيد لم يزجره عنه حتى نال منه منالا طويلا وأمرا عظيما فقال يوما لاصحابه كل صيد البر وفلواته ومفاراته قد نلت منه فلو ركبت البحر فأنال من صيده فانه كثير الصيد وكثير العجائب فقال له المشيرون من وزرائه نعم ما رأيت وهو أكثر شئ من خلق الله صيدا وعجائب فامر الغلمان بتجهيز ما يحتاجون اليه وهيأ السفن وجعل يأخذ من كل شئ يملكه وأخذ من الوزراء والندما والمشيرين والغلمان والجوارى والطباخين والخبازين والدواب والبزاة والصقور وكلاب الماء وجميع ما يحتاجون اليه مما يريده ويشتهيه من الملاهى وركب السفن ومر فى البحر كذلك يتصيد ويتلذذ بالفرح ولا يعرف شيأ غير ذلك حتى سار مسيرة شهر فأرسل الله تعالى على سفينته ريحا خفيفة فضربتها وساقتها حتى قربت من جزيرة العنقاء والجارية وهى مسيرة خمسين سنة فى منتهى خمسين ليلة كل ليلة مسيرة سنة ثم ركدت سفينته باذن الله تعالى وأصبح الغلام فرأى سفينته راكدة فأخرج رأسه من ناحية ونظر فاذا هو بجبل شاهق فى وسط جزيرة فى البحر فى لون الزعفران طويلة لا يدرى أين منتهاها ولا عرضها واذا هو بشجرة خضراء فى رأس الجبل ملتفة كثيرة الاغصان والاوراق ورقها فى عرض آذان الفيلة تموج بريح الاقحوان ليس لها ثمر بيضاء الساق فقال لاصحابه انى أرى عجبا أرى جبلا شاهقا فى وسط جزيرة لم أر مثله ولا مثل طوله ولا عرضه وأرى شجرة فيها كل حسن قد أعجبنى منظرها ثم انه حول سفينته وجاء بها الى الجزيرة التى فيها

وكان ذلك فى أيام خلافة هرون الرشيد رحمه الله تعالى عليه فبينماهم يلوذون ويتوسلون الى الله تعالى واذا برجل من أهل الخير والصلاح والعبادة قد أقبل من ظاهر البرية أشعث أغبر لا يلتفت اليه ومعه ثلاث بنات عذارى كانهن الاقمار فوقف ببناته فى الطريق فرحب به الناس وسلموا عليه فرد عليهم السلام وقال يا قوم ما بالكم مجتمعين فقالوا له يا شيخ خرجنا الى الصحراء ندعو الله تعالى أن يسقينا غيثه فلم يسقنا فقال لهم الشيخ هل هو غائب عنكم من المدينة حتى خرجتم الى الصحراء تسألونه أليس هو فى كل مكان موجودا أو بساط أجابته لجميع خلقه ممدودا أما سمعتم قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير قال وبلغ هرون كلامه فقال هذا كلام رجل بينه وبين مولاه سريرة ثم قال ائتونى به فلما حضر بين يديه وسلم بعضهم على بعض صافحه هرون وأجلسه بجانبه ثم قال له يا شيخ ادع الله تعالى أن يسقينا غيثه عسى أن يكون لك عند الله جاه قال فتبسم الشيخ وقال يا هرون أتريد أن أسأل لك الهى ومولاى فقال نعم فقال توبوا الى الله تعالى قال

الجبل وأرساها عنده وقال لأصحابه أقيموا ههنا حتى أمضي وأبصر هذه الجزيرة وهذا الجبل الذي في وسطها هل عمارة أو أثر آدمي في تلك الجزيرة وآتيكم بخبرها ثم انه نزل من السفينة هو ورفقته وداروا في الجزيرة فلم يروا فيها أثر عمارة ولا عبر بها آدمي قبله ثم انه صعد الى رأس الجبل فرأى أصل الشجرة وكانت الجارية قد نظرت الى السفينة وهي جارية فلم تعرف ما هي لانها أخذت صغيرة ولم تدر ما السفن فبقيت متعجبة وليس عندها أحد تسأله عن ذلك فبينما هي متفكرة في أمر السفينة اذ احس حديث الآدميين فأخرجت رأسها من الوكر فنظرت يمينا وشمالا فلم تر أحدا فنظرت في أصل الشجرة فاذا بالغلام ورفقته فتعجبت منهم لما رأت من حسنهم وجمالهم وكيف وصلوا الى ذلك الموضع وان الغلام لما بلغ أصل الشجرة نظر يمينا وشمالا وبقي متعجبا من عظم تلك الشجرة ورفعها في السماء وصار ينظر الى أغصانها وكانت الجارية قد أخرجت رأسها لتنظر الى السفينة فحانت منها التفاتة الى أصل الشجرة فوقعت عينها في عين الغلام فرأى الغلام صورتها ورأى عجبا من عظم جمالها وكثرة شعرها وذوائبها فقال لها الغلام بلسان فصيح أجنية أنت أم انسية قالت لا والله أنا من خيار الانس فمن أنت فأفهمها لغته فقالت لا أدري ما تقول وما أنت الا اني أرى وجهك كوجهي وكلامك ككلامي واني لا أعرف شيأ غير العنقاء وهي أمي التي ربتني وحضنتني وهي تأتيني كل ليلة وتسميني ابنتها فقال لها الغلام وأين العنقاء فقالت هي في نوبتها فقال الغلام وما نوبتها قالت تغدو كل يوم الى ملكها سليمان فتسلم عليه وتقيم عنده الى الليل ثم تجيئني وتحدثني بكل ما يحكم به سليمان وانه ملك عظيم على ما تصفه لي أمي العنقاء من ملكه وانها تخبرني انه أحسن الناس وجها وأتم خلقا مني قال فارتعد الغلام ثم قال عرفته وهو الذي قتل أبي وسبى دولته واني لمن طلقائه وممن يؤدي اليه الخراج وقد سخر الله له الطير والرياح ثم بكى الغلام ساعة فقالت له الجارية ما يبكيك قال على وحدتك في مثل هذا الموضع الذي لا انس فيه ولا أحد وان مثلك في الدنيا عدد الشجر والمدر وكلهم في مقاصير الذهب والفضة والعيش الهني والرغد واللذة الطيبة مع الازواج يتعاشرون ويتنعمون وينسلون الاولاد مثل خلقك وخلقي أرأيت ان هاجت الريح فأزعجتك من وكرك من يمنعك ان تقعي في البحر وان وقعت في البحر فمن ذا الذي يخرجك قال ففزعت الجارية من قوله قالت وكيف لي أن يكون معي انسي مثلك يحدثني بمثل حديثك ويحفظني مما ذكرت فقال لها الغلام أولا تعلمين ان الله اتخذ سليمان نبيا وسخر له الريح والطير هو الذي رحلك وساقني اليك لأكون لك الفا وصاحبا وأنيسا واني لمن أولاد الملوك فقالت له الجارية وكيف تصبر لي وأصير اليك وان العنقاء هذه تروح وتجيء وتحضنني الى صدرها بين جناحيها فقال لها الغلام تكثرين جزعك ووحشتك وبكاءك على العنقاء الليلة عندها فاذا جاءت اليك وقالت لك ما تحبين وما تريدين وما شأنك فأخبريها بوحدتك في نهارك ثم انظري ما يكون من ردها عليك فأخبريني بذلك فعملت وان العنقاء رجعت اليها فوجدتها باكية حزينة فقالت لها يا بنية مالك فقالت الوحدة والوحشة قتلتني واني لمنزعجة على نفسي من ذلك فقالت لها يا بنية لا تخافي ولا تحزني فاني أستأمر سليمان عليه السلام أن آتيه يوما ويوما لا آتيه فيكون ذلك أنسا لك فلما أصبحت أخبرت الغلام بجوابها فقال لها أو تصبرين على ذلك لا ولكني سأنحر من دوابي هذه فرسا وأنقر بطنه وأخرج ما فيه وأطيبه بطيب معي وأدخل أنا في جوفه وألقيه على رأس سفينتي هذه فاذا جاءتك العنقاء فقولي لها أرى عجبا أرى حلقة ملقاة على كوثل هذه السفينة ولو اختطفتها وحملتها الي وكانت معي وكرى فأنظر اليها وآنس بها كان أحب الي من كونك عندي نهارا وانما كان عن أخبار سليمان وأخبار المسلمين فلما رجعت العنقاء وجدتها على حالتها وكان سليمان قد شغل عنها فلم تصل اليه في استئذانها اياه في المقام يوما والعود يوما فقالت لها يا بنية ان نبي الله قد اشتغل عني اليوم بالحكم بين الآدميين فلم أصل اليه قالت لها اني لا أريد أن تتخلفي عنه نهار المكان أخبار سليمان وأخبار المسلمين واني أرى عجبا في البحر أرى شيأ مرتفعا فما هو قالت لها العنقاء هذه سفينة قوم سيارة راكبين في البحر قالت فما الذي أراه ملقى على رأس هذه السفينة

فنودي بالتوبة فتابوا الى الله تعالى ثم تقدم الشيخ وصلى ركعتين خفيفتين فلما سلم أخذ بناته عن يمينه وعن شماله وبسط يديه الى خالقه وأسبل دمعه على خده وبسل يدعو بدعوات لم يسمع أحسن منها قال فما استتم دعاءه حتى تجللت السماء بالسحاب وأرعدت بالبرق وأمطرت كأفواه القرب قال ففرح الرشيد بذلك واجتمع اليه خواص رعيته وأهل مملكته يهنئونه ويبشرونه بذلك فقال هارون علي بالرجل الصالح فطلبوه فوجدوه ساجدا في الصحراء في الماء والطين لله رب العالمين فقالوا للبنات ما بال أبيكم لم يرفع رأسه فقالت انه من عادته اذا سجد لله عز وجل لا يرفع رأسه الا بعد ثلاثة أيام قال فأخبروا الرشيد بذلك فبكى وقال اللهم اني أسألك وأتوسل اليك بحرمة الصالحين عندك أن تهبنا لهم وان تفيض علينا من بركاتهم في الدارين وجميع المسلمين يا أرحم الراحمين ((وحكى عن مالك بن دينار عفا الله عنه أنه قال)) أمسك الغيث عامنا من السنين فخرجنا الى الصحراء نسأل الله تعالى أن يسقينا غيثه حتى خرج معنا أكابرنا وأصاغرنا وأولاد المكاتب فلم نزل ندعو ونتضرع الى

قالت دابة منه القوم قالت فاحملوها الي لاستأنس بها وأنظر اليها فانقضت العنقاء واختطفت الفرس
وكان الغلام في بطنها فحملته الى عشها فقالت الجارية بأنا بأحسنه وضحكت فرحت العنقاء بذلك
وقالت يا بنيه لو علمت لكنت أبيتك عن هذا مدة حين ثم انها طارت الى قريها عند سليمان فخرج الغلام
من بطن الفرس فلاعبها ولاعبها وافتضها وأحبلها من ساعتها وفرح كل واحد منهما بصاحبه واستأنس
به وكان سليمان عليه السلام قد جاء الطير باجتماعهم امن قبيل الريح وان العنقاء راحت وكان مجلس
سليمان يومئذ مجلس الطير وحكمهم فجلس سليمان عليه السلام للطير في حينه ودعا عرفاء الطير
وأمرها أن لا تدع طيرا الا حشرته اليه فحشرت اليه جميع الطيور ثم أمر عرفاء الجن أن يحشروا قبائل
الجن من سكان البحار وسكان البراري والهواء والمغارات والفلوات والامصار ويحشروا اليه وأمر
الشياطين فأحضرت كذلك وكذلك الانس كهيئتهم ثم كل دابة تدب على وجه الارض فاشتد الخوف وقالوا
في أنفسهم نشهد بالله أن نبي الله قد أهمه أمر عظيم فأول سهم قد خرج في تقديم الطير سهم الحدأة وكانت
الطير لا تتقدم الا بالسهام وكذلك الجن والشياطين فتقدمت الحدأة تدعي على زوجها وكان قد جحد
ولدها فقالت يا نبي الله انه سفدني حتى اذا احتضنت بيضي وأخرجت ولدي جحد به فقال سليمان للذكر
ما تقول فقال يا نبي الله انها لا تمتنع من الطير وهي تحوم البراري فلا أدري هل هو مني أو من غيري قال فأمر
سليمان بولدها فجيء به فوجد الشبه واحدا فالحقه بالذكر ثم قال لها لا تمكنيه من السفاد حتى تشهدي
عليه بذلك الطير بالصراخ فانه لا يجحد لك بعدها أبدا الى يوم القيامة فهي اذا سفدها ذكرها صاحت
وقالت يا طيور سفدني اشهدوا يا معاشر الطيور اشهدوا ثم خرج سهم العنقاء فتقدمت اليه فقال لها سليمان
ما قولك في القدر فقالت يا نبي الله لي من القوة والاستطاعة ما أدفع الشر وأفعل الخير فقال لها سليمان
فأين الشرط الذي كان بيني وبينك زعمت أنك تفرقين بقوتك واستطاعتك بين الجارية والغلام فقالت قد
فعلت قال سليمان الله أكبر فأتيني بهما الساعة والخلائق شهود لا علم صدق قولك ثم أمر عريف الطير أن
يكون معها لا يفارقها حتى تأتي بها فرفرفت العنقاء حتى قربت من الجارية وكانت الجارية اذا قربت منها
العنقاء تسمع حفيف أجنحتها فيبادر الغلام ويدخل جوف الفرس فلما رأتها البنت قالت لها كالفزعة ان
لك شأنا اذ رجعت من ساعتك قالت لها أي لعمري ان لي شأنا هذا سليمان قد أمر باحضارك الساعة لامر
كان بيني وبينه في أمرك واني لارجو نصرتي اليوم فيك قالت لها كيف تحمليني قالت على ظهري قالت
وهل أستقر على ظهرك واني أرى أهوال البحر فلا آمن أن أزل فاسقط وأهلك قالت في منقاري قالت
فكيف أصبر في منقارك قالت لها وكيف أصنع ولا بد لي من احضارك عند سليمان وهذا عريف الطير معي
وقد عابكم فيلتي البومة فقالت لها أدخل في جوف هذا الفرس ثم ترفعينه على ظهرك أو في منقارك فلا
أرى شيئا ولا أسقط ولا أفزع من شيء قالت أصبت قال فدخلت جوف الفرس واجتمعت مع الغلام وحملت
العنقاء الفرس في منقارها وطارت حتى وضعت الفرس بين يدي سليمان عليه السلام فقالت يا نبي الله
هي الآن في جوف الفرس فأين الغلام فتبسم سليمان طويلا ثم قال لها أتؤمنين بقضاء الله وقدره وانه
لا حيلة لاحد في دفع قضائه وقدره وعلمه السابق الكائن من خير وشر فقالت أومن بالله وأقول ان المشيئة
الى العباد والقوة فمن شاء فليفعل خيرا أو شرا قال سليمان كذبت ما جعل الله من المشيئة للعباد شيئا ولكن
من شاء الله أن يكون سعيدا كان سعيدا ومن شاء أن يكون كافرا كان كافرا ولا يقدر أحد أن يدفع قضاء
الله وقدره بحيلة لا بفعل ولا بعلم وان الغلام الذي قد ولد بالمغرب مع الجارية التي ولدت بالمشرق قد اجتمعا
الآن في مكان واحد على سفاح وقد حملت الجارية من الغلام بولد فقالت العنقاء لا تقل يا نبي الله هذا فان
الجارية معي في جوف هذا الفرس فقال سليمان الله أكبر أين البومة المتكفلة بالعنقاء قالت ها أنا يا نبي الله
قال سليمان أنت على مثل قول العنقاء قالت نعم فقال سليمان قدر الله السابق قبل الخلق أخرجهما على
قضائه ومشيئته قال فأمر البومة ففتحت جوف الفرس وأخرجتهما جميعا من جوف الفرس فأما العنقاء

فرعت ووعت وطارت في الهواء فأتت بحر المغرب فاحتفت في جزيرة من جزائره وآنست بالقفر وحلقت لا تطير في جو ولا ... لا يستطاع فكانوا يرونها ترعى الاجام والجبال وقالت أمة انها لا تفرخ ولا تسأل الى الناس فهي اذا أخرجت من ... الطير واجتمعت عليها وقالت لها بالقدرة فهي تخضع لهذا وهذا ما كان من شأن العنقاء والمرجع في القضاء والقدر والله أعلم بالغيب ((ومنها)) تخصيص الله تعالى سليمان عليه السلام بالخيل الجياد العراب التي أخرجها الله من البحر في قول أكثر أهل الاثر قال الله تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد والصافنات الخيل القائمات على ثلاث قوائم وقد أقامت الاخرى على طرف الحافر من يد أو رجل والجياد السراع قال الحسن بلغني انها كانت خيلا خرجت من البحر لها أجنحة وقال الكلبي غزا سليمان أهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ألف فرس وقال مقاتل ورث سليمان من أبيه داود ألف فرس وكان أبوه أصابها من العمالقة قالوا فصلى سليمان صلاة الظهر وقعد على كرسيه فعرض عليه منها تسعمائة فاشتغل بحسنها وكثرتها والاعجاب بها حتى غابت الشمس وفاتته صلاة العصر ولم يعلمه أحد بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها على فردوها فعرقبها وعقرها بالسيف وقربها الى الله تعالى وبقي منها مائة فرس فما في أيدي الناس من الخيل العراب فهي من نسل تلك المائة (وقال كعب) كانت الافراس أربعة عشر فأمر بضرب أعناقها وسوقها بالسيف وقتلها فسلبه الله ملكه أربعة عشر يوما لانه ظلم الخيل بقتلها قال الحسن فلما عقر الخيل لاجل الله تعالى أبدله الله تعالى مكانها خيرا منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره رخاء كيف شاء غدوها شهر ورواحها شهر وكان يغدو من ايلياء فيقيل في اصطخر ثم يروح منها فيبيت ببابل (ويروى) أن سليمان سار من أرض العراق غاديا فقال بمدينة مرو وصلى العصر بمدينة بلخ تحمله الريح وتظله الطير بخيله وجنوده ثم سار من مدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزوها الى أرض الصين ثم عطف يمينه على مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض الهند ثم خرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزهما حتى أتى أرض فارس فنزلها أياما ثم غدا منها فقال بكسكر ثم رجع الى الشام وكان مستقره مدينة تدمر وكان قد أمر الشياطين قبل خروجه من الشام الى العراق أن يبنوا له تدمر فبنوها بالصفائح والعمد والرخام الابيض والاصفر وفي ذلك يقول الشاعر

وإذ كر سليمان اذ قال المليك له ... قم في البرية فاحددها عن الفند

وخيس الجيش اني قد أذنت لهم ... يبنون تدمر بالاحجار والعمد

قال ووجدت هذه الابيات منقورة في صخرة بأرض كسكر أنشأها بعض أصحاب سليمان بن داود عليهما السلام

ونحن ولا حول سوى حول ربنا ... نروح الى الاوطان من أرض تدمر

اذا نحن رحنا كان أمر رواحنا ... مسيرة شهر والغدو لآخر

أناس شروا والله طوع نفوسهم ... لنصرة دين النبي المطهر

لهم في معالي الدين فضل ورأفة ... وان نسبوا يوما فمن خير معشر

متى يركبوا الريح المطيعة أسرعت ... مبادرة عن شهرها لم تقصر

تظلهم طير صفوف عليهم ... متى رفرفت من فوقهم لم تنفر

((رجعنا الى القصة)) وقال قوم من العلماء معنى قوله تعالى فطفق مسحا بالسوق والاعناق حبسها في سبيل الله وكوى سوقها بميسم الصدقة وقال الزهري مسح سوقها وأعناقها من الغبار قال وهي رواية الواقدي عن ابن عباس قال وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثم ان الله أمر الملائكة الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان وصلى العصر في وقتها (حدثنا) أبو عبد الله عقيل الانصاري باسناده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الله تعالى أن يخلق الخيل قال للريح الجنوب اني خالق منك خلقا فأجعله عزا لاوليائي ومذلة لاعدائي وجمالا لاهل طاعتي فقالت الريح الهي وسيدي ومولاي اني مطيعة فقبض منها قبضة فخلق فرسا وقال له خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا

شديدة اذلم أكن أعرف الغلام انما فقلت اعرض علي الغلمان فعرض علي ثمانين غلاما واحدا بعد واحد فلم أر فيهم ذلك الغلام ثم التفت خلفي فسرأيت موضعا بعيدا فمضيت الى ذلك الموضع واذا بالغلام قائم يصلي فلما نظرت اليه قلت هو هذا ورب الكعبة فقال النخاس وما تصنع بهذا الغلام يا مالك وهو غلام مشؤوم منكر قال مالك وما شؤمه ومنكره فقال النخاس خذه وأرحني منه قال مالك فأخذته بعشرين دينارا فقال النخاس يا مالك هذا الثمن كثير في هذا العبد فقال مالك والله انه قليل في ثمنه واني راغب فيه ثم أخذت بيده وقلت له ما اسمك يا غلام فقال ميمون قال فلما مضينا من عند النخاس قال الغلام يا مولاي ما تصنع بي فقلت له الخدمة فقال والله لم أخدم أحدا من المخلوقين وانما خدمتي لرب العالمين فما حملك على شراء الغلام المشؤوم فقال مالك حملني على ذلك ما رأيته منك بالامس في المسجد الخرب الذي بالصحراء قال مالك فتغير وجه الغلام عند سماع ذلك فلما أقبلنا الى مسجد كان قريبا من المنزل قال يا مولاي تأذن لي أن أصلي في هذا المسجد ركعتين فقلت له نعم فدخل وصلى

بناصيتك والغنائم مجموعة على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح فانت الطلب وأنت الهرب وسأجعل على ظهرك رجالا يسبحوني ويحمدوني ويكبرونني فتسبحني اذا سبحوا وتهللني اذا هللوا وتكبرني اذا كبروا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تسبيحة وتحميدة وتمجيدة وتكبيرة يكبرها صاحبها فتسمعها الا تجيبه بمثلها قال فلما سمعت الملائكة صفتها ونظروا خلقتها قالوا ربنا نحن ملائكتك نسبحك ونحمدك فماذا لنا فخلق الله لهم خيلا بلقا أعناقها كأعناق البخت فلما أرسل الله الفرس الى الارض واستوت قدماه عليها صهل فقيل له بوركت من دابة اذ بصهيلك أذل الله المشركين وأذل بك أعناقهم وملأ بك آذانهم وأرعب بك قلوبهم فلما عرض الله تعالى على آدم من كل شئ قال له اختر من خلق ما شئت فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك وعز ولدك خالدا ما خلدوا وباقيا ما بقوا بركتي عليك وعليهم ما خلقت خلقا أحب الى منك ومنهم (ومنها) قوله تعالى وأسلنا له عين القطر أذبنا له عين النحاس أسيلت ثلاثة أيام كما يسيل الماء وكانت بأرض اليمن وانما ينتفع الناس اليوم بما أخرجه الله لسليمان عليه السلام (ومنها) تسخير الله تعالى له الجن والانس والطير والوحوش والشياطين يعملون له ما يشاء كما قال تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقته فمما عملت له الشياطين بأمره وأحدثوه له الحمامات والطواحين والقوارير والصابون وأشياء كثيرة واحتفروا له نهر الملك والقوا ترابه بين ماقين وقصر شيرين ومما عملوا له الغياصة كما قال الله تعالى ومن الشياطين من يغوصون له الآية وقال تعالى والشياطين كل بناء وغواص وكانوا يغوصون في البحار ويستخرجون أنواع اللآلئ والدر والمرجان وسائر الجواهر البحرية وكانوا يستخرجون له اليواقيت والزمرذ وأنواع الجواهر الثمينة من المعادن وهم أول من فعل ذلك

((حديث القبة)) قال وهب بن منبه بينما سليمان عليه السلام على ساحل البحر والريح من تحته والانس عن يمينه والجن عن شماله والطير تظله اذ نظر الى عظم أمواج البحر فدعته نفسه ان يعلم ما في قعر البحر فامر الريح فسكنت من تحته ثم قعد على كرسي ملكه ثم دعا رأس الغواصين وقال له اختر لي من أصحابك مائة رجل فاختار له مائة رجل فقال اختر لي من المائة ثلاثين فاختار له ثلاثين فقال اختر لي من الثلاثين عشرة فاختار له عشرة فقال اختر لي من العشرة ثلاثة فاختار له ثلاثة فقال لواحد منهم غص حتى تنظر الى قعر البحر وتأتيني بالخبر فقال له سمعا وطاعة لك يا نبي الله فغاص البحر وأبعد ثم خرج فقال له سليمان ما الذى رأيت قال يا نبي الله ما رأيت الا أمواجا وحيتانا غير اني رأيت ملكا عظيما فقال لي أين تريد فقلت له ان نبي الله سليمان أرسلني أنظر له قعر هذا البحر فقال ارجع اليه واقرأ عليه مني السلام وقل له ان قوما ركبوا هذا البحر منذ أربعين عاما فعاب عليهم مركبهم فخرجوا يطلبونه فسقط من أحدهم قدوم فهو يتجلجل في البحر ولم يبلغ قعره بعد فرجع اليه وأخبره بالخبر فتعجب نبي الله سليمان عليه السلام من ذلك وانها عما كان قصد قال فبينما هو على شاطئ البحر اذ رأى قبة من زجاج تضرب بها الامواج في لجة البحر فعارضها وقال للغواصين غوصوا في أثرها فغاصوا فاخرجوها فلما وضعت القبة على ساحل البحر انفتح لها بابان مصراعين وخرج من القبة شاب عليه ثياب أبيض من اللبن وكان رأسه تقطر ماء فجاء حتى وقف بين يدي سليمان فقال له سليمان يا فتى من الجن أنت أم الانس قال بل من الانس قال فتعجب سليمان منه ومن زيه ثم قال له ما بلغ بك ما أرى فقال يا نبي الله كانت لي والدة وكنت من أبر الناس بها أطعمها وأسقيها بيدي ولا أترك شيأ من صنائع البر الا صنعته بها فلما حضرتها الوفاة سألتها ان تدعو لي فرفعت رأسها الى السماء وقالت يا رب قد عرفت بر ولدي بي فارزقه العبادة في موضع لا يكون لابليس وجنوده عليه سبيل ثم ماتت فدفنتها فخرجت يوما الى ساحل البحر واذا أنا بهذه القبة فدعتني نفسي أن أدخلها فلما دخلتها انطبقت على أبوابها وتراخت الامواج بها وكان هذا آخر عهدي يا نبي الله فقال له سليمان فمن أين مطعمك

ومشربك

المخيلة الأيطوة فلما فرغ من صلاته قال الهي وسيدي ومولاي كانت المعاملة بيني وبينك سرا والآن قد علم بها المخلوقون فاقبضني اليك الساعة ثم شهق شهقة فمات رحمة الله تعالى عليه قال مالك فدخلت اليه فوجدته يضحك في موته فتأسفت عليه فبينما أنا كذلك اذا بشابين جميلين كأنهما الاقمار قد دخلا من باب المسجد فسلما على وقالا عظم الله أجرنا وأجرك في ميمون ثم أعطاني أحدهما كفنا جديدا يفوح منه رائحة المسك قال مالك فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه رحمة الله تعالى عليه وعلى جميع المسلمين ((وحكى عن بعضهم رضى الله عنه أنه قال)) حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام وكانت سنة كثيرة الحر فلما كانت ذات ليلة غفوت قليلا فلما استيقظت اذا بي قد انقطعت عن الركب وصرت وحدى في البرية ولم أدر كيف أصنع فبينما أنا كذلك اذ لاح لي شخص أمامي فأسرعت نحوه فاذا هو غلام لا نبات بعارضيه كأنه القمر المنير أو الشمس الضاحية وهو يمشي ويتبختر كأنه في

ومشى بلطفه قال يا نبي الله اذا كان الليل جاءني طائر أبيض في منقاره شيء أبيض فيدفعه الي فأكله فهو يغنيني من الطعام والشراب فقال له سليمان فمن أين تعرف الليل والنهار وأنت في ظلمة هذا البحر قال يا نبي الله في القبة خيطان خيط أبيض وخيط أسود فاذا رأيت الخيط الابيض زائدا علمت انه النهار واذا رأيت الخيط الاسود زائدا علمت انه الليل فقال له سليمان هل لك في صحبتنا رغبة قال لا يا نبي الله ان تشأ تأذن لي أن أعود الى قبتي فأذن له فانطلق ودخلها وانطبق عليه بابها وتزاخرت به الامواج فكان آخر العهد به

(ومنها) قوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب يقال انها الحياض كانت تسع الجفنة الواحدة طعام ألف رجل فيجتمعون عليها يأكلون بين يديه وقدور راسيات ثابتات لا تزول يسع القدر الواحد عشر جزر

((قصة مدينة سليمان عليه السلام التي كان يسافر بها في الهواء))

(ومما) عملوا له مدينة من قوارير عشرة آلاف ذراع في عشرة آلاف ذراع فيها ألف سقف ما بين كل سقفين عشرة أذرع في كل سقف جميع ما يحتاج اليه من المساكن والقباب والمرافق أسفلها أغلظ من الحديد وأعلاها أرق من الماء يرى من داخلها ما وراء خارجها من صفائه ونقائه والشمس بالنهار والقمر بالليل وعلى السقف الاعلى قبة بيضاء عليها علم أبيض يستضيء به في الليل الداجي العسكر كله يتلالا شعاعه مد البصر وبها من الاركان ألف ركن على مناكب الشياطين تحت كل ركن منها عشرة من الشياطين تسع سليمان وجنوده وحشمه وأولياءه علوا وسفلا تحملها الريح الى حيث يشاء وكانت تلك المدينة له مستقرا يأكل ويشرب وينام ويتمتع بها وفي أسفلها مرابط واصطبلات وأواري وأواخي لخيله ودوابه ((ومما)) عملوا له كرسي ملكه

((صفة كرسي سليمان عليه السلام))

قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب يروى ان نبي الله سليمان عليه السلام أمر الشياطين باتخاذ كرسي يقعد عليه للقضاء وأمر أن يعمل بديعا مهولا بحيث لو رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وبهت قال فعملوا له كرسيا من أنياب الفيلة وفصصوه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر وحفوه بأربع نخلات من الذهب شماريخها الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر على رأس نخلتين منها طاوسان من ذهب وعلى رأس الاخريين نسران من ذهب بعضها مقابل بعض وجعلوا من جانب الكرسي أسدين من ذهب على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرد الاخضر وقد عقدوا على النخلات أشجار الكرم من الذهب الاحمر واتخذوا عناقيدها من الياقوت الاحمر بحيث يظل عريش الكروم والنخل الكرسي قالوا وكان سليمان اذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي ورجله فيها ويدور ويدور دوران الرحى المسرعة وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتها ويبسط الاسدان أيديهما ويضربان الارض بأذنابهما وكذلك يفعل في كل درجة يصعدها سليمان فاذا استوى بأعلاه أخذ النسران اللذان على النخلتين المسك والعنبر يفتتانهما عليه ثم تناول حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسي التوراة فتفتحها لسليمان فيقرؤها على الناس ويدعوهم الى فصل القضاء قال وتجلس عظماء بني اسرائيل على كراسي الذهب والفضة المفصصة بالجواهر وهي ألف كرسي على يمينه وتجيء عظماء الجن فيجلسون على كراسي الفضة عن يساره وهي ألف كرسي حافين به جميعا ثم تظلهم الطير وتقدم الناس اليه للقضاء فاذا دعا بالبينات وتقدمت الشهود لاقامة الشهادات دار الكرسي بجميع ما فيه وما حوله دوران الرحا المسرعة قال معاوية لوهب بن منبه ما الذي كان يدير ذلك الكرسي قال بلغلان من ذهب وذلك الكرسي مما عمله له صخر الجني قالوا فاذا دار الكرسي بسط الاسدان أيديهما وضربا الارض بأذنابهما وينشر النسران والطاوسان أجنحتهما فتفزع منه الشهود ويداخلهم من ذلك رعب شديد فلا يشهدون الا بالحق فهذا شأن كرسي سليمان عليه السلام وعجائب ما كان فيه مما أوتي سليمان عليه السلام من

بحق داره فتقدمت اليه وسلمت عليه فقال وعليك السلام يا ابراهيم فتعجبت منه ثم قلت سبحان الله من أين عرفتني ولم ترني قبل ذلك اليوم فقال ما جهلت منذ عرفت ولا قطعت منذ وصلت قال ابراهيم فقلت له ما الذي أوصلك الى هذه البرية في مثل هذه السنة الكثيرة الحر قال يا ابراهيم ما أنست بسواه ولا رافقت أحدا غيره واني منقطع اليه بالكلية مقر له بالربوبية قال ابراهيم فقلت له من أين المأكول والمشروب فقال تكفل بي المحبوب قال ابراهيم فقلت له يا غلام أما تخاف من بعد السفر وطول المشقة فأنشد يقول شعرا

من ذا يخوفني بالبر أقطعه
الى الحبيب وقد قامت اعدا
الحب أقلقني والشوق أزعجني
فلا يخاف محب الله انسانا
فان أجوع فذكر الله يشبعني
ولا أكون بحمد الله عطشانا
وان ضعفت فوجدي فيه يحملني
الى الحجاز ومن أقصى خراسانا

قال ابراهيم فتعجبت من كلامه على صغر سنه ثم قلت له بالله سألتك يا غلام ما عمرك فقال اثنتا عشرة سنة فقلت والله لقد أدهشني ما سمعت منك فتبسم وقال الحمد لله الذي أولاني نعمه وفضلها على كثير من عباده فتعجبت من حسن وجهه

بختنصر فأخذ ذلك الكرسي وحمله الى انطاكية فأراد أن يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا باحواله فلما وضع قدميه على الدرجة السفلى رفع الاسد يده اليمنى فضرب ساقه ضربة شديدة دقها ورماه فحمل بختنصر فلم يزل يعرج و يتوجع منها حتى مات وبقي الكرسي بانطاكية حتى غزاهم ملك من الملوك يسمى كداش بن سداس فهزم خليفة بختنصر ورد الكرسي الى بيت المقدس فلم يستطع أحد من الملوك الجلوس عليه ولا الاستمتاع به فوضع تحت الصخرة فغاب ولم يعرف خبره ولا يدرى اين هو والله أعلم

(ومنها) بيت المقدس

((صفة بنيانه وبدء أمره)) قال الله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الآية وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قيل بالمياه والاشجار والثمار وقيل ان كل ماء عذب يخرج من تحت أصل الصخرة التي ببيت المقدس يهبط من السماء اليها ثم يتفرق في الارض وذلك قوله تعالى باركنا فيها للعالمين (وروى) خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة وتلك النخلة على نهر من أنهار الجنة على ذلك النهر آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران رضى الله عنهما ينظمان حلى أهل الجنة الى يوم القيامة * وأما بدء بناء بيت المقدس وصفة بنائه على ما ذكره أهل البصيرة بالسير هو ان الله تعالى بارك في نسل ابراهيم حتى جعلهم في الكثرة غاية لا يحصون فلما كان زمان داود عليه السلام لبث فيهم مدة مديدة بأرض فلسطين وهم يزدادون كل يوم كثرة فأعجب داود بكثرتهم وأراد أن يعلم عدد بني اسرائيل كم هم فأمر بعدهم وبعث بذلك عرفاء ونقباء وأمرهم أن يرفعوا اليه ما يبلغ من عددهم فكانوا يعدون زمانا من الدهر حتى عجزوا فبعث الله جبريل عليه السلام وأوحى اليه يا داود قد علمت انى وعدت أباك ابراهيم يوم امرته بذبح ولده فصبر وأتم أمرى بأن أبارك له في ذريته حتى يصيروا بعدد نجوم السماء واجعلهم بحيث لا يحصى عددهم فأردت أن تعلم عددهم انه لا يحصى عددهم غيرى وانى قد أقسمت لابتلينهم ببلية يقل منها عددهم ويذهب عنك اعجابك بهم وبكثرتهم فاختاروا اما أن أبتليكم بالجوع والقحط ثلاث سنين أو أسلط عليكم عدوكم ثلاثة أشهر أو الموت ثلاثة أيام فجمع داود بني اسرائيل وأخبرهم بما أوحى الله تعالى اليه وخيرهم فيه فقالوا له أنت أعلم بما هو أيسر لنا وأنت نبينا فانظر لنا غير ان الجوع لا صبر لنا عليه وتسليط العدو أمر فاضح فان كان ولا بد فالموت لانه بيده لا بيد غيره فأمرهم داود أن يتجهزوا للموت فاغتسلوا وتحنطوا ولبسوا الاكفان وبرزوا الى صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد بالذرارى والاهلين وأمرهم أن يضجوا الى الله تعالى ويتضرعوا اليه لعله أن يرحمهم فأرسل الله اليهم الطاعون فأهلك منهم في يوم وليلة الوفا كثيرة لا يدرى عددهم ولم يفرغوا من دفنهم الا بعد موتهم بشهر فلما أصبحوا في اليوم الثاني خر داود عليه السلام ساجدا لله تعالى يبتهل الى الله تعالى ويقول يارب أنا آكل الخل الحامض وبنو اسرائيل يضرسون يعنى أذنبت وبنو اسرائيل يعاقبون بما كان من شيء فى أزله واعف عن بني اسرائيل فاستجاب الله دعاءه وكشف عنهم الطاعون ورفع عنهم الموت فرأى داود عليه السلام الملائكة سالين سيوفهم فغمدوها وارتقوا في سلم من ذهب فى صخرة بيت المقدس الى السماء فقال داود لبني اسرائيل ان الله تعالى قد من عليكم ورحمكم فجددوا له شكرا قالوا فكيف تأمرنا قال آمركم أن تتخذوا في هذا الصعيد الذي رحمكم الله فيه مسجدا لا يزال فيه منكم ومن بعدكم ذاكر لله تعالى فأخذ داود في بنائه فلما أرادوا أن يبتدئوا بالبناء جاء رجل صالح فقير يختبرهم ليعلم كيف اخلاصهم في بنائهم فقال لبني اسرائيل ان لي فيه موضعا أنا أحتاج اليه ولا يحل لكم أن تحجبوني عن حقي فقالوا يا هذا ما من أحد من بني اسرائيل الا وله في هذا الصعيد حق مثل حقك فلا تكن أبخل الناس ولا تضايقنا فيه فقال أنا أعرف حقي وأنتم لا تعرفون حقكم فقالوا له اما ترضى وتطيب نفسك والا أخذناه منك كرها فقال لهم أتجدون هذا في حكم الله وحكم داود قال فرفع خبره الى داود عليه السلام فقال أرضوه فقالوا بكم نأخذه منه يا نبي الله قال خذوه بمائة شاة

فقال

سلطان العاشقين الى الصحراء ثم أطرق رأسه ساعة ونظر الى وقال يا ابراهيم ان المنقطع من قطعه الحبيب والواصل من أخذ من الطاعة بنصيب فهل أنت منقطع عن الحاج يا ابراهيم قلت له نعم سألتك بالله أن تدعو لى ان ألحق من سبقني من أصحابي قال فنظر الى السماء وحرك شفتيه فأخذتني سنة من النوم فما استيقظت الا وأنا في وسط الحاج ورفيقي يقول لي احذر أن تقع من على الراحلة ولم أدر أين ذهب الغلام فسألت الله أن يجمعني به قبل الموت فلما دخلنا مكة اذا بالغلام متعلق باستار الكعبة وهو يبكي وينشد ويقول شعرا

تعلقت بالاستار والقبر رهنه وأنت بما في القلب والسر أعلم
أتيت اليه ماشيا ضيرا كب وانى على صبرى محب متيم
هو يتلظى لاحيث لا أعرف الهوى فلا تعذلوني انني متعلم
وان كان قد جاءت الهي منيتي لعلى بوصل منك أحظى وأغنم

قال ابراهيم ثم أرخى عينيه وخر ساجدا فأتيت اليه وحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه فتأسفت لذلك ومضيت الى رجل لا أحسبه منه كفنا واستعنت برفيقي حتى ساعدني على تجهيزه فأتينا اليه فلم نجده

فقال الرجل زدني يا نبي الله فقال داود خذ ربعها ثم قال زدني قال ثلثه ثم قال زدني يا نبي الله وانا اشتريه
لله تعالى والله كريم لا يبخل فقال داود حيث قلت هذا فاحتكم اعطكه قال تشتريه بحائط مثله زيتونا ونخلا
وعنبا قال نعم فقال الرجل أنت اشتريته لله تعالى فلا تبخل قال سل ما شئت قال أنت أكرم على الله مني ولكن
ابن لي حوله جدارا مشرفا ثم املأه ذهبا وان شئت ورقا فقال داود هذا هين فالتفت الرجل الى بني اسرائيل
وقال لهم هذا هو التائب المخلص ثم قال لداود يا نبي الله لان يغفر الله لي ذنبا واحدا أحب الي من كل شيء
وهبت لي ولكني كنت أختبركم فقد وافق بناء بيت المقدس وكان ذلك فيما قيل لاحدى عشرة سنة مضت من
ملك داود وكان داود ينقل الحجارة على ظهره وكذلك اخيار بني اسرائيل حتى رفعه قامة فاوحى
الله تعالى اليه ان هذا بيت مقدس وانك رجل سفاك الدماء ولست بانيه ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه
سليمان أسلمه من سفك الدماء وأقضي اتمامه على يديه ويكون صيته وذكره وأجره لك باقيا فصلوا فيه
زمانا الى أن توفي داود عليه السلام واستخلف سليمان فأمره الله تعالى باتمام بيت المقدس فجمع سليمان
الجن والانس والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل يصلح لها وأرسل الجن والشياطين
في تحصيل عمل الرخام والبلور الابيض الصافي من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها
اثنى عشر ربضا لكل ربض سبط من الاسباط وكانوا اثنى عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ
في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فريق منهم يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنه
وفريق يغوصون في البحر ويستخرجون أنواع الدر وفريق يقطعون أنواع الرخام وفريق يغوصون
على الجواهر وفريق يأتون بالمسك والعنبر وأنواع الطيب من أماكنها فأتي بشيء من ذلك لا يحصيه الا
الله تعالى ثم انه أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الحجارة وتنضيدها ألواحا واصلاح تلك الجواهر ونقشها
فكانوا يعالجونها فتصوت [illegible] الصلابة فكره سليمان تلك الاصوات فدعا الجن وقال لهم هل
عندكم حيلة في نحت هذه الجواهر من غير تصويت فقالوا يا نبي الله ليس في الجن أكثر تجارب ولا أكثر علما
من صخر العفريت فأرسل اليه من يأتيه به فطبع سليمان بخاتمه طابعا وكان يطبع للشياطين بالنحاس
ولسائر الجن بالحديد وكان اذا طبع بخاتمه لم ذلك كالبرق الخاطف فكان لا يراه أحد من جن ولا شيطان
الا انقاد اليه باذن الله تعالى فأرسل الطابع مع عشرة من الجن فأتوه به وهو في بعض جزائر البحر وأروه
الطابع فلما نظر اليه كاد أن يصعق خوفا فأقبل مسرعا مع الرسل حتى دخل على سليمان فسأل سليمان رسله
عما أحدث العفريت في طريقه فقالوا يا نبي الله انه كان يضحك في بعض الاحايين من الناس فقال له سليمان
ما أضحكك بتمردك علي وتركك المجيء الى طاعتي حتى صرت تسخر من الناس فقال يا نبي الله اني لست أسخر
منهم غير اني ضحكت [illegible] عجبا مما كنت أسمع وأرى في طريقي فقال له سليمان وما ذاك قال مررت على
شط نهر فوجدت رجلا ومعه بغلة يريد أن يسقيها وجرة يريد أن يستقي بها فسقى البغلة وملأ الجرة ثم أراد
أن يقضي حاجته فشد البغلة باذن الجرة فنفرت البغلة وكسرت الجرة فضحكت من حمق الرجل حيث توهم
أن الجرة تحبس البغلة ومررت أيضا برجل آخر وهو جالس عند اسكاف يستعمله في اصلاح خفه
فسمعته يشترط عليه أن يصلحه بحيث يبقى معه أربع سنين وهو نزول ملك الموت اليه من قبله فضحكت
من قلة عقله وجهله ومررت بعجوز تتكهن وتخبر الناس بما لا يعلمون من أمور الدنيا وقد كنت رأيت
رجالا دفن في موضع فراشها ذهبا كثيرا في الدهور الخالية فرأيتها تموت جوعا تحت رأسها ذهب كثير وهي
لا تعلم مكانه ثم تخبر الناس بأمر السماء فضحكت منها ومررت برجل في بعض المدن وقد كان عنده [illegible]
يأكل البصل فيبرأ من دائه فصار يطب به الناس وكان لا يأتيه أحد يشكو علة الا أمره أن يأكل البصل
وانه لا يضره شيء حتى ان ضرره يصل الى الدماغ فضحكت منه ومررت في بعض الاسواق فرأيت [illegible]
[illegible] الادوية بكال كيلا ورأيت [illegible] فضحكت ومررت
بناس قد جلسوا يبتهلون الى الله ويسألونه الرحمة والمغفرة [illegible] آخرون [illegible]

فتعجبت من ذلك وسألت
عنه من الحجاج فلم يخبرني به
أحد فعرفت أنه مستتر عن
أعين الناس وما رآه أحد
غيري فرجعت الى مكاني
ولم أفتر عن ذكره فلما جن
الليل نمت فرأيته في المنام
وهو في موكب عظيم وعليه
نور ساطع وعليه من الحلي
والحلل ما يعجز عن وصفه
الواصفون قال ابراهيم
فقلت له ألست صاحبي
بالامس فقال نعم فقلت له
والله لقد طلبتك لاغسلك
وأكفنك فلم أجدك فقال
يا ابراهيم ان الذي أخرجني
وعجل شوقي ومن أهلي
عزني هو الذي كفني
وما أوحى قال ابراهيم
فقلت له بم نلت ذلك [illegible]
ذلك قال أوقفني بين يديه
وقال ما تمنيت فقلت أنت
ربي فقال الله عز وجل
أنت عبدي حقا ولا أحجب
عنك كل ما تريد فقلت
سيدي أريد أن تشفعني
في [illegible] الذي مت فيه
فقال الله عز وجل قد
شفعتك فيه قال ابراهيم ثم
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ورأت الرحمة قد نزلت عليهم وأحطات الذين كانوا من قبل وعشيت الارض مما أصحكت بهما القصا والعتر فقال له سليمان هل علمت من كان قبلك وولاتك في الجارشيا يحتمل هذا الجواهر ونقيه وسهل يحيا وتفيها الا صوت قال لم يا نبي الله اعرف حجرا أبيض كاللبن يقال له السامور وعيان لا أعرف معدنه الذى فيه وليس في الطير شئ أحيل ولا أهدى من العقاب فأمر بفراخه أن تجعل في صندوق من تلك الجواهر فله يأتى بذلك الحجر فضرب به الصندوق حتى يثقبه ليصل الى أولاده قال فأمر سليمان بفراخ العقاب ان تضم في صندوق من حجر منها وتناولته فغاب عن أفراخه فرمسيرا وجاء بالحجر بعد يوم وليلة فثقب به الصندوق حتى وصل الى افراخه فوجه سليمان مع العقاب نفرا من الجن حتى أتوه منه بقدر ما علم ان فيه الكفاية واستعمل ذلك في أدوات الصناع فسهل عليهم فجئ بها من غير صوت وهو حجر يستعمل في نقش الخواتيم وثقب الجواهر الى اليوم وهو ثمين عزيز قالوا فبنى سليمان المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده من المها الصافى وسقفه بألواح الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه باللآلئ واليواقيت وأنواع الجواهر وبسط أرضه بألواح الفيروزج فلم يكن يوجد يومئذ في الارض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد وكان يضئ في الليل كالقمر في ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه أحبار بني اسرائيل وأعلمهم انه بناه لله تعالى وكل شئ منه خالص لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذى فرغ منه عيدا لم يتخذ في الارض قط أعظم عيدا من ذلك اليوم ولا أطعمة أكثر منه فذبح فيه من الجزور ألف جزور ومن البقر خمسة وعشرين ألفا معلوفة ومن الغنم أربعمائة ألف شاة * قالوا ومن عجائب ما اتخذه سليمان ببيت المقدس انه بنى بيتا وطين حائطه بالجص وصقله فكان اذا دخله البار استبان خياله في ذلك الحائط أبيض واذا دخله الفاجر استبان خياله في ذلك الحائط أسود فارتدع من ذلك كثير من الناس عن الفجور والخيانة ونصب في زاوية من زوايا المسجد عصا آبنوس فكان من مسها من أولاد الانبياء لم يضره منها شئ ومن مسها من غيرهم احترقت يده فلما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس قرب قربانا على الصخرة ثم قال اللهم أنت وهبت لى هذا الملك منا منك علي وجعلتني خليفتك على أرضك وأكرمتني به من قبل ان أكون شيأ فلك الحمد اللهم اني أسألك لمن دخل هذا المسجد خصالا أن لا يدخله أحد يصلى فيه ركعتين مخلصا فيهما الا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ولا يدخله مذنب الا تبت عليه ولا خائف الا أمنته ولا سقيم الا شفيته ولا مجدب الا أخصبته وأغنيته واذا أجبت دعوتى وأعطيتني طلبتي فاجعل علامته ان تتقبل قرباني قال فنزلت نار من السماء فسدت ما بين الخافقين ثم امتد منها عنق فاحتمل القربان وصعد به الى السماء وكان بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه السلام الى ان غزا بختنصر بنى اسرائيل فخرب بيت المقدس وألقى فيه الجيف وكبسه بالتراب ونقل جميع ما فيه من الذهب والفضة والجواهر والآنية الى أرض بابل وكان بيت المقدس خرابا الى ان بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بأمره والله أعلم

﴿باب في قصة بلقيس ملكة سبا والهدهد وما يتصل به﴾

قال الله تعالى وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين الآية قالت العلماء بأخبار القدماء ان نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى أرض الحرم فتجهز للمسير واصطحب معه من الناس والجن والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ عسكره مائة فرسخ وأمر الريح الرخاء فحملتهم فلما وافوا الحرم أقام به ماشاء الله أن يقيم وقرب القرابين وقضى المناسك وبشر اهله بخروج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واخبرهم انه سيد الانبياء وخاتم النبيين وان ذلك مثبت في زبورهم ثم أحب أن يسير الى أرض اليمن فخرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن يؤم نجم سهيل فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا بيضاء حسنة تزهو بخضرتها فأحب النزول بها ليصلى ويتغدى فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان الهدهد دليله على الماء وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى أحدكم كأسه بيده فينقر الارض فيعرف موضع الماء وعمقه ثم تجئ الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الاهاب

ان قال ... من الدنيا ... وابتلى حتى أدركني الفناء واعتبرت لذلك غما شديدا الا جل الوضوء وقعد الماء وكانت ليلة مقمرة فسمعت صوتا ضعيفا وهو يقول لي يا أبا اسحق فدنوت منه فاذا هو شاب حسن الشباب تطيف الاثواب فسلمت عليه فرد على السلام فوجدته منطرحا على الارض وليس فيه حركة وعند رأسه رياحين مختلفة الالوان فتعجبت من ذلك وقلت له ما الذى أتى بك الى هذه البرية وهي مقفرة فقال يا أبا اسحق قد دنت وفاتى وقد سألت الله أن يحضر عندى وليا من أوليائه فنوديت يحضر وفاتك ابراهيم الخواص وها أنا منتظرك فقلت له يا أخي ما الذى حبسك ههنا فقال يا أخي أنا كنت عند أهلي في عزة وسرور نخطر على السفر واشتهيت الغربة فخرجت من مدينة شمشاط أريد الحج ووقعت في هذه البقعة منذ شهرين وقد حضرت الوفاة قال ابراهيم فقلت له ألك والدان فقال نعم ولى أخت صالحة فقلت له هل اشتقت اليهم أو خطر بالك أنهم فقال لا الا اليوم فاني أحببت ان أشم منهم رائحة أو اجدديهم عهدا قال

ليحفر عن الماء قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال له نافع بن الأزرق كيف يبصر
الماء من تحت الأرض ولا يبصر الفخ إذا غطي له بقدر إصبع من تراب فقال ويحك إذا جاء القدر عمي البصر
(وروى) قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهاكم عن قتل الهدهد فإنه كان
دليل سليمان على الماء فطلب سليمان الهدهد فلم يجده فتوعده ثم إن الهدهد لما جاء قال وجئتك من سبأ
بنبأ يقين إني وجدت امرأة تملكهم الآية وذلك أنه لما نزل سليمان قال الهدهد في نفسه إن سليمان قد
اشتغل بالنزول فارتفع إلى نحو السماء ونظر إلى طول الدنيا وعرضها ونظر يمينا وشمالا فرأى بستانا
لبلقيس فمال إلى الخضرة فوقع فيها فإذا هو بهدهد من اليمن فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور
واسم هدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من أين أقبلت وإلى أين تريد قال أقبلت من الشام مع صاحبي
سليمان بن داود عليه السلام فقال له الهدهد ومن سليمان بن داود قال ملك الجن والإنس والشياطين
والوحوش والرياح فمن أين أنت قال أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة قال فما اسمها قال يقال
لها بلقيس وإن لصاحبكم سليمان ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فإنها ملكت اليمن كله وتحت
يدها اثنا عشر ألف قيل مع كل قيل مائة ألف مقاتل والقيل هو القائد بلغة أهل اليمن فهل أنت منطلق
معي حتى تنظر إلى ملكها قال أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء فقال له
الهدهد اليماني إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه حتى أتى بلقيس ونظر ملكها وما
رجع إلى سليمان إلا وقت صلاة العصر قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت صلاة العصر طلب الهدهد
وذلك أنه نزل على غير ماء فسأل الإنس عن الماء فقالوا لا نعلم ههنا ماء فسأل الجن والشياطين فقالوا لا نعلم
فتفقد عند ذلك الهدهد فلم يجده فتوعده (قال ابن عباس) في بعض الروايات عنه وقعت قطعة من الشمس
على رأس سليمان فنظر فإذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال
أصلح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته إلى موضع فغضب عند ذلك سليمان وقال لأعذبنه عذابا
شديدا أو لأذبحنه واختلف العلماء في العذاب الشديد ما هو فقال أكثر المفسرين كان عذابه أن ينتف
ريشه وذنبه ويدعه ممعطا ثم يلقيه في بيت النمل فتلدغه وقال الضحاك لأنتفنه ولأشدن رجليه
ولأشمسنه وقال مقاتل لأطلينه بالقطران ولأشمسنه وقيل لأودعنه القفص وقيل لأفرقن بينه وبين إلفه
وقيل لأمنعنه من خدمتي أو ليأتيني بسلطان مبين أي حجة واضحة (وروى) عكرمة عن ابن عباس
قال كل سلطان في القرآن حجة قال ثم دعا العقاب سيد الطيور فقال له علي بالهدهد الساعة فرفع العقاب
نفسه دون السماء حتى التصق بالهواء فنظر إلى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم فنظر يمينا وشمالا فإذا هو
بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريده فلما رأى الهدهد أن العقاب يريده بسوء ناشده
الله وقال له بحق الذي قواك وأقدرك علي إلا رحمتني ولا تتعرض لي بسوء قال فولى العقاب عنه وقال له ويلك
ثكلتك أمك إن نبي الله سليمان قد حلف أن يعذبك أو يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهى
إلى المعسكر تلقاهما النسر والطير كله وقالوا له أين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله سليمان
وأخبروه بما قال فقال الهدهد وما استثنى نبي الله قالوا بلى إنه قال أو ليأتيني بسلطان مبين فطار الهدهد
والعقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله فلما قرب الهدهد
منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعا لسليمان فمد سليمان يده إلى رأسه
فمدها وقال أين كنت لأعذبنك عذابا شديدا فقال له الهدهد يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع
ذلك سليمان ارتعد وعفا عنه (أخبرني الحسين) ابن محمد الثقفي بإسناده عن عكرمة قال إنما صرف
سليمان عن ذبح الهدهد بره بوالديه ثم سأله ما الذي أبطأ بك عني قال الهدهد ما أخبر الله به أحطت بما لم تحط
به أي علمت ما لم تعلم به وجئتك من سبأ بنبأ يقين إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء واسمها بلقيس
بنت البشرخ وهو الهدهاذ وقيل هي بلعمة بنت شراحيل بن ذي جدن بن البشرخ بن الحارث بن قيس بن

ابراهيم فأخذت [illegible]
[illegible]
[illegible]
وصرت متحيرا في أمره
متفكرا في حاله ووقع حب
الشاب في قلبي والحب في
الله [illegible] فبينما أنا كذلك
إذ أقبلت [illegible] عظيمة وفي
فيها باقة نرجس لم أر أحسن
منها ولا أزكى من رائحتها
فوضعتها عند رأسه وقالت
بلسان فصيح يا ابراهيم
اعدل عن ولي الله تعالى
فإن الله تعالى يغير على
أوليائه قال ابراهيم فلحقني
من ذلك حال وصحت صيحة
عظيمة وغشي علي فلما
أفقت وجدت الشاب قد
فارق الدنيا رحمة الله تعالى
عليه فقلت إنا لله وإنا إليه
راجعون ما هذه إلا محنة
عظيمة كيف أصنع في
تجهيزه قال فأرسل الله
علي النوم فنمت فما أفقت
إلا بعد ليلة وقد طلعت علي
الشمس فنظرت لموضع
الشاب فلم أجد له أثرا
فتعجبت من ذلك وسرت
حتى دخلت مكة فلما قضيت
حجي توجهت إلى بلد
الشاب فاستقبلني نساء
عليهن مرقعات وفي أوائلهن
امرأة عليها مرقعة وثوب
من شعر وبيدها ركوة وهي
لا تفتر عن ذكر الله تعالى
فتأملتها فما رأيت أشبه
بالشاب منها فقالت يا أبا
اسحاق إني في انتظارك
لتحدثني عن أخي وقرة عيني
ثم بكت وارتفع بكاؤها

بن ... بن ... افريقيس بن ... حسان وكان أبو بلقيس الذي يسمى الشرح ... ملكا
عظيم الشأن وكان يملك أرض اليمن كلها وكان يقول لملوك الأطراف ليس أحد منكم كفؤا لي وأبى أن يتزوج
منهم فزوجوه امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن وكان الإنس إذ ذاك يرى الجن ويخالطهم
فولدت له تلقمة وهي بلقيس ولم يكن له ولد غيرها ويصدق هذا ما أخبر به ابن ميمونة باسناده عن أبي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان أحد أبوي بلقيس جنيا قالوا فلما مات أبو بلقيس ولم يخلف
ولدا غيرها طمعت في الملك وطلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وعصاها آخرون فاختاروا عليها
رجلا فملكوه عليهم وافترقوا فرقتين كل فرقة منهم استولت على طرف من أرض اليمن ثم ان هذا الرجل
الذي ملكوه أساء السيرة في أهل مملكته حتى كان يمد يده الى حرم رعيته ويفجر بهن فأراد أصحابه خلعه فلم
يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فأرسلت اليه وعرضت نفسها عليه فأجابها الملك الى ذلك
وقال ما منعني أن أبتدئك بالخطبة الا اليأس منك فقالت لا أرغب عنك لأنك كفؤ كريم فاجمع رجال قومي
واخطبني منهم فجمعهم وخطبها منهم فقالوا لا نراها تفعل هذا فقال انها هي التي ابتدأتني وأنا أحب أن
تسمعوا قولها فتشهدوا عليها فلما جاؤها وذكروا لها ذلك قالت نعم اني أحببت الولد ولم أزل منذ كنت
أرغب عن هذا والساعة قد رضيت به فزوجوها منه فلما زفت عليه خرجت في ناس كثير من خدمها
وحشمها حتى غصت منازله ودوره بهم فلما جاءته سقته الخمر حتى سكر ثم حزت رأسه وانصرفت من الليل
الى منزلها فلما أصبح الناس ورأوا الملك قتيلا ورأسه منصوب على باب دارها علموا أن تلك المناكحة كانت
مكرا وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا لها أنت أحق بهذا الملك من غيرك فقالت لولا العار والنار ما قتلته
ولكن رأيته قد عم فساده فأخذتني الحمية ففعلت به ما فعلت فملكوها واستتب أمرها في المملكة وروى
ابن ميمونة باسناده عن الحسن بن علي عن أبي بكرة قال ذكرت بلقيس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة قالوا فلما ملكت بلقيس اتخذت قصرا وعرشا

(صفة القصر الذي بنته بلقيس)

قال الشعبي روى ان بلقيس لما ملكت أمرت ببناء قصر فحمل اليها خمسمائة اسطوانة من رخام طول كل
اسطوانة خمسون ذراعا فأمرت بها فصفت على تل قريب من مدينة صنعاء وجعلت بين كل اسطوانتين
عشرة أذرع ثم جعلت فيها سقفا منظومة بألواح الرخام وألحم بعضها على بعض بالرصاص حتى صارت كأنها
لوح واحد ثم بنت فوق ذلك قصرا مربعا من آجر وجص في كل زاوية من زواياه قبة من ذهب مشرفة في الهواء
وفيما بين ذلك مجالس حيطانها من ذهب وفضة مرصعة بألوان الجواهر المربعة وجعلت فيه أي في باب ذلك
القصر مما يلي المدينة ربعا من الرخام الأبيض والأخضر والأحمر وفي جوانبه حجر لحجابها ونوابها وحراسها
وخدمها وحشمها على قدر مراتبهم (صفة عرشها) كان مقدمه من ذهب مفصص بالياقوت الأحمر والزمرد
الأخضر ومؤخره من فضة مكلل بألوان الجواهر وله أربع قوائم قائمة من ياقوت أحمر وقائمة من ياقوت
أخضر وقائمة من زمرد أخضر وقائمة من در أصفر وصفائح السرير من الذهب وعليه سبعون بيتا وعلى كل
بيت باب مغلق وكان طوله ثمانين ذراعا في ثمانين ذراعا في الهواء فذلك قوله عز وجل وأوتيت من كل شيء
أي مما تحتاج اليه في الملك من الآلة والعدة ولها عرش عظيم أي سرير ضخم حسن وجدتها وقومها
يسجدون للشمس من دون الله وذلك أنها قالت لوزرائها ما كان يعبد آبائي الماضون قالوا كانوا يعبدون
اله السماء قالت وأين هو قالوا هو في السماء وعلمه في الأرض قالت فكيف أعبده وأنا لا أراه ولست أعرف
شيأ أشد من نور الشمس فهي أولى ما ينبغي لنا عبادته فعبدت الشمس من دون الله تعالى وجعلت قومها على
عبادتها وكانوا يسجدون لها اذا طلعت واذا غربت (قال) فلما قال ذلك الهدهد لسليمان قال له سليمان
سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ثم ان الهدهد دلهم على الماء فاحتفروا الركايا وهي الآبار التي لم
تطو ببطن كل واد فروي الناس والدواب وكانوا قد عطشوا ثم كتب سليمان كتابا من عبد الله سليمان بن

داود

الى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فأن لا تعلوا على وأتونى مسلمين قال ابن جريج ولم يزد سليمان على ما نص الله تعالى فى كتابه شيأ وكان أبلغ الناس فى كتابه وأقله املاء وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يكتبون جملا ولا يطيلون كتابا ولا يكثرون قالوا فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم وكن قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون أى يردون من الجواب فأخذ الهدهد الكتاب وأتى به الى بلقيس وكانت بأرض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام فوافاها فى قصرها وقد غلقت الابواب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها ومضت الى فراشها فأتاها الهدهد وهى نائمة مستلقية على ظهرها فألقى الكتاب على نحرها هذا قول قتادة وقال مقاتل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره وطار حتى وقف على رأس المرأة فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت المرأة رأسها فألقى الكتاب فى حجرها وقال وهب بن منبه كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع الشمس فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد الى تلك الكوة فسدها بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فاستبطأت الشمس فقامت تنظر فرمى الصحيفة فى وجهها قالوا فأخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة كاتبة عربية من قوم تبع بن شراحيل الحميرى فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان فى خاتمه وعرفت أن الذى أرسل هذا الكتاب هو أعظم ملكا منها وقالت ان ملكا تكون رسله الطير لملك عظيم فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد ثم انها جاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم اثنا عشر ألف قيل تحت يد كل قيل منهم مائة ألف مقاتل وكانت تكلمهم من وراء الحجاب فاذا أشكل أمر أسفرت عن وجهها فلما جاؤا وأخذوا مجالسهم قالت لهم بلقيس انى ألقى الى كتاب كريم أى شريف لشرف صاحبه وقال الضحاك سمته كريما لانه كان مختوما ويدل عليه ما أخبرنى به أبو حامد الوراق باسناده عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كرم الكتاب ختمه وقيل سمته كريما لانه مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم فذلك قوله تعالى انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا على وأتونى مسلمين ثم قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى وأشيروا على فيما عرض لى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون أى تحضرون فقالوا مجيبين لها نحن أولو قوة وأولو بأس شديد عند الحرب والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين تجدينا لامرك طائعين فقالت لهم بلقيس حين عرضوا أنفسهم للحرب ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة أى أهانوا أشرافها وكبراءها لكى يستقيم لهم الامر فصدق الله قولها فقال وكذلك يفعلون أنشدنى أبو القاسم الجنيد فى هذا المعنى قال أنشدنى أبى فى معناه

ان الملوك بلاء حيثما حلوا * فلا يكن لك فى أكنافهم ظل
ماذا تؤمل من قوم اذا غضبوا * جاروا عليك وان أرضيتهم ملوا
وان مدحتهم خالوك تخدعهم * واستثقلوك كما يستثقل الكل
فاستغن بالله عن أبوابهم كرما * ان الوقوف على أبوابهم ذل

قال الله تعالى مخبرا عنها وانى مرسلة اليهم بهدية وذلك ان بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الملأ من قومها وجربت الامور وساسته انى مرسلة اليهم الى سليمان وقومه بهدية أصانعه عن ملكى وأختبره بها أملك أم نبى فان يك ملكا قبل الهدية وانصرف وان يك نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا أن نتبعه على دينه ثم انها أهدت اليه وصفاء ووصائف قال ابن عباس ألبستهم لباسا واحدا حتى لا يكون يعرف الذكر من الانثى وقال مجاهد ألبست الغلمان لباس الجوارى وألبست الجوارى لباس الغلمان واختلفوا فى عددهم فقال الكلبى عشرة جوار وعشرة غلمان وقال مقاتل مائة وصيف ومائة وصيفة وقال مجاهد مائتا غلام ومائتا جارية وقال وهب خمسمائة غلام وخمسمائة جارية وأرسلت اليه أيضا صفائح الذهب واختلفوا فى كيفيتها وعددها (أخبرنى) ابن ميمونة أيضا باسناده عن ثابت البنانى فى قوله تعالى وانى مرسلة

عليه قطعا فان قال ياته

وحق من نهى محبه وهو فى قربه لو احتجب عنى طرفة عين لتقطعت من ألم البين قال الشبلى فعرفت أنه من الخواص أرباب الاخلاص ثم قلت يا سيدى فما علامة المحبة فقال يا شبلى لو قطرت منها قطرة فى البحار لصارت سعيرا ولو وضعت منها ذرة على الجبال لصارت هباء منثورا فكيف بقلوب كثرها الغرام قلقا وزفيرا وزادها الهيام حرقا وتحييرا ثم جعل يقول شعرا

كشف الحبيب لسر دهاه ستورا
وسقاه كاسا فاغتدى مخمورا
واعتاده حر اللهيب ولم يرد
الا الحبيب فنال منه حبورا
يا فوز من كان الحبيب نديمه
وغدا اليه من الجميع مشيرا
فاذا رأيت محبه فى سكره
خلع العذار رأيته معذورا
من ذا يطيق الصبر عن محبوبه
حاشا المحب يكون عنه صبورا

وحكى عن ذى النون المصرى رضى الله تعالى عنه أنه قال مررت يوما فى بعض الاسواق فرأيت جنازة محمولة على أربعة رجال وليس معها أحد فقلت والله لامضين مع هؤلاء أكون خامسهم لأنال الاجر فمضيت معهم لما أتوا الى الجبانة فقلت لهم يا قوم أين ولى هذه الجنازة حتى يصلى عليها

اليهم بهدية قال أهدت له صفائح الذهب في أوعية الديباج فلما بلغ ذلك سليمان أمر الجن فموهوا له الآجر بالذهب ثم أمر به فألقي في الطريق في كل مكان فلما جاؤا رأوه ملقى في الطريق في كل مكان قالوا قد جئنا نحمل شيأ نراه ههنا ملقى لا يلتفت اليه فصغر في أعينهم ما جاؤا به وقيل كانت أربع لبنات من ذهب (وقال وهب ابن منبه وغيره من أهل الكتب عمدت بلقيس الى خمسمائة جارية وخمسمائة غلام فألبست الجواري لباس الغلمان الاقبية والمناطق وألبست الغلمان لباس الجواري وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب وفي أعناقهم أطواقا من ذهب وفي آذانهم أقراطا وشنوفا مرصعات بأنواع الجواهر وحملت الجواري على خمسمائة فرس والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من ذهب مرصع بالجواهر وأغشيها من الديباج الملون وبعثت اليه أيضا خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وأرسلت اليه أيضا بالمسك والعنبر والعود والالنجوج وعمدت الى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزع خرزة مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها أصحاب رأي وعقل وكتبت معهم كتابا بنسخة الهدية وقالت في الكتاب ان كنت نبيا فميز بين الوصائف والوصفاء وأخبرنا بما في الحقة قبل أن تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا وادخل خيطا في الخرزة ثم أمرت بلقيس الغلمان فقالت لهم اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وأمرت الجواري أن يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم انها قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم أنه ملك فلا يهولك منظره فأنا أعز منه وان رأيته رجلا بشاشا لطيفا فاعلم انه نبي مرسل فتفهم كلامه ورد الجواب فانطلق الرسل بالهدايا فلما رأى الهدهد ذلك أقبل مسرعا الى سليمان وأخبره بالخبر كله فأمر سليمان الجن أن يصنعوا له لبنا من الذهب والفضة ففعلوا ذلك ثم أمرهم أن يبسطوا له من موضعه الذي هو فيه الى تسع فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وان يجعلوا حول الميدان حيطانا مشرفة من الذهب والفضة ففعلوا ذلك فقال لهم أي الدواب أحسن مما رأيتم في البر والبحر فقالوا يا نبي الله انا رأينا في بحر كذا دواب مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص فقال سليمان علي بها الساعة فأتوه بها فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة وألقوا لها علوفة فيها ثم قال للجن علي بأولادكم فاجتمع خلق كثير فأقامهم فيها عن يمين الميدان وعن يساره ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع أربعة آلاف كرسي عن يمينه ومثلها عن يساره وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفا فراسخ وأمر الانس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحوش والسباع والهوام والطيور فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره فلما أقبل القوم ودنوا من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا الدواب التي لم تر أعينهم مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت اليهم أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا (وفي بعض الروايات) ان سليمان عليه السلام لما أمر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وأمرهم أن يتركوا في طريقهم على قدر اللبنات التي معهم فلما رأت الرسل موضع اللبنات خاليا وكل الارض مفروشة خافوا أن يتهموا بذلك فطرحوا ما معهم في ذلك المكان قال فلما جاؤا الى الميدان ورأوا الشياطين نظروا الى منظر عجيب ففزعوا منهم فقيل لهم جوزوا فلا خوف عليكم قال فكانوا يمرون على كردوس كردوس من الجن والانس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان عليه السلام فنظر اليهم سليمان نظرا حسنا بوجه طلق وقال ما وراءكم واخبره رئيس القوم بما جاؤا به وأعطوه كتاب الملكة فلما نظر اليه وقرأه قال لهم أين الحقة فأتي بها فحركها فجاء جبريل عليه السلام فأخبره بما في الحقة فقال ان فيها درة ثمينة بلا ثقب وخرزة مثقوبة معوجة الثقب فقال له الرسول صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط في الخرزة فقال سليمان عليه السلام من لي بثقبها فسأل الانس فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الشياطين فقالوا له أرسل الى الارضة فأرسل اليها فلما أتت أخذت شعرة في فيها ومرت في الخرزة حتى خرجت

من

يبيا المشرف... قال ذو النون فتعجبت من ذلك عجبا شديدا ثم تقدمت وصليت عليه وأنزلناه في لحده وواريناه بالتراب فلما هموا بالانصراف قلت لهم ما شأن هذا الميت أخبروني بحاله فقالوا لا نعلم غير أن امرأة أكثرت النحيب وهي لاحقة بنا فبينما نحن في الحديث اذ أقبلت امرأة علينا عليها سيما الخير والصلاح وهي باكية العين حزينة القلب فلما وقفت على القبر كشفت وجهها ونشرت شعرها ورفعت يديها الى السماء وهي تتضرع وتبكي ساعة وتدعو ساعة ثم سقطت الى الارض مغشيا عليها ثم أفاقت بعد ذلك وهي تضحك قال ذو النون فقلت لها أخبريني بخبر هذا الشاب المتوفى وكيف الضحك بعد البكاء فقالت من أنت يرحمك الله فقلت لها ذو النون فقالت والله لولا انك من أعيان الصالحين ما أخبرتك بخبره ثم قالت يا أخي ان هذا الشاب ولدي وقرة عيني وكان نائما في شبابه لاهيا بأسباب الهوى لم يترك سيئة الا ارتكبها ولا معصية الا سعى اليها وطلبها قد بارز مولاه بالمعاصي والآثام فحصل له ألم عظيم منذ ثلاثة أيام فلما كان في معاناة الموت قال لي يا أماه

من الجانب الآخر فقال لها سليمان سلي حاجتك فقالت أن تصير رزقي في الشجر قال لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها بالخيط فقالت دودة بيضاء أنا لها يا نبي الله فأخذت الدودة خيطا في فيها ودخلت الثقب فخرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت أن تصير رزقي في الفواكه قال لها لك ذلك ثم انه ميز بين الجواري والغلمان بان أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية بإحدى يديها ثم تجعله في اليد الأخرى ثم تضرب به الوجه والغلام يأخذه من الاناء بيديه ويضرب به وجهه وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام يحدر الماء على ساعده حدرا فميز بينهم بذلك ثم رد سليمان الهدية كلها وقال أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون لأنكم أهل المفاخرة والمكاثرة في الدنيا ولا تعرفون غير ذلك وليست الدنيا من حاجتي لأن الله تعالى قد مكنني منها وأعطاني ما لم يعط أحدا من العالمين فيها ومع ذلك فالله سبحانه وتعالى أكرمني بالنبوة والحكمة ثم انه قال للمنذر بن عمرو أمير القوم ارجع إليهم بالهدية فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ان لم يأتوني مسلمين قالوا فلما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان وأخبروها قالت والله ما هذا إلا ملك وما لنا به من طاقة فبعثت إلى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك ثم ان بلقيس أمرت بعرشها فجعل في سبع أبيات بعضها داخل بعض في آخر قصر من قصورها ثم أغلقت دونه الأبواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم انها قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي فلا تخلص إليه أحدا ولا يراه حتى آتيك ثم انها أمرت مناديا ينادي في أهل مملكتها يؤذنهم بالرحيل ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل مائة ألف مقاتل قال ابن عباس وكان سليمان عليه السلام رجلا مهيبا لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس يا رسول الله قال وقد نزلت منا بهذا المكان قالوا نعم قال ابن عباس وكان ما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فأقبل سليمان على جنوده وقال أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين أي طائعين خاضعين واختلف العلماء في السبب الذي لأجله أمر سليمان باحضار العرش فقال أكثرهم لأن سليمان علم أنها إذا أسلمت حرم عليه مالها فأراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه باسلامها (وقال قتادة) لأنه أعجبه صفته لما وصفه الهدهد فأراد أن يراه قبل أن يراها وقيل ليريها قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها قال عفريت من الجن وهو المارد القوي أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك أي مجلسك الذي تقضي فيه قال ابن عباس كان له غداة كل يوم مجلس يقضي فيه إلى نصف النهار واختلفوا في اسمه فقال وهب اسمه كودي وقال شعيب اسمه كوذان واني عليه لقوي أي قوي على حمله أمين على ما فيه من الجواهر فقال سليمان أريد أسرع من هذا فقال الذي عنده علم من الكتاب الآية واختلفوا فيه فقال بعضهم هو جبريل عليه السلام وقال آخرون ملك من الملائكة أيد الله به نبيه عليه السلام وقال آخرون بل كان رجلا من بني آدم ثم اختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو آصف بن برخيا بن شمعيا بن منكيا وكان صديقا يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى (أخبرنا) ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال ان آصف قال لسليمان حين صلى ودعا الله تعالى مد عينيك حتى ينتهي طرفك قال فمد سليمان عينيه ونظر نحو اليمن وبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الأرض يخدون الأرض خدا حتى انخرقت الأرض بالسرير ووضع بين يدي سليمان واختلف العلماء في الدعاء الذي دعا به آصف بن برخيا عند الاتيان بالعرش (وروي) عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أن الاسم الأعظم الذي دعا به آصف بن برخيا يا حي يا قيوم وروي عن الزهري قال دعاء الذي عنده علم من الكتاب يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت ائتني بعرشها وقال مجاهد يا ذا الجلال والإكرام (حدثنا) ابن ميمونة باسناده عن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الذي عنده علم من الكتاب رجل صالح وكان في جزيرة من جزائر البحر فخرج ذلك اليوم ينظر من ساكن الأرض وهل

سألتك بالله الا ما قبلت وصيتي إذا أنا مت فلا تعلم بموتي أحدا فانهم لا يترحمون على لسوء فعلي وكثرة ذنوبي ثم بكى وأنشد يقول شعرا

لي ذنوب شغلتني
عن صيامي وصلاتي
تركت جسمي عليلا
مات من قبل وفاتي
ليتني تبت لربي
من جميع السيئات
أنا عبد لالهي
مغضب في الخلوات
بحت جهرا بذنوبي
وعيوبي قاتلاتي
قد توالت سيئاتي
وتلاشت حسناتي

قالت ثم بكى بكاء شديدا وقال آه مما فرطت في جنب الله آه على قلبي ما أقساه ثم قال بالله عليك يا أماه إذا أنا مت فضعي خدي على التراب وضعي قدمك على وجهي وقولي هذا جزاء من عصى مولاه وترك أمره واتبع هواه فاذا دفنتني فقفي على قبري وارفعي يديك إلى السماء وقولي اللهم اني رضيت عنه فارض عنه وفعلت ما أمرني به وجميع ما أوصاني عليه فاذا التوت فلما رفعت طرفي إلى السماء سمعت صوتا بلسان فصيح وهو يقول انصرفي يا أماه فقد قدمت على كريم فوجدته راضيا عني غير غضبان فلما سمعت ذلك ضحكت واستبشرت [illegible]

بعبد الله أولا بعبده فوجد سليمان قد دعا باسم من أسماء الله تعالى فاذا هو بالعرش يحمل فأتي به سليمان
عليه السلام من قبل أن يرتد اليه طرفه * وباسناده عن مجاهد قال حدثنا سهيل بن حرب قال زعم ابن أبي
بردة ان اسم الذي عنده علم من الكتاب اسطوم وقال قتادة اسمه مليخا وقال محمد بن المنكدر انما هو سليمان
آتاه الله علما وفقها قال له عالم من بني اسرائيل أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فقال سليمان هات قال
أنت النبي ابن النبي وليس أحد عند الله أوجه منك فان دعوت الله وطلبت منه كان عندك قال صدقت
ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت فلما رآى سليمان العرش مستقرا عنده محمولا اليه من مأرب الى الشام
في قدر ارتداد الطرف وهو مدة يسيرة قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر
لنفسه أي لم ينفع بذلك الا نفسه حيث استوجب شكره لتمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة
الموجودة وصيد النعمة المفقودة ومن كفر فان ربي غني عن شكره كريم الافضال عمن يكفر نعمته فقال
سليمان عليه السلام نكروا لها عرشها أي زيدوا فيه وانقصوا منه واجعلوا أعلاه أسفله وأسفله أعلاه
ننظر أتهتدي الى عرشها فتعرفه أم تكون من الجاهلين الذين لا يهتدون اليه أراد أن يختبر عقلها وانما
حمل سليمان على ذلك ما ذكره وهب بن منبه ومحمد بن كعب وغيرهما من أهل العلم ان الشياطين خافت
أن يتزوجها سليمان ويستولدها فتفشي اليه أسرار الجن ولا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده
فارادوا أن يزهدوه فيها فأساؤا الثناء عليها وقالوا ان في عقلها شيأ وان رجليها كحافر حمار فأراد سليمان
أن يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح فلما جاءت بلقيس قيل لها أهكذا عرشك
قالت كأنه هو فشبهته به وكانت قد تركته خلفها في بيت خلف سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها فلم تقر
بذلك ولم تنكر فعلم سليمان كمال عقلها (قال الحسين) بن الفضل شبهوا عليها فشبهت عليهم وأجابتهم على
حسب سؤالهم ولو قالوا لها هذا عرشك لقالت نعم فقال سليمان وأوتينا العلم بالله وبقدرته على ما نشاء من
قبلها أي من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين خاضعين لله تعالى هذا قول مجاهد وغيره وقال بعضهم هو من
قول بلقيس لما رأت عرشها عند سليمان قالت قد عرفت هذا وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان عليه السلام
بالآيات المتقدمة من قبلها أي من قبل هذه الآية وكنا مسلمين أي منقادين لك مطيعين لامرك من قبل
أن جئناك فلما وافت سليمان عليه السلام قيل لها ادخلي الصرح وذلك أن سليمان لما أقبلت بلقيس
تريده أمر الشياطين فبنوا له صرحا أي قصرا من زجاج كأنه الماء بياضا وأجروا من تحته الماء وألقى فيه
السمك ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس وانما أمر ببناء الصرح لان
الشياطين قال بعضهم لبعض قد سخر الله لسليمان ما سخر وبلقيس ملكة سبأ ينكحها فتلد غلاما فلا ننفك
من العبودية والسخرة أبدا فارادوا أن يزهدوه فيها فقالوا ان رجلها رجل حمار وانها شعراء الساقين
لان أمها كانت جنية فاراد سليمان أن يعلم حقيقة ذلك وينظر قدميها وساقيها فأمر ببناء الصرح (وقال
وهب بن منبه) انما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها يعاينها بذلك كما فعلت هي بتوجيهها اليه الوصائف
والوصفاء ليميز بين الذكر والانثى فلما جاءت بلقيس قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وهي معظم
الماء فكشفت عن ساقيها لتخوضه الى سليمان فنظر سليمان عليه السلام فاذا هي أحسن الناس ساقا
وقدما الا أنها كانت شعراء الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداها انه صرح ممرد من
قوارير وليس بماء فلما جلست قالت له يا سليمان اني أريد أن أسألك عن شيء قال سلي قالت أسألك عن ماء
رويّ ليس من الارض ولا من السماء وكان سليمان اذا جاءه شيء لا يعلمه سأل عنه الانس فان كان عندهم علم
ذلك والا سأل الجن فان علموا والا سأل الشياطين فسأل الشياطين عن ذلك فقالوا ما أهون ذلك أجر
الخيل ان تجري ثم املا الآنية من عرقها فقال لها سليمان عرق الخيل فقالت صدقت ثم قالت أخبرني
عن كون ربك فوثب سليمان عن سريره وخر ساجدا وصعق فقامت عنه وتفرق جنوده فجاء جبريل عليه
السلام وقال له يا سليمان يقول لك ربك ما شأنك قال يا جبريل ربي أعلم بما قالت قال فان الله يأمرك أن

تعود

تعالى ولطفه بجنازة المذنبين والله تعالى أعلم (وحكي عن مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه) أنه قال رأيت بالبصرة قوما يحملون جنازة وليس معهم أحد يشيع الجنازة فسألت عن ذلك فقيل هذا رجل كان من كبار المذنبين والعصاة المسرفين قال مالك فسرت معهم حتى صلينا عليه وأنزلناه في لحده وانصرف عنه من كان معه ثم ملت الى ظل عند قبره فنمت فرأيت ملكين قد نزلا من السماء فشقا قبره ونزل أحدهما اليه وقال لصاحبه اكتبه من أهل النار فانه ما فيه جارحة سلمت من المعاصي والاوزار فقال له صاحبه يا أخي لا تعجل عليه واختبر عينيه فقال قد اختبرتهما فوجدتهما ملوأتين بالنظر الى محارم الله تعالى قال فاختبر سمعه فقال اختبرته فوجدته مملوأ بسماع الفواحش والمنكرات قال واختبر لسانه فقال اختبرته فوجدته مملوأ بالخوض وارتكاب المحرمات قال فاختبر يديه فقال اختبرتهما فوجدتهما مملوأتين بتناول الحرام وما لا يحل من اللذات والشهوات قال فاختبر رجليه فقال اختبرتهما فوجدتهما في

تعود الى سريرك فترسل اليها والى من حضرها من جنودك وجنودها فتسألها وتسألهم عما سألتك عنه ففعل ذلك سليمان فلما دخلوا عليه واستقروا قال لها عما ذا سألتني قالت عن ماء رويّ ليس من أرض ولا من سماء فاجبت قال وعن أي شيء سألتيني أيضا قالت ما سألتك عن شيء الا هذا فسأل الجنود فقالوا مثل قولها وأنساهم الله تعالى ذلك وكفى الله سليمان الجواب ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام وكانت قد رأت حال الهدهد والهدية والرسل والعرش والصرح فاجابت وقالت رب اني ظلمت نفسي بالكفر وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين (واختلف العلماء) في أمرها بعد الاسلام فقال أكثرهم لما أسلمت بلقيس أراد سليمان أن يتزوجها فلما هم بذلك كره لما رأى من شدة كثرة شعر ساقيها وقال ما أقبح هذا فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت المرأة لم يمسني حديد قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقها فسأل الجن فقالوا لا ندري ثم سأل الشياطين فتنكروا عليه وقالوا لا ندري فلما ألح عليهم قالوا نحن نحتال لك عليه حتى يكون كالفضة البيضاء فاتخذوا لها النورة والحمام (قال ابن عباس) انه أول يوم رؤيت فيه النورة فاستنكحها سليمان عليه السلام (أخبرني) ابن ميمونة بسنده عن أبي موسى يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من اتخذ الحمامات سليمان عليه السلام فلما التصق ظهره بالجدار قال أواه من عذاب الله تعالى قالوا فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين وغمدان وبينون ثم ان سليمان كان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها الى ملكها ويقيم عندها ثلاثة أيام ثم يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام (وروى) محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال سليمان لبلقيس لما أسلمت وفرغ من أمرها اختاري رجلا من قومك حتى أزوجك اياه قالت ومثلي ينكح الرجال يا نبي الله وقد كان لي في ملكي وقومي من السلطان ما كان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحل الله لك قالت زوجني ان كان ولا بد من تبع الاكبر ملك همدان فزوجه اياها ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على اليمن ودعا سليمان زوبعة أمير جن اليمن فقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه قال فصنع لذي تبع المصانع باليمن ثم لم يزل بها ملكا يعمل فيها ما أراد حتى مات سليمان عليه السلام قال فلما حال الحول وبلغ الجن موت سليمان أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى اذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته يا معشر الجن ان سليمان نبي الله قد مات فارفعوا أيديكم قال فعمدت الشياطين الى حجرين عظيمين فكتبوا فيهما كتابا بالمسند يعني خط الحميرية نحن بنينا سلحين وبينين ونبنا صرواح ومرواح وبينون وهندة وهنيدة ودلوم وهذه الحصون كانت باليمن عملتها الشياطين لذي تبع ولولا صارخ تهامة لم يرفعوا أيديهم فانطلقوا وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان عليه السلام والله أعلم

((باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام أبا روجته الجرادة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه))

قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب وروى محمد بن اسحق عن بعض العلماء أن سليمان أخبر أن في جزيرة من جزائر البحر رجلا يقال له صيدون ملك عظيم الشأن لم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر فخرج الى تلك المدينة فحملته الريح على ظهرها حتى نزل عليها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى ما فيها فأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا واصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على يده في الظاهر على خيفة منه وقلة ثقة فاحبها حبا شديدا لم يحبه أحدا من نسائه وكانت منزلتها عنده منزلة عظيمة وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولم يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ فقالت اني أذكر أبي وأذكر ملكه وسلطانه وما كان فيه

سبق النجاسات والامور المذمومات فقال الآخر يا أخي لا تعجل عليه ودعني أنزل اليه فنزل الملك الثاني اليه ومكث عنده ساعة وقال يا أخي قد اختبرت قلبه فوجدته مملوأ بالايمان فاكتبه سعيدا مرحوما ففضل الله عظيم ورحمته وسعت كل شيء قال مالك فانتبهت من منامي متعجبا مما رأيت فسمعت قائلا يقول هذا الكلام شعرا

لما رأوه مبعدا عن طاعتي
حكموا بأني لا أجود برحمتي
حلمي أجل ولن يضيق على الورى
من ذا يعد أوامري ومشيئتي

قال مالك رحمه الله ما حصلت هذه السعادة لهذا الرجل الا بعناية سابقة وما تحصل هذه لكل عاص فلا يغتر الانسان بهذا فالعاصون كلهم في خطر المشيئة بل الطائعون لا يدرون بماذا يختم لهم ونسأل الله تعالى حسن الخاتمة والعفو والمغفرة بمعونته ورحمته وعفوه وفضله وكرمه واحسانه وجوده ومنه آمين ((وحكي عنه أيضا عفا الله تعالى عنه)) أنه قال سألني بعض أصحابي عن سبب توبتي فقلت له كنت منهمكا في شرب الخمر واشتريت جارية جميلة واستولدتها فولدت لي بنتا نفيسة ذات حسن وجمال فاحببتها وشغفت بها فلما

فيعزيني ذلك فقال لها سليمان قد أبدلك الله ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا هو أعظم من سلطانه وهداك الله الى الاسلام وهو خير لك من ذلك كله قالت ان ذلك كذلك ولكني اذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين يصورون لي صورته في داري التي أنا فيها أراه بكرة وعشية لرجوت أن يذهب ذلك حزني ويسليني عن بعض ما أجد في نفسي فأمر سليمان الشياطين أن يمثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيأ فمثلوه لها حتى نظرت الى أبيها بعينه الا أنه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فأزرته وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبسها ثم انها كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو اليه في ولائدها فتسجد له ويسجدن له معها كما كانت تصنع معه في ملكه وتروح اليه كل عشية تفعل معه مثل ذلك وسليمان لا يعلم بشئ من ذلك أربعين صباحا فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن باب سليمان أي ساعة أراد دخول بيته دخل حاضرا أم غائبا فأتاه فقال يا نبي الله كبر سني ودق عظمي ونفد عمري وقد حان الذهاب مني وقد أحببت ان أقوم مقاما قبل الموت اذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى واثني عليهم بعلمي فيهم واعلم الناس بعض ما يجهلون من كثير من أمورهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى واثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضلهم الله به حتى انتهى الى سليمان فقال له ما كان أحكمك في صغرك وأورعك في صغرك وأفضلك في صغرك وأحكم أمرك في صغرك وأبعدك من كل ما يكره في صغرك ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى امتلأ غيظا فلما دخل سليمان داره أرسل اليه فلما أتاه قال له يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى فأثنيت عليهم خيرا في كل أزمانهم وعلى كل حال من أمورهم فلما ذكرتني اثنيت علي بخير في صغري وسكت عما سوى ذلك من أمري في كبري فما الذي أحدثت في آخر عمري فقال له ان غير الله يعبد في دارك أربعين صباحا في هوى امرأة فقال سليمان في داري قال نعم في دارك فقال انا لله وانا اليه راجعون لقد علمت انك ما قلت ما قلت الا عن شئ بلغك ثم ان سليمان رجع الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم انه أمر بثياب الطهر فأتي بها وهي ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا تمسها امرأة ذات دم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وأمر برماد ففرش ثم أقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا اليه ويبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره ويقول فيما يقول رب ما كان ينبغي لآل داود ان يعبدوا غيرك وان يقروا في دورهم وأهاليهم عبادة غيرك فلم يزل كذا يومه حتى أمسى ثم رجع الى داره وكانت له وليدة يقال لها أمينة كان اذا دخل مذهبه أو أراد قضاء حاجة او اراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو متطهر لان خاتمه كان من ياقوتة خضراء أتاه بها جبريل عليه السلام مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوما من الايام عندها كما كان يضعه عند دخول مذهبه فأتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وكان اسمه صخرا فظنته سليمان لانها لم تنكر منه شيأ فقال يا أمينة خاتمي فناولته اياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين فخرج سليمان فأتى الى أمينة وقد تغير من حاله ونفسه ما كان معهودا له عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمي فقالت ومن أنت قال سليمان بن داود فقالت كذبت لست سليمان فقد جاء سليمان وأخذ خاتمه وها هو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان ان الخطيئة قد أدركته فخرج سليمان وجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون انظروا الى هذا المجنون وأي شئ يزعم يقول انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك خرج متوجها الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب البحر من البحر الى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع احدى السمكتين بأرغفة وشوى الاخرى فيأكلها فمكث ذلك أربعين صباحا عدة ما كان ذلك الوثن يعبد في داره فأنكر آصف بن برخيا وعلماء بني اسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الاربعين

يوما

وألقتها فهلكت اذا وضعت آنية السكر تجاذبني عليه وتهريقه على الارض فلما بلغ عمرها سنتين ماتت فأكمدني الحزن عليها فلما كان ليلة النصف من شهر شعبان وكانت ليلة جمعة بت مملوأ بالخمر فلما نمت رأيت كأن أهل القبور قد قاموا من قبورهم وحشروا الى الله عزوجل وكأني قد حشرت معهم فبينما أنا كذلك اذ سمعت صوتا من خلفي فالتفت نحوه فاذا بثعبان كأنه نخلة سحوق قد طلبني وفتح فاه ليلقمني ففررت منه مسرعا فزعا مرعوبا واذا بشيخ نقي الثياب عليه رائحة طيبة وهو جالس في طريق فسلمت عليه ورد علي السلام فقلت له أجرني وأغثني من هذا الثعبان فقال الشيخ اني ضعيف وهذا أقوى مني ولكن أسرع في الهرب فلعل الله تعالى يسهل لك من ينجيك منه ففررت هاربا حتى صعدت على شرف من شرائف القيامة وأشرفت على طبقات النيران والثعبان في طلبي فكدت أن أسقط في النار من فزعي منه فصاح صائح من النار يا عزيز ارجع لست من أهلها فاطمأن قلبي لذلك ورجعت الى الشيخ فقلت له يا شيخ استغثت بك واستجرت فيك فأبيت ان تجيرني من هذا الثعبان فلم لم تجرني قال فبكى وقال يا مالك

يوما فقال آصف يا معشر بني اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ما رأيت قالوا نعم قال امهلوني حتى أدخل على نسائه فأسألهن هل أنكرن منه في خاصة أمره ما أنكرناه من عامة أمر الناس وعلانيته فدخل على نسائه فقال لهن ويحكن هل أنكرتن من أمر سليمان بن داود ما أنكرناه فقلن أشده ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة فقال آصف انا لله وانا اليه راجعون ان هذا لهو البلاء المبين ثم انه خرج الى بني اسرائيل فقال ما في الخاصة أعظم مما في العامة فلما مضت أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر في البحر فقذف الخاتم فيه فابتلعته سمكة فاصطادها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى اذا كان العشاء أعطاه السمكتين وكان من جملتهما السمكة التي ابتلعت الخاتم فحمل سليمان سمكتيه فباع التي ليس في بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد الى السمكة الاخرى فشقها ليشويها فوجد خاتمه في جوفها فأخذه فجعله في يده ووقع ساجدا فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين وأقبل على الناس وعلم ان الذي دخل عليه لما أحدث في داره من عبادة الوثن فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه ثم أمر الشياطين وقال ائتوني بصخر المارد فطلبته الشياطين حتى أتت به فقبت له صخرة فأدخله فيها ثم سد عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف في البحر هذا حديث وهب بن منبه ﴿وقال السدي﴾ في سبب ذلك كان لسليمان مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهي آثر نسائه وآمنهن عنده وكان اذا أراد أن يأتي حاجته أو دخل مذهبه نزع الخاتم ولم يأتمن عليه أحدا من الناس غيرها فجاءته يوما من الايام وقالت له ان أخي بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب أن تقضي له اذا جاءك فقال نعم ولم يفعل وابتلي بقوله وأعطاها خاتمه ودخل المخرج فخرج الشيطان في صورته فقال لها هات الخاتم فأعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان وخرج سليمان بعده فسألها أن تعطيه خاتمه فقالت له ألم تأخذه قال لا فخرج من مكانه تائها ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما فأنكر الناس حكمه واجتمع قراء بني اسرائيل وعلماؤهم فجاؤا حتى دخلوا على نسائه فذكروا لهن ما أنكروا فقلن ونحن قد أنكرنا هذا فان كان سليمان قد ذهب عقله وأساء أحكامه فليس لما صبر على ذلك وبكى النساء عند ذلك قال فأقبلوا يمشون حتى أتوه وأحدقوا به وأخذوا مجالسهم ثم انهم نشروا التوراة فقرؤها فلما قرؤا التوراة طار من بين أيديهم حتى ذهب الى البحر ووقع الخاتم منه في البحر فابتلعه الحوت قال وأقبل سليمان على حالته التي كان فيها حتى انتهى الى صياد من الصيادين وهو جائع وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم وقال اني سليمان بن داود فقام اليه بعضهم فضربه بعصاه فشجه فسال دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه وقالوا له بئسما صنعت حيث ضربته فقال انه زعم انه سليمان بن داود فأعطوه سمكتين مما ضرب عندهم فلم يشغله ما كان فيه من ألم الضرب حتى قام الى شاطئ البحر فشق بطنهما وجعل يغسلهما فوجد خاتمه في بطن احداهما فأخذه ولبسه ورد الله عليه ملكه وبهاءه وجاءت الطير حتى حامت عليه فعرفه القوم فجاؤا يعتذرون اليه مما صنعوا فقال ما أحمدكم على عذركم ولا ألومكم على ما كان منكم هذا ما كان لا بد منه ثم جاء حتى أتى ملكه وأمر أن يأتوا بالشيطان الذي أخذ خاتمه فأتي به فجعله في صندوق من حديد ثم أطبقه وأقفل عليه بقفل وختمه بخاتمه ثم أمر به فألقي في البحر وهو فيه كذلك الى الساعة (وفي بعض الروايات) ان سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فأخذه سليمان وأعاده عليه فسقط من يده فلما رآه سليمان لا يثبت في يده أيقن بالفتنة فقال آصف لسليمان انك مفتون بذنبك والخاتم لا يتماسك أربعة عشر يوما ففر الى الله تائبا من ذنبك وأنا أقوم مقامك وأسير في عملك وأهل بيتك بسيرتك الى أن يتوب الله عليك ويردك الى ملكك ففر سليمان هاربا الى ربه وأخذ آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت وان الجسد الذي قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب هو آصف كاتب سليمان وكان عنده علم من الكتاب فأقام آصف في ملك سليمان وعياله يسير بسيرته ويعمل بعمله أربعة عشر يوما الى أن رجع سليمان الى منزله تائبا الى الله تعالى ورد

آمنا بالله الذي شعيب صبر الى هذا الجبل فان فيه ودائع المسلمين عسى أن يكون لك فيها وديعة تنصرك وتجيرك من عدوك وهو أقوى منك قال مالك فسرت الى الجبل فاذا هو جبل عظيم وفيه كوات مخرمة وستور معلقة على كل كوة ستر من الذهب الاحمر مرصع باليواقيت والدر واللؤلؤ والجوهر واذا بمناد ينادي ارفعوا الستور وأشرفوا كلكم فلعل أن يكون لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه قال مالك فرفعت الستور وأشرفت أطفال على وجوه كالاقمار فصاح بعضهم على بعض أشرفوا كلكم فقد قرب منه الثعبان وهو متحير في أمره قال مالك فأشرفوا كلهم فنظرت فاذا ابنتي فيهم فلما رأتني بكت وقالت هذا أبي والله ثم أشارت بيدها الى الثعبان فولى هاربا ومدت يدها الى فتعلقت بها فجذبتني وأدخلتني مكانا هي فيه يكل عنه الوصف فحمدت الله تعالى على ذلك فقرأت ابنتي قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله قال مالك فبكيت عند ذلك وقلت لها أنتم تعرفون القرآن فقالت نعم فقلت لها اخبريني عن هذا الثعبان الذي أراد أن يهلكني فقالت يا والدي هذا عملك السوء قوينه

الله عليه ملكه فأقام آصف من مجلسه وجلس سليمان على كرسيه وأعاد الخاتم في يده فثبت (وقيل) سبب ذلك ما أخبرنا شعيب بن محمد البجلي باسناده عن سعيد بن المسيب ان سليمان بن داود احتجب عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله اليه أن يا سليمان احتجبت عن عبادي ثلاثة أيام فلم تنظر في أمورهم ولم تنصف مظلوما من ظالم وذكر حديث الخاتم وأخذ الشيطان اياه كما روينا وقال في آخره وقال علي كرم الله وجهه ذكرت ذلك للحسن فقال ما كان الله تعالى ليسلط على نسائه ونعوذ بالله أن يسلط الشيطان على نساء أنبيائه بالمباشرة وكيف يعتقد ذلك أحد وقد نزه الله تعالى أنبياءه عن مثل هذا القبيح وهذا القول أصح الاقوال وأليق بأنبياء الله تعالى وأقرب الى التقوى (وقال) بعض المفسرين كان سبب فتنة سليمان أنه أمر أن لا يتزوج امرأة الا من بني اسرائيل فتزوج امرأة من غيرهم فعوقب على ذلك (وقيل) ان سليمان عليه السلام لما أصاب بنت الملك صيدون اعجب بها وعرض عليها الاسلام فامتنعت فخوفها سليمان فقالت له ان أكرهتني على الاسلام قتلت نفسي فخاف سليمان أن تقتل نفسها فتزوج بها مشركة وكانت تعبد صنما لها من ياقوتة أربعين صباحا في خفية من سليمان الى ان أسلمت فعوقب سليمان بزوال ملكه أربعين يوما (وقال الشعبي) في سبب زوال ذلك ولد لسليمان ابن فاجتمعت الشياطين فقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك مما نحن فيه من البلاء والسخرة فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله فعلم سليمان ذلك فأمر السحاب أن تأخذ ابنه وأمر الريح فحملته وغدا ابنه في السحاب فأمن مضرة الشياطين فعاتبه الله لتخوفه من الشياطين ومات الولد فألقي على كرسيه وهو الجسد الذي قصه الله علينا بقوله وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب والله تعالى أعلم

((باب في ذكر وفاة سليمان عليه السلام))

قال الله تعالى فلما قضينا عليه الموت الآية قال أهل التاريخ لبث سليمان في ملكه بعد ان رده الله تعالى عليه تعمل له الجن والشياطين ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وغير ذلك ويعذب من الشياطين من يشاء ويطلق من يشاء ويأمرهم بحمل الحجارة الثقيلة ونقلها الى حيث أحب قال فتزيا لهم ابليس وهم دائبون في العمل فقال كيف أنتم قالوا ما لنا طاقة مما نحن فيه فقال ابليس تذهبون تحملون الحجارة وترجعون فراغا لا تحملون شيأ قالوا نعم قال وأنتم في راحة قال فأبلغت الريح ذلك سليمان فأمرهم أن يحملوا ذاهبين وراجعين فجاءهم ابليس فقال كيف أنتم فشكوا اليه وأخبروه انهم يحملون ذاهبين وراجعين فقال لهم ابليس أنتم تموتون بالليل قالوا نعم قال فأنتم في راحة قال فأبلغت الريح ذلك سليمان فأمرهم أن يعملوا بالليل والنهار فتزيا لهم ابليس فشكوا اليه انهم يعملون بالليل والنهار وانهم دائبون في العمل فقال كيف أنتم قالوا لا طاقة لنا فيما نحن فيه فقال لهم ابليس وما يشاء فعله قالوا نعم قال فتوقعوا الفرج وقد بلغ الامر منتهاه فلم يلبثوا الا قليلا وقد مات سليمان عليه السلام (قال) ابن عباس وغيره كان سليمان عليه السلام يحتجب في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه بطعامه وشرابه فدخله في المرة التي مات فيها وكان بدء أمره في ذلك انه لم يكن يوما يصبح فيه الا نبتت له في بيت المقدس شجرة فيسألها سليمان ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فيقول لاي شيء أنت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت تنبت لغرس كتب عليها غرسها في مكان كذا وكذا وان كانت لدواء كتب عليها لكذا وكذا فبينما هو يصلي يوما اذ رأى شجرة نابتة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخرنوبة قال ولاي شيء نبتت قالت لخراب هذا المسجد فقال سليمان بن داود ما كان الله تعالى ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب أشياء وانهم يعلمون ما يكون في غد ثم ان سليمان دخل المحراب فقام يصلي متكئا على عصاه فمات ثم بقي على تلك الحالة ولم يعلم بذلك من الشياطين أحد وهم مع ذلك يعملون ويخافون أن يخرج فيعاقبهم (وقال)

بالقليل في النار فلولا انك لم تكن من أهلها لوقعت فيها فقلت لها ومن هذا الشيخ الضعيف الذي استغثت به فلم يغثني فقالت هذا عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له قدرة على أن يدفع عنك شيأ فقلت لها وما تصنعون ههنا فقالت نحن مقيمون ههنا حتى تقوم الساعة ننتظر قدومكم علينا فنشفع لكم قال مالك فانتبهت من منامي فلما أصبحت كسرت أواني الخمر وتبت الى الله تعالى وكان هذا سبب توبتي والحمد لله على ذلك والله أعلم ((وحكي عن بعضهم رضي الله سبحانه وتعالى عنه)) انه قال بينما أنا في الطواف وكانت ليلة مظلمة اذ سمعت صوت حزين ينطق بحال حزين وهو يقول يا كريم لطفك القديم فان قلبي على العهد مقيم قال فتطاير قلبي لسماع ذلك حتى أشرفت على الموت فقصدت نحوه فاذا هي امرأة فقلت السلام عليك يا أمة الله فقالت وعليك السلام يا عبد الله فقلت لها أسألك بالله العظيم ما العهد القديم الذي قلبك عليه مقيم فقالت يا هذا لولا أقسمت علي بالجبار ما أطلعتك على الاسرار انظر الى هذا الصبي الذي بين يدي فنظرت واذا بصبي يغط في

عبد الرحمن بن زيد قال سليمان لملك الموت اذا أمرت بي فأعلمني قال فأتاه فقال يا سليمان قد أمرت بك وقد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا له صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي واتكأ على عصاه فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه (وفي رواية أخرى) ان سليمان عليه السلام قال ذات يوم لاصحابه ان الله تعالى آتاني من الملك ما ترون وما مر علي يوم في ملكي صاف من الكدر وقد أحببت أن يكون لي يوم واحد يصفو لي الى الليل ولا أغتم فيه ولكن ذلك اليوم غدا فلما كان من الغد دخل قصره وأمر باغلاق أبوابه ومنع الناس من الدخول عليه ومنع من رفع الاخبار اليه لئلا يسمع شيأ يسوءه ثم أخذ العصا بيده ووضعها فوق خصره واتكأ عليها ينظر الى ممالكه اذ نظر شابا حسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب القصر فقال له السلام عليك يا سليمان فقال وعليك السلام فكيف دخلت على هذا القصر بغير اذني وقد منعت من دخوله اما منعك البواب والحاجب أما هبتني حين دخلت قصري بغير اذني فقال أنا الذي لا يحجبني حاجب ولا يدفعني البواب ولا أخاف الملوك ولا أقبل منهم الرشا وما كنت لادخل هذا القصر بغير اذن فقال له سليمان فمن أذن لك في دخوله فقال له ربي قال فارتعد سليمان وعلم أنه ملك الموت فقال له أنت ملك الموت قال نعم قال فيم جئت قال لاقبض روحك قال يا ملك الموت هذا يوم أردت أن يصفو لي ولا أسمع فيه ما يغمني فقال يا سليمان انك أردت يوما يصفو لك فيه عيشك حتى لا يهمك فيه شيء وذلك يوم لم يخلق في الدنيا فارض بقضاء ربك فانه لا مرد له قال فاقبض كما أمرت فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه قالوا وكانت الشياطين تجتمع حوله وحول محرابه ومصلاه أينما كان وكان للمحراب بابان باب بين يديه وباب خلفه فقال بعض الشياطين لصاحبه ان كنت جليدا فادخل من الباب الذي بين يديه واخرج من الباب الذي خلفه فدخل ذلك البعض ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان في المحراب الا احترق فمر ذلك الشيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فوقف بالبيت فلم يحترق ونظر الى سليمان وقد سقط ميتا فخرج فاخبر الناس أن سليمان قد مات ففتحوا عليه فأخرجوه ووجدوا منسأته وهي العصا بلغة الحبشة قد أكلتها الارضة فلم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الارضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه وينظرون اليه ويحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته قبل ذلك (وفي رواية ابن مسعود) فمكثوا يدأبون له بعد موته حولا كاملا فايقن الناس أن الجن كانوا يكذبون في ادعائهم علم الغيب فلو أنهم علموا الغيب لعلموا موت سليمان ولم يلبثوا في العناء والعذاب سنة يعملون له ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تأكلين الطعام لاتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الماء لسقيناك أعذب الشراب ولكنا سننقل اليك الماء والطين شكرا لك فالذي يكون في جوف الخشب فهو ما تأتيها به الشياطين والشياطين تسكن اليها فذلك قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته الآية (قال أهل التاريخ) كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه منها أربعون سنة وذلك أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه * ثم ملك من بعد سليمان ابن له يقال له رحبعم وكان قد استخلفه فنبأه الله وكان نبيا ولم يكن رسولا ثم قبض وكان ملكه سبع عشرة سنة * ثم ملكهم بعده ابنه آفيا بن رحبعم وكان ملكه ثلاثا وستين سنة * ثم ملك بعده ابنه أسا بن آفيا وكان رجلا صالحا وكان أعرج يعتريه عرق النسا فطمع فيه الملوك لضعفه وافترقت ملوك بني اسرائيل فغزاهم ملك من ملوك الهند يقال له روح الهند في جمع كثير وقبيلة كبيرة فبعث الله عليهم الملائكة فهزمتهم فقصدوا البحر حتى اذا ركبوا جميعا بعث الله عليهم الرياح والامواج فضربت سفنهم بعضها في بعض فتكسرت وغرق روح الهند ومن كان معه واضطربت الامواج حتى ألقت أثقالهم وأموالهم وسلبهم الى محلة بني اسرائيل ونودوا أن خذوا ما غنمكم الله تعالى وكونوا له من الشاكرين ثم لم تزل تغزوهم الملوك ملك بعد ملك من

ثم مد وجهه كالقمر ليلة خرجت من بلدي وأنا حاملة به لاحج هذا البيت فركبت البحر في سفينة وسرنا فبينما نحن كذلك اذ خرجت علينا ريح فكسرت المركب وغرق ركابها فنجوت على لوح فبينما أنا على تلك الحالة اذ أخذني الطلق فوضعت هذا الصبي فبينما هو في حجري اذا رجل ملاح من رجال السفينة قد وصل الي وحصل معي على ذلك اللوح فقال والله ما زلت أهواك وأنا في السفينة وقد حصلت معك الآن فمكنيني من نفسك والا رميتك في البحر فقلت يا هذا ويحك اما كان لك فيما رأيت تذكرة وعبرة فقال لي قد رأيت ذلك مرارا عديدة ونجوت وأنا لا أبالي ثم ألح علي فخفت منه وقلت له مهلا حتى ينام هذا الصبي فأخذه من حجري ورمى به في البحر فلما رأيت جراءته وما فعل بالصبي طار قلبي وزاد كربي فرفعت طرفي الى السماء وقلت يا من يحول بين المرء وقلبه حل بيني وبين هذا الفاسق فوعزته وجلاله ما فرغت من الكلام الا ودابة عظيمة من دواب البحر أخرجت رأسها واختطفته من على اللوح وغاصت به في الماء فحمدت الله تعالى على ذلك وصرت وحدي على ذلك اللوح فزاد شوقي الى ولدي وقرة عيني

ملوك العراق وغيرهم فيما كهم الله تعالى الى أن ظهر فيهم الظلم والفساد وفشت فيهم المعاصي وعبد بعض
ملوك بني اسرائيل الاصنام من دون الله تعالى فغضب الله عليهم بكفرهم ومعصيتهم وسلط عليهم بختنصر

《مجلس في قصة بختنصر وخبر شعيا وارميا ودانيال وعزير عليهم وعلى الانبياء السلام وما يتصل به》

قال الله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب الى قوله عز وجل وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا

《قصة شعيا عليه السلام》

قال محمد بن اسحق وغيره من أهل السير والاخبار كان مما أنزل الله تعالى على موسى خبر بني اسرائيل من احداثهم وما هم فاعلون بعده كما قال الله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا الى قوله حصيرا فكانت بنو اسرائيل يركبون الاحداث والذنوب وكان الله تعالى يتجاوز عنهم تعطفا عليهم واحسانا اليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم من تلك الوقائع كما أخبر الله تعالى على لسان موسى عليه السلام أن ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله تعالى اذا ملك ملكا من الملوك بعث له نبيا يسدده ويرشده ويكون واسطة فيما بينه وبين الله تعالى فيما يحدث من أمورهم ولا ينزل عليهم كتابا وانما يأمرهم أن يأمروهم بأحكام التوراة والنهي عن المعاصي والمنكرات والدعاء الى ما تركوا من الطاعات فلما ملك ذلك الملك بعث الله تعالى شعيا بن أمصيا وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى وشعيا هو الذي بشر بيت المقدس حين شكا اليه الخراب فقال أبشر فانه يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فلبث ذلك الملك بني اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه فيهم عظمت فيهم الاحداث الرديئة وشعيا معه فبعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل فنزل هو وجنوده في ستمائة ألف راية فأقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض في ساقه قرحة شديدة فجاء اليه شعيا فقال يا ملك بني اسرائيل ان سنحاريب ملك بابل قد نزل هو وجنوده في ستمائة ألف راية وأقبل سائرا حتى نزل بيت المقدس وقد هابهم الناس وتفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبي الله هل أتاك وحي من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبعدونا سنحاريب وجنوده فقال النبي لم يأت وحي فبينما هم كذلك اذ أوحى الله تعالى الى شعيا عليه السلام أن ائت ملك بني اسرائيل فأمره أن يوصي بوصيته ويستخلف على مملكته من يشاء من أهل بيته وعترته فأتى شعيا صديقة فقال ان ربك قد أوحى الي ان آمرك أن توصي بوصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعيا لصديقة أقبل على الله تعالى وصلى ودعا وبكى وقال في دعائه وهو يبكي ويتضرع الى الله تعالى بقلب مخلص وظن صادق اللهم رب الارباب واله الآلهة القدوس المقدس يا رحمن يا رحيم يا رؤف يا من لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرني بنيتي وفعلي وحسن قضائي في بني اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به مني سري وعلانيتي لك ثم ان الله استجاب دعاءه ورحمه وكان عبدا صالحا فأوحى الله تعالى الى شعيا وأمره ان يخبر صديقة الملك ان ربه قد استجاب له ورحمه وقبل منه وقد أخر أجله خمس عشرة سنة وأنجاه الله من عدوه سنحاريب ملك بابل وجنوده فأتى شعيا اليه وأخبره بذلك فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الهزال وخر ساجدا لله تعالى وقال يا الهي واله آبائي لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذي تعطي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الاول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي فلما رفع رأسه أوحى الله تعالى الى شعيا أن قل للملك صديقة أن يأمر عبدا من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ففعل ذلك فبرأ فقال الملك لشعيا سل ربك ان يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا فقال الله لشعيا قل له اني كفيتك عدوك هذا وأنجيتك منه وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنحاريب وخمسة نفر من كبرائه وكتابه فلما أصبحوا جاءهم صارخ يصرخ على باب المدينة يا ملك بني اسرائيل قد كفاك الله عدوك فاخرج فان سنحاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك التمس سنحاريب فلم يوجد في الموتى فبعث

... قرة العين حبيبي ولدي
ضاع مني للثاني جلدي
ان يكن جسمي غريقا فلقد
قالت أشكو باحتراق
الكبد
يا الهي قد ترى ما حل بي
فافرغ الصبر على جسدي
فاجمع الشمل وكن لي راحما
فرجائي فيك أقوى عددي
قالت ثم بقيت يومي الى الليل
وحيدة فريدة فلما أصبح
الله بالصباح اذا أنا بقلع
يلوح في البحر فما زالت
الامواج تقذفه والرياح
تسوقه حتى وصل الي واذا
هو بسفينة عظيمة فأخذوني
من على ذلك اللوح ووضعوني
بينهم فنظرت فاذا بولدي
هذا بينهم فترامیت عليه
وقلت لهم يا قوم من أين
لكم هذا الصبي فقالوا بينما
نحن سائرون اذ حبست
السفينة بنا فنظرنا واذا
بدابة كأنها المدينة العظيمة
وهذا الصبي على ظهرها
يمص ابهامه ثم حدثتهم
بقصتي وشكرت ربي على
ما أتاني وعاهدته ان لا أبرح
عن بيته ولا ألهو عن
خدمته وما سألته بعد ذلك
شيأ الا أعطاني اياه قال
فمددت يدي اليها بنفقة فلم
تقبلها وقالت اليك عني
أحدثك بافضاله وكرمه
ونواله وآخذ الرفد من يد
غيره فلم أقدر عليها ان
تأخذ شيأ فتركتها
وانصرفت عنها رحمها

الملك فى طلبه فأدركه الطلب هو ومن معه فى خمسة نفر من كبرائه فى مغارة أحدهم بختنصر فجعلوهم فى الجوامع ثم أتوا بهم ملك بنى اسرائيل فلما رآهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال ياسنجاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال له سنجاريب قد أتانى خبر ربكم ونصرته اياكم من قبل أن أخرج من بلادى فلم أطع مرشدا ولم يلقنى فى الشقوة الا قلة عقلى فلو سمعت أو عقلت ما غزوتكم ولكن الشقوة غلبت على وعلى من معى فقال صديقة الحمد لله رب العالمين الذى كفانا كم بما شاء ان ربنا لم يبقك ومن معك لكرامتك عليه ولكن انما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقاوة فى الدنيا وعذابا فى الآخرة وتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم وبمن معكم ولدمك ودم من معك أهون عند الله من دم قرادة لو قتلت ثم ان ملك بنى اسرائيل أمر أمير جيشه فقذف فى رقابهم الجوامع وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وايلياء وكان يطعمهم كل يوم رغيفين من شعير لكل رجل منهم فقال سنجاريب لملك بنى اسرائيل القتل خير مما تفعل بنا فافعل ما أردت فأمر بهم الملك الى سجن القتل فأوحى الله الى شعيا أن قل للملك يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرموا ويحملوا حتى يبلغوا بلادهم فبلغ شعيا الملك ذلك ففعل فخرج سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم حتى قدموا بابل فلما قدموا جمع سنجاريب الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك قد كنا نقص عليك خبرهم وخبر نبيهم ووحى الله اليه فلم تطعنا وهى أمة لا يستطيعها أحد وكان فى أمر سنجاريب مما خوفوا به ثم كفاهم الله اياه تذكرة وعبرة ثم لبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف من بعده بختنصر وكان ابن ابنه وكان بختنصر يعمل كما يعمل جده ويقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله تعالى ملك بنى اسرائيل صديقة فمرج أمر بنى اسرائيل وتنافسوا فى الملك حتى قتل بعضهم بعضا وظهر فيهم البغى والفساد ونبيهم شعيا فيهم لا يرجعون اليه ولا يقبلون قوله فلما فعلوا ذلك قال الله تعالى لشعيا عليه السلام قم فى قومك أوح على لسانك فلما قام النبى أطلق الله لسانه بالوحى فقال ياسماء اسمعى ويا أرض انصتى فان الله أراد أن يقص شأن بنى اسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده واستقبلهم بالكرامة وهم كالغنم الضائعة التى لا راعى لها فآوى شاردها وجمع ضالها وجبر كسيرها وداوى مريضها وأسمن هزيلها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضهم بعضا حتى لم يبق منهم عظم صحيح يجبر اليه كسير فويل لهذه الامة الخاطئة الذين لا يدرون أين جاءهم الخير أم الثور وان البعير يذكر وطنه فينتابه وان الحمار يذكر الآرى الذى يشبع عليه فيراجعه وان الثور يذكر المرج الذى يسرح فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يدرون من أين جاءهم الخير وهم أولو الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير انى ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل لهم كيف ترون فى أرض كانت خرابا مواتا فبقيت خرابا زمانا طويلا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوى فأقبل عليها بالعمارة وكره ان تخرب أرضه فأحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وأجرى نهرا وأنبت عليها غرسا من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب وأنواع الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه ذا رأى حفيظا قويا أمينا فانتظرها فلما أطلعت جاء طلعها خروبا فقال بئست الارض هذه نرى ان يهدم جدرها وقصرها ويغيض ماء نهرها ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت خرابا أول مرة مواتا لا عمران فيها فقال الله تعالى قل لهم ان الجدار ذمتى وان القصر شريعتى وان النهر كتابى وان القيم نبيى والغراس هم وان الخروب الذى أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة وانى قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وانه مثل ضربه الله لهم فهم يتقربوا الى بذبح البقر والغنم وليس ينالنى اللحم ولا آكله ولكن يتقربون الى بالتقوى والكف عن ذبح النفس التى حرمتها فأيديهم مخضوبة منها وبأثمهم مزملة بدمائها ويشيدون لى البيوت والمساجد ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها فأى حاجة لى الى تشييد البيوت ولست أسكنها وأى حاجة لى الى تزويق المساجد ولست أدخلها وانما أمرت برفعها لاذكر فيها وأسبح ولتكن معلما

الله تعالى ونفعنا بها والمسلمين آمين ((وحكى عن عبد الله الموصلى رضى الله تعالى عنه انه قال)) كان عندنا رجل وليهان يسمى قضيب البان وكان لا يقدر أحد ان يكلمه من عظم هيبته وحرمته وكان كثير البكاء فجمعنى به المقادير فى خلوة فقلت له يا أخى ما الذى أشغلك بمن سواه ما كان سبب توليهك وانفرادك عن الناس فنظر الى نظرة منكرة ثم بكى واصفر لونه وغشى عليه فلما أفاق آنسته بالكلام ولاطفته بالخطاب وسألته عن ذلك وأقسمت عليه بالله ان يحدثنى عن سبب ذلك فحدثنى وهو يبكى وقال يا أخى كنت أخدم شيخا وكان من الابدال فخدمته أربعين سنة فكان مجتهدا فى العبادة فلما كان قبل موته بثلاثة أيام دعانى وقال لى يا عبد الله لى عليك حق ولك على حق ومن تمام حق عليك ان تصغى لما أقول لك وتحفظ وصيتى فقلت نعم يا سيدى حبا وكرامة فقال يا ولدى قد بقى من عمرى ثلاثة أيام وأموت على غير دين الاسلام فاذا أنا مت فضعنى فى تابوت بثيابى واحمل التابوت فى الليل الى أرض كذا وكذا من ظاهر البلد وامكث حتى تطلع الشمس فاذا رأيت جماعة قد أقبلوا

لمن أراد أن يصلي فيها يقولون لو كان الله يقدر على أن يجمع ألفتنا لجمعها ولو كان الله يقدر أن يفقه قلوبنا
افقهها فاعمد الى عودين يابسين ثم ائتهما وهم في أجمع ما يكونون فقل للعودين ان الله يأمركما أن تكونا عودا
واحدا فلما قال لهما ذلك اختلطا فصارا عودا واحدا فقال الله تعالى قل لهم اني قدرت على أن أؤلف بين
العودين اليابسين فكيف لا أقدر على ألفتهم ان شئت أم كيف لا أقدر على أن أفقه قلوبهم وأنا الذي
صورتهم يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور قلوبنا وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا ودعونا بمثل حنين
الحمام وبكينا بمثل عواء الذئاب في كل ذلك لا نسمع ولا يستجاب لنا قال الله تعالى فسلهم ما الذي يمنعني أن
أستجيب لهم ألست أسمع السامعين وأنظر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين أذات يدي قلت
كيف ويداي مبسوطتان بالخير أنفق كيف أشاء مفاتيح الخزائن عندي لا يفتحها غيري أم يقولون رحمتي
ضاقت فكيف ورحمتي وسعت كل شيء انما يتراحم المتراحمون بفضلي أم يقولون البخل يعتريني أولست
أكرم الاكرمين وأنا الفتاح بالخيرات ألست أجود من أعطى وأكرم من سئل ولو أن هؤلاء القوم
نظروا لانفسهم بالحكمة التي نورت في قلوبهم فتدبروها ولم يشتروا بها الدنيا لابصروا وتيقنوا أن أنفسهم
هي أعدى العداة لهم فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بالزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف
أنور صلاتهم وقلوبهم طاغية تركن الى من يحاربني وينتهك محارمي أم كيف تزكو عندي صدقاتهم وهم
يتصدقون بأموال غيرهم وانما أجزي عليها أهلها المغصوبين أم كيف أستجيب لهم دعاء وانما هو قول
بألسنتهم والعقل من ذلك بعيد انما أستجيب قول المستضعف المسكين وان من علامة رضاي رضا
المسكين ولو رحموا المساكين وقربوا الضعفاء وأنصفوا المظلوم ونصروا المغصوب وعالوا الغائب وأدوا الى
الفقير واليتيم والارملة والمسكين حقه ولو كان ينبغي لي أن أكلم البشر اذا لكلمتهم وكشفت أذاهم وكنت
نور أبصارهم وسمع آذانهم ومعقول قلوبهم وأعمرت أركانهم وكنت قوة أيديهم وأرجلهم وكنت ألسنتهم
الا أنهم يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي انها أقاويل منقولة وأحاديث متواترة وتآليف فيما
يؤلف السحرة والكهنة وزعموا أن لو يشاؤون أن يأتوا بحديث مثله فعلوا وان يطلعوا على علم الغيب بما
توحي اليهم الشياطين اذا اطلعوا وكلهم يستخفي بالذي يقول ويسر وهم يعلمون اني أعلم غيب السموات
والارض وأعلم ما يبدون وما يكتمون واني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء يثبته على نفسي
وجعلت له أجلا مؤجلا لا بد انه واقع فان صدقوا فيما يتقولون من علم الغيب فليخبروك متى أنفذه وفي أي
زمان يكون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤون فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها أقضي فاني مظهره
على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤون فليأتوا بمثل هذه الحكمة
التي أدبر بها أمر ذلك القضاء ان كانوا صادقين فاني قضيت يوم خلقت السموات والارض بأن أجعل النبوة
في الاحرار وأجعل الملك في الرعاء وأجعل العز في الاذلاء والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء والثروة في
الاقلاء والمدائن في الفلوات والآجام في المفاوز والثرى في الغيضان والعلم في الجهلة والحكم في الاميين
فسلهم ممن هذا ومن القيم بهذا وعلى يد من أشنه ومن أعوان هذا الامر وأنصاره واني باعث لذلك نبيا
أميا الا أعمى من العميان ولا ضال من الضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا متزي
بالفحش ولا قوال بالخنا أسدده بكل جميل واهب له كل خلق كريم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره
والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق
شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به
بعد الخمالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به
قلوبا مختلفة وأهواء مشتتة وأمما متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر بآياتي وتوحيدي يصلون قياما وقعودا وركوعا وسجودا ويقاتلون في سبيل الله
صفوفا وزحوفا يخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله ألهمهم التكبير والتحميد والتسبيح

والتمجيد

ومنهم تابوت يمشون به الى
جانب تابوتي فخذ التابوت
الذي يأتون به وعد به الى
الزاوية وأخرج الرجل الذي
فيه وافعل معه ما كان
يجب عليك أن تفعله معي
فقلت له يا سيدي كيف
هذا الحال فقال يا ولدي
كان ذلك في الكتاب مسطورا
هذا ما جرى في اللوح
المحفوظ فلله الامر من قبل
ومن بعد لا يسئل عما يفعل
وهم يسئلون قال فلما كان
بعد ثلاثة أيام اضطرب
الشيخ وتغير لونه واسود
وجهه واندار الى الشرق
وانكب على وجهه وبكيت
على ذلك بكاء شديدا ولحقني
عليه من الحزن ما لا يعلمه
الا الله تعالى ثم اني تذكرت
وصية الشيخ فوضعته في
تابوت فلما جاء الليل خرجت
به الى المكان الذي قال لي
عليه فكنت به حتى طلعت
الشمس فاذا بجماعة قد
أقبلوا ومعهم تابوت
فوضعوه الى جانب تابوت
الشيخ فتقدم رجل وهم أن
يحمل ذلك التابوت فمنعته
عنه وقلت له لا سبيل لاخذه
حتى تخبرني بخبر صاحب
هذا التابوت فقال الرجل
نعم يا أخي أنا خادم هذا
المبارك الذي في هذا التابوت
أربعين سنة فلما كان قبل
موته بثلاثة أيام احضرني
وقال يا ولدي لي عليك حق
ولك علي حق ومن تمام
حقي عليك أن تحفظ

والتحميد والتوحيد في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤس الاشراف ويطهرون الوجوه والاطراف ويعقدون الثياب في الانصاف قربانهم دماؤهم وقرآنهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فلما فرغ نبيهم شعيا من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخلها وادركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه وهو في وسطها والله أعلم

((قصة ارمياء عليه السلام))

فاستخلف الله على بني اسرائيل بعد قتلهم شعيا رجلا منهم يقال له ناشية بن أموص وبعث الله اليهم الخضر نبيا ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى واسم الخضر ارمياء بن خلقيا وكان من سبط هرون بن عمران وانما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي تزهر خضراء فقال الله تعالى لارمياء حين بعثه الى بني اسرائيل يا ارمياء من قبل أن أخلقك اخترتك ومن قبل أن أصورك في بطن أمك قدستك ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ومن قبل أن تبلغ السعي نبأتك ولامر عظيم اجتبيتك فذكر قومك نعمي وعرفهم احداثهم وادعهم الى فقال ارمياء اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تنصرني فقال الله تعالى أنا ألهمك فقام ارمياء فيهم خطيبا ولم يدر ما يقول فألهمه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال لهم في آخرها ان الله قال اني أحلف بعزتي وجلالي ان لم ينتهوا لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وأنزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله تعالى الى ارمياء عليه السلام اني مهلك بني اسرائيل بيافث ويافث هم أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارمياء بكى وصاح وشق ثيابه ونثر الرماد على رأسه فلما سمع الله تضرع ارمياء وبكاءه ناداه يا ارمياء أشق عليك ما أوحيت اليك قال نعم يا رب أهلكني قبل ان أرى في بني اسرائيل مالا أسر به فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أهلك أحدا من بني اسرائيل حتى يكون الامر في ذلك من قبلك ففرح ارمياء بذلك وطابت نفسه وقال والذي بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بني اسرائيل ثم أتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا ففرح واستبشر وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة وان يرحمنا فبرحمته ثم انهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا فيها الا معصية وتماديا في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم وقل الوحي ودعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا وسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل بختنصر سائرا الى الملك أتى الملك الخبر فقال الملك لارمياء أين ما زعمت أن الله أوحى اليك فقال ارمياء ان الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الاجل وأراد الله هلاكهم بعث الله الى ارمياء ملكا فتمثل له في صورة رجل من بني اسرائيل فقال له يا نبي الله اني استفتيك في أهل رحمي وصلت أرحامهم ولم آل اليهم حسنا ولا يزيدهم اكرامي اياهم الا اسخاطا لي فافتني فيهم فقال له أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وأبشر بخير فانصرف الملك فمكث الا أياما ثم أقبل عليه في صورة ذلك الرجل وقعد بين يديه فقال له ارمياء أوما طهرت أخلاقهم لك بعد قال يا نبي الله والذي بعثك بالحق نبيا ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس الى أهل رحمه الا قدمتها اليهم وأفضل قال ارمياء عليه السلام ارجع الى أهلك فاحسن اليهم وسل الله الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلحهم فقام الملك فمكث أياما وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل وشق عليهم فقال ملكهم لارمياء يا نبي الله أين ما وعدك الله به قال اني بربي لواثق ثم أقبل الملك على ارمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده فقعد بين يديه وقال له أنا الذي أتيتك في شأن أهلي مرتين فقال له ارمياء عليه السلام ألم يأن لهم أن ينتهوا من الذي هم فيه فقال له يا نبي الله كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت اصبر عليه واليوم رأيتهم في عمل لا يرضي الله تعالى فقال ارمياء عليه السلام على أي عمل رأيتهم قال على عمل عظيم من سخط الله تعالى فغضبت لذلك وأتيتك لاخبرك واني أسألك بالله الذي

وصبق وتصفى لما أقول لك قلت نعم فقال يا ولدي بقي من عمري ثلاثة أيام وأموت على دين الاسلام فاذا مت فضعني في تابوت بثيابي ايلا واخرجني الى المكان الفلاني تجد تابوتا موضوعا فضع تابوتي بجانبه وخذ التابوت الذي هناك وارجع به الى الكنيسة ومهما كان يجب عليك أن تفعله معي وافعله مع صاحب ذلك التابوت فانه كان من الابدال فلما كان بعد ثلاثة أيام تهلل وجه البطرك بالفرح ونطق بالشهادتين ومات مسلما وفعلت ما امرني به وأتيت الى هنا وهذا حديثي يا أخي قال فجعلت ذلك التابوت الذي جاؤا به وأخذوا تابوت الشيخ ومضوا به فجئت بذلك التابوت الى الزاوية واحضرت له ماء وقعد [illegible] الى التربة ثيابه شيخ [illegible] من [illegible] ورعت ثيابه وغسلته انا والفقراء وصلينا عليه ودفناه في الزاوية وكان يوما مشهودا فهذا حديثي يا أخي ثم خرج [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] الله تعالى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قبل أن [illegible]

بعثك بالحق نبيا الا مادعوت الله تعالى عليهم ليهلكهم فقال ارمياء يامالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فأبقهم وان كانوا على سخطك وعمل لاترضاه فاهلكهم قال فلما خرجت الكلمة من فم ارمياء تعالى حتى أرسل الله صاعقة من السماء فى بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابه فلما رأى ذلك ارمياء صاح وبكى وشق ثيابه وحثا الرماد على رأسه وقال يامالك السموات والارض أين ميعادك الذى وعدتنى فنودى انهم لم يصبهم الذى أصابهم الابقتياك ودعائك فاستيقن ارمياء عليه السلام انها فتياه وان ذلك السائل كان رسول ربه فصار ارمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه فى بيت المقدس فقذفوا فيه التراب حتى ملؤه ثم انصرفوا الى بابل واحتمل معه سبايا بنى اسرائيل وأمرهم أن يجمعوا ما كان فى بيت المقدس فجمعوا كل صغير وكبير من بنى اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبى فلما أراد أن يقسم الغنائم فى جنده قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بنى اسرائيل ففعل ذلك فأصاب كل واحد منهم أربعة غلمان وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وعزازيا وميشايل وسبعة آلاف من أهل بيت داود وأحد عشر ألفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط يساخر بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط زبولون بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابنى يعقوب ومن بقى من بنى اسرائيل جعلهم بختنصر ثلاث فرق فثلثا أقره بالشام وثلثا سبى وثلثا قتل وذهب بآنية بيت المقدس حتى أقدمها بابل وذهب بالغلمان السبعين ألفا وسائر السبايا حتى قدم بهم بابل وكانت هذه الوقعة الاولى التى أنزلها الله على بنى اسرائيل باحداثهم وظلمهم وذلك قوله تعالى فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد يعنى بختنصر وجنوده (وكان بدء امر بختنصر) على ماروى حجاج عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قال كان رجل من بنى اسرائيل يقرأ التوراة حتى اذا بلغ بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد بكى وفاضت عيناه واطبق المصحف ثم انطلق الى المسجد وقال يارب أرنى هذا الرجل الذى جعلت هلاك بنى اسرائيل على يديه فارى فى المنام أنه مسكين ببابل يقال له بختنصر فانطلق بمال واعبد له وكان رجلا موسرا فقيل له أين تريد قال أريد التجارة ثم ذهب حتى نزل دارا ببابل فاستكراها ليس فيها أحد غيره فجعل يدعو المساكين ويتلطف بهم حتى لا يأتيه أحد مسكين الا أعطاه فقال هل بقى مساكين غيركم قالوا انعم مسكين بفج آل فلان مريض يقال له بختنصر فقال لغلمانه انطلقوا وانطلق معهم حتى أتاه فقال له ما اسمك قال بختنصر فقال لغلمانه احملوه فنقله اليه ومرضه حتى برئ فكساه وأعطاه نفقة ثم أذن الاسرائيلى فى الرحيل فبكى بختنصر فقال الاسرائيلى ما يبكيك فقال ابكى لانك فعلت معى ما فعلت ولا أجد شيأ أجازيك به فقال جزائى شئ يسير قال وما هو قال له ان صرت ملكا وملكت بيت المقدس أتعطينى ما أطلبه فجعل يتبعه ويقول له أتستهزئ بى ولا يمنعه أن يعطيه ما سأله الا انه يرى انه يستهزئ به قال فبكى الاسرائيلى وقال قد علمت ما يمنعك ان تعطينى ما سألتك الا الله تعالى يريد أن ينفذ قضاءه وكتب له كتابا وضرب الدهر ضرباته فقال يوما صيحون وهو ملك بابل لو انا أرسلنا طليعة الى الشام قالوا ما ضرك لو فعلت قال فمن ترون قالوا فلانا فبعث رجلا واعطاه مائة ألف فخرج بختنصر فى مطبخه لم يخرج الا ليأكل فى مطبخه فلما قدم الى الشام رأى صاحب الطليعة أكثر أهل الارض فرسانا ورجالا جلدا فكبر ذلك فى عينه فلم يصل ولم يسألهم عن شئ وكان بختنصر دخل الشام ولم يزل يجالس مجلس أهل الشام ويسألهم ويقول لهم ما منعكم أن تغزوا بابل فلو غزوتموها لنلتم منها شيأ كثيرا فقالوا انا لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى انتقد مجالس أهل الشام وعرف سرائرهم ثم ان الطليعة رجعوا فاخبروا ملكهم بما رأوا وكان بختنصر يجمع معهم فجعل يقول لفراش الملك لو دعانى الملك لاخبرته غير الخبر الذى أخبره فلان وفلان فرفع ذلك الى الملك فدعاه فأخبره الخبر وقال ان فلانا لما رأى أكثر أهل الارض كراعا ورجالا جلدا كبر ذلك فى عينه ولم يسألهم عن شئ وانى لم أدع

يا تائبا قد صف أقدامه
فى الليل يبكى بالدموع السجام
وماله حظ سوى انه
اشغله مولاه بطول القيام
وكم قريب خاب ظنا وما
نال سوى التعذيب والانتقام
وكم بعيد نال ما يرتجى
وحاز فى عقباه أعلى مقام
من لم يكن للوصل أهلا فما
يفيده القرب ولا الاعتصام
فسطوة الاقدار لاتعتدى
فانتبهوا من نومكم يانيام
ياأيها المذنب قم واعتذر
وتب من الذنب وكسب الاثام
الى متى أنت ترى غاديا
ورائحا فى اللهو طول الدوام
أتب الى الله وتب واستقم
من قبل أن تشرب كاس الحمام
فان تخف قبح ذنوب مضت
والذ بخير الخلق بدر التمام
محمد المختار من هاشم
أفضل من حج ولبى وصام
صلى عليه الله ما أشرقت
طلائع الصبح وولى الظلام

((وحكى عن منصور بن عمار عفا الله عنه أنه قال)) كان لى أخ فى الله تعالى يتفقدنى فى شدتى ورخائى وكان كثير العبادة والتهجد والبكاء فلما كان بعض الايام فقدته فسألت عنه فقيل لى انه ضعيف فسرت الى بيته وطرقت عليه الباب فخرجت الى ابنته وقالت ما تريد فقلت لها قولى لابيك فلان أخوك يريد ان يدخل اليك فدخلت وعادت الى

مجلسا بالشام الا جلست فيه أسأل أهله فقلت لهم كذا وكذا وقالوا كذا وكذا قال سعيد بن جبير قال صاحب الطليعة لبختنصر فضحتني لك مائة ألف دينار ورجع بما قالت فقال له لو أعطيتني بيت مال بابل مارجعت بما قالت ثم ضرب الدهر ضربانه فقال الملك لو بعثنا جريدة خيل الى الشام فان وجدوا مساغا ساغوا والا أمسكوا ما قدروا عليه فقالوا ما ضرك لو فعلت ذلك قال فمن ترون قالوا فلانا قال بل الرجل الذى أخبرنى بما أخبرنى فدعا بختنصر فبعثه ثم انتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم فانطلقوا فجاسوا خلال الديار فسبوا ما شاء الله تعالى ولم يخربوا ولم يقتلوا ومات صيحون الملك فقالوا استخلفوا ملكا قالوا على رسلكم حتى تأتى أصحابكم فانهم فرسانكم فامهلوا حتى جاء بختنصر بالسبي ومامعه فقسمه بين الناس فقالوا ما رأينا أحدا أحق بالملك منه فهذه القصة الاولى فملكوه على أنفسهم ﴿وقال السدى﴾ باسناده ان رجلا من بنى اسرائيل رأى فى المنام ان خراب بيت المقدس وهلاك بنى اسرائيل على يد غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل يدعى بختنصر وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم فأقبل يسأل عنه حتى نزل فى بيت أمه وكان قد ذهب يحتطب فجاء وعلى رأسه حزمة حطب فالقاها ثم قعد فى جانب البيت فكلمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم وقال له اشتر بها طعاما وشرابا فاشترى بدرهم لحما وبدرهم خبزا وبدرهم خمرا وجاء به فأكلوا وشربوا حتى اذا كان اليوم الثانى فعل به مثل ذلك واليوم الثالث فعل كذلك ثم قال له الاسرائيلى انى أحب ان تكتب لى أمانا اذا أنت ملكت يوما من الدهر فقال بختنصر أتسخر منى قال لا أسخر منك ولكن ما عليك ان تجعل عندى لك يدا فكلمته أمه فقالت ما عليك ان كان والا لم ينقصك شيأ فكتب له أمانا فقال أرأيت ان جئتك والناس حولك قد حالوا بينى وبينك فاجعل لى علامة تعرفنى بها قال ترفع صحيفتك على قصبة فأعرفك بها فكتب له أمانا وأعطاه اياه ثم ان ملك بنى اسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا عليهما السلام ويدنى مجلسه ويستشيره فى أمره ولا يقطع أمرا دونه وان الملك هوى أن يتزوج بنت امرأة له هذا قول السدى ﴿وقيل﴾ كانت بنت أخته لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث عيسى ابن مريم يحيى بن زكريا عليهم السلام فى اثنى عشر من الحواريين يعلمون الناس وكان فيما نهاهم عنه نكاح بنت الاخت قال وكان لملكهم ابنة أخت تعجبه ويريد أن يتزوجها وكان لها فى كل يوم حاجة يقضيها لها وذكر الحديث فى مقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام (رجعنا الى حديث السدى) قال فسأل يحيى عن نكاحها فقال لست أرضاها لك فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه ان يتزوج ابنتها فعمدت حين جلس الملك على شرابه فألبست ابنتها ثيابا حمرا رقاقا وعطرتها وطيبتها وألبستها من الحلى شيأ لا قيمة له من غايته وألبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه الخمر وان تتعرض له فان راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته ويكون الذى تسأله أن تأتى برأس يحيى بن زكريا فى طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه الخمر وتتعرض له فلما أخذ منه الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطينى ما أسألك قال وما تسألينى قالت أسألك أن تبعث الى يحيى بن زكريا فتأتينى برأسه فى طشت فقال ويحك سلينى غير هذا قالت ما أريد غير هذا فلما أبت عليه بعث الى يحيى فأتى برأسه فجعلت الرأس تتكلم حتى وضعت بين يديه وهى تقول انها لا تحل لك فلما أصبح الملك واذا دم يحيى يغلى فأمر بالتراب فألقى عليه فرقى الدم فوق التراب يغلى فألقى عليه أيضا وارتفع الدم فوقه فلم يزل يلقى عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلى وبلغ سنجاريب ملك بابل ذلك فنادى فى الناس وأراد أن يبعث لهم جيشا ويؤمر عليهم رجلا فأتاه بختنصر وكلمه وقال ان الذى أرسلت تلك المرة ضعيف وانى قد دخلت المدينة وسمعت كلام أهلها فابعثنى فبعث بختنصر حتى اذا بلغوا ذلك المكان ورآهم أهله تحصنوا فى مدائنهم فلم يطقهم فلما اشتد عليهم المقام وجاع أصحابه ارادوا الرجوع فخرجت اليهم عجوز من عجائز بنى اسرائيل وقالت أين أمير الجند فأتى بها اليه فقالت له بلغنى أنك تريد الرجوع بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة قال نعم قد طال مقامى وجاع أصحابى ولست أستطيع المقام فوق الذى كان منى قالت أرأيتك ان دللتك على فتح المدينة تعطينى ما أسألك وتقتل

وقالت ادخل فدخلت اليه فوجدته فى وسط الدار وهو مضطجع على الارض وقد تغيرت صورته واسود وجهه وازرقت عيناه وتقلصت شفتاه فقلت له وأنا خائف منه يا أخى أكثر من قول لا اله الا الله ففتح عينيه ونظر الى ثم غشى عليه فلما أفاق قلت له يا أخى أكثر من قول لا اله الا الله ففعل كما فعل أولا فقلت ثالثا أكثر من قول لا اله الا الله وان لم تقلها الا غسلتك ولا كفنتك ولا صليت عليك ولا دفنتك قال منصور ففتح عينيه ونظر الى وقال يا أخى يا منصور كأنه حيل بينى وبينها فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قلت يا أخى وأين الصلاة والعبادة والصيام والبكاء والدعاء فقال كل ذلك كان لغير الله تعالى وانما كنت أفعل ذلك رياء للناس وسمعة حتى يقال على واذكر به وكنت اذا خلوت بنفسى أغلقت الابواب وأرخيت الستور وشربت الخمور وبارزت مولاى بالمعاصى ودمت على ذلك مدة من الزمان فأصابنى مرض أشرفت منه على الموت فقلت لابنتى هذه ناولينى المصحف فأتت به الى فقرأت فيه حتى بلغت سورة يس فرفعت المصحف وقلت اللهم بحق هذه السورة الشريفة وبحق ما فى هذا المصحف

من آمرك بقتله وتكف عن من آمرك بالكف عنه قال لها نعم قالت اذا أصبحت فاقسم جندك أربعة أقسام ثم اقسم على كل زاوية ربعا ثم ارفعوا أيديكم الى السماء ونادوا يا رب نادلنا على من قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام فانهم اذا فعلوا ذلك تساقط سور المدينة ففعلوا ذلك فتساقط سور المدينة ودخلوا من جوانبها فانطلقت به الى دم يحيى بن زكريا عليهما السلام وقالت له اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين الفا حتى سكن فلما سكن الدم قالت له كف يدك فان الله تعالى اذا قتل نبي لا يرضى حتى يقتل من قتله ومن رضي بقتله وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته وخرب بيت المقدس وأمر ان تطرح فيه الجيف وقال من طرح عليه جيفة فله جزيته في تلك السنة وأعانه على خرابه الروم من أجل ان بني اسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا فلما نحر بختنصر ذهب بوجوه بني اسرائيل وسراياهم

﴿قصة دانيال عليه السلام﴾

وذهب دانيال وقوم من أولاد الانبياء وذهب معه برأس جالوت فلما قدم بختنصر أرض بابل وجد سنجاريب قد مات فملك مكانه واستقام له الامر وثبت على ذلك مدة ثم ان بختنصر رأى رؤيا عجيبة فأفزعته فسأل عنها السحرة والكهنة فعجزوا عن تفسيرها فبلغ ذلك دانيال وكان في السجن مع أصحابه وقد أحبه صاحب السجن وأعجب به لما رأى من حسن سمته وهدايته فقال دانيال لصاحب السجن انك قد أحسنت الي وان صاحبكم قد رأى رؤيا فدله علي لاعبرها له فجاء السجان وأخبر بختنصر قصة دانيال فقال علي به وكان لا يقف بين يديه احد الا سجد له فأتوا به فقام بين يديه ولم يسجد له فقال له ما الذي منعك من السجود لي فقال له ان لي ربا آتاني العلم والحكمة وأمرني ان لا أسجد الا له فخشيت ان سجدت لغيره ان ينزع مني العلم الذي آتاني ويهلكني فاعجب به وقال نعم ما فعلت وقد احسنت حيث وفيت بعهده ووفيت عليه ثم قال هل عندك علم بهذه الرؤيا وهل لك في تعبيرها قال نعم قال فأخبرني فاخبره برؤياه التي رآها قبل أن يخبره بها ثم عبرها له وكانت الرؤيا ما أخبرنا عبد الله بن حامد باسناده عن وهب بن منبه يقول ان بختنصر رأى في منامه صنما رأسه من ذهب وصدره من فضة وبطنه من نحاس وفخذه من حديد وساقه من فخار ثم رأى حجرا من السماء قد وقع عليه فدقه ثم ربا الحجر حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأى شجرة أصلها في الارض وفرعها في السماء ثم رأى رجلا بيده فأس وسمع مناديا ينادي اضرب جذعها ليتفرق الطير من فروعها وتتفرق الدواب والسباع من تحتها واترك أصلها قائما فعبرها له دانيال عليه السلام فقال أما الصنم الذي رأيت رأسه من ذهب فأنت الرأس الذهب وأنت أفضل الملوك وأما الصدر الذي رأيت من فضة فهو ابنك يملك من بعدك وأما البطن الذي رأيت من نحاس فملك يكون بعد ابنك وأما ما رأيت من الفخذ الذي من حديد فهو يتفرق فرقتان في فارس تكونان أشد الملوك وأما الفخار فآخر ملكهم يكون دون الحديد وأما الحجر الذي رأيت وقع من السماء وربا حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب فنبي يبعثه الله في آخر الزمان فيفرق ملكهم كله ويربو ملكه حتى يملأ ما بين المشرق والمغرب وأما الشجرة التي رأيت والطير الذي عليها والسباع والدواب التي تحتها وما أمر بقطعها فيذهب ملكك ويردك الله طائرا نسرا عظيما فتملك الطيور ثم يردك الله ثورا فتملك الدواب ثم يردك الله أسدا فتملك السباع والوحوش وتكون مسخك الله على ما ذكرنا سبع سنين في ذلك كله وقلبك قلب انسان حتى تعلم ان الله له ملك السموات والارض وهو يقدر على الارض ومن عليها وأما ما رأيت من ان أصلها قائم فان ملكك قائم وسئل وهب بن منبه أكان مؤمنا أم لا فقال وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا في ذلك فمنهم من قال مات مؤمنا ومنهم من قال مات كافرا لانه حرق بيت المقدس والكتب التي فيه وقتل الانبياء وغضب الله عليه غضبا شديدا فلم يقبل منه يومئذ توبة قالوا فلما عبر دانيال لبختنصر رؤياه وأخبره بها أكرمه وأكرم أصحابه وجعل يقبل عليه ويستشيره في أموره حتى كان أكرم الناس عليه وأحبهم اليه فحسده المجوس على ذلك ووشوا به وأصحابه الى بختنصر فقالوا له ان دانيال وأصحابه ما يعبدون الهك ولا يأكلون ذبيحتك فدعاهم وسألهم

من كلام سليمان الحكيم الي تعفيني وتفرج عني وأنا لا أعود الى معصيتك أبدا قال ففرج الله عني وعافاني فلما شفيت عدت لما كنت فيه من اللهو واللعب والشهوات واللذات وأنساني الشيطان ذلك العهد الذي بيني وبين مولاي فصرت على ذلك مدة من الزمان فوقعت في مرض آخر أشرفت منه على الموت فأمرت أهلي ان يخرجوني الى وسط الدار ثم طلبت المصحف وقرأت فيه ورفعت الله مم بحق هذا القرآن العظيم الا ما شفيتني وفرجت عني وانا لا أعود الى معصية أبدا فاستجاب الله تعالى مني وفرج عني فعدت الى ما كنت فيه حتى وقعت في هذا المرض وأمرت أهلي ان يخرجوني الى وسط الدار كما ترى ثم طلبت المصحف لاقرأ فيه فلم يتبين لي منه حرف واحد فعرفت ان الله سبحانه وتعالى غضب علي غضبا شديدا فرفعت بصري الى السماء وقلت الهي بحرمة هذا المصحف الا ما فرجت عني وشفيتني وأنا لا أعود بالجبار الموت من المرض فبينما أنا كذلك ان سمعت قائلا يقول ولا أدري شخصه [illegible] تتوب من الذنوب اذا صحت وترجع للذنوب اذا برئت أبدا بالدعوات منك أنشأك

فقالوا أيبدل ان لنا ربا نعبده ولسنا نأكل من ذبيحتكم فأمر بأخدود فخد لهم والقوا فيه وهم ستة وألقى معهم سبع ضاريا ليأكلهم ثم قال انطلقوا فلنأكل ونشرب فذهبوا فأكلوا وشربوا ثم انهم رجعوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم ولم يخدش منهم أحدا ولم ينكهم شيء ووجدوا معهم رجلا زائدا فعدوهم فوجدوهم سبعة فقالوا ما بال هذا السابع وانما كانوا ستة فخرج اليهم السابع وكان ملكا من الملائكة فلطم بختنصر لطمة فصار في الوحوش والسباع ومسخه الله سبع سنين ثم رده الى صورته ورد عليه ملكه قال السدي فلما رد الله عليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فحسدهم المجوس أيضا ووشوا بهم ثانية وقالوا لبختنصر ان دانيال اذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عارا فجعل لهم بختنصر طعاما وشرابا فأكلوا وشربوا وامنهم ثم قال للبواب انظر أول من يخرج عليك ليبول فاضرب بالطبرزين وان قال أنا بختنصر فقل له كذبت بختنصر أمرني فحبس الله عن دانيال وأصحابه البول فكان أول من قام من القوم يريد البول بختنصر فقام مدلا وكان ذلك ليلا فقام يسحب ثيابه فلما رآه البواب شد عليه فقال له أنا بختنصر فقال كذبت ان بختنصر أمرني أن أقتل كل من يخرج أولا ثم ضربه فقتله *(وأما)* محمد بن اسحق فانه قال في هلاك بختنصر غير ما قال السدي وذلك انه قال باسناده لما أراد الله هلاك بختنصر قال لمن كان في يده من بني اسرائيل أرأيتم هذا البيت الذي خربت وهؤلاء الناس الذين قتلت من هم وما هذا البيت فقالوا هذا بيت الله تعالى ومسجد من مساجده وهؤلاء أهله كانوا من ذراري الانبياء فظلموا وتعدوا وعصوا فسلط الله عليهم عدوهم بذنوبهم قال فاخبروني ما الذي يطلعني الى السماء وأطلع عليها فأقتل من فيها أو أتخذها ملكا فاني قد فرغت من الارض وما فيها قالوا ما يقدر عليها أحد من الخلق فقال لتفعلن أو لأقتلنكم عن آخركم فشكوا الى الله تعالى وتضرعوا فبعث الله تعالى عليه بقدرته ليريه ضعفه وهوانه بعوضة فدخلت في منخره ثم ساخت فيه حتى عضت بأم دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يضرب على أم دماغه فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله اذا أنا مت فشقوا رأسي وانظروا ما الذي قتلني فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة بأم دماغه ليرى الله العباد قدرته وسلطانه ونجى الله تعالى من كان بقي في يديه من بني اسرائيل ورحمهم وردهم الى ايلياء والشام فبنوا فيها وربوا وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه فيزعمون ان الله أحيا المؤمنين الذين قتلوا ولحقوا بهم ثم انهم لما رجعوا الى الشام وجدوا بختنصر قد أحرق التوراة وليس معهم عهد من الله فجدد الله توراتهم وردها اليهم على لسان عزير وسنذكر القصة فيه ان شاء الله تعالى وكان عمر بختنصر أيام مسخه نيفا وخمسمائة عام وخمسين يوما فلما مات بختنصر استخلف ابنه بلسطاس وكانت آنية بيت المقدس التي حملها بختنصر الى بابل عنده وكان يجعلها بالحوم الخمار يروي ويشرب فيها الخمر وأقصى دانيال ولم يقبل منه واعتزل دانيال فبينما بلسطاس قاعد ذات يوم اذ بدت له كف معلقة بغير ساعد فكتبت ثلاثة أحرف بمشهده ثم غابت فعجب من ذلك وتحير ولم يدر ما هي فدعا دانيال عليه السلام واعتذر اليه وسأله أن يقرأ له ذلك الكتاب ويخبره بتأويله فقال دانيال بسم الله الرحمن الرحيم وزن فخف ووعد فأنجز وجمع ففرق فقال أما قوله وزن فخف أي وزن عملك في الميزان فخف ووعد فأنجز أي وعد ملكك بالخراب فأنجز اليوم وجمع ففرق أي جمع لك ولوالدك من قبلك ملكا عظيما ثم فرق اليوم فلا يجتمع الى يوم القيامة فلم يلبث الا قليلا حتى أهلكه الله تعالى وضعف ملكهم وبقي دانيال عليه السلام بأرض بابل الى ان مات بالسوس والله أعلم

((خبر وفاة دانيال عليه السلام))

قال أهل الاخبار لما فتح الله السوس على يد أبي موسى الاشعري في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل أبو موسى ملكها سابور واحتوى على المدينة وغنم ما فيها وأخذ أموال سابور وملكها وجعل يدور في الخزائن فيأخذ ما فيها حتى أفضى الى خزانة مقفلة وقد ختم على قفلها بالرصاص فقال أبو موسى الاشعري لاهل السوس ما في هذه الخزانة فاني أراها مختومة بالرصاص فقالوا له أيها الامير ليس فيها شيء

وأخبث ما يكون اذا قوينا
فكم من كربة نجاك منها
وكم كشف البلاء اذا بلينا
أما تخشى هجوم الموت يا ذا
وأنت على الخطايا قد دهينا
وتنسى فضل رب جاد لطفا
عليك ولا خشيت ولا وعينا
وكم عاهدت ثم نقضت عهدا
وأنت لكل معروف نسينا

قال منصور بن عمار فقمت من عنده وخرجت وعيني تسكب العبرات عليه فما وصلت الى بيتي حتى قيل لي انه قد مات فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة فكم من نفس مكرمها عند الموت بعد ان كانت صوامة قوامة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون اللهم انا نعوذ بك من مكرك وغضبك وعقابك يا أكرم الاكرمين يا الله *(وحكي عن منصور بن عمار أيضا رضي الله تعالى عنه)* انه قال رأيت شابا في بعض الايام يصلي صلاة الخائفين فقلت في نفسي هذا الشاب لعله من أولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من صلاته فسلمت عليه ورد علي السلام فقلت له يا شاب ألم تعلم ان في جهنم واديا يقال له لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال زدني يا منصور رحمك الله فقلت يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا

من حاجتك فقال لابد لي ان أعلم ما فيها فاقصروا بابها حتى أنظر ما فيها فكسروا القفل وفتحوا الباب فدخل أبو موسى الخزانة فنظر فاذا هو بحجر طويل محفور على مثال الحوض وفيه رجل ميت وقد كفن بأكفان منسوجة بالذهب ورأسه مكشوفة قال فتعجب أبو موسى من طوله وكل من كان معه ثم انهم شبروا أنفه فاذا هو يزيد على شبر فقال أبو موسى لاهل السوس ويحكم من هذا الرجل قالوا ان هذا الرجل كان بالعراق وكان أهل العراق اذا احتبس عنهم المطر استسقوا به فيسقون فأصابنا من قحط المطر ما كان يصيب أهل العراق فأرسلنا اليهم وسألناهم ان يدفعوه الينا حتى نستسقي به فأبوا علينا فرهنا عليه عندهم خمسين رجلا وحملناه الى بلدنا هذا ثم استسقينا به فسقينا فرأينا من الرأي ان لا نرده اليهم فلم يزل مقيما عندنا الى ان أدركه الموت فمات فهذه قصته وحاله قال فأقام أبو موسى الاشعري بالسوس وكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخبره بما فتح الله عليهم من مدينة السوس وما والاها وكتب في كتابه أمر ذلك الرجل الميت فلما وصل الكتاب وقرأه عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعا أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ذلك فما وجد عند واحد منهم علمه فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان هذا الرجل دانيال الحكيم وهو نبي غير مرسل كان في قديم الزمان مع بختنصر ومن كان بعده من الملوك وجعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحدث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن قصة دانيال من أولها الى آخرها الى وقت وفاته ثم قال اكتب الى صاحبك وأمره أن يصلي عليه ويدفنه في موضع لا يقدر عليه أهل السوس فكتب عمر الى أبي موسى بذلك فلما قرأ أبو موسى كتاب عمر أمر أهل السوس ان يكفوا نهرهم الى موضع آخر ثم أمر بدانيال فكفن بأكفان غير التي كانت عليه ثم صلى عليه هو وجميع من كان معه من المسلمين ثم أمر بقبر يحفر له في وسط النهر ثم دفنه وأجرى عليه النهر فيقال ان دانيال عليه السلام في نهر السوس والماء يجري عليه الى يومنا هذا والله أعلم (قال الاستاذ رضي الله عنه) فهذا الذي ذكرت جميع أمر بختنصر الذي جاء في التفسير الا ان رواية من روى ان بختنصر هو الذي غزا بني اسرائيل عند قتلهم يحيى غلط عند أهل السير والاخبار والعلماء بأمور الماضين من أهل الكتاب والمسلمين وذلك انهم مجمعون على أن بختنصر انما غزا بني اسرائيل عند قتلهم نبيهم شعيا وفي عهد ارمياء عليه السلام وهي الوقعة الاولى التي قال الله تعالى فيها فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار الآية يعني بختنصر وجنوده قالوا من عهد ارمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا أربعمائة واحدى وستون سنة وذلك انهم يعدون من لدن تخريب بختنصر بيت المقدس الى آخر عمرانه في عهد كرش بن حسرو بن شبر بن أصهيل ببابل من قبل بهمن اسفنديار بن بستاسف سبعين سنة ثم من بعد عمرانه الى ظهور الاسكندر على بيت المقدس واحصاره ملكها وضمها الى مملكته ثمانية وثمانون سنة ثم من بعد ملكه بيت المقدس الى مولد يحيى ابن زكريا ثلثمائة وثلاثون سنة وانما الصحيح في ذلك ما ذكره محمد بن اسحق بن يسار قال عمرت بنو اسرائيل بيت المقدس بعد ما عمرت الشام وعاد اليها ملكها بعد اخراب بختنصر اياها وسبيهم منها فجعلوا يحدثون الاحداث بعد مهلك عزير عليه السلام فبعث الله فيهم الانبياء ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله اليهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من آل داود عليه السلام فمات زكريا وقتل يحيى بسبب نهيه الملك عن نكاح تلك المرأة فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا عليهم السلام بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له كردوس فسار اليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما دخل عليهم أمر رئيسا من رؤس جنوده يقال له بوزاردان صاحب القتل فقال له اني قد حلفت بالهي لئن أنا ظهرت وظفرت على أهل بيت المقدس لاقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري الا أني لا أجد أحدا أقتله وأمره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان بوزاردان دخل بيت المقدس فأقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلي فسألهم

وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون قال فخر الشاب ميتا رحمة الله عليه فكشفت عن ثيابه لاغسله فوجدت على صدره مكتوبا بقلم القدرة فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية قال منصور فغسلته وكفنته وصليت عليه ودفنته ثم نمت فرأيته في المنام على سرير من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل باللآلئ وهو في زينة عظيمة فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي وأعطاني ثوابا مثل ثواب أهل بدر وزادني على ذلك أضعافا فقلت له لم ذلك فقال لانهم قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بمحبة العزيز الغفار رضي الله تعالى عنه ونفعنا والمسلمين ببركاته (وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى عنه انه قال) كان في قديم الزمان رجلان أحدهما عابد والآخر فاسق وكانا أخوين شقيقين فكان العابد يتمنى أن يرى ابليس لعنه الله في محرابه فتمثل له يوما من الايام وقال له يا فلان أسفا عليك ضيعت عمرك في اتعاب نفسك وهو أربعون سنة وقد بقي من عمرك مثل ما مضى فاطلق الشهوات نفسك لتلذذاتها

عنه فقالوا هذا دم قربان قربناه فلم يقبل منا فلذلك هو يغلي كما تراه ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان وقبل منا الا هذا قال ما صدقتموني الخبر فقالوا له لو كان أول دما لتقبل منا ولكنه قد انقطعت منا الملوك والانبياء والوحي فلذلك لم يقبل فذبح منهم بنورازادان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رئيسا من رؤسهم فلم يهدأ الدم فأمر بسبعة آلاف من بنيهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما رأى بنورازادان الدم لا يهدأ قال لهم ويلكم يا بني اسرائيل أصدقوني قبل أن أفنيكم واصبروا على أمر ربكم فلقد طال ما ملكتم في الارض تفعلون فيها ما شئتم أصدقوني قبل أن لا أترك منكم نافخ نار لا أنثى ولا ذكرا الا قتلته فلما رأوا الجد وشدة القتل أصدقوه الخبر وقالوا ان هذا دم نبي منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله فلو أننا أطعناه فيها لكان أرشد لنا وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقه وقتلناه فهذا دمه يغلي فقال بنورازادان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الآن صدقتموني بمثل هذا ينتقم منكم ربكم فلما رأى بنورازادان انهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان ههنا من جيش كردوس وأبقوا من بقي من بني اسرائيل ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم من أجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل أن لا أبقي أحدا من قومك فهدأ دم يحيى بن زكريا باذن الله تعالى ورفع بنورازادان عنهم القتل ثم قال آمنت بالذي آمنت به بنو اسرائيل وصدقت به وأيقنت أنه لا رب غيره واوحى الله تعالى الى رأس من رؤس بقية الانبياء ان بنورازادان حنون صدوق وحنون بالعبرانية حديث الايمان ثم ان بنورازادان قال لبني اسرائيل ان عدو الله كردوس أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره واني لست أستطيع أن أعصيه فقالوا له افعل ما أمرت به فأمرهم فحفروا خندقا ثم أمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحوها حتى سال الدم في العسكر وأمر بقتل الذين كانوا قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم وكانوا فوقهم فلم يظن كردوس الا أن ما في الخندق من بني اسرائيل فلما بلغ الدم الى عسكره أرسل الى بنورازادان ان ارفع عنهم القتل فقد بلغتني دماؤهم ثم انه انصرف عنهم الى بابل وقد أفنى بني اسرائيل أو كاد أن يفنيهم وهي الوقعة الاخيرة التي أنزل الله تعالى فيها قوله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين الآيات فكانت الوقعة الاولى لبختنصر وجنوده ثم رد الله لهم الكرة وكانت لهم الديانة والرياسة وكانت الوقعة الاخيرة لكردوس وجنوده فلم تقم لهم من بعد ذلك قائمة ولا راية وانتقل عن الشام ونواحيها الى الروم واليونانية الى أن تناسل بنو اسرائيل وكثروا وانتشروا بعد ذلك وأحدثوا الاحداث واستحلوا المحارم وضيعوا الحدود فسلط الله عليهم ططوس بن اسبانوس فخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله تعالى منهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة فليسوا في أمة من الامم الا وعليهم الصغار والذلة والجزية والملك في غيرهم وبقي بيت المقدس خرابا الى أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعمره المسلمون بأمره والله أعلم

﴿باب في ذكر الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها﴾

قال الله تعالى أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها الآية واختلفوا في ذلك المار من كان فقال عكرمة وقتادة والربيع بن أنس والضحاك والسدي هو عزير بن شرحيا وقال وهب بن منبه وعبد الله ابن حميد وعبيد بن عمير هو ارمياء بن خلقياء وكان من سبط هرون بن عمران وهو الخضر واختلفوا أيضا في القرية التي مر عليها فقال عكرمة ووهب وقتادة والربيع هي بيت المقدس وقال الضحاك هي الارض المقدسة وقال السدي هي سلماباد وقال الكلبي هي دير سابراباذ وقيل دير هرقل وقيل هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس وكان السبب في ذلك ما روى محمد بن اسحق بن يسار عن وهب بن منبه أن بختنصر لما وطئ الشام وخرب بيت المقدس وقتل بني اسرائيل وسباهم طار ارمياء حتى خالط الوحوش فلما ولى بختنصر عنهم راجعا الى بابل ومعه سبايا بني اسرائيل اقبل ارمياء على حمار له ومعه عصير عنب في ركوة وسلة تين حتى غشي ايلياء فلما وقف عليها ورأى خرابها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها ثم ربط ارمياء

عشرين سنة وتب بعد ذلك وعد الى العبادة العشرين الاخرى فان الله تعالى غفور رحيم فقال العابد اني لانزل الى أخي في أسفل الدار وأوافقه على اللهو واللعب والشهوات واللذات عشرين سنة ثم أتوب بعد ذلك وأعبد الله تعالى العشرين الاخرى ولم يعرف ان ذلك مكيدة من ابليس لعنه الله تعالى وقال أخوه المسرف على نفسه قد أفنيت عمري في المعاصي فأخي يدخل الجنة وأنا أدخل النار والله لاقومن ولاصعدن الى أخي وأوافقه على الطاعة والعبادة باقي عمري لعل الله تعالى أن يغفر لي قال فطلع العاصي على نية التوبة ونزل العابد على نية المعصية فزلقت رجل العابد فوقع على أخيه فمات الاثنان فحشر العابد على نية المعصية وحشر العاصي على نية التوبة فانظر يا أخي كيف ختم للطائع وكيف ختم للعاصي كما قال عليه الصلاة والسلام الاعمال بخواتيمها وقال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة ونسأله الامان من زوال الايمان آمين

(وحكي عن مالك بن دينار عفا الله تعالى عنه ونفعنا به) انه قال دخلت جبانة البصرة واذا [illegible]

حماره بحبل جديد وألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع منه الروح مائة عام ومات حماره وعصيره وتينه
عنده وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحى ومنع الله السباع والطير عن لحمه فلما مضى من موته
سبعون سنة أرسل الله ملكا الى ملك من ملوك فارس عظيم يقال له يوشك فقال له ان الله يأمرك أن تنفر
بقومك وتعمر بيت المقدس وايلياء وأرضها حتى يعود أعمر ما كانا فانتدب الملك ألف قهرمان (١) مع
كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونها وأهلك الله تعالى بختنصر ببعوضة دخلت في دماغه
ونجى الله تعالى من بقي من بني اسرائيل ولم يمت منهم جميعا أحد ببابل وردهم الله تعالى الى بيت المقدس
ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى كانوا كأحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة عام على عزير
أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه متفرقة
بعضها تلوح وسمع صوتا من السماء أيتها العظام البالية ان الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض
واتصل بعضها ببعض ثم نادى ثانية ان الله يأمرك أن تكتسي لحما ودما وجلدا فكان كذلك ثم نادى ان الله
يأمرك أن تحيي فقام حماره ينهض باذن الله تعالى وعمر الله ارمياء فهو الذي يوجد في الفلوات (أخبرني)
ابن فنجويه الحافظ باسناده عن وهب قال ليس في الجنة كلاب ولا حمار الا كلب أهل الكهف وحمار ارمياء
الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه * وقال الذين قالوا ان المار كان عزيرا ان بختنصر لما خرب بيت المقدس
قتل أربعين ألف رجل من قراء التوراة والعلماء بها وقتل فيهم أبا عزير وجده وكان عزير يومئذ غلاما قد قرأ
التوراة وتقدم في العلم فاقدمه مع سبايا بني اسرائيل الى أرض بابل وهو من ولد هرون وكان معه سبعة
آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار له حتى نزل على دير هرقل على شاطئ دجلة
فطاف في القرية فلم ير فيها أحدا وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه
وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال أنى يحيي هذه
الله بعد موتها لم يشك في البعث ولكن قالها تعجبا ثم ربط حماره بحبل جديد ونام فأماته الله مائة عام ثم بعثه
فأتاه جبريل عليه السلام فقال له كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم وذلك أن الله تعالى أماته ضحى
وأحياه آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى أن الشمس قد غربت ثم التفت ورأى
بقية الشمس فقال أو بعض يوم فقال له جبريل عليه السلام بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك يعني التين
وشرابك يعني عصير العنب لم يتسنه يعني لم يتغير وانظر الى حمارك قال قوم وذلك أن الله تعالى لم يمت حماره
وأحياه الله تعالى رأسه وسائر جسده ميت ثم قال له انظر الى حمارك فنظر فرأى حماره قائما كهيئته يوم
ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرسن في عنقه جديدا لم يتغير وهذا قول الضحاك وقتادة
وتقدير الآية على هذا القول وانظر الى حمارك وانظر الى عظامك كيف ننشزها وقال آخرون أراد به
عظام حماره كما قد مناذكره فذلك قوله تعالى ولنجعلك آية للناس أي عبرة ودلالة على البعث بعد الموت وقال
الضحاك هو أنه عاد الى قريته وأولاده وأولاد أولاده فوجدهم شيوخا وعجائز وهو أسود الرأس واللحية
(أخبرنا) أبو عبد الله الحسين بن محمد الحافظ باسناده عن ابن عباس قال لما أحيا الله عزيرا بعدما أماته مائة
سنة ركب حماره حتى أتى محلته فأنكره الناس وأنكر منازله فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فاذا هو
بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت أمة لهم خرج عنهم عزير وهي بنت عشرين
سنة وكانت عرفته وعقلته فلما أصابها الكبر أصابتها الزمانة فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم
هذا منزل عزير ما رأيت كذا وكذا سنة أحدا يذكر عزيرا وقد نسيه الناس قال فاني أنا عزير قالت سبحان
الله فان عزيرا قد فقدناه منذ مائة سنة ولم نسمع له بذكر قال فاني أنا عزير كان الله قد أماتني مائة سنة ثم
بعثني قالت فان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية والشفاء فيعافيه
الله تعالى ويشفيه فادع الله تعالى أن يرد علي بصري حتى أراك فان كنت عزيرا عرفتك قال فدعا ربه ومسح
بيده على وجهها وعينيها فاستجاب الله له فعوفيت ورد الله عليها بصرها ثم أخذ بيدها وقال لها قومي

باذنه

الجنون يا بالنس بما قلت له
كيف أنت وكيف حالك
يا سعدون فقال كيف حال
من أمسى وأصبح يريد سفرا
بعيدا بلا زاد ولا راحلة ولا
همة ويقدم على ذلك الحاكم
بين العباد ثم بكى فقلت له
يا سعدون ما يبكيك فقال
والله ما بكيت حرصا لي
الدنيا ولا جزعا من الموت
ولكن بكيت ليوم مضى
من عمري لم يحسن فيه
عملي وأبكاني والله قلة الزاد
وبعد المسافة والعقبة
الكؤود ولم أدر بعد ذلك
أصير الى الجنة أم الى النار
قال مالك فسمعت منه
كلام حكمة فقلت له
يا سعدون ان الناس يزعمون
انك مجنون فقال وأنت
اغتررت يا مالك بما اغتر
به الناس يزعمون اني
مجنون وما بي من جنون
ولكن حب مولاي قد
خالط قلبي واحشائي وجرى
بين لحمي ودمي وعظامي
وأنا والله من حبه هائم
مشغول قال مالك فقلت
له يا سعدون فلم لا تخالط
الناس ولا تخاطبهم
فأنشد يقول

خذ عن الناس جانبا
وارض بالله صاحبا
قلب الناس كيف شئ
ت تجدهم عقاربا

١ (قوله مع كل قهرمان ثلثمائة ألف الخ) كذا بالاصل وهو مما لا يمكن عادة كما لا يخفى اهـ مصححه

باذن الله تعالى فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال فنظرت الى عزير فعرفته فقالت أشهد أنك عزير ثم انها انطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم وابن عزير شيخ ابن مائة سنة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ في المجلس فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم دعا لي ربه فرد علي بصري وأطلق رجلي وزعم أن الله أماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس وأقبلوا اليه فقال ابنه كانت لابي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفه فاذا هي بحالها فعرف عند ذلك انه عزير عليه السلام

﴿باب في ذكر تمام قصة عزير عليه السلام وحاله بعدما رجع الى قومه﴾

قال الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله روى عطية العوفي عن ابن عباس قال كان عزير من أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم فعملوا بها ما شاء الله أن يعملوا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم فلما رأى الله تعالى انهم قد أضاعوها وعملوا بالاهواء رفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فأرسل الله عليهم مرضا فاستطلقت بطونهم حتى كان الرجل يمس كبده حتى نسوا التوراة وفيهم عزير فمكثوا ما شاء الله ان يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم وكان عزير قد أمر علماءهم أن يدعوا الله تعالى فدعا الله هو واياهم وابتهل اليه أن يرد اليه ما نسخ من صدره فبينما هو يصلي مبتهلا الى الله تعالى اذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فعاد اليه الذي كان ذهب من صدره من التوراة فاذن في قومه وقال يا قوم قد آتاني الله التوراة وردها الي فطفق يعلمهم فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا وهو يعلمهم التوراة ثم ان التابوت نزل بعد ذلك بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان يعلمهم عزير فوجدوه مثله فقالوا والله ما أوتي عزير هذا الا لانه ابن الله (قال السدي) وابن عباس في رواية عمار انما قالت اليهود هذا لان العمالقة ظهروا عليهم فقتلوهم وأخذوا التوراة وهرب علماؤهم الذين بقوا ودفنوا التوراة في الجبال وغيرها ولحق عزير بالجبال والوحوش وجعل يتعبد في رؤس الجبال ولا يخالط الناس ولا ينزل الا يوم عيد وجعل يبكي ويقول يا رب تركت بني اسرائيل بغير عالم وجعل يبكي حتى سقطت أشفار عينيه فنزل مرة الى العيد فلما رجع فاذا هو بامرأة قد تمثلت له عند قبر من تلك القبور وهي تبكي وتقول يا مطعماه يا مكسياه فقال لها عزير يا هذه اتقي الله واصبري واحتسبي أما علمت أن الموت سبيل الناس ثم قال لها ويحك من كان يطعمك ويسقيك ويكسوك قبل هذا الرجل يعني زوجها الذي كانت تندبه فقالت الله تعالى قال فان الله عز وجل حي لا يموت أبدا قالت يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بني اسرائيل قال الله تعالى قالت فلم تبكي عليهم وقد علمت أن الموت حق وأن الله حي لا يموت فلما علم عزير أنه قد خصم ولى مدبرا فقالت له يا عزير اني لست امرأة ولكني الدنيا اما انه سينبع لك في مصلاك عين وتنبت شجرة فكل من تلك الشجرة واشرب من ماء تلك العين واغتسل وصل ركعتين فانه سيأتيك شيخ ويعطيك شيأ فما أعطاك فخذ منه فلما أصبح نبعت العين في مصلاه ونبتت شجرة ففعل ما أمر به فجاء شيخ وقال له افتح فاك ففتح فاه فالقى فيه شيأ كهيئة القوارير ثلاث مرات ثم قال له ادخل هذه العين وامش فيها حتى تبلغ أملاك قال فدخل وجعل لا يرفع قدمه الا زيد في علمه فرجع اليهم وهو من أعلم الناس بالتوراة ثم قال يا بني اسرائيل قد جئتكم بالتوراة قالوا يا عزير ما كنت كذابا فربط على كل أصبع له قلما وكتب بأصابعه كلها حتى كتب التوراة كلها عن ظهر قلبه فاحيا لهم التوراة والسنة فلما رجع العلماء استخرجوا كتبهم التي دفنوها وقابلوها بتوراة عزير فوجدوها مثلها فقالوا ما أعطى الله هذا الا لانه ابنه وقال الكلبي ان بختنصر لما ظهر على بني اسرائيل وهدم بيت المقدس وقتل من قرأ التوراة وكان عزير اذ ذاك غلاما صغيرا فاستصغره فلم يقتله ولم يدر أنه قد قرأ التوراة فلما مات مائة سنة ورجعت بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى فيهم عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية فأتاهم عزير وقال أنا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت عزيرا كما تزعم فأمل علينا التوراة فكتبها وقال هذه التوراة ثم ان

(قيل) وكان سعدون المجنون رضي الله تعالى عنه ونفعنا به يدور في شوارع البصرة ويقف عند كل باب ويقول يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم ثم يبكي وينشد عند ذلك ويقول

فلو لم يكن فيها سوى الموت والبلى
وتمزيق أعضاء ولحم مبدد
لكنت حقيقا يا ابن آدم بالبكا
على ما ثبات الدهر مع كل مسعد

﴿قال﴾ وكان سعدون رضي الله تعالى عنه اذا اشتد به الجوع ينشد ويقول

الهي انت قد آليت حقا
بانك لا تضيع من خلقتا
وانك ضامن للرزق حتى
تؤدي ما ضمنت كما قسمتا
واني واثق بك يا الهي
ولكن القلوب كما علمتا
الهي أنت رزاق كريم
ومن لي بالعطاء اذ منعتا

﴿قال﴾ وكان سعدون رضي الله تعالى عنه عليه جبة من صوف مكتوب على كمها الايمن سطر وهو

عصيت مولاك يا سعيد
ما هكذا تفعل العبيد

وعلى الكم الايسر سطران وهما

تبا لمن قوته رغيف
يأتي به السيد اللطيف
يعصي الهه جلالا
وهو به راحم رؤف

ومن خلفه سطران وهما

ورجلا قال ان أبي حدثني عن جدي أن التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه حتى احتفروا وأخرجوا الخابية والتوراة فيها فأخذوها وقابلوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر منها آية ولا حرفا فعجبوا وقالوا ان الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب رجل واحد منا بعد ما ذهبت من قلوبنا الا أنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله

﴿مجلس في ذكر غزوة بختنصر العرب وقصة يوحنا وخراب حضور﴾

قال الله تعالى وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين الى قوله حصيدا خامدين وقال هشام بن محمد الكلبي وغيره كان بدء نزول العرب أرض العراق واتخاذهم الحيرة والانبار زمنا لان الله تعالى أوحى الى يوحنا بن رخيا بن زربابيل بن سنبسل وسنبسل هذا هو أول من اتخذ الطيلسان كان من ولد يهوذا بن يعقوب أن ائت بختنصر وأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب ويطأ بلادهم ويقتل مقاتلهم ويستبيح أموالهم لكفرهم بي واتخاذ الآلهة دوني وتكذيبهم أنبيائي ورسلي وذلك بعد قتل أهل حضور وهي بلدة باليمن بعث الله اليهم نبيا فأقبل يوحنا حتى قدم على بختنصر ببابل فأخبره بما أوحى الله اليه وقص عليه ما أمره به وذلك في زمن معد بن عدنان فأوحى الله تعالى الى يوحنا اني قد سلطت بختنصر على أهل قرية عربية لا انتقم به منهم فعليك بمعد بن عدنان الذي من ولده النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه في آخر الزمان وأختم به النبوة وأرفع به من أطاعه فخرج تطوى له الارض حتى سبق بختنصر فلقي عدنان وقد تلقاه فنظر الى معد ولمعد يومئذ اثنا عشرة سنة فحمله يوحنا على البراق وأردفه خلفه فانتهيا الى أرض نجران من ساعتهما قالوا ووثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والامتيار فجمع من ظفر به منهم فبنى لهم ديرا على النجف وحصنه ثم ضمهم فيه وقيدوا ووكل بهم حرسا وحفظة ثم نادى في الناس بالغزو فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت اليه طوائف منهم مسالمين مستأمنين فاستشار بختنصر فيهم يوحنا فقال ان خروجهم اليك من بلادهم قبل نهوضك اليهم رجوع منهم عما كانوا عليه فاقبل منهم وأحسن اليهم قال فأنزلهم بختنصر السواد على شاطئ الفرات والتقى بختنصر مع العرب فهزمهم وأثخن فيهم بالقتل والاسر وسار حتى بلغ الحجاز والتقى عدنان في قومه من العرب وبختنصر بذات عرق فهزمهم ونادى مناد من جوف السماء يا ثارات الانبياء فأخذتهم السيوف من خلفهم ومن بين أيديهم فندموا على ذنوبهم ونادوا بالويل فذلك قوله تعالى فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون أي يسرعون هاربين فأخذتهم السيوف وقالت لهم الملائكة لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم الآية فلما عرفوا أنه واقع بهم أقروا بالذنوب وقالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يدعون بها حتى هلكوا فذلك قوله تعالى فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ثم رجع بختنصر الى بابل بما جمع من سبايا العرب فألقاهم في الانبار فقيل أنبار العرب وانضم اليه المستأمنون من العرب وخلى بختنصر أهل الدير بعد فراغه من غزو العرب واتخذوا لانفسهم بلدين فسموا احداهما الانبار والاخرى الحيرة وخالطهم بعد ذلك النبط ومات عدنان وبقيت بلاد العرب خرابا في حياة بختنصر فلما مات بختنصر رجع معد بن عدنان ومعه أنبياء بني اسرائيل حتى أتى مكة فأقام أعلامها وحج الانبياء معه

﴿مجلس في ذكر لقمان الحكيم عليه السلام وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه﴾

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني العقل والعلم والعمل به والاصابة في الامور واختلفوا في نسبه فقال محمد بن اسحق بن يسار هو لقمان بن باعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر أبو ابراهيم عليه السلام وقال وهب كان ابن أخت أيوب عليه السلام وقال مقاتل كان ابن خالة أيوب وقال الواقدي كان قاضيا في بني اسرائيل وقال آخرون كان عبدا وقال مجاهد كان لقمان عبدا أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وروى الاوزاعي عن عبد الرحمن بن حرملة قال جاء أسود الى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن

المسيب

يقف الاطفال بين يديه ويقضي بينهم يكون عن المعاصي ويقرئ بالماضي على الانام يقرض يوما بين يديه سطران وهما

أيها الشامخ الذي لا يرام
نحن من طينة عليها السلام
انما هذه الحياة متاع
ثم موت به تساوي الانام

وعلى عكازه مكتوب هذان السطران

اعمل وأنت بذي الدنيا على وجل
واعلم بانك بعد الموت مبعوث
واعلم بانك ما قدمت من عمل
يحصى عليك وما خلفت موروث

قال مالك فقلت له أنت حكيم ولست مجنون فقال سعدون أنا مجنون الجوارح ولست مجنون القلب ثم ولى ولم أره رضي الله تعالى عنه

﴿وحكي عن بشر الحافي رضي الله عنه انه قال﴾

كنت في لهو وعندي ندماء يشربون ويطربون فمر بي رجل من الصالحين على باب داري وطرق الباب فخرجت اليه جارية من الجواري فلما رآها الرجل قال يا جارية صاحب هذه الدار حر أم عبد فقالت له الجارية بل حر فقال لها صدقت لو كان عبدا لاستعمل آداب العبودية وترك اللهو واللعب ثم تركها ومضى قال بشر فأتت الى الجارية وأخبرتني بذلك فذهبت الى الباب مسرعا

المسيب لا تحزن من أجل انك أسود فانه قد كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا من سودان مصر ذا مشافر (حدثنا) الامام أبو منصور الحمشاوي لفظا باسناده عن سعيد بن المسيب ان لقمان عليه السلام كان عبدا حبشيا نجارا (وأخبرني) ابن فنجويه باسناده عن سعيد بن المسيب ان لقمان عليه السلام كان خياطا واتفق العلماء انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه كان يقول ان لقمان كان نبيا تفرد بهذا القول (حدثنا) أبو منصور الحمشاوي عنه باسناده انه قال كان نبيا قال بعضهم خير لقمان بين النبوة والحكمة واختار الحكمة (وروى) نافع عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حقا أقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا عصمه الله تعالى كثير التفكر حسن اليقين أحب الله فأحبه الله فمن عليه بالحكمة وذلك انه كان نائما نصف النهار فجاءه النداء يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الارض تحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلوى وان عزم على فسمعا وطاعة فاني أعلم انه ان فعل بي أعانني وعصمني فقالت الملائكة لم يا لقمان قال لان الحاكم باشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان أصاب فأرجو أن ينجو وان أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن تخير الدنيا على الآخرة فتنته الدنيا ولا تبق له الآخرة فتعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطي الحكمة فانتبه فتكلم بها ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط بها ما اشترط لقمان فهم بالخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازره بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء وأعطي داود الخلافة وابتلي بالبلية والفتنة

((باب في ذكر بعض ما روي من حكم لقمان ومواعظه المذكورة في القرآن))

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم الآية (أخبرنا) أبو عبد الله الحسين الدينوري عن عكرمة قال كان لقمان من أهون مملوك على سيده قال فبعثه مولاه مع رفقة له الى بستان له ليأتوه بشيء من ثمره فجاؤا وليس معهم شيء وقد أكلوا الثمرة وأحالوا على لقمان فقال لمولاه ان ذا الوجهين لا يكون عند الله أمينا فاسقني واياهم ماء حميما ثم أرسلنا فلتقذفه ففعل فجعلوا يتقايؤن الفاكهة وجعل لقمان يتقايا ماء قراحا فعرف صدقه من كذبهم قال فأول ما روي من حكمته انه بينما هو مع مولاه اذ دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان ان طول الجلوس على الخلاء يجيع منه الكبد ويورث الباسور وتصعد الحرارة الى الرأس فاجلس هوينا وقم قال فخرج وكتب حكمته على باب الحش قال وسكر مولاه يوما فخاطر أقواما على أن يشرب ماء بحيرة فلما أفاق عرف ما وقع فيه فدعا لقمان ثم قال له لمثل هذا اليوم كنت خبأتك قال أخرج كراسيك وأبار يقك ثم اجمعهم فلما اجتمعوا قال لهم على أي شيء خاطرتموني قالوا على ماء هذه البحيرة فقال لهم لقمان ان لها موادا فاحبسوا عنها موادها حتى يشربها قالوا وكيف نستطيع أن نحبس موادها فقال لقمان وكيف يستطيع شربها ولها مواد (أخبرنا) ابن فنجويه باسناده عن خالد الربعي قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له سيده اذبح لنا شاة فذبح له شاة فقال ائتني بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فقال له أما كان فيها شيء أطيب من هذا قال لا فسكت عنه ثم قال له اذبح لنا شاة فذبح شاة فقال ائتني بأخبث مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فقال له أمرتك ان تأتيني بأطيبها مضغتين فأتيتني باللسان والقلب وأمرتك ان تأتيني بأخبثها مضغتين فأتيتني باللسان والقلب فقال له انه ليس بأطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا (وأخبرنا) عبد الله بن حامد باسناده عن محمد بن عجلان قال قال لقمان الحكيم ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس (وأخبرنا) عبد الله باسناده عن أبي هريرة قال مر رجل بلقمان والناس مجتمعون عليه فقال له ألست العبد الاسود الذي كنت راعيا بموضع كذا وكذا قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث وأداء الامانة وترك ما لا يعنيني (أخبرنا) الحسين بن محمد عن أبيه قال قال لقمان ضرب الوالد

حافيا فوجدت الرجل قد مضى فتبعته حتى لحقته ثم قلت له أنت الذي وقفت بالباب فقال نعم فقلت له أعد علي ما قلته فأعاده علي قال بشر فرغت خدي على التراب وقلت بل عبد ابن عبد ثم هممت على وجهي حافيا حتى عرفت بالحافي فقيل لي لم لا تلبس نعلين تقيانك من الحر والبرد فقلت ما صالحني مولاي الا حافيا قال فكان ذلك حتى مات رحمة الله تعالى عليه ونفعنا به وبركاته ومددنا من مدده ((وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى عنه انه قال)) كان ببغداد رجل من التجار كنت أسمعه يقع في حق السادة الصوفية بكلام قبيح ثم رأيته بعد ذلك بمدة يسيرة قد صحبهم وانفق ماله عليهم فقلت له كنت قبل الآن تبغضهم قال نعم كان قلبي منهما بذلك حتى صليت الجمعة يوما من الايام بمسجد بغداد ثم خرجت فرأيت بشرا الحافي رضي الله عنه خارجا من المسجد مسرعا فقلت في نفسي انظر الى هذا الرجل الموصوف بالزهد والورع لم يستقر في المسجد ساعة فتبعته حتى دخل السوق ووقف على الخباز واشترى بدرهم خبزا ثم تقدم الى الشواء فاشترى منه بدرهم ثم اشترى بدرهم حلواء فقلت في نفسي لا أبرح عنه حتى أنظر ماذا

لولده كلما الزرع وعن عبد الله بن دينار أن لقمان قدم من سفر فتلقاه غلامه في الطريق فقال له ما فعل أبي قال مات قال الحمد لله ملكت أمري قال فما فعلت امرأتي قال ماتت قال جدد فراشي قال ما فعلت أختي قال ماتت قال سترت عورتي قال ما فعل أخي قال مات قال انقطع ظهري (أخبرنا) الحسين بن الحسن بن محمد باسناده عن شقيق قال قيل للقمان أي الناس أشرف قال الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئا وقيل للقمان ما أقبح وجهك قال تعيب بهذا على النقش أو على النقاش (وروى) الفاريابي عن سفيان الثوري قال قال لقمان لابنه ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وليكن حشوها ايمانك بالله وشراعها التوكل على الله فلعلك تنجو وما أظنك ناجيا يا بني كيف لا يخاف الناس ما يوعدون وهم في كل يوم ينقصون يا بني خذ من الدنيا بلغة ولا تدخل فيها دخولا فتضر فيها بآخرتك ولا ترفضها فتكون عيالا على الناس وصم صياما يقطع شهوتك ولا تصم صياما يمنعك عن الصلاة فان الصلاة عند الله أعظم من الصوم يا بني لا تتعلم العلم لتباهي به العلماء وتماري به السفهاء أو ترائي به في المجالس ولا تترك العلم زهادة فيه ورغبة في الجهالة يا بني اختر المجالس على عينك فان رأيت قوما يذكرون الله فاجلس اليهم فانك ان تك عالما ينفعك علمك ويزيدوك علما وان تكن جاهلا يعلموك ولعل الله أن يظلهم برحمته فتعمك معهم واذا رأيت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس اليهم فانك ان تكن عالما لا ينفعهم علمك وان تكن جاهلا يزيدوك جهلا فلعل الله يظلهم بالعقوبة فتعمك معهم يا بني لا تضع برك الا عند راعيه كما ليس بين الكبش والذئب خلة كذلك ليس بين البار والفاجر خلة ومن يصحب المراء يشتم ومن يدخل مداخل السوء يتهم ومن يقارن قرين السوء لا يسلم ومن لا يملك لسانه يندم يا بني كن عبد الأخيار ولا تكن خليلا للأشرار يا بني كن أمينا تكن غنيا ولا تر الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ولا تجادلهم فيمنعوك حديثهم والطف بهم في السؤال اذا تركوك ولا تضجرهم فيملوك يا بني لا تطلب من الأمر مدبرا ولا ترفض منه مقبلا فان ذلك يفسد الرأي ويزري بالعقل يا بني ان تأدبت صغيرا انتفعت كبيرا يا بني اذا سافرت فلا تأمن على دابتك فان ذلك سريع في ادبارها وليس ذلك من فعل الحكماء الا أن تكون في محل يمكنك فيه التمدد واذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك وسر ثم ابدأ بعلفها قبل نفسك واياك والسفر في أول الليل وعليك بالتعريس والادلاج من نصف الليل الى آخره وسافر بسيفك وخفك وعمامتك وكسائك وسقائك وابرتك وخيوطك ومخرزك وتزود من الأدوية ما تنتفع به أنت ومن معك وكن لأصحابك موافقا الا في معصية الله يا بني اياك والتقنع فانه بالنهار شهرة وبالليل ريبة يا بني لا تأمر الناس بالبر وتنسى نفسك فيكون مثلك مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه يا بني لا تحقرن من الأمور صغارها فان الصغار غدا تصير كبارا يا بني اياك والكذب فانه يفسد دينك وينقص عند الناس مروءتك فعند ذلك يذهب حياؤك وبهاؤك وجاهك وتهان ولا يسمع منك اذا حدثت ولا تصدق اذا قلت ولا خير في العيش اذا كان هكذا يا بني اياك وسوء الخلق والضجر وقلة الصبر فلا يستقيم لك على هذه الخصال صاحب ولا يزال لك من الناس عليها مجانب وألزم نفسك التودد في أمورك والصبر على مرارات الأحوال وحسن مع جميع الناس خلقك فان من حسن خلقه وأظهر بشره وبسطه حظي عند الأبرار وأحبه الأخيار وجانبه الفجار يا بني لا تعلق نفسك بالهموم ولا تشغل قلبك بالأحزان واياك والطمع وارض بالقضاء واقنع بما قسم الله لك يصف عيشك وتسر نفسك وتستلذ حياتك وان أردت أن يجمع لك غنى الدنيا فاقطع طمعك مما في أيدي الناس فان ما بلغ الأنبياء والصديقون ما بلغوا الا بقطع طمعهم مما في أيدي الناس يا بني ان الدنيا قليل وعمرك فيها قليل من قليل وقد بقي قليل من قليل القليل يا بني اجعل معروفك في أهله ولا تضعه في غير أهله فتخسره في الدنيا وتحرم ثوابه في الآخرة وكن مقتصدا ولا تكن مبذرا ولا تمسك المال تقتيرا ولا تعطه تبذيرا يا بني الزم الحكمة تكرم بها وأعزها تعز بها وسيد أخلاق الحكمة دين الله عز وجل يا بني للحاسد ثلاث علامات يغتاب صاحبه ان غاب ويتملق اذا شهد ويشمت فيه

الفقير... وأنا أقول يريد الله والخضر فما زال يمشي وأنا خلفه الى قريب العصر حتى دخل مسجدا خرابا فيه مريض فجلس عند رأسه وصار يطعمه لقمة بعد لقمة وأنا أنظر اليه فقمت لأنظر ذلك المسجد وما حوله فغبت ساعة ثم رجعت الى المسجد فلم أجد بشرا الحافي فسألت المريض وقلت له أين الذي كان يلقمك فقال بشر الحافي فقلت نعم وأين هو فقال توجه الى بغداد فقلت كم بيني وبين بغداد قال أربعون فرسخا يعني مسيرة خمس مراحل قال فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما هذا الذي فعلته بنفسي وليس معي شيء أكتري به ما أركبه ولم أقدر على المشي قال فجلست عند المريض في المسجد الى الجمعة الأخرى حتى جاء يوم الجمعة ومعه شيء يؤكله للمريض فلما فرغ من اطعامه قال له المريض يا أبا نصر هذا الرجل صحبك من بغداد في الجمعة الماضية وهو مقيم عندي قال فنظر الى بشر كالمغضب وقال لم صحبتني فقلت أخطأت يا سيدي واستغفرت الله العظيم مما كان مني فقال بشر الحافي قم فامش فمشيت معه الى قريب المغرب فدخل بغداد قال أين محلتك من بغداد

بالمصيبة تم خبر لقمان الحكيم وما وصى لابنه أنعم والله أعلم

((مجلس في قصة بلوقيا))

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الجوزقي باسناده عن عبد الله بن سلام الاسرائيلي قال كان في بني اسرائيل رجل يقال له أوشيا وكان من علمائهم وكان كثير المال وكان اماما لبني اسرائيل وكان قد عرف بعث النبي عليه السلام وأمته في التوراة مخفيا وكتم عنهم وكان له ابن يقال له بلوقيا خليفة أبيه في بني اسرائيل وكان ذلك بعد سليمان فلما مات والده أوشيا وبقي بلوقيا والامامة والقضاء في يده ففتش يوما خزائن والده فوجد فيها تابوتا من حديد مقفلا بقفل من حديد فسأل الخزان عن ذلك فقالوا لا ندري فاحتال على القفل حتى فكه فاذا فيه صندوق من خشب الساج ففكه فاذا فيه أوراق فيها نعت النبي صلى الله عليه وسلم وأمته مختومة بالمسك ففكها وقرأ ما فيها على بني اسرائيل ثم انه قال الويل لك يا أبت من الله فيما كتبت وكتمت من الحق عن بني اسرائيل فرده الى أهله فقال بنو اسرائيل يا بلوقيا لولا انك امامنا وكبيرنا لنبشنا قبره وأحرقنا عظمه وأحرقناه بالنار فقال يا قوم لا خير في من اتبع حظ نفسه وحرمه دينه ودنياه فالحقوا نعت النبي صلى الله عليه وسلم وأمته بالتوراة قال وكانت أم بلوقيا من الاحياء فاستأذنها في الخروج الى بلاد الشام وكانوا يومئذ ببلاد مصر فقالت له وما تصنع بالشام فقال أسأل عن محمد وأمته فلعل الله تعالى أن يرزقني الدخول في دينه فأذنت له فبرز بلوقيا ليدخل بلاد الشام فبينما هو سائر اذ انتهى الى جزيرة من جزائر البحر فاذا هو بحيات كامثال الابل عظما وفي الطول ما شاء الله وهن يقلن لا اله الا الله محمد رسول الله فلما رأينه قلن له أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك فقال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل فقلن وما اسرائيل قال من ولد آدم فقلن سمعنا باسم آدم ولم نسمع باسم اسرائيل قال فقال لهم بلوقيا أيتها الحيات من أنتن فقلن نحن من حيات جهنم ونحن نعذب الكفار فيها يوم القيامة قال بلوقيا وما تصنعن ههنا وكيف تعرفن محمدا فقلن ان جهنم تفور وتزفر في كل سنة مرتين فتلقينا الى ههنا ثم نعود اليها فشدة الحر من حرها في الصيف وشدة البرد من بردها في الشتاء وليس في جهنم دركة من دركاتها ولا باب من أبوابها ولا سرادق من سرادقاتها الا وقد كتب الله عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك عرفنا محمدا صلى الله عليه وسلم قال بلوقيا أيتها الحيات هل في جهنم مثلكن أو أكبر منكن فقلن ان في جهنم حيات تدخل احدانا في أنف احداهن وتخرج من فيها ولا تشعر بها لعظمها قال فسلم بلوقيا عليهن ومضى حتى أتى جزيرة أخرى فاذا هو بحيات كامثال الجزوع والسواري وعلى متن احداهن حية صغيرة صفراء كلما مشت اجتمعت الحيات حولها فاذا انفخت صرن تحت الارض خوفا منها قال فلما رأيتها ورأتني قالت أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك قلت اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد ابراهيم الخليل فاخبريني أيتها الحية من أنت قالت أنا موكلة بالحيات واسمي تمليخا ولولا أني موكلة بهن لقتلت بني آدم كلهم في يوم واحد ولكني اذا صفرت صفرة واحدة وسمعن صوتي دخلن تحت الارض ولكن يا بلوقيا ان لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام ثم مضى بلوقيا الى بلاد الشام فأتى بيت المقدس وكان بها حبر من أحبارهم يسمى عفان الحبر فأتاه فسلم عليه فقال له يا بلوقيا ليس هذا زمان محمد ولا زمان أمته بينك وبينه قرون وسنون ثم قال عفان الحبر يا بلوقيا أرني موضع الحية التي اسمها تمليخا فان قدرت أن أصيدها رجوت ان أنال ملكا عظيما وأحيا حياة طيبة الى أن يبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فندخل في دينه فحرص بلوقيا على الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم قال أنا أريك المكان فقام عفان وأخذ تابوتا من حديد وحمل فيه قدحين من فضة في أحدهما خمر وفي الآخر لبن ثم سارا جميعا حتى انتهيا الى موضع الحية ففتحا باب التابوت وتنحيا فجاءت الحية تبغي الرائحة فدخلت التابوت فشربت اللبن والخمر فسكرت ونامت فقام عفان ووثب الى التابوت ودبيبا خفيفا فأغلق عليها باب التابوت وحصنه وأخذاها ومرا جميعا فلم يمرا بشجرة ولا نبت الا كلمهما باذن الله تعالى فمرا بشجرة يقال لها القرمل فقالت يا عفان من يأخذني ويقطعني ويدقني

حكايات في الصبر والبلاء

اذهب ولا تعد لمثل هذه فتبت الى الله تعالى وصحبته رضي الله تعالى عنه ونفعنا به في الدارين آمين ((وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى عنه)) انه قال دخلت الخلوة في أيام حداثتي وعاهدت ربي عز وجل أن لا آكل شيأ الا بعد أربعين يوما فكنت في الخلوة عشرين يوما فاشتد علي الجوع والفاقة والضرورة فخرجت من الخلوة فسرت ولم أشعر بنفسي الا وأنا في السوق فبينما أنا كذلك اذا بفقير يقسم على الله رطل خبز ورطل شواء ورطل حلواء فتعجبت من ذلك وهو يمر علي ولا يكلمني فقلت في نفسي ان هذا الرجل الثقيل كيف يتمنى هذه الشهوات العزيزة وأنا أطلب كسرة يابسة لم تحصل لي قال فلما كان بعد ساعة حصل له ما تمناه فجاءني بذلك وأعطانيه وقال يا فلان أتدري من هو الثقيل الثقيل الذي يخرج من الخلوة لاجل الشهوات وينقض العهد ويطلب من الطيبات والنفائس ما يرد عليه القوة ثم قال ان الذي يطوي الاربعين يوما يطويها بالتدريج ثم قال لا تعد لمثلها أبدا ثم تركني ومضى فلم أره رضي الله تعالى عنه ونفعنا بهم أجمعين

أو عصيرها ودهنها وطلى به قدميه فإنه يخوض البحار السبعة فلا تبتل قدماه ولا يغرق فقال عفان ان ذلك
طابت ثم انه قطع تلك الشجرة فدقها وعصرها وأخرج دهنها وجعله في كوز ثم خلى عن الحية فطارت بين
السماء والأرض وهي تقول يا بني آدم ما أجرأكم على ربكم ولن تصلوا الى ما تريدون قال ثم ذهبت الحية
وسار عفان وبلوقيا الى البحر فطليا أقدامهما ثم نزلا في البحر وساروا ليلا ونهارا كأنهما يمشيان على الأرض
حتى قطعا البحر الأول ثم الثاني واذا هما بجبل في وسط البحر ليس بطال ولا قصير ترابه كالمسك عليه قبة ابيض
أبيض وفيه كهف وفي الكهف سرير من ذهب وعلى السرير شاب مستلق على قفاه ووضع يده اليمنى
على صدره والشمال على بطنه كالنائم وليس بنائم وهو ميت وعلى رأسه تنين وخاتمه بالشمال وكان هذا
سليمان بن داود عليه السلام وكان ملكه في خاتمه وكان خاتمه من ذهب وفصه من ياقوت أحمر مربع
مكتوب عليه أربعة أسطر في كل سطر اسم الله الأعظم وكان عند عفان علم من الكتاب فقال بلوقيا من
هذا الميت يا عفان فقال هذا سليمان بن داود نريد أن نأخذ خاتمه ونملك ملكه ونرجو الحياة الى أن يبعث
الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقال بلوقيا أليس قد سأل ربه فقال رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي
فأعطاه اياه على ما سأل ولا ينال ملك سليمان الى يوم القيامة لخاتمه فقال عفان يا بلوقيا اسكت ان الله
معنا ومعنا اسم الله الأعظم ولكن أنت يا بلوقيا اقرأ التوراة فتقدم عفان لينزع الخاتم من يد سليمان
من اصبعه فقال التنين ما أجرأك على ربك ان غلبتنا بأسماء الله تعالى فنحن نغلبك بقدرة الله تعالى قال
فكلما نفخ التنين ذكر بلوقيا اسم الله تعالى فلم تعمل نفخات التنين فيهما شيأ ودنا عفان من السرير لينزع
الخاتم من اصبعه فاشتغل بلوقيا بالنظر الى نزول جبريل عليه السلام من السماء فلما نزل صاح بهما صيحة
ارتجت الأرض والجبال وتزلزلت منها واختلطت مياه البحار وهاجت والتطمت حتى صار كل عذب مالحا
من شدة صيحته وسقط عفان على وجهه وسقط بلوقيا على وجهه ونفخ التنين فخرج من بطنه شعلة كأنها
البرق الخاطف واحرق عفان وعادت نفخته في البحر فامرت النفخة بشئ الا أحرقته ولا بماء الا سخنته
وأغاثه وان بلوقيا لما رأى العذاب ذكر اسم الله الأعظم فلم يناله مكروه ثم تراءى جبريل عليه السلام
في صورة رجل فقال له يا ابن آدم ما أجرأك على الله فقال له بلوقيا من أنت يرحمك الله فقال له أنا جبريل أمين
رب العالمين فقال بلوقيا يا جبريل انما خرجت حبا لمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه ولم أقصد الخطأ ولم
أتعمده قال فبذلك نجوت ثم صعد جبريل عليه السلام الى السماء ومضى بلوقيا فطلى قدميه بذلك الدهن
فضل الطريق الذي جاء منه وأخذ في طريق أخرى فسار ومضى ستة أبحر ووقع في السابع فاذا هو بجزيرة
من ذهب حشيشها الورس والزعفران وأشجارها الزيتون والنخل والرمان فقال بلوقيا ما أشبه هذا
المكان بالجنة على ما وصفت قال فدنا بلوقيا من بعض الشجر فتناول من ثمرها فقالت الشجرة يا خاطئ يا ابن
الخاطئ لا تأخذ مني شيأ فبقي متعجبا واذا بحذاء الشجرة قوم يتراكضون وبأيديهم سيوف مسلولة وهم
يتناوشون بعضهم بعضا بالضرب والطعن فلما رأوا بلوقيا أحاطوا به وأحدقوا من ورائه وهموا به سوأ
فذكر بلوقيا اسم الله فتعجبوا منه وهابوه وأغمدوا سيوفهم وقالوا بأجمعهم لا اله الا الله محمد رسول الله ثم
قالوا له من أنت يا عبد الله فقال أنا من بني آدم فقالوا ما اسمك قال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل فقالوا
نعرف آدم ولا نعرف اسرائيل فما الذي أوقعك الينا فقال اني خرجت في طلب نبي يسمى محمدا صلى الله
عليه وسلم واني قد ضللت الطريق الذي أردته ورأيت من الأهوال كذا وكذا فقالوا يا بلوقيا نحن من الجن
المؤمنين ونحن مع ملائكة الله في السماء ثم نزلنا الى الأرض وقاتلنا كفرة الجن ونحن ههنا مقيمون نغزوهم
ونجاهدهم الى يوم القيامة ولسنا نموت الى يوم القيامة وأنت تصير معنا فقال بلوقيا لملك الجن وكان اسمه
صخرا يا صخر أخبرني عن خلق الجن كيف كان قال لما خلق الله تعالى جهنم خلق لها سبعة أبواب وسبعة
ألسنة وخلق منها خلقين خلقا في سمائه سماه جليت وخلقا في أرضه سماه عليت فأما جليت فانه خلق
في صورة أسد وعليت في صورة ذئب وجعل الأسد ذكرا والذئب أنثى وجعل طول كل واحد منهما مسيرة

(ومن كرامات الشيخ ... الكرامات المذكورة ... رضي الله تعالى عنه)
أنه كان عارفا فتى فكان
يبيع ويشتري في الأسواق
لأنه كان يحضر مجالس
الفقراء ويعتقد فيهم اعتقادا
شديدا وكان رجلا أميا
فلما حضرت وفاة الشيخ
العارف بالله تعالى شيخ
الطريقة الذي المذكور
فيما اجتمعت عليه الفقراء
وقالوا للشيخ من يكون
شيخا بعدك فقال الذي يقع
على رأسه الطائر الأخضر
في اليوم الثالث بعد موتي
عند اجتماع الناس
والفقراء عند قبري فيكون
هو الشيخ عليكم ثم توفي الشيخ
الى رحمة الله تعالى فاجتمع
الفقراء عند قبره ثلاثة
أيام ينتظرون ما وعدهم
الشيخ رضي الله تعالى عنه
فبينما هم كذلك اذا بالطير
الأخضر قد وقع قريبا منهم
وارتفع فصار كل من الفقراء
يتمنى أن يكون هو الموعود
به فبينما هم منتظرون
الوعد الكريم وما يكون
فيه من تقدير العزيز العليم
اذا بالطير قد وقع على رأس
جوهر ولم يكن يخطر له ذلك
ولا لأحد من الفقراء فقام
الفقراء يزفونه الى الزاوية
وينزلونه منزلة الشيخ فبكى
جوهر وقال كيف أصلح
لذلك وأنا رجل سوقي ولم

خمسمائة

حيوا الضاتم وعلى ذنب الثعبان عقرب وعلى ذنب العقرب وثب الاسد عقرب وثبت الحية وأمرهما أن يتقبضا في النار فتقابضا فتسلطا من ذنب الثعبان عقرب ومن ذنب الاسد حية فثبتت بهم وعقاربها من ذلك ثم أمرهما أن يتناكحا فجلب الذئب من الاسد فولدت سبع بنين وسبع بنات فأوحى الله اليهم أن يزوجوا البنين من البنات كما أمر آدم فيسبه من البنين أطاعوا وواحد لم يطع ولم يتزوج فلعنه أبوه وهو ابليس وكان اسمه الحارث وكنيته أبو مرة فهذا أول خلق الجان يا بلوقيا وأنت دوابة الاثنين مع الانس ولكنني أعطيك فرسي وأرفعه حتى لا تعرف من راكبه واركب عليه على اسم الله تعالى فاذا انتهيت الى أقصى أعمالي على ساحل بحر كذا وكذا فاذا أنت بشيخ وشاب ومشايخ معهما فانك ستلقاهما هناك فادفع الفرس اليهما وامش في حفظ الله راشدا فركب بلوقيا على ذلك الفرس حتى انتهى اليهم فسلم على الشيخ والشاب ونزل عن الفرس ودفعها اليهما وكان قد فصل من عند ملك الجن عند الغداة وبلغ اليهما نصف النهار فقالا له يا بلوقيا منذ كم فارقت الملك قال فارقته من غدوة قالا ما أسرع ما جئت قد أتعبت فرسنا فقال بلوقيا ما مددت اليه يدا ولا حركت عليه رجلا ولم أركضه ركضا قالا بلى ولكن فرسنا أحسن السير بمنزلتك وتعال فطار ما بين السماء والارض ليريح نفسه منك فكم تراه جاب بك قال خمس فراسخ أو أكثر قالا بل جاب بك في هذه المدة مسيرة مائة وعشرين سنة وكان يطير بك بين السماء والارض حول الدنيا دون قاف وأنت لا تعلم قال فسألوا عنه السرج واللجام والبرقع فاذا العرق يقطر ويسيل من كل شعرة منه وله جناحان انقضا وتكسرا من كثرة الطيران والدوران والاعياء والكلال قال بلوقيا هذا والله العجب فقالوا عجائب الله لا تنقضي ثم سلم عليهم ومضى فركب اليم فبينما هو يسير اذ رأى ملكا احدى يديه بالمشرق والاخرى بالمغرب وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك من أنت أيها الخلق المخلوق قال أنا بلوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد آدم ثم قال له بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال اسمي بوحاييل وأنا ملك موكل بظلمة الليل وضوء النهار قال فما بال يديك مبسوطتين قال في يدي اليمنى ضوء النهار وفي يدي اليسرى ظلمة الليل ولو سبق النهار الليل أضاءت السموات والارض ولم يكن الليل أبدا ولو سبقت الظلمة النور لاظلمت السموات والارض ولم يكن ضوء أبدا وبين يدي لوح معلق فيه سطران سطر أبيض وسطر أسود فاذا رأيت السواد ينقص نقصت الظلمة واذا رأيت السواد يزداد ازدادت الظلمة واذا رأيت السطر الابيض يزداد ازدادت النهار واذا انتقص نقصت فلذلك الليل في الشتاء أطول من النهار والنهار أقصر وفي الصيف النهار أطول والليل أقصر ثم سلم بلوقيا ومضى فاذا هو بملك آخر قائم يده اليمنى في السماء ويده اليسرى في الارض وقدماه تحت الثرى وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله وسلم عليه بلوقيا فقال له الملك من أنت وما اسمك قال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل واسرائيل من ولد آدم ثم قال بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال عنائيل قال فما بالي أرى يمينك في السماء وشمالك في الماء قال أحبس الريح بيميني والماء بشمالي ولو رفعت شمالي عن الماء لزخرت البحار كلها في ساعة واحدة وتلاطمت باذن الله وأغرقت الدنيا ومن عليها وبيدي اليمنى في الهواء أحبس الريح عن ولد آدم لان في السماء ريحا تسمى الهائمة ولو أرسلتها لنسفت من في السماء ومن في الارض قال فسلم بلوقيا ومضى فاذا هو بأربعة من الملائكة أحدهم رأسه كرأس الثور والآخر رأسه كرأس النسر والثالث رأسه كرأس الاسد والرابع رأسه كرأس الانسان فأما الملك الذي رأسه كرأس الثور فانه يقول اللهم ارحم البهائم ولا تعذبها وارفع عنها برد الشتاء وحر الصيف واجعل في قلوب بني آدم لها الرأفة والرحمة كي لا يكيدوهن ولا يكلفوهن فوق طاقتهن واجعلني من أهل شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذي رأسه كرأس النسر فيقول اللهم ارحم الطيور وارفع عنها برد الشتاء وحر الصيف واجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذي رأسه كرأس الاسد فيقول اللهم ارحم السباع ولا تعذبها وادفع عنها حر الصيف وبرد الشتاء واجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذي رأسه كرأس الانسان فانه يقول لا اله الا الله محمد رسول الله

لكن أعرف طريقة الفقراء وعلى تبعات بيني وبين الناس معاملات فقال له الفقراء هذا أمر من الله عز وجل فالله يتولاك ويعينك ويعاملك وهو يتولى الصالحين فقال لهم جوّزوني فامهلوني حتى أمضي الى السوق وأبرأ من حقوق الناس فأجابوه لذلك فذهب الى السوق ووفى كل ذي حق حقه ورجع الى الفقراء وترك السوق ولزم الزاوية والفقراء وصار جوهرا كاسمه وله من الكرامات والفضائل ما يطول ذكره فسبحان المنان الكريم ذي العرش العظيم فصار على العبادة حتى مات رضي الله تعالى عنه ((وحكي ان الحجاج بن يوسف الثقفي)) بعث الى رجل من أهل الخير والصلاح والعبادة فلما حضر بين يديه لم يمهله دون أن قال لغلمانه اذهبوا به الى السجن وقيدوه واكتبوا على قيده مخلد فلما سمع ذلك الرجل مقالة الحجاج تبسم وقال انك تحتاج الى مسمار كبير يكون وزنه قنطارا فقال الحجاج ما أصنع به فقال له الرجل تسمر به الفلك فلعل هذا من شؤم فعالك وقلة عقلك وتجاريك على مولاك وحلمه عليك قال فاغتاظ الحجاج عند ذلك وأمر السجان ان يأخذه ويقيده ويسلسله ويبني

صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم المسلمين ولا تعذبهم وادفع عنهم النار واجعلنى من أهل شفاعة محمد صلى الله
عليه وسلم يوم القيامة ومضى بلوقيا حتى انتهى الى جبل قاف فاذا هو بملك قائم على جبل قاف وان جبل
قاف محيط بالدنيا من ياقوتة خضراء وذلك قوله تعالى ق والقرآن المجيد فسلم بلوقيا على الملك فقال له
الملك من أنت قال أنا بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل من ولد آدم فقال له الملك وأين تريد قال خرجت فى طلب
نبى من العرب يقال له محمد ولست أرى أثره ولا أدرى بأى بلاد أنا فقال له الملك لا اله الا الله محمد رسول الله
قد أمرنا بالصلاة على محمد فقال بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال اسمى حزقيائيل قال وما تصنع ههنا قال أنا أمين
الله على جبل قاف وفى يده وترمرة يعقد ومرة يحله وعروق الارض كلها مشدودة عليه والوتر فى كفه قال
واذا أراد الله ان يضيق على عباده أمرنى ان أمد الوتر واعقده وأوثق عروق الارض فتضيق الدنيا على
العباد واذا أراد الله أن يوسع عليهم أمرنى ان أرخى الوتر وأفتق عروق الارض فتتسع الدنيا على العباد
واذا أراد الله أن يخوف قوما أمرنى أن أحرك عروق تلك الارض فمن أجل ذلك موضع يهتز وموضع لا يهتز
وموضع يتزلزل وموضع لا يتزلزل قال بلوقيا أيها الملك ماوراء قاف قال وراء قاف أربعون دنيا غير الدنيا التى
جئت منها فى كل دنيا أربعمائة ألف باب فى كل باب أربعمائة ألف ضعف مثل الدنيا التى جئت منها
وليست فيها ظلمة بل كلها نور وأرضها ذهب عليها حجب من نور وسكانها الملائكة لا يعرفون آدم ولا ابليس
ولا جهنم وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ألهموا ولذلك خلقوا وبه أمروا
الى يوم القيامة قال بلوقيا فما وراءهم أيها الملك قال حجب وراء الحجب علم الله وقدرته قال بلوقيا أخبرنى أيها
الملك على أى شئ هذا الجبل موضوع قال بين قرنى ثور واسمه يهموت وهو أبيض رأسه بالمشرق ومؤخره
بالمغرب بين قرنيه مسيرة ثلاثين ألف سنة وهو ساجد لربه تعالى على صخرة بيضاء قال بلوقيا أيها الملك كم
الارضون وكم البحار قال الارضون سبع والبحار سبع قال فجهنم أين هى قال تحت الارض السابعة فسلم
عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى حجاب طرفه فى السماء وأسفله فى الماء عليه باب مقفل وعلى القفل خاتم
من نور وعلى الباب ملكان أحدهما رأسه كرأس الثور والآخر رأسه كرأس الكبش وبدنه كبدن الثور
وهما يقولان لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليهما بلوقيا فردا عليه السلام وقالا له بلوقيا أيها الخلق
المخلوق من أنت وما اسمك قال اسمى بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل من ولد آدم فقالا لا اله الا الله محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه أسماء ما عرفناها قال كيف تعرفون محمدا وما تعرفون آدم ومحمد من نسله فقالا
هكذا خلقنا وبهذا أمرنا ولم نسمع باسم آدم واسرائيل فقال بلوقيا افتحا لى الباب حتى أجوز فقالا لا نقدر
نفتحه وان لله ملكا فى السماء اسمه جبريل عسى أن يقدر على فتحه فدعا بلوقيا ربه قال فأمر الله تعالى
جبريل فنزل اليه وفتح له ثم قال يا ابن آدم ما أجرأك على الله ثم جاز بلوقيا حتى انتهى الى بحرين بحر مالح
وبحر عذب فرأى بينهما حاجزا وفى البحر المالح جبلا من ذهب وفى البحر العذب جبلا من فضة وبينهما ملائكة
على صورة النخلة ومعه ملائكة على تلك الصورة فسلم عليهم بلوقيا فردوا عليه السلام وقالوا من أنت
فأخبرهم بقصته ثم قال لهم بلوقيا من أنتم قالوا نحن أمناء الله على هذين البحرين لا يلتقيان ولا يبغيان
فقال لهم بلوقيا ما هذا الجبل الاحمر قالوا هذا كنز الله فى الارض وكل ذهب يظهر فى الارض من هذا الجبل
الاحمر وكل ما فى الدنيا من ماء عذب أو ملح انما هو من ماء هذين البحرين وماؤهما انما يجيء من تحت
العرش من قبل أن يخلق الله الملائكة والجبل الابيض من فضة وهو كنز الله وكل فضة فى الدنيا ومعدن
من فضة فمن عروق هذا الجبل ثم سلم بلوقيا ومضى حتى انتهى الى بحر عظيم فاذا هو بحيتان كثيرة عظيمة
قد اجتمعت وحوت عظيم يقضى بين الحيتان فلما نظر الى بلوقيا قال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فسلم عليه بلوقيا ثم قال له من أنت فأخبره بحاله وأنه خرج يطلب النبى صلى الله عليه وسلم
فرد عليه السلام ثم قال له يا بلوقيا ان لقيت محمدا فأقرئه منى السلام فقال بلوقيا نعم ان شاء الله تعالى ثم انه
قال أيتها الحيتان انى جائع عطشان وماء هذا البحر مالح وما أجد ما آكل وما أشرب قال فقال الحوت

الاعظم

حلقة أبواب حتى يموت فيه
يفتق به السجان وأحضر له
حدادا ثم وضع القيد فى
رجليه وأمسك عليه
بالرصاص فقال الرجل عند
ذلك حسبى الله لا اله الا هو
عليه توكلت وهو رب العرش
العظيم قال ثم وضعوه فى
البيت مقيدا مسلسلا فلما
جاء الليل مضى السجان الى
الرجل فسمعه قائما يصلى
و يقرأ ويدعو الله عز وجل
فعجب السجان من ذلك فلما
طلع النهار أتى السجان الى
الرجل فلم يجده ورأى
البيت على حاله والحديد
ملقى على الارض قال فخاف
السجان على نفسه من
ذلك فتوجه الى عياله
وأولاده وودعهم وأخذ
كفنا ومضى به الى الحجاج
وهو مصفر اللون موقن
بالموت فلما وقف بين يدى
الحجاج قال ما بالك بهذه
الحالة فقص عليه القصة
فقال الحجاج على بالحداد
فحضر بين يديه فقال
ما صنعت بالرجل بالامس
فقال صنعت به كذا وكذا
فقال الحجاج ما كان يقول
عند ذلك فقال السجان
سمعته يقول عند وضع
القيد فى رجليه حسبى الله
لا اله الا هو عليه توكلت
وهو رب العرش العظيم
فقال الحجاج نعم ان الذى
اذنب به هو الذى
خلصه انه على كل شئ
قدير (وحكى عن هرون

الاعظم يا بلوقيا سأطعمك طعاما اذا أكلته تسير أربعين سنة لا تعيا ولا تنام ولا تجوع ولا تعطش فأطعمه ذلك الحوت قرصا أبيض فأكله ومضى حتى بلغ العمران ومن قبل أن يبلغه رأى شابا يجرى على الماء كأنه البدر فقال له بلوقيا من أنت فقال سل الذى خلق فسار بلوقيا يوما وليلة فاذا هو بآخر يمر على الماء ضوءه كضوء القمر فقال له بلوقيا من أنت قال سل الذى خلق فسار بلوقيا يوما وليلة فاذا هو بثالث كأنه القمر يلوح فى آخر الشمس فقال له بلوقيا أنشدك الله الا ما وقفت على فوقف وقال لبلوقيا لماذا تستحلفنى قال خشيت أن تفوتنى من أصحابك الماضين ثم قال له من كان الاول قال اسرافيل صاحب الصور والثانى ميكائيل صاحب المطر وأرزاق العباد والثالث جبريل أمين الله تعالى فقال له بلوقيا فماذا تصنعون فى هذا اليم قال حية من حيات البحر قد آذت سكانه فدعوا عليها فاستجاب الله دعاءهم وانا أمرنا أن نسوقها الى جهنم ليعذب الله بها الكفار يوم القيامة قال بلوقيا كم طولها وكم عرضها قال طولها مسيرة ثلاثين سنة وعرضها مسيرة عشرين سنة فقال بلوقيا أيكون فى جهنم مثل هذه الحية أو أكبر منها قال نعم ان فى جهنم من الحيات ما تدخل هذه الحية فى أنف احداهن ولا تشعر بها وتخرج من فيها ولا تشعر بها من عظم خلقها قال فسلم بلوقيا ومضى الى جزيرة أخرى فاذا هو بغلام أبيض أمرد بين قبرين فسلم عليه بلوقيا وقال له ياشاب من أنت وما اسمك قال اسمى صالح قال فما هذان القبران قال أحدهما قبر أبى والآخر قبر أمى وكانا صالحين فأنا ههنا وأنا عند قبرهما حتى أموت فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى جزيرة فاذا هو بشجرة عظيمة عليها طائر واقف رأسه من ذهب وعيناه من ياقوت ومنقاره من لؤلؤ يداه من زعفران وقوائمه من زمرذ واذا مائدة موضوعة تحت الشجرة وعليها طعام وحوت مشوى فسلم عليه بلوقيا فرد الطائر عليه السلام وقال له بلوقيا من أنت أيها الطائر قال أنا من طيور الجنة وان الله تعالى قد بعثنى الى آدم بهذه المائدة لما أهبط من الجنة وانى كنت معه حين لقى حواء وأباح الله له الاكل وأنا معهما من لدن ذلك الوقت فكل غريب وعابر سبيل من عباد الله الصالحين يمر بها يأكل منها وأنا أمين الله عليها الى يوم القيامة فقال بلوقيا ولا تتغير ولا تنقص فقال طعام الجنة لا يتغير ولا ينقص قال بلوقيا أفآكل منها قال كل فأكل حاجته ثم قال له أيها الطائر وهل معك أحد فقال معى أبو العباس يأتينى أحيانا قال ومن أبو العباس قال الخضر عليه السلام فلما ذكر الخضر اذا به قد أقبل وعليه ثياب بيض فما خطا خطوة الا نبت الحشيش تحت قدميه قال وسلم على بلوقيا وسأله عن حاله وقال بلوقيا طالت غيبتى وأريد الرجوع الى أمى وقال الخضر بينك وبين أملك مسيرة خمسمائة عام وأنا أردك اليها فى مسيرة خمسمائة شهر وقال الطائر ان كان بينك وبينها مسيرة خمسمائة سنة فأنا أردك اليها فى مسيرة خمسمائة يوم وقال الخضر عليه السلام فأنا أردك اليها فى ساعة واحدة ثم قال غمض عينيك فغمضهما ثم قال له فتح عينيك ففتحهما واذا هو جالس عند أمه وسألها من جاء بى اليك قالت طير أبيض يطير بك بين السماء والارض فوضعك قدامى ثم ان بلوقيا حدث بنى اسرائيل بما رأى من العجائب والاخبار فأثبتوها وكتبوها الى يومنا هذا وهذا ما كان من حديث بلوقيا وما رأى من العجائب فى البحر والبر سهلا وجبلا والله أعلم

﴿مجلس فى ذكر قصة ذى القرنين عليه السلام﴾

قال الله تعالى ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا

﴿باب فى نسبه ولقبه﴾

قال أكثر أهل السير هو الاسكندر بن فيلبش بن بطريوس بن هرمس بن هردوس بن منطون بن رومى بن لطين بن يونان بن يافث ويقال نسبه ينتهى الى العيص بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام وزعم بعض القدماء ان الاسكندر هو أخو دارا بن دارا وذلك ان دارا الاكبر بن بهمن بن اسفنديار بن بستاسف كان تزوج أم الاسكندر وكانت بنت ملك الروم وكان اسمها هلانة وانها جاءت الحرز وجها دارا الاكبر فوجد منها رائحة كريهة فأمر أن يحتال فى زوال ذلك منها فاجتمع رأى أهل المعرفة فى مداواتها على شجرة يقال لها سندروس فقطعت لها وغسلت بمائها فاذهب ذلك كثيرا من نتنها ومن عرفها ولم يذهب ذلك

(الرشيد رضى الله تعالى عنه) أنه رأى رجلا من أهل الخير فسمعه يأمر بمعروف وينهى عن منكر فشق ذلك على هرون الرشيد فأحضر الرجل بين يديه فلما حضر أمر ان يجعل له بيت ويسد عليه بابه ومنافذه حتى يموت فيه قال ففعلوا ذلك معه فلما كان بعد خمسة أيام قال بعض جلساء هرون الرشيد يا مولاى انى رأيت الرجل الذى أمرت بسد البيت عليه وهو يتفرج فى بستان الفلانى فقال الرشيد على به فأحضروه بين يديه فلما رآه الرشيد قال له من أخرجك من البيت قال الذى أدخلنى البستان قال ومن أدخلك البستان قال الذى أخرجنى من البيت قال فضحك الرشيد وقال هذا عجيب قال الرجل وأى أمر رأيته ليس بعجيب قال فبكى الرشيد وأمر له بالاحسان وأركبه فرسا من خواص خيله وأمر مناديا ينادى بين يديه ويقول هذا عبد أعزه مولاه فأراد هرون اهانته فلم يقدر ثم زاد فى احسانه واكرامه واحترامه وهذا من بعض مناقبهم نفعنا الله بهم آمين ﴿وحكى عن الشيخ شاه بن الشجاع الكرمانى رضى الله تعالى عنه﴾ أنه كان له بنت تقرأ القرآن وتصوم النهار وتقوم الليل وكانت

كله فانتهت نفسه عنها البقية ثم اوجافها فردها على أهلها وقد علقت منه فولدت له في أهلها غلاما فسمته باسمه واسم الشجرة التي غسلت بمائها اسكندروس فهذا أصل اسمه ثم خفف فقيل اسكندر وكني بذي القرنين واختلفوا في سبب تسميته بذلك فقال بعضهم سمي بذلك لانه ملك الروم وفارس وقيل لانه كان في مقدم رأسه شبه القرنين من لحم وقيل لانه رأى في المنام كأنه أخذ بقرني الشمس وكان تأويل رؤياه انه طاف المشرق والمغرب وقيل لانه دعا قومه الى التوحيد فضربوه على قرنه الايمن ثم دعاهم الى التوحيد فضربوه على قرنه الايسر وقيل لانه كان له ذؤابتان حسنتان والذؤابة تسمى قرنا وقيل لانه كان كريم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل أبيه وأمه وقيل لانه كان انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حي وقيل لانه كان اذا حارب قاتل بيديه وركابه جميعا وقيل لانه أعطى علم الظاهر والباطن وقيل لانه دخل النور والظلمة والله أعلم

﴿باب في قصة ذكره وأمره وسبب استكمال ملكه﴾

قال الله تعالى انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا فأتبع سببا وقال قوم كان فيلبش اليوناني أبو الاسكندر ملك اليونانيين فلما مات ملك بعده الاسكندر وقال آخرون ان الاسكندر أخو دارا الاصغر وكان أبوه لانه جد الاسكندر لامه ملكا من ملوك الروم فلما مات صار الملك لابن بنته الاسكندر وكانت ملوك الروم يؤدون الاتاوة جميعا الى ملوك الفرس وكانت الاتاوة التي كان أبو الاسكندر يؤديها الى ملوك الفرس بيضة من ذهب فلما ملك الاسكندر وكان رجلا ذا عزيمة وقوة وملك غزا ملوك الروم فقهرهم واستجمع له ملك الروم ثم غزا بعض ملوك العرب فظفر بهم فانس بذلك من نفسه القوة واستعصى على دارا الاصغر ملك فارس فامتنع من حمل ما كان أبوه يحمله اليه من الخراج والاتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فكتب اليه دارا بن دارا بقصة الخراج والاتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فأجابه الاسكندر اني قد ذبحت تلك الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض وأكلت لحمها فلما وصل اليه الكتاب بذلك سخط عليه وكتب اليه يؤنبه ويصنعه في امتناعه عن حمل الخراج اليه وبعث اليه بصولجان وكرة وقفيز سمسم وأعلمه فيما كتب به اليه أنك صبي وانه ينبغي لك ان تلعب بالصولجان والكرة التي بعثت بهما اليك ولا تتقلد الملك ولا تتلبس به ولا تستعصي والا بعثت اليك من يأتي بك في وثاق ولو كانت جنودك بعدد حب السمسم الذي بعثت به اليك فبعث اليه الاسكندر في جواب ذلك اني قد فهمت ما كتبت وقد نظرت بما ذكرت في كتابك من ارسال الصولجان والكرة وضممت الكرة الى الصولجان وشبهت الكرة بأرضك واني محتو على ملكك وأضيفه الى ملكي وأضيف بلادك الى بلادي واني نظرت الى السمسم الذي بعثته الي كنظري الى الصولجان والكرة وبعث الى دارا مع كتابه صرة من خردل وأعلمه في الجواب انما بعثت اليك بذلك لان جنودك مثل ذلك فلما وصل الى دارا بن دارا جواب الاسكندر جمع جنوده وتأهب لمحاربة الاسكندر وان الاسكندر أيضا تأهب للقائه ونادى في عسكره بالرحيل وسار نحو بلاد دارا فالتقيا بناحية خراسان مما يلي الخزر واقتتلا أشد القتال وصارت الدائرة على جند دارا فعرض له فارسان من قرابته وأهل بيته وثقته وقيل ان أحدهما كان صنيعه وطعناه فاردياه عن مركبه وأرادا بطعنهما اياه الحظوة عند الاسكندر والوسيلة اليه وان الاسكندر نادى ان يؤخذ دارا أسيرا ولا يقتل فأخبر بشأن دارا فأسرع حتى وقف عليه ورآه يجود بنفسه فنزل اليه وجلس عند رأسه وأخبره انه لم يهم قط بقتله وان الذي أصابه لم يكن قط برأيه وانما عدد به ثقاته ثم قال له سلني عما بدا لك فأسعفك به فقال له دارا ان لي اليك حاجتين احداهما أن تنتقم لي من الرجلين اللذين فتكا بي وسماهما وبلادهما والثانية أن تتزوج ابنتي روشنك فأجابه الى الحاجتين وأمر بصلب الرجلين وأن ينادى عليهما هذا جزاء من اجترأ على ملكه وغش أهل بلاده وتزوج ابنته روشنك وكان ملك دارا أربع عشرة سنة فلما قتل اجتمع ملك الروم وكان قبل الاسكندر متفرقا وتفرق ملك فارس وكان قبل الاسكندر مجتمعا

﴿باب في ذكر الحوادث التي كانت في أيام ذي القرنين بعد قتل دارا ووصف مسيره الى البلاد والآفاق﴾

بها من الحسن والجمال سمع بها ملك كرمان فأتى أباها ليخطبها منه فاستمهله الشيخ ثلاثة أيام ثم أقبل والدها يطوف المساجد لينظر رجلا فقيرا يزوجه بها فبينما هو كذلك اذ رأى غلاما حسن الوجه يصلي ويحسن الصلاة فلما فرغ من صلاته قال له يا غلام هل لك في زوجة تقرأ القرآن وتصوم النهار وتقوم الليل وهي جميلة نظيفة فقال الغلام ومن يزوجني بها يا سيدي فقال له أنا أزوجك بها تأخذ بدرهم خبزا وبدرهم اداما وبدرهم طيبا والامر مفروغ منه ثم عقد له عليها ورجع الى بيته وأخبرها بذلك فلما دخلت الى بيت الغلام رأت فيه رغيفا يابسا على رأس جرة ماء فلما رأته قالت ما هذا فقال لها الغلام هذا رغيف تركته من أمس لنفطر عليه فلما سمعت ذلك ولت راجعة فقال لها الشاب قد علمت ان بنت شاه الكرماني لا تفرح بفقري ولا ترضى أن أكون لها بعلا فقالت ان بنت شاه ليس خروجها من منزلك لفقرك بل لضعف يقينك ولست أعجب منك وانما أعجب من والدي حين قال لي قد زوجتك بشاب عفيف فكيف يوصف بالعفة من لا يعتمد على الله سبحانه وتعالى الا مع ادخاره

قالت

قالت العلماء باخبار القدماء لما قتل الاسكندر دارا وملك البلاد ودانت له العباد فهدم ما كان في بلاد
الفرس من بيوت النيران وما كان بارض الهند من بيوت الاوثان وقتل الهرابذة وأحرق كتبهم ودعا
الناس الى الاسلام والتوحيد (قال المرتضى) في سبب احراق كتبهم ان المجوس جعلوا حروف كتبهم من
الذهب المضروب بمسامير الذهب على جلود الثيران فبلغ عددها اثني عشر ألفا فأحرقوها لحصول ذلك
الذهب وبنى اثنتي عشرة مدينة منها ثلاث مدائن بخراسان هراة ومرو وسمرقند ومدينة بأرض أصفهان
بنيت على مثال الحية ومدينة بارض اليونان يقال لها هيلاقوس ومدينة بارض بابل لزوجته روشنك بنت
دارا ومدينة الاسكندرية ثم انه رأى في منامه أنه أخذ بقرني الشمس ورأى في منامه أنه سير الى آفاق
الارض شرقا وغربا (واختلف) العلماء في نبوته فروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أدري أكان
ذو القرنين نبيا أم لا فلو صح الحديث لكان الخوض في مثل هذه المسئلة تكلفا ثم اختلفوا بعد فيه فقال قوم
لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا وملكا عادلا فاضلا وقال آخرون بل كان نبيا غير مرسل والصحيح ان شاء الله
أنه كان نبيا غير مرسل لما روى وهب وغيره من أهل الكتب قالوا كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز
من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندروس ويقال كان اسمه عياشا وكان عبدا صالحا فلما استحكم
ملكه واجتمع أمره أوحى الله تعالى اليه يا ذا القرنين اني قد بعثتك الى جميع الخلائق ما بين الخافقين وجعلتك
حجتي عليهم وهذا تأويل رؤياك واني باعثك الى أمم الارض كلهم وهم سبع أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان
بينهما عرض الارض وأمتان بينهما طول الارض وثلاث أمم في وسط الارض وهم الانس والجن
ويأجوج ومأجوج واما الامتان اللتان بينهما طول الارض فأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك وأمة
أخرى بحيالها يقال لها منسك وهي عند مطلع الشمس وأما الامتان اللتان بينهما عرض الارض فأمة في
قطر الارض الايمن يقال لها هاويل والاخرى بحيالها في قطر الارض الايسر يقال لها تاويل فلما قال الله
تعالى له ذلك قال ذو القرنين الهي انك قد ندبتني الى أمر عظيم لا يقدر عليه الا أنت فأخبرني عن هذه الامم
التي بعثتني اليها بأي قوة أكابرهم وبأي جمع وحيلة أكاثرهم وبأي صبر أقاسيهم وبأي لسان أناطقهم
وكيف لي بأن أفقه لغاتهم وبأي سمع أسمع أقوالهم وبأي بصر أنفذهم وبأي حجة أخاصمهم وبأي عقل
أعقل عنهم وبأي قلب وحكمة أدبر أمرهم وبأي قسط أعدل بينهم وبأي حلم أصابرهم وبأي معرفة
أفصل بينهم وبأي علم أتقن أمورهم وبأي يد أسطو عليهم وبأي رجل أطؤهم وبأي طاقة أحصيهم وبأي
جند أقاتلهم وبأي رفق أتألفهم وليس عندي يا الهي شيء مما ذكرت يقوم لهم ويقويني عليهم وأنت الرؤف
الرحيم لا تكلف نفسا الا وسعها ولا تحملها فوق طاقتها ولا تشقيها بل أنت ترحمها فقال الله تعالى سأطوقك
ما حملتك وأشرح لك سمعك وصدرك فتسمع وتعي كل شيء وأشرح لك فهمك فتفقه كل شيء وأبسط لك لسانك
فتنطق بكل شيء وأفتح لك بصرك فتنفذ كل شيء وأحصي لك قوتك فلا يفوتك شيء وأشد لك عضدك فلا
يهولك شيء وأشد لك ركنك فلا يغلبك شيء وأشد لك قلبك فلا يفزعك شيء وأشد لك يديك فتسطو على كل شيء
وأشد لك وطأتك فتهلك كل شيء وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما جندا من
جنودك يهديك النور أمامك وتحوطك الظلمة من ورائك فلما قيل له ذلك حدثته نفسه بالمسير وألح عليه
قومه بالمقام فلم يفعل وقال لا بد من طاعة الله تعالى ثم أمرهم أن يبنوا له مسجدا وأن يجعلوا طول المسجد
أربعمائة ذراع وعرضه مائتي ذراع وعرض أساس حائطه أربعة وعشرين ذراعا وطوله في السماء مائة
ذراع وأمرهم أن يضعوا فيه السواري قالوا كيف نصنع قال اذا فرغتم من بناء الحيطان فاكبسوها
بالتراب حتى يستوي الكبس مع حائط المسجد فاذا فرغتم فرضتم من الذهب على الموسر قدره وعلى المقتر
قدره وقطعتموه مثل قلامة الظفر ثم خلطتموه بذلك الكبس وجعلتم خشبا من نحاس ووتدا من نحاس
وصفائح من نحاس تذيبون ذلك وأنتم ممكنون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية وجعلتم طول كل
خشبة مائة ذراع وأربعة وعشرين ذراعا ومائتي ذراع فيما بين الحيطان لكل حائط اثنا عشر ذراعا ثم

رغيفا قال فلما سمع الشاب
كلامها قال أنا عن ذلك معتذر
والسنة وعن ذلك أولى
فقالت تصدق به على
مستحقه فاني لا أقيم في بيت
فيه معلوم فاما أن تتصدق
به واما أن أخرج أنا من
البيت قال فتصدق الغلام
به فدخلت الى البيت (قلت)
هذا التزويج صدر من الشيخ
العارف بالله تعالى شاه بن
الشجاع المذكور بعدما
زهد في الدنيا وترك الملك
ودخل في طريق القوم
رضي الله عنهم وقد تقدمت
حكايته في هذا المجموع
رضي الله تعالى عنه ونفعنا
ببركاته في الدنيا والآخرة
آمين (شعر)
فلو كان النساء كمن ذكرنا
لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس
عيب
ولا التذكير فخر للهلال
(وحكي عن سهل بن عبد
الله التستري رضي الله
عنه) أنه قال أول ما رأيت
من العجائب والكرامات
أني خرجت يوما من الايام
الى موضع خال ظاهر البلد
التي كنت قاطنا بها وطاب
لي القيام فيه ووجدت قلبي
قريبا من الله عز وجل
فحضرت الصلاة فأردت
الوضوء وكانت عادتي في
صباي تجديد الوضوء لكل
صلاة فاغتممت لفقد الماء
غما شديدا وصرت متحيرا
فبينما أنا كذلك اذ رأيت
شيئا قائما يمشي على رجليه

تدعون المساكين لنقل التراب فيسارعون اليه لما فيه من الذهب والفضة فمن حمل شيأ فهو له ففعلوا ذلك فأخرج المساكين ذلك التراب واستقر السقف بما عليه واستغنى المساكين فكان جندهم أربعين ألفا فجعلهم أربعة أجناد في كل جند عشرة آلاف ثم عرض جنده فوجدهم فيما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف منهم من جنده ثمانمائة ألف ومن جنده اراسمائة ألف ومن المساكين أربعين ألفا ثم انطلق يؤم الامة التي عند مغرب الشمس فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة أي ذات حماة من قرأ حامية بالف من غير همز فمعناه حارة (أخبرنا) عبد الله بن حامد الاصفهاني باسناده عن ابن عباس قال أقرأنيها أبي بن كعب كما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عين حمئة وقال ابن عباس كنت جالسا عند معاوية اذ قرأ هذه الآية وجدها تغرب في عين حامية فقلت ما نقرؤها الا حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرؤها قال أقرؤها كما قرأتها يا أمير المؤمنين قال ابن عباس فأطلت الجدال معهما فأرسل معاوية الى كعب فجاءه فقال له أين تجد الشمس تغرب في التوراة يا كعب قال أما العربية فأنتم أعلم بها مني وأما الشمس فاني أجدها في التوراة تغرب في ماء وطين وأنشدك ما تزداد به تبصرا وهو قول تبع

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما * ملكا تدين له الملوك وتسجد

بلغ المشارق والمغارب يبتغي * أسباب أمر من حكيم مرشد

فرأى مغيب الشمس عند غروبها * في عين ذي خلب وثاط حرمد

فقال معاوية ما الخلب يا كعب فقال الطين بكلامهم قال فما الثاط قال الحمأة قال وما الحرمد قال الاسود فدعا رجلا فقال اكتب ما يقول * فلما بلغ مغرب الشمس وجد عندها جمعا وعددا لا يحصيه الا الله تعالى وقوة وبأسا لا يطيقه الا الله تعالى ورأى ألسنة مختلفة وأهواء مشتبهة وذلك قوله تعالى ووجد عندها قوما يعني ناسا فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث عساكر منها فأحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور ودعاهم الى الله تعالى والى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم ودخلت في بيوتهم ودورهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب فماجوا وصاحوا وتحيروا فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها ضجوا بصوت واحد فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوته فجاء من أهل المغرب أمم عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم والنور أمامه يقوده ويدله وهو يسير في ناحية الارض اليمنى وهو يريد الامة التي في قطر الارض اليمين التي يقال لها هاويل وسخر الله له قلبه ويده ورأيه وعقله ونظره فلا يخطئ اذا عمل عملا فانطلق يقود تلك الامم وهي تتبعه حتى اذا انتهى الى بحر أو مخاضة بنى سفنا من ألواح صغار مثل النعال فيجمعها في ساعة ثم يحمل فيها جميع ما معه من تلك الامم وتلك الجنود واذا بلغ البحار والانهار فتقها ثم يدفع الى كل رجل منهم لوحا فلا يكترث بحمله فلم يزل ذلك دأبه حتى انتهى الى هاويل ففعل فيها كفعله في ناسك فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الارض اليمنى حتى انتهى الى منسك عند مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم ففعل فيها وجند فيها جنودا كفعله في الامتين اللتين قبلها ثم كر مقبلا حتى أتى ناحية الارض اليسرى وهو يريد تاويل وهي الأمة التي تحيال هاويل وهما متقابلتان بينهما عرض الارض كله فلما بلغها عمل فيها وجند جنودا كفعله فيما قبلها فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء وكانوا يكونون في أسراب لهم حتى اذا زالت الشمس خرجوا الى معايشهم وحروثهم (وقال الحسن) كانت أرضهم أرضا لا تحتمل البناء وكانوا اذا طلعت الشمس عليهم دخلوا الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كما ترعى البهائم وقال ابن جريج جاءهم جيش مرة فقال لهم أهلها لا تطلع عليكم الشمس وأنتم بها فقالوا ما نبرح حتى تطلع الشمس فقالوا ما هذه العظام فقالوا هذه جيف قوم طلعت عليهم الشمس فماتوا ههنا قال فذهبوا هاربين في الارض وقال

فتوهمت أنه آدمي فلما قرب مني اذا هو دب عظيم ومعه جرة ماء قد أمسكها بيده فلما دنا مني وضع الجرة بين يدي فتعجبت في نفسي عجبا شديدا وقلت من أين هذه الجرة وهذا الماء قال فنطق الدب وسلم علي وقال يا سهل نحن قوم من الوحوش قد انقطعنا الى الله تعالى بعزم المحبة والتوكل على الله تعالى فبينما نحن نتكلم مع أصحابنا في مسألة اذ نودينا الا ان سهلا يريد ماء لتجديد وضوئه فقمت من عند أصحابي ووضعت هذه الجرة بين يديك وكانت فارغة واذا بملكين قريبين مني فدنوت منهما فصبا فيها الماء من الهواء وأنا أسمع خرير الماء في الجرة قال سهل رضي الله عنه فلما سمعت ذلك غشي علي فلما أفقت اذا بالجرة موضوعة ولم أدر أين ذهب الدب قال سهل فتوضأت وصليت فلما فرغت من الصلاة أردت أن أشرب من الماء فسمعت قائلا من الوادي يقول يا سهل لم يؤذن لك في شرب هذا الماء فتركتها واذا هي تضطرب وأنا أنظر اليها متعجبا ولم أدر أين ذهبت تلك الجرة عفا الله عنهم ونفعنا ببركاتهم آمين (وحكي عنه أيضا رضي الله تعالى عنه) أنه قال

الكلابي هم أمة يقال لها منسك فاذا هي امرأة عصا عن الحق قال وحدثنا هرون بن مالك بن أمية قال وحدث رجلا بسمرقند يحدث الناس وهم حوله مستمعون له مجتمعون فسألت بعض من سمع حديثه فأخبرني انه حدثهم عن القوم الذين تطلع عليهم الشمس قال خرجت حتى جاوزت الصين ثم سألت عنهم فقيل لي ان بينك وبينهم يوما وليلة فاستأجرت رجلا ثم سرت بقية يومي وليلتي حتى صبحتهم فاذا أحدهم يفرش اذنه ويلتحف بالاخرى وكان صاحبي يحسن لسانهم فسألهم فقالوا له اذا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي فوقعت فلما أفقت قت وهم يمسحون علي بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي على الماء كهيئة الزيت واذا طرف السماء كهيئة الفسطاط فلما ارتفعت أدخلوني سربا لهم أنا وصاحبي فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج والله أعلم

﴿باب في صفة سد ذي القرنين وما يتعلق به﴾

قال الله تعالى حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالت العلماء بأخبار القدماء لما فرغ ذو القرنين من أمر الامم الذين هم في أطراف الارض وطاف المشرق والمغرب عطف منها على الامم التي في وسط الارض من الجن والانس ويأجوج ومأجوج فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله ليس فيهم مشابهة من الانس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع ويأكلون حشرات الارض كلها من الحيات والعقارب وكل ذي روح مما خلق الله في الارض وليس لله خلق ينمون نماءهم ولا يزدادون كزيادتهم فان أنت اطلعت على ما ينمو من نمائهم وزيادتهم ولا نشك أنهم سيملؤن الارض ويخرجون أهلها منها او يظهرون عليها ويفسدون فيها وليست تمر بنا سنة مذ جاورناهم الا ونحن نتوقع أن يطلع علينا أولهم من بين هذين الجبلين فهل نجعل لك خرجا أي جعلا وأجرا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا حاجزا فلا يصلون الينا فقال لهم ذو القرنين ما مكني فيه ربي أي قواني عليه خير من خراجكم فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا كالحائط قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البنا والعمل والا آلة قالوا وما تلك الا آلة قال آتوني زبر الحديد أي قطعه واحدتها زبرة وآتوني النحاس فقالوا ومن أين لنا من الحديد والنحاس ما يسع هذا العمل قال سأدلكم على معادن ما قالوا فبأي قوة نقطع الحديد والنحاس فاستخرج لهم معدنا آخر يقال له الساهون وهو أشد ما خلق الله في الارض بياضا وهو الذي قطع به سليمان أساطين بيت المقدس وصخوره وجواهره ثم انه قاس ما بين الجبلين ثم أوقد على ما جمع من الحديد والنحاس النار وصنع منها زبرا مثل الصخور العظام ثم أذاب النحاس فجعله كالطين والملاط لتلك الصخور التي هي من الحديد ثم بنى وكيفية بنائه على ما ذكر أهل السير أنه لما قاس ما بين الجبلين وجده ما بينهما مائة فرسخ فلما أنشأ في عمله حفر له الاساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا ثم وضع الحطب بين الجبلين ثم نسج عليه الحديد ثم نسج الحطب على الحديد فلم يزل يجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى ساوى بين الصدفين وهما الجبلان ثم أمر بالنار فأرسل فيه ثم قال انفخوا حتى جعل يفرغ القطر فيه وهو النحاس المذاب فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس فصار كأنه برد حبرة من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد وغبرته فصار سدا طويلا عظيما حصينا قال تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه أي يعلوه وما استطاعوا له نقبا (قال قتادة) ذكر لنا ان رجلا قال يا نبي الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال انعته لي قال كالبرد الحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء فقال له قد رأيته ويقال ان موضع السد وراء زخرد بقرب مشرق الارض بينه وبين الخزر مسيرة اثنين وسبعين يوما وذكر ان الواثق بالله أمير المؤمنين رأى في المنام ان السد مفتوح فوجه سلاما الترجمان في خمسين رجلا وأعطاه خمسة آلاف دينار وأعطى كل رجل من الخمسين خمسين ألف درهم ورزق سنة وأعطاه مائتي بغلة تحمل الزاد والماء وخرج من سر من رأى بكتاب الواثق

توضأت في يوم جمعة ومضيت الى الجامع وكان ذلك في أيام البداية فوجدت الجامع قد امتلأ بالناس وهم الخطيب أن يرقى المنبر فأسأت الادب ولم أزل أتخطى رقاب الناس حتى وصلت الى الصف الاول ثم جلست فاذا عن يميني شاب حسن المنظر كأنه من الملوك وعليه أطمار من صوف فلما نظر الي قال كيف ترى حالك يا سهل فقلت بخير أصلحك الله فصرت متحيرا في معرفته لي ولم أعرفه فبينما أنا كذلك اذ أخذني حرق بول فأرعبني ذلك وصرت متحيرا في أمري وان قمت تخطيت رقاب الناس ثانيا وان جلست لم أتمكن من الصلاة قال سهل والتفت الي الشاب وقال يا سهل أخذك حرق بول قلت نعم يا سيدي قال فنزع رداءه عن منكبه وغطاني به وقال قم اقض حاجتك وأسرع لتدرك الصلاة قال فنظرت فاذا بباب مفتوح وقائل يقول لج الباب رحمك الله فولجت الباب فرأيت قصرا مشيد البنا شامخ الاركان واذا بنخلة قائمة واذا بجانبها مطهرة مملوءة ماء أحلى من الشهد واذا بمنشفة معلقة وسواك ألين من الحرير قال سهل فتعجبت من ذلك ثم حللت لباسي وأرقت الماء واغتسلت وتنشفت

بالله الى اسحق بن اسمعيل صاحب أرمينية وكان بتفليس وكتب له اسحق الى صاحب السرير وكتب له صاحب السرير الى ملك اللان وكتب له ملك اللان الى الازآلى طلهندق بلاد شاه ملك الخزر فأقام عنده حتى أخذ معه خمسين رجلا أدلاء فساروا خمسة وعشرين يوما حتى انتهوا الى أرض سوداء منتنة الريح وكانوا قد حملوا معهم شيأ يشمونه من الرائحة الذكية فساروا ستة وعشرين يوما ثم سألوا عن سبب نتن الريح ما هو فقالوا مات ههنا قوم ثم ساروا في مدن خراب عشرين يوما فسألوا عن تلك المدن فقالوا قد ظهر فيها يأجوج ومأجوج فخربوها ثم ساروا الى حصون بالقرب من الجبل يتكلمون بالعربية والفارسية يقرؤن القرآن ولهم مكاتب ومساجد فقالوا لنا من هؤلاء القوم فقلنا رسل أمير المؤمنين فقالوا ومن هو أمير المؤمنين قلنا من أولاد العباس ملك بالعراق فتعجبوا منه وقالوا شيخ أو شاب وزعموا أنهم لم يبلغهم خبره ثم فارقوهم وساروا الى جبل أملس ليس عليه خضرة واذا جبل مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعا وعضادتان مبنيتان مقابلتا الجبل عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا مبنية باللبن من حديد مغيبة في نحاس في سمك خمسين ذراعا واذا وتد من حديد طرفاه على عضادتين طوله مائة وعشرون ذراعا قد ركب على العضادتين على كل واحدة مقدار عشرة أذرع في عرض خمسة أذرع فوق ذلك اللبن الحديد المغيب في النحاس الى رأس الجبل وارتفاعه مد البصر وفوق ذلك شرف من حديد في طرف كل شرافة قرنان مبنى بعضها الى بعض منظومة كل واحدة في صاحبتها واذا باب له مصراعان منصوبان من حديد عرض كل باب خمسون ذراعا في ارتفاع خمسين ذراعا قائمتاهما في دورهما على قدر الدربند وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع وارتفاع القفل من الارض خمسة وخمسون ذراعا وفوق القفل مقدار خمسة أذرع غلق وعلى الغلق مفتاح طوله ذراع ونصف معلق في سلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة أربعة أشبار والحلقة التي في السلسلة مثل حلقة المنجنيق وعرض عتبة الباب عشرة أذرع في طول مائة ذراع سوى ما في العضادتين والظاهر منها خمسة أذرع وهذا كله بذراع السواد ورئيس تلك الحصون يركب كل جمعة في عشرة فوارس مع كل فارس مرزبة من حديد وزن كل واحدة خمسون منا فيضرب القفل بالمرزبات كل يوم ثلاث ضربات ليسمع من وراء الباب الصوت فيعلموا ان هناك حفظة ويعلم هؤلاء ان أولئك لم يحدثوا في الباب حدثا واذا ضربوا أصغوا اليه بآذانهم فيسمعون من داخل دويا وبالقرب من هذا الجبل حصن كبير عظيم عشرة فراسخ في مسيرة مائة فرسخ لاهما عشرة في عشرة ومع الباب حصنان طول كل واحد منهما مائتا ذراع في مائتي ذراع وعلى باب هذين الحصنين شجرتان وبين الحصنين ماء عين عذب وفي أحد الحصنين آلة البناء التي بني بها السد من قدور الحديد ومغارف من حديد وهناك بعض اللبن من الحديد قد التزق بعضه ببعض من الصدإ واللبنة ذراع ونصف في عرض شبر وسألنا أهل ورأوا ذلك أحد من أهل يأجوج ومأجوج فذكروا انهم رأوا منهم عدة فوق الشرف فهبت ريح سوداء فألقتهم الى جانبهم وكان مقدار الرجل في رأي العين شبرا ونصفا قال فلما انصرفنا أخذ بنا الادلاء على نواحي خراسان فعدلنا اليها ووقفنا الى القرب من سمرقند على سبعة فراسخ وكان أصحاب الحصن ثم زودونا الطعام ثم سرنا الى عبد الله ابن طاهر فوصلنا بمائة ألف درهم ووصل كل رجل كان معي بخمسمائة درهم وأجرى على كل فارس خمسة دراهم وعلى كل راجل ثلاثة دراهم كل يوم حتى صرنا الى الري ورجعنا الى سر من رأى بعد ثمانية وعشرين شهرا والله أعلم

﴿باب في دخول ذي القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالي لطلب عين الحياة﴾

روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انه قال كان ذو القرنين قد ملك ما بين المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة اسمه رفائيل يأتيه ويزوره فبينما هما ذات يوم يتحدثان اذ قال له ذو القرنين يا رفائيل حدثني عن عبادتكم في السماء فبكى وقال يا ذا القرنين وما عبادتكم عند عبادتنا ان في السماء من الملائكة من هو قائم لا يجلس أبدا ومن هو ساجد لا يرفع رأسه أبدا ومن هو راكع لا يستوي قائما أبدا يقولون سبحان

بالاربعة يقول ان كنت قضيت اوربك فقل نعم فقلت نعم فنزع الرداء عني فاذا أنا جالس في مكاني ولم يشعر بي أحد فصرت متفكرا في نفسي متعجبا مما رأيت وصرت أكذب نفسي تارة وأصدقها تارة فقامت الصلاة فصليت مع الجماعة ولم يكن لي شغل الا ذلك الفتى لاعرفه فلما فرغنا من الصلاة قام فتبعته وأنا أمشي خلفه حتى دخلت الى درب فالتفت الي وقال يا سهل كأنك ما أيقنت بما رأيت فقلت كلا يا سيدي فقال لج الباب يرحمك الله فنظرت فاذا الباب بعينه ثم ولجت القصر ووجدت النخلة والمطهرة والسوالك والمنشفة مبلولة فقلت آمنت بالله العظيم فقال يا سهل من أطاع الله أطاعه كل شيء اطلبه تجده قال سهل فتغرغرت عيناي بالدموع فمسحتهما وفتحتهما فلم أر الشاب ولا القصر وصرت متحيرا على ما فاتني منه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وبعلومه وأعاد علينا من بركاته آمين

(وحكي عنه أيضا عفا الله عنه) أنه قيل لبعض أصحاب سهل كيف كان حال سهل فقال خدمته ثلاثين سنة فما رأيته وضع جنبه

القدوس رب الملائكة والروح ربنا ما عبدناك حق عبادتك فبكى ذو القرنين بكاء شديدا ثم قال انى أحب أن أعيش فأبلغ من عبادة ربى حق عبادته فقال رفائيل أوتحب ذلك يا ذا القرنين قال نعم قال رفائيل فان لله عينا فى الارض تسمى عين الحياة فيها من الله عزوجل أن من شرب منها شربة لا يموت أبدا حتى يكون هو الذى يسأل ربه الموت فقال له ذو القرنين هل تعلمون أنتم موضع تلك العين فقال لا غيرانا نتحدث فى السماء أن لله فى الارض ظلمة لا يطؤها انس ولا جان فنحن نظن ان تلك العين فى تلك الظلمة فجمع ذو القرنين علماء أهل الارض وأهل دراسة الكتب وآثار النبوة فقال لهم اخبرونى هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله تعالى وما جاءكم من الاحاديث وسألتم من كان قبلكم من العلماء ان الله وضع فى الارض عينا سماها عين الحياة فقالت العلماء لا فقال عالم من العلماء انى قرأت وصية آدم عليه السلام فوجدت فيها ان الله خلق فى الارض ظلمة لم يطأها انس ولا جان ووضع فيها عين الخلد فقال ذو القرنين أين وجدتها قال وجدتها فى الارض التى على قرن الشمس فبعث اليها ذو القرنين وحشد اليها الفقهاء والاشراف من الناس والملوك ثم سار يطلب مغرب الشمس فسار اثنتى عشرة سنة الى أن بلغ طرف الظلمة فاذا هى مثل الدخان وليست كظلمة الليل فعسكرها هنالك ثم جمع علماء عسكره فقال انى أريد أن أسلك هذه الظلمة فقالت العلماء أيها الملك ان من كان قبلك من الملوك والانبياء لم يطؤا هذه الارض فلا تطأها فانا نخاف أن ينفتح عليك أمر تكرهه ويكون فيه فساد الارض ومن عليها فقال لابد من أن أسلكها فقالوا أيها الملك كف عن هذه الظلمة ولا تطلبها فانا لو نعلم انك ان طلبتها ظفرت بما تريد ولم يسخط الله علينا لاتبعناك ولكنا نخاف من الله تعالى فسادا فى الارض ومن عليها فقال ذو القرنين لابد من أن أسلكها فقالت العلماء شأنكما فقال ذو القرنين أى الدواب بالليل أبصر قالوا الخيل قال وأى الخيل بالليل أبصر قالوا الاناث قال وأى الاناث أبصر قالوا البكارى قال فأرسل ذو القرنين فجمع له ستة آلاف فرس أنثى أبكارا ثم انتخب من عسكره أهل الجلد والعقل ستة آلاف رجل فدفع لكل رجل منهم فرسا وعقد راية للخضر عليه السلام وجعله مقدمته فى ألفين وبقى ذو القرنين فى أربعة آلاف رجل وقال ذو القرنين لبقية عسكره لا تبرحوا من معسكركم هذا الى اثنتى عشرة سنة فان نحن رجعنا اليكم والا فارجعوا الى بلادكم فقال الخضر أيها الملك انا نسلك الظلمة ولا ندرى كم السير فيها ولا يبصر بعضنا بعضا وكيف نصنع بالضلال اذا أصابنا فدفع ذو القرنين الى الخضر عليه السلام خرزة حمراء وقال له حيث يصيبكم الضلال فاطرح هذه فى الارض فاذا صاحت فليرجع اليها أهل الضلال أين صاحت قال فصار الخضر بين يدى ذى القرنين يرتحل الخضر ويحط ذو القرنين فبينما الخضر عليه السلام يسير اذ عرض له واد فظن الخضر ان العين فى الوادى والقى فى قلبه ذلك فقام على شفير الوادى ومكث طويلا ثم أجابته الخرزة فطلب صوتها فانتهى اليها فاذا هى على جانب العين فنزع الخضر ثيابه ثم دخل العين فاذا ماؤها أشد بياضا من اللبن وأحلى من الشهد فاغتسل وتوضأ ولبس ثيابه ثم انه رمى الخرزة نحو أصحابه فوقعت وصاحت فرجع الخضر الى صوتها والى أصحابه فركب وقال لاصحابه سيروا على اسم الله وان ذا القرنين مر فأخطأ الوادى وسلكوا تلك الظلمة فى أربعين يوما ثم انهم خرجوا الى ضوء ليس كضوء شمس ولا قمر والارض حمراء رملة خشخاشية فاذا هم بقصر مبنى فى تلك الارض طوله فرسخ فى فرسخ عليه باب فنزل ذو القرنين بعسكره ثم انه خرج وحده حتى دخل القصر فاذا حديدة قد وضع طرفاها على جانب القصر من ههنا وههنا واذا طائر أسود يشبه الخطاف مزموما بأنفه الى الحديدة معلقا بين السماء والارض فلما سمع الطائر خشخشة ذى القرنين فقال من هذا قال أنا ذو القرنين فقال الطائر يا ذا القرنين ما كفاك ما وراءك حتى وصلت الى ثم قال يا ذا القرنين حدثنى فقال سل فقال هل كثر بناء الجص والآجر فى الارض قال نعم فانتفض الطائر انتفاضة ثم انتفخ وبلغ ثلث الحديدة ثم قال يا ذا القرنين هل كثرت شهادة الزور فى الارض قال نعم قال فانتفض الطائر ثم انتفخ حتى ملأ الحديدة وسد ما بين جدران القصر بحيث رأى ذو القرنين ذلك ففرق فرقا شديدا فقال له الطائر لا تخف حدثنى قال سل قال هل ترك الناس شهادة أن لا اله

على فراشه ليلا ولا نهارا وكان يصلى الصبح بوضوء العشاء وهرب من الناس الى جزيرة بين عبادان والبصرة وما فر من الناس الا من رجل حج سنة من السنين فلما رجع قال لاخ له رأيت سهل بن عبد الله فى الموقف بعرفة فقال له أخوه نحن كنا عنده فى ذلك اليوم وهو جالس بيننا فحلف بالطلاق الثلاث انه رآه فى ذلك اليوم بعرفة فقال له أخوه سر بنا اليه حتى نسأله عن حكم ذلك اليمين وعما جرى بيننا فى الاختلاف فى ذلك فقاما اليه وسلما عليه فرد عليهما السلام وسألاه عما جرى بينهما من هذا الحديث فقال سهل ما لكم فى هذا الحديث حاجة اشتغلوا بالله تعالى ثم التفت الى الحالف وقال له أمسك عليك زوجك ولا تخبر بذلك أحدا بعد ذلك ثم مضى الى الجزيرة المذكورة هاربا من الناس عفا الله تعالى عنه ونفعنا به وبركته آمين (وحكى عن خادمة رابعة العدوية رضى الله تعالى عنها) انها قالت كانت رابعة العدوية تصلى الليل كله فاذا طلع الفجر هجعت هجعة فى مصلاها حتى يسفر الفجر فكنت أسمعها تقول اذا وثبت من مرقدها وهى فزعة يا نفس كم تنامين والى كم تقومين

الا الله بعد قال لا فانضم الطائر الى ثلثه ثم قال يا ذا القرنين هل ترك الناس غسل الجنابة بعد قال لا فعاد الطائر كما كان ثم قال يا ذا القرنين اسلك هذه الدرج درجة درجة الى أعلى القصر فسلكها ذو القرنين وهو خائف وجل لا يدرى على ما يهجم حتى استوى على صدر الدرج فاذا سطح ممدود عليه صورة رجل شاب قائم وعليه ثياب بيض رافعا وجهه الى السماء واضعا يده على فيه فلما سمع خشخشة ذى القرنين قال من هذا قال أنا ذو القرنين قال يا ذا القرنين ان الساعة قد قربت وانى منتظر أمر ربى يأمرنى أن أنفخ فى الصور ثم ان صاحب الصور أخذ شيأ من بين يديه كأنه حجر فقال يا ذا القرنين خذ هذا فان شبع هذا شبعت وان جاع هذا جعت فأخذ ذو القرنين الحجر ونزل حتى أتى الى أصحابه فحدثهم بأمر الطائر وما قاله له وما أورده عليه وما قال له صاحب الصور ثم جمع علماء عسكره وقال اخبرونى ما هذا الحجر وما أمره فقالوا أيها الملك اخبرنا ما قال لك صاحب الصور فقال ذو القرنين انه قال ان شبع هذا شبعت وان جاع جعت فوضعت العلماء ذلك الحجر فى كفة الميزان وأخذوا حجرا مثله ووضعوه فى الكفة الاخرى ثم رفعوا الميزان واذا الذى جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان واذا الذى جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان واذا الذى جاء به ذو القرنين أثقل فلم يزالوا يضعون حجرا بعد حجر حتى وضعوا ألف حجر ثم رفعوا الميزان فمال بالالف جميعا فقالت العلماء انقطع علمنا دون هذا لا نعرف أسحر هذا أم علم ولا نعلمه فقال الخضر عليه السلام وكان واقفا أنا أعلم علمه فأخذ الخضر عليه السلام الميزان بيده ثم أخذ الحجر الذى جاء به ذو القرنين فوضعه فى احدى الكفتين وأخذ حجرا من تلك الحجارة فوضعه فى الكفة الاخرى ثم أخذ كفا من تراب فوضعه على الحجر الذى جاء به ذو القرنين ثم رفع الميزان فاستوى فخرت العلماء سجدا لله تعالى وقالوا سبحان الله هذا علم لم يبلغه علمنا والله لقد وضعنا ألف حجر فما استقل به فقال الخضر عليه السلام أيها الملك ان سلطان الله عز وجل قاهر لخلقه وأمره نافذ فيهم وحكمه جار عليهم وان الله ابتلى خلقه بعضهم ببعض فابتلى العالم بالعالم والجاهل بالجاهل والجاهل بالعالم والعالم بالجاهل وانه ابتلانى بك وابتلاك بى فقال ذو القرنين صدقت فاخبرنى ما هذا الحجر فقال الخضر أيها الملك هذا مثل ضربه لك صاحب الصور ان الله تعالى مكن لك فى الارض والبلاد فأعطاك منها ما لم يعط أحدا من خلقه وأوطأك منها ما لم يوطئ لاحد من خلقه فلم تشبع وأبيت نفسك شرها حتى بلغت من سلطان الله ما لم يطأه انس ولا جان فهذا مثل ضربه لك صاحب الصور ابن آدم لا يشبع أبدا حتى يحثى عليه التراب ولا يملأ جوفه الا التراب فبكى ذو القرنين ثم قال صدقت يا خضر فى ضرب هذا المثل لا جرم لا طلبت أثرا فى البلاد بعد مسيرى هذا حتى أموت ثم انه انصرف راجعا حتى اذا كان فى وسط الظلمة وطئ الوادى الذى فيه الزبرجد فقال من معه لما سمعوا خشخشة تحت حوافر دوابهم ما هذا الذى تحتنا أيها الملك فقال ذو القرنين خذوا منه فان من أخذ منه ندم ومن تركه ندم فمنهم من أخذ منه شيأ ومنهم من تركه فلما خرجوا من الظلمة ونظروه اذا هو زبرجد فندم الآخذ والتارك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى ذا القرنين لو ظفر بوادى الزبرجد فى مبدأ أمره ما ترك منه شيأ حتى كان يخرجه الى الناس لانه كان راغبا فى الدنيا ولكنه ظفر به وهو زاهد فى الدنيا لا حاجة له فيها ثم انه رجع الى العراق وملك ملوك الطوائف كلها ومات فى طريقه قبل وصوله بشهر (وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه) انه رجع الى دومة الجندل وكانت منزله فأقام بها حتى مات قالوا وكان عمره ستا وثلاثين سنة وكان ملكه سبع عشرة سنة وكان قتل دارا فى أول السنة الثالثة من ملكه فلما مات حمل الى أمه بالاسكندرية ودفن هناك قالوا فلما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه اسكندروس من بعده فأبى واختار النسك والعبادة فملكت اليونانية عليهم بطلميوس بن لوغوس وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وكانت المملكة فى حياة الاسكندر وبعده وانه الى أن تحول الملك الى الروم والصابئين واليونانية ولبنى اسرائيل بيت المقدس ونواحيها الديانة والرياسة على غير وجه الملك الى أن خرب بلادهم الفرس والروم وطردوهم عنها بعد قتل يحيى بن زكريا عليهم السلام

لا تؤذن بموتها الا ضرختة أبوير الشمورفكان هذا دأبها حتى ماتت رحمة الله تعالى عليها (قالت) خادمتها رضى الله تعالى عنها لما حضرت وفاة رابعة أحضرتنى ثم قالت يا فلانة اذا أنا مت فلا تعلمى بى أحدا وكفنينى فى جبتى هذه وكانت جبتها من شعر كانت تقوم فيها اذا نامت عيون الغافلين قالت فكفنتها فيها وفى خمار من صوف فلما رأيتها فى المنام وعليها حلة خضراء من استبرق وخمار من سندس أخضر فقلت لها يا رابعة ما فعل الله بالجبة التى كفناك فيها والخمار الصوف قالت انه نزعهما عنى وابدلت هذا الذى رأيته وطويت أكفانى وختم عليها ورفعت فى عليين ليكون لى ثوابها يوم القيامة قالت فقلت لمثل هذا فليعمل العاملون فقالت وما هذا عند الله من اكرامه لاوليائه بشئ فقلت لها مرينى بأمر أتقرب به الى الله عز وجل فقالت عليك بذكر الله تعالى فانه يوشك أن تغبطى بذلك فى قبرك رضى الله تعالى عنها (وحكى عن أحمد بن الحوارى عفا الله عنه) أنه قال كانت رابعة العدوية أحوال شتى فكانت مرة يغلب عليها الحب ومرة

السلام والله أعلم

((مجلس في قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام))

وهو مجلس يشتمل على أبواب كثيرة قال محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار وعبرته بنو اسرائيل بعد مرجعهم من أرض بابل الى بيت المقدس وبلاد الشام وانتظام أمورهم ولم يزالوا يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم بفضله ورحمته ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون كما قال الله تعالى حتى كان ممن بعث فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى وكانوا من آل بيت داود عليه السلام

((نسب زكريا عليه السلام))

هو زكريا بن يوحنا بن ادن بن مسلم بن صدوق بن يحشان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن ناخور ابن سلوم بن تهفاشاط بن أبيا بن رحبعم بن سليمان بن داود عليه السلام

((باب في ذكر مولد مريم عليها السلام وخبر تحريرها))

قال الله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا الآيات قال المفسرون هي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وعمران قال ابن عباس هو عمران بن ماثان وليس بعمران أبي موسى اذ بينهما ألف وثمانمائة سنة وكانت بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وأحبارهم وملوكهم وقال ابن اسحق هو عمران بن ساهم بن أمور بن ميشان بن حزقيل بن احريف بن يوام بن عزازيا بن امصيا بن ناوس بن نوثا ابن باوض بن يهوشافاط بن رادم بن أبيا بن رحبعم بن سليمان بن داود عليه السلام وكانت القصة في ذلك أن زكريا بن يوحنا وعمران بن ماثان كانا متزوجين بأختين احداهما عند زكريا بن يوحنا وهي ايشاع بنت فاقوذ أم يحيى وكانت الاخرى عند عمران وهي حنة بنت فاقوذ أم مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وعجزت وكانوا أهل بيت من الله بمكان فبينما هي في ظل شجرة اذ نظرت طائرا يطعم فرخا فتحركت عند ذلك شهوتها للولد ودعت الله تعالى أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك علي ان رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه نذرا وشكرا فحملت بمريم عليها السلام فحررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقالت رب اني نذرت لك ما في بطني محررا أي عتيقا عن الدنيا وأشغالها خالصا لله تعالى وخادما لبيت المقدس حبسا عليه مفرغا لعبادة الله ولخدمته فتقبل مني انك أنت السميع العليم قالوا وكان المحرر اذا حرر وندر جعل في المحرر والمسجد وفي الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرح عنها حتى يبلغ الحلم فاذا بلغ خير بين أن يقيم وبين أن يذهب حيث شاء وان أراد أن يخرج بعد التخيير استأذن رفقاءه من السدنة ليكون خروجه على علم منهم ولم يكن أحد من بني اسرائيل وعلمائهم الا من في نسله محرر لبيت المقدس ولم يكن محررا الا الغلمان وكانت الجارية لا تكلف ذلك ولا تصلح لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت أم مريم ما في بطنها فلما فعلت ذلك قال لها زوجها عمران ويحك ماذا صنعت أرأيت ان كان ما في بطنك أنثى والانثى عورة لا تصلح لذلك فوقعا جميعا في هم من ذلك فهلك عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها اذا هي جارية فقالت حنة وكانت ترجو أن يكون غلاما اعتذارا الى الله تعالى رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى أي في خدمة الكنيسة والعبادة فيها لعورتها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس والاذى وفي تسميتها مريم وهي لغتهم العابدة والخادمة وكانت مريم عليها السلام أجمل النساء وأمثلهن في وقتها (أخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين أربع مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم واني أعيذها أي أجيرها وأمنعها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (أخبرنا) عبد الله بن حامد باسناده وأخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن هرون باسناده عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان الا مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (وأخبرنا) شعيب بن محمد باسناده عن قتادة قال كل آدمي يطعن الشيطان في جنبه حين يولد الا

يغلب عليها الانس ومرة يغلب عليها الخوف فكانت تنشد في حال الانس هذا الشعر

حبيبي لا يعادله حبيب
وما لسواه في قلبي نصيب
حبيب غاب عن بصري وشخصي
ولكن عن فؤادي لا يغيب

وسمعتها في حال الانس تقول هذا الكلام

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي
وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانس
وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وسمعتها في حال الخوف تقول

وزادي قليل ما أراه مبلغي
أللزاد أبكي أم لطول مسافتي
أتحرقني بالنار يا غاية المنى
فأين رجائي فيك أين مخافتي

قال زوجها فقلت لها ليلة من الليالي وقد قامت من أول الليل يا رابعة ما رأيت من يقوم أول الليل غيرك فقالت سبحان الله أمثلك من يتكلم على ذلك انما أقوم والله اذا نوديت للقيام (قال زوجها) وجلست يوما من الايام آكل وهي جالسة بجانبي فقعدت تذكر أهوال يوم القيامة فقلت لها دعيني أتهنأ بطعامي فقالت لست أنا وأنت ممن ينغص عليه الطعام بذكر الآخرة ثم قالت له والله

عيسى وأمه عليهما السلام جعل بينهما حجاب وأصابت الطعنة الحجاب ولم ينفذ اليهما منه شئ قال وذكروا لنا أنهما كانا لا يصيبان من الذنوب كما يصيبه سائر بني آدم قال الله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن الهاء راجعة الى النذيرة أي فتقبل الله النذيرة أي مريم من حنة وأنبتها نباتا حسنا يعني سوّى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في المدة اليسيرة كما ينبت المولود في المدة الطويلة وقال ابن جريج وأنبتها ربها في غذائها ورزقها نباتا حسنا حتى تمت امرأة بالغة قالوا فلما ولدت مريم أخذتها أمها حنة فلفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار أبناء هرون وهم يومئذ يلون في بيت المقدس كما يلي الحجبة أمر الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها منكم لان عندي خالتها فقالت له الاحبار لا تفعل ذلك فانها لو تركت لاحق الناس وأقربهم اليها لتركت لامها التي ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فاتفقوا على ذلك ثم انطلقوا وكانوا تسعة عشر رجلا الى نهر جار قال السدي هو نهر الاردن فألقوا أقلامهم أي سهامهم وقيل أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة في الماء فارتفع قلم زكريا فوق الماء وانحدرت أقلامهم ورسبت في الماء قاله ابن اسحق وجماعة وقال السدي بل ثبت قلم زكريا فوق الماء كأنه في طين وجرت أقلامهم مع جريان الماء فذهب الماء بها فسهمهم وقرعهم زكريا عليه السلام وكان رأس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا ضمها الى نفسه وقام بأمرها وقال ابن اسحق فلما كفلها زكريا ضمها الى خالتها أم يحيى واسترضع لها حتى اذا نشأت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا أي غرفة في المسجد وجعل بابه الى وسطها لا يرقى اليها الا بسلم مثل باب الكعبة فلا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها في كل يوم وكان زكريا عليه السلام اذا خرج أغلق عليها بابها فاذا دخل عليها غرفتها وجد عندها رزقا أي فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيقول لها أنى لك هذا فتقول هو من عند الله من قطف الجنة قال الحسن يجد عندها قوتها وكان رزقها يأتيها من الجنة فيقول لها زكريا من أين لك هذا فتقول هو من عند الله قال الحسن وكانت وهي صغيرة يأتيها رزقها (وقال محمد) بن اسحق ثم أصابت بني اسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها ثم ضعف زكريا عن حملها فخرج الى بني اسرائيل وقال يا بني اسرائيل تعلمون والله اني لقد كبرت وضعفت عن حمل ابنة عمران فأيكم يكفلها بعدي فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من الجهد ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لا يجدون من يحملها فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم على رجل صالح نجار من بني اسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب بن ماثان وكان ابن عم مريم فحملها قال فعرفت مريم في وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن الظن بالله وان الله سيرزقنا فجعل يوسف يرزق لمكانها منه فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها واذا أدخله عليها وهي في الكنيسة أنماه الله تعالى وكثره فيدخل اليها زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف فيقول لها يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب (أخبرنا) عبد الله بن حامد باسناده عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام أياما لم يطعم طعاما حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يصب في بيت أحد منهن شيأ فأتى فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنية هل عندك شئ آكل فاني جائع فقالت لا والله بأبي أنت وأمي فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندها بعثت اليها جارية لها برغيفين وبضعة لحم فأخذته منها ووضعته في جفنة وغطت عليه وقالت لأوثرن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ومن عندي وكانوا جميعا محتاجين الى شبعة من طعام فبعثت حسنا وحسينا الى جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع اليها فقالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد أتانا الله بشئ فخبأته لك قال فهلمي به فأتى به فكشف عن الجفنة فاذا هي مملوءة خبزا ولحما فلما نظرت اليه بهتت وعرفت أنها بركة من الله تعالى فحمدت الله وصلت على نبيه فقال عليه السلام من أين لك هذا يا بنية قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذي جعلك

فما أبيك بين الاخوان فكانت اذا طبخت قدرا قالت كله ياسيدي فما طبخ الا بالتسبيح ثم قالت لي اذهب فتزوج فتزوجت بثلاث نساء فكانت تطعمني اللحم وتقول اذهب بقسوتك الى أهلك وكانت تأتيها الجن بكل ما تطلب وكان لها كرامات خارقة حتى ماتت رحمها الله تعالى ونفعنا ببركاتها آمين (وروى) عن عمرة زوجة حبيب العجمي رضي الله تعالى عنهما انها كانت توقظ زوجها بالليل وتقول له قم يا رجل فقد ذهب الليل وبين يديك طريق بعيدة والزاد قليل وقوافل الصالحين قد سارت رضي الله عنهم أجمعين ((وقال بعضهم عفا الله عنه ونفعنا به)) تزوجت امرأة جميلة حسنة الخلق فكانت اذا صلت العشاء لبست ثيابها وتطيبت وتبخرت ثم تأتيني وتقول لي ألك من حاجة يا سيدي فان قلت نعم كانت معي وان قلت لا تمضي وتنزع ثيابها وتلبس ثيابا غيرها وتصلي الى الصباح فكان هذا دأبها وطريقتها رضي الله تعالى عنها ((وحكي عن بعض أصحاب أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه)) قال لما مات أحمد بن حنبل رضي الله عنه رأيته في المنام وهو يمشي

شبيهة بسيدة نساء بني اسرائيل فانها كانت اذا رزقها الله رزقا حسنا فسئلت عنه قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي رضي الله عنه فأتى فأكل الرسول وعلي وفاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم جميعا حتى شبعوا وبقيت الجفنة كما هي قالت فاطمة رضي الله عنها وأوسعت منها على جميع جيراني وجعل الله فيها بركة وخيرا طويلا وكان أصل الجفنة رغيفين وبضعة لحم والباقي بركة من الله تعالى

((باب في مولد يحيى بن زكريا عليه السلام))

قال الله تعالى هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء قالت العلماء بأخبار الانبياء لما رأى زكريا عليه السلام ان الله يرزق مريم الفاكهة في غير حينها قال ان الذي قدر على أن يؤتي مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب ولا فعل أحد لقادر على أن يصلح زوجتي ويهب لي ولدا على الكبر فطمع في الولد وكان أهل بيته قد انقرضوا وزكريا قد شاخ وأيس من الولد فهنالك أي فعند ذلك دعا زكريا ربه قال رب هب لي أي أعطني من لدنك ذرية طيبة نسلا تقيا صالحا رضيا انك سميع الدعاء فنادته الملائكة يعني جبريل وذلك ان زكريا كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح باب المذبح فلا يدخل أحد حتى يأذن له بالدخول فبينما هو في محرابه عند المذبح قائم يصلي والناس ينتظرونه أن يأذن لهم بالدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع منه فناداه وهو جبريل عليه السلام يا زكريا ان الله يبشرك بيحيى واختلفوا فيه لم سمي يحيى قال ابن عباس لان الله تعالى أحيا به عقر أمه وقال قتادة وغيره لان الله تعالى أحيا قلبه بالايمان والنبوة وقال الحسين بن الفضل لان الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يتغير ولم يهم بمعصية دليله ما أخبرني به الحسن بن فنجويه باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يلقى الله عز وجل قد هم بخطيئة أو عملها الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم ولم يعمل (قال الاستاذ) وكان شيخنا أبو القاسم الحبيبي يقول سمي بذلك لانه استشهد والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون قال النبي صلى الله عليه وسلم من هوان الدنيا على الله أن يحيى بن زكريا قتلته امرأة قال وسمعت أبا منصور الحمشاوي يقول قال عمر بن عبد الله المقدسي أوحى الله الى ابراهيم الخليل عليه السلام أن قل لسارة وكان اسمها كذلك اني مخرج منكما عبدا لا يهم بمعصيتي اسمه حي فهبي له من اسمك حرفا فوهبت له أول حرف من حروف اسمها الياء فصار يحيى وصار اسمها سارة مصدقا بكلمة من الله يعني عيسى عليه السلام فسمي كلمة لان الله تعالى قال له من غير أب كن فكان فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها وحده ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وذلك ان أمه كانت حاملة به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى فقالت لها أم يحيى يا مريم أحامل أنت فقالت لماذا تقولين هذا قالت اني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك تصديقه له وايمانه به وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر وذلك أن مولد يحيى كان قبل مولد عيسى بستة أشهر ثم قتل يحيى قبل أن يرفع عيسى الى السماء وسيدا ذكره قال سعيد بن المسيب وسيدا السيد الفقيه العالم وقال سعيد بن جبير السيد الذي يطيع ربه عز وجل وقال الضحاك السيد الحسن الخلق وقال عكرمة الذي لا يغضب وقال سفيان الذي لا يحسد وحصورا قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما هو الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن فعول بمعنى فاعل يعني أنه حصر نفسه عن الشهوات وقال ابن المسيب والضحاك هو العنين الذي لا ماء له ودليل هذا التأويل ما أخبرني به ابن فنجويه باسناده عن أبي صالح عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد أذنبه يعذبه عليه ان شاء أو يرحمه الا يحيى بن زكريا فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ثم أومأ النبي صلى الله عليه وسلم الى قذاة من الارض فأخذها قال وكان ذكره مثل هذه القذاة وقال المدني الحصور الذي لا يدخل في اللعب ولا الاباطيل قالوا فلما نادى جبريل زكريا بالبشارة قال رب أي يا سيدي قاله لجبريل هذا قول أكثر المفسرين وقال الحسين بن الفضل انما قال زكريا يا رب لله لا لجبريل أنى يكون لي

ويتبختر في مشيته فقلت له يا أخي أي مشية هذه فقال مشية الخدام في دار السلام فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لي وألبسني نعلين من ذهب أحمر وقال هذا بقولك القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ثم قيل لي يا أحمد قم حيث شئت فدخلت الجنة فاذا بسفيان الثوري رضي الله عنه له جناحان يطير بهما من شجرة الى أخرى وهو يقرأ هذه الآية الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين قال فقلت له ما فعل الله بعبد الرزاق الواعظ قال تركته في بحر من نور في مركب من نور يزاد به العزيز الغفور فقلت ما فعل الله ببشر بن الحرث فقال بخ بخ ومن مثل بشر بن الحرث تركته على مائدة بين يدي الجليل وهو مقبل عليه ويقول له كل يا من لم تأكل واشرب يا من لم تشرب وتنعم يا من لم تتنعم فقلت ما فعل الله بمعروف الكرخي فقال تركته تحت العرش والحق جل جلاله يقول لملائكته من هذا فقالوا يا رب أنت أعلم فقال هذا معروف الكرخي سكران بحبي فلا يفيق الا بلقائي (وقال) الربيع بن سليمان رأيت الامام الشافعي رضي الله عنه فقلت يا أبا

غلام من أين يكون لي ولد وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر لا تلد فقيل قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنتين وتسعين سنة وقيل تسع وتسعين سنة وروى الضحاك عن ابن عباس قال كان زكريا ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فاجيب كذلك الله يفعل ما يشاء فان قيل لم أنكر زكريا ذلك وسأل الآية بعد ما بشرته الملائكة أكان ذلك شكا في وحيه أم انكارا لقدرته وهذا لا يجوز أن يوصف به أهل الايمان فكيف الانبياء فالجواب عنه ما قال عكرمة والسدي ان زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس من الله وانما هو صوت الشيطان يسخر بك ولو كان من الله لاوحاه اليك خفية كما ناديته خفية وكما يوحي اليك في سائر الامور فقال ذلك دفعا للوسوسة وفيه جواب آخر وهو أنه لم يشك في الولد وانما شك في كيفيته والوجه الذي يكون منه الولد فقال أنى يكون لي ولد أي كيف يكون لي ولد أتجعلني وامرأتي شابين أم ترزقه كذا على كبرنا أم ترزقني من امرأة غيرها من النساء فقال ذلك مستخبرا لا منكرا وهذا قول الحسن قال رب اجعل لي آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام وتقبل بكليتك على عبادتي وطاعتي لا أنه حبس لسانه عن الكلام ولكنه نهي عنه يدل عليه قوله تعالى واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار هذا قول قوم من أهل العلم وقال آخرون عقل لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه ولم يقدر على الكلام ثلاثة أيام الا رمزا أي اشارة وعلى هذا أكثر المفسرين وقال عطاء أراد به صوم ثلاثة أيام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا الا رمزا فولد يحيى بن زكريا عليه السلام وفي بعض الاخبار أنه لما ولد يحيى رفع الى السماء وتغذى بانهار الجنة حتى فطم ثم أنزل الى أبيه وكان يضيء البيت لنوره وحسن وجهه وجماله

((باب في صفته وحليته عليه السلام))

قال كعب الاحبار كان يحيى بن زكريا نبيا حسن الوجه والصورة لين الجناح قليل الشعر قصير الاصابع طويل الانف مقرون الحاجبين رقيق الصوت كثير العبرة قويا في طاعة الله تعالى وقد ساد الناس في عبادة الله وطاعته

((فصل في نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده))

قال الله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا قيل ان يحيى قال له أترابه من الصبيان يا يحيى اذهب بنا نلعب فقال لهم ما للعب خلقت وقال آخرون انه نبي صغيرا فكان يعظ الناس ويقف لهم في أعيادهم وجمعهم ويدعوهم الى الله تعالى ثم ساح ودخل الشام يدعو الناس ولما بعثه الله تعالى الى بني اسرائيل وأمره أن يأمرهم بخمس خصال وضرب لكل خصلة منها مثلا أمرهم أن يعبدوا الله لا يشركوا به شيئا وقال مثل الشرك كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله ثم أسكنهم داره ودفع لهم ما لا يتجرون فيه ويأكل كل واحد منه ما يكفيه ثم يؤدون اليه فضل الربح فعمد العبد الى فضل الربح فدفعه الى عدو سيده وأمرهم بالصلاة فقال ان مثل المصلي كمثل رجل استأذن على ملك فأذن له ودخل عليه وأقبل الملك عليه بوجهه ليسمع مقالته ويقضي حاجته فلما دخل عليه الرجل التفت يمينا وشمالا ولم يهتم بحاجته فأعرض الملك عنه ولم يقض حاجته وأمرهم بالصدقة وقال مثلها كمثل رجل أسره العدو واشترى منه نفسه بثمن معلوم فجعل يعمل في بلادهم ويؤدي اليهم من كسبه القليل والكثير حتى أوفى ثمنه فأعتق وأمرهم بذكر الله عز وجل وقال مثل الذاكر مثل قوم لهم حصن ولهم عدو فاذا أقبل عليهم عدوهم دخلوا حصنهم ولم يقدر عليهم كذلك من ذكر الله تعالى لا يقدر عليه الشيطان وأمرهم بالصيام وقال مثله كمثل الجنة لا تدع عدوه يصل اليه وتستره (وأما سيرته) فروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كان من زهد يحيى أنه أتى بيت المقدس فنظر الى المجتهدين من الاحبار والرهبان وعليهم مدارع الشعر والصوف وبرانس الصوف واذا هم قد خرقوا تراقيهم وسلكوا فيها السلاسل وشدوا بها الى سواري المسجد فلما نظر الى ذلك أتى أمه فقال يا أماه انسجي لي مدرعة من شعر وبرنسا من صوف حتى آتي الى بيت المقدس وأعبد الله تعالى مع الاحبار والرهبان فقالت له أمه حتى يأتي نبي الله زكريا عليه السلام

أبلسني على كرسي من ذهب وتوجني اللؤلؤ الرطب وأباحني الجنة وهذا من بعض مناقبهم رضي الله عنهم ((وحكي عن بعضهم رضي الله عنه)) أنه قال كنت في مركب من السنين وكان في المركب رجل من أهل الخير وكان ضعيفا فلما مات أخذنا في غسله وتجهيزه وأردنا القاءه في البحر فبينما نحن كذلك اذا البحر قد انشق ونزلت السفينة الى أرض فخرجنا منها ونظرنا فاذا بقبر مرخم وليس فيه أحد قدمناه فيه فلما فرغنا من دفنه استوى الماء وارتفعت السفينة فعجبنا من ذلك وسرنا رحمة الله عليه ((وحكي عن الشيخ أبي سعيد الخدري رضي الله عنه)) أنه قال كنت بمكة سنة من السنين فمررت بباب بني شيبة فرأيت شابا حسن الشباب وهو ملقى على الارض ميتا فنظرت في وجهه فرأيته يضحك فتعجبت من ذلك فقال لي يا أبا سعيد أتعجب من موتي وأنت تدري ان الاحباء أحياء وهم وان ماتوا انما والله ينقلون من دار الى دار قال أبو سعيد فدهشت من ذلك ثم أخذت في غسله وتجهيزه ودفنه وأنا متحير في أمري متفكر فيما رأيته رضي الله تعالى عنه

فأوامره في ذلك فلما دخل زكريا أخبرته بما قال لها يحيى فقال له زكريا يا بني ما يدعوك الى هذا وانما أنت صبي صغير فقال له يا أبت لقد رأيت من هو أصغر مني ذاق الموت قال بلى فقال لامه انسجي له مدرعة من الشعر وبرنسا من الصوف ففعلت فتدرع بالمدرعة على بدنه ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس وأقبل يعبد الله مع الاحبار والرهبان حتى أكلت مدرعة الشعر لحمه فنظر ذات يوم الى ما قد نحل من جسمه فبكى فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى أتبكي على ما قد نحل من جسمك وعزتي وجلالي لو اطلعت على النار اطلاعة لتدرعت مدارع الحديد فضلا عن المسوح فبكى يحيى حتى أكل الدمع لحم خديه وبدت للناظرين أضراسه فبلغ ذلك أمه فدخلت عليه وأقبل زكريا واجتمع الاحبار والرهبان فقال زكريا لابنه يحيى ما يدعوك لهذا يا بني انما سألت ربي أن يهبك لي لتقر بك عيني قال أنت أمرتني بذلك يا أبت قال ومتى قال ألست القائل ان بين الجنة والنار عقبة كؤدا لا يقطعها الا البكاؤون من خشية الله تعالى قال بلى قال فجد واجتهد وقام فنفض مدرعته فأخذته أمه فقالت أتأذن لي يا بني أن أتخذ لك قطعتين من لبد تواريان أضراسك وينشفان دموعك فقال لها شأنك فاتخذت له قطعتي لبد تواريان أضراسه وينشفان دموعه فبكى حتى ابتلتا من دموع عينيه ثم أخذهما فعصرهما فتحدرت الدموع من بين أصابعه فنظر زكريا الى ابنه والى دموعه فرفع رأسه الى السماء وقال الهي ان هذا ابني وهذه دموع عينيه وأنت أرحم الراحمين وكان زكريا اذا أراد أن يعظ بني اسرائيل التفت يمينا وشمالا فاذا رأى يحيى لم يذكر جنة ولا نارا فجلس يوما يعظ بني اسرائيل وأقبل يحيى قد لف رأسه بعباءة وجلس في غمار القوم فالتفت زكريا يمينا وشمالا فلم ير يحيى فأنشأ يقول حدثني حبيبي جبريل عن الله عز وجل أن في جهنم جبلا يقال له السكران في أصل ذلك الجبل واد يقال له الغضبان خلق لغضب الرحمن تبارك وتعالى في ذلك الوادي جب قامته مائة عام في ذلك الجب توابيت من نار في تلك التوابيت صناديق من نار وثياب من نار وأغلال من نار فرفع يحيى رأسه وقال واغفلتاه عن السكران وعن غضب الرحمن ثم خرج هائما على وجهه فقام زكريا من مجلسه ودخل على أم يحيى فقال لها يا أم يحيى قومي فاطلبي يحيى فاني قد تخوفت أن لا نراه الا وقد ذاق الموت فقامت وخرجت في طلبه فمرت بفتيان من بني اسرائيل فقالوا لها يا أم يحيى أين تريدين قالت أطلب ولدي يحيى ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فمضت أم يحيى والفتية معها حتى مرت براعي غنم فقالت يا راعي هل رأيت شابا من صفته كذا وكذا قال لعلك تطلبين يحيى بن زكريا قالت نعم ذلك ولدي ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فقال تركته الساعة على عقبة كذا ناقعا قدميه في الماء رافعا بصره الى السماء يقول وعزتك يا مولاي لا أذوق بارد الشراب حتى أنظر الى منزلتي منك فأقبلت أمه فلما رأته دنت منه فأخذت برأسه فوضعته بين يديها وناشدته بالله أن ينطلق معها الى المنزل فانطلق معها الى المنزل فقالت له هل لك أن تخلع مدرعتك الشعر وتلبس مدرعتك الصوف فانه ألين ففعل ثم أطبخت له عدسا فأكل واستوفى فذهب به النوم فلم يقم لصلاته فنودي في منامه يا يحيى أردت دارا خيرا من داري وجوارا خيرا من جواري فاستيقظ وقام وقال رب أقل عثرتي وعزتك لا أستظل بظل سوى بيت المقدس ثم قال لامه ناوليني مدرعة الشعر فقد علمت أنكما ستورداني المهالك فتقدمت اليه أمه ودفعت اليه المدرعة وتعلقت به فقال لها زكريا يا أم يحيى دعيه فان ولدي قد كشف له عن قناع قلبه ولن ينتفع بالعيش فقام يحيى ولبس مدرعته ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس فجعل يعبد الله مع الاحبار والرهبان حتى كان من أمره ما كان والله أعلم

﴿باب في مقتله عليه السلام﴾

اختلف العلماء في سبب قتله فقال بعضهم كان يحيى عليه السلام في زمن ملك من ملوك بني اسرائيل وكان له امرأة وهي ابنة ملك صيدا وكانت قتالة للانبياء والصالحين وكانت فاجرة تبرز للناس وكان يحيى يزجرها عن ذلك ويقول لها الا تبرزي كاشفة وجهك وكان كثيرا ما يقول لها مكتوب في التوراة أن الزناة يوقفون يوم

﴿وحكي عن أبي يعقوب السوسي نفعنا الله ببركاته﴾ أنه قال جاءني بعض المريدين بمكة وسلم علي وقال يا أستاذي غدا عند الظهر أموت فخذ هذا الدينار فكفني بنصفه واحفر لي قبرا بنصفه ثم امض من عندي فلما كان الغد عند الظهر جاء وطاف سبعا ثم امتد نحو القبلة فمات رحمة الله تعالى عليه فنظرت في وجهه ففتح عينيه في وجهي وهو يضحك فقلت له يا أخي أنت ميت أم حي فقال بل حي وكل محب لله فهو حي قال فتعجبت منه ثم أخذت في غسله وتكفينه وتجهيزه ودفنه رضي الله تعالى عنه (وحكي عن الشيخ أبي علي الروذباري عفا الله عنه) انه قال ورد علي جماعة من الفقراء فمرض منهم رجل ومكث في مرضه أياما كثيرة فمل أصحابه من خدمته وشكوا الي ذلك فخالفت نفسي وحلفت أن لا يتولى خدمته أحد غيري فصرت أخدمه بنفسي أياما حتى مات رحمة الله تعالى عليه ثم غسلته وكفنته وصليت عليه ودفنته فبينما أنا عند اضجاعه في قبره اذ نظرت الى عينيه فوجدتهما مفتوحتين ثم أقسم وقال يا أبا علي لانصرنك بجاهي يوم القيامة كما نصرتني وخالفت نفسك وخدمتني

القيامة ودوتعهم أنتن من الجيف فأمرت بيحيى فسجن وكان قد جلس رجل من أبناء الملوك وكان كثيرا ما يختلف اليها بالليل فصار يهاريه بحيى فزجره فبلغ ذلك امرأة الملك فجعلت بنتها واستعملت بها زوجها فقال لها لا يعلك ذلك فقالت وجبت لها عليك حاجة فقال سلى ما شئت فقالت البنت أستوهب منك أهل الحبس أصنع بهم ما شئت فظن أبوها أنها ترحمهم وتسترهم فقال أنو هبتهم لك فقالت فأمرت أمها بأهل الحبس فعرضوا عليها فلما مر بها يحيى أمرت به فذبح وأخذ رأسه في طشت ثم جاءت الطشت الى أبيها بأمر أمها وقالت أيها الملك اني قد ذبحت لك ذبيحة من أعظم ما وجدته ولو كان مثلها ألف لذبحتهم لك قال وما هو قالت يحيى بن زكريا فقال هلكت وأهلكت أبويك فغضب الله عليهم من النعم وسلط عليهم عدوا فذبح البنت وأبويها وسلط عليهم الكلاب والسباع حتى أكلتهم (وروى) سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا في اثنى عشر من الحواريين يعلمون الناس قال وكان مما نهوهم عنه نكاح بنت الاخ وكان لملكهم بنت أخ تعجبه يريد أن يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة عنده يقضيها لها فلما بلغ أمها أنه نهى عن نكاح بنت الاخ قالت لابنتها اذا دخلت على الملك فسألك عن حاجتك فقولي حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا فلما دخلت عليه سألها عن حاجتها فقالت حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا فقال سلى غير هذا فقالت ما أسألك الا هذا فلما أبت عليه دعا يحيى بن زكريا ودعا بطشت فذبحه فيه فبدرت من دمه قطرة فلم تزل تغلي حتى بعث الله عز وجل بختنصر عليهم فجاءت عجوز من بني اسرائيل فدلته على ذلك الدم فألقى الله في قلبه أن يقتل على ذلك الدم سبعين ألفا منهم على سن واحد ليسكن فقتلهم فسكن (وقال السدي) باسناده كان ملك بني اسرائيل يكرم يحيى بن زكريا ويدني مجلسه ويستشيره في أمره ولا يقطع أمرا دونه وانه هوى أن يتزوج ابنة امرأة له فسأل عن ذلك يحيى فنهاه عنه وقال لست أرضاها لك فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها فعمدت الى ابنتها حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وألبستها من الحلي وألبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه وأن تتعرض له فاذا راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما تسأله واذا أعطاها ذلك سألته أن يأتيها برأس يحيى بن زكريا في طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه وتتعرض له فلما أخذ منه الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال وما تسأليني قالت أن تبعث الى رأس يحيى بن زكريا في هذا الطشت قال ويحك سليني غير هذا قالت ما أسألك الا هذا فلما أبت عليه بعث اليه وأتى برأسه والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول لا تحل لك فلما أصبح اذا دمه يغلي فأمر بتراب فألقى عليه فارتفع الدم فوقه فلم يزل يغلي ويلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلي وذكر الحديث الطويل الذي في قصة سنجاريب وبختنصر كما قدمناه ذكره في أخبار بختنصر (وقالت علماء النصارى) الذي قتل يحيى ملك من ملوك بني اسرائيل يقال له هيردوس بسبب امرأة يقال لها هيرديا كانت امرأة أخ له يقال له فيلقوس عشقها فوافقته على الفجور فنهاه يحيى وأعلمه أنها لا تحل له فسألت المرأة هيردوس أن يأتيها برأس يحيى فلما فعل ذلك سقط في يديه وجزع جزعا شديدا (قال كعب الاحبار) كان يحيى من أجمل الناس وجها وأحسنهم في زمانه فأحبته امرأة الملك الذي كان في زمانه حبا شديدا فارسلت اليه تراوده عن نفسه فأرسل اليها أنه لا علم له بالنساء والملك أحق أن يطأ فراشه فلما انتهى اليها الرسول غضبت غضبا شديدا وقالت كيف لي أن أقتله ولا يخبر الناس اني قد راودته ولم تزل بالملك حتى وهب لها يحيى بن زكريا فأرسلت اليه وهو قائم يصلي في بيت المقدس في محراب داود من يضرب عنقه ويأخذ رأسه فلما أخذوا رأس يحيى خسف الله بها وبأهلها الارض عقوبة لها لقتلها يحيى عليه السلام

﴿ذكر قتل زكريا عليه السلام﴾

﴿قال كعب الاحبار﴾ فلما سمع زكريا أن ابنه يحيى قتل وخسف بالقوم انطلق هاربا في الارض حتى دخل بستانا عند بيت المقدس فيه الاشجار فنادته شجرة يا نبي الله الى ههنا فلما أتاها انفتقت له الشجرة ودخل

زكريا

[تعالى عنهم ونفعنا الله] بركاته (وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى عنه) أنه قال قصد جماعة من الفقهاء زيارة بعض المشايخ وكان رجلا عالما وليا زاهدا ورعا فلما حضروا بين يديه أقيمت الصلاة فصلوا خلفه فسمعوه يلحن في قراءته فتغير اعتقادهم فيه فكاشفهم الشيخ فلما ناموا تسلط الله عليهم الاحتلام فاحتلموا كلهم في تلك الليلة فخرجوا الى البحر ليغتسلوا فوضعوا ثيابهم الى جانب البحر ونزلوا جميعا في الماء وكان ذلك في زمن الشتاء فجاء الاسد فجلس على ثيابهم فلاقوا من البرد شدة عظيمة ولم يعرفوا أن الشيخ علم بحالهم فبينما هم كذلك اذا الشيخ قد أقبل وقال لهم أنتم استوجبتم الملل ثم أخذ بأذن الاسد وقال له أما قلت لك لا تتعرض لضيفاني فخرجوا من الماء ولبسوا ثيابهم ثم أتوا الى الشيخ يعتذرون له ويقبلون يديه ويستغفرون الله تعالى فقال لهم الشيخ أنتم اشتغلتم باصلاح الظاهر فخفتم الاسد ونحن اشتغلنا باصلاح الباطن فخافنا الاسد رضي الله تعالى عنه ورضي عنا وعن جميع المسلمين بركاته (وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى عنه اشارة لطيفة) قال لما ذهب ابراهيم خليل

زكريا في وسطها فانطلق ابليس لعنه الله حتى أخذ بطرف ردائه فأخرجه من الشجرة ليصدقوه واذا أخبرهم فلذلك تصنع اليهود الخيوط في أطراف أرديتهم الى اليوم فلما أمر وا بهلاك الشجرة أخذوا الفأس واهلها نادى زكريا فاستقبلهم ابليس لعنه الله تعالى فقال أين تريدون قالوا نلتمس زكريا فقال ابليس انه دخل في هذه الشجرة قالوا لا نصدقك قال فاني أريكم علامة تصدقوني بها قالوا أرنا اياها فأراهم طرف ردائه فأخذوا المناشير وضربوا الشجرة فنشروها نصفين فسلط الله عليهم أخبث أهل الارض عليهم بخوبنصر فانتقم الله به من بني اسرائيل بدم يحيى وزكريا فقتل علماء بني اسرائيل وسبى منهم مائة وسبعين ألفا (وقيل) ان السبب في قتل زكريا أن ابليس جاء الى مجالس بني اسرائيل فقذف مريم بزكريا وقال ما أحبلها أحد غير زكريا وهو الذي كان يدخل عليها فطلبوا زكريا فهرب واتبعه سفهاؤهم وأشرارهم فسلك واديا كثير الاشجار فتشبه له الشيطان في صورة راع فقال يا زكريا قد أدركوك فادع الله أن يفتح لك هذه الشجرة ففعل ذلك فانفتحت له فدخل فيها وأخرج ابليس هدب ردائه منها فمرت بنو اسرائيل بالشيطان فقالوا يا راعي هل رأيت رجلا هذه صفته كذا وكذا قال نعم سحر هذه الشجرة فانفتحت له فدخل فيها وهذا هدب ردائه فقطعوا الشجرة مع زكريا وقلعوها فلقتين بالمنشار طولا فبعث الله الملائكة فغسلوا زكريا وصلوا عليه ودفنوه وفي الخبر أن الشمس بكت على يحيى أربعين صباحا وكان بكاؤها أن طلعت وغربت حمراء ويروى أن يحيى سيد الشهداء يوم القيامة وقائدهم الى الجنة والله أعلم

﴿مجلس في مولد عيسى عليه السلام وفي حمل مريم بعيسى عليهما السلام وما يتصل به﴾

قال الله تعالى واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا قالت العلماء بأخبار الانبياء المامضى من حمل عيسى عليه السلام ثلاثة أيام ومريم يومئذ بنت خمس عشرة سنة وقيل بنت ثلاث عشرة سنة وكان مع مريم في المسجد من المحررين ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكان رجلا حكيما نجارا يتصدق بعمل يده وكان يوسف ومريم يليان خدمة الكنيسة وكانت مريم اذا نفد ماؤها وماء يوسف أخذ كل واحد منهما قلته وانطلق الى المغارة التي فيها الماء فيستقيان منه ثم يرجعان الى الكنيسة فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبريل عليه السلام وكان أطول يوم في السنة وأشده حرا نفد ماؤها فقالت ألا تذهب بنا يا يوسف فنستقي فقال ان عندي لفضلا من ماء أكتفي به يومي هذا الى غد قالت ولكني والله ما عندي ماء فأخذت قلتها ثم انطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت عندها جبريل عليه السلام قد مثله الله لها بشرا سويا فقال لها يا مريم ان الله قد بعثني اليك لاهب لك غلاما زكيا قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا أي مؤمنا مطيعا قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه علمت أن التقي ذو رحمة وخشية وهي تحسبه رجلا من بني آدم قال عكرمة وكان جبريل عرض لها في صورة رجل شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق قالت الحكماء انما أرسله الله تعالى في صورة البشر لتثبت مريم عليها وتقدر على استماع كلامه ولو نزل على صورته التي هو عليها لفزعت ونفرت منه ولم تقدر على استماع كلامه فلما استعاذت منه مريم قال انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين الآية فلما قال لها ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ في جيب درعها وكانت قد وضعته عنها فلما انصرف عنها لبست مريم درعها وحملت بعيسى عليه السلام ثم ملأت قلتها وانصرفت الى المسجد وقال السدي وعكرمة ان مريم عليها السلام كانت تكون في المسجد ما دامت طاهرة فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي تغتسل من الحيض وقد اتخذت مكانا شرقيا أي مشرقا لانه كان في الشتاء في أقصر يوم في السنة (قال الحسن) انما اتخذت النصارى المشرق قبلة لان مريم انتبذت مكانا شرقيا فاتخذت فضربت من دونهم حجابا أي سترا وقال مقاتل جعلت الجبل بينها وبين قومها فبينما هي كذلك في تلك الحالة اذ عرض لها جبريل وبشرها بعيسى ونفخ في جيب درعها قال وهب فلما اشتملت على عيسى كان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي عند

الرحمن عليه الصلاة والسلام الى النمروذ لعنه الله يدعوه الى عبادة الله عز وجل عظم عليه ذلك وجمع أهل مملكته وخواص رعيته وقال لهم ما تشيرون علي به في أمر هذا الرجل الذي تجارأ علينا وكسر الاصنام وعطل ديانة الانام فقولوا ما بدا لكم فاني راجع الى أقوال القائلين فقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قال فعمدوا الى فلاة من الارض وحفروا فيها حفيرا متسعا ثم نادى النمروذ في أقطار مملكته الا من أطاع النمروذ فليحتطب حزمة من الحطب الهشيم لاحراق ابراهيم قال فبادرت اليه العباد من أقطار البلاد فأقاموا حولا كاملا يجمعون الاحطاب الى أن ملؤا ذلك الحفير بالاخشاب فقال قوم نكبكبه وندعه في النار ونضرمها عليه واختلفوا في ذلك فأتاهم ابليس لعنه الله وقال لهم اضرموا النيران فاذا رأى لهيبها وعاينها يرجع عن دينه الى دينكم ثم وضع لهم المنجنيق وقال لهم اذا أبى فضعوه في كفته وارموه في ذلك فانه يصعد به المنجنيق في الهواء ويوقعه في النار وأنتم تنظرون كيف يحترق قال فاتخذ النمروذ مكانا متسعا من الارض مبنيا بالجص وجلس ينظر كيف يحترق

جبل صهيون وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم وكانت مريم ويوسف يخدمان ذلك المسجد وكان لخدمته فضل عظيم فكانا يليان معالجته بأنفسهما وتحمير وتطهير وكان لا يعرف في زمانهما أشد اجتهاداً وعبادة منهما وكان أول من أنكر حمل مريم يوسف فلما رأى الذي بها استعظمه وأستفظعه ولم يدر ماذا يصنع من أمرها وكلما أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وأنها لم تغب عنه ساعة واحدة واذا أراد أن يبرئها رأى الذي ظهر بها من الحمل فلما اشتد ذلك عليه كلمها فكان أول كلامه اياها أن قال لها انه قد وقع في نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على أن أكتمه فغلبني ذلك ورأيت أن الكلام فيه أشفى لصدري فقالت له قل قولاً جميلاً قال لها أخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر قالت نعم قال فهل تنبت شجرة بغير غيث قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر انما يكون من الزرع الذي أنبته من غير بذر ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الشجر من غير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعدما خلق الله كل واحد منهما على حدة أو تقول ان الله لا يقدر أن ينبت الشجر حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباته قال يوسف لها لا أقول هذا ولكني أقول ان الله تعالى يقدر على ما يشاء يقول للشيء كن فيكون فقالت له مريم ألم تعلم أن الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى قال بلى فلما قالت له ذلك وقع في نفسه ان الذي بها شيء من أمر الله وانه لا يسعه أن يسألها عنه وذلك لما رأى من كتمانها لذلك ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه لما رأى من رقة جسمها واصفرار لونها وكلف وجهها ونتو بطنها وضعف قوتها وكان جبل صهيون على باب بيت المقدس * وسمعت من الثقات ان قبر داود عليه السلام فيه وثم كنيسة مشرفة على عين السلوان وسألت بعض الرهبان فقال هذا صهيون والكنيسة التي خدمت فيها مريم ويوسف هذه وقد أفصح فيها عيسى ودعا الخلق الى الله تعالى ثم نقل من هذه الى القمامة وهي كنيسة عظيمة داخل بيت المقدس يدعون ان عيسى عليه السلام لما قتل دفن فيها وبعد ثلاثة أيام عرج به الى السماء فلا ينقطع أبد الدهر منها وانه ينزل فيها والله أعلم

﴿باب في ذكر ميلاده عليه السلام﴾

قالوا فلما أثقلت مريم ودنا نفاسها أوحى الله تعالى اليها أن اخرجي من بيت المقدس بيت من بيوت الله تعالى الذي طهر ورفع ليذكر فيه اسمه فابرزي الى موضع تأوين فيه فتحولت مريم الى بيت خالتها أخت أمها أم يحيى فلما دخلت عليها قامت أم يحيى واستقبلتها والتزمتها فقالت امرأة زكريا يا مريم أشعرت أني حبلى قالت مريم وأنت أيضاً شعرت أني حبلى قالت امرأة زكريا فاني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقاً بكلمة من الله فلما وافت بيت خالتها أوحى الله اليها أنك ان ولدت بين أظهر قومك عيروك وقذفوك وقتلوك وولدك فاظعني من عندهم أي فاخرجي * وقال الكلبي قيل لابن عمها يوسف ان مريم حملت من الزنا الآن يقتلها الملك وكانت قد سميت له فهرب بها يوسف فاحتملها على حمار له ليس بينها وبين الاكاف شيء فانطلق بها يوسف حتى اذا كان قريباً من أرض مصر في منقطع بلاد قومها أدرك مريم النفاس فألجأها الى أصل نخلة يابسة وذلك في زمان الشتاء (قال الكلبي) لما كان يوسف ببعض الطريق أراد قتلها فأتاه جبريل عليه السلام فقال له انه من روح القدس فلا تقتلها واختلف العلماء في مدة حمل مريم عليها السلام ووقت وضعها عيسى عليه السلام فقال بعضهم كان مقدار حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء وقيل ثمانية أشهر وكان ذلك آية أخرى لانه لم يعش مولود لثمانية أشهر غير عيسى وقيل ستة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة (وقال ابن عباس) ما هو الا أن حملت ووضعت ولم يكن بين الحمل والوضع والانتباذ الا ساعة واحدة لان الله تعالى لم يذكر بينهما فصلاً قال الله عز وجل فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً أي بعيداً من قومها وقال مقاتل حملته أمه في ساعة وصور في ساعة ووضع في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشرين سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل

ابراهيم ما للرحمن عليه ... الى ... فقال الله ... كذا ... يضيء لها المشرق والمغرب وما بينهما الى أن أطبق ما بين الخافقين حتى ان الطير كان اذا طار في الجو أحرقه لهب النيران ثم أتي بابراهيم عليه الصلاة والسلام فلما نظر الى ذلك التفت يميناً وشمالاً الى الكافرين وقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما أنا من المشركين قال فوضعوه في المنجنيق ورموه في الجو فضجت ملائكة السماء وقالوا الهنا وسيدنا ومولانا هذا عدوك قد سلط على خليلك ما نرى فأذن لنا أن نخسف به الارض وننجي خليلك ابراهيم فقال الجليل جل جلاله يا ملائكتي كل ذلك بعين قدرتي وأنا اللطيف الخبير ثم قال الله تعالى يا جبريل أدرك خليلي ابراهيم وله مار بدها أنا أقرب اليه من حبل الوريد قال فهبط اليه جبريل مسرعاً وصاعد في الهواء قبل هبوطه الى النار فقال السلام عليك يا ابراهيم فقال وعليك السلام يا جبريل فقال ألك من حاجة فقال له ابراهيم أما اليك فلا فقال جبريل سل من اليه حوائجك فقال ابراهيم علمه بحالي يغني عن سؤالي فقال الله تبارك وتعالى

يا نار كوني برداً وسلاماً على

عيسى قالوا فلما اشتد بمريم المخاض لجأت الى النخلة وكانت نخلة يابسة ليس لها سعف ولا كرانيف ولا عروق فلما وضعت الملائكة وكانوا صفوفا محدقين بها أى محيطين بها وكانت تلك النخلة فى موضع يقال له بيت لحم وقالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا أى جيفة ملقاة فنوديت أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فذلك قوله تعالى فناداها من تحتها أن لا تحزنى من قرأ بكسر الميم والتاء فهو جبريل عليه السلام ناداها من سفح الجبل ومن قرأ بفتح الميم والتاء فهو عيسى عليه السلام لما خرج من بطن أمه ناداها وكلمها باذن الله تعالى قالوا فلما ولدت عيسى أجرى الله لها نهرا من ماء عذب بارد اذا شربت منه وفار اذا اشتهت منه فذلك قوله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا وهو النهر الصغير قال ابن عباس ضرب عيسى وقيل جبريل عليه السلام برجله الأرض فظهر الماء وحييت تلك النخلة بعد يبسها فبدت غصونها وأورقت وأثمرت وأرطبت وقيل لها هزى اليك بجذع النخلة أى حركيه تساقط عليك رطبا جنيا غضا طريا وقال الربيع بن خيثم ما للنفساء عندى خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقال عمرو بن ميمون ما أدرى للمرأة اذا عسرت عليها ولادتها خيرا من الرطب وقرأ هذه الآية وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمضغ التمر ويحنك به أولاد الصحابة حين يولدون وقال بعض البلغاء فى وصف التمر علة الصغير ونهلة الكبير قالوا ثم ان يوسف النجار عمد الى حطب فجعله كالحظيرة حواليها اياما لتقرب منها اذ قد أضر بها البرد ثم أشعل لها نارا تصطلى بها ثم كسر لها سبع جوزات كانت فى خرجه فأطعمها اياها فمن أجل ذلك توقد النصارى النار ليلة الميلاد وتلعب بالجوز (قال وهب) فلما ولد عليه السلام أصبحت الاصنام كلها بكل أرض منكوسة على رؤسها ففزعت الشياطين ولم يدروا لم ذلك فساروا مسرعين حتى جاؤا الى ابليس لعنه الله وغضب عليه وهو على عرش له فى لجة خضراء يتمثل بالعرش يوم كان على الماء فأتوه وقد خلت ست ساعات من النهار فلما رأى ابليس اجتماعهم فزع من ذلك ولم يرهم جميعا منذ فرقهم قبل تلك الساعة وانما كان يراهم أشتاتا فسألهم فأخبروه أنه حدث فى الارض حدث فاصبحت الاصنام كلها منكوسة على رؤسها ولم يكن شئ أعون على هلاك بنى آدم منها لانهم كانوا يدخلون فى أجوافها فتكلمهم وتدبر أمرهم فيظنون أنها هى التى تكلمهم فلما أصابها هذا الحدث صغرها فى أعين الناس وأذلها وقد خشينا أن لا يعبدوها بعد هذا (واعلم) أنا لم نكن نأتيك حتى أحصينا الارض وقلبنا البحار وكل شئ فلم نزدد بما أردنا الا جهلا فقال لهم ابليس فما يكون الا أمر عظيم فكونوا مكانكم فطار ابليس عند ذلك ولبث عنهم ثلاث ساعات فمر فيهن بالمكان الذى ولد فيه عيسى فلما رأى الملائكة محدقين بذلك المكان علم ان ذلك الحدث فيه فاراد ابليس لعنه الله أن يأتيه من فوقه فاذا رؤس الملائكة ومناكبهم الى السماء ثم أراد أن يأتيه من تحت الارض فاذا أقدام الملائكة راسية فأراد أن يدخل من بينهم فنحوه عن ذلك يدل عليه حديث النبى صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبيه بأصبعه حين يولد الا عيسى بن مريم عليه السلام حجبه الله تعالى عنه فذهب يطعن فطعن فى الحجاب * قال وهب فذهب ابليس لعنه الله الى أصحابه فقال لهم ما جئتكم حتى أحصيت الارض كلها مشرقها ومغربها وبرها وبحرها والخافقين والجو الاعلى وكل هذا بلغته فى ثلاث ساعات ثم أخبرهم بمولد عيسى وقال ما اشتملت قبله رحم أنثى على ولد الا بعلمى ولا وضعته الا وأنا حاضرها وانى لأرجو أن يضل به أكثر ممن يهتدى به وما كان نبى أشد على وعليكم من هذا المولود ثم انه خرج قوم فى تلك الليلة يؤمونه من أجل نجم طلع كانوا من قبل يتحدثون ان مطلع ذلك النجم من علامات مولود فى كتاب دانيال فخرجوا يريدونه ومعهم الذهب والمر واللبان فروا على ملك من ملوك الشام فسألهم أين تريدون فاخبروه بذلك قال فما بال المر والذهب واللبان أهديتموه بهذه الاشياء قالوا تلك أمثاله لان الذهب سيد المتاع كله وكذلك هذا النبى صلى الله عليه وسلم سيد أهل زمانه ولان المر يجبر به الكسر والجرح وكذلك هذا النبى صلى الله عليه وسلم يشفى الله به كل سقيم ومريض ولان اللبان دخانه يدخل السماء ولا يدخلها دخان غيره وكذلك هذا النبى

الى أمهم فصارت تلك البلاد ... نعيم وجرت فيها عين من تسنيم وفرش فيها مهاد التنعيم ونودى بلسان التفهيم سلام قولا من رب رحيم وكم من أمر ما كان (قلنا) ان ظهور اشراق بهجة المصطفى سيد الامم طه المكرم صلى الله عليه وسلم وأينعت أغصان الاسلام وأثمرت وبزغت فى ليل الشرك شمس الايمان وظهرت وولد سيد البشر وشاع ذكره وانتشر وبلغ أشده واستوى أتاه المطوق بالنور الامين جبريل عليه السلام من الملك الجليل وقال له يا محمد أجب الملك الجليل قد أتيتك بالبراق لتعلو السبع الطباق فقد دعاك لحضرته الملك الخلاق وها أنا فى ركابك فوضع النبى صلى الله عليه وسلم قدما بالمسجد الحرام وقدما بالمسجد الاقصى والثالث بعنان السماء فتقدم وصلى بالانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ثم اخترق سماء بعد سماء حتى انتهى الى عرش الاستواء واخترق الحجب والاستار الى أن سمع صريف القلم على صفحات اللوح المحفوظ فعند ذلك وقف جبريل عليه السلام فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما بالك تركتنى فقال له جبريل يا أكرم الخلق على الله تقدم على ربك وذرنى

صلى الله عليه وسلم رفعه الله الى السماء ولا ترجع يوما ما أخبرهم فقالوا الملك الملك [illegible]
فقال لهم اذهبوا فاذا علمتم بمكانه فاعلموني فلما ولوا رأت في نفسها ان هم [illegible] أمره فاطلعوني
أن مواضع مريم وخشيها كان معهم من الهدية الى الملك الاسلامى أرادوا أن يرجعوا الى ذلك الملك
ليعلموه بمكانه فلقيهم ملك وقال لهم لا ترجعوا اليه ولا تعلموه بمكانه فانه انما أراد قتله فانصرفوا الى دارهم ٭
٭ وقال مجاهد قالت مريم عليها السلام كنت اذا خلوت مع عيسى عليه السلام حدثنى وحدثته واذا شغلنى
عنه انسان يسبح فى بطنى وأنا أسمع والله أعلم

((باب فى رجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادته اياه الى جماعة ومجيئها من بيت لحم))

قال ثم ان جماعة من قومها الباهرة أالله تعالى لامته مريم عليها السلام أمرها وبشرها الله بأسباب ولادتها
قال كلى يا مريم من الرطب واشربى من الماء العذب وقرى عينا وطيبى نفسا فاما ترين من البشر أحدا
فسألك عن ولدك أولامك عليه فقولى انى نذرت للرحمن صوما أى صمتا وكذلك هو فى قراءة ابن مسعود
وأنس وذلك أنهم كانوا اذا صاموا أمسكوا عن الطعام والشراب والكلام فلن أكلم اليوم انسيا فأتت به
قومها تحمله قال الكلبى احتمل يوسف النجار مريم وعيسى الى غار فأدخلهما فيه أربعين يوما حتى تعالت من
نفاسها ثم جاء بها فأتت مريم تحمله بعد أربعين يوما فكلمه عيسى فى الطريق فقال يا أماه أبشرى فانى عبد
الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبى بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين فقالوا يا مريم لقد جئت
شيأ فريا قطيعا عظيما يا أخت هرون قال قتادة كان هرون رجلا صالحا من أتقياء بنى اسرائيل وليس بهرون
أخى موسى وذكروا أنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بنى اسرائيل كلهم يسمى هرون ٭ وقال وهب
كان هرون من أفسق بنى اسرائيل وأظهرهم فسادا فشبهوها به ما كان أبوك امرأ سوء وما
كانت أمك بغيا أى زانية فمن أين لك هذا الولد فأشارت لهم مريم الى عيسى أن كلموه فغضبوا وقالوا كيف
نكلم من كان فى المهد صبيا قال وهب فأتاها زكريا عليه السلام عند مناظرتها اليهود وقال لعيسى انطق
بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوما انى عبد الله آتانى
الكتاب الآية فأقر على نفسه بالعبودية أول ما تكلم تكذيبا للنصارى والزاما للحجة عليهم ٭ وقال عمرو بن
ميمون ان مريم لما أتت قومها بعيسى أخذوا الحجارة وأرادوا أن يرجموها فلما تكلم عيسى تركوها قالوا ثم
لم يتكلم بشئ بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان والله أعلم

((باب فى ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام الى مصر))

قال الله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قالوا كان مولد عيسى بعد
مضى اثنين وأربعين سنة من ملك أغسطوس واحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين ملوك
الطوائف وكانت المملكة فى ذلك الوقت لملوك الطوائف وكانت الرياسة فى الشام ونواحيها لقيصر ملك الروم
وكان الملك عليها من قبل قيصر هردوس فلما عرف هردوس ملك بنى اسرائيل خبر المسيح قصد قتله وذلك
أنهم نظروا الى نجم قد طلع فعرفوا ذلك بحساب عندهم فى كتاب لهم فبعث الله ملكا الى يوسف النجار وأخبره
بما أراده هردوس وأمره أن يهرب بالغلام وأمه الى مصر وأوحى الله الى مريم أن الحقى بمصر فان هردوس
ان ظفر بابنك قتله فاذا مات هردوس فارجعى الى بلادك فاحتمل يوسف مريم وابنها على حمار له حتى ورد
أرض مصر وهى الربوة التى قال الله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين (ذكر أبو اسحق الثعلبى)
فى التفسير ذات قرار ومعين قال عبد الله بن سلام هى دمشق وقال أبو هريرة هى الرملة وقال قتادة وكعب
هى بيت المقدس وقال كعب هى أقرب الارض الى السماء وقال أبو زيد هى مصر وقال الضحاك هى غوطة
دمشق وقال أبو العالية هى ايليا وقال القرار الارض المستوية والمعين الماء الطاهر فأقامت مريم بمصر
اثنتى عشرة سنة تغزل الكتان وتلتقط السنبل فى آثار الحصادين وكانت تلتقط السنبل والمهد فى منكبها
والوعاء الذى فيه السنبل فى منكبها الآخر حتى تم لعيسى اثنتا عشرة سنة (وروى) عن محمد بن على الباقر

رضى

[illegible] ان الله [illegible]
[illegible] أنوار
[illegible]
[illegible] الا [illegible] يوم
فلما همّ المصطفى صلى الله
عليه وسلم بأن يتقدم ونزل
جبريل عليه السلام وقال له
يا أمين الوحى ألك من حاجة
الى الله تعالى فى هذا المقام
كالتقدم مثلك لا بى ابراهيم
فقال له ثم يا سيد البشر
فقال وما هى فقال تسأل لى
الله عز وجل الأمن من
مكره وسخطه وعقابه قال
فتقدم صلى الله عليه وسلم
الى مكان لم يصل اليه نبى
مرسل ولا ملك مقرب
فابتدأه بالتحية والسلام
ذوالجلال والاكرام ثم دنا
فتدلى فكان قاب قوسين أو
أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى
فقال صلى الله عليه وسلم
يارب أمتى فقال الله عز
وجل يا محمد انى قد منت
على أمتك بثمانية أشياء
لم أمن بها على أحد من
الامم السابقة (الاول) انى
لم أخلق خلقا فى السماء ولا
فى الارض أكرم على من
أمتك (الثانى) أن مائة
ألف وأربعة وعشرين
ألفا من الانبياء مشتاقون
اليك والى أمتك (الثالث)
انى لم أعط أمتك الكثير
من الاموال مثل ما سبق
من الامم لئلا يطول عليهم
الحساب يوم القيامة رحمة
لهم وشفقة عليهم (الرابع)

رضي الله عنه أنه قال لما بلغ عيسى كان ابن تسعة أشهر فلما كان ابن تسعة أشهر أخذت مريم الصديقة بيده
وجاءت به الى المكتب وأقعدته بين يدي المؤدب فقال له المؤدب قل بسم الله الرحمن الرحيم فقالها عيسى فقال
المؤدب قل أبجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال له هل تدري ما أبجد فعلاه بالقضيب ليضربه فقال
يا مؤدب لا تضربني ان كنت تدري والا فاسألني حتى أفسر لك فقال له المؤدب فسره لي فقال عيسى الالف
لا اله الا الله والباء بهجة الله والجيم جلال الله والدال دين الله هوز الهاء هي جهنم وهي الهاوية والواو ويل
لاهل النار والزاي زفير أهل جهنم حطي حطت الخطايا عن المستغفرين كلمن كلام الله غير مخلوق ولا
مبدل لكلماته سعفص صاع بصاع والجزاء بالجزاء قرشت تقرشهم حين تحشرهم أي تجمعهم فقال
المؤدب لامه أيتها المرأة خذي ابنك فقد علم ولا حاجة له الى المؤدب (أخبرنا) الحسين بن محمد بن الحسين
المفسر باسناده عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى أرسلته أمه ليتعلم
فقال له المعلم قل بسم الله فقال عيسى وما بسم الله قال المعلم ما أدري قال عيسى الباء بهاء الله والسين سناء الله
والميم مملكته جل وعلا والله أعلم

﴿باب في صفة عيسى وحليته عليه السلام﴾

قال كعب الأحبار كان عيسى بن مريم رجلا أحمر مائلا الى البياض ما هو سبط الرأس ولم يدهن رأسه قط وكان عيسى يمشي حافيا ولم يتخذ بيتا ولا حلية ولا متاعا ولا ثيابا ولا رزقا الا قوت يومه وكان حيثما غابت الشمس صف قدميه وصلى حتى يصبح وكان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله وكان يخبر قومه عما يأكلون في بيوتهم وما يدخرون لغد وكان يمشي على وجه الماء في البحر وكان أشعث الرأس صغير الوجه زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة حريصا على عبادة الله وكان سياحا في الارض حتى طلبته اليهود وأرادوا قتله فرفعه الله الى السماء والله أعلم

﴿باب في ذكر الآيات والمعجزات التي ظهرت لعيسى عليه السلام في صباه الى أن نبئ﴾

قال وهب كان أول آية رآها الناس من عيسى أن أمه كانت نازلة في دار دهقان من أرض مصر أنزلها بها يوسف النجار حين ذهب بهما الى مصر وكانت دار ذلك الدهقان تأوي اليها المساكين فسرق للدهقان مال من خزانته فلم يتهم المساكين فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان فلما رأى عيسى حزن أمه لمصيبة صاحب ضيافتها قال لها يا أماه أتحبين أن أدله على ماله قالت نعم يا بني قال لها قولي له يجمع لي المساكين في داره فقالت مريم للدهقان ذلك فجمع له المساكين فلما اجتمعوا عمد الى رجلين منهم أحدهما أعمى والآخر مقعد فحمل المقعد على عاتق الاعمى وقال له قم به فقال الاعمى أنا أضعف عن ذلك فقال له عيسى كيف قويت على ذلك البارحة فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الاعمى حتى قام فلما استقل قائما هوى المقعد الى كوة الخزانة فقال عيسى للدهقان هكذا احتالا على مالك البارحة لان الاعمى استعان بقوته والمقعد بعينيه فقال الاعمى والمقعد صدق والله فردا على الدهقان ماله كله فأخذه الدهقان ووضعه في خزانته وقال يا مريم خذي نصفه فقالت اني لم أخلق لذلك قال الدهقان فأعطيه لابنك قالت هو أعظم مني شأنا ثم لم يلبث الدهقان أن أعرس لابن له فصنع له عيدا فجمع عليه أهل مصر كلهم فكان يطعمهم شهرين فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام ولم يعلم الدهقان بهم حتى نزلوا به وليس عنده يومئذ شراب فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتا من بيوت الدهقان فيه صفان من جرار فأمر عيسى يده على أفواهها وهو يمشي فكلما أمر يده على جرة امتلأت شرابا حتى أتى عيسى على آخرها وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة (آية أخرى) قال السدي كان عيسى عليه السلام اذا كان في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطلق الصبي الى أهله فيبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون له من أخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا عنه صبيانهم وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا له ليسوا ههنا فقال لهم فما في هذا البيت قالوا خنازير قال كذلك يكونون ففتح عنهم فاذا هم خنازير ففشا ذلك في الناس فهمت به بنو

أي أعطا أمتك القوة بالاموال والاولاد مثل الامم السابقة حتى كثروا وجحدوا النعم (الخامس) اني لم أطول أعمارهم فتجتمع عليهم الذنوب لكن تقدم من غيرهم (السادس) اني لم أعاقب أمتك عند كل ذنب كما عاقبت الامم السابقة (السابع) اني أخرتهم الى آخر الزمان وجعلتهم آخر الامم حتى لا يطول مكثهم في التراب (الثامن) اني لم أفش سرهم كما أفشيت سر الامم وأخبارهم اليك والى أمتك وانه ليس بعدك نبي ولا قرآن وهذا كله بركتك يا محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا رب ان عبدك جبريل سألني أن أسألك أن تؤامنه مكرك فلم يسمع جوابا قال فراجع ربه ثانيا في أمره حتى سمع الخطاب من الملك الوهاب يا محمد قد آمنته مكري فعاد النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل وهو فرح مسرور وأخبره بذلك ففرح جبريل بذلك وقال الحمد لله على كثرة انعامه ثم قال يا محمد كل ذلك ببركتك وعلو قدرك عند ربك صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا آمين ((وروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه)) انه أتى يوما من الايام الى المسجد الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده قد صلى فقعد حزينا

امرين (فلما) كانت [illegible] حملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر (آية أخرى) قال السدي لما خرج عيسى وأمه عليهما السلام [illegible] الا من أبناء بني اسرائيل [illegible] رجل فأضافهما وأحسن اليهما [illegible] الرجل [illegible] عند امرأته فقالت لها مريم [illegible] فقالت لها [illegible] كربه على يدي فقالت ان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا يوما يطعمه ويسقيه هو وجنوده فان لم يفعل عاقبه واليوم نوبتنا وليس عندنا سعة قالت فقولي له لا يهتم لشيء فانه قد أحسن الينا واني آمر ابني أن يدعو له فيكفى ذلك ثم قالت مريم لعيسى فقال ان فعلت ذلك يقع شر قالت فلا تبال لانه أحسن الينا وأكرمنا قال عيسى فقولي له اذا اقترب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمني ففعل ذلك فدعا عيسى فتحول ماء القدور لحما ومرقا وماء الخوابي خمرا لم ير الناس مثله قط فلما جاء الملك أكل فلما شرب سأل من أين هذا الخمر قال له من أرض كذا وكذا فقال الملك فان خمري قد أتى بها من تلك الارض وليست مثل هذه فقال له من ارض أخرى فلما خلط على الملك وشدد عليه قال أخبرني على الحق قال فانا أخبرك عندي غلام ما سأل الله شيأ الا أعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام وكان أحب الخلق اليه فقال الملك ان رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليستجاب له حتى يحيي ابني فدعا عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى لا تفعل لانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا أبالي بعد أن أراه فقال عيسى ان أحييته تتركوني أنا وأمي نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله تعالى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا أكلنا هذا حتى اذا دنا موته يريد أن يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه فاقتتلوا وذهب عيسى وأمه (آية أخرى) قال وهب بينما عيسى يلعب مع الصبيان اذ وثب غلام على صبي فوكزه برجله فقتله فألقاه بين يدي عيسى وهو ملطخ بالدم فاطلع الناس عليه فاتهموه به فأخذوه وانطلقوا به الى قاضي مصر فقالوا له هذا قتل هذا فسأله القاضي فقال عيسى لا أدري من قتله وما أنا بصاحبه فارادوا أن يبطشوا بعيسى عليه السلام فقال لهم ائتوني بالغلام فقالوا له ما تريد منه قال أريد أن أسأله من قتله قالوا وكيف يكلمك وهو ميت فأخذوه وأتوا به الى مقتل الغلام فأقبل عيسى على الدعاء فأحياه الله تعالى فقال له عيسى من قتلك قال قتلني فلان على الذي قتله فقال بنو اسرائيل من هذا قال هذا عيسى بن مريم قالوا فمن هذا الذي معه قال قاضي بني اسرائيل ثم مات الغلام من ساعته فرجع عيسى الى أمه وتبعه خلق كثير من الناس فقالت له أمه يا بني ألم أنهك عن هذا فقال لها ان الله حافظنا وهو أرحم الراحمين (آية أخرى) قال عطاء سلمت مريم عيسى بعدما أخرجته من الكتاب الى أعمال شتى فكان آخر ما دفعته الى الصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب مختلفات فعرض للرجل سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة وأنا خارج في سفر لا أرجع الى عشرة أيام وهذه ثياب مختلفات الالوان وقد علمت كل واحد منها على اللون الذي يصنع به فأحب أن تكون فارغا منها وقت قدومي ثم خرج فطبخ عيسى عليه السلام حبا واحدا على لون واحد وأدخل فيه جميع الثياب وقال لها كوني باذن الله تعالى على ما أريد منك فقدم الصباغ والثياب كلها في حب واحد فقال يا عيسى ما فعلت قال فرغت منها قال أين هي قال في الحب فقال كلها قال نعم قال كيف تكون كلها في حب واحد لقد أفسدت تلك الثياب قال قم فانظر فقام فأخرج عيسى ثوبا أصفر وثوبا أخضر وثوبا أحمر الى أن أخرجها على الالوان التي أرادها فجعل الصباغ يتعجب وعلم ان ذلك من الله عز وجل فقال الصباغ للناس تعالوا انظروا الى ما فعل عيسى عليه السلام فآمن به هو وأصحابه وهم الحواريون والله عز وجل أعلم

﴿باب في ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام الى بلادهما بعد موت هردوس﴾

قال وهب لما مات هردوس الملك بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام أوحى الله تعالى الى مريم يخبرها بموت هردوس ويأمرها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار الى الشام فرجع عيسى وأمه

عليهما

[illegible] رسول الله [illegible] عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد السلام يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول اني كنت الله سبحانه وتعالى خلقني قبل أن يخلق السموات والارض بألفي عام فكنت أسبحه وأقدسه فبينما أنا على تلك الحالة اذا قبة من نور بيضاء تمضي فخلت غير من السحاب واذا بصوت منها يقول أحد أحد فرد صمد فقلت يارب من هذا أخلق خلقته قبلي أم خلق تخلقه بعدي فقال الله عز وجل هذا خلق أخلقه في آخر الزمان وهو نبي مكرم اسمه محمد وأمته خير الانام فقلت يارب أسألك بحقه عليك أن تجعلني سفيرا بينك وبينه فكان كذلك فبينما أنا كذلك اذا بقبة أخرى تليها وهي تمر من السحاب واذا بصوت منها يقول صدق صدق فقلت ومن هذا يارب فقال رجل من أمة هذا النبي يكون أول من يصدقه يسمى الصديق فلما بعثك الله يا محمد أقام أبو بكر ينظرك قبل أمتك بأربعين عاما فلما بعثت بادر اليك وصدقك فيستحق منك أن تصبر له ساعة حتى يصلي معك وينال من بركتك ثم مضى جبريل عليه

عليهما السلام وسكنا في جبل الخليل في قرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى وكان عيسى يعلم
في الساعة ما يصنع الناس في بيوتهم وما يدخرون منه فلما بلغ ثلاثين سنة أوحى الله تعالى اليه أن
يبرز للناس ويدعوهم الى الله ويضرب لهم الامثال ويداوي المرضى والزمنى والمجانين والعميان ويقمع
الشياطين ويزجرهم فبدا لهم وكانوا يهابونه من خوفه ففعل ما أمره به فأحبه الناس ومالوا اليه وأنسوا به
وكثرت أتباعه وعلا ذكره وربما اجتمع عليه من المرضى والزمنى في الساعة الواحدة خمسون ألفا فمن
أطاق منهم أن يمشي اليه مشى اليه ومن لم يطق وصل اليه عيسى عليه السلام وانما كان يداويهم بالدعاء
بشرط الايمان ودعاؤه الذي كان يشفي به المرضى ويحيي به الموتى اللهم أنت اله من في السماء واله من في
الارض لا اله فيهما غيرك وأنت جبار من في السموات وجبار من في الارض لا جبار فيهما غيرك وأنت ملك
من في السموات وملك من في الارض لا ملك فيهما غيرك وأنت حكم من في السموات وحكم من في الارض
لا حكم فيهما غيرك قدرتك في الارض كقدرتك في السماء وسلطانك في الارض كسلطانك في السماء أسألك
باسمائك الكرام انك على كل شيء قدير

﴿باب في قصة الحواريين عليهم السلام﴾

قال الله تعالى فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا
بالله واشهد بانا مسلمون وقال الله عز وجل واذ أوحيت الى الحواريين أي ألهمتهم ووفقتهم ان آمنوا بي
وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون اعلم ان الحواريين كانوا أصفياء عيسى بن مريم وأولياءه
وأرضياءه وأنصاره ووزراءه وكانوا اثني عشر رجلا وأسماؤهم شمعون الصفا المسمى بطرس واندراوس
أخوه ويعقوب بن زبدي ويحيى أخوه وفيلبس وبرتولوماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلقا وليا
الذي يدعى تداوس وشمعون القناني ويهوذا الاسخريوطي عليهم السلام (واختلف) العلماء فيهم ولم سموا
بذلك قال ابن عباس كانوا صيادين يصطادون السمك فر بهم عيسى فقال لهم ما تصنعون فقالوا نصطاد
السمك فقال لهم ألا تمشون معي حتى نصطاد الناس قالوا وكيف ذلك قال ندعو الى الله قالوا ومن أنت قال
أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله قالوا فهل يكون أحد من الانبياء فوقك قال نعم النبي العربي فاتبعوه وأتوه
وآمنوا به وانطلقوا معه قال السدي كانوا ملاحين وقال ابن أرطاة كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا
يحورون الثياب أي يبيضونها (أخبرنا) ابن فنجويه باسناده عن مصعب قال الحواريون اثنا عشر رجلا
اتبعوا عيسى فكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده الى الارض سهلا كان أو جبلا فيخرج
لكل انسان رغيفين فيأكلهما واذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب الارض سهلا كان أو جبلا
فيخرج الماء فيشربون فقال يا روح الله من أفضل منا اذا شئنا أطعمتنا واذا شئنا أسقيتنا وآمنا بك
واتبعناك قال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاروا يغسلون الثياب بالكراء وقال ابن
عون صنع ملك من الملوك طعاما فدعا الناس اليه وكان عيسى على قصعة فكانت القصعة لا تنقص فقال له
الملك من أنت قال أنا عيسى بن مريم قال الملك اني أترك ملكي وأتبعك فانطلق بمن اتبعه منهم وهم
الحواريون وقيل هو الصباغ وأصحابه وقد مضت القصة قال الضحاك سموا حواريين لصفاء قلوبهم وقال
عبد الله بن المبارك سموا حواريين لانهم كانوا نورانيين عليهم أثر العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها وأصل
الحور عند العرب شدة البياض ومنه الاحور والحور وقال الحسن الحواريون الانصار وقال قتادة هم الذين
تصلح لهم الخلافة وقال النضر بن شميل الحواري خاصة الرجل ومن يستعين به فيما ينوبه ومنه قول
النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري وحواري الزبير فهؤلاء حواريو عيسى بن مريم عليه السلام
فأما حواريو هذه الامة فاخبرنا الحسين بن محمد الدينوري باسناده عن سفيان بن معمر أن قتادة قال ان
الحواريين كلهم من قريش وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وجعفر وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان
ابن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله

السلام فقام النبي صلى الله
عليه وسلم وأخذ بيد أبي بكر
وقال هذا أبو بكر الصديق
فرضيا الا أبو بكر ثم تلقيه
رضي الله تعالى عنه وعن
كل الصحابة أجمعين (وحكى
عنه أيضا رضي الله تعالى
عنه) انه قال بينما نحن
جلوس بالمسجد واذا برجل
أعمى قد دخل علينا وسلم
فرددنا عليه السلام
وأجلسناه بين يدي النبي
صلى الله عليه وسلم فقال
من يقضيني حاجة في حب
النبي صلى الله عليه وسلم
فقال أبو بكر رضي الله تعالى
عنه ما حاجتك يا شيخ فقال
ان لي أهلا ولم يكن عندي
ما أنفقت به وأريد من يدفع
لنا شيئا أنفقه به في حب
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فنهض أبو بكر
الصديق رضي الله تعالى
عنه وقال نعم أنا أعطيك
ما يقوم بك في حب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم
قال هل من حاجة أخرى
فقال نعم ان لي ابنة أريد من
يتزوج بها في حياتي حبا في
محمد صلى الله عليه وسلم
فقال أبو بكر رضي الله تعالى
عنه أنا أتزوج بها في حياتك
حبا في رسول الله صلى الله
عليه وسلم هل من حاجة
أخرى فقال نعم أريد أن
أضع يدي في شيبة أبي بكر
الصديق رضي الله عنه
حبا في محمد صلى الله عليه
وسلم قال فنهض أبو بكر

عنهم أجمعين

(ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التي ظهرت على يديه من حين ولادته الى أن رفع صلوات الله عليه)

منها أن أيده الله بروح القدس قال عز من قائل وأيدناه بروح القدس وتطهيرها في سورة المائدة وقال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس واختلفوا فيه فقال الربيع بن أنس هو الروح الذي نفخ فيه الروح أضافه سبحانه الى نفسه تكريما وتخصيصا كبيت الله وناقة الله والقدس هو الله تعالى يدل عليه قوله تعالى وروح منه فنفخنا فيه من روحنا وقال آخرون أراد بالقدس الطهارة أي الروح الطاهر وسمي عيسى عليه السلام روحا لانه لم تتضمنه أصلاب الفحول ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث انما كان أمرا من الله تعالى قال السدي وكعب روح القدس جبريل وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام هو أنه كان قرينه ورفيقه يعينه ويسير معه حيثما سار الى أن صعد به الى السماء وقال سعيد بن جبير وعبيد بن عمير هو اسم الله الاعظم وبه كان يحيي الموتى ويري الناس تلك العجائب (ومنها) تعليم الله اياه الانجيل والتوراة وكان يقرؤهما من حفظه كما قال الله تعالى واذ علمتك الكتاب أي الخط قيل الخط عشرة أجزاء فتسعة منها لعيسى والحكمة والتوراة والانجيل (ومنها) خلقه الطير من الطين كما قال الله تعالى مخبرا عنه أني قد جئتكم باية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وقال تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فكان يصور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ولم يخلق غير الخفاش وانما خص بالخفاش لانه أكمل الطير خلقا فيكون أبلغ في القدرة لان له ثديا وأسنانا وتلد وتحيض وتطير (قال وهب) كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق عن فعل الله تعالى وليعلم أن الكمال لله عز وجل (ومنها) ابراء الاكمه والابرص كما قال تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني والابرص الذي به وضح والاكمه الذي ولد أعمى ولم ير ضوأ قط ولم يكن في الاسلام أكمه غير قتادة وانما خص هذين لانهما أعييا الاطباء وكان الغالب على زمان عيسى الطب فأراهم المعجزة من جنس ذلك (و يروى) أن عيسى عليه السلام مر بقرية عميان فقال ما هؤلاء فقيل هؤلاء قوم طلبوا القضاء فطمسوا أعينهم بايديهم فقال لهم ما دعاكم الى هذا قالوا خفنا عاقبة القضاء فصنعنا بأنفسنا ما ترى فقال أنتم العلماء والحكماء والاحبار والافاضل امسحوا أعينكم بايديكم وقولوا بسم الله ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا قيام ينظرون (ومنها) احياؤه الموتى باذن الله قال تعالى واذ تخرج الموتى باذني وأحيا منهم أمواتا منهم العاذر وكان صديقا له فارسلت أخته الى عيسى ان أخاك العاذر يموت فأته وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقالوا لاخته انطلقي بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره وهو في صخرة مطبقة فقال عيسى اللهم رب السموات السبع والارضين السبع انك أرسلتني الى بني اسرائيل أدعوهم الى دينك وأخبرتهم اني أحيي الموتى باذنك فأحي العاذر فقام العاذر وخرج من قبره وبقي وولد له (ومنها) ابن العجوز وكانت القصة فيه أن عيسى مر في سياحته ومعه الحواريون بمدينة فقال ان في هذه المدينة كنزا فمن يذهب يستخرجه لنا فقالوا يا روح الله لا يدخل هذه القرية أحد غريب الا قتلوه فقال لهم عيسى مكانكم حتى أعود اليكم فمضى حتى دخل المدينة فوقف على باب فقال السلام عليكم يا أهل الدار غريب أطعموه فقالت له امرأة عجوز أما رضي أن أدعك لا أذهب بك الى الوالي حتى تقول أطعموني فبينما عيسى بالباب اذ أقبل الفتى ابن العجوز فقال له عيسى أضفني ليلتك هذه فقال له الفتى مثل مقالة العجوز فقال له عيسى أما انك لو فعلت ذلك زوجتك بنت الملك فقال له الفتى اما ان تكون مجنونا واما ان تكون عيسى بن مريم قال أنا عيسى فأضافه وبات عنده فلما أصبح قال له اغد وادخل على الملك وقل له جئت أخطب ابنتك فانه سيأمر بضربك واخراجك فمضى الفتى حتى دخل على الملك فقال له جئت أيها الملك أخطب ابنتك فأمر بضربه فضرب وأخرج فرجع الفتى الى عيسى فأخبره الخبر فقال اذا كان غد فاذهب اليه واخطب ابنته فانه ينالك بدون ذلك

فقال

ويرد الاعمى وقال أحسب ... صلى الله عليه وسلم قال ... لحرمة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقال يا رب أسألك بحرمة شيبة أبي بكر الا ما رددت على بصري قال فرد الله عليه بصره لوقته فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد السلام يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك وعزته وجلاله لو أقسم على كل أعمى بحرمة شيبة أبي بكر الصديق لرددت عليه بصره وما تركت على وجه الارض أعمى وهذا كله ببركتك وعلو قدرك وشأنك عند ربك اللهم شفعه فينا والمسلمين (ومما نقل من حكايات الخلفاء الراشدين رحمهم الله تعالى) حدث أبو موسى الفضل عن أبيه قال سمعت زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله ابن عباس تقول كنت عند الخيزران جارية المهدي وكان عادتها اذا كنت عندها انها تجلس وعتبة باب بيت من بيوت القصر وأجلس بازائها في الصدر في مجلس كان المهدي يجلس فيه اذا قصدنا وكان يقصدنا في كل وقت يجلس عندنا ساعة ثم ينهض فبينما نحن جلوس اذ دخلت علينا جارية من جواري الخيزران

فعل الفتى ما أمر به عيسى فصبر بعد ذلك الضرب الاول فرجع الى عيسى فأخبره فقال ارجع اليه فقال سوف تقول انت الأول ... يحكى ... من ذهب وفضة وياقوت من ذهب وفضة وزبرجد فقال له أقبل ... فاذا رفعت ... نحن أنا أخرج به الى السوق ... فلا تحدث فيه شيئا ثم ابعث به الى الملك فطلب فقال ... فقال يا ... فحكم الذى بها ... عيسى فقال نعم رضيت ان يشبع من يعيش ذلك فبعث معه رجالا فقدم اليهم ما سأله الملك فتعجب الناس من ذلك ... اليه الملك ابنته فتعجب الفتى من ذلك وقال يا روح الله تقدر على مثل هذا وأنت على مثل هذه الحال فقال له عيسى انى آثرت ما يبقى على ما يفنى فقال الفتى أنا أيضا أدعه وأصحبك فتخلى عن الدنيا واتبع عيسى فأخذ عيسى بيده وأتى به أصحابه وقال لهم هذا الكنز الذى فاتكم فكان معه إلى العجوز الى ان مات ومر به وهو ميت على سرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل من على أعناق الرجال ولبس الثياب وحمل السرير على عنقه ورجع الى أهله فبقى وولد له (ومنها) ابنة العاشر رجل كان يأخذ العشر قيل له أتحييها وقد ماتت بالأمس فدعا الله عز وجل فعاشت وبقيت وولد لها (ومنها) سام بن نوح قال له الحواريون وهو يصف لهم سفينة نوح قالوا له لو بعثت لنا من شهد السفينة فينعت لنا ذلك فقام وأتى تلا فضرب بيده وأخذ قبضة من تراب وقال هذا قبر سام بن نوح ان شئتم أحييته لكم قالوا نعم فدعا الله باسمه الاعظم وضرب التل بعصاه وقال احى باذن الله فخرج سام بن نوح من قبره وقد شاب نصف رأسه فقال أقد قامت القيامة قال لا ولكنى دعوتك باسم الله الاعظم قال ولم يكونوا يشيبون فى ذلك الزمان وكان سام قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب ثم أخبرهم بخبر السفينة فقال له عيسى مت فقال بشرط أن يعيذنى الله من سكرات الموت فدعا الله عيسى عليه السلام ففعل ذلك وقد ذكر هذا الخبر فى قصة نوح عليه السلام (ومنها) عزير عليه السلام قالوا لعيسى عليه السلام احيه والا أحرقناك بالنار وجمعوا له حطبا كثيرا من حطب الكرم وكانوا فى ذلك الوقت يدفنون موتاهم فى صناديق من حجارة مطبقة فوجدوا قبر عزير مكتوبا على ظهره اسمه فعالجوه ليفتحوه فلم يقدروا أن يخرجوه من قبره فرجعوا الى عيسى فأخبروه فدعا لهم اناء فيه ماء وقال لهم انضحوا قبره بهذا الماء ففعلوا فانفتح الطبق فأتوا به عيسى وهو فى أكفانه والارض لا تأكل أجساد الانبياء ثم انه نزع ثيابه عنه ثم جعل ينضح على جسده الماء ولحمه وشعره ينبت ثم قال احى يا عزير باذن الله تعالى فاذا هو جالس وكل ذلك تراه أعينهم فقالوا العزير ما تشهد لهذا الرجل يعنون عيسى فقال أشهد أنه عبد الله ورسوله فقالوا يا عيسى ادع لنا ربك يبقيه لنا يكون بين أظهرنا حيا فقال عيسى ردوه الى قبره فردوه الى قبره فعاد ميتا فآمن بعيسى ابن مريم من آمن وعاند من عاند قال الكلبى كان عيسى يحيى الموتى بياحى يا قيوم (ومنها) اخباره عليه السلام عن الغيوب قال الله عز وجل اخبارا عنه وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم قال الكلبى لما أبرأ عيسى الاكمه والابرص وأحيا الموتى قالوا هذا ساحر ولكن أخبرنا بما نأكل وما ندخر فكان يخبر الرجل بما يأكل فى غدائه وبما يأكل فى عشائه (ومنها) مشيه عليه السلام على الماء يروى أنه خرج فى بعض سياحته ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى فلما انتهى عيسى الى البحر قال بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء فقال الرجل القصير بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء فدخله العجب فقال هذا عيسى روح الله يمشى على الماء وأنا أمشى على الماء قال فانغمس فى الماء فاستغاث بعيسى فتناوله عيسى من الماء وأخرجه وقال له ما قلت يا قصير فأخبره بما خطر بخاطره فقال له عيسى لقد وضعت نفسك فى غير الموضع الذى وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتاب الرجل وعاد الى مرتبته التى وضعه الله فيها فاتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضا وحدثنا الامام أبو منصور الحمشاوى باسناده عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو عرفتم الله حق معرفته لعلمتم العلم الذى ليس بعده جهل وما بلغ ذلك أحد قط قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا قالوا يا رسول الله قد بلغنا أن عيسى ابن مريم مشى على الماء قال نعم ولو ازداد خوفا

الا رأى ... قال اسمعى ... الله ... ابن المبارك امرأة ذات جمال وخلق حسن وهى على غاية من سوء الحال فبعثت أذن لى الدخول عليك وقد سألتها عن اسمها فامتنعت من أن تخبرنى قالت زينب فأذنت الخيزران لها وقالت ما تريد فقلت ما يضرك دخولها فلا بد من فائدة أو ثواب فدخلت المرأة فاذا هى أجمل ما يكون من النساء وأكملهن فوقفت الى جانب الباب وسلمت وقالت أنا مزنة بنت مروان ابن عبد الملك بن محمد الاموى قالت زينب فكنت متكئة فاستويت جالسة وقلت مزنة قاتلك الله ولا حياك ولا رعاك ولا سلمك ولا سلم عليك والحمد لله الذى أزال النعمة عنك وهتك سترك وأهانك بين الناس أتذكرين يا عدوة الله حين أتاك نساء بنى العباس يسألنك بالله ان تكلمى أباك فى دفن ابراهيم بن محمد فوثبت عليهن واسمعتهن أخشن الكلام وأغلظ القول وخرجن على الحالة التى علمت بها قالت زينة فلما سمعت كلامى ضحكت فوالله ما أنسى حسن ثغرها وعلو صوتها بالقهقهة ثم قالت أى بنية عمى أى شئ أعجبك مما صنع الله بى حتى أردت أن تسوئينى والله لقد صحبت بنساء أهلك ما قد

وقد لقيني على الهواء قالوا يا رسول الله ما كالذي أرى أن الرسول تغير فقال ان الله تعالى أمرني أن أبلغ أمته أنه

(ذكر حديث جامع في هذا الباب)

قال وهب بن منبه خرج عيسى عليه السلام يسيح في الارض فصحبه يهودي وكان مع اليهودي رغيفان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى تشاركني في طعامك فقال اليهودي نعم فلما رأى أنه ليس مع عيسى الا رغيف واحد ندم فقام عيسى الى الصلاة فذهب صاحبه وأكل رغيفا فلما قضى عيسى صلاته قدما طعامهما فقال لصاحبه أين الرغيف الآخر فقال ما كان الا رغيف واحد فأكل عيسى رغيفا وصاحبه رغيفا ثم انطلقا فأتيا الى شجرة فقال عيسى لصاحبه لو أنا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال افعل فباتا ثم أصبحا منطلقين فلقيا أعمى فقال له أرأيت ان أنا عالجتك حتى يرد الله عليك بصرك فهل تشكره قال نعم فمسح عيسى بصره ودعا الله فاذا هو صحيح فقال عيسى لليهودي بالذي أراك الاعمى بصيرا كم كان معك من رغيف فقال والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه ومرا فاذا هما بمقعد فقال له عيسى أرأيت ان عالجتك فعافاك الله فهل تشكره قال نعم قال فدعا الله تعالى عيسى فاذا هو صحيح قائم على رجليه فقال صاحب عيسى ما رأيت مثل هذا قط فقال له عيسى بالذي أراك الاعمى بصيرا والمقعد صحيحا من صاحب الرغيف الثالث فحلف له ما كان معه الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه وانطلقا حتى انتهيا الى نهر عجاج فقال عيسى لا أرى جسرا ولا سفينة فخذ بحجزتي من ورائي وضع قدمك موضع قدمي فجعل يمشيا على الماء فقال له عيسى بالذي أراك أمر الاعمى والمقعد ومشيك على الماء من صاحب الرغيف الثالث فقال لا والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى ثم انطلقا فاذا هما بظباء ترعى فدعا عيسى ظبيا فذبحه وشوى منه بعضا وأكلاه ثم ضرب عيسى بقية الظبي بعصاه وقال قم باذن الله عز وجل فاذا الظبي ينفض فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الآخر فقال ما كان الا رغيف واحد فرأيا صاحب بقر فنادى عيسى يا صاحب البقر اجزر لنا من بقرك هذه عجلا فقال ابعث صاحبك اليهودي يأخذه فانطلق اليهودي فجاء به فذبحه وشواه وصاحب البقر ينظر اليه فقال عيسى كلوا ولا تكسروا عظما فلما فرغوا قذف بعظامه في جلده ثم ضربه بعصاه وقال له قم باذن الله فقام العجل وله خوار فقال له عيسى يا صاحب البقر خذ عجلك قال ويحك من أنت قال أنا عيسى ابن مريم قال عيسى السحار ثم فر منه فقال عيسى لصاحبه بالذي أحيا العجل كم كان معك من رغيف فقال ما كان معي الا رغيف واحد فسكت ومضيا حتى دخلا قرية فنزل عيسى في أسفلها واليهودي في أعلاها فأخذ اليهودي عصا عيسى وقال أنا الآن أبرئ المرضى وأحيي الموتى قال وكان ملك تلك القرية مريضا مدنفا فانطلق اليهودي ونادى من يبتغي طبيبا حتى أتى باب الملك فأخبر بوجعه فقال أدخلوني عليه فأنا أبرئه وان رأيتموه قد مات فأنا أحييه فقيل له ان وجع الملك قد أعيا الاطباء قبلك وليس من طبيب يداويه ولا يشفيه الا صلبه فقال أدخلوني عليه فأدخل عليه فضرب الملك بعصاه فمات فجعل يضرب الملك بالعصا وهو ميت ويقول قم باذن الله فلم يقم فأخذ ليصلب فبلغ ذلك عيسى فأقبل عليه وقد رفع على الخشبة فقال لهم عيسى أرأيتم لو أحييت لكم الملك هل تتركون لي صاحبي قالوا نعم فدعا الله عز وجل فأحياه وقام فأنزل اليهودي من الخشبة فقال يا عيسى أنت أعظم الناس علي منة والله لا أفارقك أبدا فقال له عيسى أنشدك الله الذي أحيا الظبي والعجل بعدما أكلناهما وأحيا هذا بعدما مات وأنزلك من على الجذع بعدما صلبت كم كان معك من رغيف قال فحلف بهذا كله وقال والله ما كان معي الا رغيف واحد فقال عيسى لا بأس فانطلقا حتى أتيا قرية عظيمة خربة فيها كنز ثلاث لبنات من ذهب قد حفرتها السباع والدواب فقال الرجل لعيسى هذا المال لك فقال عيسى أجل واحدة لي وواحدة لك وواحدة للذي أكل الرغيف الثالث فقال اليهودي لعيسى أنا صاحب الرغيف الثالث أكلته وأنت تصلي فقال عيسى هي لك كلها فانطلق عيسى وتركه ينظر وهو لا يستطيع أن يحمل منهن واحدة لثقلها عليه فقال له عيسى دعه فان له أهلا يكونون عليه

جعلت

شكرت ولكن يعني على الله تعالى أن كان يعني ذلبته مالك ربا وكان هذا شكرك لله عسل ما أولاك ثم قالت ترتجبه فانصفت ونظرت فاذا هي تبكي فنادت الخيزران بامرأة دخلت باذني فلا تضربي الا باذني وصاحت بجواريها ردوها فرجعت وقالت ما ساقني الا القهر والجهد وسوء الحال قال فنهضت الخيزران وقامت فعانقتها فقالت مالك في موضع من الحال الذي أنا فيه فقالت الخيزران لجواريها عليكن بالحمام على سرعة فدخلوا بها الحمام وأمرت بعض الجواري بخدمتها ثم وافتها بالخلع المذهبة والطيب ثم قامت اليها الخيزران واعتنقتها وأجلستها في المجلس الذي يجلس فيه أمير المؤمنين المهدي وقدمت اليها الموائد فجعلت تأكل وهي تلقمها الى ان اكتفت فغسلت يديها ثم قالت لها الخيزران فهل عندك أحد ينتظرك فقالت مالي أحد فقالت الخيزران فقومي فاختاري لك مقصورة من مقاصيري فاسكني فيها عندي ولا نفترق حتى يفرق بيننا الموت فقامت وطافت فاختارت أوسعها وأنزهها فحول اليها جميع ما تحتاج اليه من الفرش والملابس الحرير والرفيق ثم قالت

فجعلت نفس اليهودي تتطلع الى المال وهو يكره أن يعصي عيسى ويكره حمل المال فانطلق مع عيسى فبينما هو كذلك اذ مر بالمال ثلاثة نفر فأقاموا عليه فقال اثنان منهما لصاحبهما الثالث انطلق الى بعض هذه القرى فأتنا بطعام وشراب ودواب نحمل عليها هذا المال فلما ذهب صاحبهما قال أحدهما للآخر هل لك أن نقتله اذا رجع ونقسم المال بيننا قال نعم وقال الذي ذهب في نفسه أنا أجعل في الطعام سما فاذا أكلاه ماتا ويصير المال كله لي ففعل ذلك فلما رجع اليهما وثبا عليه فقتلاه ثم أكلا الطعام الذي جاء به اليهما فماتا فمر بهم عيسى عليه السلام وهم حوله مقتولون فقال لا اله الا الله هكذا تصنع الدنيا بأهلها ثم ان عيسى أحياهم باذن الله فاعتبروا وتابوا ولم يأخذوا من المال شيئا فتطلعت نفس اليهودي صاحب عيسى الى المال فقال أعطني المال فقال عيسى خذه لك فهو حظك في الدنيا والآخرة فلما ذهب ليحمله خسف به الارض فانطلق عيسى عليه السلام ((ومنها نزول المائدة)) قال الله تعالى اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين الآية واختلف العلماء في صفة نزول المائدة وكيفيتها وما كان عليها فروى قتادة عن جابر عن عمار بن ياسر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نزلت المائدة عليها خبز ولحم وذلك أنهم سألوا عيسى طعاما يأكلون منه ولا ينفد قال فقال اللهم اني فاعل ذلك وانها مقيمة لكم ما لم تخبؤا أو تخونوا فان فعلتم ذلك عذبتم قال فما مضى يومهم حتى خانوا وخبؤا وفي بعض الروايات أن بعضهم سرق منها وقال لعلها لا تنزل أبدا فرفعت ومسخوا قردة وخنازير وقال ابن عباس قال عيسى لبني اسرائيل صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا ثلاثين يوما فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا لو عملنا لاحد فقضينا عمله أطعمنا طعاما وانا صمنا وجعنا فادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء ولبس عيسى المسوح وافترش الرماد ثم دعا الله تعالى فقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء الآية فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات ووضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وروى عطاء بن السائب وغيره أنه كانت المائدة اذا وضعت لبني اسرائيل اختلفت عليها الايدي فيها كل الطعام الا اللحم وقال عطية العوفي نزلت سمكة من السماء فيها طعم كل شيء وقال قتادة كانت مائدة تنزل من السماء وعليها ثمر من ثمار الجنة وكانت تنزل عليهم بكرة وعشية حيث كانوا كالمن والسلوى لبني اسرائيل وقال وهب أنزل الله أقرصة من شعير وحيتانا فقيل لوهب ما كان ذلك يغني عنهم من شيء قال بلى ولكن الله ضعف لهم البركة فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويجيء آخرون فيأكلون حتى أكلوا بأجمعهم وفضل وقال كعب الاحبار نزلت مائدة من السماء منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل طعام الا اللحم وقال مقاتل والكلبي استجاب الله لعيسى عليه السلام فقال اني منزلها عليكم كما سألتم فمن أكل من ذلك الطعام ثم لم يؤمن جعلته مثلا ولعنة وعبرة لمن بعدهم قالوا قد رضينا فدعا شمعون الصفا وكان أفضل الحواريين فقال هل معك طعام فقال معي سمكتان صغيرتان وستة أرغفة فقال علي بها فقطعها عيسى قطعا صغارا وقال اقعدوا في روضة وترافقوا رفاقا كل رفقة عشرة ثم قام عيسى ودعا الله تعالى فاستجاب له وأنزل فيها البركة فصار خبزا صحاحا وسمكا صحاحا ثم قام عيسى يمشي فجعل يلقي في كل رفقة ما حملت أصابعه ثم قال كلوا بسم الله فجعل الطعام يكثر حتى بلغ ركبهم فأكلوا ما شاء الله وفضل والناس خمسة آلاف ونيف وقال الناس جميعا نشهد أنك عبد الله ورسوله ثم سألوه مرة أخرى فأنزل الله خمسة أرغفة وسمكتين فصنع بهما ما صنع في المرة الاولى فلما رجعوا الى قراهم ونشروا هذا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقال ويحكم انما سحر أعينكم فمن أراد الله به الخير ثبته على بصيرة ومن أراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا قردة وخنازير ليس فيهم صبي ولا امرأة فمكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ وروي عن عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي أنه قال والله ما تبع عيسى من المساوي ولا انتهر يتيما ولا قهقه ضحكا ولا ذب ذبابا عن

الخيزران ان هذه امرأة منها الضرر وأورثها الفقر ما لا تقدر عليه ولا تحتمل ما في قلبها الا المال احملوا اليها خمسمائة ألف درهم فحمل اليها ذلك ثم دخل المهدي في آخر الامر فقال ما بالكم فنهضت اليه زينب وأعلمته بجميع ما جرى وما قالت حين دخلت عليها فغضب غضبا شديدا وقال هذا سجود لله تعالى شكرا على ما أنعم عليك فوالله لولا أنك حرمة لاحلفن أن لا آكلك أبدا فقالت يا أمير المؤمنين قد طاب قلبها واعتذرت اليها ووهبت منها الخيزران كذا وكذا فسره ذلك وقال احملوا اليها من عندي مائة ألف درهم وقال للخادم كان على رأسه بلغها مني السلام وقل لها اني ما سررت بشيء مدة دهري كسروري اليوم بمقامك عندنا ولولا احتشامك لسرت اليك مسلما عليك قاضيا لحقك قال فلما مضى الخادم بالرسالة جاءت الى المهدي وسلمت عليه وقالت ما على أمير المؤمنين مني احتشام فاني صرت من جواريه فقال أمير المؤمنين لا والله بل أعز من ولدي قال فلم تزل المرأة عند الخيزران حتى ماتت رحمة الله تعالى عليها وعلى الخيزران وعلى أمير المؤمنين المهدي وجزاهم الله تعالى

وجهه ولا أخذ على أنفه من نتن شيأ قط ولا عبث قط ولما سأله الحواريون أن ينزل عليهم المائدة صنوة
قال اللهم أنزل علينا مائدة من السماء الآية وارزقنا عليها طعاما نأكل وأنت خير الرازقين فنزلت سفرة
حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوى منقضة حتى سقطت
بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وهم
ينظرون اليها فنظروا الى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا أطيب من رائحته ذلك فقال عيسى ليقم أحسنكم
عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله ويأكل منها فقال شمعون الصفار رأس الحواريين أنت أولى بذلك منا
فقام عيسى وتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو
سمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك فيها تسيل سيلا نامن الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل
وحواليها من أنواع البقول ماخلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل
وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون ياروح الله أمن طعام الدنيا هذا أم
من طعام الآخرة فقال عيسى عليه السلام ليس ما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكن
اخترعه الله بالقدرة الغالبة كلوا مما سألتم يمددكم ويزدكم من فضله قالوا ياروح الله لو أريتنا من هذه الآية
آية أخرى فقال عيسى ياسمكة احيي باذن الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها
فقال عيسى مالكم تسألون أشياء اذا أعطيتموها كرهتموها ثم قال فما أخوفني عليكم أن تعذبوا ياسمكة
عودي كما كنت باذن الله فعادت السمكة مشوية كما كانت قالوا ياروح الله كن أول من يأكل منها ثم
نأكل نحن فقال عيسى معاذ الله أن آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها
عيسى أهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمبتلين وقال كلوا من رزق الله ولكم الهناء ولغيركم
البلاء فأكلوا منها وصدر عنها ألف وثلثمائة رجل وامرأة من فقير وزمن ومريض ومبتلى كلهم شبعان
يتجشأ ثم نظر عيسى الى السمكة فاذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة صعدا وهم
ينظرون اليها حتى توارت عنهم فلم يأكل منها يومئذ مريض الابرئ ولا زمن الاصح ولا مبتلى الاعوفي ولا
فقير الا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات وندم الحواريون ومن لم يأكل وكانت اذا نزلت اجتمع الاغنياء
والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يزدحمون عليها فلبثت أربعين صباحا تنزل ضحى فلا تزال
منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفيء طارت صعدا وهم ينظرون حتى تغيب عنهم وكانت تنزل غبا تنزل
يوما ولا تنزل يوما كناقة ثمود فأوحى الله الى عيسى أن اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الاغنياء فعظم
ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا أترون المائدة تنزل من السماء حقا فقال لهم
عيسى هلكتم فشمروا لعذاب الله فأوحى الله تعالى الى عيسى انى شرطت على المكذبين شرطا أن من
كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم
عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا باتوا من ليلتهم على
الفرش مع نسائهم في ديارهم فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون القاذورات في
الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى بن مريم وبكوا وبكى على الممسوخين أهلوهم فلما أبصرت
الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف به فجعل عيسى يدعوهم بأسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون
برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا (ومنها) ماروي أن عيسى عليه السلام مر
على رجل جالس عند قبر وكان يكثر المرور به فيجده جالسا فقال يا عبد الله أراك تكثر الجلوس عند هذا القبر
فقال ياروح الله هذه امرأة كان لي من جمالها وموافقتها كيت وكيت ولي عندها وديعة قال أفتحب أن
ادعو الله فيحييها لك قال نعم فتوضأ عيسى وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل فاذا أسود قد خرج من القبر
كأنه جذع محترق فقال له من أنت فقال يارسول الله أنا رجل في عذاب منذ أربعين سنة فلما كنت في
هذه الساعة قيل لي أجب فأجبت ثم قال يارسول الله قد مر على من أليم العذاب أما أن ردني الله الى الدنيا

حسن معروفهم ومكارم أخلاقهم خيرا ((ولما حج أمير المؤمنين المنصور رحمه الله تعالى عليه)) عرض عليه جوهر نفيس له قيمة عظيمة الثمن فعرفه وقال هذا كان لهشام بن عبد الملك بن مروان ثم انتقل الى ابنه محمد بن هشام وما بقي من الامويين غيره ولا بد لي منه ثم التفت الى حاجبه الربيع وقال اذا كان الغد وصليت بالناس في المسجد الحرام وجمع الناس كلهم فاغلق الابواب ووكل بها جماعة من الثقات وافتح بابا واحدا وقف عليه ولا يخرج أحد حتى تعرفه فاذا ظفرت بمحمد بن هشام فأتني به فلما كان الغد أغلق الربيع الابواب وفعل ما أمره به المنصور وكان محمد ابن هشام في المسجد فعرف أنه المطلوب وأيقن أنه مأخوذ مقتول فتحير وارتاب واضطرب فبينما هو على تلك الحالة اذ أقبل محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فلما رآه متحيرا وكان لا يعرفه تقدم اليه وقال ياهذا ما بالك فقال لا شيء فقال قل ولك أمان الله على نفسك فقال أنا محمد بن هشام ابن عبد الملك فمن أنت قال محمد بن زيد بن علي بن الحسين فزاد خوفه وطار عقله وأيقن بالموت فقال

أعطيته عهدا أن لا أعصيه أبدا فادع الله لي فرق له عيسى عليه السلام ودعا الله عز وجل ثم قال له امض فمضى فقال صاحب القبر يا رسول الله لقد غلطت بالقبر إن القبر ما هذا فدعا الله عيسى عليه السلام فخرجت من ذلك القبر امرأة شابة جميلة فقال له عيسى أتعرفها قال نعم هذه امرأتي فدعا الله عيسى حتى ردها عليه فأخذ الرجل بيدها حتى انتهيا إلى شجرة فنام تحتها ووضع رأسه في حجرها فمر بها ابن الملك فنظرها ونظرت إليه وأعجب كل واحد منهما بصاحبه فأشار إليها فوضعت رأس زوجها عن حجرها واتبعت الفتى فاستيقظ زوجها فافتقدها فلم يجدها فطلبها فدل عليها فتعلق بها وقال امرأتي فقال الفتى هي جاريتي فبينما هم كذلك إذ طلع عيسى عليه السلام فقال الرجل هذا عيسى ثم قص عليه القصة فقال لها عيسى ما تقولين قالت أنا جارية هذا ولا أعرف هذا فقال لها عيسى ردي علينا ما أعطيناك قالت قد فعلت فسقطت مكانها ميتة فقال عيسى هل رأيتم أعجب من هذا رجل أماته الله كافرا ثم بعثه فآمن وهل رأيتم امرأة أماتها الله مؤمنة ثم أحياها فكفرت (ومنها) رفعه إلى السماء إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا الآية وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم إلى قوله تعالى بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما (روى) الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وأمه فلما رأى ذلك عيسى دعا عليهم فقال اللهم أنت ربي وأنا من روحك خرجت وبكلمتك خلقت ولم آتهم من تلقاء نفسي اللهم العن من سبني وسب أمي فاستجاب الله دعاءه ومسخ الذين سبوه وأمه خنازير فلما رأى ذلك رأس اليهود وأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى فاجتمعوا عليه ذات يوم وجعلوا يسألونه فقال يا معاشر اليهود إن الله يبغضكم فغضبوا من مقالته غضبا شديدا وثاروا عليه ليقتلوه فبعث الله تعالى إليه جبريل عليه السلام فأدخله خوخة وأراه في سقفها ورفعه الله تعالى من روزنته فأمر رأس اليهود رجلا من أصحابه يقال له فلطيانوس أن يدخل الخوخة فيقتله فلما دخل فلطيانوس لم ير عيسى فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها فألقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا أنه عيسى فقتلوه وصلبوه وقال وهب إن عيسى لما أعلمه الله تعالى أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحواريين وصنع لهم طعاما وقال احضروني الليلة فإن لي إليكم حاجة فلما اجتمعوا إليه من الليل عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضئهم ويمسح أيديهم بثيابه فتعاظموا ذلك وتكارهوه فقال ألا من رد علي شيئا مما أصنع فليس مني ولا أنا منه فأقروه حتى إذا فرغ من ذلك قال لهم أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي فليكون لكم بي أسوة فإنكم ترون أني خيركم فلا يتعاظم بعضكم على بعض وليبذل بعضكم نفسه لبعض كما بذلت نفسي لكم وأما الحاجة التي استعنتكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا أرسل الله عليهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله ما تصبرون لي ليلة واحدة وتعينوني فيها فقالوا والله ما ندري ما لنا لقد كنا نسهر فنكثر السهر وما نطيق الليلة سهرا وما نريد دعاء إلا حيل بيننا وبينه فقال يذهب الراعي وتتفرق الغنم وجعل يأتي بكلام مثل هذا ينعى نفسه ثم قال ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني أحدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا هذا من أصحابه فجحد وقال ما أنا من أصحابه فتركوه ثم أخذه آخر فجحده كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه ذلك فلما أصبح أتى أحد الحواريين أولئك اليهود فقال لهم ما تجعلون لي إن دللتكم عليه فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فأخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون أنت كنت تحيي الموتى وتبرئ الأكمه والأبرص أفلا تفك نفسك من هذا الحبل ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك ثم إنهم نصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فلما أتوا به إلى الخشبة ليصلبوه أظلمت الأرض وأرسل الله الملائكة فحالوا بينهم وبين

لا تجزع فإنك لست قاتل أبي ولا جدي وليس لي عليك ثأر وأنا أجتهد في خلاصك إن شاء الله تعالى ولكن اعذرني فيما أنا صانع بك من مكروه وقبيح فطرح رداءه على وجهه وغطى رأسه وجذب به إلى قريب من الربيع فقال يا أبا الفضل إن هذا الخبيث جمال من أهل الكوفة أكراني جماله فلما دفعت إليه الأجرة هرب مني وأكرى جماله لبعض أهل خراسان ولي عليه شهود وأريد منك أن توصله معي إلى القاضي وتمنع جماله عن الذهاب مع الخراسانيين فوكل به الربيع رجلين وقال لا تفارقاه إلى القاضي ومحمد قابض على الرداء وقد استتر وجهه وخرجوا جميعا من المسجد فلما بعدوا من الربيع قال له محمد ويلك وما يفعل الفجور فقال يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجعت إلى الحق واعترفت لك فقال محمد للرسولين انصرفا عنه فقد اعترف بالحق فتركاه وانصرفا عنه فلما بعدا عنه قال محمد اذهب إلى سبيلك فقبل محمد ابن عثمان يده ورأسه وقال الله أعلم حيث يجعل رسالته ثم أخرج جوهرا قيمته كثيرة وقال له تعالى يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شرفني بقبول هذا فقال له اذهب عنا فنحن أهل بيت لا نقبل على

عيسى وألقى شبه عيسى على الذي دلهم عليه واسمه يهوذا فصلبوه مكانه وهم يظنون انه عيسى وتوفى الله عيسى ثلاث ساعات ثم رفعه الى السماء فذلك قوله تعالى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا فلما صلب الذى هو شبه عيسى جاءت مريم أم عيسى وامرأة كان عيسى دعا لها وأبرأها من الجنون يبكيان عند المصلوب فأتاهما عيسى وقال على من تبكيان فقالتا عليك فقال ان الله تعالى رفعنى فلم يصبنى الا خير وان هذا شخص شبه لهم (وقال مقاتل) ان اليهود وكلوا بعيسى رجلا يكون عليه رقيبا يدور معه حيثما دار فصعد عيسى الجبل فجاء الملك فرفعه الى السماء وألقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب فظن اليهود أنه عيسى فأخذوه وكان يقول لهم انى لست عيسى انى فلان بن فلان فلم يصدقوه فقتلوه وصلبوه قال قتادة ذكر لنا ان نبى الله عيسى قال لاصحابه أيكم يقذف عليه شبهى فانه مقتول فقال رجل من القوم أنا يانبى الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه وقيل ان الذى شبه بعيسى وصلب مكانه رجل اسرائيلى يسمى أشبوع بن قنديرا والله أعلم

((ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة أيام))

(قال وهب) وغيره من أهل الكتب لما رفع الله عيسى عليه السلام ابث فى السماء سبعة أيام ثم قال الله له ان أعداءك اليهود أعجلوك عن العهد الى أصحابك فانزل عليهم وأوصهم واهبط على مريم المجدلانية فانه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها فانزل عليها وأخبرها انها أول من تلحق بك ثم مرها أن تجمع لك الحواريين فتبثهم فى الارض دعاة الى الله تعالى وكانت قصة مريم المجدلانية أنها كانت من بنى اسرائيل فى قرية من قرى انطاكية يقال لها مجدلان وكانت امرأة جميلة وكانت تستحاض ولا تطهر فخطبها أشراف بنى اسرائيل فامتنعت فظنوا أنها ترفعت بنفسها عنهم ولم يكن ذلك تزهدا وانما أرادت اخفاء علتها فلما سمعت بعيسى عليه السلام وبما كان يشفى الله على يديه من المرضى والزمنى أقبلت اليه رجاء الشفاء فلما رأت عيسى وما ألبسه الله من الهيبة استحيت وانصرفت الى ورائه ووضعت يدها على ظهره فقال عيسى لقد مسنى ذو عاهة بنية حسنة ولقد أعطاه الله مارجاه وطهرها بطهارتى فاذهب الله عنها ما بها ورأت وطهرت فلما أمر الله عيسى بالنزول عليها نزل بعد سبعة أيام من رفعه هبط عليها واشتعل الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحواريين فبثهم فى الارض دعاة الى الله ثم رفعه الله وكساه الريش وألبسه النور وقطع منه شهوة المطعم والمشرب فهو يطير مع الملائكة حول العرش وكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا وتفرق الحواريون حيث أمرهم فتلك الليلة التى أهبط فيها هى الليلة التى يدخرها النصارى قالوا فوجه بطرس الى رومية وأندراوس ومتى الى الارض التى يأكل أهلها الناس وتوما وليا الى أرض المشرق وفيلبس ويهوذا الى القيروان وافريقية ويحنى الى افسوس قرية أصحاب الكهف ويعقوب الى اورشليم وهى ايلياء أرض بيت المقدس وبرثولماوس الى الاعرابية وهى أرض الحجاز وشمعون الى أرض بربر فأصبح كل واحد من الحواريين الذين بعثهم يتحدث بلغة من أرسله عيسى اليهم (قال ابن اسحق) ثم عمد اليهود الى بقية الحواريين أصحاب عيسى يشتمونهم ويعذبونهم ويطوفون بهم فسمع بذلك ملك الروم وكان صاحب وثن فقيل له ان رجلا كان فى هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بنى اسرائيل عدوا عليه فقتلوه وكان يخبرهم أنه رسول الله وقد أحيا لهم الموتى وأبرأ لهم الاسقام وخلق لهم من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طيرا باذن الله وأخبرهم بالغيب وأراهم العجائب فقال ملك الروم فما منعكم أن تذكروا لى من أمره فوالله لو علمت لحلت بينه وبينهم ثم انه بعث الى الحواريين فانتزعهم من أيديهم فلما أتوه سألهم عن دين عيسى فأخبروه بخبره فبايعهم على دينه واستنزل شبه عيسى والخشبة التى صلب عليها فأكرمها وصانها لما مسها منه وعزا بنى اسرائيل فقتل منهم خلقا كثيرا فمن هنالك كانت أصل النصرانية فى الروم (وقال أهل التوراة) حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدت عيسى ببيت لحم من أرض أورشليم لمضى خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على بابل ولاحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين وأوحى الله اليه

اصطناع المعروف مكافأة رضى الله تعالى عنهم (وقيل للاحنف بن قيس) ممن تعلمت الحلم قال من قيس ابن عاصم رأيته يوما من الايام قاعدا بفناء داره متقلدا بحمائل سيفه يحدث قومه فبينما هو كذلك اذ أتى برجلين أحدهما مقتول والآخر مكتوف فقيل له هذا ابن أخيك قد قتل ابنك قال فوالله ماقطع كلامه ولا افتعل ثم التفت الى ابن أخيه وقال يا ابن أخى أثمت بربك ورميت نفسك بسهمك وقتلت ابن عمك ثم قال لابنه الآخر يابنى قم وادفن أخاك وحل كتاف ابن عمك وسق الى أمك مائة ناقة دية ولدها فانها غريبة منا (وروى عنه أيضا) انه جلس فى داره يوما على المائدة ومعه ولد صغير فجاءت جارية بسفود عليه شواء حار فسقط السفود منها فوقع على الولد فمات من وقته ودهشت الجارية وتغير لونها فقال لا بأس عليك أنت حرة لوجه الله تعالى وهذا من مكارم الاخلاق رضى الله تعالى عنه ((ولما جاء معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنه)) لم يترك شيأ لا قدم به الى مكة والمدينة من دراهم ودنانير وثياب وطيب ودواب وغير ذلك فلما قدم المدينة قسم على أهلها أكثر من أهل مكة

على رأس ثلاثين سنة ورفعه من بيت المقدس اليه ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين والله أعلم

((ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليهما السلام))

(قال وهب) لما أراد الله تعالى أن يرفع عيسى عليه السلام آخى بين الحواريين فأمر رجلين منهم يقال لاحدهما شمعون الصفار وللآخر يحيى أن يلتزما أمه ولا يفارقاها فانطلقا ومعهما مريم الى ماروت ملك الروم يدعونه الى الله تعالى وقد بعث الله تعالى اليه قبل ذلك يونس عليه السلام فلما أتوه امر بشمعون واندراوس فقتلا وصلبا منكسين وهربت مريم ويحيى حتى اذا كانا في بعض الطريق لحقهما الطلب نخافا فانشقت لهما الارض فغابا فيها واقبل ماروت ملك الروم وأصحابه فحفروا ذلك الموضع فلم يجدوا شيأ فردوا التراب على حاله وعلموا أنه أمر من الله تعالى فسأل ملك الروم عن حال عيسى فأخبروه به فأسلم كما ذكرنا والله أعلم

((ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان))

قال الله تعالى وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها الآية وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى عليه السلام في القرآن قال نعم قوله وكهلا وهو لم يكن يكهل في الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء (أخبرنا) أبو صالح شعيب بن محمد البيهقي باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم عليهما السلام لانه لم يكن بيني وبينه نبي ويوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا وانه نازل على أمتي وخليفتي عليهم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن رأسه يقطر ولم يصبه بلل ينزل بين ممصرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال ويهل من الروحاء حاجا أو معتمرا أو بهما جميعا ويقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك في زمانه الملل كلها غير الاسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال وتقع الامنة في الارض حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضا ثم يلبث في الارض أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه في المدينة بجنب عمر اقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا أي قبل موت عيسى يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات (وأخبرنا) محمد بن القاسم الفارسي باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أهبط الله المسيح عيسى يعيش في هذه الامة ما يعيش ثم يموت في مدينتي هذه ويدفن الى جانب قبر عمر وطوبى لابي بكر وعمر يحشران بين نبيين (وأخبرني أبي) قال حدثني الحسين بن أحمد بن محمد بن علي باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يهلك الله أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها والمهدي من أهل بيتي في وسطها

((باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليهم السلام الى انطاكية وذلك في أيام ملوك الطوائف))

قال الله تعالى واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون يعني رسل عيسى عليه السلام اذ أرسلنا اليهم اثنين واختلفوا في اسميهما فقال ابن اسحق وروص وروماص وقال وهب يحيى ويونس وقال مقاتل تومان ومالوس وقال كعب صادق وصدوق فكذبوهما فعززنا بثالث أي قوينا برسول ثالث وهو شمعون الصفار رأس الحواريين في قول أكثر المفسرين وقال كعب اسمه شلوم وقال مقاتل سمعان (قالت) العلماء بأخبار الانبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى مدينة انطاكية فلما قربا من المدينة أتيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه وقال من أنتما قالا رسولا عيسى عليه السلام يدعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن قال أمعكما آية قالا نعم نحن نبرئ المريض ونشفي

وبعث الى رجل من الانصار بألف درهم وعشرة أثواب وكان الرجل الانصاري من أهل بدر فأتاه الرسول بذلك العطاء فغضب وقال أما وجد معاوية من يرسل اليه بمثل هذا العطاء غيري اردده عليه فقال الرسول لا أقدر على ذلك فدعا الانصاري ابنا له وقال يا بني أسألك بحق عليك الا رددت هذا العطاء على معاوية وضربت بهذه الثياب وجهه وأخذها ابن الانصاري وأتى الى معاوية فعرف معاوية الشر في وجهه فقال ما تريد فقال ان أبي يقرئك السلام ويقول أمثلي ترسل اليه بمثل هذا العطاء فقال معاوية من الرسول الى أبيك فقال فلان فقال والله انما هذا العطاء لغير أبيك وعطاء أبيك دفعه الى رجل غيره ثم قال يا غلام علي بعشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا ووصيفا ووصيفة مسرعا فحضر الجميع وقال يا ابن أخي خذ الجميع وعد الى أبيك واعتذر من أبيك وعرفه خطأ الرسول فقال يا أمير المؤمنين ان للوالد حقا وله أمر مطاع وقد أمرني أن أوصل شيأ قال معاوية ماهو يا ابن أخي قال انه دفع الى الثياب وقال بحقي عليك الا ضربت بها وجهه فقال معاوية يا ابن أخي أطع والدك وارفق بعمك فتقدم

الاكمه والابرص باذن الله فقال الشيخ ان لي ابنا مريضا صاحب فراش منذ سنين فالا فانطلق بنا الى منزلك فنطلع على حاله فأتى بهما الى منزله فلما نظر الى ولد الشيخ وهو في تلك الحالة قربا اليه ودعيا الله ومسحاه بايديهما فقام من الوقت باذن الله صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على يديهما كثيرا من المرضى وكان في مدينة انطاكية فرعون من الفراعنة يعبد الاصنام يقال له ملاخين (وقال وهب) اسمه انطيخس وكان من ملوك الروم فانتهى الخبر الى الملك فدعاهما اليه وقال لهما من أنتما قالا رسولا عيسى قال وما آيتكما قالا نبرئ الاكمه والابرص ونشفي المرضى باذن الله تعالى قال وفيم جئتما قالا جئناك ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر قال الملك أولنا اله سوى آلهتنا قالا نعم قال من قالا من أوجدك يعد عد ملك وآلهتك قال قوما حتى انظر في أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما في السوق (وقال وهب) بعث عيسى هذين الرجلين الى انطاكية فأتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك فأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة قالوا فلما كذب الرسولان وضربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفار على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه ورضى عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك انه بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فلما حضرا بين يديه قال لشمعون استخبرهما فقال شمعون لهما من أرسلكما الى ههنا قالا الله الذي خلق كل شيء فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا فقالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه نبرئ الاكمه والابرص ونشفي المرضى ونحيي الموتى باذن الله قال فأمر الملك فجيء بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان الله تعالى حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت الهك حتى يصنع لك صنيعا مثل هذا فيكون لك الشرف ولالهك فقال الملك ليس لي عنك سر اعلم ان الهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل لدخوله ويصلي كثيرا ويتضرع حتى ظنوا انه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان الهكما الذي تعبدانه يقدر على احياء ميت قالا الهنا يقدر على كل شيء فقال الملك ان ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن الدهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان أبوه غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو سرا فقام الميت وقال لهم اني قد مت منذ سبعة أيام مشركا فأدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله ثم قال ان أبواب السماء فتحت لي فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة فقال شمعون وهذان وأشار الى صاحبيه فتعجب الملك فلما علم شمعون ان قولهم قد أثر في الملك أخبره بالحال ودعاه فآمن قوم وكان الملك ممن آمن وكفر آخرون (وقال) كعب ووهب بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيب بن مرى صاحب يس (وقال) ابن عباس ومقاتل اسمه حبيب بن اسرائيل النجار قال وهب وكان سقيما قد أثر فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب مدينة انطاكية وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه اذا أمسى فيقسمه نصفين يطعم نصف عياله ويتصدق بالنصف الآخر فلما بلغه أن قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم وكان قبل ذلك يكتم ايمانه ويعبد ربه في غار فلما أتاه خبر الرسل أظهر دينه وذكر قومه ودعاهم الى طاعة المرسلين كما أخبر الله تعالى في كتابه وذلك قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى الى قوله مهتدون فقال له قومه أوأنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون الى قوله اني آمنت بربكم فاسمعون فلما قال لهم ذلك وثبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن أحد يدفع عنه وقال عبد الله بن مسعود وطؤه بأرجلهم حتى خرج

ويوهم الناس أنه ابنه وأحسن بذلك وهو من حسن أخلاقهم (وقيل) دخل بعض اللصوص الى دار خالد بن أيوب وهو قائم يصلي بالليل فجمع اللص جميع ما في البيت من قماش وغيره وشده وجعله على رأسه وخالد ينظر اليه ولا يكلمه ثم خرج اللص من البيت الى الحائط يريد النهوض فلم يقدر على ذلك فقال له خالد يا ابن أخي خذ المفتاح وافتح الباب واخرج فانك محتاج الى ذلك فقال ان مثلك والله لن يؤذى ثم ترك ما كان أخذه وتاب الى الله تعالى (وحكى بعضهم) قال كان لعبد الله ابن الزبير أرض مجاورة لأرض معاوية بن أبي سفيان وكان في كل أرض عبيد لعمارتها فدخل عبيد معاوية في أرض عبد الله بن الزبير وغصبوا منها قطعة فكتب عبد الله ابن الزبير الى معاوية أما بعد يا معاوية فان عبيدك قد غصبوا أرضي فأمرهم بان يكفوا عنها والا كان لي ولكم شأن فلما وقف معاوية على كتابه دفعه الى ولده يزيد فلما قرأه قال ما ترى يا يزيد قال أرى ان تبعث له جيشا أوله عنده وآخره عندك يأتيك برأسه فقال غير ذلك منه فقال معاوية

قصبه من دبره وقال السدي كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى قطعوه وقتلوه (وقال) الحسن خرقوا اشرقه حلقه وعلقوه في سور المدينة ودفنوه في سوق انطاكية فاوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى قيل ادخل الجنة فلما أفضى الى جنة الله وكرامته قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين قالوا فلما قتل حبيب غضب الله عليهم وعجل لهم النقمة وأمر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين على غيرهم من كفار الامم ان كانت الاصيحة واحدة فاذاهم خامدون أي ميتون (أخبرنا) أبو بكر الحمشاوي باسناده عن ابن أبي ليلى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار من آل يس وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو أفضلهم

((قصة يونس بن متى عليه السلام))

قيل متى أمه ولم ينسب أحد من الانبياء الى امه الا عيسى بن مريم ويونس بن متى عليهما السلام وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لا ينبغي لاحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى قال الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا الآيات قالت العلماء باخبار القدماء كان يونس رجلا صالحا يتعبد في جبل وكان في قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم يونس ابن متى عليه السلام بالنهي عن الكفر والامر بالتوحيد وكان يونس عليه السلام رجلا صالحا لا يصبر على الناس فلحق بالجبل يعبد الله تعالى فيه وكان حسن القراءة يستمع الى قراءته الوحش كما كان لداود في زمانه وكان يعتريه حدة ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون مثله لخفة وعجلة ظهرت منه قال الله تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وقال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت لانه كان قليل الصبر على قومه والمداراة لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يونس بن متى فيه عجلة وخفة فلما حمل أعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل ولذلك السبب ذهب مغاضبا (واختلف العلماء) في صفة مغاضبته وسبب ذلك ووقته فقال قوم ذهب مغاضبا لقومه وهي رواية الضحاك والعوفي عن ابن عباس قال كان يونس بن متى وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف وكانوا اثني عشر سبطا فيهم النبوة والملك فأوحى الله تعالى الى شعيا النبي أن سر الى حزقيا الملك وقل له يوجه نبيا قويا أمينا فاني ألقي الخوف في قلوب أولئك الاسباط حتى يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس فانه قوي أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج فقال له يونس هل أمرك الله باخراجي قال لا قال هل سماني لك قال لا فقال ههنا غيري أنبياء أقوياء أمناء فألحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي والملك ولقومه فأتى بحر الروم وكان من أمره ما كان وقال الحسن البصري انما غاضب ربه من أجل انه أمره بالمسير الى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسأل ربه أن ينظره ليتأهب للشخوص اليهم فقال له الامر أسرع من ذلك ولم ينظره حتى سأل أن ينظر الى أن يأخذ نعله يلبسها فقيل له نحو القول الاول وكان رجلا في خلقه ضيق فقال أعجلني ربي أن آخذ نعلي فذهب مغاضبا وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال أتى جبريل يونس عليه السلام فقال له انطلق الى أهل نينوى فأنذرهم أن العذاب قد حضرهم ان لم يتوبوا قال له التمس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب وانطلق الى البحر وركب سفينة وكان من أمره ما كان فعلى هذه الاقوال كانت رسالة يونس بعد نجاته من بطن الحوت قال ابن عباس انما كانت رسالة يونس بعد أن نبذه الحوت ودليل هذا القول أن الله تعالى ذكر قصة يونس في سورة الصافات ثم عقبها بقوله وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وقال آخرون بل كانت قصة الحوت بعد دعائه قومه وتبليغه الرسالة وانما ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عنهم العذاب بعدما أوعدهم به وذلك أنه كره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الكذب والخلف فيما أوعدهم ولم يعلم السبب الذي رفع به عنهم العذاب والهلاك فخرج مغاضبا قال والله لا أرجع اليهم كذابا أبدا أوعدتهم

هنيدي خير من ذلك يا بني قال ما هو يا أبت فقال علي بدواة وقرطاس فكتب فيه قد وقفت على كتاب ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءني والله ما ساءه والدنيا وما فيها هينة في جنب رضاك وقد كتبت على نفسي مسطورا أشهدت فيه الله وجماعة من المسلمين على ان الارض والعبيد الذين فيها ملكك فضمها الى أرضك والعبيد الى عبيدك والسلام قال فلما قرأه عبد الله بن الزبير كتب اليه يقول قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين لا أعدمني الله بقاءه ولا أعدمه هذا الرأي الذي أحله هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على الكتاب ناوله الى ولده يزيد فلما قرأه تهلل وجهه فرحا فقال له معاوية يا بني اذا بليت بشيء من هذا الداء فداوه بمثل هذا الدواء وانا القوم لم نزل في الحلم الاخيار رضي الله عنه ((وحكى ان المهلب ابن أبي صفرة)) مر بحي من أهل همدان فرآه شاب من أهل الحي فقال هذا المهلب قالوا نعم فقال والله ما يساوي خمسمائة درهم وكان المهلب رجلا أعور فسمعه المهلب فلما كان الليل أخذ المهلب في كمه خمسمائة درهم وأتى الى الحي فارتعب الشاب حين رآه فأتى اليه وقال له افتح

العذاب في يوم وليأتيهم وفي بعض الاخبار أن قومه كان من عادتهم أن يقتلوا من جربوا عليه الكذب فلما لم يأتهم العذاب للميعاد الذي أوعدهم خشي أن يقتلوه فغضب وقال كيف أرجع الى قومي وقد أخلفتهم الوعد ولم يعلم سبب صرف العذاب عنهم لانه قد كان خرج من بين أظهرهم لنزول العذاب قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بعث الله يونس بن متى الى قومه وهو ابن ثلاثين سنة فأقام فيهم يدعوهم الى الله تعالى ثلاثا وثلاثين سنة فلم يؤمن به الا رجلان أحدهما روبيل وكان عالما حكيما والآخر تنوخا وكان عابدا زاهدا (قال ابن عباس) وابن مسعود وغيرهما لما أيس من ايمان قومه دعا عليهم فقيل له ما أسرع ما دعوت على قومك ارجع اليهم فادعهم أربعين ليلة أخرى فان أجابوك والا فاني مرسل عليهم العذاب فرجع ودعاهم سبعا وثلاثين ليلة فلم يجيبوه فقام خطيبا فيهم وقال اني محذركم العذاب الى ثلاثة أيام ان لم تؤمنوا ثم قال لهم ان آية ذلك أن تتغير ألوانكم فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم فقالوا لبعضهم قد نزل بكم ما قال يونس وانا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم الليلة فأمنوا من العذاب وان لم يبت فيكم فاعلموا أن العذاب مصبحكم فلما كانت ليلة الاربعين ورأى يونس تغير ألوانهم علم أن العذاب نازل بهم فخرج من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب (قال سعيد بن جبير) كما يغشى التراب القبر اذا دخل فيه صاحبه وقال مقاتل كان العذاب فوق رؤسهم قدر ميل وقال ابن عباس قدر ثلثي ميل وقال وهب أغامت السماء غيما أسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت أسطحتهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك والعذاب وطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف الله في قلوبهم التوبة وألهمهم الرجوع اليه فخرجوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الايمان والتوبة لله وأخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب والانعام فحن بعضها الى بعض وعلت أصواتهم واختلط حنينهم وعجوا وتضرعوا الى الله وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب دعوتهم وقبل توبتهم وكشف عنهم العذاب بعدما أظلهم وذلك يوم عاشوراء وقيل كان يوم الاربعاء للنصف من شوال قال ابن مسعود وبلغ من توبة أهل نينوى أن ترادوا المظالم بينهم حتى ان الرجل ليأتي الى الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيقتلعه ويرده (وروى) صالح المري عن عمران الجوني عن أبي خالد قال لما غشي قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا يا حي حين لا حي يا حي محيي الموتى لا اله الا أنت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين كما قال تعالى فلولا كانت قرية آمنت أي فلم تكن قرية آمنت وضع التحضيض موضع النفي لان فيه ضربا من الجحد فنفعها ايمانها في وقت اليأس عند معاينة العذاب الا قوم يونس لما آمنوا نفعهم ايمانهم في ذلك الوقت لما علم الله من صدقهم كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين قالوا وكان يونس قد خرج من بين أظهرهم وقام ينتظر العذاب والهلاك لقومه فلم ير شيأ وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل قال يونس كيف أرجع الى قومي وقد كذبتهم وانطلق معاتبا لربه مغاضبا الى قومه وأتى البحر كما قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه أي أن لن نقضي عليه العقوبة تقول العرب قدر الله الشئ يقدره تقديرا وقدره يقدره قدرا وقد قرئ بهما جميعا وقوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وقوله تعالى الذي قدر فهدى هذا قول أكثر المفسرين وقال عطاء معناه وظن أن لا نضيق عليه الحبس من قول الله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي ويضيق وقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه (وقال ابن زيد) هو استفهام معناه أفظن أن لن نقدر عليه وقال الحسن معناه فظن أن يعجز ربه ولا يقدر عليه قال وبلغني أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضبا ربه فاستزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه وكان له سلف وعبادة فأبى الله أن يدعه للشيطان فلما أتى يونس البحر اذا قوم يركبون سفينة فحملوه بغير أجرة فلما دخلها احتبست السفينة ووقفت والسفن تسير يمينا وشمالا فقال الملاحون ان فيها عبدا آبقا من سيده وهذا رسم السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فقال أنا الآبق فقالوا الق في الماء فاقترعوا ثانيا وثالثا فخرجت القرعة على يونس فزج نفسه في الماء وذلك قوله تعالى فساهم فكان

بعوك فقتح الشاب بجرة فصب فيه الخمسمائة درهم وقال خذ قيمة نعلك المهلب والله يا ابن أخي لو قومتني بخمسة آلاف دينار لا تيتك بها فسمع شيخ من أهل الحي فقال والله ما أخطأ فيك من جعلك سيدا (وقال أحمد بن أبي داود) ما رأيت رجلا عرض على الموت ورأى النطع مفروشا والسيف مسلولا ولم يكترث لذلك ولا عدل عما أراد الا تميم بن جميل وقد كان خرج على المعتصم ولقد رأيته وقد جيء به أسيرا مكتوفا وقد اجتمع الناس من الآفاق والنواحي ينظرون كيف يقتله المعتصم وكان المعتصم قد جلس له مجلسا منكرا وأمر الناس بالدخول ودخل تميم وحضر السياف وفرش النطع وكان تميم جميل الوجه تام الخلقة عذب المنطق ورآه المعتصم غير مدهش ولا مكترث لما نزل به فأحب المعتصم أن يستنطقه ليعلم أين عقله في ذلك الوقت فقال له المعتصم ان كان لك عذر يا تميم فأت به فقال أما أنت يا أمير المؤمنين فالحمد لله الذي جبر بك الدين ولم بك شعث المسلمين وأنار بك أستار الحق وأخمد بك شهاب الباطل وان الذنوب يا أمير المؤمنين لتخرس الالسن

من المدحضين فلما وقع في الماء وكل الله به حوتا فابتلعه وأوحى الله تعالى الى الحوت اني لم أجعله لك رزقا بل جعلت لك بطنه سجنا ومسكنا فخذه ولا تكسر له عظما ولا تخدش له لحما وابتلع الحوت حوت آخر فاهوى به الى مسكنه في البحر فالتقمه حوت آخر وانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الايلة ثم مر به على دجلة ثم انطلق به الى نينوى ويقال ان الله تعالى رقق له جلد الحوت حتى كان يرى جميع ما في البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فأوحى الله تعالى اليه وهو في بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا معروفا بأرض مجهولة قال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد لك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك وهو قوله فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت قال ابن عباس ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت سبحانك اني كنت من الظالمين (وروى) سعيد بن المسيب عن سعد بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى فقلت يا رسول الله هي ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين فقال هي ليونس خاصة ولجماعة المسلمين عامة اذا دعوا بها ألم تسمع قوله تعالى فنادى في الظلمات الى قوله وكذلك ننجي المؤمنين فلما دعا به يونس وشفعت له الملائكة أمر الله الحوت فقذفه الى ساحل نينوى كما قال الله تعالى فنبذناه بالعراء أي بوجه الارض وهو سقيم أي عليل ضعيف كالفرخ الممعط (واختلفوا) في مدة مكث يونس في بطن الحوت فقال مقاتل ثلاثة أيام وقال عطاء سبعة أيام وقال الضحاك عشرين يوما وقال السدي والكلبي أربعين يوما فلما أخرجه الله من بطن الحوت أنبت له شجرة من يقطين وهو القرع فجعل يستظل بها ووكل الله به وعلة تختلف اليه فيشرب منها لبنا فذلك قوله تعالى وأنبتنا عليه أي عنده شجرة من يقطين قالوا فيبست الشجرة فبكى عليها فأوحى الله اليه أتبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردت أن أهلكهم ثم ذهب يونس فاذا هو بغلام يرعى غنما فقال من أين أنت يا غلام قال أنا من قوم يونس فقال له اذا رجعت اليهم فقل لهم انك لقيت يونس فقال الغلام ان كنت يونس فأنت تعلم انه ان لم يكن لي بينة قتلت فمن يشهد لي فقال يونس تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة وهذه الشاة وأشار الى شاة من غنمه فقال له الغلام مرهم فقال لهم يونس اذا جاءكم هذا الغلام فاشهدوا له قالوا نعم فرجع الغلام الى قومه ثم قال للملك اني قد لقيت يونس وانه يقرأ عليكم السلام فأمر الملك بقتله فقال كذبت فقال ان لي بينة فارسلوا معي أحدا يشهد فأرسلوا معه رجالا فاتى البقعة والشجرة والشاة وقال أنشدكم بالله هل أشهدكم يونس قالوا نعم فرجع القوم مذعورين وقالوا الملك شهدت له الشجرة والارض والشاة فأخذ الملك بيد الغلام وأجلسه في مجلسه وقال أنت أحق بهذا المكان مني قال فأقام لهم أمرهم ذلك الغلام أربعين سنة ثم انهم خرجوا يلتمسون يونس فوجدوه ففرحوا به وآمنوا به فأقام لهم أمرهم (وروى) ان يونس عليه السلام مضى من عندهم فنزل قرية ليلا فأضافه رجل وكان ذلك الرجل قد عمل كثيرا من الفخار فأوحى الله اليه يا يونس مر صاحب هذا الفخار أن يكسر تلك الفخارات فقال له يونس ذلك فلما سمع ذلك منه شتمه وقال شيء عملته بيدي أعيش فيه وأعتم بثمنه أنا وعيالي تأمرني بكسره فبكى يونس فأوحى الله اليه هذا عمل فخارا من طين لم تطب نفسه بكسره وأنت طبت نفسا ووطنتها على هلاك مائة ألف أو يزيدون من عبادي فمضى يونس وهبط واديا (قال) فلما شهدت الشجرة والارض والشاة للغلام وكانت الشاة التي كانت مع الغلام قالت لهم ان أردتم يونس فاهبطوا الى الوادي فهبطوا فاذا هم بيونس فانكبوا على رجليه يقبلونهما وسألوه أن يدخل معهم المدينة فقال لا حاجة لي في مدينتكم فبكوا وألحوا عليه فأجابهم للدخول فاتي له بعجلة من فضة واجلس عليها فتمثل له جبريل عليه السلام عاضا على سبابته وهو ينادي هذا مجلس الجبارين فوثب يونس من العجلة وجعل يمشي حتى دخل معهم المدينة فمكث مع أهله وولده أربعين ليلة ثم خرج سائحا وخرج الملك معه وصير الغلام الراعي ملكا لتلك المدينة كما ذكرنا فلم يزالا سائحين يعبدان الله تعالى حتى ماتا عليهما السلام وكانت نبوة يونس في

الفصيحة وتصدع الافئدة الصحيحة والله لقد كبر الذنب وعظمت الجريمة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا عفوك أو انتقامك وأنت الى العفو أقرب وهو بك أشبه وأليق وأنشد يقول

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا
يلاحظني من حيث لا أتلفت
وأكثر ظني انك اليوم قاتلي
وأي امرئ مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذي يأتي بعذر وحجة
وسيف المنايا بين عينيه يصلت
وما جزعي من ان أموت وانني
لأعلم ان الموت شيء موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم
وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأني أراهم حين أنعى اليهم
وقد لطموا تلك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة
أذود الردى عنهم وان مت موتوا

(قال) فبكى المعتصم حتى ابتلت لحيته وقال ان من البيان لسحرا ثم قال والله يا تميم لقد غلب السيف العفو وقد وهبتك لله ولصبيتك وعفوت عن زلتك ثم أمر بقناة فعقدها على موضعه الذي كان خرج عنه ووصله بشيء كثير

زمان ملوك الطوائف والله أعلم

(باب في قصة أصحاب الكهف)

قال الله تعالى أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اختلف أهل اللغة في الرقيم وقال النعمان بن بشير الانصاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرقيم قال ان ثلاثة نفر خرجوا يرتادون لاهليهم فبينما هم يمشون اذ أصابتهم السماء فأووا الى الكهف فانحطت صخرة من الجبل عليهم فانطبقت على باب الكهف فأوصدت عليهم فقال قائل منهم ليذكر كل منكم أحسن عمل عمله فلعل الله يرحمنا فقال رجل منهم قد عملت مرة حسنة كان لي أجراء يعملون عملا لي فاستأجرت كل رجل منهم بأجرة معلومة فجاء رجل منهم ذات يوم وسط النهار فاستأجرته بشرط أصحابه فعمل في بقية نهاره كعمل رجل منهم نهاره كله فرأيت علي من الاكرام ان لا أنقصه شيأ مما استأجرت به أصحابه لما اجتهد في عمله فقال رجل منهم أتعطي هذا مثل ما أعطيتني ولم يعمل الا نصف النهار فقلت له يا عبد الله لم أبخسك شيأ من شرطك انما هو مالي أحكم فيه بما شئت قال فغضب وذهب وترك أجرته فوضعت حقه في جانب من البيت ما شاء الله ثم مر بي بعد ذلك بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فمر بي بعد ذلك شيخ ضعيف لا أعرفه فقال لي ان لي عندك حقا فقلت له اذكره لي حتى أعرفه قال فذكره فقلت له اياك أبغي وهذا حقك وعرضتها عليه فقال يا عبد الله لا تسخر بي ان لم تتصدق علي فاعطني حقي فقلت والله ما أسخر بك ان هذا لحقك ومالي فيه شيء فدفعتها اليه اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى أبصروا الضوء وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لي فضل مال وأصاب الناس شدة فجاءتني امرأة تطلب مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فأبت علي وذهبت ثم انها رجعت فذكرتني بالله فأبيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فأبت علي وذهبت وذكرت ذلك لزوجها فقال لها زوجها أعطيه نفسك وأغيثي عيالك فرجعت الي تنشدني بالله فأبيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فلما رأت ذلك أسلمت الي نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت من تحتي فقلت لها ما شأنك فقالت اني أخاف الله رب العالمين فقلت لها خفتيه في الشدة ولم أخفه في الرخاء فتركتها وأعطيتها ما تحب بما كشفتها اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى تعارفوا وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لي أبوان كبيران وكان لي غنم فكنت أطعم أبوي وأسقيهما ثم ارجع الى غنمي قال فأصابني يوما غيث فحبسني حتى أمسيت فأتيت أهلي وأخذت محلبي فحلبت غنمي وتركتها قائمة مكانها ومضيت الى أبوي فوجدتهما قد ناما فشق علي أن أوقظهما وشق علي أن أترك غنمي فبرحت جالسا ومحلبي في يدي حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم فافرج عنا ما نحن فيه قال النعمان لكأني أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان الجبل طبق ففرج الله عنهم فخرجوا (وقال ابن عباس) الرقيم واد بين غطفان وايلة دون فلسطين وهو الوادي الذي فيه أصحاب الكهف قال كعب هي قريتهم وقال سعيد بن جبير وغيره من أئمة الاخبار الرقيم لوح من حجارة وقيل من رصاص كتبوا فيه أسماء أهل الكهف وقصتهم ثم جعلوه في صندوق ووضعوه على باب الكهف ثم ذكر الله خبر أصحاب الكهف فقال اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة قال أهل التفسير وأصحاب التواريخ كان أمر أصحاب الكهف في أيام ملوك الطوائف بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (وأما قصتهم) فقال لما ولي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة أتاه قوم من أحبار اليهود فقالوا له يا عمر أنت ولي الامر بعد محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه وانا نريد ان نسألك عن خصال ان أخبرتنا بها علمنا أن الاسلام حق وان محمدا كان نبيا وان لم تخبرنا بها علمنا أن الاسلام باطل وان محمدا لم يكن نبيا فقال عمر سلوا عما بدا لكم قالوا أخبرنا عن أقفال السموات ما هي وأخبرنا عن مفاتيح السموات ما هي وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ما هو وأخبرنا عمن أنذر قومه لا هو من الجن ولا هو من الانس وأخبرنا عن خمسة أشياء مشوا على وجه الارض ولم يخلقوا في الارحام وأخبرنا ما يقول الدراج في صياحه

وما

(ويحكى عن بعضهم) قال لما أتي معن بن زائدة بأسارى فعرضهم على السيف فقام اليه رجل منهم وقال أيها الامير نحن أسراك ونحن والله جياع من أثر الطريق فان رأيت أن تطعمنا فلكل كبد حراء أجر فأمر باطعامهم فأحضرت الموائد وعليها الطعام واجتمعوا وأكلوا ومعن ينظر اليهم فلما فرغوا قام رجل آخر وقال أيها الامير كنا أسراك وقد صرنا أضيافك فانظر ماذا يصنع مثلك بأضيافه فخلى سبيلهم وأنعم عليهم عفا الله تعالى عنه وعن جميع المسلمين (وعرض) على الحجاج أسرى فأمر بقتلهم فقتل منهم جماعة ثم قال رجل منهم وقد عرض على القتل لا جزاك الله عن السنة خيرا يا حجاج فانا وان كنا قد أسأنا في الذنب فوالله ما أحسنت في العفو فان الله تعالى يقول في كتابه العزيز فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فهذا قوله في الكفار فكيف في المسلمين وقال الشاعر

وما نقتل الاسرى ولكن نفكهم
اذا أثقل الاعناق حمل القلائد

وما يقول الديك في صراخه وما يقول الفرس في صهيله وما يقول الضفدع في نقيقه وما يقول الحمار في نهيقه وما يقول القبر في صفيره قال فنكس عمر رأسه في الأرض ثم قال لا عيب بعمر إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم وأن يسأل عما لا يعلم فوثبت اليهود وقالوا نشهد أن محمدا لم يكن نبيا وأن الإسلام باطل فوثب سلمان الفارسي وقال لليهود قفوا قليلا ثم توجه نحو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه فقال يا أبا الحسن أغث الإسلام فقال وما ذاك فأخبره الخبر فأقبل يرفل في بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر إليه عمر وثب قائما فاعتنقه وقال يا أبا الحسن أنت لكل معضلة وشدة تدعى فدعا علي كرم الله وجهه اليهود فقال سلوا عما بدا لكم فإن النبي صلى الله عليه وسلم علمني ألف باب من العلم فتشعب لي من كل باب ألف باب فسألوه عنها فقال علي كرم الله وجهه إن لي عليكم شريطة إذا أخبرتكم كما في توراتكم دخلتم في ديننا وآمنتم فقالوا نعم فقال سلوا عن خصلة خصلة قالوا أخبرنا عن أقفال السموات ما هي قال أقفال السموات الشرك بالله لأن العبد والأمة إذا كانا مشركين لم يرتفع لهما عمل قالوا فأخبرنا عن مفاتيح السموات ما هي قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله قال فجعل بعضهم ينظر إلى بعض ويقولون صدق الفتى قالوا فأخبرنا عن قبر سار بصاحبه فقال ذلك الحوت الذي التقم يونس بن متى فسار به في البحار السبعة قالوا أخبرنا عمن أنذر قومه لا هو من الجن ولا من الإنس قال هي نملة سليمان بن داود قالت يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون قالوا فأخبرنا عن خمسة مشوا على الأرض ولم يخلقوا في الأرحام قال ذلكم آدم وحواء وناقة صالح وكبش إبراهيم وعصا موسى قالوا فأخبرنا ما يقول الدراج في صياحه قال يقول الرحمن على العرش استوى قالوا فأخبرنا ما يقول الديك في صراخه قال يقول اذكروا الله يا غافلين قالوا أخبرنا ما يقول الفرس في صهيله قال يقول إذا مشى المؤمنون إلى الكافرين للجهاد اللهم انصر عبادك المؤمنين على الكافرين قالوا فأخبرنا ما يقول الحمار في نهيقه قال يقول لعن الله العشار وينهق في أعين الشياطين قالوا فأخبرنا ما يقول الضفدع في نقيقه قال يقول سبحان ربي المعبود المسبح في لجج البحار قالوا فأخبرنا ما يقول القبر في صفيره قال يقول اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد وكان اليهود ثلاثة نفر فقال اثنان منهم نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ووثب الحبر الثالث فقال يا علي لقد وقع في قلوب أصحابي ما وقع من الإيمان والتصديق وقد بقي خلة واحدة أسألك عنها فقال سل عما بدا لك فقال أخبرني عن قوم في أول الزمان ماتوا ثلثمائة وتسع سنين ثم أحياهم الله فما كان من قصتهم قال علي رضي الله عنه يا يهودي هؤلاء أصحاب الكهف وقد أنزل الله على نبينا قرآنا فيه قصتهم وإن شئت قرأت عليك قصتهم فقال اليهودي ما أكثر ما قد سمعنا قراءتكم إن كنت عالما فأخبرني بأسمائهم وأسماء آبائهم واسم مدينتهم واسم ملكهم واسم كلبهم واسم جبلهم واسم كهفهم وقصتهم من أولها إلى آخرها فاحتبى علي كرم الله وجهه ببردة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أخا العرب حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان بأرض رومية مدينة يقال لها أفسوس ويقال هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية أفسوس فلما جاء الإسلام سموها طرسوس قال وكان لهم ملك صالح فمات ملكهم وانتشر أمرهم فسمع بهم ملك من ملوك فارس يقال له دقيانوس وكان جبارا كافرا فأقبل في عساكره حتى دخل أفسوس فاتخذها دار ملكه وبنى فيها قصرا فوثب اليهودي وقال إن كنت عالما فصف لي ذلك القصر ومجالسه فقال يا أخا اليهود ابتنى فيها قصرا من الرخام طوله فرسخ في عرض فرسخ واتخذ فيه أربعة آلاف أسطوانة من الذهب وألف قنديل من الذهب لها سلاسل من اللجين تسرج في كل ليلة بالأدهان الطيبة واتخذ لشرقي المجلس مائة وثمانين كوة ولغربيه كذلك وكانت الشمس من حين تطلع إلى حين تغيب تدور في المجلس كيفما دارت واتخذ فيه سريرا من الذهب طوله ثمانون ذراعا في عرض أربعين ذراعا مرصعا بالجوهر ونصب على يمين السرير ثمانين كرسيا من الذهب فأجلس عليها بطارقته واتخذ أيضا ثمانين كرسيا من الذهب عن يساره فأجلس عليها هراقلته ثم جلس هو على السرير ووضع التاج على رأسه

فقال الحجاج يا هؤلاء الحمد لله قالوا اقتل فقال هذا الرجل ما قتلت منهم أحدا ولكن أطلقوا سبيلهم (ولما) ولي الحجاج العراق قال علي بالمرأة الحرورية فلما حضرت قال لها أنت بالأمس في وقعة ابن الزبير كنت تحرضين الناس على قتل رجالي ونهب أموالي فقالت المرأة نعم قد كان ذلك فالتفت الحجاج إلى وزرائه وقال ما ترون فيها قالوا عجل بقتلها فضحكت المرأة فاغتاظ الحجاج وقال لها على من تضحكين قالت من وزرائك فإن وزراء فرعون كانوا خيرا منهم فنظر الحجاج إلى وزرائه فرآهم خجلوا فقال لها كيف ذلك فقالت لأنهم قالوا أرجه وأخاه حين استشارهم في قتل موسى وهؤلاء يستعجلونك في قتلي قال فضحك الحجاج وأمر لها بعطاء وأطلقها ولم يشوش عليها ((وحضر الهرمزان الفارسي)) بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه مأسورا فدعاه عمر إلى الإسلام فأبى فأمر بقتله فقال يا أمير المؤمنين قبل أن تقتلني اسقني شربة ماء ولا تقتلني ظمآن فأمر بقدح من ماء فلما صار القدح بين يدي

فوثب اليهودي وقال يا علي ان كنت عالما فاخبرني مم كان تاجه فقال يا أخا اليهود كان تاجه من الذهب السبك له تسعة أركان على كل ركن لؤلؤة تضيء كما يضيء المصباح في الليلة الظلماء واتخذ خمسين غلاما من أبناء البطارقة فطوقهم بمناطق الديباج الاحمر وسرولهم بسراويل القز الاخضر وتوجهم ودملجهم وخلخلهم وأعطاهم عمد الذهب وأقامهم على رأسه واصطنع ستة غلمة من أولاد العلماء وجعلهم وزراء فما يقطع أمرا دونهم وأقام منهم ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره فوثب اليهودي وقال يا علي ان كنت صادقا فاخبرني ما كانت أسماء الستة فقال علي كرم الله وجهه حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم ان الذين كانوا عن يمينه أسماؤهم تمليخا ومكسلمينا ومحسلمينا وأما الذين كانوا عن يساره فمرطليوس وكشطوس وساذنيوس وكان يستشيرهم في جميع أموره وكان اذا جلس كل يوم في صحن داره واجتمع الناس عنده دخل من باب الدار ثلاثة غلمة في يد أحدهم جام من الذهب مملوء من المسك وفي يد الثاني جام من فضة مملوء من ماء الورد وعلى يد الثالث طائر فيصيح به فيطير الطائر حتى يقع في جام ماء الورد فيتمرغ فيه فينشف ما فيه بريشه وجناحيه ثم يصيح به الثاني فيطير فيقع في جام المسك فيتمرغ فيه فينشف ما فيه بريشه وجناحيه ثم يصيح به الثالث فيطير فيقع على تاج الملك فينفض ريشه وجناحيه على رأس الملك بما فيه من المسك وماء الورد فمكث الملك في ملكه ثلاثين سنة من غير أن يصيبه صداع ولا وجع ولا حمى ولا لعاب ولا بصاق ولا مخاط فلما رأى ذلك من نفسه عتا وطغى وتجبر واستعصى وادعى الربوبية من دون الله تعالى ودعا اليه وجوه قومه فكل من أجابه أعطاه وحباه وكساه وخلع عليه ومن لم يجبه ويتابعه قتله فأجابوه بأجمعهم فأقاموا في ملكه زمانا يعبدونه من دون الله تعالى فبينما هو ذات يوم جالس في عيد له على سريره والتاج على رأسه اذ أتى بعض بطارقته فأخبره أن عساكر الفرس قد غشيته يريدون قتاله فاغتم لذلك غما شديدا حتى سقط التاج عن رأسه وسقط هو عن سريره فنظر أحد فتيته الثلاثة الذين كانوا عن يمينه الى ذلك وكان عاقلا يقال له تمليخا فتفكر وتذكر في نفسه وقال لو كان دقيانوس هذا الها كما يزعم لما حزن ولما كان ينام ولما كان يبول ويتغوط وليست هذه الافعال من صفات الاله وكانت الفتية الستة يكونون كل يوم عند واحد منهم وكان ذلك اليوم نوبة تمليخا فاجتمعوا عنده فأكلوا وشربوا ولم يأكل تمليخا ولم يشرب فقالوا يا تمليخا مالك لا تأكل ولا تشرب فقال يا اخوتي وقع في قلبي شيء منعني عن الطعام والشراب والمنام فقالوا وما هو يا تمليخا فقال أطلت فكري في هذه السماء فقلت من رفعها سقفا محفوظا بلا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها ومن أجرى فيها شمسها وقمرها ومن زينها بالنجوم ثم أطلت فكري في هذه الارض من سطحها على ظهر اليم الزاخر ومن حبسها وربطها بالجبال الرواسي لئلا تميد ثم أطلت فكري في نفسي فقلت من أخرجني جنينا من بطن أمي ومن غذاني ورباني ان لهذا صانعا ومدبرا سوى دقيانوس الملك فانكبت الفتية على رجليه يقبلونهما وقالوا يا تمليخا لقد وقع في قلوبنا ما وقع في قلبك فأشر علينا فقال يا اخوتي ما أجد لي ولكم حيلة الا الهرب من هذا الجبار الى ملك السموات والارض فقالوا الرأي ما رأيت فوثب تمليخا فابتاع تمرا بثلاثة دراهم وصرها في ردائه وركبوا خيولهم وخرجوا فلما ساروا قدر ثلاثة أميال من المدينة قال لهم تمليخا يا اخوتاه قد ذهب عنا ملك الدنيا وزال عنا أمره فانزلوا عن خيولكم وامشوا على أرجلكم لعل الله يجعل لكم من أمركم فرجا ومخرجا فنزلوا عن خيولهم ومشوا على أرجلهم سبع فراسخ حتى صارت أرجلهم تقطر دما لانهم لم يعتادوا المشي على أقدامهم فاستقبلهم رجل راع فقالوا أيها الراعي أعندك شربة ماء أو لبن فقال عندي ما تحبون ولكني أرى وجوهكم وجوه الملوك وما أظنكم الا هرابا فاخبروني بقصتكم فقالوا يا هذا انا دخلنا في دين لا يحل لنا الكذب أفينجينا الصدق قال نعم فأخبروه بقصتهم فانكب الراعي على أرجلهم يقبلها ويقول قد وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم فقفوا لي ههنا حتى أرد الاغنام الى أربابها وأعود اليكم فوقفوا له فردها وأقبل يسعى فتبعه كلب له فوثب اليهودي قائما وقال يا علي ان كنت عالما فاخبرني ما كان لون الكلب واسمه فقال يا أخا اليهود حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أن

الهمرقراني قال يا أمير المؤمنين أمر بهذا المدح يا أمير المؤمنين قال ائم الله الأمان حتى تشرب هذا الماء قال سقوا الاناء من يده فأراقه على الأرض ثم قال الوفاء الوفاء يا أمير المؤمنين فقال عمر دعوه حتى تنظر في أمره فلما وضع السيف عنه قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال له عمر لقد أسلمت خير الاسلام فما أخرك قال خشيت ان يقال عني اني أسلمت خوفا من السيف فقال عمر لقد استحق بها ما كان فيه من الملك ثم ان عمر بعد ذلك كان يشاوره في اخراج الجيوش ويعمل برأيه رضي الله تعالى عنهم أجمعين (وقيل) سرق شاب سرقة فأتى به الى المأمون فأمر بقطع يده فقربت لتقطع فأنشد يقول

يدى يا أمير المؤمنين أعيذها
بعفوك من عار عليها يشينها
فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها
اذا ما شمال فارقتها يمينها

قال وكانت أم الشاب واقفة على رأسه فانكبت عليه وبكت وقالت يا أمير المؤمنين ولدي وواحدي ناشدتك الله الا رحمت قلبي وأزلت روعتي بالعفو عمن استحق العفو به فقال المأمون هذا حد من

الكلب كان أبلق بسواد وكان اسمه قطمير (قال الاستاذ) اختلف العلماء في لون كلب أصحاب الكهف فقال ابن عباس كان أنمر وقال مقاتل كان أصفر وقال محمد بن كعب كان من شدة حمرته وصفرته يضرب الى الحمرة وقال الكلبي لونه كالثلج وقيل لون الحجر وقيل لون السماء واختلفوا في اسمه أيضا فروى عن علي كرم الله وجهه ان اسمه ريان وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وهي احدى الروايات عن علي وقال شعيب الجبائي كان اسمه حمران وقال الاوزاعي نوى وقال مجاهد قطوريا وقال عبد الله بن سلام بسيط وقال كعب كان أصهب واسمه تقى (وأخبرني ابن فنجويه) باسناده عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه ان اسم كلبهم كان قطمور وقيل قطفير أخبرني أبو علي الزهري باسناده عن ابن عباس في قوله تعالى ما يعلمهم الا قليل قال أنا من أولئك القليل هم مكسلمينا وتمليخا ومرطليوس ويينوس وساونوس ودانوس وكشفطوس وهو الراعي والكلب اسمه قطمير كلب أنمر فوق القلطي ودون الكركي وقال محمد بن أحمد القلطي الكلب الصغير وقال ما بقي بنيسابور محدث الا كتب عني هذا الحديث وكتبه أبو عمرو الحيري عني (رجعنا الى الحديث) قال فلما نظر الفتية الى الكلب قال بعضهم لبعض انا نخاف أن يفضحنا هذا الكلب بنبحه فألحوا عليه طردا بالحجارة فلما نظر اليهم الكلب وقد ألحوا عليه بالحجارة والطرد أقعى على رجليه وتمطى وقال بلسان طلق ذلق يا قوم لم تطردونني وأنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له دعوني أحرسكم من عدوكم وأتقرب بذلك الى الله سبحانه وتعالى فتركوه ومضوا فصعد بهم الراعي جبلا وانحط بهم على كهف فوثب اليهودي وقال يا علي ما اسم ذلك الجبل وما اسم الكهف قال أمير المؤمنين يا أخا اليهود اسم الجبل ناجلوس واسم الكهف الوصيد وقيل خيرم (رجعنا الى الحديث) قال واذا بفناء الكهف أشجار مثمرة وعين غزيرة فأكلوا من الثمار وشربوا من الماء وجنهم الليل فأووا الى الكهف وربض الكلب على باب الكهف ومد يديه عليه وأمر الله ملك الموت بقبض أرواحهم ووكل الله تعالى بكل رجل منهم ملكين يقلبانه من ذات اليمين الى ذات الشمال ومن ذات الشمال الى ذات اليمين (قال ابن عباس) كانوا يقلبون في السنة مرة لئلا تأكل الارض لحومهم ويقال ان يوم عاشوراء كان يوم تقلبهم قال أبو هريرة كان لهم في كل سنة تقليبتان (رجعنا الى الحديث) قال وأوحى الله تعالى الى الشمس فكانت تزاور عن كهفهم ذات اليمين اذا طلعت واذا غربت تقرضهم ذات الشمال فلما رجع الملك دقيانوس من عيده سأل عن الفتية فقيل له انهم اتخذوا الها غيرك وخرجوا هاربين منك فركب في ثمانين ألف فارس وجعل يقفوا آثارهم حتى صعد الجبل وشارف الكهف فنظر اليهم مضطجعين فظن أنهم نيام فقال لاصحابه لو أردت أن أعاقبهم بشئ ما عاقبتهم بأكثر مما عاقبوا به أنفسهم فأتوني بالبنائين فأتى بهم فردموا عليهم باب الكهف بالجبس والحجارة ثم قال لاصحابه قولوا لهم يقولوا لالههم الذي في السماء ان كانوا صادقين يخرجهم من هذا الموضع فمكثوا ثلثمائة وتسع سنين فنفخ الله فيهم الروح وهموا من رقدتهم لما بزغت الشمس فقال بعضهم لبعض لقد غفلنا هذه الليلة عن عبادة الله تعالى فقوموا بنا الى العين فاذا بالعين قد غارت والاشجار قد جفت فقال بعضهم لبعض انا من أمرنا هذا لفي عجب مثل هذه العين قد غارت في ليلة واحدة ومثل هذه الاشجار قد جفت في ليلة واحدة فألقى الله عليهم الجوع فقالوا أيكم يذهب بورقكم هذه الى المدينة فليأتنا بطعام منها ولينظر أن لا يكون من الطعام الذي يعجن بشحم الخنازير وذلك قوله تعالى فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما أي أحل وأجود وأطيب فقال لهم تمليخا يا اخوتي لا يأتيكم أحد بالطعام غيري ولكن أيها الراعي ادفع الي ثيابك وخذ ثيابي فلبس ثياب الراعي ومر وكان يمر بمواضع لا يعرفها وطريق ينكرها حتى أتى باب المدينة فاذا عليه علم أخضر مكتوب عليه لا اله الا الله عيسى روح الله صلى الله على نبينا وعليه وسلم فطفق الفتى ينظر اليه ويمسح عينيه ويقول أراني نائما فلما طال عليه ذلك دخل المدينة فمر بأقوام يقرؤن الانجيل واستقبله أقوام لا يعرفهم حتى انتهى الى السوق فاذا هو بخباز فقال له يا خباز ما اسم مدينتكم هذه قال أفسوس قال وما اسم ملككم قال عبد الرحمن قال تمليخا ان كنت

حدود الله تعالى فقالت يا أمير المؤمنين اجعل عفوك عن ولدي ذنبا من الذنوب التي تستغفر الله منها قال فرق المأمون لها وعفا عن ولدها وأطلق سبيله عفا الله عنه *(وعن عبد الملك ابن مروان)* أنه أتي برجل من بني مخزوم وكان من أصحاب ابن الزبير فلما حضر بين يدي عبد الملك قال أليس قد ردك الله الى بئس المرد ورجع بك الى سوء المرجع فقال له الرجل يا أمير المؤمنين ان الله ردني الى بئس مرد ورجع بي الى سوء مرجع فأنت أخبر بنفسك فقال عبد الملك أطلقوه وأمر له بجائزة وأنعم عليه رضي الله عنه (وقيل) كان يزيد بن المهلب واليا على خراسان وكان حسن الوجه جميل الصورة فمكث مدة وانصرف عنها وتولى مكانه قتيبة بن مسلم فقال فيه بعض الشعراء

كانت خراسان أرضا اذ يزيد بها
وكل باب من الخيرات مفتوح
فبدلت بعده قردا يطوف بها
كأنما وجهه بالخل منضوح

فبلغ ذلك قتيبة فطلبه فهرب الشاعر منه ومضى الى أم قتيبة فأخذ منها

... فقال أمري عجب أدفع إلى بيعه هذه الدراهم فأعلموا أنها كانت دراهم ذلك الزمان الأول فقالا إن كنزا أصبت
الخباز من ثلاثة الدراهم ... فوثب اليهودي وقال يا علي إن كنت عالما فأخبرني كم كان وزن الدرهم منها فقال له
يا أخا اليهود أخبرني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أن وزن كل درهم منها عشرة دراهم وثلثا درهم فقال له
الخباز يا هذا إنك قد أصبت كنزا فأعطني بعضه وإلا ذهبت بك إلى الملك فقال تمليخا ما أصبت كنزا وإنما هذا
ثمن تمر بعته بثلاثة دراهم منذ ثلاثة أيام وقد خرجت من هذه المدينة وهم يعبدون دقيانوس الملك
فغضب الخباز وقال ألا ترضى أن أصبت كنزا أن تعطيني بعضه حتى تذكر رجلا جبارا كان يدعي
الربوبية قد مات منذ ثلثمائة سنة وتسخر بي ثم أمسكه واجتمع الناس ثم إنهم أتوا به إلى الملك وكان عاقلا
عادلا فقال لهم ما قصة هذا الفتى قالوا أصاب كنزا فقال له الملك لا تخف فإن نبينا عيسى عليه السلام أمرنا
أن لا نأخذ من الكنوز إلا خمسها فادفع إلي خمس هذا الكنز وامض سالما فقال أيها الملك تثبت في أمري
ما أصبت كنزا وإنما أنا من أهل هذه المدينة فقال له أنت من أهلها قال نعم قال أفتعرف فيها أحدا قال نعم
قال فسم لنا فسمى له نحوا من ألف رجل فلم يعرفوا منهم رجلا واحدا قالوا يا هذا ما نعرف هذه الأسماء
وليست هي من أسماء أهل زماننا ولكن هل لك في هذه المدينة دار فقال نعم أيها الملك فابعث معي أحدا
فبعث معه الملك جماعة حتى أتى بهم دارا أرفع دار في المدينة وقال هذه داري ثم قرع الباب فخرج لهم
شيخ كبير قد استرخى حاجباه من الكبر على عينيه وهو فزع مرعوب مذعور فقال أيها الناس ما بالكم
فقال له رسول الملك إن هذا الغلام يزعم أن هذه الدار داره فغضب الشيخ والتفت إلى تمليخا وتبينه وقال له
ما اسمك قال تمليخا بن فلسطين فقال الشيخ أعد علي فأعاد عليه فانكب الشيخ على يديه ورجليه يقبلهما
وقال هذا جدي ورب الكعبة وهو أحد الفتية الذين هربوا من دقيانوس الملك الجبار إلى جبار السموات
والأرض ولقد كان عيسى عليه السلام أخبرنا بقصتهم وأنهم سيحيون فانتهى ذلك إلى الملك فركب الملك
وأتى إليهم وحضرهم فلما رأى الملك تمليخا نزل عن فرسه وحمل تمليخا على عاتقه فجعل الناس يقبلون يديه
ورجليه ويقولون له يا تمليخا ما فعل بأصحابك فأخبرهم أنهم في الكهف وكانت المدينة قد وليها رجلان ملك
مسلم وملك نصراني فركبا في أصحابهما وأخذا تمليخا فلما صاروا قريبا من الكهف قال لهم تمليخا يا قوم إني
أخاف أن إخوتي يحسون بوقع حوافر الخيل والدواب وصلصلة اللجم والسلاح فيظنون أن دقيانوس قد
غشيهم فيموتون جميعا فقفوا قليلا حتى أدخل إليهم فأخبرهم فوقف الناس ودخل عليهم تمليخا فوثب إليه
الفتية واعتنقوه وقالوا الحمد لله الذي نجاك من دقيانوس فقال دعوني منكم ومن دقيانوس كم لبثتم قالوا
لبثنا يوما أو بعض يوم قال بل لبثتم ثلثمائة وتسع سنين وقد مات دقيانوس وانقرض قرن بعد قرن وآمن
أهل المدينة بالله العظيم وقد جاؤكم فقالوا له يا تمليخا تريد أن تصيرنا فتنة للعالمين قال فماذا تريدون قالوا
ارفع يديك ونرفع أيدينا فرفعوا أيديهم وقالوا اللهم بحق ما أريتنا من العجائب في أنفسنا إلا قبضت أرواحنا
ولم يطلع علينا أحد فأمر الله ملك الموت فقبض أرواحهم وطمس الله باب الكهف وأقبل الملكان يطوفان
حول الكهف سبعة أيام فلا يجدان له بابا ولا منفذا ولا مسلكا فأيقنا حينئذ بلطيف صنع الله الكريم
وأن أحوالهم كانت عبرة أراهم الله إياها فقال المسلم على ديني ماتوا أنا أبني على باب الكهف مسجدا
وقال النصراني بل ماتوا على ديني فأنا أبني على باب الكهف ديرا فاقتتل الملكان فغلب المسلم النصراني
فبنى على باب الكهف مسجدا فذلك قوله تعالى قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا وذلك
يا يهودي ما كان من قصتهم ثم قال علي كرم الله وجهه لليهودي سألتك بالله يا يهودي أوافق هذا ما في
توراتكم فقال اليهودي ما زدت حرفا ولا نقصت حرفا يا أبا الحسن لا تسمني يهوديا فأشهد أن لا إله إلا الله
وأن محمدا عبده ورسوله وأنك أعلم هذه الأمة (وقال عبيد بن عمير) كان أصحاب الكهف فتيانا
مطوقين مسورين ذوي ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم عظيم في زي وموكب
وأخرجوا معهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله فقذف الله في قلوبهم الإيمان وكان أحدهم

... الوجه به رقعتان
فيه فلما دخل عليه قال
وقال بأي وجه تلقاني
قال بالوجه الذي ألقى به
ربي فإن إحسانه إلي أكثر
من إساءتي إليه وخوفي له
أكثر من مخافتي لك قال
فصدقه قتيبة وترك سبيله
وعفا عنه (وأشرف
المأمون يوما من قصره)
فرأى رجلا قائما وبيده
فحمة يكتب بها على حائط
القصر فقال لأحد غلمانه
انزل إلى ذلك الرجل
وأمسك يده واقرأ ما كتبه
فقرأه فإذا هو هذا الشعر
يا قصر جمع فيك الشؤم
واللوم
متى يعشش في أركانك البوم
يوم يعشش فيك البوم من
فرحي
أكون أول من ينعاك
مرغوم
فقال له أجب أمير المؤمنين
فقال له الرجل سألتك بالله
يا غلام لا تذهب بي إليه
فقال له الغلام إنه رآك
من القصر فأخذه وأوقفه
بين يدي أمير المؤمنين
وقال وجدته كتب كذا وكذا
فقال المأمون ويلك ما حملك
على هذا فقال يا أمير
المؤمنين إنه لم يخف عليك
ما حواه قصرك من
خزائن الأموال والحلي
والحلل والطعام والشراب
والأمتعة والفرش

وزير

ويذكر الملك فأتوا في سبيل كل واحد منهم الايمان من صاحبه وما الرأي أن يكتمه من غير أن يظهر
بعضهم لبعض فخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبنا عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى
الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر
ذلك فجلس اليه ثم خرج الآخرون فأتوا فجلسوا اليهما واجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد
يكتم عن صاحبه ايمانه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتيين منكم فيخلوا ثم ليفش كل واحد
منكم أمره الى صاحبه فخرج فتيان منهم فتوافقا ثم تكلما فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه فأقبلا
وهما مستبشران الى أصحابهما فقالا قد اتفقنا على أمر واحد واذا هم جميعا على الايمان واذا كهف في
الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم
مرفقا فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيد لهم فناموا ثلثمائة سنة وتسع سنين قال وفقدهم قومهم فطلبوهم
فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم وكتبوا في لوح فلان
وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم في يوم كذا في شهر كذا من سنة كذا في مملكة فلان بن فلان ووضعوا اللوح
في خزانة الملك وقالوا ليكونن لهذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن (وأخبرنا) الحسن بن الحسين
الثقفي باسناده عن أبي جعفر الباقر قال كان أصحاب الكهف صيارفة * وقال وهب بن منبه جاء حواري
من أصحاب عيسى عليه السلام الى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقيل له ان على بابها صنما
لا يدخلها أحد الا سجد له فكره أن يدخلها فأتى الى حمام قريب من تلك المدينة وآجر نفسه من الحامي
وكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام في حمامه البركة ودر عليه الرزق فجعل يقوم عليه وتعلق به فتية من
أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والارض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه وكانوا على مثل حاله
في حسن الهيئة وكان يشرط على صاحب الحمام ان الليل لي لا يحول بيني وبينه أحد فيصلي فكان على ذلك
الحال حتى أتى ابن الملك الحمام بامرأة فدخل بها الحمام فعيره بها الحواري وقال له أنت ابن الملك وتدخل مع
هذه فاستحى ابن الملك وذهب ثم رجع مرة أخرى فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت اليه ثم انهما
دخلا معا فماتا جميعا في الحمام فأتى الملك وقيل له قتل صاحب الحمام ابنك والتمس فلم يقدر عليه فقال من
كان يصحبه فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمروا بصاحب لهم في زرع وهو على مثل ايمانهم
فذكروا أنهم التمسوا فانطلق معهم ومعه كلبه حتى آواهم الليل الى الكهف فدخلوا وقالوا نبيت ههنا
الليلة ثم نصبح ان شاء الله تعالى فترون رأيكم فضرب الله على آذانهم فخرج الملك في أصحابه يطلبونهم حتى
وجدوهم قد دخلوا الكهف وكان كلما أراد الرجل منهم أن يدخل الكهف أرعب فلم يطق أحد أن يدخله
فقال قائل أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتوا عطشا
وجوعا ففعل ذلك قال وهب فتركهم بعد ما سدوا عليهم باب الكهف ومضى زمان بعد زمان ثم ان راعيا
أدركه المطر عند باب الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف فأدخلت فيه غنمي من المطر فلم يزل يعالجه
حتى فتح الباب ورد الله اليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا (وقال) محمد بن اسحق مرج أهل الانجيل
وعظمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين
المسيح متمسكون بعبادة الله تعالى وتوحيده فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له
دقيانوس كان عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه في ذلك ممن أقام على دين المسيح وكان ينزل
قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها أحدا يدين بدين المسيح الا قتله حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهي
أفسوس فلما نزلها كبر ذلك على أهل الايمان فاستخفوا منه وهربوا في كل ناحية وكان دقيانوس قد أمر
حين دخلها أن يتبع أهل الايمان فيجمعوا اليه واتخذ شرطا من كفار أهلها وجعلوا يتبعون أهل الايمان
في أماكنهم فيخرجونهم الى دقيانوس فيقدمهم الى الجامع الذي يذبح فيه للطواغيت فيخيرهم بين القتل
وبين عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فمن القوم من رغب في الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله

والطوارئ والحدث عليه وأتاني جامع من
الجوع والفاقة فوقفت
متفكرا في أمري وقلت في
نفسي هذا القصر عامر عال
وأنا جائع ولا فائدة لي فيه
فلو كان خرابا ومررت به
لم أعدم منه رخامة أو
خشبة أو مسمارا أبيعه
وأتقوت بثمنه أو ما علم أمير
المؤمنين ما قال الشاعر

اذا لم يكن للمرء في دولة امرئ
نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وما ذاك من بغض لها غير أنه
يرجي سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون يا غلام اعطه
ألف دينار ثم قال هي لك في
كل سنة ما دام قصرنا عامرا
(وأنشد في المعنى)

اذا كنت في أمر فكن فيه محسنا
فعما قليل أنت ماض وتاركه
فكم دحت الايام أرباب دولة
وقد ملكوا أضعاف ما أنت مالكه

((وروي عن موسى بن
عمران صلوات الله عليه))
انه خرج يوما نحو الطور
واذا هو برجل واقف على
الطريق فقال الى أين يا نبي
الله قال الى المناجاة فقال لي
اليك حاجة قال فما هي قال
قل له يكرمني بقدر حبة من

سبحانه وتعالى فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة فى الايمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ثم يقطعون ويربط ما قطع من أجسامهم على سور المدينة من نواحيها كلها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت الفتنة على أهل الايمان فمنهم من أقر فترك ومنهم من صلب على دينه وقتل فلما رأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا وصلوا واشتغلوا بالتسبيح والتقديس والدعاء وكانوا من أشراف الروم وكانوا ثمانية نفر فبكوا وتضرعوا وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا ربنا اكشف عن عبادك المؤمنين الفتنة وارفع عنهم هذا البلاء وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك فبينما هم على ذلك اذ أدركهم الشرط وكانوا قد دخلوا فى مصلى لهم فوجدوهم سجودا على وجوههم يبكون ويتضرعون الى الله تعالى ويسألونه أن ينجيهم من دقيانوس وفتنته فلما رآهم أولئك الكفرة قالوا لهم ما خلفكم عن أمر الملك انطلقوا اليه ثم خرجوا من عندهم ورفعوا أمرهم الى دقيانوس فقالوا تجمع الجميع وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يسخرون منك ويعصون أمرك فلما سمع ذلك أتى بهم تفيض أعينهم من الدمع معفرة وجوههم فى التراب فقال ما منعكم أن تشهدوا الذبح للآلهة التى نعبدها فى الارض وان تجعلوا أنفسكم كغيركم ثم انهم خيروا اما أن يذبحوا للآلهتهم كما ذبح غيرهم من الناس واما أن يقتلهم الملك فقال مكسلمينا وكان أكبرهم ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمة لن ندعو من دونه الها أبدا ولن نقر بهذا الذى تدعونا اليه أبدا ولكنا نعبد ربنا الذى له التحميد والتكبير والتسبيح والتقديس من أنفسنا خالصا أبدا اياه نعبد واياه نسأل النجاة والخير وأما الطواغيت فلن نعبدها أبدا فاصنع بنا ما بدا لك ثم قال أصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ما قال له قالوا فلما قالوا له ذلك أمر بهم فنزع ملبوسا كان عليهم من ملبوس عظمائهم ثم قال لهم انكم اذا وعلتم ما فعلتم فانى سأؤخركم وأتفرغ لكم فأنجز لكم ما أوعدتكم من العقوبة وما يمنعنى ان أعجل لكم ذلك لانى أراكم شبابا حديثة أسنانكم فلا أحب ان أهلككم حتى أجعل لكم أجلا فتراجعوا فيه عقولكم ثم أمر بحلية كانت معهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة سوى مدينتهم التى هم بها قريبة منهم لبعض أموره فلما رأى الفتية ان دقيانوس قد خرج من مدينتهم بادروا قدومه وخافوا اذا قدم مدينتهم ان يذكرهم فأتمروا ان يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقى ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة فى جبل يقال له ناجلوس فيمكثون فيه ويعبدون الله تعالى حتى اذا قدم دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما شاء فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم الى بيت أبيه وأخذ نفقة فتصدقوا منها وانطلقوا بما بقى معهم من نفقتهم واتبعهم كلب كان لاحدهم حتى أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه * وقال ابن عباس هربوا ليلا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب على دينهم وقال كعب مروا بكلب فنبحهم فطردوه فنبح عليهم ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون منى لا تخشوا جانبى فانى أحب أحباب الله فناموا حتى أحرسكم ﴿رجعنا الى حديث ابن اسحق﴾ فلبثوا فى ذلك الكهف ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم يقال له تمليخا فكان يبتاع لهم من المدينة طعامهم سرا وكان من أجلدهم وأجملهم وكان تمليخا يصنع ذلك فاذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا ويأخذ ثيابا كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها ثم يأخذ دراهمه فينطلق الى المدينة فيشترى طعاما وشرابا ويستمع ويتجسس لهم الخبر هل يذكرونهم بشئ ثم يرجع الى أصحابه فلبثوا كذلك ما لبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة فأمر العظماء فذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك أهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشترى طعاما فرجع الى أصحابه وهو يبكى ومعه طعام فأخبرهم ان دقيانوس دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة ليذبحوا للطواغيت فلما أخبرهم بذلك فزعوا ووقعوا سجدا يدعون الله تعالى ويتضرعون اليه ويتعوذون به من الفتنة ثم ان تمليخا قال لهم يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم فاطعموا منه وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع حزنا على أنفسهم فطعموا منه وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضا فبينما هم كذلك

اذ

فى حضرته فلما رفعت موسى عليه السلام المناجاة أنسى الرسالة من حلاوة المناجاة فناداه ربه يا موسى نسيت حاجة عبدى قال يا رب أنت أعلم بما قال عبدك قال نعم ولكن الرسالة حقها أن تؤدى ومن لم يؤد الرسالة فقد خان وأنا لا أحب الخائنين يا موسى قد وهبت له جميع ما أراد فرجع موسى فلم يجده فى مكانه فقال الهى وسيدى أين ذهب الرجل صاحب الحاجة فقال يا موسى هرب منك قال لم قال من أحبنا لا يلتفت الى غيرنا فان أردت ان تراه يا موسى فادخل هذه الغيضة قال فدخل ونظر فاذا أسد يأكله فقال الهى ما هذا فقال هذا محبى بأحبابى فى دار الفناء انظر يا موسى الى دار البقاء فنظر فاذا بقبة من ياقوتة حمراء مثل الدنيا ثلاث مرات فقال يا موسى هذه له وأناله (وقيل فى هذا المعنى شعرا)

طال اشتياق فهل لى
فيكم وطمع
كيف اصطبارى والاحشاء
تقتطع
كيف الفرار الى من لا فرار له
سوله القلب للاحباب
منقطع
يبكى الديار بدمع هاطل
هطل
له من الجزع أحباب وما
رجعوا

فضرب الله على آذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف [illegible]
فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض قومه لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية
الذين ذهبوا ولقد كانوا يحسبون أن بي غضبا عليهم بجهلهم ما جهلوا من أمري فإني لا أغضب عليهم إن تابوا
وعبدوا آلهتي فقال لعظماء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما فجرة عصاة مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم
قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شاؤوا لرجعوا في ذلك الأجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا له ذلك غضب غضبا
شديدا ثم أرسل إلى آبائهم فسألهم عنهم وقال أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني فقالوا له أما نحن فلم
نعصك ولم تقتلنا بقوم مردة وإنهم ذهبوا بأموالنا وانطلقوا إلى جبل يدعى بانجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم
وجعل لا يدري ما يصنع بالفتية وألقى الله في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم وأراد الله تعالى أن يكرمهم
ويجعلهم آية لأمة تستخلف بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور
فأمر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم وقال دعوهم كما هم في الكهف يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم
الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط
ذراعيه بالوصيد بباب الكهف وقد غشيه ما غشيهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال * قال ثم إن رجلين
مؤمنين وكانا في بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهما اسم أحدهما تندروس والآخر روباس ائتمرا أن
يكتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم وخبرهم في لوح من رصاص ويجعلاه في تابوت من نحاس ويجعلا
التابوت في البنيان وقالا لعل الله أن يطلع على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح
عليهم خبرهم حين يقرأ هذا اللوح ففعلا ذلك وبنيا عليه فبقي دقيانوس ما بقي ومات قومه ومات قرون بعده
كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تندوسيس فلما ملك بقي في ملكه
ثمانية وثمانين سنة فتحزب الناس في ملكه أحزابا منهم من يؤمن بالله العظيم ويعلم أن الساعة حق ومنهم
من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فشكا إلى الله وتضرع إليه وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل
الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق وأنهم يقولون لا حياة إلا الحياة الدنيا وإنما تبعث الأرواح ولا
تبعث الأجساد وأما الجسد فيأكله التراب ونسوا ما في الكتاب فجعل الملك تندوسيس يرسل إلى من كان
يظن فيه خيرا وأنهم كانوا أئمة في الحق فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا أن يحولوا الناس عن الحق وملة
الحواريين فلما رأى الملك الصالح ذلك دخل بيته وأغلقه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فدأب ليله
ونهاره يتضرع إلى الله تعالى ويبكي مما يرى فيه الناس ويقول أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم
آية ثم إن الرحمن الرحيم جل وعز الذي يكره اختلاف العباد أراد أن يظهر لهم الفتية أصحاب الكهف
ويبين للناس شأنهم فيجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها وأنه يستجيب لعبده
الصالح تندوسيس وأنه يتم نعمته عليه ولا ينزع منه ملكه ولا الإيمان الذي أعطاه وأن لا يعبد إلا الله ولا
يشرك به شيئا وأن يجمع من كان تبدد من المؤمنين فألقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي به
الكهف وكان اسم ذلك الرجل أولياس أن يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف فيبني به حظيرة لغنمه
فاستأجر عاملين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما على فم الكهف وفتحا عليهم
باب الكهف وحجبهم الله عن الناس فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر إليهم يدخل من باب الكهف
ثم يتقدم حتى يرى كلبهم نائما فلما نزعت الحجارة وفتح باب الكهف أذن الله تعالى ذو القدرة والعظمة
والسلطان محيي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهراني الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة
أنفسهم فسلم بعضهم على بعض حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون منها إذا أصبحوا من
ليلتهم التي يبيتون بها ثم إنهم قاموا إلى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرون في وجوههم ولا أبشارهم
ولا ألوانهم شيئا ينكرونه إنما هم كهيئتهم حين رقدوا ويرون أن ملكهم دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم
قالوا ليمليخا صاحب نفقتهم نبئنا بما الذي قال الناس في شأننا عشية أمس عند هذا الجبار وهم يظنون

*(وقال إبراهيم بن أدهم نفعنا الله به) زرت مسجدا بالشام وكانت ليلة شاتية فقال لي القيم قم واخرج حتى أغلق الباب فقلت إني غريب أبيت ههنا فقال الغرباء يسرقون القناديل والحصر وقد حلفت أن لا يبيت فيه أحد ولو كان إبراهيم بن أدهم فقال كفى ما أنت فيه حتى تكذب ثم قال اخرج وجعل يجرني من رجلي على وجهي حتى رماني خارج المسجد بإزاء حمام فرأيت شابا حسن الوجه يوقد النار في تنور ذلك الحمام فسلمت عليه فلم يرد علي السلام حتى فرغ وقال يا هذا إني أجير وخفت إن اشتغلت بالسلام عليك أن أكون خائنا في عملي قلت بكم تعمل كل يوم قال بدرهم ودانق أتقوت بالدانق وأنفق الدرهم على أولاد أخ لي في الله مات وتركهم قلت له هل سألت الله في حاجة قط قال نعم منذ عشرين سنة وما قضيت قلت له وما هي قال

أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل لهم أنهم قد ناموا كأطول ما كانوا ينامون في الليلة التي
أصبحوا فيها حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم
وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال لهم تمليخا التمستم في المدينة الذين طلبونا [illegible]
ذلك فقال مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا أنكم ملاقو الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم غدا ثم قالوا يا تمليخا
انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال عنا اليوم وتلطف ولا تشعرن بنا أحدا وابتغ لنا طعاما وائتنا به وزدنا
على الطعام الذي جئتنا به أمس فانه كان قليلا وقد أصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه
وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها وأخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس
وكانت كخفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف رأى حجارة منزوعة عن باب الكهف
فتعجب منها ثم مر حتى أتى باب المدينة مستخفيا يصد عن الطريق تخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه
فيذهب به الى دقيانوس الجبار ولا يشعر العبد الصالح أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلثمائة
سنة فلما رأى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة لأهل الايمان فلما رآها عجب
وجعل ينظر اليها مستخفيا فنظر يمينا وشمالا ثم انه ترك ذلك الباب وتحول الى باب آخر من أبوابها فنظر
فرأى مثل ذلك فجعل يخيل له أن المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى ناسا كثيرا محدثين لم يكونوا
قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل اليه أنه حيران ثم انه رجع الى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه
وبين نفسه ويقول ليت شعري أما هذه عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون
بها وأما اليوم فانها ظاهرة لعلي حالم ثم يرى أنه لم ينم فأخذ كساءه وجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل
يمشي بين أظهر أهل سوقها وهو يسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا ورأى أنه حيران فقام
مسندا ظهره الى جدران المدينة وهو يقول في نفسه والله ما أدري ما هذا أما عشية أمس فليس على
الأرض أحد يذكر عيسى الا قتل وأما الغداة فأسمع كل انسان يذكر عيسى ولا يخاف ثم قال في نفسه لعل
هذه ليست بالمدينة التي أعرفها فاني أسمع كلام أهلها ولا أعرف واحدا منهم والله ما أعلم مدينة بقرب
مدينتنا فقام كالحيران لا يتوجه وجها ثم انه لقي فتى من أهل المدينة فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى فقال
افسوس فقال في نفسه لعل بي مسا أو أمرا أذهب عقلي والله يحق لي أن أبادر الخروج منها قبل أن يصيبني
شر فأهلك هذا ما يحدث به تمليخا أصحابه حتى يبين لهم ما هم فيه ثم أفاق وقال والله لو عجلت الخروج من
المدينة قبل أن يفطن بي لكان أكيس لي فدنا من الذين يبيعون الطعام ثم أخرج الورق التي كانت معه
وأعطاها رجلا منهم وقال يا عبد الله بعني بهذه طعاما فأخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها فتعجب
منها ثم طرحها الى رجل من أصحابه فنظر اليها ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل فيتعجبون
منها ثم جعلوا يتشاورون ويقول بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد أصاب كنزا في الأرض منذ زمان طويل
فلما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا فجعل يرتعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم انما
يريدون أن يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس قال وجعل أناس آخرون يأتونه ويتعرفونه فقال لهم وهو
شديد الفرق انفصلوا قد أخذتم ورقي فأمسكوها فلا حاجة لي في طعامكم فقالوا يا فتى من أنت وما
شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الأولين فأنت تريد أن تخفيه منا انطلق معنا وأرنا مكانه وشاركنا
فيه يخفف عليك ما وجدت فانك ان لم تفعل نأت السلطان ونسلمك اليه فلما سمع قولهم عجب في نفسه ثم قال
قد وقعت في كل شيء كنت أحذر منه ثم قالوا والله يا فتى انك لا تستطيع أن تكتم ما وجدت ولا تظن في
نفسك أن سيخفى عليك فتحير في نفسه وليس يدري ما يقول لهم وما يرجع اليهم وفرق حتى ما يخبرهم بشيء فلما
رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه وطوقوه في عنقه ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة مكبلا حتى سمع به من
فيها وقيل أخذ رجل عنده كنز فاجتمع عليه أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجعلوا ينظرون اليه ويقولون
والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فيها قط وما نعرفه فجعل تمليخا ما يدري ما يقول لهم مع
ما يسمع منهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق ولم يتكلم ولو قال انه من أهل المدينة لم يصدق وكان

يالهفي أي فتى غيب من الزاهدين وفاق عن العابدين قال له ابراهيم بن أدهم قضيت عملي الله وذنبه وأمرت فقلت له ابشر يا أخي فقد قضيت حاجتك ومارضي لي بأن آتيك لاضعا على وجهي فوثب من مكانه وعانقني وسمعته يقول قضيت حاجتي فاقبضني فوقع ميتا (شعر)
أبدى شواهده في قلب شاهده
وأن شاهده فيما يحاكيه
الحمد لله لا بين ولا صلة
هذا بيان لمعنى من معانيه
(وقال عطاء السلمي رضي الله عنه) بعثنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في غزاة وكنا أربعة آلاف فحاصرنا قلعة على جبل لا تصل أسلحتنا اليه وفيها مجوس وأميرهم امرأة حسناء قال فطلعت على السور فنظرت الى عسكر الصحابة رضي الله تعالى عنهم ورأت شابا مليحا من العرب وكان جميلا فارسا شجاعا

[illegible] المدينة [illegible] أهلها [illegible]
وعلمها [illegible] كان يعرف [illegible] أهلها وانه لا يعرف الوجوه من أهلها أحدا فبينما
هو قائم كالحيران [illegible] بعض أهلها [illegible] وكذلك [illegible]
به الى رئيسي المدينة [illegible] اسم أحدهما أرموس واسم الآخر اسطيوس فلما
انطلقوا به ظن تمليخا انهم انطلقوا به الى دقيانوس الملك فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون
منه كما يسخرون من المجنون والحيران فجعل تمليخا يبكي ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اله السموات
والارض أفرغ علي اليوم صبرا وأولج معي روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يبكي ويقول في نفسه
فرق بيني وبين اخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت [illegible] هذا الجبار فانا كنا تواثقنا
لنكونن معا لا نكفر بالله ولا نفترق في موت ولا حياة أبدا يا ليت شعري ما هو فاعل بي هل يقتلني أم لا
هذا ما حدث به تمليخا أصحابه عن نفسه حين رجع اليهم فانتهى به الى الرجلين الصالحين أرموس
واسطيوس فلما علم تمليخا أنه لم يذهب به الى دقيانوس أفاق وسكن عنه البكاء فأخذ أرموس واسطيوس الورق
ونظرا اليها وعجبا منها ثم قال أحدهما أين الكنز الذي وجدت يا فتى فقال ما وجدت كنزا ولكن هذه الورق
ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ما شأني وما أدري ما أقول لكم فقال أحدهما
من أنت فقال له تمليخا قال فمن أبوك ومن يعرفك بها فأنبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحدا يعرفه فقال له أحدهما
أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول غير أنه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حضر
هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقام أحدهم ونظر
اليه نظرا شديدا وقال له أتظن انا نرسلك ونصدقك بان هذا مال أبيك وضرب هذه الورق ونقشها أكثر من
ثلثمائة سنة وانت غلام شاب تظن ان تأفكنا وتسخر بنا ونحن شمط كما ترى وحولك سراة هذه المدينة وولاة
أمرها وخزائن هذه البلدة بايدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار لاعذبنك عذابا شديدا
ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدت فلما قال له ذلك قال له تمليخا انبئوني عن شيء أسألكم عنه فان
فعلتم صدقتكم عما عندي فقالوا سل لا نكتمك شيئا قال ما فعل بالملك دقيانوس قالوا ليس نعرف اليوم على وجه
الارض ملكا يسمى دقيانوس ولم يكن الا ملك قد هلك منذ دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال له تمليخا
فوالله ما أجد من الناس أحدا يصدقني على ما أقول لقد كنا فتية وان الملك دقيانوس أكرهنا على عبادة
الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فبتنا فلما انتبهنا خرجت لاشتري لاصحابي طعاما
وأتجسس الاخبار فاذا أنا كما ترون فانطلقوا معي الى الكهف الذي في جبل ناجلوس أريكم أصحابي فلما سمع
أرموس ما يقول تمليخا قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم عبرة على يد هذا الفتى فانطلقوا
بنا معه يرينا أصحابه فانطلق معه ارموس واسطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو
أصحاب الكهف لينظروا اليهم وكان الفتية أصحاب الكهف ظنوا ان تمليخا قد احتبس عنهم لا يأتيهم
بطعامهم وشرابهم في القدر الذي كان يأتي فيه فظنوا أنه قد أخذ وذهب به الى دقيانوس فبينما هم يظنون
ذلك ويتخوفون اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة عندهم فظنوا أنهم رسل الجبار وانه بعث اليهم
ليؤتى بهم فقاموا حين سمعوا ذلك الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض ثم قالوا انطلقوا بنا نأت أخانا تمليخا فانه
الآن بين يدي دقيانوس ينتظر متى نأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهراني الكهف لم يشعروا
الا وأرموس وأصحابه وقوف على باب الكهف وقد سبقهم تمليخا فدخل عليهم وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا
معه ثم انهم سألوه عن شأنه فأخبرهم بخبره وقص عليهم الحديث كله فعرفوا عند ذلك انهم كانوا نياما بأمر
الله ذلك الزمان كله وانما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها
ثم دخل على أثر تمليخا أرموس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجالا
من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما ان مكسلمينا وتمليخا

نصرت بالسيف وطعن بالرمح فقالت يا بنية فقالت لها الجار ثم أمانا لك قالت ان حصننا قسنطينة فقالت الجارية وكيف ذلك فقالت ستر بين ساعة ثم أرسلت الى الشاب هل أحد اليك سبيلا قال نعم بشرط أن تسلمي الحصن الظاهر الينا والباطن لله فقالت أما الظاهر فاعرفه وأما الباطن فما هو قال فانك تسلمينه لله وتقرين بوحدانيته فأرسلت اليه تعال بعسكرك فلما دخل الحصن وعرض عليها الاسلام قالت اني امرأة كثيرة الهيبة هل في عسكرك من هو أكبر منك حتى أسلم على يديه قال نعم فارتحلت مع العسكر ومعها أموال كثيرة حتى دخلت على عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقالت هل ههنا أكبر منك حتى أسلم على يديه قال نعم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبره قالت لا أسلم الا على يديه فجلست

وهم طوليس وكشطوش وذاستيونوس وتكرنوس ومطوس كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس
انهم خافوا ان يفتنهم فدخلوا هذا الكهف فلما علم بمكانهم ملكهم أمر بالكهف فسد عليهم بابه ولما
كتب اسماءهم وخبرهم ليعلم من بعدهم ان عثر عليهم فلما قرؤه حمدوا الله تعالى الذي اراهم آية البعث
فيهم ثم رفعوا اصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة
وجوههم لم تبل ثيابهم فخر اريوس واصحابه سجودا وحمدوا الله الذي اراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم
بعضا وانبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان اريوس واصحابه بعثوا الى ملكهم الصالح
تندوسيس ان عجل لعلك تنظر آية من آيات الله تعالى قد اظهرها الله في ملكك فاعجل الى فتية بعثهم الله
وقد كان توفاهم منذ اكثر من ثلثمائة سنة فلما أتى الخبر قام من السدة التي كان عليها وقال احمدك اللهم
رب السموات والارض تطولت علي ورحمتني برحمتك لم تطفئ النور الذي جعلته لآبائي والعبد الصالح
قسطنطوس الملك فلما نبأ به اهل المدينة ركبوا اليه وساروا معه حتى أتوا الكهف فلما رأى الفتية
تندوسيس الملك ومن معه فرحوا به وخروا سجدا لله على وجوههم وقام تندوسيس قدامهم ثم اعتنقهم
وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم ان الفتية قالت لتندوسيس نستودعك
الله ونقرأ عليك السلام وحفظك الله وحفظ ملكك واعاذك من شر الجن والانس فبينما الملك قائم اذ رجعوا
الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله ارواحهم وقام الملك اليهم فجعل ثيابه عليهم وأمر ان يجعل لكل رجل منهم
تابوت من ذهب فلما أمسوا أتوه في المنام فقالوا انا لم نخلق من ذهب ولا من فضة ولكنا خلقنا من تراب والى
التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فأمر الملك حينئذ بتوابيت من ساج
فجعلوا فيها وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر احد ان يدخل عليهم وأمر الملك فجعل
على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر ان يؤتى كل سنة وقيل انهم لما أتوا باب
الكهف قال تمليخا دعوني أدخل على اصحابي فابشرهم فدخل وقبض الله روحه وارواحهم وعمي عليهم
مكانهم فلم يهتدوا اليه كما ذكر علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فهذا خبر اصحاب الكهف وروى ان النبي
صلى الله عليه وسلم سأل ربه ان يراهم فقال انك لن تراهم في دار الدنيا ولكن ابعث اليهم اربعة من
خيار اصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم الى الايمان بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل
كيف أبعثهم قال ابسط كساءك واجلس على طرف من اطرافه ابا بكر وعلى الثاني عمر وعلى الثالث
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وعلى الرابع ابا ذر ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليمان بن داود فان الله
أمرها ان تطيعك ففعل النبي عليه الصلاة والسلام ما أمره به فحملتهم الريح حتى انطلقت بهم الى باب
الكهف فلما دنوا من باب الكهف قلعوا منه حجرا فقام الكلب حين ابصر الضوء وهر وحمل عليهم فلما رآهم
حرك رأسه وبصبص بذنبه وأومأ برأسه ان ادخلوا الكهف فدخلوا وقالوا السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته فرد الله عليهم ارواحهم فقاموا باجمعهم وقالوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالوا ان نبي الله
محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليكم السلام فقالوا وعلى محمد رسول الله السلام ما دامت
السموات والارض وعليكم بما بلغتم ثم انهم جلسوا باجمعهم يتحدثون فآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقبلوا دين الاسلام وقالوا اقرؤا محمدا صلى الله عليه وسلم منا السلام ثم انهم اخذوا مضاجعهم وصاروا الى
رقدتهم الى آخر الزمان عند خروج المهدي فيقال ان المهدي يسلم عليهم فيحييهم الله تعالى له ثم انهم يرجعون
الى رقدتهم فلا يقومون الى يوم القيامة ثم جلس كل واحد منهم على مكانه وحملتهم الريح الرخاء فهبط جبريل
عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما كان منهم فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف
وجدتموهم وما الذي اجابوكم فقالوا يا رسول الله دخلنا عليهم وسلمنا عليهم فقاموا فردوا السلام باجمعهم
وبلغناهم رسالتك فأجابوا وأنابوا وشهدوا انك رسول الله حقا وحمدوا الله على ما اكرمهم بخروجك
وتوجيه رسلك اليهم وهم يقرؤن عليك السلام فقال عليه الصلاة والسلام اللهم لا تفرق بيني وبين

عندهم وقالت أشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله ثم قالت خرجت من
دار الكفر فتبرأني أخشى
أن أقع بعد الاسلام في
المعصية فسأل ربك الذي
أرسلك ان لا أعصيه قال
ثم وضعت يدها على حائط
القبر وماتت من ساعتها
فقال عمر رضي الله عنه
طوبى لمن مات وجوارحه
مستريحة من المعاصي
رضي الله عنهم ورضي
عنا بهم *(وقال ذو النون
المصري رضي الله عنه)*
رأيت في البادية ظلا يلوح
مرة ويغيب أخرى، والشخص
مستور عني فقلت بالله عليك
يا صاحب الظل الا ما أظهرت
نفسك لكي أراك قال
فظهر فاذا هي امرأة فقالت
يا ذا النون ما أكثر فضولك
ما تصنع بي فقلت اني أحب
الصالحين فقالت لقد
أصبت سواء فقلت اني
أحبكم تقربا الى الله تعالى
فقالت وأي فرق بينك
وبين عبدة الاصنام اذ

أسهارى وأسمائى واخفوان أمتى وأحب أهل بيتى وأحب أمتى وأحب أصحابى

(مجلس فى ذكر جرجيس عليه السلام)

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبي باسناده عن وهب بن منبه اليماني قال كان في الموصل ملك يقال له زاذانه وكان قد ملك الشام كلها ودانت له أهلها وكان جبارا عاتيا وكان يعبد صنما يقال له افلون وكان جرجيس عبدا صالحا من أهل فلسطين قد أدرك بقايا من حواري عيسى بن مريم عليه السلام وكان تاجرا كثير المال عظيم الصدقة وكان لا يأمن ولاية المشركين عليه مخافة أن يفتنوه عن دينه فخرج يوما يريد ملك الموصل ومعه مال يريد أن يهديه اليه لئلا يجعل لاحد من تلك الملوك سلطانا عليه دونه فاتاه وقد برز في مجلس له وأمر بصنمه أفلون فنصب والناس يعرضون عليه وهو يعذب من خالفه بأنواع العذاب وقد أوقد نارا عظيمة فمن لم يسجد لافلون ألقي في تلك النار فلما رأى جرجيس عليه السلام ما يصنع قطع منه وهاله وأعظمه وحدث نفسه بجهاده وألقى الله في نفسه بغضه ومجاهدته له فعمد الى المال الذي أراد أن يهديه له فقسمه في أهل ملته حتى لم يبق منه شئ وكره أن يجاهده بالمال وأحب أن يلي ذلك بنفسه فأقبل عليه وقال له اعلم انك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيأ ولا لغيرك وأن لك ربا هو الذي يملكك وغيرك وهو الذي خلقك ورزقك ويحييك ويميتك ويضرك وينفعك واذا قال لشئ كن فيكون وانك انما عمدت الى خلق من خلقه أصم لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يغني عنك شيأ من الله فزينته بالذهب والفضة وجعلته فتنة للناس ثم عبدته من دون الله فكان من جواب الملك له أن سأله عن حاله وأمره ومن هو ومن أين هو فقال جرجيس أنا عبد الله وابن عبده وابن أمته أذل عباده وأفقرهم اليه من التراب خلقت واليه أصير فقال له الملك لو كان ربك الذي تزعم كما تقول لرؤي أثره عليك كما رؤي أثري على من حولي ومن هو في طاعتي فأجابه جرجيس بتمجيد الله وتعظيم أمره ثم قال له أتعدل افلون الاصم الابكم الذي لا يغني عنك شيأ برب العالمين الذي قامت السموات والارض بأمره أم تعدل طوفابا وما نال بولايتك فانه عظيم قومك بما نال الياس من ولاية الله تعالى فان الياس كان في بدء أمره آدميا يأكل الطعام ويمشي في الاسواق فأكرمه الله تعالى حتى أنبت له الريش وكساه النور فصار انسيا ملكيا سماويا أرضيا يطير مع الملائكة أم تعدل مخلطيس وما نال بولايتك فانه عظيم قومك بالمسيح بن مريم وما نال بولاية الله تعالى فان الله تعالى فضله على رجال العالمين وجعله وأمه آية للمعتبرين أم تعدل هذه الروح الطيبة التي اختارها الله لكلمته وفضلها على امائه وما نالت بولاية الله بازبيل وما نالت بولايتك فانها كانت من شيعتك وعلى ملتك فاسلمها الله مع عظيم ملكها حتى اقتحمت عليها الكلاب في بيتها فانتهشت لحمها وولغت في دمها وقطعت الضباع أوصالها فقال له الملك انك لتحدثنا بشئ ليس لنا به علم فائتنا بالرجلين اللذين ذكرتهما حتى أنظر اليهما فاني أنكر أن يكون هذا من أمر البشر فقال له جرجيس انما جاءك الانكار من قبل العزة بالله تعالى وأما الرجلان فلن تراهما وان يريانك الا أن تعمل بعملهما فتنزل منازلهما فقال له الملك أما نحن فقد أعذرنا اليك وتبين لنا كذبك لانك فخرت بأمور عجزت عنها ولم تأت بتصديقها ثم ان الملك خير جرجيس بين العذاب وبين السجود لافلون فقال له جرجيس ان كان افلون هو الذي رفع السماء ووضع الارض فقد أصبت ونصحت لي والا فاخسأ أيها النجس الملعون فلما سمعها الملك غضب وشتمه وسب الهه وأمر بخشبة فنصبت له وجعل عليها أمشاط الحديد فخدش بها جسده حتى تقطع لحمه وجلده وعروقه ونضح عليه في خلال ذلك بالخل والخردل فحفظه الله من ذلك الالم والهلاك فلما رأى الملك أن ذلك لم يقتله أمر بست مسامير من حديد فاحميت حتى جعلت نارا فسمر بها رأسه حتى سال دماغه فحفظ من الالم والهلاك فلما رأى ذلك أنه لم يقتله أمر بحوض من نحاس فأوقد عليه حتى اذا جعله نارا أمر به فأدخل في جوفه وأطبق عليه فلم يزل فيه حتى برد حره فلما رأى ذلك لم يقتله دعا به فقال له يا جرجيس أما تجد ألم هذا العذاب الذي تعذب به فقال ان ربي الذي أخبرتك به حمل العذاب عني وصبرني لاحتج عليك فلما قال له ذلك أيقن بالشر وخافه على نفسه وملكه وأجمع رأيه على ان يخلده في السجن فقال له الملأ من قومه انك ان تركته طليقا في السجن يكلم الناس

قالوا ما تعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال فعجبت من كلامها فبينما نحن في الحديث اذ قالوا جاءت الخيل انهبت القافلة فبكى الناس وهي تضحك فقلت لها الناس يبكون وأنت تضحكين فقالت ما ضحكي الا من مخافتهم من مخلوق فقلت قد وجب عليك أن تسألي الله لنا فقالت نعم ثم رفعت طرفها الى السماء وقالت يا رافع السماء بلا عماد ويا من هو على ذكره العباد بحق ما تعلم من ودادي الا كفيتهم مؤنة الاعادي قال فما تم كلامها حتى أذهب الله الاعداء وجاء الامان وذهب الردى ثم غابت عني فلم أرها رضي الله تعالى عنها (وقيل) انه كان في بني اسرائيل شاب مسرف على نفسه بالمعاصي فأخرجوه من بينهم فحضرته الوفاة وهو في خربة على باب البلد فأوحى الله تعالى الى موسى عليه وعلى نبينا

أربعة آلاف عام ثم عذبه ولم تكن مرة من مرات التعذيب تشبه الأخرى كلام الملك فأمر بجرجيس فصلب على خشبة ثم
أمر فضرب في بدنه ورجليه أوتادا من حديد وفي كل وتد سبعة أسياخ من حديد ثم وضع على
ظهره حجر لا يحمله الا أربعة عشر رجلا فظل يومه ذلك ميتا فلما أدركه الليل أرسل
الله تعالى اليه ملكا وذلك أول ما أيده الله تعالى بالملائكة وأول ما جاءه الوحي فقلع عنه الحجر ونزع الأوتاد
من يديه ورجليه وأطعمه وسقاه وبشره بالصبر فلما أصبح أخرجه من السجن ثم قال له الحق بعدوك فجاهده
في الله حق جهاده فان الله يقول لك اصبر وابشر فاني قد ابتليتك بعدوي هذا سبع سنين يعذبك ويقتلك
فيهن أربع مرات وفي كل ذلك أرد اليك روحك فاذا كان في القتلة الرابعة قبلت روحك وأوفيتك أجرك ثم
لم يشعروا الا وقد وقف جرجيس على رؤوسهم يدعوهم الى الله تعالى فقال له الملك يا جرجيس من أخرجك من
السجن فقال أخرجني الذي سلطانه فوق سلطانك فلما قال له ذلك ملئ غيظا ودعا بأصناف العذاب حتى لم
يخل منها شيئا فلما رآها جرجيس أوجس في نفسه خيفة وجزعا ثم أقبل على نفسه يعاتبها بأعلى صوته وهم
يسمعون فلما فرغ من عتابه قال لهم الملك مدوه بين خشبتين فمدوه ثم وضعوا سيفا على مفرق رأسه
فنشروه حتى سقط من بين رجليه وصار جزأين ثم عمدوا الى أجزائه فقطعوها قطعا ودعوا له سبعة أسود
ضارية كانت له في جب وكانت صنفا من أصناف عذابه فرموا بجسده اليها فلما هوت نحوها أمرها الله عز
وجل فخضعت برؤسها وأعناقها وقامت على براثنها تقيه الأذى فظل يومه ذلك ميتا وكانت أول موتة ماتها
فلما أدركه الليل جمع الله له جسده الذي قطعوه ووضع بعضه الى بعض حتى سواه ثم رد الله اليه روحه وأرسل
الله له ملكا فأخرجه من قعر الجب فأطعمه وسقاه وبشره بالنصر فلما أصبحوا قال له الملك يا جرجيس قال
لبيك قال له اعلم ان القدرة التي خلق الله بها آدم هي التي أخرجتك من قعر الجب اخرج فالحق بعدوك
وجاهده في الله حق جهاده ومت موت الصابرين فلم يشعر الملك وأصحابه الآخرون الا وقد أقبل جرجيس
وهم عكوف على عيد لهم قد صنعوه وفرحا بموت جرجيس فلما نظروا الى جرجيس مقبلا قال الملك ما أشبه
هذا الرجل بجرجيس فقالوا كأنه هو فقال الملك ليس هو هو أفلا ترون الى سكون ريحه وقلة هيبته فقال
جرجيس بل هو أنا فلبئس القوم أنتم قتلتم ومثلتم فأحياني الله تعالى بقدرته فهلموا الى الرب العظيم الذي
أراكم ما أراكم فلما قال لهم ذلك أقبل بعضهم الى بعض وقالوا ساحر سحر أعينكم فجمعوا له من كان ببلاد
الملك من السحرة فلما جاء السحرة قال الملك لكبيرهم اعرض على من كبير سحرك ما يسر عيني فقال ادع لي
بثور من البقر فلما أتى به نفث في احدى أذنيه فانشقت باثنين ثم نفخ في الأذن الأخرى فاذا هو ثوران ثم
دعا ببذر فحرث وبذر ونبت الزرع وحصد ثم داس وذرى وطحن وعجن وخبز كل ذلك في ساعة واحدة وهم
يرون فقال له الملك هل تقدر أن تمسخ لي جرجيس دابة فقال الساحر أي دابة تطلب أمسخه لك قال كلبا فقال
الساحر ادع لي بقدح من ماء فلما أتي بالقدح نفث فيه الساحر ثم قال للملك اعزم عليه أن يشرب فشربه
جرجيس حتى أتى على آخره فلما فرغ منه قال له الساحر ماذا تجد قال ما أجد الا خيرا كنت قد عطشت
فلطف الله لي بهذا الشراب وقواني به عليكم فلما قال ذلك أقبل الساحر على الملك وقال له اعلم أيها الملك انك
لو كنت تقايس رجلا مثلك اذا لكنت غلبته ولكنك تقايس جبار السموات والأرض وهو الملك الذي لا يرام
وقد كانت امرأة مسكينة من أهل الشام قد سمعت بجرجيس وما يصنع من الأعاجيب فأتته وهو في أشد
ما فيه من البلاء فقالت له يا جرجيس انا امرأة مسكينة ولم يكن لي مال الا ثوران كنت أحرث عليهما فماتا
فجئتك لترحمني وتدعو الله أن يحيي لي ثوري فلما سمع كلامها ذرفت عيناه ثم دعا الله أن يحيي لها ثوريها ثم
انه أعطاها عصا وقال لها اذهبي الى ثوريك فاقرعيهما بهذه العصا وقولي لهما احييا باذن الله تعالى فقالت له
يا جرجيس ان ثوري قد ماتا منذ سبعة أيام وفرقتهما السباع وبيني وبينهما أيام فقال لها لو لم تجدي منهما
الا شيئا يسيرا فاقرعيه بالعصا فانهما يقومان باذن الله تعالى فانطلقت المرأة حتى أتت مصرعهما وكان
أول شيء بدا لها من ثوريها قرن أحدهما وشعر أذني الآخر فجمعت أحدهما الى الآخر وقرعتهما بالعصا

وقالت

أفضل الصلاة والسلام
الى موسى ان وليا من أوليائي
قد حضره الموت في مكان
كذا فاحضره وغسله وكفنه
وصل عليه وقل لمن كان ثمة
يصلي عليه فنادى موسى
في بني اسرائيل فحضروه
فلما نظروا اليه عرفوه
وقالوا يا نبي الله هذا فلان
الفاسق الذي أخرجناه
فتعجب موسى من ذلك
فأوحى الله تعالى اليه انهم
صدقوا لكنه لما حضرته
الوفاة في هذه الخربة نظر
يمينا وشمالا فلم ير أحدا
ورأى نفسه غريبة وحيدة
ذليلة منكسرة فرفع بصره
الي وقال الهي وسيدي
ومولاي عبد من عبيدك
غريب في بلادك فلو علمت
ان عذابي يزيد في ملكك
لم أسألك المغفرة وليس لي
رجاء الا أنت وقد سمعت
فيما أنزلت تقول اني أنا
الغفور الرحيم أكان يحسن
أن أرده يا موسى وقد
توسل بي وتضرع الي وعزتي
وجلالي لو سألني في المذنبين

وقالت كأنى صافقا ما أوردوا بآذان الله تعالى وعملت عملي بما حي بادهم بقدر بالذي خلقهم كان الساحر الملك

ما قال قال رجل من أصحاب الملك وكان أعظمهم عند الملك انكم قد سمعتم أمر هذا الرجل على التعذيب انكم

قد عذبتموه فلم يصل اليه عذابكم وقتلتموه فلم يمت فهل رأيتم ساحرا قط أعجز نفسه الموت أو أحيا ميتا

فقالوا له ان كلامك لكلام رجل قد صبا اليه فلعله لشىء قاله فقال آمنت بالله وأشهد أني برىء مما

تعبدون فقام اليه الملك وأصحابه بالخناجر وقتلوه فلما رأى القوم ذلك اتبع جرجيس أربعة آلاف آمنوا فعمد

اليهم الملك فلم يزل يعذبهم بألوان العذاب حتى أفناهم فلما فرغ منهم قال لجرجيس هلا دعوت ربك فأحيا لك

أصحابك هؤلاء الذين قتلوا بجريرتك فقال له جرجيس ما خلى بيني وبينهم حتى حانت آجالهم فقال له رجل من

عظمائهم يقال له مخليطس انك زعمت يا جرجيس ان الهك هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده واني سائلك أمرا

ان فعلته آمنت بك وصدقتك وكفيتك قومي هؤلاء تحتنا أربعة عشر كرسيا وهذه مائدة بيننا عليها أقداح

وصحاف من أشجار شتى فادع ربك ينشئ هذه الكراسي والأواني كما بدأها أول مرة تعود خضرا فيعرف

كل عود منها بلونه وورقه وزهره فقال له جرجيس لقد سألت أمرا عزيزا علي وعليك وانه على الله لهين

فدعا الله عز وجل فما برحوا من مكانهم حتى اخضرت تلك الكراسي والأواني كلها وساخت عروقها

ولبست اللحم وتشعبت وأورقت وأزهرت وأثمرت فلما نظروا الى ذلك انتدب لهم مخليطس الذي تمنى عليه

ما تمنى فقال أنا أعذب لكم هذا الساحر عذابا يبطل به كيده ثم انه عمد الى نحاس فصنع منه صورة ثور له

جوف واسع ثم حشاها نفطا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا ثم أدخل جرجيس مع الحشو في جوفها ثم أوقد على

الصورة حتى التهب وذاب كل شىء فيها واختلط بجرجيس في جوفها فلما مات جرجيس أرسل الله ريحا عاصفا

فملأت السماء سحابا أسود فيه رعد وبرق وصواعق وأرسل الله اعصارا ملأت بلادهم عجاجا وقتاما حتى

اسود ما بين السماء والارض فمكثوا أياما متحيرين في تلك الظلمة لا يفصلون بين الليل والنهار وأرسل الله

ميكائيل فاحتمل الصورة التي فيها جرجيس حتى اذا أقلها ضرب بها الارض ففزع من روعها أهل الشام

فخروا لوجوههم صاعقين وانكسرت الصورة فخرج منها جرجيس حيا فلما وقف يكلمهم انكشفت

الظلمة وأسفر ما بين السماء والارض ورجعت اليهم أنفسهم فقال له رجل يقال له طوقليا لا ندري يا جرجيس

ان كنت أنت تصنع هذه الاعاجيب أم ربك فان كان ربك هو الذي يصنع فادعه يحيي لنا موتانا التي في هذه

القبور فان فيها أمواتا منهم من نعرفه ومنهم من لا نعرفه فقال له جرجيس لقد علمت ان ما يصفح الله عنكم

هذا الصفح ويريكم هذه الاعاجيب الا لتكون عليكم حجة فتستوجبوا بها غضبه ثم انه أمر بالقبور فنبشت

وهي عظام رفات وأقبل جرجيس على الدعاء فما برحوا من مكانهم حتى نظروا الى سبعة عشر انسانا تسعة

رجال وخمس نسوة وثلاث صبية واذا فيهم شيخ كبير فقال له جرجيس يا شيخ ما اسمك فقال يا جرجيس اسمي

توبيل قال متى مت قال في زمان كذا وكذا فحسبوا فاذا هو قد مات منذ أربعمائة عام فلما نظر الملك

وأصحابه الى ما فعل قالوا ما بقي من أصناف العذاب شىء الا وقد عذبتموه به الا الجوع والعطش فعذبوه بهما

فعمدوا الى بيت عجوز كبيرة فقيرة كان لها ابن أعمى أصم أبكم مقعد فحصروه في بيتها وكانوا لا يوصلون له

من عند أحد طعاما ولا شرابا فلما بلغ به الجوع قال للعجوز هل عندك من طعام أو شراب فقالت لا والذي

يحلف به ما عهدنا الطعام منذ كذا وكذا وسأخرج ألتمس لك شيئا فقال لها جرجيس هل تعرفين الله تعالى

قالت نعم قال اياه تعبدين قالت لا فدعاها الى الله فصدقته ثم انها انطلقت تطلب له شيئا وكان في بيتها دعامة

من خشب يابسة تحمل خشب البيت فأقبل على الدعاء فاخضرت تلك الدعامة وأنبتت له كل فاكهة تؤكل

أو تعرف حتى كان مما أنبتت اللوبيا والباز وهو مثل البردي يكون بالشام وظهر للدعامة فرع من فوق

البيت أظله من فوقه فأقبلت العجوز وهو فيما شاء يأكل رغدا فلما رأت الذي حدث في بيتها من بعدها قالت

آمنت بالذي أطعمك في بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم أن يشفي ابني قال لها أدنيه مني فأدنته فبصق

من أهل الارض لوهبه لها أنا الغفور الرحيم (وروى) انه كان في بني اسرائيل ملك جبار وكان يكره الفقراء والصدقة ونادى في المدينة كل من تصدق بشىء قطعت يده وكان في المدينة امرأة صالحة ماتت زوجها ومعها ولدان وكانت تغزل وتشتري كل يوم دقيقا وتعمل منه ثلاثة أقراص لها وللولدين فبينما هي على تلك الحالة اذ مر سائل ببابها فأعطته قرصها صدقة وقالت له لا تأكل عند أحد خوفا عليه من الملك فأخذه ومضى فلما كان في بعض الطريق أخرج القرص ليأكله فلقيه بعض أعوان الملك وقال له من أين أتاك هذا الرغيف فقال أعطتنيه امرأة فقبض عليه ورجع به الى الملك وأخبره بقصته فقال امضوا به الى موضعها وائتوني بها وبالفقير بحسب أنه يريد أن يعطيها شيئا عوض صدقتها فأحضروها

فى عينيه فأبصر ونفث فى أذنيه فسمع فقالت له أطلق لسانه ورجليه ورجلاه فقال لها أخريه فان له يوما عظيما وكان الملك قد خرج يوما يسير فى مدينته اذ وقع بصره على الشجرة فقال انى أرى شجرة كانت ما كنت أعرفها به فقالوا له ان تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذى أردت أن تعذبه بالجوع فهو فيها يشاء يأكل وقد شبع منها وأشبع العجوز الكبيرة الفقيرة وشفى لها ابنها فأمر الملك بالبيت فهدم وبالشجرة أن تقطع فلما هموا بقطعها أيبس الله الشجرة وردها كما كانت أول مرة فتركوها وأمر بجرجيس فبطح على وجهه وأوتد له أربعة أوتاد وأمر بعجل فأوقر اسطوانا وجعل فى أسفل العجل خناجر وشفارا ثم أمر بأربعين ثورا فنهضت بالعجل نهضة واحدة وجرجيس تحتها فانقطع ثلاث قطع فأمر بقطعه ان تحرق فأحرقت فى النار حتى عادت رمادا فبعث بذلك الرماد وبعث معه رجالا فذروه فى البحر فلم يبرحوا عن مكانهم حتى سمعوا صوتا من السماء يا بحر ان الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب فانى أريد أن أعيده كما كان ثم أرسل الله الرياح فأخرجته من البحر ثم جمعته حتى صار الرماد صبرة واحدة كهيئته قبل أن يذرى فخرج منه جرجيس مغبرا ينفض رأسه فرجعوا ورجع جرجيس وأخبروا الملك خبر الصوت الذى سمعوه والريح الذى جمعته فقال له الملك يا جرجيس هل لك فيما هو خير لى ولك مما نحن فيه ولولا أن يقول الناس انك غلبتنى وقهرتنى لاتبعتك وآمنت بك ولكن اسجد لآلهتى سجدة واحدة واذبح له شاة واحدة ثم انى أفعل ما يسرك فقال له نعم مهما شئت فعلت فأدخلنى على صنمك ففرح الملك بقوله وقام اليه وقبل يديه ورجليه ورأسه وقال له اعزم عليك أن تظل هذا اليوم ولا تبيت هذه الليلة الا فى بيتى وعلى فراشى وفى كرامتى حتى تستريح ويذهب عنك وصب العذاب ويرى الناس كرامتك على فأخلى له بيته فظل فيه جرجيس حتى اذا أدركه الليل قام يصلى ويقرأ الزبور وكان أحسن الناس صوتا فلما سمعته امرأة الملك استجابت له فلم يشعر الا وهى خلفه تبكى فدعاها جرجيس الى الايمان فآمنت به وأمرها فكتمت ايمانها فلما أن أصبح الصبح غدا به الى بيت الاصنام ليسجد لها فلما سمعت العجوز بذلك خرجت تحمل ابنها على عاتقها تتبع جرجيس والناس مشتغلون عنها فلما دخل جرجيس بيت الاصنام ودخل الناس معه نظروا واذا بالعجوز وابنها على عاتقها أقرب الناس اليه مقاما فلما رآها جرجيس دعا ابن العجوز باسمه فنطق وأجابه ولم يكن يتكلم قبل ذلك قط ثم اقتحم عن عاتق أمه يمشى على رجليه ولم يكن يطأ الارض قبل ذلك بقدميه قط فلما وقف بين يدى جرجيس قال له اذهب وادع لى هذه الاصنام وهى يومئذ سبعون صنما على منابر من ذهب وهم يعبدونها ويعبدون معها الشمس والقمر فقال له الغلام كيف أدعو الاصنام فقال له قل لها ان جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذى خلقك الا ما أتيته فلما قال لها الغلام ذلك أقبلت تتدحرج الى جرجيس فلما انتهت اليه ركض الارض برجله فخسف بها وبمنابرها وخرج ابليس لعنه الله من جوف صنم منها هاربا فرقا من الخسف فلما مر بجرجيس أخذ بناصيته فخضع له وكلمه جرجيس فقال له جرجيس أخبرنى أيها الروح النجسة والخلق الملعون ما الذى يحملك على أن تهلك نفسك وتهلك الناس معك وأنت تعلم انك وجندك تصيرون الى جهنم فقال له ابليس لعنه الله لو خيرت بين ما أشرقت عليه الشمس وبين ما أظلم عليه الليل وبين هلكة واحد من بنى آدم وضلالته لاخترت هلكته على ذلك كله وانه ليقع لى من الشهوة واللذة فى ذلك مثل جميع ما يتلذذ به جميع الخلق ألم تعلم يا جرجيس أن الله تعالى أسجد لأبيك آدم جميع الملائكة فسجدوا له كلهم وامتنعت من السجود وقلت أنا خير منه قال فلما قال هذا خلى سبيله جرجيس فما دخل ابليس من يومئذ جوف صنم ولا يدخله بعدها فيما يذكرون أبدا فقال الملك يا جرجيس غررتنى وخدعتنى وأهلكت آلهتى فقال جرجيس انما فعلت ذلك لتعتبر ولتعلم انها لو كانت آلهة لامتنعت منى وكيف تثق ويلك بآلهة لم تمنع نفسها منى وانما أنا مخلوق ضعيف لا أملك الا ما ملكنى ربى فلما قال هذا جرجيس أقبلت امرأة الملك وكلمتهم وكشفت لهم عن ايمانها وعددت لهم أفعال جرجيس والعبر التى أراهم الله تعالى اياها وقالت لهم ما تنتظرون من هذا الرجل الا دعوة فيخسف بكم الارض كما خسف بأصنامكم الله الله أيها القوم

عند الملك فقال لها أما سمعت النداء ثم أمر بقطع يدها فقطعت وعلقت فى عنقها فجاءت الى منزلها وأقامت تحمد الله وكانت صائمة جائعة الى أن أفطرت ونامت وهى شاكرة لله تعالى فلما أصبح الصبح مر فقير وقال يا من يتصدق بصدقة تنفعه فأعطته قرصا من أقراص أولادها فذهب وهو يقول جزى الله عنى هذه المرأة خيرا كأنها تصدقت على فسمعه أحد خدام الملك فقبض عليه وأتى به الى الملك فأمر باحضارها فحضرت بين يديه فأمر بقطع يدها الاخرى فقطعت وباتت بمنزلها واذا بسائل يقول من يتصدق على الجائع المسكين الذى طاف هذه المدينة فلم يعطه أحد من أهلها لقمة واحدة قال فلما سمعته أخرجت له قرصا فأخذه ومضى فاذا برجل من أعوان الملك فقبض عليه وأتى به الى الملك

فى أنفسكم فقال لها الملك ويحك يا اسكندرة ما أسرع ما أضلك هذا الساحر فى ليلة واحدة وأنا أقاسيه منذ سبع سنين فلم يظفر منى بشئ فقالت له أما رأيت الله كيف يظفره بك ويسلطه عليك فيكون له الفلاح والحجة عليك فى كل موطن فلما سمع كلامها أمر بها الملك عند ذلك فحملت على خشبة جرجيس التى كان علق عليها وجعلت عليها الامشاط التى جعلت على جرجيس فلما آلمها قالت ادع ربك يا جرجيس فيخفف عنى فانى قد آلمنى العذاب فقال لها انظرى فوقك فلما نظرت ضحكت فقال لها الملك ما الذى يضحكك قالت أرى ملكين فوقى معهما تاج من حلى الجنة ينتظران به خروج روحى فلما خرجت روحها زيناها بذلك التاج ثم صعدا بها الى الجنة فلما قبض الله روحها أقبل جرجيس على الدعاء وقال اللهم أنت أكرمتنى بهذا البلاء لتعطينى منازل الشهداء فهذا آخر أيامى الذى كنت وعدتنى فيه الراحة من بلاء الدنيا اللهم انى أسألك أن لا تقبض روحى ولا أزول من مكانى هذا حتى تنزل بهؤلاء المتكبرين من سطواتك ونقمتك ما لا قبل لهم به حتى تشفى به صدرى وتقر به عينى فانهم ظلمونى وعذبونى فيك اللهم وأسألك أن لا يدعو بعدى داع فى بلاء وكرب فيذكرنى ويشدك باسمى الا فرجت عنه ورحمته وأجبته وشفعتنى فيه فلما فرغ من هذا الدعاء أمطر الله عليهم نارا فلما رأوا ذلك عمدوا اليه فضربوه بالسيوف غيظا من شدة الحريق ليعطيه الله بالقتلة الرابعة ما وعده ثم احترقت المدينة بجميع ما فيها وصارت رمادا فحملها الله من وجه الارض وجعل عاليها سافلها فمكثت زمانا من الدهر يخرج من تحتها نار ودخان منتن لا يشمه أحد الا سقم سقما شديدا وكان جميع من آمن بجرجيس وقتل معه أربعة وثلاثين ألفا وامرأة الملك قال الاستاذ وكانت قصة جرجيس فى أيام ملوك الطوائف والله أعلم

﴿باب فى قصة شمسون النبى عليه السلام﴾

قال الله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر الى قوله تعالى خير من ألف شهر (أخبرنا) أبو عمرو العراقى باسناده عن ابن أبى نجيح أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فتعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر التى لبس الرجل فيها السلاح فى سبيل الله تعالى (أخبرنا) عبد الله الضبى باسناده عن وهب ابن منبه أن رجلا من أهل قرية من قرى الروم يقال له شمسون بن مسوح كان فيهم مسلما من أهل الانجيل وكانت أمه قد جعلته نذرا وكان قومه أهل أوثان يعبدونها من دون الله وكان منزله منها على خمسة أميال وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم فى الله فيقتل منهم ويسبى ويصيب الاموال وكان اذا قاتلهم لقيهم بلحى بعير لا يلقاهم بغيرها وكان اذا قاتلهم وقاتلوه فتعب وعطش انفجر له من الحجر ماء عذب فيشرب منه حتى يروى وكان قد أعطى قوة فى البطش وكان لا يوثقه حديد ولا غيره فجاهدهم فى الله ألف شهر يصيب منهم حاجته ولا يقدرون منه على شئ فاحتالوا عليه وقالوا لا نأتيه الا من قبل امرأته فدخلوا اليها وجعلوا لها جعلا على ذلك فاجابتهم وقالت أنا أوثقه لكم فاعطوها حبلا وثيقا وقالوا لها اذا نام فأوثقى يديه الى عنقه حتى نأتيه فنأخذه فلما نام أوثقت يديه الى عنقه بذلك الحبل فلما انتبه من نومه جذبه بيديه فوقع من عنقه فقال لها لم فعلت ذلك فقالت له اجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فارسلت اليهم وقالت لهم انى قد ربطته بالحبل فلم يغن عنه شيئا فارسلوا اليها بجامعة من حديد وقالوا لها اذا نام فاجعليها فى عنقه فلما نام جعلتها فى عنقه ثم أحكمتها فلما هب جذبها فوقعت من عنقه ويده فقال لها لم فعلت هذا قالت اجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط وهل فى الارض شئ يغلبك قال لا الا شئ واحد قالت وما هو قال ما أنا بمخبرك به فلم تزل تسأله عن ذلك وكان ذا شعر طويل كثير فقال لها ويحك ان أمى كانت أخبرتنى أن لا يغلبنى شئ أبدا ولا يغيظنى الا شعرى فلما نام أوثقت يده الى عنقه بشعر رأسه فاوثقه ذلك فبعثت الى القوم فجاؤا وأخذوه فجدعوا أنفه وأذنيه وفقؤا عينيه وأوقفوه للناس بين ظهرانى المدينة وكانت مدينة ذات أساطين وكان ملكهم قد أشرف عليها هو والناس لينظروا الى شمسون وما يصنع به فدعا الله شمسون حين مثلوا به

فأخبره بالمرأة فقال هى لم تنته وأمر بقطع رجلها وأقامت تلك الليلة واذا بسائل يقول يا من يتصدق على الله [illegible] مدة وهو مسافر [illegible] له قوت الانبات الارض فزحفت وأعطته قرصا فرآه نديم الملك فاخبره بما كان من المرأة فأمر بقطع رجلها الاخرى فأقامت الى أن افطرت فلما جاء الفجر زحفت الى البحر لتتوضأ وكان قريبا من بابها فاستيقظ أولادها ولم يروها فصاروا يحبون حتى خرجوا من الدار واذا بذئب واقف على الباب فخطف أحدهما فى فمه فلما رأته أمه زحفت خلف الذئب فلم تلحقه فرجعت وهى صابرة حامدة شاكرة فرأت الولد الآخر صار يحبو الى البحر حتى انقلب فيه ولم تدركه أمه فقالت اللهم انى استودعتكهما يا من لا تخيب عنده الودائع يا أرحم الراحمين قال فما استتم دعاءها حتى قمت

وأوقفوه على الناس أن يسلطه عليهم فأمر أن يأخذ بعمودين من عمد المدينة التي عليها الملك والناس معه فجذبهما جميعا فجذبهما فانهارت المدينة بمن فيها فهلكوا فيها هدما وهلكت أيضا امرأته معهم ورد الله تعالى عليه بصره وما أصابوا من جسده تماما وعاد كما كان وكانت قصة شمسون في أيام ملوك الطوائف والله أعلم

﴿باب في قصة أصحاب الاخدود﴾

قال الله تعالى قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود الآيات روى عطاء عن ابن عباس انه كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل في الفترة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان له ساحر حاذق فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث لي غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يقال له عبد الله بن السامري يعلمه السحر فكره الغلام ذلك ولم يجد بدا من طاعة الملك وطاعة أبيه فجعل يتخلف عن الساحر وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فقعد الغلام عنده وسمع كلامه فأعجبه وكان يبطئ عند الراهب ويأتي المعلم فيضربه ويقول له ما الذي حبسك واذا انقلب الى أبيه يجلس عند الراهب فيضربه أبوه ويقول له ما أبطأك فشكا الغلام ذلك الى الراهب فقال له الراهب اذا أتيت المعلم فقل له حبسني أبي واذا أتيت أباك فقل حبسني المعلم وكان في تلك البلاد حية عظيمة قد قطعت الطريق على الناس فرآها الغلام ورماها بحجر وقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتلها فلما رماها قتلها فأتى الراهب وأخبره فقال له الراهب أنت قتلتها قال نعم قال ان لك لشأنا وقد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى فاذا ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويشفي المرضى وكان للملك ابن عم مكفوف البصر فسمع بالغلام وقتله الحية فجاءه مع قائد وقال له أنت قتلت الحية قال لا قال فمن قتلها قال الله تعالى قال فمن الله قال رب السموات والارض وما بينهما ورب الشمس والقمر والليل والنهار والدنيا والآخرة قال ان كنت صادقا فادع الله أن يرد علي بصري فقال له الغلام أرأيت ان رد الله عليك بصرك تؤمن بالله قال نعم قال اللهم ان كان صادقا فاردد عليه بصره فرجع الى منزله بلا قائد ثم دخل على الملك فلما رآه تعجب منه وقال له من فعل هذا بك فقال الله قال ومن الله قال رب السموات والارض فقال له الملك أخبرني من علمك هذا فأبى فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك يا بني قد بلغ من سحرك هذا فقال له الغلام اني لا أشفي أحدا وانما يشفي الله فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار ووضعه في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقتين ثم جيء بابن عم الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار وشقه مثل ذلك ثم التفت الى الغلام وقال له ارجع عن دينك فأبى فدفعه الى نفر من أصحابه وقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا واصعدوا به الى ذروة الجبل فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به الى الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وهلكوا ثم جاء الغلام يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله فغاظ الملك ذلك فدفعه الى نفر من أصحابه وقال لهم اذهبوا به في قرقور وهي السفينة واطرحوه في البحر ولججوا به فيه فان رجع عن دينه والا فاقذفوه في البحر وغرقوه فذهبوا به الى البحر فقال الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فقال الملك اقتلوه بالسيف فنبا السيف عنه وفشا خبره في الارض وعرفه الناس وعظموه وعلموا انه هو وأصحابه على الحق ثم ان الغلام قال للملك انك لا تقدر على قتلي الا أن تفعل ما آمرك به فقال وما هو قال تجمع أهل مملكتك وأنت على سريرك فتصلبني على جذع وترميني بسهم وتقول بسم الله رب الغلام ففعل الملك ذلك ثم رماه وقال بسم الله فأصابه في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس لا اله الا الله آمنا بدين عبد الله بن السامر ولا دين الا دينه فلما آمن الناس برب العالمين رب الغلام قيل للملك قد والله نزل بك ما كنت تحذر فغضب الملك وأغلق أبواب المدينة وأخذ أفواه السكك وخد أخدودا وملأه نارا ثم عرض الناس عليه رجلا رجلا فمن رجع عن الاسلام تركه ومن لم يرجع ألقاه في الاخدود فاحترق وكانت امرأة قد أسلمت فيمن أسلم

أبواب السماء وضجت الملائكة بالتسبيح والتقديس لله رب العالمين فأمر الجليل جبريل فنزل اليها وقال لها يا أمة الله أمرني رب العالمين ان أرد يديك ورجليك وولدك ببركة الصدقة ثم أخذ يديها ورجليها وألصقها بقدرة من يقول للشيء كن فيكون فقامت باذن الله تعالى ورد الله تعالى عليها ولديها من الذئب والبحر فبلغ ذلك الملك فأحضر المرأة بين يديه وتعجب في صنع الله تعالى فقالت له ان الذي تصدقت من أجله رد علي يدي ورجلي وأولادي فقام على قدميه وقال آمنت بالذي خلقك وسواك وصار يعبد الله تعالى حتى توفاه الله هو والمرأة في يوم واحد ووضعا في قبة من الجنة وارتفعت بهما الى السماء حتى خفيت عن الابصار نفعنا الله بهما وبسركاتهما في الدنيا والآخرة آمين (وقيل) كان ببغداد رجل يعرف

برلها

ثلاثة أحدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي عن دينك والا القيتك انت واولادك في النار فأبت فأخذ ابنها الأكبر فألقي في النار ثم أخذ الأوسط وقال لها ارجعي عن دينك فأبت فالقي أيضا في النار ثم أخذ الرضيع وقال لها ارجعي فأبت فأمر بالقائه في النار فهمت المرأة بالرجوع فقال لها الصبي الصغير يا أماه لا ترجعي عن الاسلام فانك على الحق ولا بأس عليك فألقي الصبي في النار وأمه على أثره وقد روى هذا بنحو ما ذكرناه مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخبرنا) أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين بن جعفر المذكور باسناده عن صهيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل معناه وقد تكلم ستة في المهد شاهد يوسف الصديق عليه السلام وابن ماشطة بنت فرعون ويحيى بن زكريا وعيسى بن مريم وصاحب جريج الراهب وصاحب الاخدود (وقال سعيد بن المسيب) كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ ورد عليه كتاب أنهم وجدوا ذلك الغلام بنجران وهو واضع يده على صدغه فكلما مدت يده عادت الى الصدغ فكتب اليهم عمر واروه حيث وجدتموه وقال مقاتل كان أصحاب الاخاديد ثلاثة واحد بنجران اليمن وآخر بالشام وآخر بفارس حرقوا بالنار أما الذي بالشام فانطياخوس الرومي أحرق قوما من المؤمنين وأما الذي بفارس فهو بختنصر (وكانت قصته) ما أخبرنا عبد الله بن حامد باسناده عن ابن أبزى قال لما هزم المسلمون أهل الاسفندهار وانصرفوا جاءهم نبي عمر فاجتمعوا وقالوا أي شئ تجري على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا بأهل كتاب وليسوا من مشركي العرب فقال علي كرم الله وجهه بل هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمرة قد أحلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فتناول أخته فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي أتيت وما المخرج منه فقالت المخرج منه انك تخطب الناس فتقول أيها الناس ان الله قد أحل لكم نكاح الاخوات اذا ذهب هذا في الناس تناسوا حرمته عليهم فقام فيهم خطيبا فقال أيها الناس ان الله أحل لكم نكاح الاخوات فقال الناس بأجمعهم معاذ الله أن نؤمن بهذا ما جاءنا به نبي ولا أنزل علينا في كتاب فرجع الى أخته وقال ويحك ان الناس قد أبوا علي فقالت ابسط فيهم السوط فأبوا أن يقروا فقال لها ان الناس قد أبوا فقالت جرد فيهم السيف فأبوا أن يقروا فقالت خد لهم الاخدود ثم اعرضهم عليه فمن تابعك خل عنه ومن أبى فاقذفه في النار فخد الاخدود وأوقد فيه النيران وعرض أهل مملكته على ذلك فمن أبى قذفه في النار ومن أجاب خلى سبيله فأنزل الله تعالى فيهم قتل أصحاب الاخدود الى قوله تعالى عذاب الحريق وأما الذي في اليمن فهو يوسف ذو نواس بن شرحبيل بن تبع بن يشرخ الحميري وقد ذكرنا قصته وذكر محمد بن اسحق بن يسار عن وهب ابن منبه أن رجلا كان بقي على دين عيسى فوقع الى نجران فدعاهم فأجابوه فسار اليهم ذو نواس بين النار أو اليهودية فأبوا عليه فأحرق منهم اثني عشر ألفا وقال مقاتل انما قذف في النار يومئذ سبعة وسبعين انسانا وقال الكلبي كان أصحاب الاخدود سبعين ألفا فلما قذفوا المؤمنين في النار خرجت النار الى أعلى شفير الاخدود فأحرقتهم وارتفعت النار فوقهم اثني عشر ذراعا ونجا ذو نواس فسلط الله عليهم ارياطا الحبشي حتى غلب على اليمن فخرج هاربا فاقتحم البحر فأغرقه الله فيه وفيه يقول عمرو بن معديكرب

أتوعدني كأنك ذو رعين * بأنعم عيشة أو ذو نواس

وقدما كان قبلك في نعيم * وملك ثابت في الناس راسي

فقدم عهده من عهد عاد * عظيم قاهر الجبروت قاسي

فأمسى أهله بادوا وأمسى * ينقل في أناس من أناس

﴿باب قصة أصحاب الفيل وبيان ما فيها من الفضل والشرف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم﴾

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر السورة قال محمد بن اسحق بن يسار كان من حديث أصحاب الفيل ما ذكر بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وعمن بقي من علماء اليمن وغيرهم ان ملكا من ملوك حمير يقال له زرعة ذو نواس كان قد تهود واجتمعت معه حمير على

بابن الرومي وكان له زوجة وأولاد فنزل بالناس مجاعة عظيمة فأقام الفتى وعياله ثلاثة أيام لم يعرفوا الطعام واشتد بهم الامر فلما كان في اليوم الرابع قالت زوجته وكانت بنت عمه يا ابن عمي أنا وأنت نصبر على الجوع فكيف الحيلة في هؤلاء الاطفال فقال لها هل تعرفين شغلا أعمله قالت نعم اعمد الى سوق البنائين فلو عملت بنصف درهم كان فيه قوت الاطفال فقال حبا وكرامة قال فأخذ فأسا وزبيلا وخرج يطلب سوق البنائين فوجد في طريقه مسجدا مهجورا فدخله وقال وعزتك وجلالك لاعملت اليوم الا لك وكان وقت صلاة الفجر قال فاستقبل القبلة ولم يزل راكعا وساجدا يومه كله فقرأ في ذلك اليوم في صلاته سورة الاخلاص أحد عشر ألف مرة ثم صلى المغرب وهم بالخروج فقال في نفسه كيف أمضي الى أهلي وماذا أقول لهم ان

ذلك الا ما كان من أهل نجران فانهم كانوا على دين النصرانية على حكم الانجيل ولهم رأس يقال له
عبد الله بن الثامر فدعاهم الى اليهودية فأبوا فخيرهم فاختاروا القتل فخد لهم الاخدود وصنف لهم
أصناف القتل فمنهم من قتل صبرا ومنهم من ألقى في النار الا رجلا من أهل سبا يقال له دوس بن ثعلبان
فذهب على فرس له يركض حتى أعجزهم في الرمل فأتى قيصر فذكر له ما بلغ منهم واستنصره فقال له بعدت
بلادك عنا ولكني أكتب لك الى ملك الحبشة فانه على دينك فينصرك فكتب له الى النجاشي يأمره بنصره
فلما قدم على النجاشي بعث معه رجلا من الحبشة يقال له ارياط فلما بعثه قال له ان دخلت اليمن فاقتل ثلث
رجالها واخرب ثلث بلادها وابعث الي بثلث سباياها فلما دخلها ناوشهم القتال فتفرقوا عن ذي نواس
واقتحم بفرسه واستعرض به البحر فهلكا جميعا فكان آخر العهد بهما ودخلها ارياط فعمل بما أمره النجاشي
فقال ذو جدن الحميري فيما أصاب أهل اليمن

دعيني لا أبا لك لم تطيقي * لحاك الله قد أنزفت ريقي
بذا عزف القيان اذا انتشينا * اذ نسقى من الخمر الرحيق
وشرب الخمر ليس على عارا * اذا لم يشكني فيها رفيقي
وان الموت لا ينهاه ناه * ولو شرب الشفاء من النشوق
ولا مترهب في أسطوان * يناطح جدره بيض الانوق
وغمدان الذي نبئت عنه * بنوه مسمكا في رأس نيق
بمنهمة وأسفله جروب * وحر الموحل اللثق الزليق
مصابيح السليط يلحن فيه * اذا يمسي كومضان البروق
فأصبح بعد جدته رمادا * وغير حسنه لهب الحريق
ونخلته التي غرست اليه * يكاد البسر يهصر بالعذوق
وأسلم ذو نواس مستكينا * وحذر قومه ضنك المضيق

قال فأقام ارياط باليمن وكتب اليه النجاشي أن اثبت بجندك ومن معك فأقام سنينا ثم ان أبرهة نازعه في الملك
سلطانه ثم نازعه في أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت معه طائفة ومع أبرهة طائفة ثم تزاحفا فلما دنا
بعضهم من بعض أرسل أبرهة الى ارياط انك لا تصنع شيأ بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض ولكن ابرز الي
وأبرز اليك فأينا قتل صاحبه انضم اليه الجند فأرسل اليه انك قد أنصفت ثم انهما خرجا وكان ارياط جسيما عظيما
وسيما في يده حربة وكان أبرهة رجلا قصيرا حادرا لحيما وكان ذا دين في النصرانية وكان خلف أبرهة وزير له
يقال له عتودة فلما دنوا رفع ارياط الحربة فضرب بها رأس أبرهة فوقعت على جبينه فشرمت عينه وجبينه
وأنفه وشفته فلذلك سمي أبرهة الاشرم فلما رأى عتودة ذلك حمل على ارياط فقتله فاجتمع الجيش على
أبرهة فبلغ النجاشي ما صنع أبرهة فغضب عليه وحلف لا يدع أبرهة حتى يجز ناصيته ويطأ بلاده ثم انه
كتب الى أبرهة انك عدوت على أميري فقتلته بغير أمري وكان أبرهة رجلا ماردا فلما بلغه قول النجاشي
حلق رأسه وملأ جرابا من تراب أرضه وكتب الى النجاشي أيها الملك انما كان ارياط عبدك وأنا عبدك
اختلفنا في أمرك وكنت أعلم بأمر الحبشة وأسوس لها وكنت أردته أن يعتزل فأبى فقتلته وقد بلغني الذي
حلف عليه الملك وقد حلقت رأسي وبعثت به اليك وملأت جرابا من تراب أرضي وبعثته اليك ليطأه
الملك فيبر قسمه فلما انتهى اليه ذلك رضي عنه وأقره على عمله وكتب اليه بأن اثبت بمن معك من الجند
ثم ان أبرهة بنى كنيسة بصنعاء يقال لها القليس ثم انه كتب الى النجاشي أني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة
لم يبن الملك مثلها قط ولست منتهيا حتى أصرف اليها حاج العرب فسمع بذلك رجل من بني مالك بن كنانة
فخرج الى القليس فدخلها ليلا فقذر فيها ثم نأى بها وتعصب للكعبة فبلغ ذلك أبرهة ويقال انه أتاها ناظرا
اليها فدخلها فوجد العذرة فيها فقال من اجترأ على هذا فقيل فعل هذا رجل من العرب من أهل ذلك

قالوا ماذا عملت يومك هذا
وبحلالك لا برحت حتى أصلي
العشاء الاخيرة ولم يزل
راكعا وساجدا حتى صلى
العشاء الاخيرة ومضى الى
منزله فسمع ضجيجا عظيما
فظن في نفسه شرا وقال
انا لله وانا اليه راجعون
غبت عن المرأة ومعها
الاطفال وهم في شدة عظيمة
من الجوع فليت شعري
ما جرى عليهم ثم بكى بكاء
شديدا وقرع الباب
فخرجت اليه زوجته
مسرعة وقالت له أهلا
وسهلا وهي فرحة مسرورة
ثم قالت ما كان يومك الا
مباركا أشبع الله بطنك كما
أشبعت بطوننا ثم دخل
المنزل فرأى فيه ضوءا عظيما
فالتفت فاذا بمائدتين
عظيمتين على كل مائدة
منديل حسن فقال ما هاتان
المائدتان قالت يا ابن عمي
أنا جالسة في وقت الغروب
وقد أجهدني الجوع
والاطفال يتجرعون الموت
واذا بطارق يطرق الباب
فنهضت الى الباب ففتحته

البيت

[illegible] * فامنعهم [illegible]

((وقال أيضا))

لاهم ان المرء يمنع رحله * فامنع رحالك

وانصر على آل الصليب * وعابديه اليوم آلك

لا يغلبن صليبهم * ومحالهم أبدا محالك

جروا جموع بلادهم * والفيل كي يسبوا عيالك

عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك

ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدالك

ثم ان عبد المطلب ترك الحلقة وتوجه فى بعض الوجوه مع قومه وأصبح أبرهة بالمغمس وقد تهيأ لدخول مكة وهى جيشه وهيأ فيله وكان اسم الفيل محمودا وكان من قبل النجاشى بعثه الى أبرهة وكان فيلا لم ير مثله فى الارض عظما وقوة وجسما وقال الكلبى لم يكن عندهم الا ذلك الفيل الواحد فلذلك قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل وقال الضحاك كانت الفيلة كثيرة ويقال كان معه اثنا عشر فيلا (١) وانما وجه على هذا التأويل لوفاق رؤس الآى ويقال نسبهم الى الفيل الاعظم قالوا فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم فأخذ باذنه وقال ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فأبى أن يقوم فضربوه بالمعول فى رأسه فأبى فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه ورفعوه ليقوم فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ثم وجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ثم وجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وأبى أن يقوم ثم ان نفيلا خرج من عندهم وصعد فى الجبل وأرسل الله تعالى طيرا من البحر كأمثال الخطاطيف مع كل طير منهم ثلاثة أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره أمثال الحمص والعدس فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا الا أهلكته وليس كل القوم أصابت فذلك قوله تعالى طيرا أبابيل أى متفرقة من ههنا وههنا قال ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطيور وأكف كأكف الكلاب وقال عكرمة كانت لها رؤس كرؤس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده وقالت عائشة رضى الله عنها هى أشبه شىء بالخطاطيف وقيل أنياب كأنياب السباع وقال سعيد بن جبير طير خضر لها مناقير صفر وقال أبو الجوزاء أنشأها الله فى الهواء فى ذلك الوقت ترميهم بحجارة من سجيل أى سنك كل (٢) قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها قوة فما وقع منها حجر على جنب رجل الا خرج من الجانب الآخر واذا وقع على رأس رجل خرج من دبره فجعلهم كعصف مأكول أى كزرع قد أكل حبه وبقى تبنه فلما رأت الحبشة ذلك خرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى جاؤا منه ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته

أين المفر والاله الطالب * والاشرم المغلوب غير الغالب

((وقال أيضا فى ذلك))

ألا حييت عنا ياردينا * نعمناكم مع الاصباح عينا

ردينة لو رأيت ولم تريه * لدى جنب المحصب ما رأينا

اذا لعذرتنى وحمدت أمرى * ولم تأسى على ما فات بينا

حمدت الله اذ عاينت طيرا * وخفت حجارة ترمى علينا

وكل القوم يسأل عن نفيل * كأن على للحبشان دينا

وذكر زياد عن عبد الله بن عمر أن طيرا الابابيل كانوا أقبلوا من قبل البحر رجال الهند ترميهم بحجارة أصغرها مثل رؤس الرجال وأكبرها كالابل البزل ما رمت أصابت وما أصابت قتلت ونفيل ينظر اليهم من بعض تلك الجبال وقد خرج القوم وصاح بعضهم على بعض فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على

واقف بين يدى الله تعالى وهو يقول يا ابن الرومى كيف رأيت معاملتنا قلت خير المعاملة فقال يا ابن الرومى قد رفعت لك عشرة آلاف درجة وكتبت لك عشرة آلاف حسنة ومحوت عنك مائة ألف سيئة فهل أنت عنى راض قلت نعم يارب فقال يا ابن الرومى اسألنى أعطك قلت يارب أسألك أن تقبلنى على ما أنا فيه وعليه من قبل أن تقبضنى اليك فقال الله تعالى انى مقدر الآجال لا أزيد فيها ولا أنقص وقد بقى من عمرك تسعة أيام قلت الهى احفظنى حتى [illegible] [illegible] عند الله [illegible] لا يزيدن فى [illegible] فقال الله وعزتى وجلالى لاعطينك براءة من النار ولاسكننك

---

(١) (قوله وانما وجه الخ) المراد أن الافراد فى الآية على هذا القول لوفاق رؤس الآى

٢ (قوله أى سنك كل) لفظ فارسى معرب سجيل

كل منزل وبعث الله تعالى على أبرهة داء في جسده فجعل تتساقط أناملة كلما سقطت أنملة اتبعتها أنملة وقيح ودم وانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فيما بقي من أصحابه فمات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك
وزعم مقاتل ابن سليمان ان السبب الذي جر حديث أصحاب الفيل هو أن فئة من قريش خرجوا تجارا الى أرض النجاشي فساروا حتى دنوا من ساحل البحر في سند حقف من أحقافها بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل وبها النجاشي وأهل أرضه المأسرجسان فنزل القوم في سندها فجمعوا حطبا وأججوا نارا واشتووا لحما فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم صائف فهجت الرياح فاضطرم الهيكل نارا وانطلق الصريخ الى النجاشي فأخبره فأسف عند ذلك غضبا للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وكان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا عاقلا وكان لعبد المطلب خليلا فقال عبد المطلب يا أبا مسعود هذا يوم لا نستغني فيه عن رأيك فما رأيك فقال أبو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فاجعلها هديا لله تعالى وقلدها نعلا وابثثها في الحرم لعل بعض هؤلاء السودان يعقر منها فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود ان لهذا البيت ربا سيمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن بصحراء هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه وأظلم عليه ثلاثة أيام فلما رأى ذلك تبع كساه القباطي البيض وعظمه ونحر له جزرا ثم قال أبو مسعود لعبد المطلب انظر الى بحر اليمن هل ترى شيأ فقال أرى طيرا بيضا نشأت من جانب البحر وحلقت على رؤسنا فقال له هل تعرفها فقال عبد المطلب والله ما أعرفها ما هي بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية وانها تطير بأرضنا غير مؤنسة قال ما قدرها قال أمثال اليعاسيب في مناقيرها حصى كأنها نوى الخزف قد أقبلت كالليل المظلم يتبع بعضها بعضا أمامها فرقة طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى اذا حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤسهم فلما توافت الرجال كلها أهالت الطير ما في مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها رجعت من حيث جاءت فلما أصبح عبد المطلب وأبو مسعود انحطا من ذروة الجبل فمشيا ربوة فلم يؤنسا أحدا ثم امشيا فلم يسمعا حسا فقالا لبعضهما بات القوم سامدين فأصبحوا نياما فلما دنوا من معسكر الفيل فاذا هم خامدون وكان الحجر ينزل على بيضة أحدهم فيفجرها ويقطع في دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر في الارض من شدة وقعه ثم ان عبد المطلب أخذ فأسا وحفر حتى أعمق في الارض فملأها من الذهب الاحمر والجوهر الجيد ثم حفر لصاحبه حفرة فملأها ثم قال لابي مسعود هات خاتمك وأخبرك فاختر فان شئت أخذت حفرتي وان شئت أخذت حفرتك وان شئت فهما لك معا فقال له أبو مسعود اختر لي على نفسك فقال عبد المطلب اني جعلت أجود المتاع في حفرتي فهو لك ثم جلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب في الناس فرجعوا وأصابوا من فضلها حتى ضاقوا بذلك ذرعا وساد عبد المطلب بذلك على قريش وأعطته الرياسة فلم يزل أبو مسعود وعبد المطلب غنيين من ذلك المال الى أن ماتا (وقال الواقدي) باسانيده أغزى النجاشي ارياطا في أربعة آلاف الى اليمن فغلب عليها فأكرم الملوك واستذل الفقراء فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الاشرم أبو يكسوم فدعا الى طاعته فأجابوه فقتل ارياطا وغلب على اليمن فرأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج فسأل أين تذهب الناس فقيل يحجون بيت الله بمكة قال فما هو قالوا من حجر قال فما كسوته قالوا ما يأتي من ههنا من الوصائل فقال والمسيح لابنين خيرا منه فبنى لهم بيتا بالرخام الابيض والاسود والاحمر والاصفر وحلاه بالذهب والفضة وحفه بالجواهر وجعل له أبوابا عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب ورصعها بالجواهر وجعل فيها ياقوتة حمراء وجعل لها حجابا وكان يوقد بالمندل ويلطخ جدرانه بالمسك حتى تغيب الجواهر وأمر الناس بحجه فحجه كثير من قبائل العرب سنين ومكث فيه رجال يتعبدون ويتنسكون فامهل نفيل الخثعمي حتى كان ليلة من الليالي لم ير أحدا يتحرك فجاء بعذرة فلطخ بها قبلته وألقى فيه الجيف وا[illegible] تقذذه

جواري
فانتبهت م
زوجتي ب
حزنا شديد
لها ولا ولا
فيه وخادما
اخوانه و
ومضى الى
فيه ما شاء الله
الى الكعبة
وطوق برب
عليه (ر
الصا لحين
عنه) الى أ
في بني امر
صديقا فألقاه
به الى مكانه
أمه بنت الشفا
مستغيثة ف
اذ ظهر فارس
أبيض وعم
وبيده رمح
يا أبا الحرث خ
بسلام فلما
منه ألقى الو
ودخل مكانه
بسوء فقالت
من أنت
ولدي فقال ا